

رسالة ماجستير

بموضوع

صورة الصليبيين في الأدب العربي

إعداد

عبد القادر شريف عبدالله أبو شريف

١٩٧٧ / ١٩٧٨

بإشراف

الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في  
اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب في الجامعة الأردنية.

١٠٠٣٠٧٩



1

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( مقدمة )

قسم الأدب العربي تقسيماً تاريخياً إلى عصور مختلفة ، كل قسم يُدرّس من خلاله فترة قائمة بنفسها ، لها مميزات وخصائصها الفنية ، بدءاً بالمصر الجاهلي وانتهاءً بالمصر الحديث .

وقد كان لهذا التقسيم أثر غير محمود في فهم الأدب العربي ، إذ جُمّد نسي أطر تاريخية منفصلة ، تبدأ بسنة كذا وتنتهي بسنة كذا . . . .

وفي إطار هذا التقسيم التاريخي للأدب ، وصفت بعض العصور بالقوة والازدهار ، ووصفت عصور أخرى بالجمود والانحطاط ، ولو حاولنا معرفة السبب في هذه الأحكام ، لكان في تصور من قالوا بها - مرتبطاً في الغالب بالأوضاع السياسية للدولة الإسلامية .

هذا الربط بين السياسة والأدب هو الذي كان من وراء بعض التصورات الخاطئة وهو الذي أبعد أدب الحروب الصليبية عن منطقة الضوء ، علماً بأن أدب هذه الفترة أدب خصب ، ذو أهمية خاصة نظراً لما يرتبط به من صراع طويل مرير بين أميين وحضارتين .

وهنا نتساءل ، حتى لو سلمنا بأن هذا العصر صرتمزق سياسي ، هل كل ضعف سياسي ينتج عنه ضعف في الإنتاج الأدبي ؟ والجواب - بالطبع - لا ، ويمكن تقديم الشواهد على ذلك من أدب الشرق وأدب الغرب على السواء .

والحقيقة ، أن الذين وصفوا هذا العصر بالجمود ، إنما أطلقوا أحكامهم بناءً على تصور نظري ، ولم يعنوا أنفسهم بأحتمال مشاق البحث والتثبت ، حتى كأن الظاهرة أشهر من أن تحلل أو يبين لها سبب ، ولورجعوا إلى ما وصلنا من أدب هذه الفترة لتبينوا ما في أحكامهم من خطأ ، وذلك لأنهم أصدروا حكماً دون التثبت من صحته . مخالفين أصول المنهج العلمي السليم ، مما نتج عنه تصور بقي مقبولاً حتى وقت قريب .

وقد كان للجامعة الأردنية الفضل في طرح مساقات يُدرّس فيها أدب هذه

الفترة وذلك منذ عام ١٩٧٣ ، حين أعمد قسم اللغة العربية تدريس مادة : أدب

الحروب الصليبية ، ضمن المواد الأدبية التي يدرسها . وقد لاقت هذه المادة أقبالا

جيداً من الطلاب وذلك لأنها مادة جديدة ، ومرتبطة بأوضاع قائمة في زماننا هذا .

وتبين من دراسة هذه المادة خصب الإنتاج الأدبي في هذه الفترة ما جعل الطلاب

يتصورون أن تضام جوانب الحياة فيها ، لتتال من العناية ما نالته الفترات الأخرى .

ومعد دراسة تاريخ القرنين السادس والسابع الهجريين ، وما دار فيهما من

صراع مرير ، وجدت رغبة ملحة في نفسي - لا سيما بعد نصيحة أستاذي :

الدكتور عبد الكريم خليفة \* والدكتور محمود إبراهيم - بأن استقصى صور هذا المصراع \*  
 وصورة المحتلين \* فكانت هذه الدراسة بعنوان : " صورة الصليبيين في الأدب العربي "

ومما قوى هذه الرغبة في نفسي \* هذا التشابه بين الاوضاع القاسية التي مرت بها  
 أمتنا \* والاضغاع التي تمر بها حاليا \* فقد تعرضت الامة فيما مضى لنزوة استعماري استيطاني  
 استهدف الارض والانسان \* وحاول بكل ما أوتي من قوة وجبروت \* أن يخلق جذور هذه  
 الامة من الارض المقدسة \* وقد أحرز فعلا نجاحا كبيرا فيما حاوله \* فاحتل أجزاء كبيرة  
 من أرض المشرق الاسلامي \* وبقي خطره يتفاقم الى أن بدأت ردة الفصل الاسلامي للجزء  
 التي انتهت بخروج الصليبيين نهائيا من ديار الاسلام \*

وفي الزمن الحاضر \* غرس في مشرقنا الاسلامي \* كذلك \* جسم غريب \* أبتلع  
 أرض فلسطين \* ثم تجاوزها الى أرض عربية أخرى \* وما زالت أطماع التوسعية تهدد ونسي  
 كل تصرف من تصرفاته \*

على أن عاملا آخر قد شجعتني على دراسة هذه الفترة أيضا \* ذلك هو أنها لم  
 تهتم بدراسات كافية شاملة في وقتنا الحاضر \* وقد يكون من المفيد أن أقدم استعراضا  
 سريحا لهذه الدراسات لكي يثمين موقع هذه الدراسة منها :

الدراسة الأولى \* هي دراسة الدكتور عبد اللطيف حمزة بعنوان " أدب الحروب  
 الصليبية " وقد بين المؤلف في مقدمته أن الكتاب جاء استجابة لرغبة المجمع الملكي  
 للغة العربية في مصر سنة ١٩٤٨ " إذ دعا الكتاب والمؤرخين الى الكتابة في هذا  
 الموضوع الجليل \* وقد احتوى هذا الكتاب عرضا تاريخيا لمراحل الحروب الصليبية \*  
 ثم ركز على دور مصر في هذه الحروب \* وقد أثبت المؤلف عددا من القوائد قيلت في  
 الممارك المشهورة \* وهذا يعني أن المؤلف قد سار على النهج التقليدي في كتابة التاريخ  
 الأدبي \* وقد قام المؤلف نفسه \* كذلك \* بدراسة أخرى أسماها " الأدب المصري من  
 قيام الدولة الأيوبية الى مجي الحملة الفرنسية " (٢) وجاء هذا الكتاب ملخصا للكتاب  
 الأول \* ولكنه تجاوز الفترة الى ما بعد الحروب الصليبية حتى الحملة الفرنسية على مصر \*

والدراسة الثانية \* هي : كتاب محمد سيد كيائني " الحروب الصليبية وأثرها  
 في الأدب العربي في مصر والشام " (٣) \* وقد احتوى الكتاب عرضا تاريخيا موجزا \*  
 ودراسة مبسطة عن الحالة الاجتماعية المتولدة عن هذه الحروب في مصر والشام \* ثم  
 تعريفًا موجزا بأشهر شعراء هذه الفترة وكتابتها \*

- 
- (١) د . عبد اللطيف حمزة \* أدب الحروب الصليبية \* مطبعة الاعتماد \* نشر دار الفكر  
 العربي \* مصر \* سنة ١٩٤٩
- (٢) د . عبد اللطيف حمزة \* الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية الى مجي الحملة  
 الفرنسية \* مكتبة نهضة مصر \* مصر \* ٢
- (٣) محمد سيد كيائني \* الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام  
 دار الكتاب العربي \* مصر \* سنة ١٩٤٩

وفي هذا الكتاب استنتاجات لا تستند الى دليل ، ومنها ما هو مغالطات تحتاج الى برهان (١) ، ولكنه مع هذا ينقل مادة أدبية غزيرة ولو أنه لا يذكر مصادرها .

والدراسة الثالثة ، قدمها د . محمد كامل حسين ضمن كتابه " أدب عصر الفاطمية " (٢) وقد أشار إشارة سريعة الى دور الفاطميين في هذه الحروب .

والدراسة الرابعة ، قدمها د . أحمد أحمد بدوي بعنوان : " الحياة الأدبية بمصر والشام " (٣) وفيها عرض للحياة الأدبية والسياسة والاجتماعية في مصر والشام ، وإلمامة بسيطة بحياة الصليبيين جاءت تحت عنوان : " تصوير الفرنج " وقد أخذ على كتاب الاعتبار لأسامقن موقفاً ، فذكر الصفات التي أوردتها أسامة باختصار شديد .

والدراسة الخامسة ، قام بها ، ايضاً د . محمد كامل حسين بعنوان " دراسات في الشعر في عصر الايوبيين " (٤) وفيها تركيز على الأدب في مصر زمن الايوبيين ، ودور مصر في الحرب ، مع إثبات نصوص شعرية ونثرية عن المعارك التي جرت مع الصليبيين .

والدراسة السادسة قام بها د . عبد العزيز الأهواني بعنوان " ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر " (٥) ، وقد وصف هذا العصر بالجمود ، معللاً آياه بأسباب عامه قد لا تتطابق كلها على العصر ، ومنها ما لا ينطبق حتى على شعر ابن سناء الملك نفسه .

والدراسة السابعة ، قام بها ، محمود مصطفي ، بعنوان " الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الأيوبي " (٦) وفيها ميل عاطفي يتمثل بالإعجاب المفرط بالأدب في هذه الفترة ، وإبراز دور مصر فيه .

- 
- (١) الحروب الصليبية في الأدب العربي في مصر والشام ٩ ٣٩٤٢١٤ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٠
- (٢) د . محمد كامل حسين ، أدب مصر الفاطمية ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٥٠
- (٣) د . أحمد أحمد بدوي ، الحياة الأدبية بمصر والشام ، مكتبة نهضة مصر ، مصر ، ١٩٥٤
- (٤) د . محمد كامل حسين ، دراسات في الشعر في عصر الايوبيين ، دار الكتاب المصري ، مصر سنة ١٩٥٧
- (٥) د . عبد العزيز الأهواني ، ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر ، مكتبة الانجلو مصرية ، مصر ، سنة ١٩٦٢
- (٦) محمود مصطفي ، الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الأيوبي ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، مصر ، سنة ١٩٦٧



والدراسات الثامنة والثاسعة قام بهما د . محمد زغلول سائيم ، بعنوان " الأدب في العصر الأيوبي " (١) و " الأدب في العصر للمملوكي " (٢) وقد تحدث فيها عن النواحي السياسية والاجتماعية ، وحالة الأدب والأدباء ، وأورد تعريفات سريعة ببعض الأدباء والشعراء .

والدراسة العاشرة قام بها د . عمر موسى باشا ، بعنوان " الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك " (٣) وهي دراسة مسطحة شاملة لفترة الحروب الصليبية وطواكبها من شعر أو نثر من تقويم فني لهذا الأدب .

والدراسة الحادية عشرة قام بها فاروق جرار ، بعنوان " محمد بن نصر القيسراني حياته وشعره " (٤) وفيها ترجمة للشاعر ودراسة لقصائده .

والدراسة الثانية عشرة قام بها د . محمود ابراهيم ، بعنوان : " صدى الغمزة الصليبي في شعر ابن القيسراني " (٥) وفيها تحليل لشعره ، ونظر مستقر في فنه الادبي .

والدراسة الثالثة عشرة قام بها هادي نهر ، بعنوان : " صارك نور الديين في شعر الحروب الصليبية " (٦) وهي رسالة ماجستير لم تلبس بعد ، وفيها دراسة للشعر الذي مزج نور الدين محمود في حروبه من الفرنج من نظر سري في السمات الفنية لهذا الشعر .

مما مضي يتبين أن مجموع الدراسات التي تناولت الفترة بلج ، فيما أعلم ، ثلاث عشرة دراسة ، كان معظمها يركز على دور مصر في الأحداث ، في حين عرض بعضها للمادة الادبية في إطار الأحداث التاريخية . وقد ركزت هذه الدراسات على تصوير الجانب الاملاي ، أما الفرنج فلم تنرد لهم دراسات خاصة ، باستثناء اشارات غير مستقصية .

وقد يتبادر الى الذهن أن أدب هذه الفترة قد رسم صورة قائمة للصليبيين ، لأن العلاقات التي كانت قائمة بين المجتمعين هي علاقات دمية ، يسودها الحقد والكراهة .

- 
- (١) د . محمد زغلول سائيم ، الأدب في العصر الأيوبي ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٧ .
  - (٢) د . محمد زغلول سائيم ، الأدب في العصر المملوكي ، دار المعارف ، مصر سنة ١٩٧٠ .
  - (٣) د . عمر موسى باشا ، الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، دار الفكر الحديث ، دمشق ، سنة ١٩٦٧ .
  - (٤) فاروق جرار ، محمد بن نصر القيسراني حياته وشعره ، المطبعة التعاونية ، عمان سنة ١٩٧٤ .
  - (٥) د . محمود ابراهيم ، صدى الغمزة الصليبي في شعر ابن القيسراني ، المكتتب الاسائفي وكتبة الاقصى ، دمشق ، عمان سنة ١٩٧١ .
  - (٦) هادي نهر ، صارك نور الدين في شعر الحروب الصليبية ، جامعة القاهرة ، رقم ١٠٣ سنة ١٩٧٥ .

ولكن ، بعد دراسة المادة ، ظهر لي أن هذا الصراع الديني ، الذي صورته أدب هذه الفترة قد تقدم في صور متعددة ، منها ما يتعلق بمظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للفزاة ، ومنها ما يتعلق بالعلاقات بينهم وبين المسلمين خلال فترات الهدنة الموقفة التي كانت تعقد بين الدرفسين .

وبعد جمع المادة الشعرية والنثرية من المصادر الأساسية تمت بدراستها وتحليلها ثم تصنيفها الى فروع تشكل الاطار التالي لصورة الصليبيين في الادب العربي .

ولما كانت المادة واسعة ، والشواهد كثيرة ، فقد أوردت بعض الشواهد وأحسنت القارئ الى مصادر الشواهد الاخرى خشية الاطالة .

وقد قسمت الرسالة الى ثلاثة ابواب وخاتمة ، أما الباب الاوون فقد تحدثت فيه عن الشرق الاسلامي قبيل النزو الصليبي وأوضحته فيه الحالة السياسية في الصراع وسلافة الخيام ومصر . . . ودور كل منها في الحروب الصليبية ، كما أوجزت أوضاع الحرب الأروبي قبيل النزو ، والاسباب التي دفعتهم الى مهاجمة الشرق الاسلامي . . . وحددت في هذا الفصل المنطقة التي تعرضت للنزو ، وما نتج عن هذا النزو من آثار . وأما الباب الثاني فقد بينت فيه نظرة الاسلامة للصراع ، ووردت فيها نظرة دينية للصراع حربي ، أهمسب الأدب في توضيح عناصره ، فوصف الجيش الصليبي وقوته وأمداداته ، وأسلحته ومعداتة ، وتاريخه وتخصياته ، ومعاركه وخططه . . . كما أوضح خياله هو لاء الفزاة على الاسلام والمسلمين والبلاد الاسلامية جميعها .

وقد صور الادب كذلك ، حياة الصليبيين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وكانت صورة الحياة الاجتماعية فيه أوضح من صورة الحياتين السياسية والاقتصادية .

وأما الباب الثالث فقد أهتم على دراسة نغية الشعر والنثر ، وما احتواها من خصائص ثم مقارنة بين أسلوب الشعر والنثر في تقديم صورة الفزاة . وأما الخاتمة فقد لخصت فيها نتائج البحث ، وما توصلت اليه من حقائق ، ثم أتممتها بعدة ملحقات :

١ . ملحق شعري : وقد رتبته حسب وثائق الشعراء ما أمكن ، وأرن تعذرت بحرفة سنسة الوفاة كنت أدون الشعر حسب السنة التي قيلت فيها القصيدة أو القصائد . وفي الملحق هذا النظام أوردت القصائد مرتبة حسب التوافي ترتيبا أبجديا .

٢ . ملحق بجماني المصطلحات الحربية المستعملة آنذاك .

٣ . قوائم بحكام المسلمين والصليبيين في فترة الصراع .

٤ . جدول بتحويل السنوات الهجرية الى ميلادية .

٥٥ الشرائط وهي أربع : توضح الأولى منها الحروب الصليبية بشكل عام ، وتوضح الثانية الإمارات الصليبية الأربع ، وتوضح الثالثة معارك الصليبيين بعد معركة حطين ، وتوضح الرابعة أسماء الأماكن التي جرت فيها المعارك أو التي ورد ذكرها في الشعر أو النثر .

أما المصادر التي اعتمدت عليها في هذه الرسالة فهي كثيرة ، بسبب طول الفترة واتساع ميدان الصراع ، . . . ولذلك سأقتصر على المهم منها ، والباقي يجده القارئ في فهرس المصادر والمراجع :

### ١٠١ الدواوين الشعرية :

- ١٠١ ديوان ابن الخياط : - ٥١٧ هـ وفيه قصيدة تسجل الأحداث الأولى للحروب الصليبية .
- ١٠٢ ديوان ابن التيسراني : - ٥٤٨ هـ وفيه عدد من القصائد التي تصف المعركة الاجتماعية وما زان الديوان مخطوطاً .
- ١٠٣ ديوان طلائع بن رزيق - ٥٥٦ هـ وفيه قصائد عن عروبته مع الفرنج ، واستحثاث لئور الدين محمود على تعاون مصر والشام في الصراع القائم ضد التترة .
- ١٠٤ ديوان أسامة بن مثنى - ٥٨٤ هـ وفيه مراسلات بينه وبين طلائع بن رزيق حول الحروب والمحت على الشام بين مصر والشام .
- ١٠٥ ديوان ابن الساطي - ٦٠٤ هـ وفيه قصائد عن الفتح الكبرى زمن صلاح الدين
- ١٠٦ ديوان ابن سناء الملك - ٦٠٨ هـ وفيه قصائد عن الفتح الكبرى زمن صلاح الدين
- ١٠٧ ديوان غثيان الشاغوري - ٦١٥ هـ وفيه قصائد عن الفتح الكبرى زمن صلاح الدين
- ١٠٨ ديوان ابن النبيه - ٦٢٠ هـ وفيه قصائد عن معركة ديهاط زمن الملك الكامل بن السادل
- ١٠٩ ديوان ابن مطروح - ٦٤٩ هـ وفيه قصيدة عن حصار ديهاط سنة ٦٤٧
- ١١٠ ديوان ابن دنوير - ٦٥٠ هـ وفيه عدة قصائد عن حصار ديهاط سنة ٦١٤ وما زان الديوان مخطوطاً في المكتبة الظاهرية بدمشق .
- ١١١ ديوان البهاء زهير - ٦٥٦ هـ
- ١١٢ ديوان البوصيري - ٦٩٦ هـ وفيه قصائد طويلة تحمل طابعاً دينياً وأضحاً هذا بالاضافة الى ثمانية دواوين أخرى أشهرها في قائمة المصادر والمراجع .

ب. المصادر الأدبية والتاريخية مرتبة حسب وفيات أصحابها :

١. الإجماع لأمامة بن منقذ - ٥٨٤ هـ وقد صور فيه بعض النواحي الاجتماعية فسي حياة الصليبيين والمسلمين في عصره ، وتمتاز كتابته بالصدق والواقعية ، نظراً لمعاشرته للفرنج مدة طويلة .
٢. التوسيع القدي في الفتح القدسي للمصمدي الأصفهاني - ٥٩٧ هـ وقد جرى تاريخ سبعة أعوام ابتداءً من عام ٥٨٣ هـ وفيه وصف دقيق لبعض عادات الفرنج بلغة بدوية مؤخرفة .
٣. خزينة النصر وجريدة العصر للمصمدي الأصفهاني - ٥٩٧ هـ وتقع في خمسة مجلدات مقسمة على بيئات مختلفة منها الشام ، مصر والعراق ، وتحتوي هذه المجلدات تراجم أدباء القرن السادس من عاصروا المؤلف ، ومنتخبات من إنتاجهم .
٤. رحلة ابن جبير - ٦١٤ هـ وقد وصف فيها حال بعض بلدان الشام زمن صلاح الدين ، ما كان منها في حكم المسلمين ، وما كان منها تحت الاحتلال الصليبي وأورد وصفاً حياً لبعض عادات الصليبيين كما شهد لها في الأرض المحتلة .
٥. التمام لابن الأثير - ٦٣٠ هـ ويحتوي تاريخاً لأحداث الحروب الصليبية ، وبعض القصائد التي قيلت في الحروب .
٦. التمسودار السلطانية والمحاسن اليوسفية ، لهبهاء الدين بن شداد - ٦٣٢ هـ وقد ألفه عن صلاح الدين ، وقسمه إلى قسمين : الأول : في مولده ونشأته وخصائصه والثاني : في تقلبات الأحوال به ووقائعهم ، وفيه وصف للصليبيين وأدواتهم القتالية وخططهم الحربية .
٧. رسالة الحلبي من تاريخ حلب لابن العديم - ٦٦٠ هـ ويحتوي تاريخاً لأحداث الحروب الصليبية .
٨. كتاب الروضتين في أخبار الدولتين وكتاب الذيل على الروضتين لابن شامة المقدسي - ٦٦٥ هـ ويحتويان مادة شعرية ونثرية مشبعة جداً . ويشتد المؤلف في أخباره على المؤرخين الذين سبقوه وعلى دواوين الشراء ، وقد حُفَّت كثيراً من النصوص من الضياع .
٩. الفوائد الجليلة في الفرائد الفاصرية للملك الامجد الحسن بن داود - ٦٧٠ هـ وهو مخطوط في دار الكتب المصرية ، ويحتوي عدة رسائل لوالده ، ومنها تلك التي يمشيها إلى الملك الصالح أيوب يحرضه على قتال الفرنج .

١٠. تشريف الايام والمصور لابن عبدالعزى - ٦٩٢ هـ ، وهو في حيرة الطلك المنصور وفيه توضيح للسنوات الاخيرة من الحروب الصليبية .
١١. فخر الكروب في اخبار بني أيوب لابن واصل - ٦٩٧ هـ ويقع في أربعة مجلدات ، يتحدث فيها عن الملوك من بني أيوب ، وفيه شعر مرتبط بالاحداث الهامة .
١٢. نهاية الارب للنويرى - ٧٣٢ هـ وهو في ثلاثين مجلدا وقد اعتمدت على الاجزاء التالية : الخامس ، والسادس ، والثامن ، وهي مطبوعة والجزء السابع والعشرين وهو مخطوط ، وفي هذه الاجزاء بعض الرسائل والمجاهدات المرتبطة بالحروب الصليبية .
١٣. تاريخ ابن الفرات - ٨٠٧ هـ وهو في عدة مجلدات ، وفيه تاريخ للحوادث وذكور للاشعار التي ترتبط ببعض هذه الحوادث .
١٤. عقد الجمان للميضي - ٨٥٥ هـ وهي أجزاء كثيرة ما زالت مخطوطة بدار الكتب وفيها ، بعض القصائد التي لا توجد في المؤلفات الاخرى هذه بعض المصادر الاساسية التي اعتمدت عليها ، ويجد القارئ مجموعة كبيرة في قائمة المراجع والمصادر ، وهناك مصدران فرنسيان معاصران للحروب الصليبية ، لا بد من الاشارة اليهما وهما كتاب مؤرخ مجهول حقه د . حسن حبشي وفيه وصف لبعض الاحداث والكتاب الثاني هو مذكرات كتبها جوفانفيل أحد مرافقي الملك لويس التاسع الفرنسي في حملته على مصر .
- ومما يجدر ذكره أن المصادر العربية تتميز بصدقها ودقتها وقد نوه كل من هاملتون جب وقلوب حتى بدقة هذه المصادر .
- هذا ، وقد اعترضتني بعض الصحوات في هذه الدراسة ، أهمها : أنهى تشتمل الشعر والنثر معا ، وتستغرق فترة الحروب الصليبية كلها في بلاد الشام ومصر مع أن الزمن المحدد يضيّق عن الوفاء بما تتطلبه دراسة واسعة كهذه ، لا سيما أن بعض المخطوطات لم يتم لي الحصول عليها في الأردن ، مما اضطرني الى السفر الى سوريا ولبنان ومصر ، وكان من فضل الله علي أن اقترن السعي بالتوفيق فله الحمد على ذلك .
- ولا يفوتني أن أشكر أستاذي الفاضل د . محمود ابراهيم الذي أشرف على هذه الرسالة ، فأبدي توجيهاته وأرشاداته وأمني النشار والزلل ، وقدم لي بعض المصادر التي تمدر الحصول عليها لولاه .

وأخيرا ، أقول ما قال المصنف : " إنني رأيت أنه لا يكتب لمن كان  
 كتابا في يومه إلا قال في غده ، لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد لكان  
 يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذه  
 أعظم المبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر " .

فأحمد الله إن أصبت ، وأعذر للقاري إن أخطأت ، وما توفيقي إلا لله  
 عليه توكلت وإليه أنيب . . .

عبد القادر أبو شريفة

الجامعة الاردنية

١٩٧٧ / ١٩٧٨ م

## المساب الأول

### توثيقة تاريخية

- الفصل الأول : الحزق الإسكندري قبيل النزو الصليبي  
الفصل الثاني : الحزب الأوربي قبيل النزو الصليبي  
الفصل الثالث : الصراع : مدانه وزمانه
-

## الفصل الأول

### الشرق الاسلامي قبيل الغزو الصليبي

شهد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، صراعا عنيقا بين الروم والمسلمين تمكن الروم خلاله من السيطرة على أجزاء من بلاد الشام ، ولم تبق الدولة الفاطمية في وجه الغزو البيزنطي لاحتلالوا بلاد الشام حتى القدس (١) ، وقد ساعد على ذلك انشغال الامبراطور البيزنطي باسل الثاني بشؤون ارمينية ، إذ كانت تمر بمرحلة ضعف أخرى الامبراطور بها ، فضمها الى ممتلكاته ، وأقام فيها الحاميات وأنفق عليها الاموال الطائلة ليجنبها مخاطر القوى الاسلامية ، ولكن مساحتها الشاسعة ، وضعفها الذي ساعد على تمكن الروم من احتلالها ، جعلها هذه الخطوة غير مضمونة السواقب بالنسبة الى الدولة البيزنطية ، فقد ظهرت مخاطر تهدد كيان الدولة البيزنطية من الشيطان بسبب الفارات المتكررة التي تقام بها الهلنار ، مما سبب دجرة المواطنين في البلقان ، وترك الاراضي الزراعية ، فحسرت الامبراطور عد محطات ايوتف هجمات تلك القبائل (٢) ، وفي الوقت نفسه ظهرت قوة أخرى في الشرق من اخلاط القبائل التركية ، كانت تعمد في مسيحتها على الاغارة والنهب ، حتى دخلت ديار الاسلام فأسلم زعيمهم سلجوق بن دقاق ، وأقام بنواحي بخارى حتى مات ، فخلفه ابنه ميكائيل ، وبعده تولى الأمر ابنه طغرل بك (٣) .

انتهم طغرل بك تصارع القوى في فارس والسران ، فطام نحو الغزنويين لقرتهم إليه ، ضد الهوهميين ، وقد حقق الغزنويون انتصارات وسعت مملكتهم ، لكن طغرل بك لم ينله منها شيء ، فعمد الى استمالة التركمان في نواحي خراسان مما زاد من قوته ، وحدثته نفسه بالانفصال عن الغزنويين ، فأحسن السلطان محمود الغزنوي - خليفة السلطان محمود الغزنوي - هذه النوايا ، وجنح جيشا لا يقاب الاعتداءات السلجوقية على مملكته ، فالتقى مع السلجوقية فسيدي داندانقان ٤٣١ هـ / ١٠٤٠ م ، وكانت الدائرة عليه ، فاستولى السلجوقية على معظم مملكتهم (٤) ، وانحصر نفوذ الغزنويين في أفغانستان (٥) .

- (١) سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ط ١٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة سنة ١٩٧٥ ، ج ١ ص ٦٥ .
- (٢) المصدر السابق ج ١ ص ٦٨ ، ص ١١٩ .
- ٣ كان له من الابناء : أرسلان ، وميكائيل ، ويوسى ، أنظر السلوك لمرثدة دون الدمسوع ج ١ ص ٣٠ .
- ٤ كان له من الابناء : بيخو ، طغرل ، ينان ، جعفر ، بيا ، داود ، أنظر المصدر السابق ج ١ ص ٣٠ .
- (٥) ابن بطيحا ، الفخرى في الاداب السلطانية ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٢٩٣ .
- (٤) الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية تحقيق محمد أتبال ، لائور سنة ١٩٧٧ ، ص ١٩٤ .
- (٥) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ج ١ ص ٧٦ .



اندفع السلاجقة حينئذ بزعامة طغرل بك يتوسمون على حساب دولتي المسلمين والبيزنطيين ، اللتين كانتا تعيشان مرحلة تفكك وصراع داخلي ، بينما اجتمع للسلاجقة عدة محركات ، منها القيادة الطموح ، والقوة الضاربة ونشوة الانتصارات المتتالية .

وحدث أن تجبر البوسهيون وأرضوا أهل السنة على الاشتراك في أعياد الشيعة مما أدى الى الفتن في العراق (١) ، فأسس طغرل الى بغداد وأزال دولة بني بويه ، وقدم الولا الرمزي للخليفة الذي أنعم عليه بلقب أمير المسلمين ونائب وصي أمير المؤمنين (٢) .

وحد أن أستقر الأمر في بغداد توجه الى نصيبين " وديار بكر " ، فضمها الى ملكه ، واستولى على الموصل وولى عليها أخاه ( يغال إبراهيم ) (٣) ، وكان قد سيطر على أجزاء واسعة من فارس وشمال العراق ، وأخذ أصبهان عاصمة له (٤) .

لكن أنصار بني بويه في بغداد لم يبقوا مكتوفي الأيدي بعد تدمير دولتهم ، إذ قام أحد قادتهم ويدعى " الهاسيري " بتكوين جماعة تدعو الى الثورة على الخليفة العباسي وأتصل مع الخليفة الفاطمي كي يساعده في إعلان الحكم الفاطمي في بغداد . وحسين أنس في نفسه القدرة عزل الخليفة العباسي ودعا للخليفة الفاطمي ، فعادت الفتنة الى بغداد (٥) .

وحين علم طغرل بك بفتنة الهاسيري ، قدم ثانية الى بغداد وقضى عليه سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م وأعاد الخليفة العباسي الى كرسي الخلافة ، مما جعل الخليفة ينعم عليه بلقب ملك الشرق والغرب ، كما دعاه بالسلطان مكافأة له على ما أسداه من مصروف (٦) لكن طغرل بك كان بعيد النظر ، فأراد أن يسبح على حكمه شرعية أكثر ، فطالب من الخليفة أن يزوجه ابنته ، وما كان الخليفة ليستطيع أن يرد طلب الحاكم الفعلي لبغداد حتى نسي المسائل الشخصية ولكن موت طغرل أنهى أخراج الخليفة وعادت ابنته من " الرمي " بعد وفاة طغرل سنة ٤٥٥ هـ (٧) .

محمد موت طغرل بك بالزوي خلفه ابن أخيه - عند الدولة أبو شجاع محمد ألب أرسلان\* وقد سار على نهج عمه طغرل بك في التنظيم الداخلي والفتوحات الخارجية .

- (١) ابن الاثير ، الكامل ، دار صادر ، ودار بيروت سنة ١٩٦٦ ج ٩ ص ٥٩٣
  - (٢) عهد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ، بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، المكتبة المصرية ، صيدا سنة ١٩٦٩ ص ١٧
  - (٣) العقري ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ت محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب المصرية القاهرة سنة ١٩٣٤ ج ١ ق ١ ص ٣٦
  - (٤) المصدر السابق ص ٣٦ (٥) الكامل ١٠ / ٦٤٠ - ٦٤٢
  - (٦) علاقات بين الشرق والغرب ص ١٨
  - (٧) السلوك ج ١ ق ١ ص ٣٣ ، وانظر ستيفن رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، نقله السيد الباز الصريفي ، دار الثقافة ، بيروت سنة ١٩٦٢ ج ١ ص ١١٥ ،
- \* ألب أرسلان هو ابن جفري بن داود بن ميكايل من سلجوق ، وسبب توليته هو أن جناب طغرل ورثها .

مستفيدا من قوته التي ازدادت بسبب الفتوحات السابقة وضمف البلدان المجاورة • كما تابع فتوحاته في أرض أرمينية فأحتل "آني" و"قارس" وهما العاصمتان القديمتان لأرمينية ما جعل الطريق مفتوحة الى الأناضول • كل ذلك وأمبراطور بيزنطة قسطنطين الماشر دوقاس لا يحاول صد الهجمات (١) مما أتاح الفرصة للسلطان ألب أرسلان لأن يوطد قدميه في المناطق التي يحتلها مثلنا بذلك ما كان يحدث في عهد سلفه من الأباطرة •

وفي سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م تولى العرش البيزنطي أمبراطور جديد عمل على تقوية الجيش وإمداده بالمترزقة من التركمان والنورمان أملا في أن يستطيع درء الخطر السلجوقي الذي أضخى يهدد عاصمة بلاده • وقد تمكن الأمبراطور رومانوس ديوجين الرابع من ذلك فصد الهجمات السلجوقية • بل وتمكن من استرجاع بعض المدن (٢) مما شجعه على الاستمرار والمضي قدما لاسترجاع أرمينية • فخرج بجيش قوامه مئة ألف مقاتل (٣) وفي تلك الاثناء كان الامير ألب أرسلان منهكاً في مواصلة ضم الاراضي في بلاد الشام حيث أخضع حلب • وأمر عليها صاحبها محمود بن نصير المرداسي • ثم بحث جيوشه بقيادة "اتسز" فأستولت على القدس والرملة وأنترعتهما من أيدي الفاطميين (٤) • كما واصلت زحفها لتستولي على مكة والدينة بينما قام بحاصرة دمشق بنفسه (٥) • وفرض عليها معيشة اقتصادية سيئة • فقطع عنها الميرة ورعى الزرع وازداد غلاء الاسعار فيها ونزح أكثر سكانها عنها (٦) • ولكنه حينما سمع بتحركات الامبراطور البيزنطي كثر راجعا الى أرمينية • والتقى الجيشان السلجوقي والبيزنطي في "ملاذكرد" • وكان أن انسحبت الفرق التركمانية من الجيش البيزنطي • مما نتج عنه ضعف روح البيزنطيين المعنوية • لكن ذلك لم يوهن من عزيمة الامبراطور بل بقسي مصمما على القتال الى أن دارت الدائرة عليه • وقتل معظم جنده وتمكن أرسلان من القبض عليه أسيرا (٧) •

وقد كان لهذه الواقعة آثار متعددة : منها تردّي الروح المعنوية عند الروم مما اضطرهم الى الاستجداد باللاتينيين (الفرنج) رغم ما بينهما من عداة • وهذا كانت سببها مباشرا من أسباب الحروب الصليبية (٨) • ومنها • تدخل السلاجقة في شؤون الدولة البيزنطية • ومنها • ازدهار دولة السلاجقة واتساعها • وقد نتج عن هذا الاتساع فيما بعد انقسامها الى ثلاث دول هي : دولة سلاجقة الروم • ودولة سلاجقة الشام • ودولة سلاجقة فارس

(١) الحركة الصليبية ج ١ ص ٨٦ (٢) الكامل ج ١ ص ٦٠

(٣) زسيما • تاريخ الحروب الصليبية ج ١ ص ١١٥

(٤) الفارقي • تاريخ الفارقي • ت بدرى عبداللطيف • بولاق • القاهرة ١٩٥٩ ص ٤٧٢

وانظر أبو الفداء • مختصر في تاريخ البشر • المطبعة الحسينية مصر • ٩٠ ج ٢ ص ١٨٧

(٥) تمارا تالوت رايس • السلاجقة • تاريخهم وحضارتهم • ترجمة لطفي الخوري وابراهيم

الداقوقي • مطبعة الارشاد • بغداد ١٩٦٨ ص ٢٣

(٦) ابن القلانسي • ذيل تاريخ دمشق • مطبعة الابهاء اليسوعيين • بيروت ١٩٠٨ ص ٩٨-٩٩

(٧) الكامل ٦٦/١٠

(٨) The Ency. of Islam, Malazgerd

وقد ازدهرت الدولة السلجوقية في عهد ملكشاه بن ألب أرسلان حتى بلغت الذروة بفضل هذا الملك وفضل وزيره نظام الملك الذي عرف بحسن إدارته وسعة أفقه وفضل علمي أيجاد نهضة علمية وعمرانية أم تشهد لها المنطقة منذ مدة طويلة .

أما ملكشاه فقد نذر نفسه لاستكمال الفتوحات و حتى بلغ به الطموح أن ينكر بفتوح أقاليم الدنيا (١) و لذلك اعتمد على قادة أقوياء أوكل لكل منهم منطقة معينة و فجعل الأمير برسق لمنطقة الروم و فنهايتها وأقر على قسطنطينية جزية بلغت " ثلاثمائة ألف دينار للملطان وثلاثين ألف دينار يؤدىها الرومي بالصفار والموان " (٢) كما جعل أخاه تاج الدولة تنكش مسؤولاً عن أقاليم الشام يساعده في ذلك أمير الرها " بوزان " و أمير حلب " آق سنقر " حتى إذا استكملوا أقاليم الشام توجهوا نحو ديار مصر ثم بلاد المغرب (٣) .

ولعله فضل ذلك بناء على تصور لماضي العالم الإسلامي زمن هرون الرشيد و غارادان يسيد مجد الدولة الإسلامية من الناحية السياسية على يد قادة النظام و من الناحية العمرانية على يد وزيره نظام الملك (٤) .

أما عن توسعات السلجقة في الجهات الغربية من أرض الروم (٥) فقد تولاها سليمان بن قتلش بن إسرائيل بن سلجوق أحد أقرابه بحيث أصبحت الدولة السلجوقية تضم ما يقرب من ثلاثة أرباع آسيا الصغرى وأمدت دولة السلجقة بذلك في منطقة تقع ما بين حدود الصين شرقاً إلى بحر مرمرة غرباً (٦) .

وأخذ سليمان بن قتلش مدينة نيقية مركزاً له و وضع إليها ولاية نيقية و منها راج يهاجم أرض الروم و يساعده في ذلك أمير أزمير و وقد استطاع بعد أن انشأ أسطولاً أن يهدد القسطنطينية وأن يحتل بعض الجزر القريبة من شواطئ آسيا الصغرى و مما سهل على سليمان هذا التوسع التدرج السياسي الذي كانت تمر به الدولة البيزنطية و حتى بلغ الأمر ببعض الأباطرة أن يستنجدوا بالسلجقة مقابل السكوت عن ضم بعض الأراضي البيزنطية (٧) .

(١) البنداري و مختصر تاريخ دولة آل سلجوق و ملهمة الموسوعات مصر ١٩٠٠ ص ٦٥

(٢) المصدر السابق ص ٦٥ و ٦٦

(٣) المصدر السابق ص ٦٦

(٤) رشيد الجميلي و دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي و دار النهضة / بيروت ١٩٧٠ ص (٣١٣)

(٥) سعيد عبد الفتاح ناشور و الحركة الصليبية ج ١ ص ٨٧

(٦) ابن المبري و تاريخ مختصر الدول بلهمة أنطون سالحاني و الملهممة القائلونية / بيروت ١٩٥٨ ص ١٨٦

(٧) أنظر حامد غنيم و الجهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية مكتبة الشباب القاهرة ١٩٧١ ج ١ ص ٩٥

(٨) سعيد ناشور و الحركة الصليبية ج ١ ص ٨٩ و ٩٠

إلا أن هذا التوسع حطه معه بذور التمرد السياسي ، فقد تشكل من الميسست السلجوقي ثلاث دول هي : دولة سلاجقة الروم بقيادة سليمان بن قتلش ، ودولة سلاجقة الشام بقيادة قتلش بن ألب أرسلان ، ودولة سلاجقة فارس بقيادة ملكشاه بن ألب أرسلان .

وفضلاً عن هذا الانقسام فقد دب الخلاف بين أمراء السلاجقة ، إذ اتجه سليمان بن قتلش إلى التوسع على حساب أبناء عمومته في الشام ، فأصدام من قتلش قرب حلب ، حين أراد سليمان ضمها إلى ممتلكاته ، فأستنجد صاحبها بقتش ، فأجابه وتكهن من قتل سليمان سنة ٤٧٦ هـ / ١٠٨٦ م (١) ، وقد كان مقتل سليمان بداية أضمحلال سلاجقة الروم ، إذ إنسه ترك طفلاً صغيراً اسمه تلج أرسلان ، لا يقدر على أعباء الحكم ، وحين تدم ملكشاه ليتسلم حلب من أهلها أخذ معه هذا الطفل وعاد إلى فارس ، لم يبق تحت رقابته ، مما أفسح الفرقة لبعض أمراء التركمان للظهور (١) .

ومن الإمارات التي ظهرت : إمارة نيقية ، وإمارة أزمير ، وإمارة كبادوكيا وقد حاول أمير نيقية التوسع على حساب سلاجقة فارس ، فوجد له ملكشاه حملة تدميرية فأستنجد بأمرأ طور الروم " ألكسيوس كومنين " الذي أغتم الفرصة ليزيد الفتنه اشتعالاً وبالتالي يغلو له الجسور لينتقم منهم جميعاً ويستعيد بلاده ، حتى بلغ به الأمر أن رفض عرضاً من سلاجقة فارس ، يقضي بأن ترد له بعض الأراضي على أن يتخلى عن مساعدة أبي القاسم أمير نيقية (٢) ، وما لم يست التزاع أن نشب بين سلاجقة فارس والشام ، وسبب ذلك أن أهل حلب أمتنعوا عن تسليم بلادهم لقتش ، بعد أنتصاره على سليمان بن قتلش ، وإنما أرسلوا إلى ملكشاه ، فسلمها منهمم ، وضحا لهاجه تسييم الدولة آتسنقر ، ثم تابع سيره إلى أنطاكية وتسلمها من الحصن من طاهر وزير سليمان بن قتلش ، وولى عليها مؤيد الدولة ياغوسيان ومقيماً لها تحت أمرة تايمة القاشد بوزان ، وبذلك لم يبق لقتش سوى دمشق وعلسطين التي كان يحكمها الأمير ارتق ، ثم ابنه سطان الأول (٤)

ولما أدرك قتلش أن الصدام المسلح لن يجدي ، ذهب إلى أخيه ملكشاه في بغداد سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م ، وسأله التوسع في بلاد الشام على حساب الفاطميين فأجبه بأمراء حلب وأنطاكية والرها (٤) ، ولم يتوقف الخلافات عند هذا الحد ، إذ إن وجود السلطان ملكشاه خلف من حديثها ليس إلا ، إذ أنه عني على أرضاء أخيه قتلش ، كما عني على أستثاب أبناء عمومه فسي الاناضول ، ولكن تفكك الدولة السلجوقية تهدى للمسيان ، بعد وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م

(١) أبو الفداء ، المختصر في تاريخ البشر ج ١ ص ٨٩ ، ٩٠

(٢) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ج ١ ص ١٠٧

(٣) المصدر السابق ص ١١٥

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ١٠٤ ، ١٠٥

وخلف ملكه أرملة ابنه هم محمود وبركساروق وصخر وسنجر ، وقد تمكن بركساروق من الاستيلاء على معظم أجزاء الدولة (١) .

وعندما علمتشي بموت أخيه ملكشاه طلع في أن يكون له نصيب في تركته ، فتجهز نحو حلب ، وفيها الأمير آسنقر ، فسلمها إليه ، وحذا عدوه كل من أمير لخطا كتميلانغسيان وأمير الرها بوزان ، ثم جهز جيشا وسار به شرقا يريد أرض فارس التي يحكمها ابن أخيه ، وفي طريقه أخضع بعض المدن ، ثم دخل أرض فارس ، وهناك تعرض له بركساروق ، وكان أن انحاز كل من أمير حلب والرها إلى جيش بركساروق مما اضطر تمش إلى العودة إلى الشام لمعاينة الأميرين ، وحاول بركساروق أن ينجد الأميرين بجيش كان على رأسه كرمشاه ، لكن تمش تمكن من إيقاع الهزيمة بهم (٢) .

وبعد أن أخذ تمش هذا الحركة الانفصالية ، أعاد الكرة إلى فارس ، وأستولى فسي طويت على الجزيرة ، وديار بكر خلافا ، وطلب الخليفة في بغداد (٢) ، ثم تابع زحفه إلى فارس فأحضر هذان والأسرى ، فتصدى له بركساروق ، وقد انضم إليه جيش أخيه محمد بن محمود ، وأستطاع أن ينزل بجيش تمش هزيمة ساحقة تمكن من قتله هو وخوادمه (٣) ، وبعد مقتله تردت الأحوال في الشام بسبب ذلك أن تمش خلف ولدين هما رضوان ودقاق ، فأخذ الأول حلب (١٠٦٥/٤٨٨ - ١١١٢/٥٠٧) ، وأخذ الثاني دمشق (١٠٦٥/٤٨٨ - ١١١٤/٥٠٨) لكن رضوان حاول أخذ دمشق أيضا فعمل على تكوين حلف من طين من حلفائه من جهة واحدة لهذه المنازعات انقسم الشام إلى ست دويلات هي : حلب وأميرها رضوان ، دمشق وأميرها دقاق ، القدس وأميرها سكان بن الأرق ، وأنطاكية وأميرها ياغسيان وهذه الإمارات سلجوقية ، وطرابلس وأميرها القاضي ابن عطر الذي أستقل عن الفاطميين ، وشيزر وأميرها علي بن منقذ وقد أسسها سنة ٤٧٤ / ١٠٨١ م .

وتشكل من هذا ما لامارات نتيجة الصراع بين الاخوين حلفان متصارعان ، تزعم الحليف الأول حلب بقيادة رضوان ، والثاني حوله أراتقة وبارنكر وقبائل بني كاذب ، وأمارة شيزر ، وتزعم الحلف الثاني دمشق بقيادة دقاق ، والثالث حوله أراتقة القدس ، وياغسيان أمير أنطاكية وبينما هم على وشك الالتقاء عند شيزر كانت طلائع الحملة الصليبية الأولى قد شارفت الشام ، فأصبح رضوان إلى حلب وياغسيان إلى أنطاكية ليحرف على السلطات العسكرية ، أما دقاق فلم يكتفرت للقوات النازية ، بل راح يهاجم ديار بكر كما أنتهز الفاطميون أنشغال السلاجقة بعضهم بعض فأحتلوا القدس ، وقد خطب رضوان للمستطلي بأمر اللما لفاطمي أربع جموع ، ثم غشي طابئة ذلك فقطعها وأعاد الخليفة السياسية (٤) .

- (١) الكامل ج ١٠ سنة ٤٨٥ ص ٢١٤  
 (٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٧ وأنظر الحسيني أخبار الدولة السلجوقية ص ٧٥ ، أبو الفداء ، المختصر ج ٢ ص ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، وابن الوردي ج ٢ ص ٨ ، ٩  
 (٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٠ ، أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ١  
 (٤) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، المظيمة الوهبية والقاهرة ١٨٦٨ ، ج ٢ ص ٩

وهكذا نجد أن السلاجقة أبدوا الدولة العباسية بفترة نشاط بلغت نصف قرن تقريباً لكن تقسيم الدولة على الورثة وما تبعه من منازعات أغتصمها الأباطور الكيسوس كوعين جـمـسـل الاوضاع تتردى ، وتتهيء الظروف المواتية للضوء الخارجي •

ولم يكن التمزق الذي أصاب بلاد الشام بأقل من التمزق الذي أصاب الدولة العباسية والدولة الفاطمية ••

### أوضاع الدولة العباسية :

خضعت الدولة العباسية للبهيميين مدة قرن تقريباً (١) ، عملوا خلالها على إضعاف سيطرة الخليفة حتى أصبح أسماً لا مضمون له ، ولم يتوقفوا عند هذا الحد بل تمهوا المذهب الشيعي ، وقهروا الرعية ، وبذلك عمت المسيية ، فلا قيمة للخليفة ولا للرعية ، مما أدى إلى أعمال نار الفتنة ، ليجرت أحداث جسام كان ابتداءها أو أواخر سنة ٤٤٤ هـ ، فلما كانت سنة ٤٤٥ هـ هزم الشر (٢) ، وكان قد ظهر في فارس قوة تركية ، تمكن زعيمها محمود الفزنوي ( ٤١١ / ١٠٣٠ ) من احتلال إقليم خراسان كما أنتزع من البهيميين جزءاً من عراق العجم ، حتى شملت رقعة مملكته المساحات الممتدة من آسيا الوسطى شرقاً حتى العراق غرباً ومن بلاد فارس شمالاً حتى الهند جنوباً (٣) •

لكن السلاجقة تمكنوا بقيادة طغرل بك من السيطرة على معظم مملكة الفزنويين ونظروا إلى الأحداث الدائرة في العراق ، إذ كان أمير الأمراء البهيمي الملك الرحيم خسرو خسرو ( ١٠٤٨ / ٤٤٠ - ١٠٥٥ / ٤٤٧ ) قد أرغى لقادته السنان ، فجاؤا فاضل الديار ، حتى فكر البساسيري بأن يقضي على الخلافة العباسية ويعلن الخلافة الفاطمية في بغداد لتكون تابعة للفاطميين في مصر (٤) ، كما سبق أن أوردنا ، وحينئذ ، تدخل طغرل بك رسمياً ، وقضى على ثورة البساسيري ، وأعاد الخليفة ثانية إلى كرسيه ، فأغدق عليه الخليفة اللقب التي لا يملك غيرها ، مما أتاح الفرصة للمشرق أن يتمكن جذوره في بغداد لا سيما بعد ما أحرزه من نصر مهنوي ، إذ ازدادت ثقة الرعية به لا طامته الخليفة لما للخليفة من احترام ديني ، فأعلن اسمه في الخطبة ، وقدم ابنة أخيه البارسان زوجة للخليفة ثم طلب يد ابنة الخليفة لتكون زوجة له (٥) ، لكن موته أوقف نفوذه وخطته فأكملها البارسان ( ١٠٦٣ / ٤٥٥ - ١٠٧١ / ٤٦٥ ) الذي سار على نهج أخيه فعمل على ترسيخ السلطة في يده بحيث لم يمسد للخليفة حكم (٦) •

- (١) سعيد عاشور ، الحركة الصائبية ج ١ ص ٧٧
- (٢) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ سنة ٤٥٥ ص ٥٦٣
- (٣) تاجار تالوت رايس ، السلاجقة ص ٦٣
- (٤) ابن بطاطيا ، الفتوح في الآداب السلطانية ص ٣٩٣
- (٥) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٢١٦
- (٦) الفارقي ، تاريخ الفارقي ص ١٥٥ وانظر ابن الأثير ج ١٠ ص ٢١٦

وفي عهد ملكشاه قوى سلطان السلجوقية وتنفذوا في بغداد وغيرها ، حتى أن الخليفة شكاه عبيد العراق الى السلطان ملكشاه (١) ، وقد اتخذ السلطان المذكور بغداد مقراً شتوياً له ، بينما جعل مقراً الصيفي في أصفهان ، ومن خلال هاتين العاصمتين أدار ملكه ، واتصل باتباعه وقواد في الشمال والشرق ، حتى اتسعت دولته وقويت شوكتها وعرخت مملكتها وأستولت في الواقع على الخلافة (٢) ، وبالأخص هنا أن ملكشاه قد طور نفوذ السلجوقية ، فلم يسهل عمن سلطان من قبل أنه اتخذ عاصمة له ، بل فعل ملكشاه أكثر من ذلك ، إذ حاول نقل الخلافة الى واحد من نسله (٣) .

وموت ملكشاه فتكثرت الدولة السلجوقية ، كما بينا ، وظهرت مخاطر جديدة ، وتوى قبلية ، وخرت جسم الدولة السياسية ، وحوالت دون اضطرابها بدورها في الحياة الإسلامية . أما المخاطر الجديدة ، فهي ما حصل بين السلطان بركياروق وأخيه السلطان محمد ، فبعد أن هدأت الفتنة بموت تثنش في الري ، سيطر بركياروق على فارس والعراق ثانية ، لكن أخاه محمد لم يحجبه ما ناله من أرض أذربيجان وأرمينية وديار بكر والموصل (٤) ، فثار على أخيه وتكهن من الانتصار عليه في سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م ولكن بركياروق ، جمع جمعاً عظيمة وأوقع بأخيه محمد هزيمة قاسية ، مما اضطره الى الصلح سنة ٤٩٨ / ١١٠٤ .

وكان العراق وفارس مسرحاً لهذه العمليات ، مما أدى الى انتشار الفساد والأوبئة والخراب وزاد في فقر الناس وعدم تحملهم للمطالب التي جاهاهم منهم مع قدوم الحملة الصليبية الأولى التي وصلت الى الرها ، وأما القوى القبلية ، فقد ظهرت منها قوتان ، أولاهما قوة بني مزيد وهي قبيلة عربية عاشت على الضفة الغربية لنهر الفرات ، وقد تزعمها صدقة بن منصور ابن دهب بن مزيد الأسدي ، واتخذ من منزلته لرحلة التي بناها سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م مقراً له ، وفيها أعلن انفصاله عن الدولة السلجوقية التابعة لبركياروق وأخذ يتوسع في فترة الأحداث على حساب الدولة السياسية والدولة السلجوقية ، حتى أتت دولته من هيث الى الكوفة وواسط (٥) .

وكثيراً ما وقعت الفتن في العراق ، حتى وصل بهم الأمر فيما بعد الى أن استنجدوا بالصليبيين للمحافظة على كياناتهم .

- 
- (١) أبو الفداء ، المختصر في تاريخ البشر ، ج ٢ ص ١٩٤
  - (٢) ابن طباطبا ، الفخر في الآداب السلطانية ، ص ٢٩٢
  - (٣) ابن طباطبا ، الفخر في الآداب السلطانية ، ص ٢٩٦
  - (٤) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١٤٧
  - (٥) سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١١٢

والقوة الثانية هي قوة الاسماعيليات\* ه وزعيمها الحسن بن صباح ه وقد تفاقم خطرنا في عهد المستظهر فأمتولت على الحصون والمسلق بنحو اسان وأتصل زعيمها بالفاطميين في مصر ه وعطت على تهينة الناس للثورة في بغداد ه وقد أستفاد الاسماعيليون من حالة الفوضى التي تمر بها الدولة المباسية والدولة السلجوقية وأخذوا يهاجمون الضياع ويثبون الخوف في نفوس الناس ه يقول الحنبلي (١) في أحداث سنة ٤٩٤ " كثرت الباطنية بالمسراق والجبل ه وملكوا القلاع وقطعوا السبيل وأهت الناس من شأنهم وأستفحل أمرهم لا شتغال أولاد ملكشاه بنفوسهم " ه ويقول في موضع آخر (٢) " وعظم الخطب بهمؤلاء الملاحين ه وشاغهم كل عالم وأبهر لهجوتهم على الناس " ه وهذا يدل على أنهم لم يقتصروا بأعمالهم الإجرامية المحكام فحسب ه بل هددوا كل من خالف دعوتهم ه ولذلك كانوا عوناً لم يكن مثله للصليبيين في تهينة الاوضاع وهذا ما عبر عنه • ستيفن رسيبان • بأوله (٣) : " أنهم أفسدوا عامة في الميادين الإسلامية لهيئس المسيحيين أنفسهم الا تقديره " ويهين أنهم تصدوا لكل محاولة إسلامية من شأنها جمع شتات الامة ه وذلك بعدة طرق أهمها اغتيال القادة وهو من أشم أسلحتهم •

هذا مجمل لما كان عليه الوضع في العراق والشام ه خيلاف مستمر ه وحروب ونسار ه وخوف الولاة بعضهم من بعض ه مما نتج عنه أهمال الرعية ه وزيادة تجزؤ بلاد الشام حتى ليخيل للمسافر أن كل بلدة منها تشكل دولة •

وفي هذه الاوضاع المتردية قدمت الحملة الصليبية الأولى ه ولكن كيف كانت الحالة في مصر ؟ ه وما هو دورها في التصدي للحملة الاولى ؟ ه هذا ما سنحاول الاجابة عنه في الصفحات القادمة •

- ( \* ) الاسماعيليات : فرقة تدين بعبادى الشيعة المتطرفة ه وتنصب الى مؤسسها الحسن بن صباح ه وكانت تنادى بأمامة اسماعيل بن جعفر الصادق ه ففرغوا بالإسماعيلية ه وكذلك أطلق عليهم اسم الحشيشية لاستعمالهم بالحشيش في حوادث القتل ونشر بذخبتهم . استولوا على قلعة ألتوت وهي من أحصن قلاعهم ثم ظهرروا في مناطق مختلفة من بلاد الشام مثل حلب ه دمشق ه طرابلس ه بانياس ه ه وقد تعرضوا لعدة عمليات إبادة لسوء أعمالهم ( انظر : المختصر في تاريخ البشر ج ٤ ص ١٢٠ ه ودولة الاتاكية في الموصل لرشيد الحنبلي ص ٤٣ ه ابن الأثير ه الكامل ج ١ ص ٤٧٢ و ٢٧٥ )
- ( ١ ) الحنبلي ه شذرات الذهب في أخبار من ذهب ه المكتب التجاري ه بيروت ؟ ٤٠٠/٢
  - ( ٢ ) المصدر السابق ج ٤ ص ٤
  - ( ٣ ) رسيبان ه تاريخ الحروب الصليبية ج ١ ص ١١٤
  - ( ٤ ) ابن القلانسي ه ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٠
  - ( ٥ ) رسيبان ه تاريخ الحروب الصليبية ج ١ ص ١١٠



سقط الفاطميون نفوذهم في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي على  
مناطق واسعة من بلاد الشام ، تمتد من دمشق الى جنوب فلسطين ، وحاولوا احتلال حلب  
التي كانت تحت أمرة الحمدانيين فأصل أميرها سعد الدولة بالدولة البيزنطية وبين لهم  
خطر الفاطميين عليهم اذا احتلوا حلب ، مما جعلهم يتعمسون لمساعدته ضد أية محاولة من  
جانب الفاطميين لاحتلال حلب (١) ، وقد كان اسم الدولة الفاطمية وضمف السلطنة  
المركية وظهور قوة جديدة في الشرق الاسلامي ، أثر كبير في توجيه الاحداث واضعاف الدولة  
الفاطمية ، إذ من المعروف أن السلاجقة قد سيطروا على فارس والمراق ثم تحركوا نحو بلاد  
الشام وأملاكها معظمها ، وقد خضعت حلب بعد الحمدانيين لسيطرة بني مرداس ، الذين  
حافظوا على استقلالهم مدة نصف قرن ، وسعد أن استولى عليها السلاجقة أستطاع صاحبها  
" أنسز بن أوق " أن يستولي على الرملة والقدس ومعظم فلسطين وما جاء عام ١٢٠٥ / ٤٦٧ حتى  
استولى على دمشق (٢) ، لكن الفاطميين لم يستكروا عن أعماله ، لأنها أقتلعت الحكم الفاطمي  
من فلسطين وهددت كيانتهم في مصر ، فوقف بدر الجمالي أمير الجيوش في وجه هذه القوة  
الجديدة ، وقد نجح فعلا في اقضاء صاحب حلب عن فلسطين ، كما حاول نصره في دمشق ،  
لكن صاحب حلب ، وقد كان من أتباع السلطان ألب أرسلان ، استنجد بالحاكم السلجوقي تنش  
فقدم الى دمشق في الوقت الذي كان بدر الجمالي يحاصرها ، فأثر بدر الرجوع عنها ،  
وتسلمها تنش من صاحب حلب ، ثم بدأ لبثت حلب نفسها أن وقعت في يد الامير مسلم  
ابن قريش صاحب الموصل وأنطاكية ، وحين حاول سليمان بن قلمش احتلال أنطاكية ، هب  
الامير مسلم ابن قريش لانجادها لانها له ، فوقع صدام بينهما ١٠٨٤ / ٤٧٨ كانت نتيجة  
مقتل الامير مسلم وسقوط أنطاكية بيد سليمان ، ومنها تابع سيره نحو حلب التي كان فيها نائب  
الامير مسلم الشريف حسن بن هبة اللطالهاشمي المعروف بالحنثي (٣) ، فاستنجد بتنش ،  
فأنجده وقضى على محاولة سليمان ، وبذا قويت شوكت تنش وتوسع على حساب الفاطميين  
في الجنوب ، وولى على القدس ، ارتق التركمان ، هبت بيد الاراقه حتى سنة ١٠٩٨ / ٤٩١ م  
حيث قام الفاطميون بانزعاجها منهم ، بعد أن أقتل السلاجقة فيما بينهم .

(١) حميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٦٥

(٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٨ و ٩٩ وأنظر ،

Stanley Lane-Poole, A History of Egypt in the Middle Ages :  
Frank Cass and Co. LTD. 1968. p. 161

(٣) ابن الصديم ، زبدة الحلب ، من تاريخ حلب ، ص ١٩٨ و ١٩٩ ، مطبعة الكاثوليكية  
بيروت ١٩٦٥ ، ج ٢ ص ١٩١

ولم يكن الخليفة الفاطمي بأحسن حالا من الخليفة المباسي ، فكأنما لا كان حول له ولا قوة ، وكلاهما انحسر نفوذه ، فلا يستطيع التصرف حتى في الشؤون البسيطة ، وسبب ذلك تنفذ الوزراء ، وما يدل على ذلك أن الخليفة الفاطمي المستنصر أوصى لابنه نزار ، لكن الأفضل بن بدر الجمالي لم يعجبه ذلك فأوصى للمستعلي بالله بدل أخيه ، مما أدى بالتالي إلى فتنة عامة سنة ١٠٩٥/٤٨٨ انتهت بمصر نزار (١)

وقد عهد الوزراء إلى تولية الخلفاء الأحداث ، حتى تكون السيطرة لهم تامة ، وقصد ظهرت آثار هذه السياسة على الديار المصرية والشامية معا : أما بالنسبة إلى الديار الشامية فقد انقطعت دعوتهم فيها ، وتعددت إماراتها حتى بلغت ستا ، فضلا عن القوى الأخرى ، وأما بالنسبة إلى الديار المصرية ، فقد اشتكت دولتهم وضعف أمرهم (٢) .

وبعد ما تبين من الحال الذي كانوا عليه ، ليس من الشريب أن يكون دورهم بسيطاً في التصدي للحملات الصليبية الأولى ، وأن تكون عملياتهم تجريدية ساكناً يصحبها ابن تنصيرى بردى " لا يتجاوز عدد رجالها ثلاثمائة إلى أربعمائة " (٣) .

وليس هذا فحسب ، بل تذكر بعض المصادر أن الفاطميين في مصر أرسلوا المسلمين الصليبيين يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه ، ويكونوا بينهم وبين المسلمين ، ويذكر رسيماً أنهم أرسلوا سفارة إليهم بتقسيم أمانات الدولة السلجوقية فيما بينهم (٤) .

ومن هنا لا نستغرب الحملة الشواء التي شنها بعض الشعراء على الفاطميين (٥) .

- 
- (١) الكامل ، ج ١ ص ٢٣٧  
 (٢) مجير الدين الحنبلي ، الأندلس الجليل بتاريخ التدوين والخليل ، دار الجيل بيروت ١٩٧٣ ، ج ١ ص ٣٠٢  
 (٣) النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ٢٤٤  
 (٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٢٧٣ ، وأنظر الحروب الصليبية ، ج ١ ص ٣٦٦  
 (٥) أبو شامة المقدسي ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، محمد علي أحمد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦ ، ج ١ ق ٢ ص ٤٩٦

## الفصل الثاني

### الحرب الأوروبية قبل الغزو الصليبي

تبين لنا فيما مضى وكيف أن معركة ملاذكرد قد دفعت أباطرة الدولة البيزنطية الى التوجه نحو أوروبا رغم العداء المذهبي والتاريخي بين الجانبين (١) ، إذ جرت مفاوضات في عهد الإمبراطور البيزنطي ميخائيل السابع (٤٦٤/١٠٧١ - ٤٧٢/١٠٧٦) مع البابا جريجوري السابع والإمبراطور هنري الرابع إمبراطور الإمبراطورية المقدسة ، وكانت المفاوضات تنجح لولا اختلاف البيزنطيين واللاتينيين حول اتحاد الكنيستين الشرقية والغربية (٢) ، إلا أن البابا نيه الرأي العام الأوروبي الى ضرورة أنجاد الإمبراطورية البيزنطية التي تقف وحيدة أمام خطر السلاجقة .

بقي الخلاف مستحكماً زمن ميخائيل السابع وخليفته الإمبراطور نقفور الثالث ولكن بعد أن خلع الأخير ، وتولى العرش الكسيوس كوزين \* ٤٧٤/١٠٨١ - ٥١٢/١١١٨ \* ، اتخذت المفاوضات طابعا حماسيا ، لما عرف عن الكسيوس من حنكة سياسية حاز بسببها على رفعة لقرار الحرمان الذي كان البابا ، أوربان \* قد أصدره بحقه ، مما أدى الى تقارب بين الكنيستين ، تبعمه مفاوضات بين الطرفين ، كان أهمها سفارة أرسلها الكسيوس، ٤٨٩/١٠٩٥ الى البابا أوربان يحثه فيها على أنجاد الدولة البيزنطية ضد أعداء المسيحية ، الذين باثوا يهددون روما فضلا عن القسطنطينية (٣) ، فأستجاب البابا الى طلبه وحث على العمل لانجاده .

وتد جاءت هذا الدعوة أنقادا لما ثمانية أوروبا من مشاكل وتحقيرها لما ترجوه من آمال أما المشاكل التي كانت تعانيها أوروبا فمنها أنها كانت تعيش وفق نظام أقطاعي \* دمر الحياة الاجتماعية والسياحية معا ، فعندما نجح الأمراء الاقطاعيون في حماية رعاياهم من الهجمات الخارجية ، تحتم هؤلاء الأمراء بالناس فجلسوهم خدما وأقنانا .

- (١) فيشر ، تاريخ أوروبا المصور الوسطى ، نقله محمد مصطفى زيادة والهاز المريني ط ٥ دار المعارف ، مصر ١٩٦٩ ، ج ١ ص ٤٧٩ .
- (٢) عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ، ص ٢٥ .
- (٣) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١٧٨ .
- (٤) خدم نظام الاقطاع أوروبا خدمة جليلة في أول عهده ، إذ لم يستطع نظام الإباطرة التوقف أمام غارات الهنغاريين الذين أوغلوها في وسط القارة حتى شرق ألمانيا ، فكان نظام الاقطاع الوسيلة الوحيدة للقضاء على هذه التنازات ، إذ أعطى كبيسار الفرمان أقطاعا يدافعون عنه ، وكان الرجل السادي إما أن يصبح جنديا يدافع مع غيره عن الاقطاع ، وأما أن يصبح قنصا يحمل في الأرض .
- انظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١٦٠ وسعيد عاشور ، حضارة ونظم أوروبا ، دار النهضة العربية ، بيروت سنة ١٩٧٤ ص ٢٨١ .

ولم يلبث رجال الدين أن أنجزوا مع التيار الاقطاعي ، فاعتمدوا على الفرسان وجعلوا لهم قدرا عظيما يظهر في طقوس تأهيل الفارس ، اذ يجري تطهيره في الكنيسة بما " صارك ، ثم يتناول العشاء الرباني ، ويترك ليحلب ليلته بالصلاة ، ثم ينتهي منها حتى تغفر له ذنوبه (١) ،

وقد انقسم المجتمع في ظل هذا النظام الى ثلاث طبقات : طبقة رجال الدين ، وطبقة النبلاء الفرسان ، وطبقة الفلاحين ، وعلى الطبقة الأخيرة كانت تقع أعباء هذا النظام ، أما طبقة رجال الدين ، فقد انقسم أفرادها في ملاذ الحياة ، وأنخرطوا فيها ، مما نتج عنه مشكلات جديدة ، اتخذت مظهرين : مظهر صراع داخلي في الكنيسة بين رجال الدين أنفسهم ، ومظهر صراع خارجي بين الكنيسة والسلطة الزمنية ، وأما طبقة الفرسان والنبلاء فقد دفعتهم حياة الترف والهدوء الى البحث عن مصادر للدخل تضمن الصيعة التي يتوقنون اليها ، مما أدى الى الصدام بين الاتطاعات ، فأهتم الامراء بينا الحصون والقلاع ، وحشدوا فيها المبيد والأتباع ، تحسبا لأي هجوم أو استمدادا للهجوم .

وقد استنزفت هذا الحروب الداخلية طاقة الامراء والاباطرة ، وكذلك طاقة رجال الكنيسة مما جعل غوستاف لوبون يصف هذه الفترة بأنها أشد أدوار تاريخ أوروبا ظلاما (٢) ، وخشيعة الكنيسة أن تتفاقم الامور وتخرج من يدها ، ولذا حرمت الحروب الداخلية في أوقات معينة أطلقت عليها اسم " هدنة الله " (٣) ، لكن ذلك لم يكن ليحل المشكلة ، فأغتم البابا أوربان الثاني دعوة الدولة البيزنطية لحرب المسلمين ، وراح يخطط لتشكيل حملة واسعة تستهدف القضاء على المسلمين في المشرق ، وتنتهي كما اعتقد ، مشكلات أوروبا ، ولذا فقد سلك كل الطرق لانجاحها أما الطرق التي سلكها فهي : استغلال الدعايات التي نشرها الحجاج المسيحيون الشرقيون عن معاملة المسلمين القاسية لهم ، اذ قيل إن الفاطميين ضموا قسط منهم من الدخول الى كنيسة القيامة ، وطردوا عددا آخر من البيت المقدس ، فأخذ البابا من هذه الأقوال ذريعة لبث روح العداء والانقام ، ووعد بالمنفرة كل من سافر الى فلسطين ليقاتل المسلمين ، علما بأن قوانين التوبة كانت صارمة وثقيلة ، وقد خاطبهم بقوله " ٠٠٠ إن القدس تناشدكم الآن المساعدة ، فأقصدوها بكل شوق تغفر لكم ذنوبكم وجزاؤكم دار الخلود (٤) " ، كما استغل حطام الفرسان وراح يحرضهم على النار ، ويسود قلوبهم بالحق ، يقول " ٠٠٠ يا أمة الفرنج ، يا أبناء المائدة التي أحبها الله وأصطفاها ، وصلتنا من جهات القدس والقسطنطينية أنباء مشجعة ، فأدعها أن أمة من الأمم اشتطت عن السبيل فعاشت في الديار المسيحية سلبا وحرقا وقتلا ٠٠٠ على من فتح تحمسة النار واستمادة الديار ؟ ألا تنهضوا أنتم بهذا الامر (٥) ؟ " .

- ( ١ ) فيشر تاريخ أوروبا ، ج ١ ص ١٨١  
 ( ٢ ) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، نقل عادل زعيتر ط ٣ دار احياء الكتب العربية والقاهرة  
 ( ٣ ) سميد طشور حضارة ونظم أوروبا ص ٣٦٦  
 ( ٤ ) مكسيموس مونرد ، من تاريخ الحروب المقدسة ، ترجمة مكسيموس مظلوم ، مطبعة ديسر  
 الرهبان الفرنسيون ، القدس ١٨٦٥ ص ١٧ وأنظر علاقات بين الفرنج والنوب  
 ص ٤٥ وأنظر معاملة المسلمين لهم في كتاب احمد عبد المجيد الدومي ، صلاح الدين  
 الأيوبي ط ٢ ، المكتبة المصرية ، بيروت ، ص ٨٦  
 ( ٥ ) هذات بين الشرق والغرب ص ٤٥

إلا أن الضيق الذي اقترب به عامة الناس لم يكن ليفلج كثيراً في إقناع الخاصة ، لذلك طلب منهم بهذمه وقوة الفاظه أن يوجهوا السلاح ضد المسلمين ، فذلك غير من استخدام بعضهم السلاح ضد بعض وقال لهم : " أربأوا بالناسكم عن الضغائن ، وانتزعو الحقد من قلوبكم وأسلكسروا صيل الله (١) " .

وإذا كان قد استولى على عقول السامة والفرسان ، فلا بد أن يفتح الباب ليكونوا قادة لهذا الحملة ، وط يعتمدها من حملات ، فأستغل الظروف الاقتصادية السيئة التي تمر بها أوروبا (٢) ، ووعدهم بالارض التي تفيض لبنا وعسلا ، قال : " خلصوا الاراضي المقدمة من أيادي المختلفين ، وأنتم مالكوها لذواتكم ، فهذا الارض حسب الفاظ التوراة ، تفيض لبنا وعسلا ، فإذا أنتم انتصروم على أعدائكم فالملك الشرقي يكون لكم قسماً ومهراتاً (٣) " .

ومن الآمال الكبار التي كانت تراود الكنيسة الغربية ، أخضاع الكنيسة الشرقية ، فلا بد أن كان من ذلك في نفس البابا أيوة كثيرة ، ويحقة ، فيه رسالته ، ويرضي حب التسالي المشهور فسي نفوس اللاتينيين تجاه البروتستانتين (٤) ، لذلك تحرك رجال الدين ، بل عرضوا أبناء ملتهم في أنحاء أوروبا على المشاركة وقد أفلح البابا في تكوين رأي عام ، اشتراكه فيه الأبراء والنهلاء والفرسان ورجال الدين ، وعامة الناس من العبيد والاتباع الذين راجوا يهتثون " . . . أنها إرادة السرب . . . (٥) " وبذا حُيِّل للعبيد أنهم سيستخلصون من ظلم الأشراف ، في حين طمخ الأشراف فسي أراض جديدة يمتلكونها ، وأمل البابا أن يحقق مدغته في ضم الكنيسة الشرقية إلى الكنيسة الغربية .

ولكن المسافة بين الشرق والغرب بعيدة ، وتفصلها بينهما مياه البحار ، فلا بد للقسرة من سفن ثقلهم ، ولذا اقترح أمير تولوز على البابا أن يستعين بسفن مدينة جنوا ، فلبسسى الجنوبيون الدعوة صرعين وأملين أن تفتح لهم أسواق الشرق فتنبسط حركتهم التجارية . . . تسم شاركهم في حماسهم وأملهم تجار مدينتي بيزا والبندقية .

وبذلك تمهيات الظروف المادية والمعنوية ، لا نطال الحملة الصليبية الأولى . . .

- 
- (١) عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ، ص ٤٥  
 (٢) من تاريخ الحروب المقدسة ج ١ ص ١٨  
 (٣) المصدر السابق ج ١ ص ١٣ ، ١٤ ، ٧١  
 (٤) فيشر ، تاريخ أوروبا ص ١٧٩  
 (٥) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ج ١ ص ١٣١

## الفصل الثالث

### الصراع : مبدائه وزمانه

لم يحالج المؤرخون القدماء من المسلمين ظاهرة الحروب الصليبية معالجة شمولية تتناول جميع عناصرها ، ولم يربطوها بالأحداث في الشرق الإسلامي ، وإنما جعلها ابسمن الاثير ، أمقدادا للحروب بين المسلمين والفرنج في الأندلس ( ١ ) ، ولكنه لا يجيب عن سبب تركهم للمغرب القريب على أسبانيا ، وهو الذي شكّل الخطر على دولتهم هناك بعد انهساء الحكم الاسلامي لها ، وقد ظهر هذا الخطر غير مرة ، زمن المرابطين والموحدين ، لسذا فان من المفيد أن نورد هنا أسباب أعققت من الأسباب التي أوردتها ابن الاثير للحروب الصليبية؛ فالخطر الذي تهدد الدولة البيزنطية هو السبب الأول ، ورفقة البابا في السيطرة على الاراضي المقدسة وتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية هو السبب الثاني ، يضاف الى ذلك الاطمع الاقصادية وأشباع النفسية لاتطاعية في أوروبا .

وإذا كانت الحروب تابعة من أوروبا النصرانية ، وإذ أخذ الصليب شعارا لها فقد سميت بالحروب الصليبية \* ، بينما لم يطلق على حروب الأندلس مثل هذا التسمية رغم أنها مقدمة لهذه الحروب \* \* \*

- ( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ١٤٦/٦٠ ، وانظر صفحات (١٥١ ، ١٥٢ ، ١٤٧ ، ١٤٣ ، ١٢٦ ، ٢٢٦ )  
 يهزأ محمد سيد كياني برأي ابن الاثير في كتابة الحروب الصليبية ص ٨ ، مع أنه رأي له ما يبرره ، انظر الحركة الصليبية ، سعيد طشور (١/٦٩٧ - ٧٣٠ ) .
- \* لم تكن هذا التسمية مسروفة عند المؤرخين المسلمين آنذاك ، وإنما هي ترجمة لكلمة *Crossades* الانجليزية (حامد ظهير أبو سعيد ، الجمعية الاسكندرية / ١١٥ )
- \*\* اختلاف المحدثون في تحديد الحروب الصليبية ، فقد اعتبرها بعضهم حلقة من حلقات الصراع بين الاسلام والمسيحية ( سهيل زكار ، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ص ٨ ، وانظر حامد ظهير الجمعية الاسكندرية ص ١١٣ - ١١٧ ، وانظر سعيد طشور ، الحركة الصليبية (١/٦٦٧ - ٦٦٠) واعتبرها كمال تونيق ، وزكي المحاسني استمراراً للأعمال الامبراطورية البيزنطية قبل مائة عام (عمر كمال ، مقدمات المدوان الصليبي ، زكي المحاسني ، شعر الحرب في أدب المغرب ١٩٦٨ - ١٩٦٥ ) بينما ظلي زكي النقاش ( العلاقات الاجتماعية ص ٨ ، تاريخها الى العلاقات بين الشرق والغرب منذ أيام التاريخ الاول أي في الالف الاول قبل الميلاد ، واعتبرها شاكراً أحمد أبو بدر ( الحروب الصليبية والاسرة الزنكية ص ١٤ - ١٦ ) حرباً دينية لأنهم وضوا شارة صليب على أعتقهم وتصدوا فلسطين بالذات واعتبرها باؤنر ( أنسار كتاب يبر ، عهد الجياد حزمه ، ادب المغرب الصليبية ص ٢٥ ) بمثابة حج كبير يحميه الصالح .

ذكرنا فيما مضى أن نداء الكسيوس قد أحدث صدى واسعا في أوروبا خاصة بعد أن تبني البابا "أرمان" مشروع إنجاد الدولة البيزنطية ، فقد عدة اجتماعات كان آخرها مجمع كيرنت في أواخر صيف ١٠٩٥ / ٤٩٠ هـ وقد حضره ثمانمائة من رجال الديكسن ، وجيوش حاشده من عامة الناس . وقد بين البابا المشار اليه الذي استعرض سبيل الحجج ، كما بين ضعف أوضاعهم في الشرق أمام السلاجقة الأقوياء (١) ، فانتهى بحصار الجملهير ، ودوى النفير " هكذا أراد الله " وقد كانت المحاولة صيورة على أن تقول العامة فصدت أتوال المحرضين وراحت تحتشد من كل أصقاع أوروبا (٢) يقودها النوطاني بطرس الناسك ، ثم اتجهت هتسده الجيوش في فترة حصار ، فتقد الى الشرق عن طريق قسطنطينية ، والأراضي البيزنطية ، وعند ما دخلت أرض السلاجقة ، واجهها السلطان تلج أرسلان وكانت قد أشرفت على مدينة نيقية ، وخذ ما بعد سير أيام ، ففضى على رجالها قضاء ظن معه أن لن تقوم لهم بعده قائمة ، إذ لم يستطع الهرب الا ثلاثة آلاف من أصل خمسة وعشرين ألفا (٣) ، ولكن ما لبثت الحملة المنظمة ( حملة الأبرياء ) أن وصلت بعد ذلك الى نيقية ، بعد أن تخلصت من مصاعب جمة في القسطنطينية ، وفي الطريق (٤) ، ثم حاصرت الجيوش الصليبية نيقية حصارا شديدا ، فصدت في وجوشهم ولكن هذا الصود أصبح مقهدرا بعد أن حاصرها الكسيوس من البحر والجيوش الصليبية من البر فاستسلمت المدينة ، وسقطت زوجة السلطان وبناته أسيرات الى القسطنطينية .

أحدث سقوط نيقية أصداء واسعة في أوروبا بما قام به العائدون من دطيات أعظمية فذكروا أن الشرق بحاجة الى صاريين ومستعمرين ليواصلوا عمل الله ، وأن في الشرق من الشروة والخياع الكثيرة ما ينتظر قدوم البنايين " وفعلا جاءت حملة مكونة من الفرنسيين والألمان يرأسها رينوند (٥) .

وقد تابع الصليبيون سيرهم بحشقة بالفة ، بسبب تعرضهم لهجمات السلاجقة ، ولكنهم نجحوا في السيطرة على منطقة واسعة من الأناضول وأرمينية ، كما نجح بلدوين ، أحد قادتهم في تأسيس أول إمارة للصليبيين في الجزيرة الفراتية سنة ١٠٩٣ / ٤٦٤ هـ وهي إمارة الرها ، وبعد ذلك ، اتجهت الجيوش الصليبية الى أنطاكية ، وظال حصارهم لها وتد حاول صاحبها ياغسي سيان اغتنام الفرصة ليدفعهم عنها ، ولكنه لم ينجح ، وبعد حصار حينة أشهر دخلها الفرنسيون سنة ١٠٩٤ / ٤٩١ هـ وفعلوا بالمسلمين الأعاجيب (٦) ، " إذ هججوا على البيوت والأزقة يقتلسون المسلمين خلوا من استثناء " (٧) .

- (١) رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ج ١ / ١٦٦
- (٢) مونروند ، من تاريخ الحروب المقدسة ج ١ / ٣٤٦
- (٣) سعيد عبدالفتاح ، مشهور ، الحركة الصليبية ١٣٦ / ١
- (٤) ابن الأثير ، الكامل ، ١٠ / ٢٧٤ (٥) رنسيان ، الحروب الصليبية ج ٢ / ٣٧
- (٦) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ / ١٣٥ وانظر ابو النداء المختصر ٢ / ٢١٠
- وتاريخ ابن الوردي ٢ / ١٠
- (٧) تسيوس مونروند ، من تاريخ الحروب المقدسة ج ١ / ١٣٧

وسقوط أنطاكية لفتح الطريق، ألمم الصليبيون إلى بلاد الشام ه فاتجهوا إلى معصرة  
النصطان ه فاستنجد أهلها بالملك رضوان وجناب الدولة صاحب حصن فلم ينجدها هم فدخلها  
الفرنج وأعملوا فيها السيف فقتلوا ما يزيد على مائة ألف (١) ه . أحدثت هذا الاعتلال الوحشية  
حالة ذعر عند المسلمين ه ولكن هذا الذعر لم ينتج عنه اتحاد ومقاومة ه ولذلك لم يكن من  
الصعب على النزاة متابعة سيرهم إلى أن وصلوا شمال طرابلس ه وفيها جاءتهم رسل صاحب  
طرابلس ه ثم احتلوا طرطوس (٢) ه بما سهل عليهم مهجة الأمدادات الخارجية من أوروبا  
بالإضافة إلى ما تحويه المنطقة من خيرات (٣) ه وعلى أثر ذلك ه تدهر موقف المدن الإسلامية  
وأسرعت كل مدينة تعلن استسلامها ه ومن تخلفت عن ذلك أتلفت مزارعها ه وقتلت أنعامها ه  
ومن وجدوه من أهلها فكفوا به كما حدث مع صور ه وهكذا تابع الصليبيون سيرهم إلى قيسارية ثم  
أرسوف والرملة واللد واحتلوا بيت لحم (٤) ه .

وأحاطت الجيوش الصليبية بالقدس ه وجاءتهم أمدادات من أوروبا عن طريق ميناء يافا  
فأصبحت القدس منقطعة عن أمدادات الدولة الفاطمية التي كانت قد سيطرت عليها سنة ٤٩٨ ه  
ونصب الفرنج عليها برجين ه وتكفوا منها ه ولو لم ينشب خلاف بينهم حول ملكية القسطنطين  
لاحتلها في مدة تقل كثيرا عن المدة التي استغرقتها الحصار وهي ٤٠٠ ليلة . الأثنان وأربعون  
يوما (٥) ه وبعد الاستيلاء عليها قام النزاة بمذبحة رهيبية لم تفرق بين زاهد وطالم ه فقد قتلوا  
ما يزيد على مئتين ألف نفس ه منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم  
(٦) ه كما قاموا بعملية سطو على الصخرة فأخذوا نيفا وأربعين قنديلا فضة ه ونيفا وعشرين  
قنديلا من ذهب (٧) ه .

ويذكر مونرو نقلا عن تقرير رايوندد ه أجيلاس ه أحد المراقبين للحملة ه أن الجامع قد  
ظاف بالدماء حتى أحترق الدم تحت القنطرة عند بابه ه وعلا إلى حد الركب يد إلى حد لجم  
الخيال (٨) ه .

- 
- (١) تاريخ ابن الوردي ١١/٦ ه . تاريخ الأندلس ٢٧٨/١٠ ه الأندلس الجليل ٣٠٧/١
  - (٢) المختصر ٢١٦/٢
  - (٣) مرآة الجنان ١٧٢/٣٠ ه الأندلس الجليل ٤٧٥/١٠ ه النجوم الزاهرة ٧٩/٥
  - (٤) ابن الأثير ه الكامل ٣٦٥/١٠ ه المختصر ٢١٤/٢ ه رنسيان ه الحروب الصليبية ٣٩١/١
  - (٥) ذيل تاريخ دمشق ٢٣٦ ه تاريخ مختصر الدول ١٤٧
  - (٦) الكامل ٢٨٣/١٠ ه ٢٨٤ ه الأندلس الجليل ٣٠٧/١
  - (٧) الشذرات ٣٩٧/٣
  - (٨) من تاريخ الحروب المقدسة ه ص ١٧١



ويقول غوستاف لوبون \* ولم يبدأ سلوك الصليبيين في الحملة الثانية بأحسن من سلوك رجال الحملة الصليبية الأولى ، ويؤكد توليه بما يرويه عن الكاهن " انكتيل " قلم يورد صليبي يسير بوحي ديني ، فلم يترك أولئك الصليبيون جرائم وحشية ونزوا من قطع الطرق ، ونضائح مزرية الا أقتروها " (١) .

وهام المسلمون على وجوههم يكون ويكون ، ويستعرضون الخنثاة في بغداد ، فأجتاح أهلها في البوامع ، وبكوا ، حتى أنهم أنظروا من عظم ما جرى لهم ، وقال أبو المظفر البيهقي :

مزجنا دماء بالدمسوح السواجســـــــــــــــــم	فلم يبق منا عرصة للمراجـــــــــــــــــم
وشر سائح المرء دمن يفيضـــــــــــــــــه	إذا الحرب هبت نارنا بالصــــــــــــــــوارم
وكيف تنام العين ملء جفونهمــــــــــــــــسا	على هفتوات أيقظت كل نائمــــــــــــــــم (٢)

وفي هذا الجو المكفهر استقرت أمور الفزاة في بيت المقدس ، وأقيمت الصلوات والأیدی ملبحة بالدماء الهريئة . . . وأنتخب جود فرى حاكما للقدس ، بعد أن حاز على ثقة الكنيسة والامراء معا لما يتسم به من قبول دينية ، ولم يرش أن يسمى ملكا وإنما أمسى نفسه حامي القبر المقدس (٣) ، ولكن انتخاب جود فرى ونفس البطارقة كان يعني أنتصار السلطانية على الكنيسة ، وقد كان هذا لصالح المملكة الجديدة ، ولو كان الامر غير ذلك لما استطاعت الكنيسة حماية هذه المملكة من الهجمات الاسلمية (٤) .

وبدأت الدولة الجديدة - وهي الاطارة الصليبية الثالثة - تمارر حياتها السياسية فتكون في القدس فرقتان دينيتان عسكريتان اسمونا *Templars* أي فرسان الهيكل وعرفت عند المسلمين بالداوية ، وأخرى اسمونا *Hospitallars* أي فرسان المستشفيات وعرفت عند المسلمين بالاسبشارية (٥) ، ثم أخذت هذه الدولة بالتوسع حتى استطاعت في سنوات قليلة أن تضم معظم أجزاء فلسطين (٦) ، وكان بإمكانها السيطرة على فلسطين جميعها لسولا المنافسة بين ريجوند الصنجيلي وجود فرى (٧) .

- (١) حضارة العرب ، ص ٣٧٦ ، وأنظر رنسيطان ، الحروب الصليبية (١/٤٠٤) .
- أخطاء عبدالقادر اليوسف في أسماء الشاعر ، أنظر علاقات بين الشرق والغرب ، ص ٧٢ .
- (٢) المختصر ٢١١/٢ تاريخ ابن الوردي ١١/٧ ، الهجوم الزاهرة ١٥٢/٥ ، الكائنات ، سنة ٤٩٧ هـ ، ١٠/٢٨٥ .
- (٣) رنسيطان ، الحروب الصليبية ، ٤١٧/١ .
- (٤) عبدالقادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ، ص ٧٢ ، والحياة السياسية الاجتماعية عند الصليبيين ، رسالة جستير ، أعداد عبدالخفيظ محمد علي سنة ١٢٥ هـ ، ص ٨٠٠ .
- (٥) طارف المعارف ، تاريخ القدس ، دار المعارف ، مصر (١٩٥١) ، ص ٧٥ .
- (٦) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠/٣٦٥ .
- (٧) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ١/٢٤٩ .

ويهدد أن توفي جود غري وتولى أخوه بلدوين حاكم الرها القدس ، وقد استطاع أن يتغلب على كثير من المشكلات والصعاب ، كما فرض احترامه على أمراء الحملة الصليبية ، وأخذ يواصل عملية ضم المناطق الساحلية ، حتى إذا علم أن الأفضل يهدد حملة لاسترجاح القدس ، التقى معه في الرملة ، وهزمه هزيمة منكرة واستولى على غنائم كثيرة وقتل ما يزيد على عشرة آلاف نفس (١) وقد مدحه أحد الشعراء بقوله (٢) :

نصرت بسيفك دين المسيحية  
وما سمع الناس فيمسا روي

قله دراك من صنجج  
بأقبح من كسرة الأفضل

ولم يلبث الأفضل أن تمكن من هذا الشاعر الخائن وقتله ، وفي سنة ٥١٤ تصد الفرنج الديار المصرية بقيادة بلدوين ( بروديل ) ووصلوا إلى غزة وشربودنا وأحرقتوا مساجدها ، لكن موت ملكهم في الطريق ثنأهم عن قصدهم (٣) .

أما ردود النعل الإسلامية فلم تزد عن البكاء والتحرير ، وتجرير الحملات التي كان يسيطر عليها الخلفاء ، فترجع مهزومة أو فاشلة ، وبما كنا أن نتصور الأوضاع في العالم الإسلامي كما يلي :

حاول الأفضل الانتقام من الفرنج ، فجهز جيشا كبيرا ، وأرسله إلى الرملة مرة ثانية حيث استطاع أنزال الهزيمة ببلدوين ، وأستولى على الرملة وحاصرها ، ولكن بلدوين أعاد ترتيب الجيش واستغل فرصة مرور الحجاج القادمين من أوروبا ، والتقى مع الجيش الفاطمي وكسره ، وحيين علم الأفضل بذلك أرسل نجدتين : أحدهما بحرية والأخرى برية وأمرهما بالتعاون ، ولكنهما تنازعا فعادتا فاشلتين (٤) ، وهذا ما دعا ابن تغري بردي لأن يستنرب من سلوك الفاطميين وتقايسهم فيقول عن الأفضل " وما أدري ما كان السبب في عدم خروجهم مع قدرته على المال والرجال " (٥) ويقول عن الخليفة الأمر بأحكام الله ؛ وكان فيه تهاون عن أمر الفزوة والجهاد حتى أستولت الفرنج على غالب السواحل وحصونها في أيامه (٦) .

أما في بغداد فقد عمت الثورة فيها وكسر الناصر المنصور مسجد السلطان ، فرأى الخليفة أمراء القادرين ، فأوعز إلى السلطان محمد أن يعطى على دفع الفرنج ، فأرسل السلطان إلى تابعه أمير الموصل أن يخبر قتالهم (٧) .

- (١) ذيل تاريخ دمشق ٥ ص ١٧٧
- (٢) الانص الجليل ٥ ج ١ / ٣٠٨
- (٣) الانص الجليل ج ١ / ٣٠٩
- (٤) الكامل ٥ أحداث سنة ٤٦٦ وانظر ذيل تاريخ دمشق ص ٣٨
- (٥) النجوم الزاهرة ٥ ١٤٧/٥
- (٦) النجوم الزاهرة ٥ ١٨٨/٥
- (٧) اليافعي ٥ برآة الجنان وعبرتنا ليقظان ٥ مطبعة المعارف النظامية ٥ حيدرآباد ١٣٣٨ هـ ١٧٢/٣

وأما حلب فقد حكمها بعد وفاة صاحبها رضوان ابنه البارسان حتى تتمسك سنة ١١١٤/٥٠٨ ، وعندئذ تولاهما بدر الدين لؤلؤ ( ١١١٤/٥٠٨ - ١١١٧/٥١١ ) وقد تعرضت خلالها لهجوم من الفرنج ، فشايقوها وتاسموها على أملاكها ولكنهم لم يحتلوها كما وهم ابن كثير (١) .

وأزاء هذا ما لتحديات قام أيلغازي صاحب طردين بهجوم على الفرنج ، وقتل منهم مقتله عظيمة ، وقد مدحه الضمراء ومنهم المصطفي في تصيدته ، منها :

قل ما تشاء فتقولك المقيسول  
وعليك بعد الخالق التصويل (٢)

وقد انقسمت الدولة الأرمينية بعد وفاة أيلغازي فأخذ ابنها الأكبر الجزء الشمالي من ديار بكر ومهافارتين ، وأخذ ابنها الثاني الجزء الجنوبي منها وطردين ، ونبت حلب تحت أمرة سليمان بن عبد الجبار .

وحاول الفرنج اغتنام الفرصة ، فقام بلدوين الثاني بهجوم على الأزارقة في الجزيرة الفراتية لينفذ جوسلين ولكنه هزم وأسر .

وقد تعرضت حلب فيما بعد لهجوم مشترك من الصليبيين وبعض المنشقين من المسلمين ولكنها صمدت لهذا الهجوم والحصار الذي رافقه، بعد أن تلقت نجدة من صاحب الموصل (٣) .

وكان خطر الباطنية تدازداً في حلب بسبب اعتماد الملك رضوان بن تنش عليهم ، فتنفذوا في البلاد ، فخط عليهم ابنه الذي تولى الحكم بعده، وحاول القضاء عليهم فتوجه من نجا منهم إلى دمشق حيث أقامهم وزير طغتكين المزدغاني حصن بانبار ، ولكنهم قاموا بأعمال تخريبية هناك (٤) .

ومن أبرز أعمالهم التخريبية ما قاموا به في شيزر سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م ، فملكوا الحصن وأخرجوا أهله منه (٥) ، وفي سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م قتلوا صاحب حصن جنح الدولة (٦) ، وفي سنة ٥٠٤ / ١١١١ حاولوا قتل طغتكين ، وفي سنة ٥٠٦ / ١١١٣ قتلوا مودود أتايك الموصل (٧) كما قتلوا آسنقر سنة ٥٢٠ / ١١٣٠ ، وراسلوا الفرنج بتسليم دمشق على أن يأخذوا صور بدليها ، وقد كان من المتوقع أن يبدأ تنفيذ المؤامرة وقت صلاة الجمعة ، فلما علمت الدولة بوري بن طغتكين المؤامرة قتل الوزير وعدداً كبيراً من أصحابه ، ولكن الباطنية أفضلتها في النهاية سنة ٥٢٦ / ١١٣٣ (٧) .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، ص ١٣٤٨ هـ ، ج ١٢ ص ١٨٤

(٢) تاريخ ابن الوردي ، ٢٥/٢

(٣) الكامل ، ١٠/٦٦٤

(٤) عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ، ٩٤

(٥) اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، حرره فليبي حتى ، مطبعة جامعة برنستون ، الولايات المتحدة ، ١٩٣٠ ص ٧٧

(٦) المختصر ، ٢/٢١٦

(٧) ذيل تاريخ دمشق ، ١٨٧ ، ٢٢٢

ويصور ابن الاثير قوة الفرنج حين تولى عماد الدين زنكي الهلند فيقول " وكانت مملكة الفرنج حينئذ قد امتدت من ناحية طرددين وسجستان الى عريش مصر ، ولم يتخلله من ولايسة المسلمين غير حلب وحمص وحماة ودمشق ، وكانت سواياهم تبلغ ديار بكر الى آق ، فلم يُيقوا على موحد ولا جاهد ، ومن ديار الجزيرة الى نصيبين وراس السنين ، ثم يصف الهلند الاسلامية فيقول " وأما الرقة وحران فقد كان أهلها معهم في ذل وصغار واستضعاف وانتشار ثم يبين خطورة توتهم " . . . . . وأنقلعت الطرق إلا على الرحبة والبر ، فكان التجار والمسافرون يلقون من المخاوف وركوب الضامة تعباً ونسباً . . . . . وأما حلب فأنهم أخذوا مضاعفة أعطاهم حتى في الرعي التي على بابها الجنان وبينها وبين المدينة عشرون خطوة ، وأما باقي بلاد الشام فكان حالها أشد من هذين البلدين ( ١ ) .

إلا أن هذا الظالم أثبت في الفجر ، منذ أن ظهر على صرح الأحداث عماد الدين زنكي صاحب الموصل ، وهو حاكم اجتمعت له صفات حميدة ، فقد عرف عنه حبه للجهاد ( ٢ ) وأخلاقه وشجاعته ، فبدأ عملية توحيد القوى الاسلامية ، فانتزع جزيرة ابن عمر من مالك البرمقي ، ثم استولى على مدينة أربل سنة ٥٢١ هـ ، ثم سار الى نصيبين فغلبها فمسح صاحبها حسام الدين تمرناش ابن ايلغازي واستولى على النخايور وسنجار وحران ثم استولى على الانبار ثم على حلب ( ٣ ) ، فأصبح المارديت مفتوحاً أمامه الى الشام ( ٤ ) .

لقي هذا السمل أعجاباً من السلطان السلجوقي محمود فضحه تفويضاً بحكم الموصل والجزيرة والشام ( ٥ ) ، مما شجعه على الاستمرار في عملية ضم البلاد الاسلامية وتوحيد حسا فبعد أن استولى على حلب سنة ٥٢١ ( ٦ ) ، أعلن أمير شيزر سلطان بن منتقذ وأمير حمص تهديتها له ، وفي سنة ٥٢٣ ضم حماة الى ملكه ( ٧ ) ، وبذلك تم له ملك الشام تقريباً ، ولم يبق أمامه الا دمشق التي كان يحكمها بوري بن طشتكين ( ٨ ) ، فأتصل معه بشأن الشوري للجهاد وقد أثار انتصارات زنكي الروم فتحالفوا لكسر شوكته ، وأرادوا الاستيلاء على حلب سنة ٥٢٣ هـ / ١١٢٨ م ، فساروا اليها ولكنهم أنشغلوا بحصن بزاعة ، بين حلب ونسج ( ٩ ) ، مما جعل زنكي يأخذ الحيطة ويفشل حصار الروم والفرنج فتوجه هو لآلاء الى شيزر ( ١٠ ) ، فأجدها زنكي بقواته القليلة ، وبعث السلطان مسعود السلجوقي وقد أبحثه على إرسال المدد

- ( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، عبد القادر طهيات ، دار الكتب الحديثه ، القاهرة ١٩٦٣ ص ٢٩ - ٤٣٤ ، وانظر ابن قاضي شهبة ، الدر الثمين في سيرة نور الدين ، مخطوطات دار الكتب المصرية رقم ١٢٢٧ تاريخ ورقه ٦١
- ( ٢ ) ابن واصل ، شرح الكرب في أخبار بني ايوب ، جمال الدين الشيبان ، الامهر سنة ١٩٥٣ ، ٢٦٦/١ ، ٢٧٩ ، زبدة الحلب ٢/٢٨٣
- ( ٣ ) ابن الكرب ٢٦٦/١ ، ٢٧٩ ، زبدة الحلب ٢/٢٨٣ ، الباهر ٣٩ ، الكامل ١٠/٦٥٨
- ( ٤ ) ابن الاثير ، الباهر ٣٦ ، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٣٨ ، الكامل ١٠/٦٥٨
- ( ٥ ) ابن الصديق ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ٢/٢٤٤
- ( ٦ ) القفري ، السلوك ج ١ ق ١ ص ٣٦ ، الباهر ٣٧ - ٣٨
- ( ٧ ) المختصر في أخبار البشر ج ٣ ص ٤ ( ٨ ) المختصر ١٤٠/٢ ( فيه توري بدل بوري )
- ( ٩ ) ذيل تاريخ دمشق ٢٦٠ ( ١٠ ) الاضهار ١١٣ - ١١٤

ولكنه تفاعر عن ذلك ، فأغتم الوفد وقت اجتماع الناس لصلاة الجمعة واستفانوا " وأمانته " وادين محمداه " ، فتعهد السلطان بإرسال حملة عاجلة ، كما أرسل الأمير داود الأرتقي خمسين ألفا من التركمان (١) ، ثم نجح زنكي في التفريق بين الروم والفرنج ، بأن شكك كمل فرج بنوايا الاشر (٢) ، فأنسحب الفرنج وتركوا ملك الروم وحده ، وأستغل زنكي النزاع بين الروم والفرنج فهان عليه أمر الفرنج ، إذ صاروا يطمنون أن يحفظوا ما بأيديهم بسند أن كانوا قد طمعوا في البلاد (٣) ، فاستولى على عدد من الحصون المهمة مثل حصن بارين ، كما استولى على مصر النعمان وكفر بطاب وأعمالها ، وهي بلاد كبيرة وقرى عظيمة (٤) ، وفي ذلك يقول ابن القيسراني (٥) :

حذارِ منا وأنى يفتن الحَسَنُ سَدْرَ  
وهي الصوارمُ لا تبقى ولا تَسَدْرُ

وبعد أن قويت شوكت زنكي حاول مرة أخرى أن يستولي على دمشق ، وسيطري حاكمها جمال الدين محمد بن بوري حمه بويصلية فرفض (٦) ، وبذا لم يبق أمام زنكي سوى استخدام القوة ، فحاصر دمشق لكن معين الدين أنر الذي زاد نفوذه بعد وفاة جمال الدين أستنجد بالفرنج في القدس (٧) ، مبينا لهم خطورة الموقف إذا سقطت دمشق بيد زنكي " فسلن ملكها لم يبق لهم معه بالشام مقام (٨) " ثم أغراهم بأن يقدم لهم نفقات الجيوش الصليبي (٩) وتقدم الجيوش الصليبي بين القدس وطرابلس وأشرف على دمشق ، فأنسحب زنكسي ، بينما قام الفرنج بأحتلال بانياس التابعة لزنكي وأخذوا فيها مذبحة شنيصة (١٠) ، ولم يكتف معين الدين بهذا الصل بل ذهب إلى القدس ووصفه أسامة بن منقذ (١١) ليقتدم الشكر للفرنج ويقوى أواصر الصداقة بينه وبينهم ، وبذلك يقضي على نشاط زنكي في المنطقة بل سمح لهم ببناء قلعة صغد ، وغيرها من المعاقل في جنوب فلسطين مثل الكرك والشوبك ،

- 
- (١) المطرغ ٧٩/١ - ٨٠
  - (٢) ابن الاثير ، الكامل ٥٧/١١
  - (٣) ابن الاثير ، الكامل ٦٦٣/١٠
  - (٤) ابوشامة ، الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٨
  - (٥) ابوشامة ، الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٨
  - (٦) ابن الاثير ، الباهر ٥٩
  - (٧) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ١٣٩
  - (٨) ابن الاثير ، الكامل ٧٤/١١
  - (٩) ابن القلائسي ، ذيل تاريخ دمشق ٢٧٢
  - (١٠) المصدر السابق ٢٧١
  - (١١) الاعتبار ١٢٥
  - (١٢) الحركة الصليبية ٦٠١/١

لكن ملك بيت المقدس توفي سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م بعد أن ثبت أقدام الفرنج في فلسطين فأصبح المجال لزكي كوي يسترد الرها ، وقد استولى عليها فعلا سنة ٥٣٩ / ١١٤٤ م دون أن يستخدم الأسلوب التخريبي الذي استخدمه الفرنج بل أطاق غنمه الجيش ، ولم يفتد إلا الفاضل النادر (١) .

وتابع زكي فتوحاته في شمال الرها ٠٠٠ ثم أتجه إلى قلعة جعبر التي يحكمها بنو عقيل ليصفي الجزيرة من هذا بالاطارات المتناثرة ويتجه نحو دمشق ويجاهد الفرنج (٢) ولكنه وقع فريسة الاغتيال عام ٥٤١ هـ وبعد مقتله ، اتصل الارمن من أهل الرها بجوسلوسين الثاني ، وطلبوا منه القدوم لتسليمه المدينة ، إذ أن الحامية السلجوقية فيها قليلة ، وعماد الدين زكي قتل ، فأمر جوسلوسين اليهم وتسلم المدينة ، وبقي يعالج الحامية المستحكمة في القلعة ، ولكن نور الدين تمكن من الوصول إليها قبل أن تياس حامية المدينة ، فأصبح جيش جوسلوسين محاصرا من الداخل والخارج ، ففضل الانسحاب بجيشه على البقاء في الخطر ، فدخلها نور الدين ، وطارد جيش جوسلوسين وقتل معظمه ومنهم حاكم مرعش ، أما جوسلوسين نفسه فقد جرح (٣) .

من ذلك يتبين لنا قدرة نور الدين العظيمة على الاستطلاح بالحكم ، إذ يعتبر عمله استمرارا طيبا لمسيرة والده ، فإذا كان عماد الدين زكي " جبارا عسوقا بنكبا النكبات عسوقا نمرى الخلق ، أمدى الحنق ، لا ينكر الصرف ولا يصرغ الصرف (٤) " فإن نور الدين أخذ الجانب المضي من صفاته \* واستبدل بالجانب الخشن التقوى فهو كما وصفه لشاعر :

ما أحسن المحراب في المحراب  
جميع الشجاعة والمشورة لرئيسه

وقد عمل نور الدين على أرضه أخيه سيف الدين غازي حاكم الموصل (٥) ، كما عقد اتفاقا مع معين الدين أنر وتزوج بابنته (٦) ، وتفرغ لمهاجمة إمارة أنطاكية ، واستطاح أن يحرر معظم الاراضي الواقعة شرقي نهر العاصي (٧) .

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ٤٠/١١
  - (٢) ابن القلائسي ، ذيل تاريخ دمشق ٢٨٧
  - (٣) مفرج الكروب ١١١/١ ، ابن القلائسي ٢٨٨ ، ابن الاثير ، الباهر ٨٧
  - (٤) الاصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، القاهرة ١٣١٨ هـ ص ١٨٦
  - (٥) النويري ، نهاية الارب في فنون الادب مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ ص ٥٤٩
  - (٦) طاه ج ٢٥ ورقة ٨٠ ، مفرج الكروب ١١١/١ - ١١٢ ، الروضتين ج ١ ص ١٢٢
  - (٧) حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون القاهرة ١٩٦٢ ص ٤٣
  - \* اثار صفاته في تاريخ الحروب المقدسة ، ٦٥/١
  - (٧) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ٦١٤/٢

ودما يدل على عظمته ، تصديه للحملة الصليبية الثانية التي جاءت لتستعيد الرها ، ولكنها انحرفت عن هدفها الى دمشق ، فتوجه نور الدين نحو صرخد ولم يشاهد أحسن من عسكره وحيثته ووفور عدته ( ١ ) " ثم سار الى بصرى فأنهزم الفرنج ، وحين عادت الجيسوش الفرنجية ومعهها الامدادات الكثيرة ، استنجد صاحبها معين الدين بنوابه ، كما أرسل الى سيف الدين طرزي وأخيه نور الدين ، في حين خرج يتسدى للقوات الصليبية التي احتلست المزة والمروة ( ٢ ) ، منتظما كثرة الأشجار فأوقع فيهم خسائر كبيرة ، مما جعلهم ينتقلون الى الجهة الشرقية ( ٣ ) ، فصادفوا الماء مقلوبا ( ٤ ) ، في حين وصلت النجدات الاساطية من الموصل وحلب ، فأتروا الانسحاب على البقاء ، لا سيما بعد أن أقرأهم معين الدين بحصن بانياس ( ٥ ) .

وبكذا فشلت الحملة الصليبية الثانية ولم تحقق لها أي هدف ، وإنما رفضت مصنويات المسلمين الذين كانوا ينشرون قدوم مثل هذه الحملة ، واستغل نور الدين حالسنة الضعف التي تمر بها الامارات الصليبية ، على أن يعود في وقت مناسب ، فأوقع بالفرنج كفرة قبيحة في بصرى ( شمال شرق بحيرة الصق ) ، وأرسل الى الشليفة المباسي والى أخيه معين الغنائم ، ثم أقر سنة ٥٤٤ / ١١٤٩ على حصن حارم وحاصر قلعة " أنب " وتشمس رجوند ، ثم تفرغ نور الدين لدمشق ، وعكفها الذين لم يجاهدوا ، ولم يسمحوا لغيرهم بالجهاد ، وقد كان حرم نور الدين على الاستيلاء على دمشق ناشئا عن كونها تقع بمسعين اراضيه وبين الفرنج ، فكان كلما حاول التصدي للفرنج وجد من الصعب العبارة على الموقف لتعاون معين الدين أنرم مع الفرنج ، وقد بقي الامر كذلك حتى توفي أنرم سنة ٥٤٦ ، وخلفه مجير الدين أبق بن محمد بن بوري بن شنتكين ، وكان أن ملكه الفرنج عسقلان سنة ٥٤٨ ، وفي مدينة فلسطين حسنا وعسانة ٥٥٠ ولما كانوا يحصارونها ، كان يتلطف على أنجادها ولا يتدر على أزعاجهم لأن دمشق في طريقه ( ٦ ) .

ولم يرتدع أبق عن أعماله المشينة فلم يفرج في دمشق وتابسوا النارات عليهم ما وأكثروا القتل والنهب والسبي ، وجعلوا على أملاكها تلبية سنوية ، يأخذونها بأنفسهم ، فخلع الناس طائفة واتصلوا مع نور الدين ( ٧ ) .

- ( ١ ) أبو شامة الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٢٠
- ( ٢ ) ولاية دمشق في العهد السلجوقي ، تصور مستخرجة من تاريخ دمشق ، حققها د . صالح الدين المنجد ص ١١ وأنظر الباهر ٦٧
- ( ٣ ) الحركة الصليبية ٦٣٦/١
- ( ٤ ) الحركة الصليبية ٦٣٤/٢
- ( ٥ ) زيد تالحلب من تاريخ حلب ٧٧٣/١
- ( ٦ ) الميني ، عهد البطان من تاريخ أهل الزمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٦.٤ تاريخ ، ج ١٢ ق ١ ورته ٢٥٠
- ( ٧ ) المصدر السابق ج ٢٢ ق ١ ورته ١٨٠ ١٩٦٤

وقد عمد نور الدين الى الايقاع بين ابيق وامراءه ( ١ ) ثم فرض حصارا اقتصاديا على دمشق واستمال حرسها في حين استنجد ابيق بالفرنج ، ولكن سرعة نور الدين فوتت الفرصة عليه ( ٢ ) وفي تلك المنة يقول الصرقله :

ذروة الحراك والمرسى والى  
بدا لى اصبحت فتى من  
لكن تمت لواء استفسار  
وكن في عزب من غلبت  
تجر الويل والوصف  
ولم تشوب قوا عجب

وتد اشرفت دمشق على الخراب ولكن نور الدين جنهها ذلك حين ملكها سنة ٥٤٩ هـ ( ٤ ) فصفت الحماكة بالشام له ( ٥ ) وابتد ملكه من الرها شمالا حتى حوران جنوبا ، من حدود النوبة الى باب همدان لا يتخللها سوى بلاد الفرنج ( ٦ ) وبعد ان استقر ملكه عبر الشام ، وبنى الاسوار والحدار حتى اصبحت مقرا للملوك والفقهاء والصوفية ، وبنى الجوامع والامسراج على الدارق وجعل فيها من يحفظها وصعب الحمام اليهودى ( ٧ ) واحسن الى الجند والرعية فاحبه الناس اتواضعه وحسن سيرته ( ٨ ) .

بعد هذا الاستقرار توجهت نظاره الى الفرنج ، وحدث ان غدر بلدوين الثالث بالتركمان الذين يعيشون في صداقة باثياس بعد ان امنهم فقتل بعضهم واسر آخرين واستنق خيلهم ( ٩ ) وفي هذا يقول باركر " فائن سبر المسلمون على قيام دولة من المشركين فانهم لا يطيعون قيام دولة من اللصون في اراضيهم " ( ١٠ ) فجهز نور الدين جيشا ، واشغ به باثياس ، مما جعل الفرنج يجتمعون من القديس رابلس وانساكية لاحتفال حلب بينما كسان نور الدين مريضا ( ١١ ) ولكن المدينة صمدت امامهم ، فاتجهوا نحو شيزر واحتلوا ( ١٢ ) .

- ( ١ ) عند الجمان ج ٢ ق ١ ورقه ١٨٠ و ١٩٦
- ( ٢ ) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ٢٢٥ - ٢٢٦
- ( ٣ ) عند الجمان ، ق ١ ج ١ ورقه ١٢٦
- ( ٤ ) ابو الفداء ، المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١١ الباهر ١٠٦
- ( ٥ ) ابن واصل ، مفرج الكرب ١ / ١٢٨
- ( ٦ ) الباهر ١٥٩
- ( ٧ ) ابن قاضي شهبة ، الدر الثمين في سيرة نور الدين ، مخطوط ورقة ١٩ و ٢١ الباهر ١٥٩
- ( ٨ ) الدر الثمين ١٧ و ٦٨ ، عند الجمان ق ٣ ج ١٢ ص ٥٤٥
- ( ٩ ) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ٢٢٧ و ٢٢٨
- ( ١٠ ) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ١٦٧ نقلا عن باركر في الحروب الصليبية ص ٨٩
- ( ١١ ) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٨٣ ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ٣٤٩
- ( ١٢ ) ذيل تاريخ دمشق ٣٥٠



وحين اهل نور الدين من مرضه هاجم منقذة سيدا والبليل ، فوثقت معركة بين الطرفين قرب بحيرة طبرية رجعها الفرنج ، فتقدموا نحو دمشق ، فتصدى لهم نور الدين وتغل منهم غلغا كثيرا واسر منهم جماعة قتل فيهم :

كامل الحسن غاية في البهائم  
فدلة الاسر والاهل والفتنة (١)

ما رأينا غلغا تقدم يوم  
مثل يوم الفرنج حين عليهم

وحين لم يفلح الفرنج في حروبهم مع نور الدين اتجهوا نحو الدولة القاطمية التي أصبحت تعاني الضعف والتمزق بسد قتل وزيرها طلائع بن رزيق \* ثم ابنته العادل ، اذ تولى الامر شاور سنة ٥٥٩ / ١١٦٣ لكن شرواط ناعسه وانصر عليه (٢) .

وفي هذا الاثناء قام عموري ( مصري ) يشترق مصر سنة ٥٥٩ / ١١٦٣ ، فوصل الى بلبيس وحاصرها ولكن فيضان النيل لم يظنه من احتلال مصر ، فعاد ليجهز حملة كبيرة - يحتل بها مصر بسد ان بان كثرة خيراتها (٣) .

وتعم شاور الى الشام مستنجدا بنور الدين باذ لاله ثلث اموال مصر ان فتنه ضيقنا ، فارسل محمد اسد الدين شيركوه وصلاح الدين سنة ٥٦٠ / ١١٦٤ فقتل على شرواط الذي استنجد بالفرنج ، وسيدار على الوثائق قبل وصول الفرنج ، ولكن با لبت شاور ان تنكر لامد الدين ، فاحتل احد الدين بلبيس والفرقة ، فاستنجد شاور بالفرنج ، فقدم جيش عموري واشترك من جيش شاور في محاصرة احد الدين في بلبيس ، واذ ذاك قام نور الدين يتهجم على جهنمات الصليبيين في الشام (٤) ، فآثر عموري الرجوع عن مصر ، حيث جهز جيشا عظيما من الفرنج والروم والارمن لقتال نور الدين ، ولكن نور الدين اوقف بالصليبيين هزيمة ساحقة سنة ٥٦٠ / ١١٦٤ (٥) ، واسر عدة من امراءهم واستولى على حارم وبانيها ، ثم على شقيف تيرون وعصرنا المنيرة فهدم حصنه الصحراء ومنهم ابن التيسراني بقصيدة مملعها :

وذى المكارم لا ما قالت الكتيب (٦)

هدى الصرايم لا ما تدعي القضب

(١) عقد الجطان في ٢ ج ١٢ ص ٢٨٣

(٢) ابوالفداء ، المختصر في تاريخ البشر ٤١/٣

\* ساءت احوال الدولة القاطمية في حين سيطر الوزير عمار الصنهاجي على دار الخلافة وقتل الخليفة الظاهر وأخويه ، فحدثت فتنه عظيمة بالقاهرة ، ثم اتاها طلائع بن رزيق وقام جهشه بسدة ظارات ظائرة كما طلب من نور الدين ان يشترق الفرنج ، لكن اختلاف مذهبيهما لكون الاول شيعة والثاني سنيا حال دون اتفاقهما على ذلك .  
( الديوان جمن بدوى ص ٦٥ ، وديوان أساده بن منقذ ص ١٧٧ )

(٣) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ٦٨٦

(٤) تاريخ ابن الوردي ٦٧/٢

(٥) مغز الكروب ١٤٤/١ ، عقد الجطان في ٢ ج ١٢ ص ٣٦٦

(٦) الروعنين ج ١ في ١ ص ١٥٢ ، وانظر ابن الاثير ، الكامل ٢٠٨/١١ والباهر ١٠٦

لم ينحصر نور الدين مصر وطمح الفرنج فيها، وضعف شاور، ولكنه تحين الفرص، فحسين دعاه العاضد ليخلصه من استبداد شاور لم يتأخر في تلبية دعوته، فأرسل شيركوه وصالح الدين للمرة الثانية (١) فاستنجد شاور بالفرنج ثانية، فلبوا دعوته وعقدوا معه اتفاقاً يخولهم سبب الدخول إلى القاهرة ويضمن لهم الأموال الكافية، ثم سار الجيشان الفرنجي والمصري لمهاجمة شيركوه، فانسحب إلى جهة الصعيد في الصحراء، وهناك تمكن من هزيمة الفرنج وشاور (٢) فعاد الفرنج إلى الفسطاط بينما سار شيركوه وصالح الدين إلى الاسكندرية، فخرج بسببه أهلها (٣) وأبقى شيركوه فيها صالح الدين، ثم عاد إلى الصعيد (٤).

استعد كل من شاور والفرنج بزيادة عموري لمهاجمة الاسكندرية، فصر أهلها وذائق صلاح الدين بالأمن في هذا الحصار (٥) فاستنجد بعمه سنة ٥٦٣/١١٦٧، بينما قام نور الدين بمهاجمة مملكة طرابلس، وبيت المقدس (٦) ولما علم الفرنج ذلك خافوا على ممتلكاتهم في بلاد الشام، واثروا المهادنة بعد أن عقد شاور معهم اتفاقاً صهيئاً يدفع بموجبه مالا سنويا لهم، لكن شاور تناقل عن دفع المال وكان نتيجة ذلك أن طمع الفرنج في ملك مصر، وتد وجدوا الفرصة ملائمة لتحقيق أهدافهم، فهم يعرفون ضعف مصر، من جهة وأنفسهم نور الدين في حلب من جهة أخرى، وعلموا أن تأخر ذلك يعني وقوع مصر في يد نور الدين وقائد ماعد الدين شيركوه، وإن صار فيها مثل أسد الدين فهو هلاك الفرنج ونهايتهم من أراضي الشام (٧) فقدم الفرنج سنة ٥٦٤ بأعداد باعثة واحتلوا مدينة بلبيس، وجاءوا القاهرة من باب الشرقية، بينما قام بعض الأعراب بالمهجوم على البر الغربي وساقوا المواشي والابتار وحاصروا البلاد أشد حصار، وكما جاء في كتاب القاضي الفاضل "فلا نهضم المسى النصرة ولا تمدتم عن النصرة" (٨) فأمر شاور بحرق مدينة بلبيس، ثم سار إلى القاهرة (٩) فأرسل العاضد يستنجد بنور الدين، وضمن الكتاب شعر نساءه، فأنجده على وجه السرعة خوفاً على مصر (١٠) فعاد الفرنج إلى بلادهم غاضبين (١١).

- (١) ابن تشرني بردي، والنجوم الزاهرة ٥٥/٢٤٨
- (٢) ابن قاضي شهبة، الدر الثمين ١٢٠
- (٣) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٢٦٦، والنجوم الزاهرة ٥/٢٤٩
- (٤) السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ط ٠ إدارة لوطن مصر ١٢٩٩ هـ ج ٢ ص ٢٣
- (٥) ابن الأثير، الكامل سنة ٥٦٤
- (٦) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٢٧٤ والنوادر الساطنية ٢٨
- (٧) تاريخ ابن الفرات، حسن الفطاح مطبعة حداد البصرة ١٩٦٧ هـ ج ٤ ص ١٩-٢٠
- (٨) محي الدين بن عبد الظاهر، الدر النظيم، ت ٠ أحمد بدوي مطبعة الرسالة، مصر ١٩٥٩ ص ٣٤
- (٩) تاريخ ابن الفرات، ج ٤ ص ١٤
- (١٠) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٢٩١، خط الطريزي ج ١ ط ١ بولاق ١٣٦١
- (١١) تاريخ ابن الفرات ج ١ ص ٢٣

وقد أثار تلاعب شاور بأسد الدين شيركوه وصالح الدين الجند فأثقف صلاح الدين مع الجند على قتله ، وكان ذلك سنة ٥٦٤ / ١١٦٨ ، فخلع العاضد على شيركوه خلع الوزارة ولقبه بالمنصور ، وضم مصر عليها الى دولة نور الدين ، أصبح أمل المسلمين كبيرا بثتسح القدس (١) ، وما لبث شيركوه أن توفي بعد شهرين من وزارته فخلفه صلاح الدين (٢) ، وقد عظم مركز نور الدين بفتوحاته ، وعمله للموحدة (٣) ، حتى كأن ذلك بداية انهيار الامارات الصليبية ، وقد طلب من صالح الدين أن يعلن عودة مصر الى الخلافة العباسية ، لكن صالح الدين رأى أن ينظم الأمور في مصر أولا ، فقمى على ثورة الجند السودان سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ (٤) ، وسد نظامه على مصر ، فأقفر هذا العمل مضجع الفرنج في بيت المقدس ، وعلموا أن وحدة مصر والشام تعني القضاء عليهم ، فاستجدوا بموهمهم في أوروبا وعرفوهم ما تجدد من ملك مصر وأنهم خائفون على البيت المقدس (٥) ، ثم طلبوا الصون من الدولة البيزنطية ، فاجتمع الجيوش الفرنجية والبيزنطية وحاصروا دمياط ، لكن صالح الدين سمعها بالسلاح والبال والذخائر ، فساد البيزنطيون وتبعهم الفرنج دون أن يحققوا نجاحا (٦) ، ومعهما أعاد نور الدين الطلب من صالح الدين إعلان الخلافة العباسية ، وألزمه بذلك الزاما لا فسحة فيه (٧) ، فأعلنها سنة ٥٦٧ هـ ، وكان العاضد على فراش الموت ولم يعارضه أحد ، ولم ينتهج فيه عزازان (٨) .

وبذلك أصبحت مملكة نور الدين تشكل "كفي كفاية" على الفرنج ، وما لبث شاور الدين أن توفي ، فأختم الفرنج موت نور الدين وحاولوا احتلال بانيا ، لكن ابن المقدم وصي الملك اسماعيل بن نور الدين خرج اليهم وراسلهم ولاطفهم وقدم لهم عرضا مشرية ، وسين لهم خطورة استعانتهم بصالح الدين فتركوها (٩) ، وعندما علم صالح الدين بهذا العمل ساء سلوك ابن المقدم وأرسل الى الملك الصالح وأمره يتبع لهم ما فعلوه (١٠) .

ثم قدم الاسطول الصقلي الى الاسكندرية في ستمائة قطعة ما بين شينى وطمرادة وطحسة وغير ذلك ، وكانوا في ثلاثين الفا (١١) ، وضايقوا الثغر وأتلفوا السفن التجارية ولكن أهلها قاوموا النازين ، حتى جاء ثم مدد صالح الدين ، فانسحب الفرنج وخرج أهل البلد يحرقون خيامهم ويتلون من طافروا به فسادوا وخابئين (١١) .

- (١) الروضتين ج٢ ق٢ ص ٤٠٢ - ٤٠٤
- (٢) ابن الاثير ، الباهر ١٤١ ، الأنس الجليل ١٠ / ٢١٣ (٣) الباهر ١٦
- (٤) الروضتين ج١ ق٢ ص ٤٩٢ ، المغن ١ / ١٧٦ - ١٧٧ (٥) ابن الاثير ، الباهر ١٤٣
- (٦) ابن الاثير ، الكامل ١١ / ٣٥١ ، مغن الكروب ١ / ٢٠٠
- (٧) ابن الاثير ، الباهر ص ١٥٦ ، الأنس الجليل ١ / ٣١٣
- (٨) مغن الكروب ٢ / ٧ ، ابن السديم ، زبدة العلب من تاريخ حلب ج٣ ص ١٢
- (٩) الروضتين ج١ ق ١ ص ٥٨٩
- (١٠) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، جمال الدين الشيال ، مطبعة الدار المصرية للترجمة والتأليف والنشر ، ١٩٦٤ ص ٤٨ - ٤٩ ، مغن الكروب ٢ / ١٢
- (١١) النويري ، كتاب الالمام بالاعلام ، ص ٥٠ ، آئين كرم وعزيز عطية ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد ، ١٩٦٨ ج١ ص ٢٩٣

وبعد ذلك تفرغ السلطان لأمر الشام ، فحينئذ حدث نزاع بين الأوصياء على الملك الصالح ، اتصل أحدهم وهو ابن المتقدم بصالح الدين ، حتى يرضع على الظالمين من الفرنج فرصة ضعف الشام ( ١ ) ، فلبى صالح الدين الدعوة ، ورحبت به دمشق أجمل ترحيب ، تسال وحيث الأسيدى :

رأيت جلت ثنوا لا نظير لـــــــه  
فاجتتها طمرا منها الذي حرمـــــــا  
فادتك بالذل اما قل ناصرهمـــــــا  
وأزمع الخلق من أوطانها هرـــــــما ( ٢ )

أزال صلاح الدين ما كان فيها من البدع والمفكرات ، والضرائب التي ظهرت بعد موت نور الدين كما أصلح من أحوالها ، وأعاد الحقوق إلى أصحابها ( ٣ ) ، ثم توجه إلى حلب ، فاستنجد المتنفذون فيها بالفرنج ، لأنجدهم صاحب طرابلس ( ريموند الثالث ) ، وهاجم حمص وحمصاء فأضطر صلاح الدين إلى الرحيل ( ٤ ) ، ثم وقع صاف بينه وبين الزنكيين من الموصل وحلب ، عند قرون حماة سنة ١١٢٥/٥٧١ ، انصرف فيه صالح الدين وضم بعض بلادهم ( ٥ ) ، وقتئذ حاولت الباطنية قتله أكثر من مرة ، كانت أولها أثناء حصار حلب سنة ١١٢٥/٥٧١ والثانية أثناء حصار حصن عزاز التابع لحلب سنة ١١٢٦/٥٧٢ ، والثالثة أثناء حملته على ديارهم في الشام نفسه ( ٦ ) ، لكنه نجا فخر ديارهم وأخرة ، بلادهم ( ٧ ) ، ووجه صالح الدين بصره إلى الجناح الثاني من دولته ليقوم بالتحصينات اللازمة ، فبنى حول القاصرة ومصر صورا عظيما ( ٨ ) ، وكذلك أهتم بالاستدريية ( ٩ ) ، ثم قام بأعمال تدرجية هجومية على جنوب مملكة بيت المقدس ، وتمكن من حصار ملكها بلدوين الرابع وجيشه في غزة ، ثم انتشر في رقعة واسعة من فلسطين ، هاجم خلالها الرملة واللد ، ووصل إلى جهات نابلس ، ثم توجه صوب الساحل ، فأعرضه نهر عليه تل الصافية ، فلم يتمكن من اجتيازه إلا بصحبة لتزاحم الجنود ، وأثناء ذلك فوجيء بجيشه مجهز من الفرنج ( ١٠ ) ، تمكنوا به من المسلمين فقتلوا منهم جماعة كبيرة ، ثم طرد إلى القاصرة وقد حاول الفسراء أن يهزئوا أمر هذا ما كسره عليه .

- ( ١ ) أنظر الخريدة ، قسم الشام ص ١٢ ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج ٣ ص ٣٩٢ ، الشذرات ٢٣٦/٤ ، أحمد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك في مصر والشام ٨٣-٨٥
- ( ٢ ) عقد الجنان ج ١٣ ق ٣ رتبة ٥٧
- ( ٣ ) المسود الأصفهاني ، الخريدة ، بداية قسم شعراء الشام والامراء من بني أيوب ص ١٢
- ( ٤ ) ابن الوردي ، تاريخه ٨٢/٦ ، الكامل ٤١٧/١١
- ( ٥ ) تاريخ ابن الوردي ٨٦/١٠
- ( ٦ ) عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ١٢٨
- ( ٧ ) تاريخ ابن الوردي : ٨٧/٢
- ( ٨ ) تاريخ ابن الوردي ٨٧/١٠ ، مرآة الجنان ٣٩٧/٣ ، الشذرات ٢٤١/٤٠
- ( ٩ ) أبو شامة ، الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٨٧
- ( ١٠ ) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٧٠٠

اغتم الفرنج هذا النصر ، فقاموا ببناء قلعة عظيمة قرب بانياس تعرف ببوسست  
 الاحزان \* ، لتراقب التحركات الاسلامية وتمقبها ، فعاد السلطان الى الشام لتدارك أمر  
 الاسلام ، ثم قام بهجوم على بانياس وكان يضرب به المثل في الشجاعة والرأي في الحرب (١)  
 فقتل عددا من الفرنج ومنهم صاحب بانياس (٦) ، ثم هاجم حصن بيت الاحزان سنة ٥٧٥ هـ ،  
 وغنم جميع ما فيه اذ كان فيه مقدار كبير من السلاح ، بلغ مائة الف قطعة ، كما كان فيه مؤن  
 كثيرة ، وأسر سبعمائة مقاتل ، فأثنى الشعراء والكتاب عليه لما قام به من حفظ الديار  
 الشامية (٢) ، كما كتب اليه الخليفة ثقليدا بالبلاد المصرية واليمنية ، سهلا وجبلا ،  
 مع ما تحتويه من جند ورعية ، وأضاف اليها بلاد الشام باستثناء ما كان بيد ابن نور الدين  
 اسماعيل ( ٥٧٧- ) الذي كان يحكم حلب وأعمالها (٤) ، وقد كتب ابن التعاويذي اليه  
 قصيدة أرسلها من بغداد مطلعها :

فقف الصلي برطمتي بيرين \*\*

إن كان دينك في الصباية ديسني

ومضها :

مأوى الطريد وموئل المسكين

أضحت دمشق وقد حلت بجوهها

\* جاء في معجم البلدان ، مادة بيت " بلد بين دمشق والساحل .. وكان الإفرنج  
 عمروها ، ونوا به حصنا حصينا ، قال النشوبن نقادة فيه :

هلاك الفرنج أتى عاجسلا

وقد آن تكسير صلبانها

ولو لم يكن قد أتى حينها

لما عمرت بيت أحزانها

(١) محمد بن تقي الدين عمربن شاهنشاه الايوبي ، مضمحل الحقائق وسر الخلائق  
 دار الهند ، القاهرة ، سنة ١٩٦٨ هـ ، حسن حبشي ، ص ٢٠

(٢) الروضتين ١١/٢ ، ٢/٢ ، ١٠/٢

(٣) الروضتين ١١/٢ - ١٣ ، ابن الوردي ٨٩/٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية

٣٠٣/١٦

(٤) السيوطي ، حسن المطاوعة ٢٧/٢

(٥) الروضتين ١٠/٢ ، مضمحل الحقائق ٢٦

\*\* في الروضتين (١٠/٢) بيرين ولم يذكر هذا الموضع في معجم البلدان ، وفي  
 الضمار (بيرين) ولعل الصحيح (بيرين) لان الشاعر قصد الارض الكثيرة  
 الرمل وهذا المكان هو بيرين وليه بيرين ، وهو من أصقاع البحرين ، ( معجم  
 البلدان مادة بيرين ، بيرين )

وأزاء هذا لا انتصارات المملوكية ، طلب بلدوين الرابع عقد هدنة ، توافق صلاح الدين سنة ٥٧٦ / ١١٨٠ وذلك تفرغ لمهاجمة طرابلس ، فأضطر صاحبها ( رينولد الثالث ) الذي عقد هدنة في العام نفسه ، بما أتاح له فرصة طيبة لتوحيد العالم الإسلامي ، إذ بدأ اشتباكه وأضحا بحلب لأنها مركز الحكم وقاعدته ( ١ ) ، لكن محظرا جديدا أخذ يهدد قلب مملكته ، إذ اتخذ أرنات ( زينودي شاتيون ) حصني الترك والشوك مركزين لمهاجمة توابع الحجاج والتجار بين مصر والشام والحجاز ، وكان أرنات قد تولى الأردن بعد نكاحه من أسرته فيه مدة طويلة تخيرت فيها أحوال المسلمين نحو الأفضل ، ولكنه بقي على لؤيه وغدره ، فخرق هدنة صلاح الدين مع ملك بيت المقدس ، وقام بالهجوم على قلعة ذابية إلى مكة سنة ٥٧٧ / ١١٨١ ، فأرسل صلاح الدين إلى ملك بيت المقدس يطلب منه إعادة ط نهب ولكن أرنات تطدى في غيبه ولم يذعن لأحد ( ٢ ) ، وقد حاول صلاح الدين أن يضغط عليه بالأسرى الحجاج الذين تسد بهم البحر عند دمياط ، رغم كثرتهم - فلم يرتدع ( ٣ ) ، وفي هذا لاثنا شاح الخبر بفارة فزنج انحالية على حارم ، إذ نهبوا وسبوا عددا كبيرا ، بينما رسول حلب يقوم بالتفاوض مع الفرنج ويستنجد بهم ويخبرهم ( ٤ ) ، وما كان المواعلة بأحسن حالا منهم ، وأما الخليفة فحشول بأن لا تكون السفينة المعروثة ( بالزيب ) بدجلة أزاء التاج الشريف لترقب مسن يموت . . . لأنه كلما رآها تذكرت عليه الحياة ( ٥ ) .

وأستفصل صلاح الدين الهدنة المفقودة بينه وبين الفرنج في استكمال الوحسنة الإسلامية ، فعاد لمحاصرة حلب ، ولكنه لم يستطع السيطرة عليها ، فذهب إلى الموصل ، وحاصرها أياما ، لكن لم يفلح في فتحها ، إذ كانت محصنة ومحاطة بقلاع لا سبيل إليها إلا بأخذ هذه القلاع وما حولها من البلاد ( ٦ ) ، فساد إلى حلب حيث أرسل الخليفة بأمره بترك أمر الموصل وحلب ، فرد عليه صلاح الدين بأنه لا يمكنه الجهاد والتفرغ للمدو دون خطيئة وطمانية وإلا فالأولى أن يتنازل عن أملاكه لهؤلاء على أن يقوموا بواجب الجهاد ، ثم حاول أن يقنعه ويخبره بأن حكام حلب والموصل أطقوا متابعتهم للجهاد ، وبين له أن الهدنة صا تحدها من الفرنج إلا بسببهم ( ٧ ) .

( ١ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢٠ / ٣ - ٢٥ ، الكامل ٤٩٦ / ١١

( ٢ ) Stanley Lane Poel, A History of Egypt in the Middle Ages p. 207

( ٣ ) ابن واصل ، فزج الكرب ١٤ / ٢٥ ، ويذكر أن عدد هم ألف وستمئة وتسعون .

( ٤ ) الروضتين ٢٣ / ٢

( ٥ ) الأيوبي ، مضمار الحقائق وسر الخفايا ، دار الهناء القاهرة ، ١٢٨٥ هـ

( ٦ ) ابن شداد ، النوادر السلطانية ٥٧

( ٧ ) الروضتين ٢٣ / ٢

وعاد السلطان الى الجزيرة الفراتية ، وعمل على ضم كثير من البلاد اليه ( ١ ) ثم عيىر  
الفرات سنة ٥٧٩ وسير المسكر الى حلب ه فاجزها وحين علم صاحبها ( عماد الدين زنكي )  
ان لا قبل له به ه اتصل به على ان يسلمه البلد مقابل اعطائه سنطار وذلک قضى على معظم  
الممالك الضعيفتوا لملوك الذين يقول فيهم ابن اسعد الموصلی :

ملوك جملهم مشرى بهنالمســـــــــــــم  
ومشغول بملهو أو مســــــــــــزاج

أو ط قاله فيهم ابن سناء الملك :

ممالك لم يدبرها مدهرـــــــــــــسا  
حتى اتاها صالح الدين فانصلحت

الابرأى خصي أو بمقل صبي  
من الفساد كما صحت من الوصب ( ٢ )

وبذلک أيضا ضمن قوة كبيرة يقف بها أمام الفرنج ه فكان فتح حلب بداية فتح القدس  
كما أشار الى ذلك ابن الزكي قاضي دمشق قبل فتح القدس :

وفتحكم حلبا بالسيف في صغــــــــــــر  
بمشر بفتح القدس في رجب ( ٣ )



وكان ان اقدم أرناط على مشروح عظيم ه دون ان يفكر بالسواقب ه وشوانه جهز  
اسطولا وأوكل له مهمتين : الأولى : نهب السفن الاسلامية للتجارة ه والثانية : احتسائل  
المدينة المنورة ونقل جسد الرسول الكريم الى بلادهم ليدفنوه عندهم ه ولا يكونوا المسلمين  
من زيارته الا بجعل ( ٤ ) .

ولذا عبر الحادل أخو صالح الدين اسطولا ارسله مع حسام الدين لؤلؤ ه وأوقع  
بمحصري أيلة هزيمة تكراء ه ثم طالب الفرقة الثانية وقد عزموا على دخول المدينة وبكة ه فأدركهم  
بم ساحل حوراء ه فقتل أكثرهم وأسرا الباقيين ( ٥ ) ه ولم يكتف أرناط بهذا بل غدر بالمسلمين ه  
بعد ان أضهم ه فهاجم قافلة قادمة من مصر الى الشام ه وحين ذكره صالح الدين بالشهد ه  
وطلب منه اطلاق الاسرى والقافلة رد بتوله " قولوا لصمد يخلصكم " ( ٦ )

زالت العوائق التي أعترضت صالح الدين في تأديبه لارناط على أعماله ه وبالإضافة  
الى ذلك تدهورت أوضاع مملكة بيت المقدس ه إذ توفي بلدوين الرابع ه وخلفه " جياى لوزجنان "  
فراسل صالح الدين وطلب منه المساعدة على أهل ملته ( ٧ ) .

- ( ١ ) أنظر مضمار الحقائق ج ٤ ص ١٠٥ - ١١٠ ه ١١٥ - ١١٥ / ١١ ) والأكمل ٤٨٨ - ٤٨٨ ه وزبدة  
الحلب ٢٠ / ٢ - ٢٥
- ( ٢ ) الروضتين ٢ / ص ١٧ ه ٤٣ ه ٤٤
- ( ٣ ) الانس الجليل ٣١٧ ه وأنظر مضمار الحقائق ٩٢ ه تاريخ ابن الوردي ٩٣ / ٢٠
- ( ٤ ) ابن الاثير والأكمل ٤٩١ / ١١ ه ١٠٥ - ١٠٥ / ١١٦ ه
- ( ٥ ) تاريخ ابن الوردي ٩٢ / ٢
- ( ٦ ) مفرن الكروب ١٩٤ / ٢ ه ابن هداد ٧٨
- ( ٧ ) الروضتين ٧٤ / ٢

وهنا أمر صالح الدين بتعبئة المساكم من حلب ومصر والجزيرة ، ووكل أبنة الأفضل باستقبالها في مندقتا لتجمع يد دمشق ، بينما قام بشارة على الكرك والشوبك وموشة لها أراضها وقطع أشجارها ( ١ ) ثم عاد إلى الشام فوجد أمورها مهيأة ونشطة فجهز البيوسر وسيرها يريد دخول الساحل ، وعندما سمع الفرنج بأجتماع كلدة المسلمين ، اجتمعوا وتصالحو ثم أقاموا في صفورية بجيهنر توامه خمسون ألفا ، فأستهدف صالح الدين أراقتهم عن مراكزهم حتى يصلوا إليه مقببين ، فضلا عن أنه بهذا الضل يحرمهم من الماء بأحاطته ببخيرة طبرية ، ولكنهم بقوا حيث هم ، فأحتل طبرية لعلمه أنهم لن يهدأوا لذلك ، فلما وصلهم الخبر ثارت ثائرتهم ، ففسخ السلطان ، وقال : "جاءنا ما نريد ، ونحن لهم بالمصاد ، فلا قبل لهم بنا ، فإذا نزلناهم مناخذ طبرية وتوجه الساحل ( ٢ ) .

عسكر الفرنج على سطح جبل طبرية بعيدين عن الماء ، فأشد بهم المطر ، وأندغموا إلى ماء طبرية فيرمة ، ولكن المسلمين كانوا يريدونهم ، ولم تنزل الحرب تستمر ويشد أوارها حتى دارت الدائرة على أهل الشرك ، إذ ان المسلمين تد أشعلوا النيران في الاعشاب فازدادت عليهم الحرارة اللاهبة ، وحرارة النور وحرارة النار ، والعديد الذي به يتخوذون ويدعون إضافة إلى العطش الشديد ، فكانت الغلبة للمسلمين بفضل الشط الحكيمة لقائدتهم صالح الدين . ولما رأى صاحب طرابلس أمارات المنذلان تد نزلت بأهل دينه بادر إلى الهرب ثم أصابته ذات الجنب ، فكانت سببا في هلاكه بمشيئة الله ( ٣ ) .

أما بقية الجيش فقد أشد قتالهم حين أيقنوا بالهلاك ، لكنهم لم يستطيعوا الاستمرار فقتل منهم عدد كبير ، كما أسر الكثير ، وقد عامل المسلمون الأسرى معاملة كريمة ، وأحضر السلطان الماء المثلج لملكهم ، أما أرنات فقد تم قتله وفاء بنذر السلطان ( ٤ ) .

تابع صالح الدين فتوحاته ، فتوجه نحو عكا ، بخية القضاء على قواعد عم البحرية ، بينما قامت بعض الفرق بأحتلال الناصرة ، وتيسارية وحيفا و صفورية . . . وغيرها كما أحتل بيروت وجبيل ، ثم سار نحو عسقلان ، وفي طريقه إلى القدس تسلم مواضع كثيرة كالرملة ، وبينما والمداروم ، كما تسلم أصحابه فزة وبيت جبيل والنهارون بتبير قتال ( ٥ ) ، ثم أتجه إلى بيت المقدس ولم يلبث من فيها أن استسلموا ، وسمح لهم بمغادرة القدس بمسلك مقابل فد يسلمة بسيطة ( ٦ ) وهنا نلاحظ الفرق الشاسع بين معاملة المسلمين ومعاملة الفرنج .

- ( ١ ) ابن شداد ، النوادر السلطانية ص ٧٤ ، ٧٥ ، الروضتين ٧٥ / ٧
- ( ٢ ) المصدر السابق ، ٧٦ ، ٧٧ ، وابن الأثير ، الكامل ٣٥ / ١١
- ( ٣ ) النوادر السلطانية ٧٨
- ( ٤ ) سفر الجنوب ٢٠٧ / ١ ، حسن المحاضرة ٣٤ / ١١ ، النوادر السلطانية ٨٠
- ( ٥ ) ابن شداد ، النوادر السلطانية ص ٨٠ ، الكامل ٥٤٠ / ١١ ، ٥٤١
- ( ٦ ) ابن الأثير ، رسائل ابن الأثير ، أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت

سنة ١٩٥٩ ص ١٥٤



بهذا الفتح العظيم تحسنت أحوال المسلمين ، بينما انحصر ظل الصليبيين وقد وجد  
الشعراء والكتاب هذه المنوحات ، وظالبوا باستكثار النظم ، كما عملوا على تحريك الهمم لطرد  
الغزاة ، ولم يبق أمام المسلمين إلا صور ، وبارابليس ، وأنطاكية ، وبيضاء السويدية ، وحصن  
المرتب ، وقد حاول صالح الدين احتلال صور ولكنها امتنعت عليه لصعابتها الطبيعية ، وكثرة  
من فيها من الفرنج الذين بنوا من المناطق التي احتلها المسلمون ( ١ ) .

\* \* \*

أحدث سقوط القدس في أواخر القرن الثاني عشر في أوروبا ، لا سيما بعد أن وصل بعض الرهبان  
يحملون صورًا للمسيح ، وقد أدهموا العرب ، فنهض الفرنج إلى فلسطين بأعداد طائلة ، إذ خرج  
ملك الألمان بطافني الكوتيل مائتين وستين ألفًا ( ٢ ) ، وقد وصلت هذه الجيوش العظيمة إلى  
القسطنطينية ، تريد البلاد الإسلامية ، بإذنه ، عن جاء عن طريق قبرص أو من صور .

وإن ذلك أرسل صالح الدين ابن شهاب إلى خليفة بغداد ، وصاحب سنجار ، وصاحب  
الجزيرة ، وصاحب الموصل ، وصاحب اربل ، يطلب منهم الخروج إلى الجهاد ( ٣ ) ، فوعده  
كل منهم خيرًا ، كما قام بطلب الجند من مصر والشام للوقوف في وجه الهجوم الثاني .

وقد كان لتحسن العلاقات بين المسلمين والروم أثر مهم في وقوف صالح الدين على اختيار  
الحملة الألمانية ، فقد بحث ملك القسطنطينية له برسالة أشجبه فيها عن اقترابهم من القسطنطينية  
ووعده بأن لا يذنبهم من الصبور ( ٤ ) ، وخين وعلقت الحملة أرض القسطنطينية وفتح العراقيسل  
أمامها ، لكن كثرتهم أرغقت على أخيراً سبيلهم أمام قدرتهم المجهزون عبر الأناضول ، كما أرسل  
إلى صالح الدين يخبره عن خسائرتهم ( ٥ ) ، وقد تابع الألمان زحفهم عبر آسيا الصغرى  
يخربون وينهبون العرب ، فحاربهم السلطان السلجوقي ( قلق أرسلان ) ، فقدم لهم الأمد حتى  
وصلوا أرض الأرمن ، فاستقبلهم ابن لاثون ( لاون ) وزودهم بالمواد والأدلاء حتى وصلوا إلى  
طرسوس ، فأقاموا على نهر ، أصيب ملكهم عنده بمرض بعد أن سبغ فيه فكانت نهايته ( ٦ ) .

ضاق الخناق على المسلمين ، إذ أصبحت الحملة الألمانية على مشارف الشام .  
والحملة الفرنسية والانجليزية تراى في حقله تنتظر صدور البحر ، تحفزاً للهجوم ، وترسج  
صور يهاجمون عكا والمسلمون يقتلون منهم العدد الكثير ، لكن ما إن يقضى على مجيئة حيتي  
تظهر مجيئات آتية من البحر ( ٧ ) .

( ١ ) الأندلسية ٢٤٦ هـ ، المعركة السلطانية ١٢٧٧ هـ ، الثاني ١١٧١

( ٢ ) ابن شهاب ، النوادر السلطانية ١١٥

( ٣ ) لاحظ تولد ، بدرن ، محمد فهد ، أنه لم يطلب العون من الخليفة ، وانظر

ابن شهاب ١١٥

( ٤ ) الروشيين ١٥١/٢

( ٥ ) النوادر السلطانية ١٢٧

( ٦ ) النوادر السلطانية ١٢٤ ، ابن العديم ١١٤/٣

( ٧ ) الروشيين ١٥٧/٦

اكن الاخبار وصلت بحوت ملك اللامان ومعلم جهشه بسبب الامراض التي نكبت بهم ( ١ )  
ولذلك طالب السلطان من أمراء الجند فتحهم من وصول عكا ، ولم ينتظر وصول أعدادات  
القوات الاسانديه ، وإنما قام بهجوم على الجيش الصليبي قتل فيه عددا كبيرا منه ، فانتشر الرعب  
بينهم مما اضطر صالح الدين الى الرحيل عنهم ، بينما اتجه لهم المجال لتزيد مسـسـسـس  
الاستعدادات ، وفي هذه الاثناء وصلت الحملة الفرنسية والانجليزية ، وأحكم الفرنج الحصار  
على عكا ولم تخلج محاولات صالح الدين لاعدادهم بالميرة والسائح ( ٢ ) ، فخرج حامي المدينة  
الى الفرنج ، وتفاوض معهم بالتسليم ، ولكن الفرنج سكتادتهم بـ غدروا بالمسلمين ، وقتلوا  
الاسرى البالغ عددهم زهاء ثلاثة آلاف مسلم ، سبوا ، ثم اختاروا حيفا وتيسارية بعد أن احتلتها  
الحامية الاسلامية ، ثم ساروا نحو أرسوف ، وهزموا المسلمين فيها ، فأخرج صالح الدين الى  
عسقلان وخرسها وسك جو ظامر بالحزن والبكاء ( ٣ ) .

اكن الفرنج توتفوا بسبب ما نشب بينهم من نزاع على ملكية الاراضي المفتوحة والقسم  
بعد احتلالها ، مما أتاح لصالح الدين ان يحصن القدس ، وان يسم الأبار على الطرقات  
وحين وصلت الحملة مضائق القدس ، ورأت ما فعله صالح الدين فضل ريشارد التوتفـسـسـس  
مهاجمة القدس ، والدخول معه في مفاوضات ، لا سيما بعد ما علمه من ثورة أخيه عمده عيسى  
أنجلترا ( ٤ ) فاقترح على صالح الدين تزويج أخته بالمادل أخي صالح الدين ، وقد دامت  
المحادثات طويلا ولكن دون جدوى ، وأخيرا عقد صلح الرملة سنة ٥٨٧ / ١١٩٦ . ونودي  
في الناس : " ان الصلح قد أنتظم ، من يشاء " ( هكذا ) من بلادهم يدخل بلادنا فليقتل  
ومن شاء من بلادنا يدخل بلادهم فليقتل ( ٥ ) .

وتوفي المجاهد الكبير صالح الدين سنة ١١٩٧ / ٥٨٩ تاركا ملكة وأسعة وأمانسة  
ثقيلة تحملها أبنائه من بعده ، بالإضافة الى أخيه " المادل " ، وقد تولى ابنه الأفضل علي  
دمشق والساحل وبيت المقدس . . . وأخذ " المنزير عثمان " مصر ثم أخذ " الظاهر غازي " حلب  
أما أخوه المادل فقد تولى إمارة الأردن والكرام ، ولم يلبث الخلاف أن دب بين ورثة صالح  
الدين الايوبي وأستمر فترة من الزمن ( ٦ ) .

- 
- ( ١ ) فتح الكروب ٢ / ٣٣٧ ، النوادر السلطانية ١١٨
  - ( ٢ ) النوادر السلطانية ١٥٦ - ١٥٧ ، ١٦١
  - ( ٣ ) الروشدين ٢ / ١٩٢
  - ( ٤ ) فتح الكروب ٢ / ٣٧٥ ، الروشدين ١ / ١١٩ ، وأنظر سعيد عاشور  
السركة الصليبية ٢ / ٨٨٥ .
  - ( ٥ ) تاريخ ابن الفرات ، جلد ٤ ، ٣٧٧ / ٢ - ٣٧٧ ، ٨٦ ، الروشدين ٢ / ٢٠٤
  - ( ٦ ) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ٢ / ٨٧ ، الروشدين ٢ / ٢٢٨

وبعد أن هدأت الأمور في البيت الأبيض وانتهت مدة الهدنة ، أرسل الفرنج حملة جديدة ، فانتشروا في الساحل وكثروا فيه وأعدوا على بعض المسلمين في منطقة القسند من أسروا وغنموا ( ١ ) ، فتصدى لهم السادل من أمراء بني أيوب وكسرهم بمنج عكا ثم احتل ياغا بالسيف ، لكن الفرنج احتلوا بيروت بعد أن هرب عنها واليهما عز الدين أمانه ، ثم عقد صلح بين الطرفين لمدة ثلاث سنوات ، عطل السادل خلالها على توحيدها الدولة الأيوبية تحت زعامته ، وقد تمكن من بسط سيطرته على مصر فأصبح سلطان المسلمين في مصر والشام ، وأعتمد في تصريف أمور الولايات على أبنائه بينما يتنقل هو بين هذه الولايات ( ٢ ) .

\* \* \*

وبعد أن فشلت الحملة الصليبية السابعة في استرداد بيت المقدس ، رأت البابوية أن تضرب مصر أولاً ، باعتبارها السبب الأكبر في سقوط مملكة بيت المقدس ( ٣ ) ، وقد تقرر ذلك فعلاً ، وبقي أمر نقل الجند إليها ، فتمتد الفرنج مع أسطول البندقية لتقلهم ، ولكن استجد الكسيوس الثاني البيزنطي بهم لاختتام التورنالداشلية ، أعطتهم في السيطرة على الطريق الذي عانى منه الفرنج قديماً ، كما أعطتهم في استنحاح الكنيسة الشرقية للبابوية ( ٤ ) . ولذا فقد استولى الفرنج على القسطنطينية سنة ١٢٠٤ / ١٢٠٤ ، وأعطوا السيف في أهلها ثلاثة أيام ، وتتلوا الأساقفة والرهبان الذين خرجوا إليهم وبأيديهم الأناجيل والصلبان ، يتوكلون بها ليقتوا على حياتهم ، فلم يلتفتوا إليهم وتناولهم أجمين ونهبوا الكنيسة ( ٥ ) .

ثم وصلت بعض جموع الفرنج إلى الشام ، وقاموا بمسدة عمليات لم تكن حاسمة كسكان منها هجومهم على حماة ، وقد هزموا فيها ، يقول عنها الدين أسعد بن يحيى النجاري في ذلك ( ٦ ) .

تترك لهم أجنال يفتي إلى اجسل  
وأرضي لبيدك أخطا على جيسل

عاجلتهم بالمايا والحتوف فلسس  
فأكسر صليبهم عن صلب حشتم

( ١ ) مفتح الكرب ٧٤ / ٣

( ٢ ) لمزيد من التفاصيل أنظر مفتح الكرب ٧٨ / ٣ ، وأروضتين ٢ / ٢٣٥ ، ٢٣٣ وتاريخ

ابن الوردي ١١٣ / ٧ وابن الصبوي ، تاريخ مختصر الدول ٢٢٥ ، وسعيد عاشور  
الخرقة الصليبية ١ / ٩٧٦ .

( ٣ ) Stanley Lane Poole, *A History of Egypt in the Middle Ages* p. 217, 241

( ٤ ) فخر ، تاريخ أوروبا المصور الوسطى ١ ( ١٤١ )

( ٥ ) ابن الصبوي ، تاريخ مختصر الدول ٢١٨ ، ابن الساني ، التاريخ المختصر لشمرو مصطفى

جواد ، المحلصة السريانية الكاثوليكية ، بغداد سنة ١٩٣٤ ، ص ٤٧ - ٥٠

( ٦ ) تاريخ ابن الفرات ، مجلد ٤ ، ص ٢٥٧ ، وأنظر ص ٢٥٥ - ٢٥٧ ، ومجلد ٥ ، ص ١٢٤

وأراد هذا الفشل ، واجتمعوا فقتلوه هم وأشاروا بتصد مصر أيضا ، وتعاد وصلت الحملة الى  
عكا ، وانتشر أفرادها في الساحل يقتلون ويشبهون حتى اذا استراحوا ، أنما اتقوا الى مصر  
مخلفين وراءهم العرب والتدمير ( ١ ) .

وأخيرا وصلت الحملة الى دمياط سنة ٦٤٤ بعد مشقة بالغة بسبب ما اتخذه الكامل من  
احتياطات في مدخل النيل ولكنهم حملوا تلك السلاسل ، وصنعوا مركبا عظيما شحنوه  
بالرجال والسلاح وأجروه في البحر ، وبنه وثبوا الى سور دمياط ( ٢ ) ، وتوحي الصادق ، وبقي  
أبنه الكامل يرقب الموقف ، ولكن أحداً قاده حاول الثورة وأحدث الفوضى ، مما أضره الكامل  
أن يتراجع عن المدينة ، وبذا انفتحت أمامهم ( ٣ ) ، وأرسل الملك الكامل الى أبنه يحثه  
على سرعة الحضور ، وصدر المكاتبة بقوله :

يا محمدى إن كنت حقا مفسدا  
وأحس قلوبك موتلا أو موجفا

فأنتهزى بشير تلبيك وتوتسبف  
بتجشم في سيرها وتعتسبف

وتبل أن ينجده أحد من أخوته تمكن الفرنج من الاستيلاء على دمياط ، وأرتكبوا فيها الجرائم ،  
إذ غدروا بأهلها بعد أن أطوا من بقي منهم ( ٤ ) ، ثم أتجهوا مع النيل داخل مصر ،  
والمسلمون لا يلبون على شيء ، فأخذ الكامل المنصورة مركزا للدفاع ، وعرض عليهم كل ما  
فتحته صالح الدين بط في ذلك القدس ، على أن يقاتلوا الأراخي المصرية ، فلم يقبلوا بذلك  
وطالبوا أموالا طائلة لبناء أسوار القدس .

ثم تجمع لدى الكامل جيش عظيم ، وأخذت الأمدادات تصله تباطا من أخوته الأشرف موسى  
والمعظم عيسى ، وشكلت البحرية الإسلامية من قلع النيل عنهم ، وأغرقت سفنا فرنجية محملة  
بالسلاح والميرة ، وكان أن ناض النيل ، ففتح المسلمون السدود والقنوات ، وأصبح الفرنج  
محاصرين ، يقيد الطين حركتهم ، وبالاضافة الى مناصرة الجند المسلمين لهم . . . فوقعوا  
بين أسير وقتيل بعد أن وصلوا الى المنصورة ( ٥ ) .

واجتمع الكامل ، محمد وأخوه بعد هزيمة الفرنج في ليلة سمر ، قال فيها الشعراء  
شعرا وعثوا فيها الحملة وأعمالها ثم شزجتها ومن جعل شعرا قول الشاعر راجع الحلي :

أعيان عيسى أن عيسى وشزجته  
ودوس ، جميعا ينصران محمدا \*

- 
- ( ١ ) الفدرات ٦٥/٥ ص ٦٦  
( ٢ ) القزويني ، آثار البلاد وأشجار البلاد ، دار صادر ، دار بيروت ، سنة ١٩٦٠ ص ١٩٤  
( ٣ ) تاريخ ابن الفرات ، مجلد ٥ ، ج ١ ص ١٤٦ ، ٢٤٩ ، المختصر في أخبار البشر ١١٢/٣  
( ٤ ) الفدرات ٦٦/٥  
( ٥ ) المختصر في أخبار البشر ١٢٥/٣ ، ابن الفرات مجلد ٥ ، ج ١ ص ٢٤٩ تاريخ  
ابن الوردي ١٤٦/٢
- \* في البيت تورية باسم عيسى وهو المعظم أخو الحلي ، الكامل ودوس هو الأشرف ومحمد  
بنو الكامل ، للحزب من المتفاهين انظر الفيل على الوثقتين ١٦٩ - ١٧٠

ونشب النزاع ثانية بين الأخوة من البيت الأيوبي ، بل وصلت الأمور إلى حد امتنجداد بعضهم بأعداء المسلمين ضد بعض ، إذ استنجد بعضهم بالنوادر من بعضهم الآخر بالملك غردوريك ملك صقلية ( ١ ) وقد قدم الجيوش الفرنجية بالتوالي إلى عكا سنة ٦٦٥ / ١١٢٨ ، وأخذ يعني التحصينات في عكا وغيرها ، استمداداً للمهجوم ، ريثما يصل الامبراطور ، وكان أن مات الملك المعظم فأحتل الكامل القدس ونابلس ، وأتفق من أخيه الأشرف على أخذ دمشق حين الفاصر داود بن المعظم الذي كان مقيماً بنابلس ثم رحل إلى دمشق سنة ٦٦٦ / ١١٢٩ ( ٢ )

ووصل غردوريك إلى الشام في وقت لم يحدد فيما لكامل الذي كان قد استنجد به في حاجة إليه ، فغلب الامبراطور من الكامل أن يسلمه ما كان وعد به من التنازل عن كل ما احتله من بلاد الدين مقابل القضاء على المعظم ، فواساه الكامل ولاطفه ، فغلباً غردوريك إلى الحكمة والهدوء ، وأنشئ الأمر بتسليمه القدس وبيت لحم ، والناصرية وغيرها على أن تفضح الحرب أوزارها مدة عشرين ابتداءً من ٦٦٦ / ١١٢٩ ( ٣ ) .

وقد استاء المسلمون لهذه الهدنة ، فأشد البكاء وعظم الصراخ والصويل ، وكان نتيجة ذلك ان ازداد تمزق البيت الأيوبي ، إذ اتجه الكامل والأشرف إلى دمشق لأخذها من الناصر ، فكرهسها الناس وأوغرت عليهم الصدور ، وقد تولى الكامل حصار دمشق ، وتسلح منها الانهيار ونهب البساتين ( ٤ ) ، ثم أخذها صلحاً .

وحين أوشكت الهدنة التي عقدت بين الكامل وغردوريك على الانتهاء شغيت البابوية على بيت المقدس ، فعدت إلى حملة صليبية جديدة ، وعدتها حماية القدس ، وترميم الاموار ، وبذلك تكون قد خرفت الهدنة التي تقضي بعدم تجديد البناء ، فاستغل الناصر داود الفرصة وهجم على الفرنج وطردهم منها ، وردا على ذلك ، نداهم الفرنج حملة أخرى بقيادة ملك غرناطة ( لويس التاسع ) الذي أرسى بيكاً وأنهت أصحابه في بلاد الساحل ، فساد الذعر وخاف الناس على القدس والامكن الاخرى ، وقد قال الناصر داود في ذلك :

أيا ليت أمي أيم طول عمرهم  
فلم يقنصها ربي لولي ولا يمسسها  
ويا ليتني لما ولدت وأصبحتم  
تهدد الي الهدد تميات بالرحب  
لحقت بأخواني فكننت ضجيمهم  
ولم أر في الاسالم ما فيه من خسل ( ٥ )

- ( ١ ) للمزيد من التفاصيل انظر الحركة الصليبية ٦٦٨ / ١
- ( ٢ ) تاريخ ابن الوردي ١٥٠ / ٦ ، فخر الكروب ٦٣١ / ٤ ، الشذرات ١١٨ / ٥
- ( ٣ ) السلوك ق ١ ج ١ ص ٢٢٨ تاريخ ابن الوردي ١٥٠ / ٦
- ( ٤ ) ابن الاثير ٤٨٢ / ١٦ وانظر :  
وفخر الكروب ٢٥٩ / ٤ ، ٢٥٤
- ( ٥ ) ذكر ابن الوردي في تاريخه ان هذا ما لا يثبت للمز بن عبد السلام ، وهي للملك الناصر داود وقد رواها ابنها ملك الامجد في كتابه " الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية " ( أو رسائل الجلائق لناصر ورقة ٢٠٤ ، ٢٠٥ ) .

الا ان الحملة اتجهت الى مصر ، لانها القاعدة الحربية الهامة للمسلمين ، فارسل لويس التاسع الى ملك مصر يشهدده بكثرة جيشه وقوة فتكته ، فرد عليه الملك الصالح نجم الدين ملك مصر بأنه لا يخاف الكثرة ولا القوة ، لان المسلمين هم ارباب السيوف ، وهم اصحاب الارض وليسوا ظارفين وقد أخذ يتوعد به بقوله " ٥٥٥ فلورأت عيناك أيها الضرور - حد سيوفنا وعظم حرهنا ٥٥٥ لكان لك ان تحضر على اناملك بالندم ولا بد ان تنزل بك القدم ، في يوم اولسه لنا وآشره عليك ، فهناك تسوء المظنون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ( ١ ) " .

وأعرف الملك الصالح رغم مرضه مد على تحسين دمياط ، وعززها بالمقاتلين من قبيلة كنانة لكن الحملة كانت في غاية القوة والاستعداد فخطمت المواقف التي تمرقل مرور السنن في نهر النيل ، مما أثار الخوف في نفوس بعض أمراء دمياط ، فولوا الادبار وتيسم كثير من الناس ، فقبض الصالح عليهم ، وأعدم منهم خمسين أميراً عشقاً ( ٢ ) ، ولكنه توفي ، فقامت زوجته " شجرة الدر " مقامه ، وأرسلت الى ولده تورانشاه ليتولى أمر مصر ، في حين وقع الفرنج في الخطأ الذي وقع فيه أسلافهم ، وقد استطاع تورانشاه أن يأسر الملك الفرنسي وأخاه ، كما أستولى على عساكر الفرنج ، وقتل منهم ما يزيد على عشرة آلاف فارس ، وأسر من الخيالة والرجال ما يناهز مائة ألف ثم جيء بالملك الفرنسي وأخيه الى المنصورة وأعتقل في دار فخر الدين بن لقمان ( ٣ ) ، وقد قال الشاعر بن الصرصي من بغداد يصف كثرة قتالهم :

تركنا من الأعداء بالسيف مطعنا  
ومنهم الوقت أربعون بأسرنا

ثلاثين ألفا للقشاع والأمن  
فكم ملك في قبضنا صر كالصبيد ( ٤ )

وقد أطلق سراح ملكهم وباقي الجند على شرط أن لا يعودوا الى مصر ، وأن يدفعوا غديسة كبيرة وحين عزم لويس على مهاجمة مصر مرة ثانية ، قال ابن مظهر :

قل للفرنسيين إذا جئتكم  
أجرأك الله على ما جسر  
أتمت مصرا تبشسي ملكنا  
وأشرها :

مقال صدق عن قوول نصيب  
من قتل عباد يحوج السبي  
حسبت أن الزبريا طهر  
دار ابن لقمان على حالنا

والقيد باق والطواش صبيد

- ( ١ ) ابن الصبري ، تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٨ ، المقريزي ، الملوك المعروفة دول الملوك ج ٢ ص ٢٤٧
- ( ٢ ) نهاية الأرب ج ٢٧ ورته ١٠٠
- ( ٣ ) تاريخ ابن الوردي ١٨٧١٠ ، القديين لويس جوفانفيل ، ترجمة حسن حبشي ١٤٠-١٤٢
- نهاية الأرب ج ٢٧ ، ١٠١ ، ابن الصبري ، تاريخ مختصر الدول ٢٥٩ ، رنيمان ٤٦٥/٢
- ( ٤ ) حسن المحاضرة ٣٩/٢
- في البيت الاول " مطعنا " لملها " مطعنا " والثاني ورد مكسورا " قبضنا "
- ( ٥ ) النويري ، اللطام بالاعلم في جرت به الاختلاف الامور القشبية في وقعة الاسكندرية ج ١ ص ١٧

وهكذا فشلت جميع محاولات الفرنج للاستيلاء على مصر و فوجئوا أنظارهم نحو  
التيار و لحلهم يجدون فيهم سندا لهم في تحقيق أهدافهم و وقد كان من الممكن لهم ضرب  
المسلمين لولا التنازع فيما بينهم بحروب داخلية كان لها ما حدثت بين الهنادقة والجنوية ( ١ )  
واعتزل المسلمون فرصة هذا النزاع للوقوف أمام الشزوا المنولي الذي أكتسح العراق و مصر بلاد  
الشام وهدد مصر ( ٢ ) و ان أرسل هولاء كوالى تظز يطلب منه الاستسالم و فحين قطمست  
جيشا قويا و والتى من المنول في عين جالوت وهزمهم سنة ١٢٥٦/٦٥٦ \* ثم تبع الظاهر  
بيبرس قلوبهم بينا سار قطز الى دمشق و فاستقبله أسلمها استقبان المخلص من أعمال التتار  
الوحشية .

\* \* \*

وبعد ذلك تولى بيبرس حكم مصر والشام و فهيا الأمة للجهاد و ثم أنتقل من مصر الى  
الشام و وقام بهجوم على أنطاكية لمخالفة حكامها للمنول و ثم تاجم مملكة بيت المقدس و فاستولى  
على قيسارية وأرسوف وقلعة صفد قاعدة الفرسان الداوية و مما أضغف من شوكتهم وخطمست  
مخوياتهم و فمقدوا منه هدمه ( ٤ ) و وفي سنة ١١٦٧/١١٦٧ استولى على يافا و وحصن  
الكراد و ونازل حصن عكا وملكه بالامان و وقد حثا لشراء على القضاء على عاصمة الصليبيين  
( عكا ) و فقال أحدهم ( ٥ ) :

ك فقد نلت الارادة  
هو عكا و زيمسادة

يا ملك الارض بشيرا  
ان عكا ريتينا

وبعد وفاة بيبرس تابع قلاوون عمه في القضاء على المنول والفرنج و فبعد أن أنزل  
بالمنول فتزجة حاسمة رغم كثرتهم في عام سنة ١١٨١/١١٨٠ و بدأ يوجه اهتمامه نحو تونس  
فأحتل حصن المرقب سنة ١١٨٥/١١٨٤ و وهو حصين منيع و ولم يبق للفرنج سوى عكسا  
وطرابلس وصيدا وصور وعليت و ما حولها ( ٦ ) .

- ( ١ ) الحركة الصليبية ١١٠٧/٢ - ١١٠٨ \* ونسيان ٤٨٧/٢ و أحمد مختار العبادي و  
قيام دولة المماليك ٢٦٠ و عبد القادر اليوسف و طاقات بين الشرق والشرق ٢١٢
- ( ٢ ) المختصر في أخبار البشر ١٠٢/٢ و ١٠٥ و ١٠٦ و تاريخ ابن الوردي ٢٠٧/٢
- \* يزعم نسيان ( الحروب الصليبية ٥٢٨/٢ ) ان قطز تحالف مع الفرنج لمقاتلة العسود  
المشرك و والحققة أنهم عرضوا عليه المساعدة و فرفضها لأنه لا يستعين بكافر على كافر  
وسبب العرض هو أن المنول قربوا النصارى الشرقيين و واطلواهم بمخالف معاملة الفرنج  
الشرقيين مما آثار تشوئتهم ( الحركة الصليبية ١١١٢/٢ ) .
- ( ٣ ) بدائع الزهور ١٠٥/٢
- ( ٤ ) مذكرات الذهب ٣١٦/٥ و أنظر أحمد مختار العبادي و قيام دولة المماليك ١٦٣
- ( ٥ ) تاريخ ابن الوردي ٢١٥/٢
- ( ٦ ) ضد الجمان ج ٢٠ ق ٤ ص ٢٢٧ و ٢١٦ تاريخ ابن الفرات مجلد ٨ ص ١٧ و تشریف  
الايام والمصور ص ٤٣

في سنة ٦٨٨ / ١١٨٩ هـ احتل قتلون طرابلس ، وبذلك لم يبق وجود الفرنج في الساحل  
فأستنجسوا بأوروبا ، فجاءت حملة أيطالية ، أنتهت بالفشل وانقلبت عليهم باليوبال ، فقد هاجم  
رجالها المسلمين ، المتجار منهم والمزارعين في منطقة عكا ، دون أن يقيموا للهدنة المحقودة بسين  
قوسهم وبين المسلمين وزنا ، فطالب السلطان قتلون بتسليمه للمجرمين ، فأعذروا له عن أعمالهم  
وأنهم ليسوا من رعايا المملكة ، فلم يجد عذرهم قبولا ، وجهز جيشا لمهاجمة عكا ( ١ ) ، ولم يكمد  
السلطان يفرغ من أعداد الجيش حتى واثته الضية ، فتولى الأمر من بعده ما بينه الأشرف خليل ،  
وأمر أن يستمد القاتلون في دمشق لينتقوا من أخوانهم من مصر للتوجه نحو عكا ، فخرج أهل  
دمشق بمدون الجيش بما يستطيعون ، وقد أشترك في ذلك كل فئات الأهالي إذ خرج الناس من  
فقهاء ومدرسين وعلماء وصلحاء يعملون ويجرون الآلات والمجانيف ٠٠٠ وحاصر السلطان عكا ،  
ورغم ثغابي الفرنج الذين بلغوا ما بين ثلاثين وأربعين ألفا في الدفاع عنها إلا أن الأشرف خليل  
تمكن من احتلال المدينة ، وفر الفرنج وقتل منهم خلق كثير ، والسعيد منهم من أتاحت له فرصة  
الوصول إلى المراكب للهرب ( ٢ ) .

وقد جاء سقوط عكا زلزلا دمر الكياح الصليبي في بلاد الشام ، فأستسلمت ساقطهم  
الواحدة بعد الأخرى صور ، وصيدا ، وأنطربوس ، وعتليت ( ٣ ) ، وبذلك تكاملت فتوحات جيهنج  
البلدان الساحلية للإسلام ، وقد وصف الشعراء هذا الفتح العظيم ، وقال القاضي شهاب  
الدين محمود ( ٤ ) :

عز بالترك دين المصطفى العربي	الحمد لله زالت دولة الصليبي
رواه في النوم لاستحييت من الطلب	هذا الذي كانت الآمال لو طلبت
في البحر للمرك عند الهر سن أرب	ما بعد عكا وقد هدت قواعد هسنا



وهكذا أنتهى الوجود الصليبي في ديار الإسلام بعد صراع مرير دام قرابة قرنين من  
الزمان ، أحرزت في بدايته جيوش الفرنج نصرا مؤقتا في ظروف مواتية لها ولكن تبسدل  
الظروف في بلاد الإسلام ، ثم نشوب الامدادات التي كانت تأتي من أوروبا للإبقاء على الجسم  
الغريب في المنطقه ألا بهذا الجسم الغريب إلى الموت المقدر المحتوم .

( ١ ) تاريخ ابن الفرات مجلد ٨ ص ١١٠ ، رنسيما ٦٩١ / ٣ ، تشرىف الايام والصور ١٧٧  
( ٢ ) محمد ابراهيم الجزري ، جواهر السلوك في الخلفاء والملوك ، ورته ٤٠ ، ٤٧٤ ، مخطوط  
وأنظر وصفهم في حمن التوسل إلى صناعة المرسل ص ٤٦ ( وانظر الحركة الصليبية ١ / ٢ )  
( ٣ ) الشهرستاني أخبار البصر ٤ / ٥ ، تاريخ ابن الفرات مجلد ٨ ص ١١٢ ( تاريخ ابن الوردي ١٣٦ / ٦ )  
( ٤ ) المختصر في أخبار البصر ٤ / ٥ ، تاريخ ابن الفرات ١٥ / ٨ ، تاريخ البصر ١٣ / ٣١٣ ،  
الجسار ص ٣ ، ص ٧٦٧  
( ٥ ) فوستاف لوبون ، حشارة العرب ٣١٩ - ٣٢٠



## الباب الثاني

### الفصل الاول : النظرة الاسلامية للصراع

القسم الاول : صراع بين عقيدتين

القسم الثاني : صراع بين حضارتين

القسم الثالث : الصراع العسكري

أولا : الجيش الصليبي

ثانيا : الاسلحة والمعدات العسكرية

ثالثا : التحصينات

رابعا : التخطيط العسكري

خامسا : الحرب النفسية

سادسا : المعارك البرية والبحرية

القسم الرابع : الخطر الصليبي

أولا : على الارض الإسلامية

ثانيا : على المسلمين

ثالثا : على الاسلام والتراث الاسلامي

أضواء على حياة الصليبيين

الفصل الثاني :

أولا : الحياة الاجتماعية

ثانيا : الحياة الاقتصادية

ثالثا : الحياة السياسية

## الفصل الأول

### النظرة الإسلامية للصراع في الأدب العربي

#### القسم الأول : صراع بين عقيدتين :

أخذ الصراع بين المسلمين والصليبيين طيلة القرنين اللذين دارت خلالهما الحروب الصليبية أشكالا مختلفة ، منها الصراع العسكري ، وذلك أمر طبيعي متظر ، لأن أحد الجانبين كان غازيا ، في حين كان الجانب الآخر مغزوا في بلاده ، مهددا في كيانه ، ومنها صراع العقائد الذي يعتبر المحرك المصلح للصراع كله ، ولذا فإنه يستحق من الباحث اهتمام خاص ، ويستوجب القاء الأضواء عليه ، والجدير بالذكر أن صراع العقائد بين دولة الاسلام والدول النصرانية تسد ابتداء منذ معركة موته ، ثم بعد أن افتتح المسلمون بلاد الشام ، وقد برزت فترات كان الصراع فيها على نطاق واسع ، ولكنه كان أحيانا يتخذ طابعا محليا ، كما كانت الحال زمن الحمدانيين ، فالحمدانيون يهاجمون الثغور البيزنطية ، والبيزنطيون يردون على الهجوم ، ويهاجمون الثغور الإسلامية وبلاد الشام من ورائها .

أما في هذه الفترة ، فقد اختلفت طبيعة الصراع وشدته ، إذ اشترك فيه من جانب مجوعة من الدول الأوروبية بالإضافة الى الدولة البيزنطية ، ومن جانب آخر مجوعة من الامارات الاسلامية تبين أن تتوحد هذه الامارات زمن نور الدين ، ثم زمن صالح الدين .

وقد هدفت الجموع الفرنجية والبيزنطية الى احتلال القدس وطرده المسلمين من المقدسة وهذا ما أدركه ابن الاثير في معرض حديثه عن متابعة الفرنج لحرب المسلمين في أرمينيا ، إذ قال لهم ملك صقلية " إذا عزمتم على جهاد المسلمين ، فأفضل ذلك فتح بيت المقدس ، وتخليصونه من أيديهم ، ويكون لكم الثغر " ( ١ ) .

وهذا ما أشار اليه الأديب في شعرهم ونثرهم ، فهم كانوا يرون أن الحرب دينية شديدا ، احتلال الأرض المقدسة وما حولها من بلاد ، ولذلك نبهوا الى خطورة الوضع وحثوا على التمسك بها وجهما لمحتلين ، وتمثلوا الرسول يستصيح كل مسلم وعربي لكي يدافع عن الدين لأنه يستحق الأرض المقدسة ، أصبح الدين واهي الدعائم ، يقول أبو المظفر الأبيوردى في ذلك :

ينادي بأعلى الصوت يا ل شاشم  
رباحهم ، والدين واهي الدعائم ( ٢ )

يكد لمن المستجن بطبيعة  
أرى أضي لا يشرعون الى المدى

( ١ ) الكامل ١٠ / ١٤٦  
( ٢ ) نهاية الأرب ٥ / ٢٦٦ ، ابن الاثير ، الكامل ١٠ / ٥٨٥ ، النجوم الزاهرة ٥ / ١٥١  
\* المستجن بديبة : أي المدفون في المدينة ، وهو الرسول محمد عليه الصلاة والسلام

وقال شاعر آخر ( ١ ) ، يصف ما أحدثه النصارى ( الفرنج ) بالاسلام والمسلمين من قتل وتشريد وشتاء  
للأعراس :

أجل الكفر بالاسلام غيما	يطول عليه للدين النحيب
فحق ضاع وحى مهيب	وسيف تاطع ودم عيب
وكم من مسلم أمسى سليب	ومسلمة لها حرم سليم

ويقول ابن الخياط ( ٢ ) مخذرا ومذرا :

الى م وقد زخر المشركسون	بصيل يهال له السيل صيدا
تراخون من يجترى شمة	وتنصرون من يجعل الحرب تقيدا * ونزلا وقد أصبح الامر بكيدا **

وقد تجاوزت أطباع الفزاة بلاد الشام ، فأحتوا الرها ، وتطلعتوا الى غيرها من ديار الاسكندرية  
نيسابوراء بلاد الشام ، من أجل الاحتلال والاستيطان ، وتغيير صينة البلاد الحضارية  
والدينية ، وما دام هذا هو هدفهم ، نحن المسيحي ان ينصبوا اذا سمعوا الاذان ، وأن  
يشربوا الناقور ، فينتابا ، حتى عندما يكونون في أخرج الأوقات ، فحين استولى صلاح الدين على  
القدس ، جمعهم ليغلي سبيلهم بعد دفع الفدية ، فكان وقت صلاة الجمعة ، فلما سمعوا الاذان  
أزدادوا فينا الى فيلهم ( ٣ ) ، وبعد أن تم نقلهم الى صور ، وشهدت البلاد منهم ، وأقسم  
الاذان ، غارت ثأرتهم ، وأوندوا الى الحرب من يحررهم على القتال ( ٤ ) .

وقد اعتبر المسلمون غزو الفرنج لديارهم حربا دينية منذ البداية ، فطالبوا بالوحدة  
والجهاد ، وظهرت ردة الفعل هذه في الادب العربي ، فهذا عرقلة الكلبي يمدح حاكم دمشق  
( مجير الدين ابدا بن محمد بن بوري من طغتكين ) ويعتبره المقاتل الوحيد عن الدين ضد  
الفرنج الفزاة ( ٥ ) :

من قاتل الافرنج دينا شمسيره  
والخيل مثل السيل عند المشهيد

فقتال المسلمين للفرنج اتخذ طابعا اسلاميا شاملا ولم يعد قتالا محليا ، وقد اشترك فيهم  
مسلمون من البلاد المختلفة ، وهذا هو طالع بن رزيق الوزير الفاطمي يفتخر من صر بقتال الفرنج

فيقول ( ٦ ) :

وط نحن بالاسلام المشرك همام  
ولكننا الايمان للكفر شمام

( ١ ) النجوم الزاهرة ١٥١/٥ - ١٥٦ ، لم تذكر المصادر اسمه

( ٢ ) ابن الخياط ، ديوانه ص ١٨٤

( \* ) تنصون : من نسا بمعنى أجل ، النقد : الفهم الضعيف .

\*\* قال خليل مردم في هذه القصيدة أصلها أول قصيدة قيلت في الحروب الصليبية ، وقد قيلت

سنة ٥٠٦ كما جاء في الديوان ص ١٨٦ ، وأرى أن قصيدة الأبيوردى وقصيدة الشاعر

المجهول قد قيلتا قبلها : إذ قيلتا بعد سقوط القدس ٤٩٦ هـ .

( ٣ ) الروضتين ج ١ ص ٩٧ ( ٤ ) رسائل ابن الأثير ، ج ١ ص ١٥٤

( ٥ ) صبح الأعشى ٥٢٨/٦ ( ٦ ) ديوان عرقلة الكلبي ص ٢٦

كما وقف ابن منير في دمشق يمدح نور الدين ويفخر بأعماله ضد الفرنج مرات كثيرة ، ومن هذا ما لواقف قوله :

أغلى ديار الشرك من أوثانهم  
حتى غدا ثالوثهم فكسبهم

وفي بغداد أمدح ابن الشعار يذم الدين الذي هب ينافم عن الدين حتى غادر الأعداء ما بين قتيل وجريح وخائف يترقب الموت يقول :

وغضبت للدين المشتمولم تزل  
فأدرت أهل البني بين مجسدا  
في الله ترضى منذ كنت رثيبا  
لقي الشام وخائف يترقب

وترددت هذه الأصوات على مر السنين معلنة ان الشام للأشام ، ومهما ظهر للباطل من سطوة وغلبة ، فان الحق يدفعهما ، يقول ابن سناء الملك :

الشام للأشام دار التمرار  
فيا أمان الكفر لا تأمنوا  
وكان من قبل طريق التمرار  
بالدار ما الشام لكفر بسندار ( ٥ )

وفي الفترة الأخيرة من قتال الفرنج حين تم النصر المؤزر للمسلمين ، يقول شمس الدين محمد بن الحسن الشاذلي مخاطبا الأشرف خليل بن قلاوون في فتح عكا :

وأعدتها للمسلمين ولم يكن  
وفي طرد آخر جندي صليبي من ديار الشام يقول شهاب الدين محمود :

ووز بالترك دين المصطفى المرسي ( ٦ )  
المحمد لله زالت دولة الصليب

هذه مجرد أمثلة توضيحية ، تدل على ان الصراع كان دينيا لدى الطرفين ، وان شكوك بعض الأدباء والمورخين في ادعاءات الفرنج فيبطلها ما شهداهم الدينية في المنطقة ، لانهم باسم المسيح دمروا البلاد وخربوها ، وباسم الصليب ذبحوا الآلاف في كل بلدة دخلوها ، مما أثار الشكوك حول تمثلهم لمبادئ دينهم ، يقول ابن القيسراني :

سروا لينتهبوا الأعمار فأنتمهم  
فأثار الشكوك حول تمثلهم لمبادئ دينهم ، يقول ابن القيسراني :

ويذكر ابن الأثير ( ٨ ) أنهم اجتمعوا لقمص مدينة حماة طمعا في النهب والغارة ، فغربوا القرى ونهبوها وأحرقوا وأسروا . . .

- ( ١ ) ديوان بلاطع بن زريك ص ١٤١
- ( ٢ ) الروضتين ج ١ ص ٢٠٦
- ( ٣ ) ديوان سبط بن الشعار ص ٢٤
- ( ٤ ) ديوان ابن سناء الملك ص ٢٨٣
- ( ٥ ) جواهر السلوك في الدلائل والملوك ، ورقة ٤٨ مشطوط
- ( ٦ ) المصدر السابق ورقة ٥٩
- ( ٧ ) الروضتين ج ١ ص ١٤١
- ( ٨ ) ابن الأثير ، الكامل ١٠ / ٤٥٠

هذه الاعمال وغيرها لو قدّر للمسيح عليها السلام أن يراها لما رضي عنها ، كما يقول  
 بلاطون بن زريك في أعمالهم في المسجد الأقصى :

نزلت وسطه الخنازير والخميس (م) وبارى الناقور، فيها الصليب  
 لوراه المسيح لم يرض فعسلا زعموا أنه له منسوب

ويقول جوفيل أحد مرافقي الملك لويس التاسع الذي غزا مصر سنة ٦٤٧ عن بعض رجاله بأنهم  
 ذهبوا إلى أرمينية للمشاركة في الاسلاب والاسهاج في القتال (٦)

إلا أن ذلك كله لا يحني غياب الروح الدينية بين الصليبيين وقد أبرز الأدباء معتقدات  
 هؤلاء الفزاة وأحاطوا بها لطول الفترة التي استغرقتها الحروب وما تخللها من مهادنات  
 أتاحت للمسلمين فرصة التعرف على أحوالهم وممارساتهم (٣) ، يقول الملك الامجد :  
 " ورفع الكفار الصليب على رؤس الاشهاد والمشاهد ، وأعلنوا بما يفترونه من التشليح السذي  
 تنزه عنه الملائكة الواحد (٤) " .

وقد تعرض الأدباء لفكرة الاقانيم الثلاثة لاسيما الاقنوم الثاني وهو الابن ، لأنه مسبب  
 المخالف ، فالمسلمون يعتقدون أن المسيح عبد لله ، بينما يعتقد النصارى أنه ابن لله ، ومن ذلك  
 ما رواه أسامة بن منقذ حين كان من الأيوبيين الذين أخرجوا (وصي دمشق) عند الصخرة نجساً ،  
 فرنجي وسأله : " تريد تبصر الله صغيراً " ( هكذا ) ؟ قال نعم ، فمشى بين أيدينا حتى  
 أرانا سورة مريم والمسيح عليها السلام صغيراً في حجرها ، فقال : " هذا الله صغيراً ( هكذا ) (٥) " .

ويقول السبادي في معرض حديثه عن صفد : " وطالما مكث فيها المشركون ، وقالوا  
 اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إداً ، تكاد السموات يتفطرن وتنفشق الأرض وتخشع  
 الجبال هداً " (٦) .

وهم يعتقدون أن عيسى عليها السلام قد صلب في كنيسة القيامة ، ودفن بعد الصلب ، ثم  
 قام بعد ثلاث من القبر ، وصعد إلى السماء ، وقد مثله على خشبة صليبية ، وأخذوا يعبدونه  
 ويتقربون به إلى الله ، يقول ابن الأثير في رسائله " ولطالما أبتهلوا عنده أيام الحصار ، واحتنصروه  
 فلهم حظوا منه في معرفة الانتصار (٧) " وفي معركة حطين ، وقع الصليب الذي كان الفرنسيون

- (١) ديوان بلاطون بن زريك ٦٣
- (٢) جوفيل ، القديس لويس ، حياته وحمالاته على مصر والشام ، ص ٨٩ ، ترجمة حسن عيشي
- (٣) صبح الاعشى ٣١٣/١٣ ، وابن الفرات ٢٧١/٧
- (٤) الفوائد الجلية في الفوائد الناصرية ورقة ٩٦ مخطوط
- (٥) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٢٥
- (٦) الصمد ، الفتح القدسي ص ٢٦٩ ، وأنظر المشرح ٢١١/٢ ، الصمد في الفتح ١١٨-١١٩  
 وعند الجطان ق ١ ج ١٧ ص ٩٣
- (٧) ابن الأثير ، رسائله ص ١٥٢

يروى أنه المصائب الحقيقية هـ في أيدي المسلمين وفي ذلك يقول ابن سناء الملك :

ظلّ معبودهم لديك أسسيرا  
عليوا ربهم فلم يشن عنهم  
مستغنا هـ فأجعل له الفارس نسما  
من ربي بسد صلبه تطاغفسي

بل لقد تحداهم ابن مطروح بان يسودوا الى مصر هـ فبلقوا بصيرتهم المحتوم هـ ومصير قائد منهم  
لويش التاسع هـ واذ ذاك سيمر عيسى عليه السلام :

تردك الله الى مثله  
ان كان باباكم بذا راضيا  
لحل عيسى بنكم يستريسي  
غرب غبن تد أتى من نصيسي (١)

وقد ذكر ابن منير ( ٣ ) قبل ذلك ان عيسى عليه السلام يستنجد بنور الدين ليخلصه من ضرور  
الخرابة هـ

حتى نرى عيسى من القدر قسدا  
لجا الى سيفك مستغفرا  
وكثيرا ط يمرض المشراء المسلمون ليوثق الصليبين من السيد المسيح وعقيدتهم منه هـ ومن ذلك

قول طلائع بن رزيق : ابعث الفارس عن عبادة ربنا الفارس قوم اللهم مصلوب هـ  
ويقول راجع الحلي في تسميتهم بعباد عيسى :

اعباد عيسى هـ ان عيسى وعزيمه  
والجدير بالذكر هـ ان عيسى وموسى المشار اليهما هما اغوا الملك الكامل محمد هـ المذكور غسي

نهاية البيت هـ ويقول ابن مطروح مخاطبا الملك الفرنسي لويس التاسع :  
أجرك الله على ما مضى  
من قتل عباد يسوع المسيح

ويقول الشهاب محمود ( ٧ ) :  
أخضبت عباد عيسى اذا بدتهم  
لله أي ربي في ذلك الغضب

وأما تسميتهم بعبدة الصليب هـ فقد جاءت عند الصاد في معرض كنيسة اللذاتية يقول :  
" وزينت لآخوان الشيطان هـ وعينت لمبدة الصلبان ( ٨ ) " هـ كما جاء في عقد الجمان في معرض  
حديثه عن ملك فرنسا هـ حيث وصل الى عكا في ست بطرملحونة هـ بعبدة الصلب مشحونة ( ٩ )  
وجاءت في كتاب فاضلي الى صالح الدين يحثه على قتالهم هـ " والى ان يمرضهم على الجسد  
صلبا فيكونوا عبدة صلبان كالصلبان والى ان يمرضهم في دماهم في طوغان ( ١٠ ) " .

- ( ١ ) ديوان ابن سناء الملك ص ٨١٦ ( ٢ ) ديوان ابن مطروح ص ١٨١
- ( ٣ ) ضمن الكروب ٢ / ١١١ هـ الكامل ١١ / ٢٠٦ ( ٤ ) ديوان طلائع بن رزيق ٦٢
- ( ٥ ) ابن كثير هـ البداية والنهاية ١٢ / ٩٥ هـ وفي السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٠٩
- ( ٦ ) ديوان ابن مطروح ص ١٨١
- ( ٧ ) جواهر السلوك ورقة ٦٠ مخطوط ابن الفرات ١١٦ / ٨
- ( ٨ ) الفتح القسي ص ٢٢٨ هـ وانظر الروضتين ٦ / ١٨٣ هـ ٢٦٥
- ( ٩ ) المعني هـ عقد الجمان ق ٨ ج ١٧ هـ ق ١ ورقه ١٠٦ مخطوط
- ( ١٠ ) ابن نياته هـ الفاضل من كلام القاضي الفاضل ورقه ٢١ مخطوط

وتد وردت دذبا لتسمية في الشر - أيها - يقول فتيان الشافوري في دعواته مدحه  
الصالح الدين :

لله يوسفكم أظف وظائفا  
وأباد من عبد الصليب وظائفا ( ١ )

وتد مدحهم أيضا عباد الأصنام - ومن ذلك ما جاء في تقليد المادل أخني صالح الدين حكم  
مصر والشام وحته على قتال المشركين " إذ في ذلك حسم لمادة الأظاع في بلاد الاسنام  
ورد لكيد المساندين من عبدة الاصنام ( ١ ) .

وتد أبرز الابداء المسامون تعظيم الفرنج لكل ما يتعلق بالسيد المسيح كما يستندون  
فيه حسب رأيهم - وكذلك تعظيمهم للصليب - والاماكن التي ترتبط بمسئدتهم .

أما تعظيم للصليب - فقد أظان الأبداء التوفيق عنده - لأنه مرتبط بمسئدة النصارى  
عامة - فهو رمز للخشبة التي صلب عليها السيد المسيح - كما يرون - وله عندهم قيمة كبيرة  
فإذا كانوا في معركة - التجأوا إليه يستقزلون النصر من عنده ويرجون منه الفرج .

يقول الفاضل في معرض حديثه عن أسر ملك القدس " . . . وببده أوثق وثائقه - وأكد وعيلة بالدين  
وعائلته - وهو صليب الصلבות - وقائد أساق الجبروت ( ٢ ) " - ثم يذكر أشيخته لديهم ثم  
الحركة فيقول " . . . فيقاتلون تحت ذلك الصليب أصلب تتان وأسدقه ويزونه مهاتا بينون عليه  
أشد عندنا وقته - ومعدونه سورا تخضر عوافر الشيل خندقة " ( ٣ ) .

وتد أورد الصناد هذا المعنى في معرض حديثه عن معركة عكا وذلك حين يقسمون  
" وأصبح الفرنج . . . وقد رفعوا الصليان - وزحف أسودهم في ظب الدوران - وبالرث شيرالهم  
عقبانا على عتبان " شيقون عن الصليب " . . . ويبذلون دونه المهي - ويصلبون به الفرنج " ( ٤ )  
وإذا فلا خرابة في اعتنائهم به - واطاعتهم لحامله - وكانه الملك - بل إن مصائبهم به أشد  
يقول الصناد : " وهو الذي إذا نصب وأقيم ورغن - سجد له كل نصراني وركن - وهم يزعمون أنه  
من الخشبة التي يزعمون أنه صلب عليها معبودهم - فهو معبودهم ومعجودهم - وقد ظنوه  
بالذهب الأصفر - وكللوه بالدر والجوهر . . . فإذا أشربته القسوس - وحملت لروءوسهم - تباروا إليه  
وأثابوا عليه - ولا يسع لأحد منهم عناء تخلف - ولا يسوغ للتخلف عن أتباعه في نفسه التمسسه  
وأخذة أعظم عندهم من أسر الملك - وهو أشد مصاب لهم في ذلك المصراع ( ٥ ) .

- 
- ( ١ ) ديوان فتيان الشافوري ٦٦
  - ( ٢ ) صحیح الاعشى ١١١/١٠
  - ( ٣ ) صحیح الاعشى ٤٩٩/٦ - ٥٠٠ و ٦٨٤/٨ وأنظر الروضتين ٧٩/٢ و ٨٩٦ و ١٢٩٦
  - وأنظر الانس الجليل ٤٦٤/٤
  - ( ٤ ) الفتح القسي ٣٠٨ و ٢١٣ و ٨٤
  - ( ٥ ) الفتح القسي ٣٨٨ و ٣٩٧ و ٨٤ و أنظر حطهم للصليب في الروضتين
  - جاق ١٥١ و ١١ وأنظر الكامل ٥٣٥/١١

وأما رفعه على الأماكن ، فقد كانوا يختارون المكان المشرف ليُشاهد فيه ، وفي هذا تعظيم له ، وقد ذكر ابن شداد في فتح القدس ، أنهم وجدوا الصليب على تبة الصخرة وكان شكراً عليهما ( ١ ) ، وهذا ما حدث فعلاً حين دخلوا مدينة الجسر ، فصلى كل واحد منهم عليه على دار ، وركز عليها رأيته ، والرأية عندهم قطعة قماش بيضاء ملحمة بالصليبان الحمراء ، ومسمى دلائل تعظيمهم للصليب ، أيضاً ، أنهم يخلمون به بعد الله والمسيح ، ثم يكررون الحلقة بعد الاقانيم الثلاثة ، وقد جاء ما يثبت ذلك في نسخة يمين حلف عليها الفرنج وفي " والله ، والله ، والله ، وبالله ، وبالله ، وبالله ، وتالله وحز المسيح . . . وحق الصليب وحق الصليب ، وحق الاقانيم الثلاثة من جوهر واحد ، ( ٢ ) ، المكني بها عن الاب والابن والروح القدس ، اله واحد ، وحق الصليب الكرم الخالق في الناسوب . . . " .

وقد أشار الشعراء الى هذا التعظيم ، ومنهم ابن القيسراني الذي عاش بينهم فترة من الزمن ، خيرهم خالفاً ، وتبين بعض رعاياهم ، ومنها تعظيم الصليب ، يقول ( ٤ ) :

أَعْظَمَ الصَّليبِ وَدَدْتُ أَنْ نَسِي  
إِذَا أَتَيْتُ قِبَلِي حَبِيسٌ سَبِ  
وَدِينِ اللَّهِ عِنْدَكُمْ صَليبٌ سَبِ  
أَسْرَهُ عَاتَقِي حَبِيسٌ سَبِ

وقد عذبوا كذلك المكان الذي اعتقدوا الصليبيه ، وهو كنيسة القيامة ، لأنهم يعتقدون ان المسيح صلب فيها ، وحل اللاهوت بالناسوت فيها أيضاً ، يقول الحماة نقلاً لما كانوا يعتقدونه في تلك الكنيسة " وفيها صلب المسيح ، وقرب الذبيح ، وتبسط اللاهوت ، وتالله الناسوت ، واستقام التركيب ، وقام الصليب ، ونزل النور ، وزل الديبور ، وأزد وبرت الدابسة بالاقنوم ، وأمنج الموجود بالمسدوم ( ٥ ) .

ومن الأسباب التي جعلتهم يظنونها ، اعتقادهم بان النور ينزل من السماء فيها ، وقد روى ابن واصل أنه شاهد هذه " الضلالة " في كنيسة القيامة بعد يوم الفصح ، ويقول " ويؤمنون أنها تقع في كل سنة في هذا المكان ، وفي كل سنة في اليوم الذي يليه يوم فصحهم ( ٦ ) " .  
وكذلك اعتقادهم أنها مكان النور ، يتولى السداد على المنتهين . . . فهذه قطعتنا غير ممتنا . . .

- ( ١ ) ابن شداد ، النوادر السلطانية ٨٢
- ( ٢ ) الاعتبار ١٨٤
- ( ٣ ) صبح الاعشى ٣١٣/١٣ ، وأنظر الفصح ٥٥٦
- ( ٤ ) ديوان ابن القيسراني ، ورقه ٦٤ بخطوط
- ( ٥ ) الفتح القسي ١١٨
- ( ٦ ) مغني الكروب ٢/٢٣١
- ( ٧ ) الفتح القسي ١١٨



وما جعلهم يظلمونها أيضا ، اختوارها على ، دعوة من الصور الدينية ، فثبها صور  
الحواريين في حوارهم ، والأخبار في أخبارهم ، والوثائق في سواهم ، والاتصاف في مجامعهم ،  
، وقد أنشأوا إليها محضر الطائيل ، وطلوها بصور ومنها صور النمام المرسومة في الرخام ،

لذا لم يكن مستغربا أن يبذل الأفرنج ما بذلوه للمحافظة عليها ، والدفاع عنها ،  
لأنهم يعتقدون أن كرامتهم من كرامتها ، وسألتهم من سألهم ، وإذا ما تخلوا عنها ، لمزت  
لامتنا ، ووجبت لامتنا ، بل لم تلج نفوسهم بفراقها حين استنادنا سائر الدين ، وقالوا  
" دون مقبرة ربنا نموت وعلى خوف فوتها منا نفوت ( ٣ ) " .

ومن البليبي بعد هذا التصغير أن يتدسوا ترايبها ، ويستنصروه في أوقات الرمن ،  
يقول ابن الأثير " فعلى حب ذلك التراب تروى قياتهم ، وتشيل نساتهم ، ولظالم ابتهلوا  
عنده أيام الحصار ، واستنصروه فلم يحظوا منه بمحونة لاقتصار ( ٤ ) " .

وقد أصغى الفرنج هذه القدسية على بيت المقدس ، لأنه " بيت محمودهم ، وحل  
تجسد ناموسهم كما زعموا باللاهوتهم ( ٥ ) " ، وفيه كنيسة القيامة التي يعتقدون أن المسيح دُفن  
فيها بعد صلبه . . .

ولم يكن تقديس الفرنج للقدس وقتا على من قدم منهم ، بل لقد عظمها الفرنج في عقلية  
وفي أوروبا ، وأشتروا قطعا من صخرتها بوزنها ذهبيا كما قيل ( ٦ ) .

وقد استنصر الفرنج بالقدس ، وكنيسة القيامة ، وأشتروا بها بعد أن كسرهم صانع الدين  
في موقعة حطين ، فأجتمعت إليها " كل شريد منهم وطريد ، واعتصم بفتحها كل تريب منهم وسعيد  
وظنوا أنها من الله مانعتهم ، وأن كنيسة من الله شافتهم ( ٧ ) " .

وهم لهذا يفتدونها بأنفسهم ، بل يرون أن الموت أيسر عليهم من أن تقع في قبضة  
المسلمين ، مما جعل صانع الدين يدور حول المدينة خمسة أيام لاختياره المكان المناسب  
للمهجوم ، ولكنه لم يجد شجرة يدخل من خلالها ، وأخيرا جاءه وفد من الفرنج يطلب منحه  
السطح لهم ببنادرتها بسالم ، وهددوه أن لم يجب دعوتهم ، وقالوا كل واحد منا بمسرين ،  
وكل عشرة بمسرين ( ٨ ) .

- 
- ( ١ ) الفتح القسي ١١٩  
( ٢ ) الفتح القسي ١١٨ ، الروضتين ١٢٧/١  
( ٣ ) الفتح القسي ١١٩  
( ٤ ) ابن الأثير ، رسالته جمعها أنيس القدسي ، ١٥٦  
( ٥ ) مغز الكروب ٢١١/٢ ، الكامل ٥٤٧/١١  
( ٦ ) الانصار الجليل ٣٣٩/١ ، الروضتين ١١٢/٢  
( ٧ ) صبح الاعشى ٥١/٦ ، وأنظر الانصار الجليل ٣٤٢/١  
( ٨ ) الروضتين ٩٤/٢ ، وأنظر مغز الكروب ٢١١/٢ ، الكامل ٥٤٧/١١ ،  
الانصار الجليل ٢٣٩/١

وتد عظم الفرنج بعض المدن الاخرى مثل : عكا والرها ، يقول القاضي الغاضل عن عكا " وهي قسطنطينية الفرنج ، ودار كفرهم ، وأبدلها الله أسلماً ، وخلع عنها الشرك اليابس وخلع عليها من التوحيد أعلاماً ( ١ ) " ووصفها الصناد بأنها مركز ملكهم ، ومحور تجمعهم من البحر .

وأما الرها فهي من أشرف المدن عند النصارى ، وأحدى المراكز الهامة عندهم ، وقد قاتلوا فيها قتالاً شديداً وط استطلاع عماد الدين فتحها الا بناري الحرب والخدعة كما يقول ابن القيسراني :

فأضرمها نارين : حرباً وخدمية  
وحين سقطت بيد عماد الدين ثم بيد أبنه من بعده ، كانت مفتاحاً لفتح البلاد الأخرى  
يقول ابن القيسراني :

وقل لملوك الكفر تسلّم بعهدهم  
ويقول الشهرزوري :

فتح الفتح مهشراً بتمامه  
ويقول ابن كثير :

وغداً يلقي على القدس لهبها  
كلكل يدرسها درس الدرس ( ٤ )

وبما يتصل بمعتقداتهم تصليهم لرجال الدين : البايا ، والبطرك ، والقسيس ، والرهيسان وقد بين الأدب أهمية بعضهم ، فالبايا يخطط لشق البلاد الاسلامية في المشرق ولو أزهقت الأرواح وأنفقت الأموال :

ورام باياهم أممورا  
فأخلت ظنه القسيسان ( ٥ )  
وأما البطرك فله شأن خاص لأنه مرافق للجيوش ، ومطبق للدين ، فهو مسلم أياهم عقيدتهم ، كما يروي ابن واصل ( ٦ ) ، فقد ذكر أنه شاهد مجموعة من الفرنج تمكن على التبة الصغيرة التي فيها التبر . . حتى كان وقت الظهور أو بعده ، فوصل البطرك التبة وأخرج شمعة موقدة ، وزعم أنها من القنديل الذي اشتعل بالنور المنزل من السماء ، وقام الموقدون بأعمال الشمع المهارك من تلك الشمعة ، دون أن يسمحوا لأنفسهم بالتفكير في النور النازل من السماء ، دون أن يروه وكيف يسمحون لأنفسهم بذلك وهو عندهم بمنزلة نفوس منزلة الملك ( ٧ ) .

- |       |   |
|-------|---|
| ( ١ ) | الروضتين ج ٢ / ١٤                       |
| ( ٢ ) | الروضتين ج ١ ق ١ ص ٩٧                   |
| ( ٣ ) | الروضتين ج ١ ق ١ ص ٩٨                   |
| ( ٤ ) | الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٠٢                  |
| ( ٥ ) | فوات الوفيات ٨٤ / ١                     |
| ( ٦ ) | مفج الكروب ٢٣١ / ٢                      |
| ( ٧ ) | المصدر السابق ٢١١ / ٢ ، الكامل ٥٤٧ / ١١ |

ويلتقي دور البطارقة مع دور القساوسة في التحريض على القتال والسير أمام المسلمين ، وقد ظهر هذا الدور بجلاله في حصار عكا سنة ٥٨٦ هـ ، إذ قام المصورون برسم صورة قبر المسيح وعليه فارس مسلم يخلوه ، وعمد رجال الدين الى اظهار هذه الصورة " وراء البحر في الاسواق والجامع ورؤوسهم مكشوفة وعليهم المسوح " (١) وقد أثرت هذه الصورة في نفوس الناس تأثيرا كبيرا ، فهاج بذلك خلائق كثيرة ، وتجهزوا في جميع مناطقهم بالمراكب والكتائب ، وخرج الاساقفة طاعة لتسيبهم ، وأمثالا لأمر مركيسهم ، وغيره لمتعبدهم ، وحمية لمعتدبهم وتهاككا على قبورتهم وتحرقا على قمامتهم " (٢) .

وبما قدمه رجال الدين للحركة الصليبية ، ما قام به أحدهم في أنطاكية سنة ٤٩٢ هـ والمسلمون محدثون بهم ، إذ اخفى حربة وأخبرهم ان الحربة المقدسة مدفونة قرب أنطاكية وأنهم ان وجدوها فسيكون اللصر لهم ، وحين وجدوا تلك الحربة ، عادت اليهم ثقتهم ، وحاربوا المسلمين وهزمهم . (٣) .

وحين أسر صاحب شقيف أرنون مع من أسر من الملوك في معركة حطين ، قام صلاح الدين بمحاصرة بلده ، وأصطحبه معه ليأمر من بها فيسلمها الى صلاح الدين مقابل اطلاق سراحه " فخرج اليه قدامه باسرعن باس ، فحادثه بلفته ، وناقشه في كارته بثلثته وتجاوزا في السر ، وتجاوزا في الشر ، وكانما أمره بالتجلد ، وصبره على التشدد " (٤) .

وأما الرهبان فقد قام بعضهم بدور عسكري ، وانقطع آخرون الى الرهبنة ، ويصف ابن الاثير في رسائله جماعة منهم فيقول " ومنهم طائفة استشعرت حبس نفوسها ، وضحصت الشعر عن أوساط رؤوسها ، وتوحشت بالرهبة انية حتى ارتاعت من أشكالها ولبوسها (٥) .

هكذا وظف الأدب العربي معتقداتهم ، فهم يعتقدون بالأقانيم الثلاثة ويحظون ما يتصل بها من أشياء وأماكن وأشخاص ، ولهذا وصفهم الادباء الحرب بالشرك في مواطن كثيرة جدا حتى لا يكاد يوجد ديوان يخلو من هذا الوصف تصريحا أو تلميحاً ، يقول ابن الغيات في معرض مدحه أحد مقدمي دمشق .

الى م وقد زخر المشركسون  
بسيل يهال له السيل مسداً (٦)  
ويقول ظافر الحداد في مدح الامام الأمر (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ)  
لا يد للشرك من يوم تعيد له  
فيه سيوفك فصل الريح في عاد (٧)

- |     |                       |     |                               |
|-----|-----------------------|-----|-------------------------------|
| (١) | الروضتين ١٧٢/٢        | (٢) | الصدر السابق ١٦١/٢            |
| (٣) | الكامل ٢٧٧/١٠         |     | من تاريخ الحروب المقدسة ١٢٢/١ |
| (٤) | الفتح القسي ٢٨٨       |     |                               |
| (٥) | رسائل ابن الاثير      |     | جمع انيس المقدسي ص ١٥٤        |
| (٦) | ديوان ابن الغيات ١٨٤  |     | وانظر ٢٢٩                     |
| (٧) | ديوان ظافر الحداد ١١٣ |     |                               |

يقول ابن القيسراني :

كالليل يلتهم الدنيا له ظلم  
يوءد حاسبه الاعياء والسأم (١)

حتى اذا ما احاط المشركون بنا  
وأقبلوا لا من الأقبال في عسدد

ويطول القيام لو توثقنا عند كل مثل \* وكما وصفوهم بالشرك ومنغسوهم بالكفر  
وقد جاء هذا الوصف في مواطن كثيرة أيضا \* منها قول ابن دنينير :

منهم بحزم في الأمور رشيد (٢)

بددت جمع الكفر وهو مؤنث

وقوله :

والأرض قد آذنت منه بالصباد (٣)

وأضحق الكفر حتى ذل بجانبه

وقول ابن سناء الملك مادحا صلاح الدين :

وتودى له القتل وتسمى له الجنى (٤)

أقام بدار الكفر تجبى له الجسزا

وقوله :

بنيت لذا ركنا هدمت لذا ركنا (٥)

لقد أصبح الاسلام والكفر كلمسا

ويقول أسامة مخاطبا طلائع على لسان نور الدين \* ذكرا فتوحاته \* وأنتصاراته على الفرنج :

ولم يبق في أقطارها لهم أثر  
وأملكهم فأنزاج ضمهم بها الفقر (٦)

فلما استمدناها من الكفر ضوة  
رددنا على أهل الشام رباعهم

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤١

\* وأنظر ما يلي عقد الجمان ج ٢٢ ق ١ ص ١١٦ ، وديوان ابن القيسراني ورقة ٧١

مخلوط ، والروضتين ١١٦/٢ ، والخريدة قسم مصر ج ٢ ، ١٧١ وديوان ابن دنينير

ص ٢٠ ، ١٥٤ ، ١٧٤ ، وأنظر ديوان ابن التعاويذي ٢٤ ، وديوان علم الدين ايدمر

المحتوي ، ١٥ ، وديوان الصاحب شرف الدين الانصاري ، ص ٣٩٦ وديوان ابن

فتيان الشاغوري ٦٩ ، ٣١٨ ، ٤٢٨ ، وديوان ابن الدهان ٢٢ ، وأنظر

الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤١ ، ١٨٠ ، ٢١٦ ، ج ١ ق ٢ : ٣٥٧ ، ٣٧٢ ، ٤٠٤ ،

٥٢٩ ، ٦٤٣ ، ٦٩١ ، ٧٠٣ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١٢٦ ، وأنظر الخريدة قسم

شمر ، دمشق ٢٨ : ٤٠ ، ٥٩ ، شمر ، الشام ج ١ ، ١٧٩ ، ٢٧٧ ، ج ٢ / ٢٨٣

وأنظر قسم مصر ٢٣٢/٢ ، وأنظر ابن القرات ، مجلد ٤ ج ١ ، ٣٩٢ ، ٤٥ ،

مجلد ٤ ج ٢ ، ٢٥٧ ، وأنظر الفتح ٢٥٣ ، ٢٦٩ ، ابن الاثير (١١/٤٥٥)

(٢) ديوان ابن دنينير ورقة ٢٠ (٣) المصدر السابق ورقة ٨ ، وأنظر ١٧٦٥

(٤) ديوان ابن سناء الملك ٧٥٨

(٥) المصدر السابق ص ٧٥٩ ، أنظر ٢٨٣ ، ٢٥ ، ٥٤٦

(٦) ديوان أسامة بن منقذ ٢٠٥ ، وأنظر ٢٠٣



وما دام شأنهم كذلك ، فقد تبرا الادب من عقيدتهم هذه بالفاظ التنزيه لله عز وجل  
(١) ، واستخف آراءهم ، وبين أخطأهم بالحجة الدامغة والأدلة المقنعة ، وطالبهم بأثبات  
الأدلة على أقوالهم ، لأنه بإمكان كل فرد أن يقول ما يشاء ، ولكن هذا القول لا يصدق إلا  
بدليل قنح ، يقول البوصيري :

والدعاوى ما لم تقموا عليها  
ليت شعري ذكر الثلاثة والسوا  
بيئات أبناءها ادعياء  
كيف وجدتم إليها نفي التوحيد  
أإله مركب ما سمعنا  
حد تقطع في عدكم أم نصيب  
يد عنه الآباء والأبنساء  
بإله لذاته أجسزاء

فهو يستند الى تاريخ عقيدتهم حيث كان آباءهم يؤمنون بأن الله تعالى - مكون من اجسزاء  
بينما هم يوحدون هذه الاجزاء ، ثم يستند الى دليل من ادبيات في أثبات خطئهم ، وهو ان  
الله لا يجزأ ، ولا يجوز عليا لتقسيمه ، وبذلك لا يكون إليها ، ثم يجادلهم في قولهم ، ليس  
الى أي حد ينتهون ، فيسألهم بأسلوب شعري سهل ، عن توزيع الملك بين أصحابه ، ان  
كانوا صادقين ، يقول :

ألكل منهم نصيب من الملك  
أم هم حللوا بها شركة الأبد  
ثم يبين تناقضهم بين أمرين ، فهم يقولون إن السيد المسيح إله ويقولون في الوقت نفسه إنه  
قتل ، فكيف يجوز هذا ؟  
فهم لا تميز الأنصبياء  
ان أم هم ليس منهم كفساء  
خلطوها وما بقى الخليلاء  
في معاني النبوة الانبيساء

ثم يبين تناقضهم بين أمرين ، فهم يقولون إن السيد المسيح إله ويقولون في الوقت نفسه إنه  
قتل ، فكيف يجوز هذا ؟  
تلتصاليهود فيما زعمتم  
ولا مواتكم به أحيساء

← وأنظر ديوان ابن الساعاتي (١/١٤٥) ، وعقد الجمان ج٢٠ ق٤ ، وورثة ٧٧٦ مخطه  
الخريدة : ( شعراء دمشق ٤٦٦ ، شعراء الشام ٢٣٥ ، شعراء مصر ٢٩/١ )  
١٠٥ ، شعراء العراق (٢/١٤٧) ، الروضتين ج١ ق١ (١/١٥١) ، ١٨٦ ، ٢٧٢  
وج١ ق٢ ، ٣٦٩ ، ٤٠٤ ، ٤٤٤ ، ٤٦٦ ، ٤٩٩ ، ٥٢٩ ، ٥٧٦ ، ٦٩٥  
مخزج الكروب ٢/٧٥ ، ٣/٧٧ ، ٤/٢٢٢  
الطامل ١٠/٦٣ ، ١١/١٣٤ ، ٣١٨ ، ٤٧٠ ، ٥٣٣  
الهاشمي تاريخ ابن الفرات ج٨/١١٤ ، ١١٨ ، الفوائد السلطانية ٢٢  
الساوك ج١ ق٣ ، ٢٦٦ ، الاعتبار : ٣٦ ، ١٢٥  
النكت المصرية ٢٦٩ ، ٣٠٠ ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك ٦٧  
تاريخ ابن القلانسي ٣٤٣ ، الصلح ، الفتح القسي ، (٥١) ، ٧٨ ، ١٠٩ ، ١٧٨ ، ٢٤١ ،  
٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٦٩ ، ٣٠٨ ، ٣٧١

(١) الاعتبار ١٢٥  
(٢) ديوان البوصيري ١٥ ، ١٣١ ، ١٧٣

ويتابع البوصيري حجاجهم فيسأل إن كان المسيح قد قتل حقا ، فمن ذا الذي يدبر الوجود ؟  
يا ليت شمري حين مات بزعمهم  
هل كان هذا الكون دبر نفسه  
من بعده أم أثر التصطيف ؟

والملاحظ أن البوصيري قد استند الى أدلة عقلية وتاريخية ودينية في جدله ومحاوراته . وفي المقابل أتهم الفرنج المسلمين بأنهم وثنيون ، ويلاحظ ذلك من قصة التاجر نور الدين علي ومريم الزنارية (١) ومع ذلك فقد وردت أوصاف لهم بأنهم يستترون بالدين قبل يتلاعبون بالنصرانية ، ومن ذلك ما يورده الميمني عن الملك غردريك بأنه كان دهريا يتلاعب بالنصرانية (٢) ، ويؤكد هذا القول وصف فيشر له بأنه شخصية ملوثة القلب والحيلة ، إذ كان يصطنع المسلم واليهودي وكان يظهر بمظهر الرجل الشرقي ، علما بأنه ألف كتابا أسماه «لادعيا» الثلاثة (٣) ، وقصد بهم الانبياء موسى وعيسى ومحمدا صلوات الله عليهم . ولم يتوقف أدب هذه الفترة الخاص بصراع العقائد عن الوصف المجرد ، بل تعدى ذلك الى السخرية والاستهزاء ، لا سيما بعد ان توالى الهزائم على الفرنج ، كما وصفهم الادباء بالحمق والكذب في تعاملهم مع الناس في شؤون العقيدة ، وقد عقب ابن واصل على اعتقادهم بنزول النور من السماء بقوله " ولقد كذبوا وافتروا ، وإنما هو تدليس وتلبيس من بطركهم ، يخفي به ضعاف العقول ، ويستدرجهم الى ضلالتهم وغمهم " (٤) ، ومن هذا القبيل تعليل العماد لاستجابتهم للرهبان والقساوسة الذين يحملون صورة قيسر المسيح عليه فارس عربي يقول " وللصور عمل في قلوبهم ، فانها أصل دينهم (٥) . على أن النظرة الى معتقداتهم تبرز بشكل واضح حين تقارن مع العقيدة الاسلامية ، وعندما ما حرض عليه الادباء في شمريهم ونشرهم ، فقد علل العماد سبب فنائيتهم ومشاغبتهم بأن الشيطان تولاهم " فلا ينزع الحديد لوضوء ولا مسح ، وأستشعروا لبوس البوس ، فاسم يلبسوا وجها الا مزروود الشفاء على القلوب بلا بشر ولا فرج . . . قد نزع الله الرقة من قلوبهم ونقلها الى غروصهم (٦) .

- (١) ألف ليلة وليلة ج ٦ ، ص ٢٣٣ ، والقصة في ج ٦ / ١٩٩ - ٢٥٣ ، ج ٧ ص ١٥٣  
(٢) عقد الجمان ج ١٨ ق ١ ورقة ٨٣ (٣) فيشر ، تاريخ أوروبا ج ١ ص ٢٥٠  
(٤) مفتي الكروب ٢ / ٢٣١ ، ص ٢١١  
\* لمزيد من الامثلة أنظر الخريدة ( شعراء مصر ) ٢ / ١٧١ ، ديوان ابن سناء الطلك ٢٥  
الكامل ١١ / ٤٤٧ ، ١٢ / ٣٣٠ ، الروضتين ٢ / ٧٢ ، ٣٥ / ١٠٣ ، ١١ / ١١٦ ، ١٣٢  
١٣٧ ، ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٧٢ ، ١٩٤ ، ج ١ ق ١ / ١٤١ ، ١٩٢ ، ٢٠٦ ، ٢٢٩ ، الفتح  
٤٣٧١ ، ٤٤٠٥ ، ٥٨٠٠ ، مفتي الكروب ٤ / ٩٧  
(٥) الروضتين ٢ / ١٦٠  
(٦) الفتح القسي ٥١

ومن المقارنات بين العقيدتين قول العماد في بشرى الى ديوان العزيز بن سداد  
 " فالحمد لله الذي أعاد القدس الى القدس ، وأعادته من الرجس ، وحقق من غنحه ما كان غني  
 النفر ، وبدل وحشة الكفر نعمة من الاساسم بالاندر ، وجعل نزيومه طاحياً ذل أمسه ، وأسكنه  
 القتها والعلم بمد الجهاد والفضائل ٠٠ ( ١ ) \* . ومن ضلالهم وجهلهم اتخاذ المسجد  
 الاقصى أسبلاً للخنازير ، وماوى للخنا والقذارة ، يقول العماد في ذلك " وكان الاقصى  
 لا سيط محرابه مشغولاً بالخنازير والخنا ، مملواً بما أحدثوا من البناء ( ٢ ) ، في حين إنه  
 لم ينقل عن المسلمين أعمال مقابلة بالنسبة الى أماكن المسيحيين المقدسة بعد أن استمسكوا  
 القدس ، فلا قرابة أذن في أن يصنف الأدباء العرب الفرنج بالأم الطاغية ، وأن يتيسر  
 علاقات مشابهة كثيرة بينهم وبين الأم الطاغية القديمة ، مثل قوم فرعون وقوم ثمود ، وقد جاءت  
 المقارنة بين الفرنج وهذا الام من ناحية الطغيان والتعدى على الآخرين ، وعدم الاتصاف  
 بما سبق من أحوال الطغيين ، وكذلك في النتيجة ، فكما أن أتباع فرعون وثمود كانوا  
 نتيجة تمدنهم القدامى فان الفرنج كانت نتيجة أعطاهم الدمار ، وكما أن نتيجة الانبياء النبوة  
 نتيجة أعمال القادة المسلمين مثل نور الدين وصالح الدين وغيرهما هي النصر أيضاً .

ومن أمثلة تشبيههم بفرعون قول ابن دنيير ، وقد أنتصر المسلمون في ديباطة :

فرعون كفرهم طغى فأتاهم  
 موسى لأفراة ، ببحر بنسود ( ٣ ) \*  
 وقول ست الفخر بخنية الأهرام ، تمدحه وتذكر كسرة الفرنج :  
 ولما طغى فرعون مكا وتومس  
 أتى نحوهم موسى وفي يده العصا

( ٦ ) الروضتين ٩٦/١

( ١ ) الروضتين ٩٧/١

- \* لمزيد من الأمثلة أنظر : ديوان ابن دنيير : ورقه ١٠ ، ١١ ، ٤٠ ، ٤١ ، ديوان  
 ظافر الحداد ص ٣٦ ، ديوان ابن الخياط ٧٥٩ ، ديوان عثمان الشافري ١٤٣ ، ١٤٧ ،  
 ١٥١ ، ديوان ابن عثيمين ٦١ ، الخريدة ( قسم الشام ١٥٥/١ ) ١٨٧ ، ٤٢٢ ،  
 الفتح القسي : ٥١ ، ٩٦ ، ١٠٨ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، قسم شعسراء  
 دمشق ٥٩/١٩ ، قسم مصر ١٠٦ ، الروضتين ١٠٠/١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١١ ،  
 عند الجمان ج ٢١ ، ق ١ ورقه ١١٦ ، الذيل على الروضتين ١٢٩ ، ١٣٠ ،  
 الروضتين ج ١ ق ١ ، ١٥٤ ، ج ١ ق ٢ ، ٧٠٣ ، تاريخ ابن الفرات مج ٤ ج ١ ص ٦٣٩ ،  
 ديوان ابن دنيير ورقه ٢٠ ( ٣ )  
 مطن الكروب ١٠٥/٤ - المقرئ ، السلوك لمصرقة دول الملوك ج ١ ق ١ ص ١٠٩ ( ٤ )



هنا نلاحظ عذقة مشابهة أخرى وهي الكبان . فالمصروف أن فرعون هو حاكم مصر الذي يسمى على توبه وأعلمهم . وحارب نبي الله موسى عليه السلام . فجعله الله عبرة للناس ، إذ أغرقه وتوصفه ثم قذفه البحر وحده .

وتشير الأبيات السابقة الى هذا المعنى تقريبا ، فقد سخن الفرنج من عكا الى دمياط وقاتلوا المسلمين وحوالوا المساجد كنائس ، ثم عرض عليهم الكامل تنازلات كثيرة فأبى فرعونهم فمسم تبول تلك التنازلات فكانت نتيجة المهزيمة الساحقة .

وهناك عذقة أخرى وهي التشابه في الاسماء ، فالمنتصر زمن فرعون هو النبي موسى عليه السلام ، والمنتصر زمن فرعون عكا هو الملك الأشرف موسى ، ولعل هذا التشابه سوغ للشعراء المصريين ذكر كلمة فرعون ، في حين لم أجد في شعر الشام من يشير الى فرعون ، وإنما شبهوا الفرنج بشود ، وشبهوا قائدهم بالرجل الذي عقر الناقة ، ومن ذلك قول ابن زمير في مدح نور الدين بعد انتصاره على جوسلين :

ما زلت نتم وهو يكفر عاتيسا  
حتى أتاح لقوبه ما جيسره  
والله يهدم ما بنى الكفيسار  
لشود من عقر الفصيل قسدار ( ١ )

وبعد أن وصف الادباء الفرنج بالشرك والكفر وشبهوهم بالأمم الطاغية ، بيتوا جزءا منهم في الأثرة ، فهم مطرودون من رحمة الله ، مستحقون لعذابه ، ويصفهم العطاء بأنهم ماضين ، يقول : " وهو لا " - يشير الى الفرنج الذين احتلوا عكا سنة ٥٨٧ ثم ساروا الى القدس -  
الطائعين قد أخذوا لقصده ، وأعدوا لورود ورده ( ٢ ) واللمعة تعني الخرد من رحمة الله ، والصدور من رحمة الله مصيرها النار . وقد تحدث الشعراء والكتاب عن مصير الفرنج الى النار ، ومن ذلك قول العطاء فيط فضله نور الدين بالفرنج :

وما كنت بالنيران أرى أهلها  
فتسجلوا الاحراق بالنسيان ( ٣ )

ورد في شعر ابن منير تشبيه نور الدين بموسى عليه السلام ، وذلك في معرض مدحه

سنة ٥٤٧ حيث فتح انطربوس ، يقول :

ان الالى أمنوا وقاعك بعدها  
الى الحضا فيمن أذاع وين عصى  
لا يلهمهم ان قد مننت وشمها  
فالمقصود هنا القاء موسى عصاه على حيات السحرة ، ودلالة ذلك ان الفرنج على باطل كما ان السحرة على باطل ويشتركون في المهزيمة ( الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢١٧ ) .

- ( ١ ) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٦٠ / ١٦١
- ( ٢ ) لمزيد من الأمثلة أنظر الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٨٦ و ٢١٧ ج ٢ ص ١١٦ / ١١٧ ، الخريدة ٤٩
- ( ٣ ) الفتح القمي ٥٧٨ وأنظر أيضا ص ٣٩٠ و ٥٦٨
- ( ٤ ) الخريدة ( شعراء الشام ) ٥٩

وتوله أيضا في وصف ملك الالمان " فانه عام في الماء البارد ، وتورط منه في اصعب الموارد ، وخرج وبقي مريضا الى ان خرج من ثوب البقاء ، وتحول الى ثناء الفناء ، وتلقاه طالك بالزمانية ، وحملوه الى ناز اللطالخانية (١) . ويقول في ابنة " وأدراك اياه في الدرك الأسفل من النار ، وأبستر في جهنم مصاير أمثاله من الكفار (٢) " .

وفيه أيضا قول عاد الدين علي بن القاضي محي الدين الزكي في فتح صفد سنة ٦٦٤ هـ على يد الظاهر بيبرس " وواناها والمصن وقد تزعمت أركانها ، والكفر قد أنهدم بنيانه ، وشمر عن ساق الهزيمة شيطانه . . . والمجانبة تزور حماهم ، وتلك الزيارة لشقائهم ، وتدمر بحجارتها عليهم تدويرا ، وترهبهم من بأسها يوما عبوسا تمطيرا ، وتصير بهم الى الهلاك ، وتعد شمس جهنم سماء مصيرا (٣) " .

كما وصفوهم بالرجس لأنهم مشركون ، والمشارك نجس ، كما جاء في قوله تعالى :  
 " إنما المشركون نجس " (٤) .

وتد جاءت هذه الصفة في الشعر والنثر \* ومن ذلك ما وجدنا مكتوبا على مضادة مصراب في مسجد بعد فتح الرضا :

أصبحت صفرا من بني الأفسر  
 دان بن البصر حال بسنة  
 ملهم الرحب على أنسني  
 اشتال بالاعلام والمنيسر  
 ناء عن الفحشاء والمنكسر  
 لولا جمال الدين لم أطمهر (٥)

وجمال الدين هذا هو رئيس عمران ، وقد حدثنا عماد الدين زكي على فتح الرضا وتم له ذلك سنة ٥٢٩ هـ ووفيه أيضا وصف ابن جبير لعكا بأنها " تستمر كثيرا ولخيانا ، وتغور شنازير وسلبانا ، زنة قدرة ، ملوكة تكلمها رجسا وغدرة " (٦) .

ومثلك ذلك وصف العماد للفرنج القادمين من أوروبا عن طريق البحر . . . وألقى على تياره بصدا البلس ، وحملوا على البحر أوزار النجس ، وتبا لهم وتسا ، لأنهم زادوا على رجسهم رجسا " (٧) .

(١) الفتح العشي ٤٩٠ هـ (٢) الفتح العشي ٤٦ هـ

(٣) ابن جبير ، رحلة ٢٧٦ (٤) سورة التوبة ٢٨٠

\* المزيد من الامثلة انظر تاريخ ابن الوردي ١٧/٦٠ ، الفاضل من كلثم القاضي الفاضل مخلد ورثة ٢٦ - صبح الأعشى ٢٦/٧ - الفتح العشي ٥١ ، ١٥٤ هـ ، ٢٦٠ هـ ، ٤٠٣ هـ

٤٦٠ هـ ، ٥٠٠ هـ ، ٥٨٩ هـ ، ٦٠٨ هـ - الروضتين ٨٧/١ - نهاية الارب ١٥١/٥ ومن ان جهنم مصير الكفار والمشركين كما جاء في آيات كثيرة ومنها " إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين هم في نار جهنم خالدون فيها " إلا أنهم دعوا الله أن يجعل عظامهم وقودا لها ، يقول القاضي الفاضل " وكان الكفر مقسودا والاسلام مولودا وجعل الله ضلوع الكافرين لنار جهنم وقودا " . صبح الأعشى ٢٦/٦

(٥) زبدة الحلب ج ٢ / ٢٧٥ (٦) رحلة ابن جبير ٢٧٦

(٧) الفتح العشي ٢٩٨ هـ وأنظر ٥٨٠

من أجل ذلك طالب الادباء بتطهير المناطق من رجس المحتلين ، منذ أن بدأت ردة الفتح  
الاسلامية ، يقول ابن منير محرراً نور الدين على تطهير القدس :

آثارهم نجسها ذآل المسجد الأ. (م) قصى فضمن ما دنسوه وطهروا

وقال الحافظ ابن عساكر مهتماً نور الدين سنة ٥٦٤ وحرراً أيامه على فتح القدس :

تطهير المسجد الأقصى وحوزته من النجاسات والاشراك والصلب (١)

وقد رأى بعض المشركين أن تطهير القدس من رجس الفسقة لا يكون الا بدماء الاعداء أنعمهم  
يقول الخطيب :

فسروا فتح القدس وأمسك بسببه دماء متى تجرنا ينظف (٢)

ويعد أن تم ذلك فعلاً تنفس المسلمون الصعداء ، وكأنه حلم تحقق ، يقول الشريف النصابي  
الجواني :

أثرى منا ما بعيني أبصر القدر يشق والفرجة تكسر  
وقدامة تمت من الرجس السذي بزواله وزوالها يتطهر (٤)

ويقول القاضي الفاضل " وأضحت الارض لتدسه الظاهرة ، وكانت الظلمة والرب المسموم  
الواحد ، وكان الثالث (٥) ، ويقول ابن الفقيه في مدح صلاح الدين :

ظمرت بيت القدس من رجسهم وكان مأوى للشنازيم (٦)

وفي فتح دمياط يقول ابن عنين ما دعا الحظ عيسى :

وطهرها من رجسهم بحسابهم همام يرى كسب الثنا المضمناً الاسنى (٧)

ولما أخذ الملك الناصر داود القدس من الفرنج قال ابن مطروح : وناصر طهره أولاً (٨)

وفي طرد آخر جندي صليبي من عكا قال شمس الدين القزويني : منهم ترى التطهير الا بالسيوف (٩)

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ١٩٦٥ ١ وانظر ج ١ ق ١ ١٥٢ ١ ١٥٣ ١ ١٥٤ ١

(٢) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٠٥ ، الخريدة / تسم مشرك الشام ٢٢٧ / ١ ولزيد من الامثلة

أنظر الروضتين ج ١ ق ١ ص ٤٤٤ ٤٥٢ ٤ ديوان فتيان الشاغوري ١٤١ مثنى الكروب ٢ / ٢٢٧

(٣) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٩١ (٤) مثنى الكروب ٢ / ٢٢٧

(٥) سبع الاعشى ٤٤٩ / ٦

(٦) تاريخ ابن الفرات ج ٥ ص ١٢٥٥١ مثنى الكروب ٢ / ٢١٧ وانظر ديوان ابن النبه ٦٦

(٧) ديوان ابن عنين ٣١

(٨) ديوان ابن مطروح ٤٨ (٩) جواهر السلوك ، ورقة ٤٨

لزيد من الامثلة أنظر ديوان ابن سناء الملك ٣٥٨ ٥ ٥٦٧ ٥ جواهر السلوك ٦١

ديوان البهاء زهير ١٢١ ٥ الروضتين ج ٢ ص ٤٩ ٥ ٧٦ ٥ ٨٣ ٥ ٩٤ ٥ ١٠٢ ٥ ١٠٤

١٠٥ ٥ ١٠٦ ٥ ١١٤ ٥ ١١٨ ٥ ١٥٠

القسم الثاني : صراح بين حضارتين :

أدى الاختلاف بين الحضارتين : الاسلامية والاروروبية الى تناقض ظاهر بين السلوكيين الاسلامي والفرنجي ، ومنسلط فيما يلي أضواء الادب العربي في هذه الفترة على المرأة القادمين من أوروبا ، لنرى تصويره لاختلافهم وعقليتهم وسلوكهم .

أما اختلافهم فقد كانت تختلف عن افكار المسلمين في طبيعتها ، لاختلاف الثقافة والتنشئة في كل من المجتمعين ، وما استعرض انظار الادياء المسلمين في هذه الفترة ، المرأة الفرنسية ، باعتبارها عنصرًا مهمًا في حياة المجتمع .

فالمرأة الفرنسية كانت سافرة فاتنة ، بخلاف المرأة المسلمة المثقبة التي تخفي محاسنها إلا ما ظهر منها ، والتي تعتمد عن مواطن الفتنة ، بينما كانت المرأة الفرنسية تبرز محاسنها للرجال سواء أكانوا من قومها أم من غيرهم ، يقول ابن القيسراني ، وقد خالطهم وعرف طباعهم :

فأبرزن المحاسن في الشهور

بنزوة الخدود عن الشهور

ألا ما في البراقع من غرور ( ١ )

سبحن بمن سكنن بيوت شهر

وأبرحن النواظر في وجوه

تركهن الحسن غير مهترعسات

فهو - بخبر النثر عن أعجابه بالفرنجيات يسجل انطلاق المرأة الفرنسية وعدم تحرزها في أظهار محاسنها ، فإن كانت العربية تسكن بيت الشعر ، وتحتجب عن الرجال مثقبة بالبرقع ، فالفرنجية تفتخر بأظهار شعرها وجمال وجهها ، وتخفي الى حيث الرجال ، بل تعتمد أن تخفي اليهم ، دون أن تخفي شيئًا من جمالها ، مما جعل الشاعر يفتن بها ويظهر أعجابه بهذا الجمال ، وحين تبرز الفرنسية الجميلة مسطرة ، يقول ابن القيسراني فيها :

نسيم العبير بها يهب

وفي تلبيها قمر مشرق ( ٢ )

لقد فتنتني فرنجية

ففي ثوبها غصن ناعم

ومثل هذا المعاني وردت في النثر ، ففي حكاية الصعيدي وزوجته الفرنسية ، وصف المترجميات بأن من عادتهن الخروج والمشي في الاسواق بلا نقاب ( ٣ ) ، وأما الصاد فقد أفرد للمرأة الفرنسية فصلاً تحدث فيه عن جوانب متعددة لهما ، ومنها تبرجها ، يقول " وتراشدن على الارضات والارقاد وتلبين على ٠٠٠ من كل ٠٠٠ مثنية مثنجة ، متبرزة متبرجة ، نارية ملتبهة ، مثقفة متخفية ، تافهة شائمة فائقة راقية " ( ٤ ) ، ويقول مهينا لباسها وتأنقها " تسحب غبارتها وتسحر بنسارتها وتنتنن كأنها غصن وتتجلى كأنها حصن ، وتسير كأنها قضيب " ( ٥ )

( ١ ) ديوان ابن القيسراني ، مخط ورقه ٦٦

( ٢ ) ديوان ابن القيسراني ، مخط ورقه ٦٦

( ٣ ) ألف ليلة وليلة ج ٧ ص ٤ وأنظر رحلة ابن جبیر ص ١٧٨

( ٤ ) الفتح القسي ، الباب من ص ٣٤٧ - ٣٤٩ ، والاقتباس من ص ٣٤٧

( ٥ ) الفتح القسي ص ٣٤٧ ، وأنظر الجيوب الصليبية ص ٥٩

وإذا كانت الفتاة الفرنجية تخرج سافرة فائنة من بلاد إلى بلاد دون إذن وأستئذان ، فإن نظام الأسرة سيختل ويهتل ، ويؤذن بالنهاية . . . كما يتضح من حكاية الصعيدي وزوجته الفرنجية ( ١ ) . وإذا كان هذا السلوك غريبا ، فإن الاغرب منه أن تخرج المرأة الفرنجية من بلادها إلى الشرق الاسلامي لتقدم نفسها للفرنج ، ممتقدة أن هذا العمل هو عبادة لله ، يقول العمسـاد " وتسامح أهل عسكرنا بهذه القضية ، وعجبوا كيف تحبوا بترك النخوة والحمية " ( ٢ ) .

وبمثل هذا السلوك ، جعل أسامة بن منقذ ( من قبل ) يحكم أن ليس للفرنج غيرة جنسية ، يقول " يكون الرجل منهم يمشي هو وأمراته ، يلتاقه رجل آخر ، يأخذ المرأة ويستزل بها ويتحدث معها ، والنزوح واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث " ( ٣ ) ، ثم يروي مشاهدات عديدة عن مثل هذا السلوك ( ٤ ) . ولم يكن هذا الوضع إلا الاختلاف أنماط الحياة بين المجتمعين الاسلامي والفرنجي ، وقد كان التحلل في العادات الأسرية في المجتمع الفرنجي من أسباب شياع مملكة الفرنج في الشرق الاسلامي ، وهذا ما قرره أحد الكتاب المحدثين حين قال " أن رذائل المسيحيين ( يقصد الفرنج ) في الأراضي المقدسة لها أثر كبير في شياع مملكتهم في فلسطين إن لم يكن السبب بعينه ( ٥ ) ، وهذا ما لاحظته أبا ن الخروب السليبية نفسها أحد مراقبي الحملة الفرنسية على ديباط وهو جوانفيل في مذكراته عن القديس لوي ، التاسع يقول " أما العامة فراحوا يراقبون النسوة الخليعات حتى لقد حدث بعد عودتنا من الامران عززل الدولة الكثير من رجاله " ( ٦ ) .

ويحشد هذا الرأي ما ذكره أمبرواز ( *Ambroise* ) عن المرأة الفرنجية " ورحن يجرنن أذيال الفجور في تصرفهن الشائق ، ثم يقول " رحمة اللهم ، أمثل هكذا السائح يسترد ميراث الرب " ( ٧ ) .

وأما تصوير الادب لسقليتهم ، فقد أبرز تخلصهم الحضاري عن المسلمين وذلك بالحديث عن سذاجتهم إلى الامور ، أو عن غباهم وحقهم ، أو عن خشونتهم وغلظة سلوكهم .

فمن مظاهر سذاجتهم إحراقهم كنيسة أتخذوها من خيش حين عسكروا على بائيساس ، وغرعوها بالحلثاء والحشيش ، فلما كثرت فيها البراغيت ، فكر الشطار بحرق الخيش ليتخلصوا من البراغيت ، فأرقت السنة المهب ، وعلقت بالهزيمة فتركتها ردا ( ٨ ) .

( ١ ) ألف ليلتوليلة ج ٧ ص ٤

( ٢ ) الفتح التمشي ص ٣٤٨

( ٣ ) الاعتبار ص ١٣٥

( ٤ ) لمزيد من التفاصيل أنظر الاعتبار ص ١٣٦

( ٥ ) أحمد بيلي المصري ، حياة صالح الدين ص ١٦ ،

( ٦ ) جوانفيل ، القديس لوي ، التاسع ص ٦٩ ، وأنظر ٢٤٤

( ٧ ) اندلر زكي النقاش ، الصائقات الاجتماعية ص ١٥٧

( ٨ ) الاعتبار ص ٨٦

ومنها ما حدث مع أسامة حين طلب فرنجي منه أن يأخذ ابنه معه إلى أوروبا ، وهو  
ابن أربع عشرة سنة ، كي يتعلم " العقل والخروسية " ويعقب أسامة على ذلك بقوله " ما يغسج  
(أي ذلك الكلام) من رأس عاقل ، إذ لو أمرنا بلع بالأمر أكثر من أن يذهب إلى بسند  
الفرنج (١) " .

وأما غباؤه فهو حقيقتهم فيتمثلان في تأخر عنهم ، وعدم الاقتناع بطب العرب مع أنه كسار  
يستند على التشخيص والعلاج ، ودليل ذلك ما يذكره أسامة من أن صاحب المنيطرة الفرنجسي  
طلب من صاحب شيزر طبيباً يداوى مرضى من أصحابه ، . . . فما ظاب الطبيب العربي ضد اسم  
غير عشرين يوماً ثم عاد ، فسأله أهلها عن سبب عودته مبكراً ، فقال : " أحضروا فارساً قد طلست  
في رجله دملة ، وأمرأة قد لحقها نشاف ، فصلمت للفارس ، لبيخة ، ففتحت الدملة وصاحست ،  
وختت المرأة ورطب مزاجها . . . " ، ولكن طبييهم الفرنجسي خير صاحب الدملة بين أن يموت  
برجلين أو يشفى على أن تقطع رجله ، ففضل المريض أن يشفى ويعيش برجل واحدة . . . .  
فأحضره وأحضر فارساً وحط ساقه على قربة خشب ، وقال للفارس : أخرب رجله بالفسان ،  
غربة واحدة ، فخرسها فما انقطعت ، فخرسها ثانية فسأل مخ الساق ، ومات من ماخرسه ،  
وأما المرأة فقال : إن في رأسها شيطاناً قد عشقها ، ثم أمر بحلق شعرها ، وسمح لها أن تأكل  
ما تشاء كالثوم والخردل ، فزاد بها المرض ، فأحضر موسى ، وشق رأسها عليها ، وصلاح  
وسطه حتى ظهر عظم الرأس ، وشكّه بالملح ، فماتت في وقتها (٢) .

ويعقب الطبيب العربي على هذا الزيارة بقوله " وقد تعلمت من طبيهم ما لم أكن أعرفه " .  
ومن ذلك ما رواه أسامة عن صاحب طبرية ، أن قسا كبيراً أحضر ليداوى فارساً كبيراً القسندر ،  
فلما رآه طلب سمعا ثم أذابه وصرع منه مثل عقد الإصبع ، ووضعها في جيوب أنفه ، فمسات  
الفارس ، فقال له الحضور ، قد مات ، قال : نعم ، كان يتعذب ، سددت أنفه حتى  
يموت ويستريح (٣) .

وأما خشونتهم وجفاء خلقهم ، فيبدوان في كثير من أعمالهم ، منذ أن دخلوا أرض  
الشام وفعلوا بأهلها ما فعلوه من ذبح وتشريد ، وأنتهاك للحرمات ، وتدنيهم لدور العبادة  
فمن ذلك ما أقدم عليه الفرنج الذين هاجموا حلب سنة ٥١٨ هـ ، إذ نبشوا قبور موتسسي  
المسلمين ، وسلبوهم أكفانهم ، وهدوا إلى البوتى الذين لم تنقطع أوصالهم بمد ، ورسطوساً  
بالحبال وجعلوا يصيحون " هذا نبيكم محمد ، وهذا عليكم " ، وأخذوا مصحفاً من بعض  
المشاهد بظاهر المدينة وقالوا ، وقد جعلوه ثغراً للبرذون : " يا مسلم أبصر كتابكسم " .  
ثم جعلوا يتناحكون (٤) .

(١) الاعتبار ١٢٦

(٢) الاعتبار ١٣٧

(٣) الاعتبار ١٣٧

(٤) زبدة الحلب ٢٢٤/٢ وانظر تاريخ ابن الوردي ٢٥/٢ وابن كثير، البداية والنهاية

١٨٤/١٢

ومن مظاهر خشونتهم وتمسوتهم وسذاجتهم ، تلك الحاكم التي كانت تتكون من عدة أشخاص ، لكن أحدا منهم لم يكن يمتدئ إلى أبسط قواعد القضاء ، إذ اعتدوا في أدانتهم على أشياء لا تمت بصلة إلى التهمة ، ومن ذلك ما حاكوا به متهما بقتل الفرنج نسي القدم ، فأحضروا بشيئة عظيمة وماء وهاطما ، وعرضوا عليها دفنًا خشب وربطوه على شسى الخشبة ورموه في البتية لأبيات الحجر عليه ، فإن كان بريئا ظفر في الماء ، وإلا فلن يغمور فيه ، وقد حاول المتهم أن يغمور في الماء غما قدره ، فوجب عليه حكمهم وفتأوا عينيه ( ١ )

ومن هذا ما لحاكمات تلك المهارزة بين الشيخ المتهم والشاب الحداد ، وقصدت اعتدوا ان الشيخ سينتصر على الشاب إن كان بريئا ، وإلا فسيقتل بجزاءه ، وضرب الصوت ، ومات الشيخ في هذا المهارزة فعلا ( ٢ ) .

وقد سجل الادب هذا السلوك الفظ لا سيما عند الذين خرجوا حديثا من بلادهم كما يقول أسامة " فهم أجنى أخلاقا من الذين قد تبدوا ( صاروا بلديين ) وطا مسروا المسلمين ( ١ ) .

وقد جاء ما يثبت ذلك في تسجيل التاريخ لسلاوكمهم ، ومن ذلك ما جاء في التابل والأندلس الجليل ، وزبدة الحلب ، وذيل تاريخ دمشق ، وزبدة كشف الممالك وغيرها . مسمن الإجمام الدموي في إنطاكية ومصرة النعمان والقدر ، وطا وعسقلان ( ٣ ) .

ويؤكد ذلك أيضا ما رواه مؤرخ مجهول عن أعمال الفرنج في القدس يقول " واشتد سرور رجالنا حتى بكوا من فرحتهم ثم سجدوا أمام قبر مخلصنا يسوع . . . وفي اليوم التالي تسلف رجالنا سطح الهيكل وهجوا على الشرقيين رجالا ونساء ، واستلوا سيوفهم وراحوا يحملون فيهم القتل . . . وطرحت جثثهم أمام الابواب وتعالت أكوامهم حتى حاذت البيسوت ارتفاعا ( ٤ ) " .

كما أكد ذلك بعض المؤرخين الاوروبيين بما اعتدوه من أخبار البوارخين الفرنج أنفسهم ومنهم غوستاف لوبون ، الذي يقول " ويدل سلوك الصليبيين في جميع الممارزة على أنهم من أشد الوحوش حماقة فقد كانوا لا يفرقون بين الحلفاء والاعداء والأهلين المسكزل والمخاريين والنساء والشيوخ والأطفال ( ٥ ) " ثم يستند في حكمه هذا على أقوال المؤرخين المعاصرين للحروب الصليبية مثل الراهب روبرت الذي يقول " كان قوما يجوبون الشوارع والبيادين وسطوح البيوت ليرزوا غليلهم من التثليل ، وذلك كالببوات التي خطفت صفارنا ، وكانوا يذبحون الأولاد والشبان والشيوخ ، ويقطعونهم إربا إربا ، وكانوا لا يستبقون أناسنا ، ويشنون أناسنا كثيرين بحبل واحد بخفية السرعة . . . وكان قوما يقبضون على كل شيء يجدونه غيبثرون بلسون البوتى ليخرجوا منها قطعا ذهبية " ثم يعقب على ذلك بتوله: " نيا للمجرب ويا للخرابة . . . نيا للشرة وحب الذهب ( ٥ ) " .

- ( ١ ) الاعتبار : ١٣٩ ، ١٣٨
- ( ٢ ) الاعتبار ١٣٤
- ( ٣ ) أنظر الكامل ٣٧٣/١٠ ، الأندلس الجليل ٣٠٧/١ ، زبدة كشف الممالك ١٩٠
- ذيل تاريخ دمشق ١٣٧ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ١٣٥/١ تاريخ مختصر لنبول ١١٧
- ( ٤ ) أعمال الفرنجة ١١٩
- ( ٥ ) حضارة العرب ٣٧٥ وانظر ٣٦٧

ولم تبهج هذه الأقوال عما توراه الأديباء العرب في شعرهم ونثرهم ، ونذكر غبط يلمسي  
ما كتبه الملك الأماجد عن أبيه الملك الناصر حين هاجم الفرنج مدينة نابلس " تلت فيها المشايخ  
والشبان ، وسببت الحلائل والصبيان ، وأستولت يد الكفار على ما كان مدخرا من الأموال والحلال  
وما جمعه المسلمون لأزمتهم في المنين الطوال " ( ١ ) .

وسا يرتبط بذلك معاملة الأسرى من المسلمين ، والسكان الذين كانوا يقصون تحت قهر  
الاحتلال ، وقد لاحظ هذه المعاملة المشهنة ابن جبير في رحلته وهو في عكا ، يقول :  
" ومن الفجائع التي يمانئها من حلق بلادهم ، أسرى المسلمين يرسفون في القيود ، ويصرخون  
في الخدعة الشاقة تصريف المبيد ، والأسيرات المسلمات كذلك ، في أسواقهم غلام خيسل  
الحديد " ( ٢ ) .

ويوضح الأدب جانبا آخر من هذه الفجائع التي يمانئها الأسير ، وهو ان الفرنج يتيدون  
الأسير ثم يردونه في غياهب السجون التي تكون إما منارة أو جببا عيقا ، فهذا أسامة ابن مقصد  
يستمدح ابن عمه الأمير تاج الدولة ليفدي ابن عمه أسامة ، فيبين تلك الحالة المهينة المستي  
يحيشها في الأسر ، يقول :

هذا ابن عمك في أسر الفرنج لسه  
حول تهرم في الاغلال والظلم

وتد تفنن الفرنج في ايقاع العذاب بالأسرى ، ومن ذلك ما يذكره أسامة بن مقصد عن أحد الأسرى  
المسلمين يقول " وعذبوه أنواع العذاب ، وأرادوا قلع عينه اليسرى ، فقال لهم دنكروا لعنة الله  
اتلمعوا عينه اليمنى ، حتى إذا حمل الترس ، استقرت عينه اليسار ، فلا يبقى يبصر شيئا ،  
فقلعوها " ( ٤ ) .

ومن أنواع التعذيب عندهم ما فعلوه مع ابن والي الطور الذي خرج للصيد حيث حبسوه  
في جب وحده ، وظالبوه بالقي دینار غدية ، دون أن يسمحوا له بالاتصال مع أحد حتى مر عليه  
طام كامل ، يقول " غانا في بعض الأيام في البب ، وإذا قد رفع عنه ( الجب ) القطاء ، ودلني  
التي رجل بدوي ، فقلت من أين أخذوك ، قال : من الطريق ، علما بان للمسلمين والتجار حقا  
متمارفا عليه آنذاك ، ومع ذلك ، أسر البدوي مع ابن والي الطور ، وقد طلب الاسحر من الفرنج ان  
يخلوا سبيل البدوي ليخبر أهله فيدفعوا ثدية للفرنج " ( ٥ )

هذا وقد تميزت معاملة الأسرى المشاركة بشدة أكثر من أسرى المشاركة لانهم تركوا أوطانهم  
وجاءوا يحاربون مع المسلمين في الشرق كما يبين ذلك ابن جبير ( ٦ ) .

وأما معاملة السكان المسلمين ، فقد تمثلت بها الشدة والإهانة ، ويقول ابن جبير عن  
معاملة الفرنج لأهل عكا " إن المسلمين يمانون أموالا ومثقات منها الذلة والسكنة ، وبئسها  
سطح ما يفجع الأئمة من ذكر من قدس الله ذكره ، وأعلن شطره ، لا سيما من أراد لهم وأمانتهم  
وبئسها عدم النظارة ، والتصرف بين الخنازير " ( ٦ ) .

( ١ ) الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية ورتة ٩٥

( ٢ ) رحلة ابن جبير ٢٨٠ ( ٣ ) ديوان أسامة بن مقصد ١٤٩

( ٤ ) الاعتبار ٦٦ ( ٥ ) الاعتبار ٨٠ ، ٨١

( ٦ ) رحلة ابن جبير ٢٨٠ ، ٢٧٤



ويتضح الفرق في المعاملة ، حين نقف على معاملة المسلمين للفرنح سواء الأمر منهم أو السكان في المدن التي استعبدت ، ولا يسع المرء حين يرى سلوك المسلمين وتفرغهم عن القتل أو التار ، أو ضياعهم لأنفسهم في جو نشوة النصر ، إلا أن يصحب بمساكنهم ، ويتبدي هذا الأمر في كثير من المواقف ، منها يوم فتح الرها ، إذ أمر زكي الصاكر برد ما ضحوه من أمتعة ومن وقع في أيديهم من نساء وأطفال ، فردرها عن آخرها ( ١ ) ، ومنها يوم تقسيم القدس ، إذ أضحهم صالح الدين على أنفسهم ، وغيرهم بين الإقامة والقتل ( ٢ ) ، أما معاملة المسلمين للأمرى ، فقد كانت تدل على رقي حضاري ، فأبن شداد يذكر أن مجموعة من النمرسان المسلمين أمرت بمجموعة من الفرنج ، وكان منهم مقدم المعسكر ، فمثل عليه صالح الدين فرة خاصة ، وأمر لكل واحد من الباقين بفرقة خرجية ، لأن البرد كان شديدا ، وأحضر لهم طعاما أكلوه ، وأمر لهم بخيعة نصبت قريبا من خيمته ٠٠٠ ، وأن لهم ان يرأسوا أصحابهم ، وأن يحضروا لهم من عسكرهم ما يحتاجون إليه ( ٣ ) .

ومن هذه المعاملة ، معاملة أسير فرنجي طاعن في السن لهيب في فمه ضمير ، . . . فرق له السلطان وأطلقه إلى معسكره ( ٤ ) .

وقد شعر الفرنج أنفسهم بهذه المعاملة ، ناسئا من خلق عظيم منهم بسبب البوح زمن حصار عكا ، فأمنهم وأعانهم ، كما شعروا برحمة صالح الدين ، فنسخوا المرأة التي فقدت أبنيتها ، إن ذهب إليه في معسكر المسلمين ، فرق لها وأمر برد أبنيتها وعيناه ندمان ( ٥ ) ، وشقب ابن شداد على القصة بقوله " فأنظر إلى شهادة الأعداء له بالبرقة والكرم والرافة والرحمة " .

ومليحة شهدت لها خبراتهم  
والحسن ليه، الخقه ناكس ( ٤ )  
هذا الفرق الواضح بين المعاملة الانسانية والمعاملة الوحشية لم يكن خافيا على الفرنج ، كما أسلفنا ، ولم يكن أيضا خافيا على المسلمين ولا على أدباء المسلمين ، يقول الشاعر ابن عنين :  
لَقُوا الموت من رزق الأئمة أحسرا  
وما برح الاحسان ظا سجيصة  
فألقوا بأيديهم إلينا فأحسننا  
نورنها عن صيد آباؤنا الأبنسنا

- ( ١ ) الكامل ١٠ / ١٩ ، النجوم الزاهرة ٤ سنة ٥٣٩  
( ٢ ) الكامل ١١ / ٥٣٩ ، وأنظر ١١ / ٥٥٠ - ٥٥١  
( ٣ ) ابن شداد ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٥٤ ، ٣٩ على الترتيب  
ورد في النوادر ص ١٥٩ أن المقطوع نقل ذكر بينما ورد في صفحة ٣١ منه أنهم  
طفله بنت )  
( ٤ ) النوادر ١٥٩ ، ١٥٦

منحنا بقاياهم حياة جديدة ولو ملكوا لم ياتوا في دماننا

فماشوا بأعناق مقلدة مـ ولوظ ، ولكننا ملكنا ناسجـ (١)

هذا وقد لجأ الفرنج الى المكر والقدر ليشفوا غليلهم بن الدماء البريئة ، ويرووا حقدتهم بالسدم الصفوح ، ولهذا أكثر الادباء عن التحدث عن غدر الفرنج ، وبينوا أنهم مغلوبون عليه ، قال الامير نجم الدين محمود بن الحسن بن نيهان السراقى ، غر انتصار صلاح الدين سنة ٥٢٥ و تحطيم حصن بيت الاحزان :

فلا ترضى منهم بعدها بذل طاعة فما خلقتوا الا على شيمة الفسـ (٢)

وقال ابن منير في مدح نور الدين سنة ٥٤٧ ، حين فتح انطرطوس و هزم جوسلين : ما زال يقد رثم يقد رتـ ادا را حتى اتاه بجراح اصحابـ (٣)

وقد لاحظ السواد ذلك بقوله " . . . فان القدر في طباعهم مركز ، والسوء في غرائزهم مشروز " (٤) ، ووصفهم بانهم اناس لا يقون بمشهدتهم ولا يبيرون بوعدهم .

وحين حاول صلاح الدين اقتحام القدر ، و لا يقتل الأسرى ، وكان الصرف يقضى بالمحافظة على الأسير ، فأضطر صلاح الدين الى الدخول في مفاوضات معهم انتهت بتسليم المدينة ، وخروجهم منها ، وفي هذا الوقت يقول السواد " وعرف أن جهلهم يحملهم على كمل فكر شنيع ، وأنهم تدعوهم فظا ظقتهم الى كل أمر فظين (٥) " ، كما يتحدث عن أعمالهم في موضع (٤) آخر فيقول " غر وعوا يقتل أسارى المسلمين وهم الالوف ، وعرفنا أنهم لا يقصرون في الشرعان جهلهم مشروز " .

ولم تكن ملاحظات السواد هذه من باب التزيد ، وتعتليم الصفائر ، ان ان الحديث عن غدرهم حديث متواتر ، و دده كتاب المسلمين و مشرارة هم على السواء ، من ذلك قول طلائع بن رشيد نقولوا لنور الدين : ايـ لجاؤا الجراحات الا الكبي في الطبـ والبـ نابل فكم شرط شرطت عليهم قديما وكم غدر به نقض الشـ شرط (٦) وتول السواد في ملك الالمان " ولما وصل الى بلاد الارمن غدر بالارمن وساقهم محمولين مع الالمان (٧) ، وفي حصار عكا سنة ٥٨٦ ، ضعفت البلد ، وخرن أهلها للتفاوض مع الفرنج فأبوهم ، ولكنهم حين تسلموها لم يلتزموا بما تعبدوا به من شروط ، بل اختلطوا عليهم وعلسى أموالهم وحبسوا في المعتقالات ، ولم يكتفوا بذلك الغدر وإنما أوثقوا أسرى المسلمين بالسيان وتلوهم بأجمعهم (٨) .

- (١) ديوان ابن عنين ، ٣٠ - ٣١
- (٢) الروضتين ١٢/١
- (٣) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢١٩
- (٤) الفتح القسي ٦٠٨
- (٥) الروضتين ١٢/٢ ، ٩٧ ، ٩٨
- (٦) ديوان اسامة بن منقذ ١٧٧
- (٧) الفتح القسي ٣٩٠
- (٨) الروضتين ١٨٨/٢

وقد غدر الفرنج بالمصريين في بلبيس وديهاطه وتكرر هذا الغدر مرات ومرات \* مما أوحى السور  
أذهان الشعراء تشبيههم بالذئاب لا سيما في شعر ابن القيسراني \* فمن ذلك قوله مخاطباً  
عباد الدين زنكي :

فلا تخفلن بصول الذئب سباب وقد زار الأسد الهامس سلسل ( ١ )  
ويقول في جوسلين أحد أمراءهم :

أخو الليث لولا غدره نزلت بس سبسه إلى الذئب \* إن الذئب عيتمه الغدر ( ٢ )  
وهناك فرق بين الغدر والخدعة \* إذ إن الأول نكت بالسهو \* وفي هذا المعنى يقول الصمد  
في وصف الحال بعد موت صالح الدين \* وقد استمرت الحال إلى الآن على الهدنة \* وهم لا  
يؤمنون إذا أحسوا بالكنة ( ٣ ) \* .

ويقول أسامة بن منقذ في وصف جوسلين :  
دعته إلى نكت اليمين وقسم سدره

بذمته الغدر والخسيسة والمكسر ( ٤ )  
وأما الخدعة فهي طغاة العدو دون أن يكون عهد بين الطرفين \* ولذلك فقد امتدح الأمام  
الخدعة الخيرية \* بل جعل ثواب الحرب الخدعة \* كما جاء في قول الرسول صلى الله عليه وسلم  
\* الحرب خدعة \* .

هذا وقد امتدح الأدب تخطيط الفرنج الحربي وأمثلة ذلك كثيرة \* \* وأما الغدر فهو  
بذموم ينحرف بصاحبه إلى الخيانة والكذب والنفاق كما ذكر الشعراء \* ومنهم أسامة بن منقذ الغدر  
رد على طلائع بن رزيق على لسان نور الدين زنكي بقوله :

ونحن كسرنا \* البغددين \* وما لمن  
فسله اللعين الخائن الخائن الذي  
وقد شافت الدنيا عليه برحبهم سبا  
أفي غدره بالخيل بعد يحيى سبسه  
دعته إلى نكت اليمين وقسم سدره  
كسرناه أباك يرجى ولا بجيب  
له الغدر دين : ما به فتح الشمر  
علم يشبه بره ولم يحمه بحسب سبر  
بأنجيله بين الأنام له عسدر  
بذمته \* الغدر الخسيسة والمكسر ( ٤ )

\* أنظر الروضتين ج ١ ق ١ : ١٥٣-١٧٦-١٩٠-٢١٧ \* الروضتين ج ٢ : ١٠٦-١٨٨  
١٨٩-٢٠٥ \* الذيل على الروضتين ١١٧ \* النوادر السلطانية ٣٨ ١٢٤ \* الاعتبار  
٣٥٣٤-٢٦-٨١ \* ديوان أسامة : ١٧٩-١٨٠-١٨١-١٨٢-١٨٧-١٩٤-١٩٩  
وأنظر ابن الأثير ١٠/٣٧٢ \* الكامل ١١/٣٧٢-٤٦٦-٤٩٠-٥١٨ \* الكامل ١١-  
٦٧-٦٨ \* ابن القائسي ١٣٦ وأنظر الف ليلة وليلة ج ٦ + ج ٧ حكاية نور الدين علي  
ومريم الزنارية .

( ١ ) الخريدة \* قسم الشام ١٠٨/١

( ٢ ) الروضتين ج ١ ق ١ ١٨٦٥ وأنظر ٦٨/١ وأنظر ١٠٦/٢

( ٣ ) الفتح ٦٠٨ ( ٤ ) ديوان أسامة ٢٠٣

\* أنظر لمزيد من الامثلة الاعتبار ٦٤ \* الفوائد البغلية في الفوائد الناصرية ورقة ١١

وأنظر نقد الجمان ج ٢ ق ١ ورقة ١٩٩ \* الكامل ١٠/٤٦٠ \* ١١/١٥٤ \* ٥٥٥



بالروح مما تد جنت غد راتسسه  
تفان قت بملها قذ فاسسه

وصى البرنبروقد تبرنر ذلسسة  
وطأت أطراف السنايك دامسه

ويقول الصادق في مدح نور الدين وقد هزم الفرنج في حوران سنة ٥٦٨ :

وترنت رأس برنبروقد بسنسسان  
بالذل في الاتياد والاسجسان  
وكبيبتهم شونا على الافقسسان (١)

تجنت قومهم رداً ممن ردى  
وملكت رى ملوكهم وتركتهم  
وجعلت في أعناقهم اغلالهم

ثم سخر منهم ، ويبين ان ظنهم قد باء بالفشل لانهم واجهوا قائداً متيقظاً (١) ، يقول :

في حيرة واتوا الى حوران  
فأعدتهم بالفتوى والخسسان  
للمرعب بالاشفاق والمخسسان  
لما صرعت بمواضع البرهسان  
والرأى قبل شجاعا لشجعسان  
وضربت منهم قوة، كل بنسسان \*

يا خيبة الاغرنج حين تجممسوا  
جاءوا وظنهم يبعجل ربحهم  
وظنوسهم وتلوسهم قد أيقنست  
وجلوت نور الدين طلحة كثرهم  
وعزمتهم بالرأى، تبل لقاتهم  
راحوأ ثباتوا تحت كل مذلسسة



ومن المعالم التي سجلها الادب عن الصليبيين طرائق تحريضهم للقتال ، وثالها ما يكون ذلك في وقت الملمات ، كستوط مدينة ، أو التوسر ، لهزيمة ساحقة ، ويمكن حصر طرق التحريض عندهم بأربع طرق .

١. الصور : فقد رسموا صورة القديس ورتة عظيمة ، وأظهروا فيها صورة القيامة وتيسر المسيح بزعمهم ، وعوروا نارسا مسلما يدأ قبر المسيح بفرسه وقد بال الفروسى التيسر (١) كما صوروا المسيح عليه السلام ، وبصلوا منه صورة عربي يشربه بالخصا ، والدباء تنزاً منه (٢) وقد كان لهذا الصور أثر بالغ في نفوس الفرنج لان الصور مرتبطة بدينهم ، ويبين ابن سداد انه هاج لذلك خلائق لانحصى ، وأرسلوا الامدادات المتواليه الى عكا (٣) .

٢. الرومى والاجلام : وكان لها أثر في نفوسهم ، كما حصل خلال محاصرتهم انطاكية بعد أن أشرفوا على المهالك المحقق جوعاً وفتناً بسبب حصار المسلمين لهم ، كما كان لهم أثرها في تسيير الحملة الاولى ، فعن المصروفان بطرس الناسك كان طاملاً أساسياً في تحريضك الفرنج ، وكان هذا العمل من بطرس ، بناء على رؤيا أدهى أنه سيجعل خلالها صوتاً ساريسا

- (١) الخريدة ، شعراء دمشق والشعراء الامراء بن بني أيوب ص ٥٥
- \* لمزيد من الأمثلة أنظر الروضتين ص ١١١ و ١٠٦ و ٧٥٥ و ٧٧٢ و ٨٨ و ٩٨ و ٩٩
- ١٥٤ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٨٦ و ١٨٨ و ١٨٩ و الكامل ١٦ / ٢٣٠ و رسائل ابن الاثير ١٥٤
- (٢) النوادر السلطانية ١٧٦ و الروضتين ١٦٠ / ١٦٠ و مغز الكروب ٣٣٦ / ١
- (٣) مغز الكروب ٨٨ / ٢ و الكامل ١٧ / ٣٦
- (٤) النوادر السلطانية ١٧٦

يخطابه بقوله " انهض يا بطرس واسرع منذرا عن شقاء شعبي ، فقد آن الحين الذي نوسسه  
خدائي يحصلون على الاماكن المقدسة ( ١ ) .

واما اثرها في معركة أنطاكية سنة ٤٩١ م ، فقد ادعى بعضهم انه رأى كتيبة من السماء  
وعليها هالات قدسية من النور تقدمت صفوفهم ، وتسلقت السلاالم والاسوار الصخيلة بعد ينسمة  
أنطاكية ورمت المسلمين ( ٢ ) .

ولئن كان لهذا الروءيا المدعاة اثر في تقوية معنويات الجند ، فإن الحرية المقدسة  
التي ادعاها أحد الرهبان ، كان لها هي الاخرى أثر كبير في تحقيق النصر لهم يومئذ ،  
وقد ثبتها أن راهبا داهية مطلقا رأى حصار المسلمين الشديد لأنطاكية ، وطئج عنه من استعداد  
الاقوات وتحطم قوتهم المعنوية ، فلبثا الى حيلة دينية ، إذ بشرهم بأن المسيح لن يتشكك عنهم  
ان وجدوا الحرية المقدسة المدفونة بالقيسان ( وهو بناء ديني عظيم ) ، ثم أمرهم أن يتوسلوا  
ويكون بذل لتقد جعل الجوع الذي يتضورون منه صوط يؤجرون عليه ، بينما قام بعضهم بالبحث عن  
الحرية ، فوجدوها فعلا ، لانه كان قد دفن خربة صدقة في المبنى المذكور ( ٣ ) وتصادف أنه في  
هذا الوقت ، دب النزاع بين الفرق الاسلامية ، التي تواجدت للقتال ، بينما قام الفرنج بهجوم  
ياضرا انتصروا فيه على المسلمين .

٢٠٢ قرارات الحرمان وعكوك الفران : وقد لبثا اليها البابا في روما بعد سقوط القديس  
كل المدادات التي تقدمها أوروبا للمحافظة على ممتلكات الصليبيين ، وقد تصد البابا بيمسئذ  
القرارات أمرين : الأول أخذ الأموال لتمويل الجيش الصليبي والثاني ، دعم الجيش الصليبي  
بالمقاتلين ، يقول القاضي الفاضل : " وقد حرم باباؤهم كل مباح ، وأستخرج منهم كل مذخور  
وأغلك دونهم الفئاض ، ولبسوا والبسهم السداد ، وحكم عليهم أن لا يزالوا كذلك ، أو يستغاثوا  
المقبرة ( ٤ ) " ويقول الصادق من كتاب الى بغداد : ان البابا الذي برومية تد حرم عليهم  
مطاعمهم ومشاربهم ، وقال " من لا يتوجه الى القديس يستغاثا فهو عندى محرّم ، لا تنكح لسه  
ولا مطعم " .

والحرمان عندهم كاللعنة عند المسلمين - يعني الطرد من مشفرة الله وكل من يخطئه  
الصحر لا يقبل منه ، ولذلك فبهم يتماقتون على الورد ويتما لكون على يومهم البوعود ( ٥ ) .

- 
- ( ١ ) دونوند ، من تاريخ الحروب المقدسة ٣/١
  - ( ٢ ) حسن حبشي ، الحرب الصليبية الاولى ١٥٠
  - ( ٣ ) الكامل ١٠/٢٧٧ ودونوند ١٢٧/١
  - ( ٤ ) الروضتين ، ١٥٧/١ ، صبح الاعشى ١٢٨/٧
  - ( ٥ ) الروضتين ١٢٧/٢

وأما الفخران فهو واقع مهم للحروب ، لأنه بمقتضاه تُنفر الذنوب منهما كانت ، وقد اعتدت عليه البابوية في إرسال الحملة الأولى ، وما تبعتها من حملات ، وحين غمد هذا الدافع في نفوس الفرنج ، وعرفوا أن صكوك الفخران لا تسمن ولا تنفي من جوع ، فشلت الحملات لقلّة المشتركين فيها ، رغم النداء المستر الذي كان يرسله أنطالي عكا ، يقول العماد عن تحرير الأماقفة ، بأنهم نادوا في نواديهم أنه من خرج من بيته منها ، وا الحرب الإسم ، وهديت له ذنوبه وذنوبت منه عيوبه ، ومن خرج عن السفر ، سفر بعده وثورته إن تدر ، فجاءوا لابسين العديد بعد أن كانوا لابسين الحداد (١) ، وجاء منهم الحد للحرب ، وهذا الحد أنما كان بعد سقوط القدس ، وأما بعد أن سينظر المسلمون على منظم الساحل وتضوا على البصم الواحدة ، ولم تفتح البابوية في يد الفرنج الذين بنكا بجمع كبيرة فقد سقطت في أيدي المسلمين .

٤ . الأثارة الماطية : لجأت البابوية إلى كل الوسائل التي من شأنها أن تلهب ضمائر الحكام والناس لدى الكيان الفرنسي في الشرق الإسلامي بما يحفظه من الذنوب في التمسك المسلم ، فأثارت عاطفة الابوة ضد الأبناء ، كما أثارت شغريزة عب المال والتمس ، ويتجلى ذلك صراحة مع ملكة الألمان حين أنحصر الوجود الصليبي في صور ، فكانت أشهيا بأن عظم أبيه التي الآن في صور في تابوت ككل بالديبا ، وكأنه أمير ينتظر أن يخرج منه ، فإنه لا يقبض إلا بابيت المقدس ، إذا استخذ ، والآن ما كان غلامه استرخى ، فإن المسلمين قد أشتغل بعضهم ببعض ، والتها عن كل واجب (٢) ، وفي هذا إشارة إلى أنشراط الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين ، وكيف أن الطمع حركهم للاستيلاء على البلاد المقدسة صبرة أخرى .

كما أثاروا عواطف الجماهير بلبس الحداد حزنا على سقوط القدس ، يقول القاضي الفاضل عن البابا بأنه قد لبس الحداد وطلب منهم لبس الحداد وحكم عليهم أن يستمسروا كذلك أو يستخلصوا القبرة (٣) .

ومن وسائل إثارة الجماهير أيضا ، تنوير الشمس والرياحان يحملون صورة قبر المسيح ، ورؤوسهم مكشفة ، وعليهم المسوح ، وينادون بالويل والثبور . ويقول العماد بأنهم قد نادوا في نواديهم بأن البلاد التي بلادهم ، وأن انخوانهم بالقدس ، بأرهم الاسام وأبادهم (٥) ، وفعلوا ذلك في غير بلد أوروبي .

(١) الروضتين ١٤٩/٧ والفتح التسي ٣٣٨

(٢) الروضتين ١٣٣/٦ وانظر ص ٦

(٣) المصدر السابق وصبح الاعشى ١٢٨/٧

(٤) الروضتين ١٦٠/٦ وابن هداد ١٣٦ ، المغز ٢٣٦/١

(٥) الكامل ٣٦/١١ مغز الكروب ٢٨٨/٧

ومن وسائل إثارة المقاتلين عندهم رفع الصليب الذي يرمز عندهم إلى التضحية فربطهم  
ذلك في موافق عديدة منها حين نزلوا على دمشق سنة ٥٤٦ هـ إذ شرح أطمهم تسير كيمير  
طويل اللحية ، يعتقدون به ، فركب حماره ، وجعل في يده صليبين وفي عنقه ثلاث ، وثقل كسي  
عق حماره عليا رابعا ، وحمل الاناجيل والصلبان ، فلم يتخلف عنه أحد ( ١ ) ، كما ان الصجائر  
تمديدور التحريض في الحركة بما كن ينشدنه من اشعار ، وبما كن ينشون بالرجال ( ٢ ) .

هذه طرق التحريض عندهم ، وهي تختلف عن طرق التمريض عند المسلمين في معظمها  
لان التحريض مرتبط بنوع العقيدة ، فبينما كان الفرنج يعتقدون بالمسيح والصليب ، اعتقد  
المسلمون بالله إلهيا واحدا طالبهم بالجهاد والدفاع عن الارض والنساء والاطفال ، ومن هنا  
وجد حرس الادباء على وضع الاستنهاض في قالب ديني ، فمن ذلك قول الامير جلال الدين  
الثاني مخاطبا الملك الكامل حين حاصر الفرنج ديار :  
وأذخر ليوم البعث فعلا صالحا

اللله ضمان أجره وكفيل مسد ( ٣ )  
ويقول طلائع مخاطبا نور الدين :

فأخضرها لجهاد أجزك كسي فليس رقيقا له ونعم الرقيب ( ٤ )  
ويقول ابن سناء الملك في مدح الملك العزيز :

أرضيت ربك في حرامة دينك  
وقد بين الصغراء أن الله يمد المجاهدين بمونه ونصرته ، إذ إن النصر من عند الله يومئذ من  
يغاه ، يقول طلائع بن رزيك ، مخاطبا نور الدين قلع ارسلان صاحب الروم :

أما عنكم من يفتي الله وحسنده  
تعاوا لعل الله ينصر دينك  
ونهبنا نحو الثاغرين بعزم مسد  
أما في رطايكم من الناس مسد  
إذا ما نصرنا الدين نحن وأنت مسد  
بأمثالها تحوى البلاد وتقس مسد ( ٦ )

ويقول ابن دنينير في حث الامراء والاجناد على القتال حين نزل الفرنج على ديار سنة ٦١٥ :  
أتيموا عهود الدين لله تسمدوا  
فريق الهدي ، والله يظهر دينك  
فقد جاءكم عيسى وهذا مع مسد  
على دين من قد أشركوا وتمسردوا ( ٧ )

ونلاحظ أن هذا المعاني قد وردت في القرآن الكريم " وإذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم  
غيبوا الذين آمنوا " ( ٨ ) .

( ١ ) تاريخ ابن القلانسي ( ذيل تاريخ دمشق ) ٣٠٠  
( ٢ ) الاندلس الجليل بتاريخ القدس والاندلس ١ / ٢٦٢  
( ٣ ) السلوك لمرثدة دول الملوك ج ١ ق ١ ١٢٦٥  
( ٤ ) ديوان طلائع بن رزيك ١٠٣  
( ٥ ) ديوان ابن سناء الملك ١٥٦ وانظر نقد الجبان ج ١ ق ١ ورقه ٥٨ مخط  
جواهر السلوك ورقه ٦٠ مخط  
( ٦ ) ديوان طلائع بن رزيك ١٣٣ وانظر للمزيد من الأمثلة الروضتين ١٩٠ / ٢ و ٢٣٣  
\* المقصود بحيسى وحمدا بناء الملك المعادل أشي صالح الدين  
( ٧ ) ديوان ابن دنينير ورقه ٤  
( ٨ ) سورة الانفال ١٢٠



ومن طرق التحريض عند المسلمين تهوين أمر الفرنج ، وبيان ضعفهم ، وقد كان ذلك بعد بدء الانتصارات عليهم ، وبعد الاتجاه نحو الوحدة الإسلامية ، يقول ابن القيسراني محرضاً نور الدين زنكي :

فسروا ذلك الدنيا ضياءً وبهجية  
كأنني بهذا العزم لأفعل حسنة  
وقد أصبح البيت المقدس بلا تسلية  
ويقول ابن منير محرضاً نور الدين أيضاً :

ردا الكناك كنسا للهدى فخبست  
ومنها ما كتبه القاضي الفاضل إلى صلاح الدين " فشمّر عن ساق من القنا ، وخسّر فيه بحرًا من الظبا ، وأحبل عقدة كلمات الله سبحانه وثيقات الحبيب ، وأسأل الوهاب بد صساء الصدا (٢) .

ومنه قول ابن التماون ذي محرضاً صلاح الدين سنة ٥٨٠ :

ورج الهدى منها بأدهم رائح  
وبراية سودا ثقلب الشرك مستند  
وقول القاضي رشيد الدين بن النابلسي محرضاً صلاح الدين بعد فتح القدس :

يا ملك الأرض مهدها فما أحسد  
أضحى بنو الأشرار الكناس موعظة  
وقول شهاب الدين محمود في فتح عكا وطرده آخر صليبي :

ما بعد عكا وقد لانت عنكتمها  
فأنهض إلى الأرض فالدنيا بأجمعها

وهكذا استمر الأدب محرضاً على قتال النزاة ، منذ أن وطئت أقدامهم أرض المسلمين في المشرق الإسلامي حتى طرد آخر جندي صليبي ، لا كما يقول محمد سيد كيندلي من أن التحريض كان مرتبطاً بالقدس فقط ، حتى إذا ما فتحت القدس فتر التحريض (٧) ، والصحيح أن أدباء العرب قد نظروا إلى الفرنج على أنهم طارئون مفسدون يجب طردهم وأمتصاصهم حتى تم ذلك فعلاً .

- (١) الروضتين ج ١ ق ١٤٦٥١ (٢) الروضتين ج ١ ق ١٣٠٤
- (٣) صبح الأعشى ٩٧/١٠ وانظر ١٤٦/١٠ ونهاية الأرب ٤/٨
- (٤) ديوان ابن التماون ص ٢٤
- (٥) الروضتين ١٠٢/١ ، عقد الجمان ص ١٧ ، ق ١ ورقة ١٨٠ مخط
- (٦) جواهر السلوك ، ورقة ٦١ ، ابن الفرات مجلد ٨ ص ١١٧ - ١١٨
- (٧) الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي ص ٢٣٥ ، ٢١٦ ، وانظر صبح الأعشى ج ٨ ص ٢٥٠

وفي كل خطوة نحو الوحدة الاسلامية كان الادباء يحرضون على طرد الفرنج ، يقسمون  
الصلوات في تهنئة أسد الدين شيركوه :

فتحت مصر وأرجو أن تسير بهيئتها  
قد أكننت أسد الدين الفريسة من  
أنت الذي هو غرد في بهالتسه  
ويقول ابن الزكي محرراً صالح الدين على فتح القدس رحيم فتح سلب :

وفتحكم صلباً بالسيف في عفسر  
ونلاحظ ان كل فتح قبل استعادة القدس كان يذكر الشعراء بفتح القدس ، سواء كان الفتح  
في صورة توحيد للبلاد الاسلامية ، كما يظهر ما سنبينه في صورة استعادة المدن التي وقعت  
تحت الاحتلال الصليبي ، يقول التيسراني :

فان يك فتح المرها لجسنة  
فهل علمت علم تلسكك الديا  
نساخها القدس ورواحها حاسل  
رأن المقيم بها راحسسل \* (٣)

وقد استغل الادباء المناسبات الخاصة والسامة أفضل استغلال ، فنغذوا الى قلبهم  
الحكام ، وحرضوهم على تحرير الارض وتنظيمها من دنس النزاة ، ومن ذلك قول طلائع بن رزيك  
في رسائله التي بعثها الى الشاعر أسامة بن منقذ ، ونسبها يطلب منه أن يحث نور الدين على  
قتال الفرنج :

التي عننا رسالته عند نور الدين  
قل له دام ملكه وعليه  
أيها العادل الذي هو للدين  
والذي لم يزل قد يما عن الامم  
وغدا منه للفرنج اذا لا  
ان يرم نزلت حقد هم فلا حلا  
ين ما في القامها ما يرسب  
من لبنا الاقبال برد قشيب  
ين شباب وللحروب شيب (٤)  
لا يالزم منه تجلى الكسروب  
يوم من الزمان صوب  
من قناه في كل قلب قليب (٥)

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ٤٠٢٥ - ٤٠٤٤ ، ابن الفرات ، تاريخه مجلد ٤ ج ١ ٤٥٤  
(٢) الروضتين ٤٦/٢ ، وأنظر الروضتين ١٧٠/٢ ، وديوان عزقلة الكلبي ٣٠ ، وديوان طلائع ١٣٦  
(٣) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٢٧  
\* لمزيد من الامثلة أنظر الروضتين ج ١ ٢٤٧٥ - ٢٥٧٥  
(٤) ديوان طلائع ٦٤ - ٦٥  
(٥) ديوان طلائع بن رزيك ٦٤ - ٦٥

وبنه قول المصنف في تهنئة نور الدين بالعيد وظهر ابنه معرضا أياه على تثليم أظافر الفرنج :

يا أعظم الناس قسدا	وغير لشريك تندر
ما اعتدت الاوفياء	وعادة القوم غندر
وفعلك الدهر غزير	للمشركسين وقندر
وفعل غيرك ظلم	للمسلمين وقندر
يفتر من كل شئ	الى أبتساطه شندر
يوم بسسه وفرنسج	في شفصهم لك وتندر
حرب جوان وقتسج	علمي مرادك بكندر
بنو الاصفير من خشير	ة أنتقاطك صفندر
لم يبق لكفر ظندر	لا كان للكفر ظندر (١)

وقول المحافظ أبي القاسم ابن عساكر حين ألقى نور الدين أهل دمشق من المطالبة بالخشب :

لما سمحت لأهل الشام بالخشب	عوضت مصر بما فيها من الخشب
وإن بذات لفتح القدس محتسبا	للأجر و جوزيت أجرا غير محتسبا
والأجر في ذلك عند الله مرتسب	فيما يثيب عليه خير مرتسب
فالجند والجند طرونان في تفرن	والمعزم في المعزم والإدراك بالطلب
ولست تخدر في ترك الجهاد وقد	أصبحت تحلك من مصر الى حلب
فظهر المسجد الأقصى وحوزتسه	من النجاسات والأشراك والمسلم (٢)

ونلاحظ أن الأدياء قد استنلوا المدح الشخصية بالاضافة الى المناسبات للمطالبة بتطهير المقدسات من دنس الفسقة و كما شخصوا الأماكن المعلقة وأنطوتها وبثوا فيها الحياة في مثل قول أحد الشعراء على لسان المسجد الأقصى :

يا أيها الملك المسمى	لمسالم الصليان تكسرى
جاءت اليك ظلامسة	تصعى من البيت المقدس
كل الصاقد طهرت	وأنا على شرفي مدنس (٣)
ومن ذلك قول عمارة اليميني معرضا على فتح القدس :	
وهيجت للبيت المقدس لوعمة	ينلول بها منه اليك التمسوق
ونزوك هذا مسلم نعو فتحمسه	تربيا والآ رائد ومطسوق
هو البيت أن تفتحه والله فاعسل	فما ينده باب من الشام منلسوق (٤)

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٥٧٨  
 (٢) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٠٥  
 (٣) الانوار الجليل ١/٣١٨ وانظر نهاية الأرب ج ٢ ص ٢٩  
 (٤) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٦٩

وتقول ابن النبيه محرراً الأشرف موسى :

فأتمضرت غنقاً أمكنت منهن غلبيات  
إليك فهو سائهم أو تحيبيات (١)

عنا وصور إلى رؤياك غاطسة  
وأمتحبر الريح عنها إذ تسميرة

وتقول الأمير جمال الدين الكناني في حصار دهاط :

ط إن يمل من الدموع هولسيه  
بغت نشارته وبان ذبولسيه (٢)

والشعر ناظره اليك محسدي  
واثن قعدت عن التيسام بنصيره

ومن مظاهر التحريض والاستحثاث ٤ وضع الصراع بين المسلمين والفرنج في حصاره  
المحتشقي وبيان أن حسبه لا يكون إلا بالقوة ٥

يقول ابن النبيه محرراً السلطان الأشرف موسى على تلال الفرنج حين اتحدوا مع

الروم وهاجموا المسلمين في حلب ومصر :

ولا تحف ما حبال القوم حبيبات  
فأنهم لبنات الطير أقسوات  
وأعبر ورايت فلأفعال نبيبات  
تشيبة النجب النرا الافسارات  
تكيف لو قد أتت منها النمايبيبات  
تنسب لغير أبيهم الفتوحبيبات (٣)

التي العنا تتألف كلما منعمسوا  
طأهم بجيشك لا تحفل بكثرتهم  
أنت السباع فمؤذي ليل كثرهم  
زلزلزل ينارته الغبواء دارهم  
يواد روتنوا من منعدتهم  
ثق يا أبا الفتح بالفتح البين فليهم

ويقول ابن دنينير مخاطباً الجند والامراء في حصار دهاط :

فذا الدين المرعمن في نمره يسيه  
لهم في الهدى فرح زكي وصحسيه  
مقي تتركوها أن للنار تخمسيه  
لدى النار إلا ذابك ومهمسيه  
هم الفايون الضراء والقود أحصد (٤)

فأنا تجزعو من حادث جاء قادمسيه  
فغنوا لدين الكفر ناراً معشمسيه  
وهبوا لهم نار الجهاد فأنكسيه  
فذا الدين ما أرسى تواعد حتمسيه  
فحزبكم حزب الإله وأنهمسيه

- 
- (١) ديوان ابن النبيه ٦٧
  - (٢) الساوه لمعرفة دول الملوك ج ١ ق ١ ١٠٦/١ وأنظر الروضتين ١٥١/٦
  - ج ١ ق ١ ١١٦/١
  - (٣) ديوان ابن النبيه ص ٦٦
  - (٤) ديوان ابن دنينير ورقه ٤

وتد تراوحت دعوات الاستتارة هذه بين الشدة والشعور بالنقمة حين يكون المسلمون همسي  
 مركز القوة ، وبين التمدح والتعالي حين يكونون في حالة ضعف ، ولكن الادباء حتى في الحالة  
 الأخيرة ، لم تضحف ثقتهم وأيمانهم بان النصر النهائي سيكون للمسلمين ، وبأمكاننا ان نحظمة  
 نوعي الاستتارة في كثير من الأدلة الشعرية السالفة ولا بأس من أن نذكر مثلاً واحداً هنا على  
 كل مضط ، يقول ابن دنينير في مدح الملك قلى أرسلان بن الملك المنصور بن شاهنشاه أيوب  
 فأنهم إلى نصر ديسن الله في جذل  
 جيهن يجهن بأبطال اذا بسـرزوا  
 من كل أغلب في عر نينة سـسـسـسـسـس

ويقول جمال الدين الكنائي في حصار الفرنج دمياط مخاطباً القائل :

ولئن قصدت عن القيام بنصـسـسـسـسـس  
 ووهت ثوب القرآن فيه ورثـسـسـسـسـس  
 وغلا صدى الناظر في أرجائـسـسـسـسـس  
 جفت نشارته وبان ذبولـسـسـسـسـس  
 صلبانه وتلي به أنجـسـسـسـسـس  
 وشفى على صن الورى تهليلـسـسـسـسـس ( ١ )

وتد تبين بوضوح ما سبق أن التحريض عند المسلمين أتخذ طابعاً مرتبطاً بتقيدتهم  
 مثلما كان للتحريض الفرنجي طابع مرتبط بتقيدتهم .

ومن الصور التي قدمها الأدب العربي للوجود الفرنجي في المشرق الإسلامي صورة  
 المدن المدمرة بعد الاحتلال . يقول دحية بن عبد الله بن نصر في المعرة حين خربها الفرنج :

هذه صباح بلدة قد قضى اللـسـسـسـسـس  
 قفت النيسر وأبـسـسـسـسـس  
 واعتبر إن دخلت يوم اليمـسـسـسـس  
 فيها من شهورها والشـسـسـسـس  
 فهي كانت منازل الأجمـسـسـسـس ( ٢ )

ويؤكد قول دحية هذا قول أبي بشر بن الحواري ، وقد وقف على داره بالمعرة بعد خربها  
 الفرنج عليها فقال :

أهذه بين أنكاري وعرفانـسـسـسـس  
 جهاتها ولقد أبدت مـسـسـسـس  
 فحجبت أسألها والد من نسـسـسـس  
 يا دار مالي أرى الأيام قد حكـسـسـسـس  
 مسارب الوحة أم داري وأوطانـسـسـسـس  
 تمهد الصبا بين أشوانـسـسـسـس  
 والقلب في لوتة من وجدـسـسـسـس  
 نينا ونيتك بحكم الجائر الجانـسـسـسـس ( ٣ )

ومثله قول أبي سائدة محمود بن عمرو :

أنا من بلدة قضى اللـسـسـسـس  
 تتلوا أهلها وبادوا جمـسـسـسـس

( ١ ) ديوان ابن دنينير ورقه ٢٣ ( ٢ ) السلوك ج ١ رقم ١٤

( ٤ ) الخريدة ، قسم الشام ٨٢/٦ ( ٥ ) الخريدة ، قسم الشام ١٠١/٦

ولم تكن المصرة بالطبع البلد الوحيد الذي تعرض لهذا التخريب والإغصاء بل إن بلدانا  
أخرى في الشام قد تعرضت لما تعرضت له المصرة ، يقول السطاد في تدمير الفرنج للبلاد تيممة  
" ولقد كثر استغني على تلك الصارات كيف زالت ، وعلى تلك الحالات الحاليات كيف حالت " ( ١ )  
ويقول ابو المصافي بن المهدب في وصف العدو والوباء الذي انتشر في الشام نتيجة التتلسس  
وانصراف الناس عن شؤهم الخاصة :

أعد زبساكن ريسها المسكنين  
شهداء بين الطعن والماعون ( ١ )

ولقد حلت من الشام بقمصة  
وتبت وجاوزها العدو فأهلها

وكيف بعد ذلك ينصرف الناس الى أعمالهم بطمانينة ، والفرنج يهددونهم في معيشتهم وممتلكاتهم  
يقول ابو الحكم الجلياني :

عديدا أو يزيدون  
ومعنى من فلسطين  
ومن صيدا وتبنيين  
ت أتوا ميا مجائنين  
جل الحال البساتين ( ٢ )

أنا صائتا السيف  
فبعضهم من أندلس  
ومن عكا ومن صور  
إذا أبصرتهم أبصر  
ولكن حرقوا غنمي عسا

وبعد وفاة صلاح الدين عاد النزاع بين الحكام المسلمين من جديد ، وعادت بعض  
السيطرة للأعداء ، فغاثوا في الديار وغربوا القدس بعد إصلاحها ( ٤ ) ، وغربوا بعض المناطق  
الأخرى القريبة من حصونهم ، إذ قام الاسبانيون من حصن المرتب بأغصاء المناطق المجاورة  
وتهدد أصحابها ، حتى ضاقت على أهلها فأجبعوا كأنهم يحيشون داخل قبور أو سجنسون ،  
كما يقول صاحب تشرىف الأيام والمصور ( ٥ ) .

ولو قارنا بين المدن قبل أن يدخلها الفرنج وبينها بعد أن خرجوا منها ، لوقفنا على  
حقيقة أفسادهم ، فهذا الرحالة الفارسي ( ناصر خسرو ) زار بلاد الشام قبل نصف قرن من  
الغزو السليبي ، ووصف عدة مدن زارها ، منها طرابلس ، وقد تال في وصفها " . . . وحول  
المدينة المزارج والبساتين ، وكثير من تسب السكر وأشجار النارج والترنج ، والموز والليمون . . . ،  
وشوارعها وأسواقها جميلة ، ونظيفة حتى لتظن كل سوق قصر مزين ، وفي وسط المدينة جناح  
عظيم نظيف جميل النقش حصين ، وفي ساحته قبة كبيرة تحتها حوض من الرشا في وسطه فسوارة  
من النحاس الأصفر ( ٦ ) ' وقد أحدث الفرنج في هذه المدن تدويرا غير معالما ، كما غير  
معالم غيرها من المدن ، فأصبحت الآثار تنبئ عما كانت عليه من عمران ( ٧ ) .

( ١ ) الروشتين ١٢٨ / ١ ، الشريدة ، تسم الشام ١٢٩ / ٢

( ٢ ) الروشتين ج ١ ق ١ / ١٣٩ ، عقد الهمان ج ١٢ ق ١ ورقة ١٨٠

( ٣ ) القذرات ٦٥ / ٥

( ٤ ) ابن عبد الظاهر ، تشرىف الأيام والمصور ٦٧

( ٥ ) سفرنامه ، ترجمة يحيى الششاب ، ص ١٣

( ٦ ) أحمد بدوى ، الحياة الأدبية في عصر السورب السليبية ص ٩٦ نقلا عن :

Barker , The Crusades p. 28 .

وقد فرض الفرنج إبان سيطرتهم المخراب على البلدان المجاورة ، فضاعت أحوال الناس حتى  
اعتبر القاضي الفاضل أن من شين في هذا الأيام غم وأسى المؤمنين ، ومن نام ملء عينيه غما هو  
من أخوة المؤمنين ( ١ ) .

ويقول الملك الناصر داود من كتاب إلى عز الدين بن عبد السلام حين هاجم الفرنسي  
مدينة نابلس وأستولوا على ما كان مدخرا من الأموال والثقال فيها ، وما جمعه المسلمون  
لأرضهم في السنين الطوال " غيا لها من فجيعة أبكت الصيون وأبكت الجفون وسجمت على القلوب  
من أسلمها ، نودت لو أنها سبقت بالذنون ، غيا ليثني نبذت قبل سماعها فكانا قصيا ٠٠٠ أو  
ليثني نت قبل هذا وكنت نسيا نسيا ( ٢ ) " .

وقد ران على المسلمين حزن عميق بعد سقوط القدس الثانية في أيدي الفرنسي ،  
لأن سقوطه في المرة الأولى كان في وقت عصيب حين كانت الأمة الإسلامية مجزأة ضعيفة ، أما في  
المرة الثانية فإن العالم الإسلامي كان في وضع أفضل ، فكيف تسلم المدينة المقدسة بهزيمة  
السهولة ؟ ، ولهذا امتزجت الدموع بالندمة على الذين غرطوا في القدس ، يقول قاضي الطسور  
الشيخ محمد الدين :

على ما تبقي من ربوع وأنجس  
على ما مضى من عصره المتقادم  
وشمر عن كفي لثيم مذموم \*  
لمعتبر أو وسائل أو مائل  
بنفسي وهذا الظن في كل مسلم ( ٣ )

دبرت على القدس الشريف مسلم  
ففاضت دموع المين بني حيا بمسنة  
وقد رام علي أن يخفي رسوم  
ثقلت له شلت يمينك خلم  
فاو كان يفدى بالنفوس قد يتسبه

ويقول ابن الجساور :

جلي في البكا الأمان بالبكرات  
توتد ما في القلب من همم  
وتعلن بالأحزان والترصمات  
وتشكو الذي لأفت السى عرغسات  
وتشرحه في أكرم الحججرات ( ٤ )

أعني لا ترقى من العيسرات  
لعل سيول الدم يلقوا فيهم  
لتبك على القدس بالبلاد بأسرها  
لتبك عليها كده في أختهم  
لتبك على ما حل بالقدس وطيبسة



هذه صورة عن الصراع الحضاري بين الوافدين من الغرب ، وأهل هذا المنطقة من الشرق الإسلامي .

- ( ١ ) الدر الثمين ، لابن قاضي شهبه ورقه ٦١ مخط وأنظر الروضتين ١٦٦/١
- ( ٢ ) النوائد الجلية في الفرائد الناصرية ، ورقة ٩٥ مخط
- \* المقصود بالملج الملك المعظم عيسى بن المناد
- ( ٣ ) المذرات ٦٦/٥ ، ذيل الروضتين ١١٦
- ( ٤ ) الروضتين ٢٠٥/١ ص ٢٠٦

## القسم الثالث : الصراع العسكري :

فوجعت الدويلات الإسلامية بالحروب الصليبية ، فأستيقظت من سباتها العميق علمي  
تهراوي المدن الواحدة تلو الأخرى بيد الفرنج ، وقد صور الأدب حزن المسلمين وتفجعهم ...  
ولكنهم - كما قلنا - لم يياسوا وإنما قبلوا التحدي منذ أول لحظة وحرصوا القادة على صد الغزاة  
وطردهم ، وعلى الرغم من الانتصارات الكبيرة التي أحرزها الصليبيون إلا ان الشعراء بينوا ان  
النصر ممكن اذا اتحدت الأمة ، فهذا ابن الخياط يستهزئ بالفرنج ويجعل انتصارهم نسي  
غفلة من الزمان ويبين أن غضب الدولة أمير دمشق سيوقفهم عند حد ثم يقول :

طولا بئنيكم الوخيـم المرتـمـسـم  
من أن تقيم الحق عند المقـطـسـم  
وظيـر لنير بواركـم لم تـلـبـح ( ١ )

أندركم أن الزمان أجركم  
لا تأمن حرممة عضبيـة  
بفناء لنير رداكم لم تصتـقـل

وقد بقي التحدي قائم بسبب استمرار الفزوة الصليبي ، وبقي منه الصراع العربي مستمرا لئلا  
يتوقف حتى في وقت الهدن ، لأن الهدنة كانت تعني ترك الحرب مؤقتا ، كما يتيح المجال أمام  
الفرقيين لأن يعمدوا على تعزيز الجهود للجولات المقبلة ، وقد ظهر هذا التحدي حتى بمسند  
المشارك التي هزم فيها المسلمون ، كما ظهر بتطبيعة الحال بعد الممراك التي هزم فيها  
الفرنج ، وقد أتاح هذا الصراع الطويل للشعراء أن يسطروا صورة واضحة عن التجهيزات  
العسكرية عند الفرنج ، وهي صورة تناولت الجيش وأسلحته وثقافته وحصونه وتخطيطه ومماركته  
وقد مقارنة بينه وبين الجيش الإسلامي ، وسنتابع فيما يلي أجزاء هذه الصورة كما رسمها الأدباء  
أولا : الجيش الصليبي :

كان هدف الفرنج احتلال أراض واسعة في بلاد الشام منها القدس ، ولذلك تحركت  
الجيوش الهائلة لتخطي عملية البد الواسعة ، كما تخطي عملية الانتشار في الأراض المحتلة ،  
وقد شاركت فيها دول أوروبا وأهمها فرنسا وألمانيا وأنجلترا كما شارك فيها الرجال والنساء حتى  
الانفال ( ١ ) ، يقول ابن عنين :

فكم أمر خط الحسام عذاره  
وكم أشيب كان النجيب خنابـسـه ( ٢ )

وبعد أن استقرت لهم الأمور في مملكة بيت المقدس ، وجه الفرنج أنظارهم إلى البلاد المجاورة ،  
كما دعاهم إلى طلب المزيد من النجدات وأنشاء فرق دينية عسكرية كان لها أثر فعال في الحروب  
الصليبية وأشهرها كما أسلفنا ، الاستبارية *St. John's* وهم فرسان المستشفى ،  
والداوية *Templar* فرسان المحيد .

- ( ١ ) ديوان ابن الخياط ص ٢١٨  
( ٢ ) النوادر ١٠٨ ، الفتح التمس ٣٠٦ ، الحركة الصليبية ١٥٤/١  
( ٣ ) أحمد بدوي ، ماون بني أيوب المعظم ص ٧٦  
أندلس رقيق التميمي ، الحروب الصليبية ٧٨ ، تاريخ المغرب ، تاريخ القدس ٧٥



وقد قام فرسان المعبد بأعمال كثيرة أفضت ضاحج المسلمين، حتى أصبح الظفر بهم من الأعماس  
 الصليبية التي يفتخر بها ، وقد كان لاعتداءاتها على المسلمين أثر في إثارة حفيظة المسلمين  
 الرحيم صالح الدين إذ جعل جائزة قيمة لكل من يسلمه فارسا من هؤلاء ليقبله من أنه تحفظ كثيرا  
 في قتل الأسرى ، ولذلك علل سلوكه هذا بقوله على لسان ابن شداد " ٠٠٠ خط جرت طادتهما  
 بالمفادات ولا يقلمان عن المعاداة ، ولا يخدمان في الأسر ، وسطا أخبت أهل الكفر " (١) .  
 وقد كثرت الفرغ المحاربة بسبب طول فترة الحروب وبسبب كثرة المشتركين فيها ، ومنها غسرة ،  
 البيازنة والجنوية وفرق أخرى ألمانية وفرنسية ، والفرقتان الأولىان فرقتان تجاريتان أخذت  
 المظهر الحربي لحطية القوافل ، ثم ما لبثتا أن اشتكتا من الفرغ في قتالهم مع المسلمين ،  
 يقول الصمد في وصف سجن صالح الدين التي هاجمت صور : " فأشقت مرائر الفرغ ، وأزادت  
 سفنها عن النهج ، وقرنعت بزاة البيزانية ، وتقلعت جفافة الجنوية ، وكثرت أدواء الداوية ،  
 وكثرت أسواء الاستبارية . وزادت آلام الألمانية ، وعادت أسقام الأفرنسية ٠٠٠ " (٢) .  
 وقد أنضاف إليهم عدد آخر في حصار نكا سنة ٥٨٧ هـ حيث جاءت الامدادات الكثيرة من أوروبا  
 " في كل ذهب أصط ، وسيد تد تورط ٠٠٠ وباروني طالب للبوارج ، وأستباري راضب في التبار  
 وداوي مفضل الداء ، وتركبولي غير تارك للبلاد ، وسرجندي كزار ، وخريري غير فرار ، وفسار  
 يفرس الرجال ، وراجل يرجل الفرسان الابطال ٠٠٠ " (٣) ، ولكن كثرة هذه الفرغ وتوقفتها  
 على نفسها ، وخروجها عن الصمود المعقودة مع المسلمين ، جعلها وبالا على الفرغ أنفسهم  
 بعد أن كانت جمة لهم ، ولم يفت مؤرخي هذا الصبر ذلك ، فهذا ابن عبد الظاهر يصف  
 الاستبارية وأعمالهم التخريبية من حصن المرقب فيقول : " وكان بيت الاستبار الذين فيه قد زاد  
 بنعيم وعدوانهم وكثر فسادهم ، حتى بقيت أهل القلاع المجاورة لهم كأنهم في حبس من نسوي  
 رعد " (٤) ، ولم يمد يوسع المسلمين السكون عن هذا التعدي ، لا سيما أن الصالينك تسد  
 سيطروا على الدراكر المهمة للفرغ ، فقام البنيون قائلون بتحويل هذه الحصون ، وقاتلهم لكنكسهم  
 وأعدائهم ثم تازة ابنه في طردهم نهائيا من بلاد الشام (٥) .

هذا وقد دخلت المرأة الفرنجية المعركة ، فحجصة المقاتلين ، وقاتلت معهم ، وتسد  
 لاحظ الادباء ثلاثة أنواع من النساء هي : المرأة الحاكمة ، والمرأة المقاتلة ، والمجائز ،  
 وقد تام كل نوع منهم بدور في الحرب .

أما المرأة الحاكمة فقد أصبحت معها الفرسان وأمدتهم بالسلاح والمان ، وقاتلت معهم  
 في الميدان ، يقول الصمد الأصفهاني : " ووصلت في البحر امرأة كبيرة القدر ، وأخرة الوفسر  
 وشي في بلدها مالكة الأمر ، وفي جعلتها خصماتة فارس ، بخيولهم وأتباعهم وقلما لهم وأشياءهم  
 وهي كافلة بكل ما يحتاجون إليه من الحوونة ، زائدة بما تنقله فيهم على الجنونة وهم يركبون  
 بركابتها ويحملون بحملاتها ، ويثبون أوثانها وتثبت ثباتها لثباتهم ٠٠٠ " (٦) .

- |     |  |     |                        |
|-----|--|-----|------------------------|
| (١) | الروضتين ٢/٢٦٦                                 | (٢) | الفتح القسي ١٦٦        |
| (٢) | الفتح القسي ٤٠٢                                | (٤) | تشرىف الايام والصور ٧٧ |
| (٥) | أنظر القديس لويس ، ترجمة حسن ، ص ٢٧٦ - ٢٢٧     |     |                        |
| (٦) | الفتح القسي ٣٤٩ ، وأنظر الروضتين ٢/١٦٦ ، ١٨٢/١ |     |                        |

وأما البراة السادسة المقاتلة فقد لفتت أنظار المسلمين بشجاعتها وقوة بأسها ، وكأنها رجل نسي هيئتها وليأسها ، يقول الصمد في وصف هذا النوع " وفي الفرنج نساء غوارر، لمحسن درج وتوانس ، ولكن في زي الرجال ، ويبرزن في حومة القتال ، ويسلكن عمل أرباب الحربا ومحسن ربات جبرال ٠٠٠ " ( ١ ) ، ويسف بحموة أخرى بنهن تكن المسلمون من قتلهن في حصار عكا فيقول : وفي يوم الوثعة قتلت منهن نسوة لهن بالفرسان أسوة ، وفيهن من لهن من قسوة ، وليست لهن سوى السوابغ كسوة " ( ٢ ) ، ويقدم الصمد وسفا آخر لهيئة البراة المقاتلة وهي صورة لا تختلف عن صورة القاتل الفرنسي يقول : وذوات القاتل من الفرنج مكنسات مقارعات يحلن إلى اللطمان الطوارق والقنطاريات " ( ٣ ) ،

ويوضح ابن شداد هذه الصورة فيقول : " ورويت امرأة عليها ملوطة خضراء ، فمسا زالت تربي نقوس من خشب حتى جرحت جماعة ثم قتلت وحملت إلى السلطان فمجب مسمن ذلك ( ٤ ) ، ويؤكد ابن الأثير ما ورد عند الصمد وابن شداد فيقول : فائهم ( الفرنج ) كان صهم على عكا عدة من النساء يبارزن الأتران " ( ٥ ) ، أما السجائر فقد تمن بدور يناسب وضعهن ، فهن لا يقوين على القتال إلا إذا استدعى الأمر ذلك ، وغالبا ما كن يعرضن الفرسان على القتال ، يقول الصمد : وأما السجائر فقد أمثلت بهن المراكز ، وهن يشدن نارة ويرخين ويعرضن وينخين ٠٠٠ ( ٦ ) .

تلك هي أهم الجماعات الصليبية التي تحدث عنها الأدباء وكان الفرض منها أظهر اندفاع جميع قطاعات المجتمع الفرنسي للمشاركة في الحروب ، وفيما يلي صور تدعيمها الأدب العربي عن الجيش الصليبي :

### ١ . وصف الامدادات الكبيرة :

قاد بطرس الناسك أعدادا ضخمة من المتحمسين في أول عملية للاستيلاء على بلاد الشام ، ولكن السلاجقة حذبوا حملته وأنشأوا منطحاتها ، ولم تكد فلول المائدين تصل إلى القسطنطينية حتى التفت بحملة الأبراء التي تبرزت بالنظام ، فانضم هؤلاء الفارزون المسلمون الحملة الجديدة ، وساروا جميعا إلى بلاد الشام ليؤسسوا مملكة بيت المقدس ، وقد تمها لهم ذلك كما تمها لهم تأسيس الإمارات أخرى .

وما أن نجح الفرنج في تأسيس هذه الإمارات حتى عاد بعض الحجاج مشرقيين منهم وتوجهم بالفتن العظيمة التي حققتها الجيوش الفرنجية ، فتوالت الامدادات بدافع المشاركة في النشام والمشاركة في اعلاء راية الصليب على البلاد المقدسة ، على أن ما بلغت النظر في أعمار هذا الامدادات ارتبائها بأوضاع الصليبيين ، فإذا ما تعرض هؤلاء لضغوط من المسلمين فإن الامدادات كانت تتوافد عليهم من كل جانب .

- |       |   |       |                                      |
|-------|---|-------|--------------------------------------|
| ( ١ ) | الفتح القسي ٣٤٩   | ( ٢ ) | الفتح القسي ٣٤٩ وأنظر الروضتين ١٦٦/٢ |
| ( ٣ ) | الروضتين ١٦٦/٢  | ( ٤ ) | الروضتين ١٨٦/٢                       |
| ( ٦ ) | الفتح القسي ٣٤٩ ، وأنظر الفتح القسي ٣٢٩ ، ٤٠٦ ، والأثر الجليل ٣٦٢ | ( ٥ ) | الكامل ٣٥/١٢                         |
|       | والروضتين ١٥٨/٢   |       |                                      |

أما وصف الأديباء لهذه الأعدادات فيظهر جليا في عدد من الأحداث التاريخية الهامة : ففي سنة ٥٦٩ هـ اجتمع عدد من دعاة الدولة الفاطمية وكاتبوا الفرنج بالقدوم للقضاء على صالح الدين هـ فجاءوا بأسطول يحمل العدد العظيم للمتأمرين هـ فكانت خيلهم ألفا وخمسة مائة رأس وكانت عدتهم ألف مقاتل ما بين فارس وراجل هـ وكان عدد المراكب مائة وستة وثلاثين طريدة تحمل الخيل هـ وكان معهم مائتا شيني \* وفي كل شيني مائة وخمسون راجلة هـ وكان عدد السفن التي تحمل آلات الحرب والحصار من الأخشاب الكبار وغيرها ست سفن هـ وكان عمدة المراكب برسم حمل الأزواد والرجال أربعين مركبا هـ وفيها من الرجال المتفرقة وغلظان الخيالة وخلق المراكب وأبراج الزحف وباباته ما يتم خصيصا ألف راجل ٠٠٠ ( ١ ) هـ وقد توثقنا المسلمون حين هزبوا الفرنج في حلين قدوم الأعدادات الكثيرة هـ فهذا القاضي الفاضل يعبر حيث الأضام أخا صالح الدين في اليمن بالفتوحات وتوقفها عند صور فيقول : ولهبش في هذا الجانب إلا صور ولولا أن البحر يندجدها والمراكب ترددها لكان قيادها قد أمكن وجباها تسد أذن ٠٠٠ فيقول : " وأنهم - لنسبهم الله - أم لا تحصي وجيوش لا تستقصى ٠٠٠ وقد كتب المستخدمون بالاسكندرية وصاحب تسنيدية والثور العربية يندرون بان العدو قد أبرم سرا وحاول نكرا ٠٠٠ ( ٢ ) هـ وقد صدقت توقعات قادة المسلمين هـ فقد جاءت أم لا تحصي من كل حدب وجوب :

لينصر القسبر والأقصدار تغذ لسه  
 الى المصرا من ألقاه ترغله لسه  
 واستكثروا السماء والهيجما تنقلسه  
 من غير ضرب ولا طعن يزيلسه  
 جيش العدو فيسببهم تخيلسه ( ٣ )

فكم تليد لهم شق البحار سرى  
 وكسر ترقل منهم فيلدي بنسبنا  
 استعرجوا الأهل والعدوى تدرقهم  
 كم تد أهدوا هـ وكس قد غل جمعهم  
 وإنما اسم صالح الدين يذكر في

ومع ذلك فقد تدفقوا الى عكا بأعداد وصفها السواد الاصفهانى والقاضي الفاضل أبلغ وصف هـ يقول السواد في وصف تدفقهم على عكا بالرغم عن خسائرتهم : " غطت أعرسك في نقتهم هـ ولا أرت إلا نار حرصهم هـ وليس هذا العدو بواحد فينجح فيسه التدبير ويأتى عليه التدبير هـ وإنما هو كل من وراء البحر وبعين من ديار الفخر ٠٠٠ ( ٤ ) هـ ويقول القاضي الفاضل ثم وصف تكاليفهم على عكا : " ومن خبر الكفار أنهم الى الآن على عكا هـ يمدفهم البحر بمراكب أكثر عدة من أواجه هـ ويخرب للمسلمين منهم أمر من أواجه هـ وقد تعاضدت طوائف الكفر على أن ينهضوا اليهم من كل غرقة طائفة هـ ويقلدوا لهم من كل تون يصجز بالترتواصفه هـ فإذا قتل المسلمون واحدا في البر يبت البحر عوجه ألفا هـ وإذا ذهب بالقتل صنف منهم أشرف بدله صنفا هـ فالزن أكثر من البرزاد هـ والشمرة أنى من الحصصاد ٠٠٠ ( ٥ ) هـ

- \* الباردة هي سفينة برسم حمل الخيل
- ( ١ ) طين الكرب ١٢/١
- ( ٢ ) صبح الأضى ٢٥/٧ هـ الروضتين ١٣٦/٢
- ( ٣ ) الروضتين ١٥١/٢
- ( ٤ ) الروضتين ١٤٩/٢
- ( ٥ ) صبح الأضى ١٢٧/٧ - ١٢٨

ثم يقول في وصف الاجناس المختلفة التي اجتمعت في جيشهم " واجتمع في هذه الجموع من الجيوش  
الشرية والالسة الاعجمية من لا يحصر معدوده ولا يصور في الدنيا وجوده ، فما أحقهم بتول ابي  
الطيب :

تجمع فيه كل لسن وألسنة فما يفهم الحداث الا التراجم حتى أنه اذا أمر الاسير واستأ من المستأمن أجتج في فهم لخته الى عدة تراجم . ينقل أحد  
عن آخر ، ويقول ثان ما يقول أول وثالث ما يقول ثان ... (١) ، وفي وصف الامدادات البحرية يقول  
القاضي : " فلهبق طاغية من طولأفهمهم ولا أثغية من أثافهمهم الا الجهم وأسرج ، وأجلب وأرهمج ،  
وخرن وأشرح ، وجاد بنفسه أو بولده ومعدده ومعدده وذات صدره وذات يده ، ومكاتبه ببرا  
ومراكبه بحرا ... كل خرن مقلوعا وأهطع مسرعا ، وأتى متبرعا ودعا نفسه قبل أن يستدعي ، وسعى  
الى حتفها قبل أن تستمى ، حتى ظننا أن في البحر طريقا يسا وحتى تيقنا أن البحر قد  
شلا وعسا ... " (٢) ، ويقول : فانبهرى ملكسا افرنسيين وانجليتره وملوك آخرون في مراكب بحرية وحالمة  
حلوا فيها الخيول والخيالة والمقاتلة والالة ، ووصلت كل سفينة تحمل كل مدينة ... " (٣) ، وهذه  
أمثلة قليلة من شواهد كثيرة \* . نلاحظ من خلالها اعجاب الادباء بحماس الفرنج وجلدهم رغم  
باطلهم ، ومن هنا اتخذوا مواقفهم هذه أداة تحريض للمسلمين : القادة منهم والرعية ، يقول  
العماد : " تأين حمية المسلمين ونخوة أهل الدين ، وطيرة أهل اليقين ؟ وما ينقض عجبنا من  
تصانف المشرك على شركه ، وتظاهرة في اتساح ملكه ، واتساق سلكه ، وقعود المسلمين عن المسلمين  
وتقاعدهم ، وتمتضلهم في تصادهم ، وأحلال عقود تصادهم ، فلا ملهي فوهم لعدا ولا مشكف  
لعدا ولا موري مطهم في اجابتداع لزناد ، فانظروا الى الفرنج أي مورد وردوا وأي حشد حشدوا ،  
وأية ضالة نشدوا وأي تجدة أنجدوا ، وأية أموال هزموها وأنفقوها ، وجدات جمعونها ، وتوزعونها  
تيا بينهم وقرقوها ... " (٤) ، ولا يتبادر الى الذهن ان هذه دعوات يائسة ، وتسليم بالواقف ،  
وانما هو نوع من الاثارة ، فعبارات الصداد تصني أن الفرنج مجتمعون بالرغم عن كونهم على باطل ،  
وأن المسلمين متفرقون بالرغم عن كونهم أصحاب حق وكان الاجدر بهم أن يجتمعوا ، وبهذا ما ذكره  
القاضي الناضل بعد كسرة المسلمين في عكا : يقول : " وما وهنا لما أصابنا في سبيل الله ، وما  
تصاننا ولا رجعتنا وراءنا ولا انصرفنا ، بل نحن بمكاننا ننتظر أن يبرزوا فنبارزهم ويخرجون  
ثناجزهم ... " (٥) .

(١) الروضتين ٢ / ١٨٥ ، وانظر النوادر السلطانية ١٢٦

(٢) صبح الاعشى ٦ / ٥٢٨ (٣) الروضتين ٢ / ١٨٨ - ١٨٩

\* للمزيد من الامثلة أنظر : الفتح القسي ٢٩٨ ، ٣٠٧ ، ٤٧٨ ، ٤٩٣ ، ٥٥٩ ، صبح الاعشى ٧ / ٣٦٨ ،

١٣ / ٨٨٨ ، ١٤ / ٦٠ ، النوادر السلطانية ١١٤ ، ١١٨ ، الانس الجليل ١ / ٣٥٩ ،

الروضتين ١ / ٢٣٤ ، ٢ / ١١٧ ، ٣ / ١٤٣ ، ٤ / ١٤٧ ، ٥ / ١٥٠ ، ٦ / ١٥٤ ، ٧ / ١٦٠ ، ٨ / ١٦٤ ، ٩ / ١٦٨ ،

١٠ / ١٧٦ ، ١١ / ١٨٣ ، ١٢ / ١٨٤ ، مفرج الكروب ٢ / ٢٨٨ ، ٣ / ٢٤٥ ، زبدة الحلب ٢ / ١١٣ ،

١٣٠ ، الكامل ١٠ / ٤٧٩ ، ١٢ / ٥٧ ، ٥٢ ، ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق ١٢١ ،

الاختبار ٣٣٠ ، ابن الفرات ١٥ / ٨٣ ، النويري الالمام بالاعلام ١٦٣ ، موزون تاريخ

الحروب المقدسة ٦٧ ، مذكرات جواننيل ٨٣ ، ١٤٢

(٤) الفتح القسي ٣١٦ (٥) الروضتين ١ / ١٨٩



ويقول ابن سناء الملك في هذا المعنى :

ممالك لم يدبرها مدبرها  
حتى آتاه صالح الدين فأصلحت

ويقول العماد مادحا صالح الدين يوم حطين :

قرح الظبي بالظبي في الحرب يطرسه

وقد مدح بها الدين امعد بن يحيى البشارى صاحب حمة بهذا الصنى فقال :

جاهدت في الله طوطا والملوك غسدا

الا برأى خصي أو ينقل صهيبي  
من الفساد كما صحت من الوصب ( ١ )

لا قينة صنيحها للحن مطسب ( ٢ )

يستمتعون بذات الحلي والمجلس ( ٣ )

هذا وقد تعاون الفرنج مع بعض الاشخاص الاعراب الذين اتخذوهم أدوات يستخدونها للقيام بأعمال النهب والتخريب ، ومن ذلك مساعدتهم لمطارة اليميني حين حاول اطاعة لحكم الفاطمي في مصر ، يقول القاضي الفاضل في وصف جماعة عمارة : " ٥٥٥ " وكان أكثر ما يتصلون به ويسترحون اليه المكاتبات المتواترة ، والدراسات المتقاطرة الى الفرنج - خذلهم الله - التي يوصعون لهم فيها سهل المنافع ويحطلونهم فيها على الصنائع والفتاوى ، ويزينون لهم الإستعداد والقدوم ، ويخلعون فيها ريقه الاسلام خلق المرشد المخصوص ، ويد الفرنج بحمد اللد قصيرة عمن إجابتهم ، الا انهم لا يقطعون حبل صلصمهم على عادتهم " ( ٤ ) ، وقد لقي عمارة جزاءه وفي ذلك يقول تاج الدين القندي :

عمارة في الاسلام أبدى جنائمه  
وأسى شريك الشرك في بنى أحمد  
وكان خبيث الملقى ان عجمته  
سلقى غدا ما كان يسقى لاجلسه

وباين فيها بومة وصليبي  
فأصبح في حب الصليب صليبي  
تجدت نمودا في النفاق صليبي  
ويستقى صديدا في لظى وصليبي ( ٥ )

وتد امتثال الفرنج بدو الترك لأهمية المنطقة التي يعيشون فيها إذ تقع في طريق المواصلات بين مصر والشام ، وكذلك بين الديار المقدسة والشام ومصر ، ولذا فقد طالب القاضي الفاضل صالح الدين بتحويلهم ، وجعل ذلك من وسائل قتلهم ، أجنحة الأعداء فيقول : " علم الملوك بما يؤثره البولي بان يتصد الكفار بما يقص أجنحتهم ويفلل أسلحتهم ويقطع موادهم ويخرب بلادهم ، وأكبر الاسباب المسببة على ما يروى من هذه المصلحة أن لا يبقى في بلادهم أحدا من الصرب ، وأن ينقلوا من ذل الكفر الى عز الايمان ، وما اجتهد فيه غايقا لاجتهاد وعده

( ١ )	الروضتين ٤٤/٦
( ٢ )	مثنى الكرب ١٤٤/٣
*	للخزید من الامثلة انظر : ديوان أسامة بن منقذ ( ٢٠١ ) ، ومثنى الكرب ٣٠٣/٤
	الروضتين ٤٤/٢ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، عقد الجمان ج ١٨ ق ١ ورته ١١٦ ، ديوان ابن عنين ص ٢٣
( ٤ )	الروضتين ٦٠٢/١ - ٢٢١
( ٥ )	الروضتين ٢٢١/١

من أعظم أسباب الجهاد ترحيل كثير من أنفارهم ، والحرص في تبديل دارهم ، إلى أن صار  
السد والهرم إذا نهض لا يجد بين يديه دليلاً ولا يستطيع خيلته ولا يهتدى سبيلاً (١) .

هذا فيما يتعلق بتعاون الفرنج مع المنحرفين من المسلمين ، أما تعاونهم من سكان  
المنطقة من غير العرب ، فقد أشرأبت نفوسهم للتعاظم أولاً مع الأرمن ، ثم تحبط بعد مع التتار  
حين غزا هؤلاء بلاد المسلمين ، وقد كاد الفرنج يوثقون المسلمين بين فكي ( كفاشة ) باتحادهم  
مع التتار ، ولكن الوقفة الشجاعة التي وقفها قطز هدمت هذه الآمال ، وقربت نهاية الطرغين ،

ومن الأدلة على تعاون الأرمن مع الفرنج ضد المسلمين ، ما أوردنا للمعاد بشأن ملك  
الألمان الذي جاء بجيش عزمهم لانقاذ القدس وغيرها ، فط كان من الأرمن إلا أن اتصلوا بصالح  
الدين يخبرونه بالجيش البرار ، وكان قصدهم من ذلك إثارة الفزع في نفوس المسلمين ، يقول  
المعاد : " ولا شك أنه إلى جنسه النجس مائل وملازمة أهل ملته قائل " (٢) وهذا ما  
جمل الشاعر الجلال الواسطي بن الخطاب المقرئ يهاجم في شعره ملك الأرمن " ابن لاون " .  
وذلك إذ يقول :

أزرت ابن لاون لاواه  
ودان من السدل لا يرعسوى  
فلا قدم عنده للشهباء  
فأضحى به خبراً من عوسدان  
حذارا من الراغبات اللسدان  
ت وليس له بسطاكم يسسدان (٣)

وقد تعاون التتار مع الأرمن لنصرة الفرنج في النصف الثاني من القرن السابع الهجري  
( الثالث عشر الميلادي ) ، واجتمعت قوات هذه الأحلاف بأعداد هائلة وهاجموا حمص ،  
وصف ابن عبد الظاهر تعاون تلك الأحلاف فيقول عن ملك الأرمن أنه " كان يحصي سرخهم ويورد  
صرخهم ، ويستنطق هتف التتار ويسترجع مدحهم ، وتمتاز طرابلس الشام بأنه خال ابنهم  
الكافر ، ولسان مشورته السئير ، ووجه تدبيره السافر ، وظالما غر وأغرى ، وجر وأجرى ، وضر  
وأضرى " (٤) .

وقد عبر عن ذلك شعراً بقوله :

وأستجمن الجمل والتكفور وأنفقوا  
جاءت تطنون ألفاً من بصوتهم

مع الفرنج ، ومن أوردى به التفسير  
لأرض حمص فكان البعث والنشور (٥)  
ولكن اتحاد مصر والشام ثانية زمن المملوك مكن المنصور قلاوون من إيقاع الهزيمة بهم ، فكانت بداية  
لطردهم من الشام كما يقول أحد شعراء دمشق .  
هلك الكفر في الشام جميعها  
بأمليك المنظر الملسك الار

وأستجد الامام بحدرد حوضه  
وج سيف الاسلام عند نهوضه (٦)

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٥٢٦ - ٥٢٧ (٢) الروضتين ١٥٠/٢

(٣) الروضتين ١٦/٢

(٤) نهاية الارب ج ٥ / ١٥٧ ، وللمزيد من الامثلة انظر الروضتين ١ ق ٢ ، ٣٧١ وأحمد بدوي

في صالح الدين الايوبي بين شعراء عصره وكتابه ص ٥١

(٥) عقد الجمان ج ٢٠ ق ٤ ورقه ٦٧٨ مشط ، وانظر عقد الجمان ٢/٢٠ ورقه ٤٨٥ ، ٤٩٢

والقدسي لويص ص ٢١١

(٦) الروضتين ١/١١٩

## جاء وصف قوتهم :

أبرز الاديان تكالب الفرنج على احتلال الشام واعادة الوسائل لذلك ، ومن هذه الوسائل ضخامة الجيوش ، ان لم يدخلوا مصركة كبيرة في عدد يسيرتق منذ ان دخلوا بلاد المشرق الاسلامي ، يقول ابن الخياط ، وقد طاصر الاحداث الاولى للحروب الصليبية :

إلام وقد زخر المشركون  
وقد جاش من أرض أفرنجية  
وحين هاجموا دمشق زمن مجير الدين ابق كانت الخيل مثل السيل كما يصفها العرقله الكلبى :  
من قاتل الافرنج دينا فسييره  
ويقول أبو المحكم الاندلسي في ذلك :

أطانا ماقتنا الف  
فبعضهم من أندلس  
وحين حاصروا ديباط سنة ٥٦٥ جاءوا بالوف مؤلفة لم يصرف للبحر ساحل لكثرتها ، ويقسول  
فتيان الشافورى في ذلك :

ولما أتوا ديباط كالحجر طامسنا  
يزيد عن الإحصاء والمدد جمعهم  
راوا دونها أسدا بأيديهم القنبا  
وفي وثقة حطين الفاصلة ، زمن صالح الدين يقول العماد : " وخرجوا عن المدد والاحصاء  
وكانوا عدد الرمل والنصا ، وصاروا في زهاء خمسين ألفا أو يزيدون ، ويكيدون وما يكيدون ،  
قد توافوا على صعيد ووافوا من قريب وسعيد ، وهم هناك مقيون ، لا يربون ، " ( ٥ )  
وفيهم يقول ابن سناء الملك :

جمعوا كيدهم وجاءوا أركسنا  
لم تائق الجيوش منهم ولكننا  
كن من يجمع الحديد له تومنا وتاجنا  
وطيلمانا وردنا ( ٦ )

- ( ١ ) ديوان ابن الخياط ١٨٤  
( ٢ ) الروضتين ١٣٦ / ١ / ١ عقد الجمان  
١٢ ق ١ ورقه ١٨١  
( ٣ ) الروضتين ١٣٩ / ١ / ١  
( ٤ ) ديوان فتیان الشافورى ٣١٨  
( ٥ ) الروضتين ٧٦ / ٢  
( ٦ ) ديوان ابن سناء الملك ٨١٤



وحيث فتح صلاح الدين القدس بعد ذلك " رأى بلدنا كبلاد وبعثاً كبلد الكناد ، وغزاهم بعد  
 تألفت وتألفت على الموت فنزلت بمعرضه ، وكان عليها مورد السيف وأن صوت منضته ٠٠٠ " ( ١ )  
 وفي حصار عكا سنة ٥٨٦ هـ جاء بالجيوش الفرنجية من كل صوب " فدبوا بواقي راجل كرجل الدبا  
 وشيل أغت الوهاد والرتى ٠٠٠ " ( ٢ ) ويقول القاضي في وصفهم : " فإنهم أخذ لهم الله  
 أملاً تسمى وبيوش لا تستقى ، وراءهم من ملوك البحر من يأخذ كل سفينة غصبا ، ويطلق في كل  
 مدينة كسبا ٠٠٠ " ( ٣ ) ، وحين هاجموا دمياط زمن الملك الكامل بين المادل بقاءوا بأعداد  
 لا تقل عن الأعداد التي جاءوا بها في المرة الأولى ، يقول تاضي غرة هبة الله بن محاسن في  
 ذلك :

ولما طغى البحر الخضم بأهله للبلد (م) خاة وأضحى بالمراكب من ~~البحر~~  
 أقام لهذا الدين من سلّ عزمه صقيلا كما سلّ الجسام مجتمعا مردا ( ٤ )

ويقول ابن دنيهر في ذلك :  
 إلام التبادى والفرج بجمعهم  
 على بييد دمياط كما انتظم المقصد ( ٥ )

ويقول ابن عنين في وصف الجيوش الفرنجية :  
 قد أفتقوا رأيا وعزبا وهمسنة  
 تداعوا بأضار الصليب فأتلبت  
 عليهم من الماذي كل مفاضنة  
 ودينا كورن كانوا قد أشتاقوا لسننا  
 بسوق كازالون كان لهم سنسنا  
 بلاس كورن المشهور قد أحكمت ونسنا ( ٦ )

وحيث هاجموا مصر في المرة الثالثة سنة ٦٤٧ زمن الملك السالم نجم الدين أيوب وأبنته المصطفى  
 تورانشاه كانوا في عدد عظيم ، يمشون معه أهلها وطلبوا أنهم قد أحيط بهم ، ولكن تورانشاه أستغل  
 غيضان النيل وهاجمهم هجوما شديدا قد رتبهم وأوقف تقدمهم بيل جعلهم يتراجعون ثم استسلموا ،  
 تقول رسالة صدرت عن المصطفى تورانشاه إلى نائبه في دمشق : " فان كان قد استثنى أمره  
 ( أمر لوبير التاسع ) واستحكم شهره ، ويشد المباد من البلاد ، والأكل والأولاد ، فسيودوا  
 لا تياسوا من نبي الله ٠٠٠ " ( ٧ ) ، وفي معركة حمص زمن المنصور المموني أحمد البرنج والأرجين  
 والتار فكانوا جيشا جرارا يذكر عدده ابن عبد الظاهر فيقول :

جاءت ثمانون ألفا فن بحوثهم  
 لأرض مصر فكان البعث والنفسر ( ٨ )

- ( ١ ) صحیح الأعشى ٥٠٦/٦
- ( ٢ ) الروضتين ١٦١/٨
- ( ٣ ) صحیح الأعشى ٢٤/٧
- ( ٤ ) القرطبي ، السلوة المسرفة دول الملوك ٧٠٩/١/١
- ( ٥ ) ديوان ابن دنيهر ورقة ٤
- ( ٦ ) ديوان ابن عنين ص ٢٠
- ( ٧ ) شبايق الأرب ج ٢٧ ورقة ١٠١ مشطوط
- ( ٨ ) عهد الهمان ج ٢ ق ٤ ورقة ٦٧٨

وأخيرا في معركة عكا سنة ٦٩٠ تجميع الفرنج من جميع المناطق ودافعوا الملك الأشرف عنها ولولا  
تصفه لها وحضاره المستمر لما استطاع استعادتها (١) .

هذه أمثلة سريعة \* تلعب من خلالها بيان الأدب لاستمدادهم وتشدد هم وأحتمالهم  
المشقات من أجل الوصول إلى الهدف \* وإذا كان أدباء العرب قد نوهوا بصبر الفرنسيين  
وشجاعتهم \* \* فإننا أرادوا بذلك استنهاض هم المسلمين \* وكان الأدباء أرادوا المقارنة بين  
موقف الصليبيين الذي يثير الإعجاب وموقف المسلمين الذين لم يتذغوا بقوتهم كلها في الميدان \*  
وليستنفذوا الطاقة في دفع العدو عن بلادهم \* على أن التمتع لعدد من لا يخلو من مسدود  
آخر وهو تعظيم نصر المسلمين \* فكلما كان العدو قويا \* كانت قيمة النصر أعظم \* وهذا مما  
أشار إليه الشاعر عمارة اليمني حين خاطب شاور السعدي بقوله :

وما تعدت بنمطي عداك سسسسوى  
تعظيم شأنك \* فأعزني ولا تلتسم (٢)

صورة الجيش الصليبي وحركته

استولى الجيش الصليبي المنظم أنظار الأدباء \* فوصفوه كلا متكافلا في حالة الثبات  
والحركة والهجوم \* وهو في هذه الحالات كلها لا يخرج بعضه عن بعض \* ولا يتأخر فريق عن  
فريق \* وبذلك يحون أنفسهم من أي هجوم إسلامي على جزء مفصل منه .

- (١) أنظر جواهر السلوك ورقة ٤٠٠ وما بعدها  
\* لمزيد من الأمثلة أنظر : الروضتين ١/١/٥٣٧ ، ١١٧/٧ ، ١١٨ ، ديوان أسامة  
بن منقذ ٢٠١ ديوان البهاء زهير ١٢٣ ، عقد الجمان ج ١٢ ق ٣ ورقة ٤٦١ ، ٤٥٢ ،  
ج ١٧ ق ١ ورقة ١٨٠ ، الباهر ٣٣ ، ٥٦ ، الفتح القسي ٢٦٦ ، ٣٢٧ ، ٣٩٠ ،  
٤٣٩ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٧٨ ، الكامل ١١/٥٩ ، ٤٥٦ ، ٢٩/١٢ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ،  
الكروب ٢/١٤٨ ، ٣٠٠ ، ١٤٥/٣
- \* \* أنظر الروضتين ١/١/٣٩١ ، ٢/١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٩٠ ، الاعتبار  
٤٨ ، صبح الاعشى ٧/١٢٨ ، النوادر السلطانية ٩٧ ، ١٦٤ ، ١٩٩ ، ٢١٠ ،  
الكروب ٢/٢٨٣ ، الكامل ١٠/٢٢٢
- (٢) الروضتين ١/١/٥٧٧ ، وفيات الاعيان ٢/١٥٩

ونجد هذه الظاهرة عندهم منذ بداية الحروب الصليبية حتى منتهاها ، فحين حاصر عماد الدين زنكي حصن القارب \* احتصوا بجمع الفرسان والابتناد واحضروا من اذارافس الهاند وجمعوا الدانسي والقاضي ، والمطليخ والناصي ، واقبلوا في جمعهم المشورة بمعسكرهم المعجزة واعظمهم المشورة ، وصلبانهم وينودهم وكنودهم ، وجاء اليه وقد غفر بهم من الارض جنوبها بمواضع منهم شطالهمسا وجنوبها ٠٠٠ \* (١) وشاهد مثل هذا التحرك البطاعي زمن نور الدين ، يقول ابن منير :

اجازوا الارمناء لهم خميسا  
مشوا متساندين الى صاييسب  
بصيد النور ملطم الميساب  
ببرقع شهوة الصم للميساب (٢)

وقد ظهرت هذه الصورة بشكل أوضح في معارك عكا لأن الفترة التي استمرت فيها دامت سنتين ، فصرف المسلمون الفرنج عن كتب ، يقول العماد في وصف هجوم فرنجي على المسلممين :  
" خرجوا يوما قبل مصر ، في عدة كالميل خارجة عن الحصر ، قد التاموا واستأنوا وانضموا وانتظما ، وتقدموا وأقدوا للدوارق حاملين للمسيوف معجزة بين ، ٠٠٠ \* (٣) ، ووصف وصول جيشهم الى ارض المعركة في " جمع شك ، وجمر ذاك ، وقنطاريات طائرات ، وسابريسات سابتات ٠٠٠ \* (٤) .

فلذا ركز الأدب على اظهار حركتهم بشكل جماعي إذ يخرج فارسيهم وراجلهم بشكل جماعي ، اذ يخرج فارسيهم وراجلهم وملوكهم وتمامصتهم وكنودهم ، ويشكلون في ارض المعركة مقدمة ومهمنة ومهجرة وقلبا ، وفي هذا الاطار نجد التنسيق الدقيق ، فالرجال معدون بالفرسان والفرسان يحيطون بالعلم المرتفع ، فان كانوا في حالة انتقال من مكان الى مكان ، سار الجيش دون ان يستجيب لاستفزازات المسلمين الا حين الضرورة ، بل إنه يتحمل المهام الرئيسية ولا يقدم على معركة لا تناسبه ، حتى اذا ما احمر جانب من الجيش بالارهاق جاء جنود من الجانب الآخر وحلوا محل الجنود المحادين للمسلمين ، حتى يصلوا المكان المقصود ، يقول ابن شداد :  
" وتم قسم آخر من الرجال مستريح ، يمضون على جانب البحر ولا قتال عليهم ، فاذا تعب هؤلاء القاننة او استغتمت الجراح ، قام مقامهم القسم المستريح واستراح القسم السائل هذا والخيالة في وسطهم لا يخرجون عن الرجالة الا في وقت الحملة لا غير ٠٠٠ وفي وسط القوم برج على عجله ، وعلتهم يسيرا ايضا في وسطهم كالبنارة العظيمة ، وساروا على هذا المثل ٠٠٠ \* (٥) .

(١) الباهر ٤٠ وأنظر الكامل ٣٠٦/١١

(٢) الروضتين ٢٢٩/١/١

(٣) الفتح القسي ١٦٤

(٤) نفسه ٦٦

(٥) الروضتين ١٩٠/٢

وان كانوا في حالة هجوم فإنهم يهجمون بشكل منظم وبأقصى قوة استطاعة ، يقول العمسباد :  
 " ولداوي دوي وللاستباري هوي ، والباروني يقدم على البوار ، والتركيوني يلقي نفسه على النار (١)  
 وأما إن كانوا في حالة سكون فمن الصعب استشارتهم ، بل يبقى تركيزهم كما هو : الرجال تحمسي  
 الخيالة ، والخيالة تحيد بالحلم ، يقول العمسباد : " ووقفوا على صهوات الخيول الى صحنوة  
 النهار والراجل محدق بهم كالاسوار ، وأصحابنا قد قربوا منهم حتى كادوا يخالطونهم ...  
 ولم ثابتون ثابتون ، وعلى مواطئهم ثابتون ، كالبنيان المرصوص ما فيه خلل والحلقة المخرقة صا  
 اليها مدخل وكالسور المحيط ما عليه متسلق ، وكالجبل الاشم ما فيه متعلق ... (٢) ، ويقول أيضا  
 فإنهم إذا نزلوا صحب نزالهم ، وأتعب قتالهم ، وإذا انبثوا تعذر حصدهم ، وإذا اثبتوا تعسر  
 تصدهم ، وإذا التصقوا ببطان الارض صاروا كالقراد ، وإذا حلقوا في جو الدؤ طاروا كالجراد ،  
 فعند الانتشار يمكن التقاطهم ، وعند الانحصار يمكن احتياطهم ... (٣) .

هذه أمثلة عن صورة الجيش المتكامل\* ، أما الفارس الصليبي ، فهو يتصف بالشجاعة  
 والإقدام ، وينحني بنفسه ليكون سورا للأخرين ، ومما يدل على ذلك ما يرويه ابن شداد عن شاعر  
 عيان " أن فارسا وقع فيه زهاء خمسين سهما وهجرا وطو يتلقاها ولا يمنعه ذلك عما هو بصدده من  
 الذب والقتال " (٤) وما يقوله العمسباد في وصفهم بأنهم " قد التأموا واستألموا وأنصموا وأنظمو  
 وتقدموا وأقدموا ... " (٥) وما يقوله في وصف أفرنجي " كأنه جني مستشيد ، للشيطان نجى ، وهو  
 يدافع ويمانع ويكافح عن تلك الشجرة ويقارع ... " (٦) .

ولم تنقل شجاعة نسائهم عن شجاعتهم ، فقد وجدت بعد قسما مقتولات وكانتها فوارس نسي  
 هيئتها وشجاعتها ، ولم يكن بإمكان المسلمين تبين هويتها الا بعد تصريحها من الدروع ، مما  
 جعل العمسباد يقول : " وفي الفرنج فوارس لهم دروع وقوانين ، وكن في زى الرجال ، ويرزق نسي  
 حومة القتال ، ويمسك عمل أرباب الحجا وهم رياح حجال ... " (٧) \* \*  
 ويظهر من الأدلة السابقة صفة أخرى هي الصبر وتحمل المصاعب ، يقول ابن عيين :

لقد صبروا صبرا جميلا ودافعوا	طويلا فما أبجدى دفاع ولا أغنى
لقوا الموت من زرق الاسنة أحمر	فألقوا بأيديهم الينا فأحسننا
أسود وغى لولا قران سيوفنا	لما ركبوا قيدا ولا سكتوا سجننا (٨)

- |     |  |     |          |     |          |
|-----|--|-----|----------|-----|----------|
| (١) | الفتح القسي ٦٢   | (٢) | نفسه ٢٩٩ | (٣) | نفسه ٢٩٦ |
| *   | المزيد من الأمثلة أنظر : الفتح القسي ٢٩٨ ، ٢٩٥ ، الخريدة قسم الشام ١/٢٣٥ ، ديوان طاهر الحداد ٣٢٥ ، الروضتين ١٢/١٧٩ ، ١٩٠ ، النوادر ١٠٢/١٠٩ ، الكامل ١١/١١٥٣ ، ١٤٨١ ، ١٤٥٠ ، ١٢٤٥٠ ، ٣٣/٣٧٥ |     |          |     |          |
| (٤) | النوادر السلطانية ١٦٧ ، وأنظر ١٦٦ ، والفتح القسي ٣١٢   |     |          |     |          |
| (٥) | الفتح القسي ١٦٤  | (٦) | نفسه ٥٠٤ | (٧) | نفسه ٣٤٩ |
| **  | المزيد من الأمثلة عن الشجاعة انظر : الاعتبار ٦٤ ، النوادر السلطانية ٢٢٣ ، عقد البيمان ج ١٧ ق ١ ورقه ١٩٩ ، الكامل ١١/٣٥٤ ، ٥٥٥ ، الباهر ٤١  |     |          |     |          |
| (٨) | ديوان ابن عيين ٣٠  |     |          |     |          |

ومن الصفات الاخرى التي وصف بها الجيوش الفرنجية اعتقاد الفرس ، سواء باستغلال التمسسوق  
 المياعي عند المسلمين أو باستغلال الظروف الطارئة ، فحين أستنجد بهم ماور من مصر ضد  
 أحد الدين غيركوه ، أتوه على الصعب والذلول طمعا في ملكها ( ١ ) ويظهر هذا الطمع  
 في قول مري لأصحابه " ان نور الدين بحلب ، وعساكره متفرقة ، ومقى وصلنا الى مصر لم يكن لنا  
 من يصدنا عنها فأجابه الى مراده " ( ٢ ) ، ويبدو من قوله هذا اهتمام الفرنج بعزل مصر عن  
 العالم الاسلامي لاهتمتها في تقديم الاموال والرجال ، ولانها تشكل مع الشام فكي ( كما عساه )  
 تحبذ تطلعاتهم التوسعية .

هذا وقد وصف الادب لياهم في المعركة وأشكالهم ، فهذا السباد يصف ليار ، فارس  
 بقوله : " قد أخذ طارته لجسده صدفا ، وصار لسهام المنية صدفا ، وهو كأنه ما نضب ليمسه  
 من النشاب التنفذ ، وتلك السهام من لبس الحديد لا تنفذ ( ٣ ) ، وقد أثنى الشاعر المصري  
 ابن ساره الاهيلي على هذا الصورة في معرض وصفه لبركة فيها سلاحه ، اذ شبهها بالجيوش  
 الفرنجية على رؤوس جنده الخوف وعلى أكتافهم الطوارق يقول :

لله مسجورة في شكل ناظر مسجورة  
 فيها سلاحها ألها في تقاسمها  
 تنافر الشطال حين يحضرها  
 كأنها حين ييديها تصرفها

من الأزاخير أهدانها وطمسها  
 في طابها ، ولها من هرض لحصنها  
 برد العشي فتستدني وتنصصها  
 جيوش النصارى على أكتافها الجحشها

ومعقب الرشيد بن الزبير على قوله هذا بقوله : هذا معنى بديع لا يظن لحسنه الا صبر رأى  
 فرسان الفرنج في طوارقها ورؤوسهم أشبه الاشياء برؤوس السائحف لما عليها بن الشانيق ( ٤ )

ويصفهم ابن شداد بقوله : " وعليهم الكبوراة المشينة والزرديات السابضة المحكمة بحيث  
 يقع فيها النشاب ولا يتأثرون " ( ٥ ) ، ثم يقول : " ولقد شاهدتهم وينشرون في ظهر الواحد  
 منهم النشابة والمخيرة وهو يسير على شيعته من غير أنزاج " ( ٦ ) .

هذه هي هيئة المقاتل الفرنجي ، الراجل منهم أو الفارس ، وقد وصف ابن شداد  
 صورة الفرس التي يركبها الفارس ومقدار ثاقبهم في تزيينها بالزرد حتى الحواغر يقول : " وكان  
 عليه لبر لم ير مثله ( ٧ ) .

- 
- ( ١ ) الكامل ٣٦٤/١١
  - ( ٢ ) الفتح القسي ٥٠٤
  - ( ٣ ) الخريدة / قسم شعراء مصر ج ٢ ق ٤ ص ٣٧٨ وأظن ابن القائسي ص ٣٣٨
  - ( ٤ ) النوادر ١٧٦ ، ذيل تاريخ دمشق ٣٤٣
  - ( ٥ ) النوادر ١٧٦
  - ( ٦ ) نفسه ١٥٠

ومع أن تلك الصفات استأثرت بأعجاب الأدباء بهم إلا أنها كانت تنظمها أو تكاد لا تنظمها  
 الفرنج إلى النزعة الانسانية إذ إن الشجاعة المظلمة ترتبط عادة بسطات انسان كريم ، كالتسامح  
 ونيل الاخلاق والتواضع عند النصر ، ولكن الفرنج لم يتخلوا بهذه الصفات ، مما جعل أسامة يسن  
 بنقد يقول فيهم : " اذا خبر الانسان أمور الفرنج سبح الله تعالى وقدسه ، ورأى بهائهم  
 فيهم غنيلة الشجاعة والقتال لا غير ، كما في البهائم غنيلة القوة والحمل " ( ١ ) ، فلا عجب إذ  
 أن يصدروا أدباء العرب أحكاما قاسية عليهم ، حتى وان أشادوا بشجاعتهم وخصالهم وهو صبرهم  
 وما وسم به الفرنج على السنة أدباء العرب ، الذرور والقدرة ، والوشحية والعقد والجهل والتحدى  
 على الآخرين . . . . وقد ذكرنا أدلة كثيرة مضت في معرض الحديث عن المصراع الحضاري ، لكن لا  
 بأس أن نذكر مثالا جامعا للمصاد في وصف المركب صاحب صور يقول : " وكان المركب من أكبر  
 طواغيت الكثر ، وأغوى شيائطه وأشرى سراحيته ، وأخبث ذنابه ، وأنجس كتابه ، وأغوى أعوانه ،  
 وأخون اخوانه ، وأبغض بغائته ، وأجفى جفائته ، وأرعى حماته ، وأحصى رطاته ، وشر شراره ،  
 وأنكر نكارة ، وأفجر فجاره ، وأروغ شعاليه ، وأصعب عقابه ، وأحنك معانديه ، وأنكسبت  
 معانديه . . . . " ( ٢ ) ■

وقد تقدم الأدباء في مقابل ذلك صورة للمبطل المسلم بعيدا عن الطيش والانسداد  
 شجاعا تقيا عادلا متواضعا ، يقظا كريما ، مرعيا للمظالمين ، تريبا إلى قلوب الناس الذي يمن  
 يحكمهم ■ ■ ■

( ١ ) الاعتبار ٦٤ ، ٦٧

( ٢ ) الفتح القسي ١٠٦

■ لمزيد من الامثلة : النوادر ١٦٩ ، الروضتين ١٨٢ / ١ / ١ ، ١١٧ / ٢ ، الفتح ١٠٦ ،  
 ١١٠ ، ديوان أسامة ٢٠٣ ، الكامل ١٢٩ / ١١  
 ■ ■ أنظر أمثلة على هذه الصفات : الروضتين ١ / ١ / ٤٣ ، ٥٠ ، ١٠٥ ،  
 جائق ١٣ / ٢ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠

## ثانيا : الأسلحة والمعدات العسكرية :

ميز الادب بين نوعين من الاسلحة التي استعملها الصليبيون ، وهما الاسلحة الخفيفة ، وهي غالبا ما تكون اسلحة فردية يحملها الجندي الصليبي ، والاسلحة الثقيلة وهي التي يعتمد عليها الجيش الصليبي في مجموعته ، وتستعمل في الهجوم والدفاع .

اما الاسلحة الخفيفة فهي الاسلحة الضرورية لكل مقاتل كالترس، والدرع والسيف والقوس، والسهام والرمح ، يقول ابن سناء الملك واصفا الجندي الصليبي ( المدرج ) :

حملوا كالجمال عظما واكسبوا  
جملها حملت خيلك عهشبا  
نا فمن بدد فارسا هدا ركنسبا  
لم تلاق الجيوش منهمم واكنسبا  
كل من يجعل الحديد له فيسبو  
با ولجا وطلبنا زده نسبا ( ١ )

وقد ذكر العزقة مسورة طريقة لآتراس الفرنج وطوارقهم ، وشبهه الططاج المصنوع من العجسين ( نوع من الحلوى يصنع من طبقات رقيقة جدا من العجين ) وفيما السبخات بالطوارق ( الاتراس ) الفرنجية التي علفت فيها السهام التركية يقول :

الارب طاه جاءنا بسد غسيرة  
وقد غارت السبخات فيها كأنهم سبسا  
بأطبارق ططاج اشرف من الثلج  
يفالغ ترك في طوارق أنرنسبج ( ٢ )

وقد جاء ذكر الطوارق عند ابن القيسراني قبل ذلك في معرض حديثه عن انتصار نور الدين على الفرنج في بوقعة أنب ، وقد وهم محقق الروضتين ان ظنهما رطحا ( ٣ ) ، والمعنى بها لا يستقيم ، فأين القيسراني يصف انقلاب السلاح الذي بأيديهم من سلاح فتاك بالمسلمين الى سلاح فتاك بهم ، حتى إن الاتراس ( الطوارق ) التي كانت تقيمهم الرمح والسهم أصبحت تتور تحتها المصائب وذلك بأن تسمح للسهم والرمح بأن تنفذ منها حاملة الموت للأعداء فيقول :

كانت سهونهم أوحى حثوثهم  
حتى الطوارق كانت من طوارقهم  
يا رب حائفة منجاتها الصطسب  
ثارت عليهم بها من تحتها النسوب ( ٤ )

وجاء في ذيل تاريخ دمشق أن نور الدين زين قلعة دمشق بالطوارق الفرنجية وأنواع الاسلحة ( ٥ ) كما جاء في الخريدة ( قسم شعراء مصر ) أن الشاعر ابن سارقا لاشبهولي وصف بركة ماء وفيه سلاح بصورة الجيش الصليبي الذي يلبس أفرادها الشوذ ويضج كل منهم الترس على كتفه ( ٦ ) .

- ( ١ ) ديوان ابن سناء الملك ٨١٤
- ( ٢ ) الخريدة / شعراء الشام ١٩٠ / ١
- ( ٣ ) أنظر الروضتين ١ / ١ / ١٥٢ - ١٥٤ وقد ذكرت الطوارق بمعنى الترس في هامش رقم ( ٥ ) من كتاب النوادر السلطانية ص ١٢٢
- ( ٤ ) الروضتين ١ / ١ / ١٥٢ - ١٥٤
- ( ٥ ) ابن اللاتسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ٣٢٨
- ( ٦ ) الخريدة / قسم شعراء مصر ٢ / ٢ / ٣٢٨

وبالإضافة إلى الترس والسيف فقد أستعملوا الدروع الحديدية الواتية لهم ولغيرهم • يقول ابن جرير  
شداد عن ابن ملك الالمان إنه " عرض عسكره في أثين وأرسين محفوظا " (١) وجاء نسي  
المحجم الوسيط أن التجفاف آلة للحرب من حديد وغيره يلبسه الفرسان أو الانسان ليقيه في الحرب •  
كما أستعملوا النشاب والجرن \* وقد ذكر ذلك ابن الوردي الذي شارك في معركة نكا الأشيرة  
سنة ٦٩٠ هـ (٢) •

وأما الآلات الثقيلة • فقد أظهر الادب أنواعها وصورها بشكل مفصل • وذلك لتصوير ثروة  
الجيش الفرنجي وكثرة عدده • وقد كان بعض هذه الآلات يصنعها الفرنج في أرض المصركة مثل  
الأبراج والمدبابات والمجانيق والجسور • وكان بعضها يأتي مصنوتا من بلادهم • وأخصها  
القطع البحرية •

وقد أستخدمت القطع البحرية • في نقل البنود والسلاح والميرة من أوروبا إلى المشرق  
الاسلامي • كما كانت تستعمل أيضا في عمليات الهجوم ضد المدن الساحلية • يقول ابن الفرات  
في تاريخه " إن الفرنج نزلوا على ديهات سنة ٥٦٥ هـ في عالم عظيم • وكان وصولهم في السف  
ومئة مركب ما بين شيني ومسطج وطريدة " (٣) • ويقول الصماد في حديثه عن ملك الانجليز  
" وكان معه من الشواني خمسين وعشرون قطعة كل واحدة منها تضاهي ثلثة وتوازي قلعة •  
وأحدث في القلوب روعت وأرت في النفوس لوعة " (٤) • وفي حصار ديهات سنة ٦١٥ هـ وصل  
للفرنج مركب عظيم " يسمى " مرقة وحوله عدة حراقات يحوننه • والجميع ملوؤ من المسسيرة  
والسلاح وما يحتاجون اليه " (٥) • ولكن ذلك لا يعني أنهم لم يصنعوا مركب في الأرض التي  
أحتلوها • فقد ذكر ابن الأثير ان البرنس أرناط على أسطولا فأنزله في بحر ايله • وأغترقوا غرقتين  
الأولى على حصن ايله وهو للمسلمين والثانية على عيذاب " (٦) •

والأمثلة على استعمال السفن في الهجوم على المدن المحصنة كثيرة • ومنها ما ذكره ابن  
الفرات أيضا من " ان الفرنج أخذوا مركبا يصلو سور ديهات وحصنوه من الرجال والسلاح وأجزوه  
في البحر إلى أن وصل سور ديهات فوثبوا منه إلى السور وثقوتها " (٧) •

(١) النوادر ١٦٦ هـ وأنظر الكامل ٤٦/١٦

\* الجرن - نوع من الأقواس الرامية التي يرمى عنها النشاب أو النقط

(٨) تاريخ ابن الوردي ٦٢٥/٧ • أبو الفداء / المختصر في تاريخ البشر ٢٥/٤

(٢) تاريخ ابن الفرات مج ٤ ج ٨ ص ٨٣ • وأنظر المراكب في ابن التلاني ١٧١

(٤) الفتح القسي ٤٨٤

(٥) فخر الكروب ٩٥/٤

(٦) الكامل ٤٩٠/١١٠

(٧) تاريخ ابن الفرات مج ٤ ج ٨ ص ٨٦ • وأنظر آثار البلاد للقريني ١٩٤ هـ ٢٢٧ وتاريخ

ابن الفرات مج ٥ ج ١ ص ٢٢٠



ومن المدن الساحلية التي تعرضت لهجوم المراكب مدينة عكا ، فقد ذكر ابن شداد أن الفرنج أعدوا في البحر بحملة هائلة وضموا فيها برجا بخرطوم اذا أرادوا قلبه على السور أثقل سب بالحركات ، ويبقى طريقا الى المكان الذي ينقلب عليه فتحشي عليه المقاتلة " ( ١ ) ، كما وصف العماد أحد المراكب التي هاجمت عكا فقال : " وأخذ تلك المراكب قد ركب بين على رأس صارية لا يطاوله طود ولا يباريه ، وقد حشي بالنفط والحطب وضيق عطنه لسعة المحلب " ( ٢ ) ، وقد أخذ الفرنج على مثل هذه المراكب في حروبهم للمسلمين في عكا سنة ٦٩٠ هـ ، فيروي ابن الوردي وقد أشترك في المعركة ، أنه شاهد " مراكب مقببة بالحطب الحلب ، جلود الجواميس ، ويرمسي الفرنج منها بالنشاب والجروح والقتال من قدامهم من جهة المدينة وعن يمينهم من البحر ، وأحضروا بحملة فيها منجنيق يرمي على الحمويين " ( ٣ ) .

ومن الآلات الثقيلة التي صنعوها ، الأبراج ، ونلاحظ أنهم اعتمدوا عليها في وقت مبكر من الحروب الصليبية ، إذ استخدموها في حصار صيدا سنة ٥٠٤ هـ ، فصلوا برجا وزحفوا به على سورها ، ويذكر ابن القلانسي هيئته بأنه " ملبس بحطب الكرم والبصط وجلود البقر الطرية لينح من الحجارة والنفط ، وكانوا اذا أحكموه على هذا الصورة نقلوه على بكر تركب تحته في عدة أيام متفرقة " ( ٤ ) . وقد زاد اعتمادهم على الأبراج في حصار عكا ، وذلك حتى يصلوا السور سورها فينقبوه أو يرتقوه ، ولما احتاجوا الى المواد الأولية استوردوها من أوروبا ، وتحملوا غسي نقلها المصاعب الكثيرة ، يروي ابن واصل أن " الفرنج قد شرعوا في بناء ثلاثة أبراج طالية عظام ونقلوا في البحر الآتيا ، وأخشاها الجافية وقطع الحديد ، وتعبوا فيها سبعة أشهر ، فسلبت كأنها أطواد ، ونسبت في ثلاثة مواضع من أقطار البلد ، وملئت طبقاتها بالعدة والعدد وكل بين منها في أركانها أربع أسطوانات طالية تقلاظ ، طول كل واحدة خمسون ذراعا لتشرع على ارتفاع سور البلد وسطوها على دوائر العجل ، ثم كسوها بجلود البقر ، وسقفوها بالخشب والشجر " ( ٥ ) ، ويصف ابن شداد مساحتها وسمتها فيقول : يسع الواحد منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة نفر على ما قيل ويتسع سطحها لأن ينصب عليه منجنيق " ( ٦ ) .

ويلاحظ العماد بلخته المؤتقة ما ذكره ابن شداد وغيره مبينا أن البرج يتكون من عدة طبقات فيقول : " وركبوها من الأخشاب الطوال الأطوال ، والعمد الثقيل ، وسقفوها وسقفوها ونصبوها وأحكموها ، وسقفوها طباقا ، وسقفوها بالحديد وجعلوا لها منه أطواتها ، ورتقوها شدا وشدوها وثاقا ، ولبسوها بالسلخ وملاءوها بالجروح ، وزحفوا بها السور وكشفوا بالرعي منها بعض سقف الدور " ( ٧ ) .

- ( ١ ) النوادر ١٤١ ( ٢ ) الفتح القسي ٤٦٧  
 ( ٣ ) تاريخ ابن الوردي ٢٣٥/٢ ، اهو الفداء تاريخ مختصر البشر ٢٥/٤  
 ( ٤ ) ذيل تاريخ دمشق ١٧١ هـ وأنظر زيدنا الحلب ١٤٦/٨  
 ( ٥ ) مفتح الكرب ٣١٥/٢ ( ٦ ) النوادر السلطانية ١٢٠  
 ( ٧ ) الفتح القسي ٣٦٧ هـ وأنظر ص ٣٧٠ ، لوصف الدبابات ، وأنظر تحقيق الشيبان للنوادر السلطانية هامش ص ٤٦

والآلات الثقيلة التي استخدمها الفرنج هي الدبابة ، وقد جعلها القاضي الفاضل شبيهة للبرج ، مع أن هناك فروقا بين الآتين يقول أنها " تشبه الأبراج في بقاء أشغالها وسما وارتفاعها ، وكثرة مقاتليها واتساعها " ( ١ ) ، والحقائق أنها أتصر منها لأن من أعمالها سد المصارع من طريق دفعها بالكهش ولذلك يجب أن تكون أتصر من السور أو أعلى منه قليلا ، بينما يكون البرج كما ظهر من الأدلة السابقة أعلى من السور ، أما أنها تشبه البرج في المصعة ، فربما كان ذلك صحيحا ، لأن البرج يتكون من طبقات يحلو بعضها بعضها ، وأما الدبابة فهي متسعة ولا تتكون من طبقات مرتفعة ، على أن هناك فرقين آخرين بين الدبابة والبرج هما :

أولا : - أن الدبابة تتكون من عدة طبقات متداخلة مما يجعلها أقوى من البرج ( ٢ ) ،  
ثانيا : - أن البرج يختلف عن الدبابة في الشكل وفي المحتويات كما سيتضح من وصف الدبابسة فيما يلي ، وقد ثخن الفرنج في صنع هذه الدبابات مع مرور الأيام ، لا سيما حين تمكن المسلمون من حرق بعضها في عكا ، فجعلوها " بأربع طبقات : الأولى من الخشب والثانية من الرصاص والثالثة من الحديد والرابعة من النحاس وكانت تصلو على السور " ، وتركب فيها المقاتلة " ( ٣ )  
ويصفها العماد بقوله : وكان الفرنج قد اتخذوا دبابة عظيمة هائلة ، قد أظهرت لها في الشر ظفلة ، ولها أربع طباق ، شدها على الارتباط باق ، ولها من الأحكام يا بوليا ، وشي خشب ورصاص وحديد ونحاس " ( ٤ ) ثم يصف أثرها في إثارة الرعب لدى المسلمين يقول : " وبلي البلد منها بكل بلية ، ورزى بكل رزية ، وكانت هذه الدبابة على العجل ، ليقرسوا بتقريبها أسباب الاجل ، فباتت القلوب منها على الوجل ، وكاد أصحابنا يطلبون الأسمان ، وخضع كل أبي وأستان ، فقارعوا عندها أشد قراع وما صموا أشد صاع " ( ٥ ) .

ولما كان سور عكا طمعا ، والدفاع الاسلامي عنها شديدا ، فقد أضاف الفرنج إلى الدبابات اضافات أخرى ، مما جعل شاهد العيان ابن شداد يسميها " بالآلات المجهيصة والصنائع الخريبة " ( ٦ ) ، ومن هذه الاضافات رأس عظيم طويل مدبب لهدم الاسوار ، يقول ابن شداد في ذلك : فأتخذ الفرنج من الآلات المجهيصة والصنائع الخريبة ما أشال الناظر اليه من شدة الخوف على البلد ( عكا ) . . . . . عندما أحدثوه آلة عظيمة تسمى دبابة ، ويدخل تحتها من المقاتلة خلق عظيم ، ملبسة بصفايح الحديد ، ولها من تحتها عجل تحرك بها من داخل ، وفيها المقاتلة حتى ينطع بها السور ولها رأس عظيم ، بركة شديدة من حديد ، وهي تسمى كبشها ينطع بها السور بشدة عظيمة ، لأنه يجرها خلق عظيم فتهدمه بتكرار نطحها " ( ٦ ) .

- ( ١ ) - الألبام بالأعلام ، ١٦٥ ، ( ٢ ) - أنظر الكامل ، ٤٥ / ١٦ ،  
يعني هذا القول أن الأصل فيها أدنى من السور ولكن هذه الدبابة ركب عليها بسنن خشبي جعلوها تصلو السور ، أنظر النوادر السلطانية ، ص ٤٥ ، هامش رقم ( ١ )  
( ٣ ) - النوادر السلطانية ، ص ١١٦ ، ( ٤ ) - الفتح القسي ، ٤٨٧ ،  
( ٥ ) - نفسه ، ٤٨٧ ، ( ٦ ) - النوادر السلطانية ، ١٤٠

ويصف العماد هذا القبر، وعمله فيقول: "وأستأنف الفرنج عمل دبابه باعثة و السكة للشواغل فائقة في شكلها رأس عظيم يتألف له القبر، وله قرنان في طول رصحين كالعمود يسمون الخليطين و أفعال الاسوار بها تفتر، فكلم سور اذا نطحته باحنته و وكم معقل حصنه الدشمر حصنه وحصنته ٠٠٠" (١) وحقى تفلح هذه الدبابه في اضعاف طعم المسلمين من جهسة وتقاوم التدور النخاية التي كانت تقذف عليها أشكوا بناء ساء و ألبسوا كبشها الحديد والنحاس، يقول العماد: "٠٠٠ وقد منقوها من كبشها بأعمدة الحديد و وكموا لها أمياب الاحكام الحديد و ولبسوا رأسي القبر، بعد الحديد النحاس، وكمونا حذرا عليها من النار سائسر لبارالبا، فلم يبق للنار اليها سيبين ولا للصلب عليها دليل (٢) ."

وقد أحدثت الفرنج آلة أخرى تشبه الدبابه أو القبو سماها ابن شداد بالسنور و إلا أن رأسها محدد على شكل السكة التي يخرت بها و ورأسها القبر مدور وهذا يهدم بثقله و وتلساه تهدم بحدتها وثقلها ٠٠" (٣) .

والآلة الرابعة الثقيلة هي المنجنيق\* ووهو آلة من الآت الحصار والهجوم في قامة العصر و وقد أئنه من الحجارة جلبها الفرنج معهم مرة من صقلية وقد فوا بها الاسكندرية و يقول القاضي الفاضل: و نصبوا ثلاث دبابات بكبايتها وثلاثة مبانيق كبارا المقادير و تضرب بحجارة أستحبوها من صقلية و تصعب الناس من أثرها وعظم حبرها ٠٠٠" (٤) .

وبما يلفت النظر في هذا الجانب أن الأدباء أمعنوا في وصف الدبابات والأبصار ولكنهم لم يقدموا صورة دقيقة للمجانيق الفرنجية و وإنما وصفوا المجانيق الاسلامية و يقسمون شهاب الدين محمود: ونسبت المجانيق (الاسلامية) فلم ترح حق بنسبها (الفرنجية) و سطلت عليها و ناسب قدما في التحامل أبعد من أسسها و أستنهضتها المدا فأعلمهم أسس أنها لا تليق المداع عن غيرها بعد أن عجزت عن نفسها و وسطلت أنفسها اماراة على سبب الاذعان و رعت أسابها: إما إجابة ان تذل للشهد وإما إجابة الى طلب الامان (٥) و يتاول أيضا:

كأن المجانيق التي قمن حولها رواعد سخط وملها النار والصغر (٦)

(١) المقدم التسي ٤٣٧

(٢) المصدر السابق ٤٣٨

(٣) النوادر السلطانية ١٤١

\* عن المنجنيق أنظر النوادر السلطانية، ص ٤٤٠، ص ٢٦٠ وصبح الأعيان ١٤٤/٢

(٤) الإلهام بالأعظم ١٦٥ و أنظر تفاصيل الحصار في الكامل (١) ٤١٣/١ و ابن شداد

النوادر السلطانية ٤١ - ٤٦

(٥) صبح الأعيان ٣٩٦/٨ و حسن التوسل ١٤٥

(٦) البداية والنهاية ٣٢٩/١٣

ومما يرتبط بالأسلحة الثقيلة بعض الأدوات المساعدة في الحروب في الجيش الفرنجسي والإسلامي مثل أدوات إطفاء الحريق، أو إلقاء النخل، وقد كانوا يستعملون المتائر السمسمي يتخذونها من الجلود واللبود المبلولة بالنخل والخمر، يقول الصمد في وصف عملية إلقاء الحريق " وجاء الفرنج تلك الليلة فباتوا بالمتتهات ( براميل صنيعة ) يدافعون بالنخل والخمر تلك الضحل المستوليات " ( ١ )

ومن هذه الأدوات السائل والجسور، ففي حصار عكا سنة ٥٨٦ هـ استعملوا السائل السم الكبيبة الهائلة، كما استعملوها في التسلق على قلعة الطور، ولولا أن رماهم المسلمون بالنخل ( ٢ )، وأما الجسور فقد ذكرها عطار اليميني في معرض مدحه لأسد الدين شيركسوه :  
لئن نصبوا في البر جسرا فأنكسهم عبرته ببخر من حديد على الجسر ( ٣ )

وفي سنة ٦٠٥ هـ أثار الفرنج على باب تدبر من حصن، بعد أن مدوا على نهر الناصبي جسرا خشبيا ( ٤ )، وشفوه من الأخشاب القوية التي تتحمل مرور جيش كبير عليه، وقد أشار الأدباء إلى طول العدة التي يقضيها الفرنج في عمل هذه الآلات، كما ذكروا تكاليفها الباهظة يقول الصمد : " ولهم منذ تسعة أشهر يجمعون هذه الآلات ويستعملون عليها الخراسيات، حتى أتوا أبراجا أعلى من أبراج السور بضعف سمكها، وتربوها ناكية في الشتر المعسروس بنتكها " ( ٥ )، كما يذكر أن الكندهرى أنفق على أحد المنجنيقات ألفا وخمسمائة دينار ( ٦ ) .

- 
- ( ١ ) الفتح التقي ٤٧٣ هـ وأنظر النوادر ١٤١ هـ وفتح الكروب ٣٠٣/٢ هـ ٣١٥  
 ( ٢ ) الذيل على الروستين ١٠٧  
 ( ٣ ) القابل ٣٠٠/١١  
 ( ٤ ) الذيل على الروستين ٦٧  
 ( ٥ ) الفتح التقي ٢٧٢ هـ وأنظر ٣٧٧، وابن القلائسي ١٧٩  
 ( ٦ ) الفتح التقي ٤١٦

ثالثا : التحصينات :

اتخذ السليبيون التحصينات الدفاعية ، تحسبا لأي هجوم إسلامي عليهم لأنهم يعلمون أنهم طارئون على أرض المسلمين ، ولذلك اعتدوا في حياتهم على عاملين أساسيين : الأول : الأعداء الخارجية ، وقد مر ذكرها : والثاني : التحصينات .

وقد صور الأدب ، ولا سيما الشعر ، أنواع هذه التحصينات ، وذكر أربعة أنواع لها : ( ١ ) الحصون ( ٢ ) القلاع ( ٣ ) البنادق ( ٤ ) الأسوار .

أما الحصون فهي كثيرة ومنتشرة في الأماكن ذات التجمع السكاني أو ذات الموقع " الاستراتيجي " ولذلك ذكر الأدباء نوعين من الحصون : برية وبحرية ، ومن الحصون البرية حصن كوكب وبيت الأحزان والكرام والشويخ والموقب وبرزية ، وأما الحصون البحرية فمنها : مرتية والذقيسة ، وما يدخل في ذلك أيضا ، المدن الحصينة كالرما والقدر وشكا وصور .

وتشترك هذه الحصون سواء في ذلك البرية منها أو البحرية ، أو المدن الحصينة في صفات القوة والدمعة ، يقول الصطاد في وصف كوكب : " وجئنا إلى كوكب فوجدنا في ضاغط الكوكب ، كأنها وكر العنقاء ، ومنزل العواء ، وقد نزلتها كلاب عاوية ، ونزعت بها ذئباب غاوية " ( ١ ) .

وفي بيت الأحزان تجمع الفرع امرأته تحركات صالح الدين ، فجهز جيشا لمحاربتهم فاحتدوا فيه لاعتقادهم أنه يحتملهم ، لكن صالح الدين شيب ظنهم ، ودبر حصنهم ، وفي ذلك يقول حمادة المخزوم الحمصي :

فناظرت من جيش نهضت بمشيمه  
وزرت بما لحين الذي لو تحصنست  
تصت به سلب السليب ورضيمه  
هبيت إليه هبة يوسيمه

فأعدت ، لما أن نهضت به ، المصدى  
فوارسه بالنجم أوردته السمردي  
وشهدته لما عفا فشمها  
تعيد فباء كل ما كان بجلدا ( ٢ )

وقد اتخذ الفرنج حصني الكرك والشويخ مركزا مهما للمهاجمة للقواغل الإسلامية ، ولحق أي امتداد بين الشام ومصر ، فنبأ عن تهديد الأماكن المقدسة ، ولذلك وصفه القاضي الفاضل بأنه " شجا في الحناجر ، وتذى في المهاجر ، قد أخذ الأمل بمخنقتها ، وقعد بارصناد العزائم وطرقها ، ورعد الطرقات المسلوكة ، وحير في السبل المسكوكة ، وصار ذئبا للذئب نسي ذلك الفخ ، وهذرا لتارك غريضة الله من الحج . . . . . وجلهم من هام الأسانم فكان عما يشمه ، وجثم على أنفاس الحناجر فلم يدع نفسا يصعد من تنهاته ، فواديه من مسائل الصائل بمهيمها وظله من نجوم الأسنة بمطالعها ، ودلو والشويخ ، يسر الله الأشقر ( فتحة ) كبيت الواصف

لحم رجال أو يولفان دسا ( ٣ )

لا مرم يوم الأ وفد همم

( ١ ) الروضتين ١٣٦/٢ : الفاضل من كاتم القاضي الفاضل ورقه ٢٥ ص ١٢/٢  
( ٢ ) الروضتين ١٢/٢  
( ٣ ) ابن ينانة المصري : الفاضل من كاتم القاضي الفاضل ورقه ٢٥ ص ١٢/٢

وكفى إشارة إلى أنه كان الخزانة ومقرها ومستودع الثريضة ومستقرها . . . .  
 وقد تصد القاضي بهذا الوصف تحريض صالح الدين ، وبالفصل حرك صالح الدين جيشه لتأديب  
 صاحبه ، وقد تراءى له أن من اليسير عليه امتلاكه ، لبعده عن أمادات الفرنج ، ولكن موقصه  
 الحصين جعل صالح الدين يتريث ويحتال لامتلاكه ، يقول العماد : " ولولا الخندق المانع  
 من الإرادة ، وأنه ليس من الخنادق المعتادة ، بل هو واد من الأودية ، وأسن الانغيسة ،  
 لسهل المشرح ، وهجم الموضح ، فلهيئق الا تدبير طم الخندق ، والاخذ بعد ذلك من المدو  
 بالمختق " ( ١ ) ، وينقل القاضي الفاضل صورة امتلاكه ، ومن خلالها نلج منحة هذا الحصين  
 وقوته ، يقول : " وأما الترك فكثرت المنجنيقات عليه مظاهرة ، وحجارتها على من فيه حابرة ،  
 وقد جدت أنوف الأبرجسة ، وأسلبت قنار السائر وجوشها المتبرجة . . . . " ( ٢ ) ، وتقيجسة  
 لهذا القصف العنيف أنهدم البزء المقابل للمنجنيقات بما سهل السيطرة عليه ، يقول العماد :  
 " فالسور المقابل للمنجنيقات قد أنهدمت أبراجه وأبدانه ، وأنهدمت تواعده وأركانه . . . . " ( ٣ )  
 إلا أن هذا الحصن لا يقارن بحصن المرقب ، وقد قم شهاب الدين ، محدود صوريتين طريشتين له ،  
 لحدانها شسرية والأشرى نثرية ، يقول في الأولى مادحا المنصور قاثورون :

أوردتها المرقب الحالي وليس سوى	ماء الهجرة في أرجائها نهر
كانه وكان الجو يكتسبه	وشم تمثله في بايها التكم
يختار كالعادة المذراء قد نللمست	منه مكان اللآكي الانجم الزمست
لها الهائل سوار والسها شمسف	والقلب قلب وسود الدجى طس
تعلو الرياح إليه كي تحيط بسف	خبرا ، وتدنو وما في ضمها شمس
وليس يروى بماء السحب مسعدة	إيه من فيه إلا وهو منحسدر
وأشربت حوله نار لها لهسب	من السيوف ومن نيل الوش شسر
وللقوب ديبب في مفاصلسسه	تتير سقط ولا ييدو له أشسر
أضحى به مثل صب لا تبين بسسه	نار الهوى وشي في الاحشاء تستمر ( ٤ )

ويقول في الثانية : " وعوله من الجبان الشم كل شاخ ، تنهيب عقاب الجنو قطع عقابسه ،  
 وتقف السرج خدما دون التوقل في مضاهيه . . . . قد تفرط بالنجوم ، وتترطق بالفيوم ، وسطا غرعه  
 الى السماء ، ورسا أصله في التخوم ، تغال الحصن اذا علت أنها تنتقل في أبراجسسه ،

- ( ١ ) الروضتين ٥٦/٦
- ( ٢ ) المصدر السابق ٥٥/٦
- ( ٣ ) المصدر السابق ٥٥/٦
- ( ٤ ) النجوم الزاهرة ٣١٧/٧ و ٣١٩

وظن من سما الى السسها أنه ذبالة في سراجها ، فكلم من ذي جيوهر، تدمات بنصته ، وذي سلوات  
 أعبل الحيل فلم يثن من نظره على البعد بفرصته ، لا يملوه من مسمى الطير سوى نسر الفلنك  
 وبرزمه ، ولا يرمى متبرجات أبراجه غير عين شمسه والذقل التي تدارف من أنجه ٠٠٠ " (١)

ولكن كان في هذا الوصف ما لفت ، فان ابن جبال الظاهر يصفه وصفا واقصيا بسنن يقول :  
 حسن عظيم التدر في سيرة  
 اذ بدا والقيم من حواسمه  
 وان تلح للعين أبراجه  
 لمن صور قبلك لم يكتب  
 تقول : نجم لاج في فهمه  
 يقال هذا موكب الكوكب (٢)

ويحاول بنا الحتام لو استمرنا بقية الحصون البرية \* ، ولذلك ننتقل الى النوح الثاني منها ونسوي  
 الحصون البحرية :  
 تفنن الصليبيون في صنع هذه الحصون ، كما تفننوا في صنع الابراج والديابات ، فأقاموا  
 في البحر ، دون أن ينظروا للصعوبات التي تواجههم ، مما يدل على تقدمهم في فن الحرب ،  
 يقول ابن عبد الظاهر في وصف حصن برقية : " ٠٠٠ عرضه قريب من طوله ، كل جانب منه خمسة  
 وعشرون ذراعا ونصف بالصل ، وعرض سورة سبعة أذرع ، وهو سبع طباق ، وفي على دراكب فرقت  
 في وسط البحر ، فيها أحمال كثيرة من العجارة تحت كل قطر منه مخرق تسطائة مركب فيها  
 عجارة ، وبين كل حجرين في أسوارها قضبان من الحديد متصلان ( في الأرض قضبان مسن  
 الحديد متصلين ) وعليها شبك الرصاص ، وداخله صهريج عظيم ، وفوق الصهريج قبسوس ،  
 وفوق القبو أخشاب ، وفوق الأخشاب حصص سفار ، وفوق الحصص خيش ، وفوق الخيش حبال  
 قنب مشددة ، حتى اذا نصب المنجنيق من البروري به لا يبلى ما يرمى فيه ، ويقع الحجر من  
 أعلاه في الماء ، وفيه مائة مقاتل ، ولا يؤخذ هذا الحصن بحصار ولا بضايقة ٠٠٠ " (٣)

ويظهر مما سبق مقدار المهارة وحسن الثاني في صنعه ليكون حاميا لهم في الملطات ومركزا  
 دفاعيا اذا دناهم المسلمون ، ولكن الرعب غرّب هذا الحصن كما غرّب الزلزال حصنا آخر  
 هو برج اللاذنية ، ويصف ابن عبد الظاهر هذا البرج البحر ، لا من حيث طريقة البناء ، وإنما  
 يسلط الانواء على أتره في السلاحين ، وأصعبته للفرنح ، يقول : " وهذا البرج شمس في أنس  
 تلك الجهات ، وآفة عليها من أكبر الآفات ، طالما أصبح وأمسى حصرة في قلوب المسلمين ،  
 وذخيرة لأعداء الدين ، وذلك أنه في وسط البحر لا تسلك إليه طريق من بر ، ولا ينقب له سور ،  
 وكيف وخندقا البحر ، وكان يتحصن به للفرنح طال كثير من مهنة اللاذنية التي هي مثل مونس  
 الاسكندرية " (٤) .

- (١) حسن التوسل ١٤٥ ، صبح الاعشى ٣١٤/٨ - ٣١٥  
 (٢) تشریف الايام والسنور ٨١ ، تاريخ ابن الفرات ج ٨ ١٧٥٨  
 \* لمزيد من الاثلة أنظر : الروضتين ٥٥٦/٢ ، ٨٧ ، ١٢٤ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، صبح الاعشى  
 ٢٨/٧ ، ابن جبیر ٣٧٦ ، الفتح ٧٢٣ ، البدايق والنهية ٣٠٣/١٢ ، تاريخ ابن  
 الوردي ١٧/٨ ، ٤٣ ، الكامل ٣٤/١١ ، ٣٠٨ ، ٣٢٨ ، ٤٥٣  
 (٣) تشریف الايام والسنور ٨٨ ، (٤) المصدر السابق ، ١٥١

هذا ما بناه الصليبيون ليحافظوا على أنفسهم ، ولكنهم حين اختلوا بمصر المسندن  
 الاسلامية أضاعوا اليها التحصينات الكثيرة ، واضاعوا الى حصانيتها السابقة مزيدا من الحصانة ،  
 فيها هوذا ابن القيسراني يصف مدينة الرها بأنها مدينة افك تعجز السيوف عن اقتحامها كما عجز  
 الملوك عن اقتحامها ، حتى جاء عماد الدين زنكي ، يقول :

لقد كان في فتح الرها دلالته  
 مدينة افك منذ خمسين حجة  
 تفوت مدى الابصار حتى لو أنهم  
 وجاحة عز الملوك قيادهم

على غير ما عند الصلوح اعتقاده  
 يفلح حديد الهند عنها حسداده  
 ترقى إليه شان طرفا مسواده  
 الى أن تناها من يسسز قياده (١)

ويؤكد ابن نوير الطرابلسي ضاعة المدينة وابعاءها ، ويشبهها بالنجم البعيد الذي لا يتالمسه  
 انسان ، ولكنها من ذلك هي نجم دان لعماد الدين زنكي ، كما ان النجم يبصره المصورون بسهولة  
 يقول :

ولكم من ملك حاولهم  
 هي اخت النجوم الا انهم

فتحلل الحين وسمما في الجيسين  
 منه كالنجم لرأى البصرين (٢)

ومن هذه المدن أيضا طبرية ، التي بقيت بيد الفرنج حوالي تسعين عام ، تتمتع على كل من يريد  
 امترجاعها ، حتى جاء صالح الدين فلاقت من بعد تسوة ، يقول ابن الساعاتي :

وما طبرية الا همددي  
 حصان الذيل لم تقذف بسوء  
 تسنت حتى رأت كفوفا فلا تسنت

ترفع عن أكف اللامسين  
 وسأل عنها اللياليسي والسنينسا  
 وضاية كل قاصرا أن يلينسا (٣)

وقد امتدت الفرنج الى المدن الساحلية تحصينات عظيمة ، بالاضافة الى موقعها الطبيعي المحصن  
 يقول شهاب الدين محمود في عكا :

كانت تخيلهمسا آملنا فستري  
 سوران : بزويحرجولي ساحتهمسا

أن التفكر فيها أعجب العجيب  
 دارا وأدناها أناى من القطمب (٤)

ويقول بدر الدين محمد بن أحمد النفجي  
 وكم فتحت حيونسا طالما رجست  
 حررت من مكسة الثراء ما عجزت  
 عميلة المدن أسست من حصانتمسا

لابأرضها الملوك الصيد في حجسبل  
 عنه الملوك بعزم فيمير منتسبل  
 وصونها من لياالي الدهر في عجمبل (٥)

(١) الروضتين ج ١ ص ١٧  
 (٢) الروضتين ج ١ ص ٨٤/٢  
 (٣) تاريخ ابن الخرات ١١٤/٨  
 (٤) الروضتين ج ١ ص ١٧  
 جواهر السلوك ورقة ٥٩  
 (٥) الروضتين ج ١ ص ١٧



ومن هذه المدن البحرية مدينة صور ، ويقول الساماني ومنها " هذا بلد حسين ،  
 وكانه في الأرض مكيه ، في البحر ثلاثة أرباعه ، وفي السماء ارتفاع يقاضه ، والبرق السدي  
 يسلك من البر إليه ، قد أحاط بها البحر من جانيه ، وقد تظسوه بخندق في عرضه ، وعمقسوه  
 ونزلوا في أرضه " ( ١ )

ومنها طرابلس التي يصفها ابن عبد التاجر بقوله : " لها خمار وليس لها من البر إلا  
 بقدر مساحة الباب من الدار ، كأنها في سيف ذكته البحر جبل قد انحط ، أو ميل استموا  
 قد شقي عن الخش ٠٠٠ " ( ٢ )

ويلاحظ أن الأدباء قد عدوا إلى النهار بصير هذه الحصون بعد المبالغة في وصفها  
 أحياناً ، وظالما ما يصفون سيادة المسلمين عليها ، أو ظروف الفرنج فيها ، أو تهديتها بسبب  
 الزلازل التي كانت تضرب المنطقة ، يقول سبط بن التمازيدي مهتماً بفتح الدين بأنتصاره على  
 الفرنج في موقعة من عيون سنة ٥٧٥ هـ :

قد فتحت أهلها الحصون السني بأ  
 وأراهم رب المصنعا بأسيما  
 ساء حتى نوحتهمهم بالسيسون  
 فله ما لم يخش لهم في ظلمسون ( ٣ )

ويقول الأمير نجم الدين محمود بن نيهان الحراقي :  
 ظنوا بناء الحصن عوناً لملكهم  
 وخين فتح الأشراف خليل تلمذ الروم مدحه شهاب الدين محمود بقوله :

فان رمت حصنا ما بقتلك كئاشيب  
 فني كل قنطر للمعدا وحصونهم  
 فاذ حصن الا ودمو حصن لاهلهم  
 من الرعب أو جيتي فندمه النسم  
 من الخوف أسيات تجرد أو حصن  
 ولا تحضب الا لارواحهم قيسر ( ٥ )

( ١ ) الفتح القسي ١٥٧  
 ( ٢ ) الأعيى ٣٦٨/٧ ، نهاية لارب ١٥٨/٥ - ١٥٩  
 ( ٣ ) الروضتين ٩/٦  
 ( ٤ ) المصدر السابق ١٢/٦  
 ( ٥ ) البداية والنهاية ١٢/٣٢٦  
 \* لمزيد من الأمثلة أنظر : الروضتين ١/١٠٠/١ ، ١٢/١ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٥٧ ،  
 صبح الأعيى ١٢٧/٧ ، الكامل ٤٥٥/١١ ، ٥٥٤ ، ٥٤٧ ، ٥٥٧ ، ٣٣١/١٦ ،  
 النوادر ٩٠ ، ديوان أمارة ابن منقذ ١٠٣ ، ابن حبيب ، درة الأساك في دولسة  
 الاتراك ١٢٥/١ مخطوط ، عقد الجمان ج ٢٠ ق ٧٢٢ ، ج ١٧ ق ١ ، ١٨٠  
 مذكرات جوانفيل ١٠٦/١ ، ١١١ ، ١١٢

وذلكا يصور الادب العربي هذه الحصون وقد تحولت الى سجون ، ويصور المشاهدين  
وقد تحولت الى قبور ، يقول البوصيري في مدح المنصور قلاوون :

وقرئتم بالاسلميين شـرور  
وان كـثـت فيهم البنون نسـرور  
عن العدو في أرض العدو دحـرور  
من الترك نجم لا يعد غـرور  
لهمذ لنا الحصن الحصين حصـرور  
نفي عنه نوا القلتين غـرور  
من الشين سور والموارم سـرور ( ١ )

لقد جعلت داوية اكثر بأسيه  
فلا بوركسوا من اخوة هـ ان امهم  
يظنون خيل المسلمين يصد هـ  
أما زلزلت بالحاديسات وجبا هـ  
فذاقوا به مر الحصار فأبـحـروروا  
يصيحون أعلى السور خوفا كـمـفـرور  
وطاذا يرد السور عنهم وشـلـفـرور

وفي فتح عكا يقول شهاب الدين محمود :  
ظنوا برون البيوت الشم تحلقهم  
ويقول فتيان الشاغوري مخاطبا صالح الدين :  
لم يخفوا تلك الشناد تحولهم

فاستمحلتهم ولم تملك ولم تهيب ( ٢ )

الا لتجعلها لهم أجدائهم ( ٣ )

هذه هي حصونهم . أما قلاعهم ، فهي أبنية عالية تد تكون داخل الحصن ، لتصرف على  
تحركات أعدائهم ، وقد بالغ ابن عبد الظاهر في وصف قلعة حصن المرقب ، فجعلها تستطبل  
بسدرة المنتهى لسورها ، فيقول : " وهذا ما قلعة لها بالنجم ناط ، وبالاسحاب ارتياك ، ولها  
على الدهر اشتراط ، وأبروجها بيروج السماء اشتراط ، واشتراط ، كم يسهر اليها السهر ، ولو  
النبالة ، واستغفر الله ما قلت تكاد تستنك بسدرة المنتهى ، كأنها الرياح لجيدنا ، مشتقة  
والنيوم لشعرها منقطة ، " ( ٤ ) ، وليست هذه القلعة هي القلعة الوحيدة التي تنصت  
بهذا الصفاة ، فهذا السواد يصف قلعة الفخر بأنها مرتفعة لا تصل اليها المشاة ولا يستطيع  
الذراع يتسلقها لوجورتها ، فكانها تملكت من الجبل ، يقول : " وهي قلعة شاهقة ، مسرور  
أعلى الخلاء ، على شعبة منقطة ، عالية مرتفعة ، ومن نواحيها واد ، خاف من الصق غير باد ،  
في أعماق ووداد ، وقد تطلعت من الجبل حتى اتصل بالوادي خندقها ، وأخذ من السوادى  
موتها ، غما اليها طريق ، ولا عليها طروق ، ولا فيها للطنح علوق ، ولا للمهم اليها مسرور  
ولا للزحف فيها ملحق ، ولا المذر نحوها مالح " ( ٥ ) ، وقد رماها شيخ الديلمين  
بالمدبنيقات فلم يوتر فيها ، لولا أن دب الرعب في قلوب أهلها فجاءوه يطلبون الاممان .  
ومثل هذا ما قلعة قلعة غزة ، التي هي كرسى " الديوية " ، ومهبط رؤوسهم ، ومحل نفوسهم .

- ( ١ ) ديوان البوصيري ٩٧ ، وأنظر المسجدة من ص ٩٦ - ٩٨
- ( ٢ ) ديوان فتيان الشاغوري ٦٩
- ( ٣ ) جواهر السواك ٦١
- ( ٤ ) تشرىف الايام والصور ٨٥
- ( ٥ ) الفتح القسي ٢٤٥

وقد جاء في وصفها أنها " تلمسة أنفها شامخ في الهواء ، وعدتها جناح عن عتقة اللواء ، قد أوغلت في الجو مرتفعة ، وأومضت في الليل ملتصقة ، وبرداء السحاب ملتصقة ، قد عافحتها أيدي الأنام بالسائلة من قوارعها ، وفنادتها حوادث الأيام من روائعها ، إلى أن أصبح لها من أمان لها الكين ، وقبض لها من أفضى منها الدين " ( ١ ) \* .

وأما النوع الثالث من التحسينات فهو الأسوار والأبراج ، فقد اعتد السليبيون عليها أشد اعتقاد ، لأنها تحميهم من الهجوم المباغت ، وأما الأبراج المنتشرة في جهات مدينة من الأسوار فهي تكتنف تحركات أعدائهم ، ولذلك فقد اهتموا ببنائها ، وأنفقوا عليها الأموال الدائسة ، يقول القاضي الفاضل في وصف سور حصن بيت الأحزان " وقد عرّض حائطه إلى أن زاد على عشرة أذرع ، وقطعت له عظام الحجارة ، كل فرد منها من سبع أذرع إلى ما فوقها وط دونها ، وعدتها تزيد على عشرين ألف حجر ، لا يستقر الحجر في مكانه ، ولا يشتغل في بنيانه ، إلا بأرسنة دنائير غما فوقها ، وفيها بين الحائطين خشو من الحجارة الصم ، المرغم بها أنوف الجناب الشم وتد جعلت سقيته بالكدر ، الذي إذا أطاقت تبيضه بالبحر ، ما زجه بمثل جسمه ، وضار جسمه وصاحبه بأوتى وأغلب من جبره ، وأوعز إلى شصمة من الحديد بأن لا يتعرض لهدمه " ( ٢ ) .

وتد أستخدم الفرنج هذه الخبرات في بناء الأسوار حول المدن المنيحة ، رغم حصانتهما الطبيعية مثل عكا ، وأنشأوا سورا من الحجارة والسفيج ، بالإضافة إلى السور البحري الذي كانت تنعم به مدينة عكا ، ولذلك بقيت آخر حصن للفرنج في فلسطين ، ولم يستطع قاشوون ولا من قبله أن يفتتحوها ، حتى جاء الأتراك خليل بن قلاوون ، ومن بعده من مصر والشام ، وساعدوا حصارا شديدا ، وقصمها بالمجانيق قصفا حطمت بعض الأسوار ، فأستسلمت المدينة ، وأستسلم على أثرهما مدينة صور وعيدا ، وبذلك انتهى الوجود السليبي في المشرق الإسلامي ، يقول شهاب الدين محمود :

ما بعد عكا وقد هدّت قواعد شمسها  
لم يبق من بعدها للكفر أن خرسست  
في البحر للشرك عند البر مسكن أرب  
في البر والبحر ما ينجي سوز البحر ( ٣ )

وقد وصف شهاب الدين في تصيدته هذه سور عكا وصفنا دقيقا مبينا بادة بنائه ، وحلوه وأرتفاعه ، وقوته وثقة أصحابه فيقول :

- ( ١ ) سبع الأضى ٢٢/٧ \* المزيد من الامثلة عن القاضي أنظر ابن شداد ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٥ ، سبع
- الأضى ٨/٤٠١ ، ٤٠٢ ، الروضتين ١٢٨/٢
- ( ٢ ) الروضتين ١٣/٧
- ( ٣ ) ابن الفرات ٨/١١٦ ، جواهر السلوك ورقة ٥٩ ، غوات الوفيات ( ١ ) ٥٢/١

أن التفكير فيهما أعجب المجيب  
 دارا وأدناهما أناس من القسوس  
 غلب الكفاة وأقواه على القسوس  
 من الرماح وأبراج من اليلسوس  
 بالنيل أضفاف ما تهدى من السحب  
 من المجانيق و يرضي الأرض بالشهب  
 غيبان لله لا للملك والنسوس  
 جهم الجيوش فلم يظفر ولم يصيب (١)

كانت تخيلنا أما لنسنا فسوس  
 سوران : بر وجر طول ساحتهم  
 خروا أضغ سورينا وأحصنوس  
 صفيح بصفيح حولها أكوس  
 مثل الفطاة تهدى من صواعقهم  
 كأننا كن بن حوله فلسوس  
 غناجاتها جنود الله يقدموس  
 كم رامها وربما قتلها ملكوس

ومما ساعد في أهمية الاسوار وسور عكا خاصة ، تلك الابراج التي أشار اليها شهاب الدين محمود  
 والتي أضطلعت بمحققين : الاولى قصف الجيش الاسلامي ، والثانية الاشراك من خلالهما علمى  
 تحركات جند المسلمين ، وفي المهمة الثالثة للابراج يقول ابن عنين في معرض رثائه للمعظم  
 عيسى بن الملك المادل :

ولقد شهدتك يوم تيساريسوس  
 والكفر معتصم بسور مشمسوس  
 والشمس قد نسج القتام لهوس  
 وأحكم بالصفيح وسيسوس (٢)

وأما النوع الرابع والاخير من هذه التصينات فهو الخنادق ، وقد استفاد الفرنج من  
 طبيعة المنطقة فحصنوها بالجواني العالية ثم حفرها حولها الخنادق وعقوا الاودية ان كانت  
 محاطة بأودية .

وقد احتوى الفر الادبي على وصف هذين النوعين من الخنادق : الصناعية المحفورة  
 والطبيعية المحققة ، يقول المصاد : " وهن الخندق في حفر خندق على معسكرهم حوالي عكا من  
 البحر الى البحر ، وأخرجوا ما كان في مراكبهم من آلات الحصر ، وكان من قضاء الله أنا أضلناهم ،  
 وأمهلتناهم بل أمهلتناهم ، حتى عقوا الخفور ، ووثقوا من ترابها السور ، وماذوه بالاستائس ،  
 وضحوه من الخير الطائر ، وينوبوا سوسه ، وستروه وترسوه ، وربوا عليه رجالا ، ولم يتركوا اليه لسو  
 أنبل رجلا ، وتركوا فيه أبوابا وفروج ، لينظروا منها اذا أرادوا خروجا " (٣) ، ويتناول  
 شهاب الدين محمود في وصف الخندق المحيط بحصن المرتب : وحوله خنادق لا تعلم منهما  
 المشهور الا بأسمائها ، ولا تعرف فيها الأبيلة الا بأوصافها " (٤) ، ونلاحظ استنباطهم  
 بالخنادق في الفترة المتأخرة أكثر من استنباطهم بها في الفترة الاولى من وجودهم في المشمسوس ،  
 الاسامي ، ويلاحظ ذلك من وصف شهاب الدين محمود السابقة لسور عكا \* .

- (١) جواهر السلوك ص ٥٩ ، ابن الفرات ١١٦/٨ ، فوات الوفيات ١٥٢/١
- (٢) ديوان ابن عنين ٦١ ، الفتح القسي ٣٦٥
- (٣) صبح الاعشى ٢٩٤/٨ ، حسن التوسل ١٤٥
- (٤) \* لمزيد من الامثلة انظر : الفتح القسي ١٥٢ ، الروضتين ٥٥/٢ ، ١٤٤ ، ١٧٠ ،  
 زبدة العلب ١٣٢/٦ ، صبح الاعشى ٥٢٤/٦ ، مغرب الكروب ١٨/٤

والمتعود بالتخطيط العسكري ، وضع الخطط المدروسة قبل وقوع المشكلات ، ومواجهة المشكلات لدى وقوعها ، وقد صور الأدب تخطيط الفرنج من الناحية الحربية في خاتمة النصف وأتوة عندهم ، والوسائل التي أعتدوها في التخطيط .

أما مواهبهم للمواقف القتالية في حالة ضعفهم فهي تنسم بالحذر والتحرز من جهة ، والكر والبيادة من جهة أخرى ، فيها تدوذا أسامة بن منقذ يشبههم وصف معاشر لهم بأنهم " أكبر الناس اخترازا في الحرب " ( ١ ) ، وقد ذكر السواد ما يؤكد هذا المعنى حين قال : " وعرف الفرنج مشاق خزيمهم ، واختفاق سعيهم ، فاخترزوا من الهلكة ، وما عادوا إلى مثل همداه الحركة " ( ٢ ) ، ويقول : " وأصحابنا قد قربوا منهم حتى كادوا يخالطونهم ، وأرادوا يباصلونهم ، وهم ثابتون ثابتون ، ساكنون ساكنون ، ونحن نقول لهم يخلون ، ويضربون فيجربون ، فنتكمن من تعشيل جملتهم بحملتهم ، وثخريف بطاعتهم " ( ٣ ) ، ولبيد ابن شداد عن هذا المعنى حين قال : " وكانوا قد جعلوا راجلهم سورا لهم ، يضرب النساك بالزنبوراك ، والنشاب حتى لا يتراء أحدًا يصل إليهم ، فإنه كان يظلم عليهم كالجسراد ، وخيالهم يسيرون في وسطهم ولم يظهر منهم أحد " ( ٤ ) .

ومن المواقف التي تسترعي الانتباه ، موقف الملك فرديريك الذي طلب الملك الكامل مساعدته ضد أخيه حاكم دمشق ، وحين جاء إلى الشرق وجد الواسق قد تغير إذ كان صاحب دمشق قد توفي ، فلبى الملك فرديريك إلى الحياة والدعاء ، وأتمم الكامل بأن يفي بوعده ويسطيه القدر ، وكان من جملة ما كاتبه به قوله : " أنا عتيقك ، وتعلم أني أكبر ملوك الفرنج ، وأنست كاتبني بالمجن ، وقد علم البابا والملوك بالفتناني ، فإن رجعت غائبا انكسرت حرمتي " ( ٥ ) فتنازل له عنها .

هذه أمثلة تدل على تخطيطهم ومواجهتهم المشاكل ، وكانوا دائما يشتدون الفرصة للزيغ بالمسلمين ، لا سيما إذا علموا بتفرق المسلمين أو ضعفهم ، فهذا ابن شداد يقول : " علم عدو اللدان العساكر تد تفرقت في أراض البلاد ، وأن الميمنة قد خفت لأن معظم من كان بها يحكم ترب بلادهم من طريق السدو ، فأجمعوا رأيهم ، وانفقت كلمتهم على أنهم يخرجون بنتة ، ويمرجون على طرق الميمنة فجأة ، فخرجوا " ( ٦ ) ، ومن هذا الجانب تقريرهم للجياح حين حصلت المجاعة سنة ٥٩٧ هـ ، يقول السواد : " ومراكب الذرنج على ساحل البحر على اللقسام ، تسترق الجياح باللقم " ( ٧ ) .

( ١ ) الاعتبار ١٧ هـ وأنظر ٥٨ ، ٦٧ ، ١٥١ ( ٢ ) الروضتين ١٧٩ / ٢  
 ( ٣ ) المصدر السابق ١٧٩ / ٢  
 \* الزنبوراك هو : نوع من القسي ترمى عنها السهام  
 ( ٤ ) نفسه ١٧٩ / ١ هـ ١٦٠  
 ( ٥ ) الشذرات ١١٨ / ٥  
 ( ٦ ) الروضتين ١٥٨ / ٢ هـ النوادر ١٤٨  
 ( ٧ ) الروضتين ٢٤٤ / ٢ هـ ولينزيد من الأمثلة أنظر : الروضتين ١٧٨ / ٢ هـ ١٤٤ هـ ١٩٠ هـ  
 الفتح القسي ٤٤٣ هـ عهد الجمان ب ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ هـ ابن الفرات مج ٤ ب ٢٥٥ / ٢

وحيث يكون المسلمون أتويا ، كان الفرنج يسلكون طرائق الحيلة والحذر ، فحسبهم  
 الكرمي لديهم عدد ضخم سنة ٥٨٦ هـ في نكا " أتاهوا في وسط شياصهم حائلا مستحليلا يشبه السور من  
 التراب ، وتادلا تشبها لبرجة مدورة ورفعوها بالاششاب ، وتالوها بالمخجارة ، فلما كملت أخذوا  
 التراب من ورائها ، وزوهه تدامها ، وهم يتقدمون أول أول ، وترتفع محالا بعد حال ، حسبي  
 صارت منه كنصف علوة سهم " (١) .

ومن مظاهر تخطيطهم البارح للقتال ما أخذوه من آلات تناسب ظروف المعركة ، كما  
 فعلوا وهم محاصرون لنكا إذ " عمدوا إلى أكبر بطسة وأخذوا فيها مصقلا كأنه سلم ، وسوقه  
 مقدمها مركب مقدم ، وقد جعلوها بحيث إذا قرب إلى البرج ركب رأس السلم على شرايفه ، وصعد  
 المرجل إليه في تجاوزه ، وتصبوا في ذلك أياما ، وأشبوهه توثيقا واحكاما ، حتى إذا التصق  
 بالبرج التفتت به قوارير النك ، وتوالت أمطار البانيا من الجرن والضحيقات على أولئك الرهط  
 ثم عمل الفرنج برجا طاليا في أكبر مركب ، وحشوه بالخطب ، وعملوا على رأسه مكاره مكانا يقصد فيه  
 المزارق ، وقدموه إلى برج الذبان ، وسلموا على جوانبه النيران ، فأذهب الله من سهمه لشقه  
 نكبا ، فكبت الناس عن البرج المحروس ، وكتب الفرنج على الوجوه والأرو ، " (٢) ، وقد  
 عمدوا إلى الهجوم المفاجئ على المسلمين ما وسعهم ذلك ، فقد أنشأ البرج أرناط اسطولا في  
 بحر أيلة ، ونهبوا ما وجدوه من الدراكب ، ومن غيرها من التجار ، وسفقا الناس ، لأنهم لم  
 يعمدوا بهذا البحر فرنجيا قط " (٣) ، وحين مروا بنا بله زمن الناصر داود بن المصطفي  
 عيسى " وجدوا فيها فرجة فأكتنرونها ، وجهزوا إليها خيلهم ورجلهم عن كل أوب فأجهزوا بها  
 " (٤) .

ومن المصروف أن الحرب لا تنتظر الفرص المارضة ، ولذلك هيأوا هم للظروف المواتية  
 لانجاح أعمالهم العسكرية ، أما بالكائن التي تمترض جيشا صغيرا للمسلمين ، وأما بايهم  
 المسلمين بايتسادهم عن الميدان ، وأما بكسبهم في ساعة خفة ونوم ، والامثلة على ذلك كثيرة .  
 أما عن الكائن يبروي أسامة أن خدرا من الفرنج جاء على شيزر وسألوا البواب من شلل الباب  
 " ما اسم هذا البلد ؟ فأخبرهم عنه ، فعادوا . . . وأراد أسامة اللحاق بهم فمهاه صمسه  
 وقان : " هذه كيدة " وأثبت له وجود كمين لهم " (٥) .

- (١) الروضتين ١٨٥/١  
 (٢) الروضتين ١٦٢/٢ ، وأنظر الفتح ٤٧٢ ، والنوادر ١٢٩  
 (٣) الكامل ٤٩٠/١١  
 (٤) الفوائد الجلية في الفوائد الناصرية ورقة ٦٦  
 (٥) الإخبار ٥٦-٥٧ .

ويصف سبط بن التعاويذي كفاءة الفرنج في محاولتهم ايقاع صالح الدين وبيته فسي  
 كمين و لكنهم فشلوا وخسروا حصنهم الذي كان مركز انقاذهم ، يقول :

كاد الاطادي ان يصيبك كيمدها      لو لم تكداه برأيها الما فـسـون  
 كذبوا وكم لك من كمين سخـبـادة      في الشيب يظهر من وراء كـمـين  
 فهوت نجوم سعودهم وتنى لهم      بالنحن طائر جوك الهمسـون (١)

وقد ذكر العماد ان الفرنج اوهوا المسلمين انهم بعيدون عن طريقهم ، بل اشاعوا انهم تحركوا  
 الى منطقة بعيدة ، فركن اليهم بالاسلحة الى الراحة ، ولما كان وقت الشروب شا جموعهم ونالوا  
 منهم ، يقول : رحل الفرنج على سمت عقلا ، واشاعوا انهم بعيدون بها الى حصون ،  
 وهم نازلون بظاهرها ، جائلون في مواردنا ومصادرها ، فرأى الانكليزي دخانا على بصـد  
 فتصدده ، وكان ثم جماعة من الاسدية ٥٥٥ وجم فارون عا دهم ، فوصل اللعين اليهم وقتت  
 المشرب فوق عليهم ٥٥٥ (٦) ، وفي صور ، كعب الفرنج سفن المسلمين القادمة من عكبا ،  
 وكان الفرنج يرتبونهم ، حتى اذا ناموا شا جموعهم وهزمهم ، يقول العماد : " وانرا صاحبنا  
 يخلو الامر وخلو البحر ، وأضوا بن الخوف ، وأدمنوا على الطوف ، ٥٥٥ وسهروا الى ان شاروا  
 الخلس ، وكل منهم لما استانبه نحر ، وقاس في النوم وما تنفس ، فما انشبهوا الا وسفن الفرنج  
 بهم صدقة ، ونيرانهم صخرقة ٥٥٥ (٧) .

وتد استقى الفرنج المصنوعات عن المسلمين بعدة طرق : منها عن طريق اليد والجواسير  
 المندسين في المعسكر الاسلحة ، وقد سبق بيان ذلك ، او عن طريق الرسل الذين كانوا  
 يرسلونهم للتفاوض مع المسلمين بشأن الصلح او غيره ، يقول ابن شداد : " وكان غرضهم  
 بتكرار الرسائل تحرف قوة النشر وضحها ، وكان غرضنا بقول الرسائل تحرف ما عندهم عن ذلك  
 أيضا ٥٥٥ (٤) ، ويقول القاضي الفاضل عن تدفهم بن الرسائل : " وتصدوا نظرة من شدة  
 وانتشارا لنجدة " (٥) ، وهذا يدل على تبهتهم في شؤون الحرب ، وحسن رأيهم فيما  
 ولا عجب بعد ذلك ان نجد الادب يثني عليهم بهذه الصفة ، فيصف المنفرد بأنه " يشرب المش  
 به في المشجاة والرأي في الحرب " (٦) ، وكذلك جوسلين (٧) وغيرهما .

- (١) ديوان سبط بن التعاويذي ٤٧٢ (٦) الروشتين ١٩٦/٦
- (٢) الفتوح ١٦١ ، وأنظر الفتوح ١٧٨ ، والنوادر ٧١٤
- \* أنظر جوائيل في مذكرات عن القديس لوي ١١٦٦ ، ١٢٩ ، وتاريخ مشـرـر  
 الدول ٢٠٦ - ٢٠٧
- (٤) النوادر السلطانية ١٦٦ ، ١١٨ ، ١١٩
- (٥) صبح الاعشى ٥٠٧/٦
- \*\* المزيد من الامثلة أنظر : الروشتين ١٨٦/٧ ، ١٨٧ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣
- ابن الفرات مج ٤ ج ٢ / ٢٥٥
- (٦) الكامل ٤٥٣/١١
- (٧) عقد الجمان ج ١٢ ق ١ ورته ٢٠٦ - ٢٠٧

ومما يدل على حسن رأيهم في الحرب ، أيضا ، تلك المخططات التي تصدوا منها فتح  
 عدة جيوش عسكرية لشهيتت عساكر المسلمين ، ومن ذلك ما ذكره الصمد عن " الإنكسار " الذي  
 تصدروا عليه أخذ القدس ، ففكر في حصار بيروت " لان أخذ هذا البلد حين ، وقصد  
 مستعين ، واذا حاصرناه جذبنا السلطان وعساكره الى جانبنا ، وخلال القدس من جهة كتابته  
 وجبهة مخاربه " ( ١ ) ، ومنها أيضا ، ذلك التفتت المستمر للبدن التي يريدون فتحها ، وقد  
 صدوا ، لتحقيق ذلك ، الى تقسيم البيروا الى فرق تعمل بالتناوب ، يقول ابن شمسداد :  
 " ولما احمر بالصدور في نفسه بقوة بسبب توالي النجد عليهم ، اشدت عليهم ، وسلطوا عليهم  
 " سوركا " المنجنقيات من كل جانب ، وتناوبوا عليها بحيث لا يطمس ليل ولا نهار " ( ٢ )  
 ويقول : " وانقسموا اتسابا وتناوبوا فرقا ، كلما تسبب تسبب استراج ، واقام غيره مقامه " ( ٣ ) ، ومن  
 هذا التفتت المركز المستمر ، لجأوا الى خطة أخرى ، وهي أنهم اطلقوا الحصار على البلد اطباق  
 الشفاء على الثغور ، فتمسوا الداخلة اليها والخارج ، حتى تسنى لهم السيطرة عليها ، وهناك  
 أدلة تشير الى أن الفرنج لجأوا الى هذه الخطة منذ وقت مبكر ، ومنها ما جاء في وصف فتيمان  
 الشاغوري للفرنج الذين احاطوا بدمياط سنة ٥٦٥ :

داروا بها في البحر من كل جانب ومن دونها ستر من البوت حايصل ( ٤ )

ويؤكد ابن شداد هذا المعنى في حصار الفرنج لسكا سنة ٥٨٦ ان يقول : ادار الفرنج مراتبهم  
 حول سكا حراسة لها عن أن يدخلها مركب للمسلمين ، وكانت قد اشدت حاجة من غيرها الى  
 الحام والحيرة . . . ( ٥ ) ، ويصف الحام هذا القول بالفاظ مؤنقة فيقول : " واستمدارت  
 الفرنج بسكا كالدائرة بالمركز ، وزادوا من جانبنا في التمرير والتخوض ، ومضوا من المدخل  
 والخرق ولج أولئك السلوج في ضبط طريق السلوج " ( ٦ ) ، وبعد هذا التخطيط ، وعند العمل  
 الدؤوب ، استعدوا خطة مناسبة للهجوم ، فطلموا الشنادق المحيطة بالبلد ، واستعملوا من  
 أجل ذلك جيش موتاهم مع أنهم يحرضون على دفتهم ، بالافاضة الى جيش الحيوانات ، يتسول  
 الصمد في حصارهم لسكا : " وداموا يرمون فيه جيش الادوات وجيش الشنازير والمسدواب  
 الناسات ، حتى صاروا يلقون فيه قتلتهم ويحلبون اليه موتاهم " ( ٧ ) .

- ( ١ ) الفتح ٥٩٧ ، ٦٠١ ، الفامل ١٨٥ / ١١ ، وصمدار الطوائف ٢٤
- ( ٢ ) النوادر السلطانية ١٣٤ ، ١٣٦
- ( ٣ ) المصدر السابق ١٦٧ ، وسطر ١٧٩
- ( ٤ ) ديوان فتيان الشاغوري ٣١٨ ، عقد البطان ١٢ ، ٤٥٧ / ٣
- ( ٥ ) النوادر السلطانية ١٣٤
- ( ٦ ) الفتح القسي ٢٦٩ ، واسطر المثل المسائر ٤٠٧ / ١
- ( ٧ ) الفتح القسي ٤٨٣ ، وانظر للمزيد ابن الوردي ٣٥ / ٢ ، ابن الفرات مج ٥ ، ٢٧٨ / ١



## خامساً : الحرب النفسية :

أعتمد الصليبيون في حروبهم للمسلمين على الجيش والحصون ، كما أعتمدوا على الحرب النفسية التي من شأنها إضعاف عزيمته المسلمين ، وتشكيكهم بقوتهم بأنفسهم وبقاداتهم ، وتسد أجيحهم في ذلك سبلا عدة هي :

١) التهديد بالقتل : ويتضح ذلك بعد الانتصارات العظيمة التي حققها صلاح الدين في أرض فلسطين ، إذ توجه إلى الأذقية وأحاطها ، فجاءتها نجدة من عكليس ، فطالب مقدمهم من صلاح الدين ارجاع هذه المنطقة للفرنج ، ثم هدده قائلاً ما مؤداه : " والا جاءك من وراء البحار في عدد الامواج أفواج بعد أفواج ، وسار اليك ملسوك ذوى الاقانيم من سائر الاقانيم ، وهو لاء أهون منهم ، فأتركهم وأصفح عنهم " (١) ويقول المصنف في ذلك على لسان قائد الفرنج : " وان أبيت غير الخير والابساء ، ودمت على أرهاق الدهماء ، وأهراق الدماء ، جاء من وراء المصبحة البحار من يسسد غشاء السبع الملباق ، وأفاق للتناصر على دفع هذا الخطب نصارى الاقانيم " (٢) وعلى أثر استعادة صلاح الدين للقدس ذهب الفرنج الأوروبي لنجدة قومهم في فلسطين ، وجاء ملك الالمان بأعداد هائلة ، وبعت تقدم الأرض بغير صلح الدين بهم ، ولم يكن دافعه في ذلك الخوف على مصلحة المسلمين ، وإنما إضعاف ثور المسلمين ، ويتبرر المصنف هذا المعنى فيقول : " ولا شك أنه إلى جنسه النجس ، طائل ، وبمصارعة أهل بلته قائل ، ولما وصل هذا النبا ، وقيل انه عظيم ، ورورد هذا الخبر ، وخييل انه أليم ، كاد الناصريين يسطرون ، على انهم يعدون ويكذبون ، ومن طرف كل جبل عن المرأى يجذبون " (٣) ، وأستمر هذا الأسلوب في الحرب بعد وفاة صلاح الدين ، وبج صاحب حلب الملك المنصور ، إذ جاءه رسول الداوية ، وأخبره بكثرة الفرنج المتجهين إلى الأذقية وجبله ، ويعقب الراوى على هذه الحادثة بقوله : " وانما قصدت الداوية بهذه الاخبار الارهاب لصلاح الملك المنصور بيت الاستتار ، فانهم سألوا الداوية التوسط بينه وبينهم " (٤) وقد تكرر هذا السلوك زمن الكامل بن الناصر (٥) ثم زمن الصالح نجم الدين أيوب (٦) ، ولكن ما مدى نجاح الفرنج في هذه الحرب؟ وهل أدت إلى انصافهم المسلمين ؟ ، ان تلك الروايات نفسها تحتل الجواب ، فبعد كل حادثة يعقب الكاتب موضحاً نفسية المسلمين ، وهي في جميع الحالات نفسية مؤمنة بالنسرتوية لا تخشى الكثرة ، ولا تخاف الهزيمة ، عنها دوناً صلاح الدين يرد على

- (١) الروضتين ١١٩/٧  
 (٢) النسخ القسي ٦٤٠ ، وانظر الحادثة في الكامل ١٠/١٢  
 (٣) الفتوح القسي ٣٣١ والروضتين ١٥٠/٢  
 (٤) مخزن الكرب ١٤٦/٤ ، ابن الفرات مجلة ٤٦٥/٢٥٥  
 (٥) مخزن الكرب ٩٨/٤ - ٩٩  
 (٦) السلوة لمحرفة دول الملوك ج ١ ق ٢ ، ٢٤٧

مقدم جيش الفرنج بقوله : " قد أمرنا الله بضميد الارض ، ونحن نأمنون في طاعتهم  
بالفرض ، وطينا الاجتهاد في الجهاد ، وهو الذي يتدربنا على فتح البلاد ، ولسو  
اجتمع علينا أهل الارض ، ذات الطول والجرس ، لتوكلنا على الله في اللقاء ، ولم نبال  
باعداد الاعداء " ( ١ ) .

أما جواب الملك المنصور الايوبي لرسول الداربية فهو " انا لا نخرج بما تقول ولا نكسرت ،  
ولو انهم اضعاف ذلك لنا جزتهم " ( ١ ) ، وأما جواب الكامل فكان رفض تهديسات  
الملك ثردريك ، رغم ضعف الدولة الايوبية حينذاك ، وأنقسامها . . . . " ( ٣ ) .

أثارة الفتن : وقصد الفرنج بذلك اختناق الشائعات ، وإظهار ضعف القائد المسلم ،  
يقول السواد في مدح صالح الدين ، وقد هزم الفرنج في الاسكندرية :

ولكم أرجف الاعادي فقلنا  
ورقبنا كالصيد عوداء فاليسـ  
ما لما تذكروننا منه تأشير  
م به الأثام عيد كبـشير ( ٤ )

وقد قال ابن القائسي قبل هذا حين توفي نور الدين وأرجف بموته :

غروعت القلوب من البراييسـ  
وثارت فتنة يخشى أذاهـ  
وصار هجاعتها مثل الجيسـ  
على الاسلام في قاصـ ودان ( ٥ )

التهديد بالفتنة وسفك الدماء ، وإظهار القوة والالات : ويتجلى ذلك في رسالة  
الملك لويس التاسع للصالح نجم الدين أيوب التي يقول فيها ما معناه : أما بعد ،  
فانه لم يخف أنني أمير الامة المسيوية ، كما أنني أتول أنك أمير الامة المحمدية ، وانسه  
غير شاف عنك أن أهل جزائر الاندلس يحملون الينا الاموال والهدايا ، ونحن نسوقهم  
سوق البقر ، ونقتل منهم الرجال ، ونرمل النساء والبنات ، ونخلي منهم الديار . . . .

وقد عرفتك وحدرتك من عساكر تد حضرت في طاعتي تملأ السهل والجبل ، وعدد هم كعدد  
البحر ، وهم يرسلون اليك . . . . " ( ٦ ) وقد كان جواب الملك الصالح على الرسالة  
يتضح بالثقة بالنفس إذ قال : " أما بعد ، فانه وصل كتابك ، وأنت تهديد غيه بكثرة  
جيوهك ، فنحن أرباب السيوف ، وما تفل مناقرن الا جددناه ، ولا ينس علينا باغ الا  
دبرناه ، فلو رأيت عينك ، أيها المنزور ، حد سيوفنا وعظم حروبنا . . . . . كان لك أن  
تحض على أناملك بالندم ، ولا بد أن تنزل بك التدم في يوم أوله لنا ، وآخره عليك  
فمنالك تسوء بك الظنون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " ( ٧ ) .

أخفاء المشاعر : ومن مظاهر الحرب النفسية اخفاء الفرنج قتلهم عن المسلمين ، وحتى إذا  
رأى المسجون ما قتله الفرنج منهم استكثروا ذلك ، ولم يجدوا ما يحزون به أنفسهم من  
قتل الفرنج ، يقول السواد : " وكلما سرح منهم قتييل حملوه وشدوه ، وطموا بدغنفسه  
وطمروه ، وحتى يخفى أمرهم ، ولا يصح لدينا كسرهم " . . . . " ( ٨ ) .

- ( ١ ) الروضتين ٢٦/٨ ( ٢ ) ابن الفرات ج ٤ ص ٦٥٥ ، وأنظر فرنج الكروب ١٤٦/٤
- ( ٣ ) السلوك لمصرفة دول الملوك ٢٢٨/١/١ ( ٤ ) الروضتين ج ١ ص ٣٧٢/٢
- ( ٥ ) ذيل تاريخ دمشق ٣٥٠ ، الروضتين ١٤٦/١ ط دار الجيل وأنظر مثلاً آخر الباهر ١٦
- ( ٦ ) السلوك لمصرفة دول الملوك ٢٤٧/٢/١ وأنظر أدب الحروب الصليبية لعبد اللطيف حمزة ١٥٤
- ( ٧ ) السلوك ج ١ ص ٣٤٧ ( ٨ ) المفتح للسي ٤٤٤ وأنظر النوادر السلطانية ٧٥

تجلى الصراع واضحا بين المسلمين والفرنج منذ ان احتل الصليبيون الاراضى  
الاسلامية ، ولكن كانت ردود الفعل من جانب المسلمين ضعيفة اول الامر ، الا انهم لم  
يأسوا من استرداد البلاد المحتلة في يوم من الايام ، وهذا يعني امتداد الحرب بمسعين  
الفرقنين ، اذ انه كلما استعاد المسلمون مدينة ، كان النرب الاوروبي يشهد الفرنج بالمسال  
والرجال حتى كانت وقعة حطين ، حين استعاد المسلمون معظم البلدان المحتلة ، وهددوا ب  
تبقى منها .

وقد تعرض الادب لوصف المماراة المتطاولة بين الطرفين ، وأظهر توة الفرنج في سالتى  
النصر والمهزيمة ، ولكنه دون سردهم عين ينتسرون ، واستهزا بهم حين تكون التلبة للمسلمين  
ولهذا نجد الادب يركز على نتيجة المعركة لا على تفاصيل الاحداث الجارية فيها ، وان أراد  
التفصيل ، فلا يكون في الاحداث ، وانما في توة الجيش أو كثرته ، أو وصف الآلات أو وصف  
القتلى والنصوص المرتبطة بالمماراة في هذه الفترة كثيرة ، وان كان ينقص معظمها دقة  
الوصف والواقعية ، ومن هذه النصوص : وصف الصدا لوقائع معركة حطين نثرا كما يلي :  
\* وسهر السلطان تلك الليلة ، حتى عين الجاليشية \* (١) من كل طلب ، وماء جبابهسا  
وكتافها بالنبال ، حتى اذا اسفر الصبح خرج الجاليشية تحرق بنيران الفصال أدفل النار  
ورنت القسي وقت الاوتار ، ، ، ، ، واليوم ذاك ، والجيش شاه ، ولليقت عليهم غيبهسا ،  
وما للخيظ منهم غيضى ، وقد وقد الحر ، واستشوى الشر ووتج الكر والغر ، والسراب بالفسح  
والظلمة لافح ، والجو محرق ، والجوى مقلق ، ولاولئك الكذاب من اللهم لهيت ، وبالتيهيت  
عيت ، وثي ظنهم أنهم يردون الماء ، فاستقبلتهم جهنم بشواردها ، واستظهرت عليهم الظهيرة  
بناردها ، ، ، ، ، وقد تطعت على الفرنج طريق الورد ، ويلوا من السطر ، بالنار ذات الوقت ،  
فوقفوا صابرين صابرين ، مكابرين مكابرين ، فكلبوا على ضرواتهم ، وشربوا ما في أدواتهم ،  
وشغفوا ما حولهم من موارد المصانع ، واسترفوا حتى ماء الحدا من ، وأشرفوا على الصير السى  
المصارح ، ودخل الليل وسكن السيل ، وياتوا خيارى ، ومن الصطر سكارى ، وطم على شفا  
البحيرة بحيرة ، وقوا أنفسهم على الشدة ، واستعدوا بالمزائم المحتدة ، وقالوا غدا نصيب  
عليهم ماء البواضي ، ونقاضيهم الى القواضيا التواضي ، فأجدوا غزم البلاء وظلوا اليقسياء  
بالثورك في الغناء ، وأما عساكرنا فانها اجترأت ، ومن كل ما يصوتها برئت ، فهذا لمنانسه  
شاحذ ، وهذا لمنانسه آخذ ، وهذا سهم مغوق ، وهذا سهم موفق ، وهذا مكر للتكبير ،  
وهذا تاج للسعادة ، وهذا راج للشهادة ، فيا لله تلك من ليلة حراسها المانكة ، ومن سحر  
أنفاسها الحلاف الله المتدركة ، والسلطان قد وثق بنصر الله فهو يمضي بنفسه على السقوة  
ويحضهم ويعدهم من الله بنصره المألوف ، ويخزي المئين بالالوف ، ، ، ، ، وكان للسلطان ملبس  
أسه منكورى ، حمل في أول الناس ، وكان حصانه قوى الرأس ، فأبعد عن اخوانه ، ولمس  
يتابعه أحد من أقرانه ، فانفرد به الفرنج ، فأثبت في مستنقح الموت رجله ، وقاتل السى أن  
بلغوا قتله ، فلما أخذوا رأسه ظنوا أنه أحد اولاد السلطان ، وأنقل الشهيد الى جوار

\* الجاليش : مقدمة القلب في الجيش أو الطليعة منه  
(١) ديوان فتیان الشاغورى

الرحمن ، ولما شاهد الصالحون استشهاده وجاهده وجاهده ، حميت حميتهم ، وخلصت للمسلمة نيتهم ، وأصبح الجيش على تعبته ، والنصر على ثلبيته ٠٠٠ وبين بالفرنج المظفر وأبست عثرتها أن تنتفض ، وكان النسيم من أمامها ، والحشيش تحت أقدامها ، غرقى بمسحوق منلوعة المجاهدين الناري الحشيش ، فتأجج عليهم استعارها ، وتوهج أوارها ، فبلمسوا وهم أهل التخليث من نار الدنيا بثلاثة أقسام في الاصطلاح والاصطلاح في نار الضرام ونار الاوام ونار السهام ٠٠٠ ( ١ ) .

وتد عرض ضياء الدين بن الاثير وصفه هذه الموقعة بصورة موجزة فقال : " وبرزت خيل القوم ولها زي فرسانها ، وهي مشتبهة الى طرادها ، كاستباتها الى ميدانها ، وما منهم الا تتأود القناة من يده لمذبحين ، وتشتعل الرمي منه ومن جواده بين مطهجين ، فجرت المناوير الى المناوير ، وتآتت الرياح بالأعاصير ، وكان اللعن منهم عناتا واللبث وفاقا ، وسبق السهم الموت المجرح ، ونفذت مختنبة لسرعتها أسنة الرماح ٠٠٠ ( ٢ ) .

ومن المعارك الاخرى التي وصفها الادب معركة دماط سنة ٦١٦ هـ ، حين رأى الفرنج ان خير سبيل لاسترجاع التدمر هو فصل مصر عن بلاد الشام ، فوجهوا قواتهم الى دماط واحتلوها ، ثم جاءت الامدادات الاسلامية فاسترجعتها ، يقول ابن عنين في ذلك :

تداعوا بانصار الصليب فاقبلت	جموع كان الموج كان لهم سفنت
عليهم من الماذي كل مفاضة	فلاص كرون الشمس قد أعكمت وشمس
وأطمعهم فينا غرور فأرتلسوا	الينا سراعا بالجياد فأرتلسوا
فما برحت سحر الرماح تنوشهم	بأطرافها حتى استجاروا بنا منسوا
ستيناهم كما نكت عنهم الكسرى	وكيف ينام الليل من عدم الاطسوا
لقد صبروا صبرا جهادا ودانسوا	طويلا فما أجدت دفاع ولا أغسنى
لقوا الموت من زرق الامنة أحسوا	فألقوا بأيديهم الينا فأحسنسوا ( ٣ )

ونفسا في وصف معركة زمن السلطان قايتو ، وكانت نقيضتها فتح حصن صاغيتا ، يقول ابن عني عبدالظاهر : " وأشد الامر على النصار ، فقاتلوا تنالا أقتض مضاجع الاسلحة ، وأطار حجارة مجانيقهم بنيران أجنحة ، وأهجمي بشجوة النصول المترنمة على فصوص السهام المترنحة ... هذا وأهل الايمان يثلثون ذلك كله بصبر يستلعمون منه شهدا ، وأقدام يتلقى الحديد بأكبار ما زالت الى موارده تمدا ٠٠٠ والبلاد الفرنجية قد غشت منها الابصار ، وشخصت القلوب واعتقد كل منها في نفسه أنه بعد هذا الحصن المطلوب ، فمده تود لو أكتنبتا البحار تحست جناح أواجبها ، وهذه لو أسبلت الريح العواصف عليها في يول عبا جها ٠٠٠ ( ٤ ) .

- ( ١ ) الروضتين ج ٢ / ص ٧٦ - ٧٧ وأنظر الكامل ( ١١ / ٥٦٨ - ٥٣٥ )  
 ( ٢ ) محمد زغلول سائق ، ضياء الدين بن الاثير ، ص ٧٥  
 ( ٣ ) ديوان ابن عنين ، ص ٣٠  
 ( ٤ ) صبح الاعشى ٣٥٥ / ٧

وصف ابن عبد الظاهر معركة حمص ، شمرا ، فيقول :

جاءت ثمانون ألفا من بموتهم  
 واثى الشهبان في يوم الخميس ضحى  
 والسيف يركع والاعانم رافعة  
 والخيل لا تتعدى الا على جهنم  
 والبيوت تشد في الاجفان من مهب

لأرضه فكان البعث والنشور  
 وأشدت الحرب حتى أذن المصير  
 والروى تسجد لا عجب ولا كبر  
 والسهل من أروى القتلى به وغر  
 والسمر ، ناهيك ، يا ما يفصل السمر ( ١ )

ولدى الوقوف عند هذه النجوم يلحظ المرء أنها تصف المبارك البهية وسفا سريعا تظهر من مثاله الحركة ، أما سريعة فتسجل نتيجة المعركة ، وأما بطيئة فتتلة بالزخرف اللفظي فتطوف حرارة الجوى وقد تمثلت هذه الحركة في اشكال مختلفة : أما بحركة الجيش في الكر والفر ، أو بالظهور حركات الخيل ، أو بالتمثيل والتشبيه والمقارنة ، كتشبيه انطلاق الريح بوض النجوم أو تمثيل حركة الجيش بحركة موج البحر . . . وحدد بعض الادباء ، كابن عبد الظاهر مكان المعركة وزمانها بشكل تقريبي ، وانتهى الى وصف القتلى ، فجعل السهل وعرا من رؤوسهم .

ذلك وصف الادب للمعركة البهية ، أما وصفه للمبارك البهوية ، فلا يختلف كتصويرا في الاطار العام من حيث الاهتمام بالنتائج . . . ولكن أدوات المعركة تختلف باختلاف مساحة المعركة وظروفها ، يقول الحماد في وصف معركة بحرية بين الاسطول المصري والفرنجيسي :  
 " وصدت شوانية شواني الشناة ، فغادت مراكبهم وشي نواكس ، وطارت غربانا بين أعبه الكشر اعداء الاسلام ناعية ، وأطردت على طرائد الفرنج فطردتها غالبة لافية ، وظفرت أول يوم الورود بسفن للمعدو معصرة ، وألمهت في الماء على أهل النار كل نار للنكال مستعمرة ، وأتقطعت طرق الافرنج البحرية ، فأستطلت اساطيلنا فذهبت وجاءت ، وعملت ما شمسات ، وتحمتهم مرارا وبالنتائج فأت ، فضائق بها المداة ذرعا ، ولم تجد من بعدها ملامعها ولا برى . . . " ( ٢ )

وبعد أن خلا الجو للمسلمين بعد الانتصارات التي حققها صالح الدين ، انحصرت الفرنج في صور ، فتحركت السفن المصرية لأمداد بيروت بعد أخذها من الفرنج ، فقامت سفن الفرنج بالتصدي للمصريين ، ونشبت معركة بحرية بين الطرفين ، يقول الحماد في وصفها :  
 فأبصر مآخونها شواني الفرنج لمهارزتها مبرزة ، ولأجهاز وراءها مجهزة ، وكانوا رجالا مسمن بحرية مصر مجهزة ، وأصبحت قلوبهم بط جرى على أنظارهم مروعة ، فتواقموا الى السماء ، وخافوا على دوابهم في الدأما ، وخرجوا الى البر على وجوههم ، وخافوا بكرهم في بكرتهم ، وغرروا وغارروا وطاروا وتاروا . . . هذا والمنجنيقات تردهم ، والمفوقات الموقفات وتصدهم ، والقتال قائم ، والنزال دائم ، والصخور ثقلة ، والصدور ثقلة ، والاحجار ثقلة ، والامسوار تحلحل ، والاداج شاحبة كالصيون البواكي ، والابشار دامية من الزنبوركات والنوكسات النواكي . . . " ( ٣ )

( ١ ) عقد الجيطان ج ٢٠ ق ٤ ورثه ٦٧٨ ( ٢ ) الفتح القسي ١٨١ - ١٨٦  
 ( ٣ ) المصدر السابق ١٦١ - ١٦٦

ومن وصف الشعراء لمصركة بحرية ما قدمه أسامة بن  
الطائي بن رزيق والفرنج ، يقول :

ساطيل فيه موجه المتلاطم  
على الماء طير ما لهم قسود  
جرت ، حيث لم توصل بهم الشكائيم  
" سروا بجياد ما لهم قوائيم  
حلم ، و طير للفرنج أشائيم  
وناصهم في البر سخم جواشيم  
ولم ينج في لبح من الماء طائيم  
نقاد ، كما قاد المهارى الشرائيم ( ١ )

غزوتهم في البحر حتى كأنهم  
بفرسان بحر ، فوق دهم كأنهم  
يعرفها فرسانها بأغصنة  
إذا دفعوها قلت : فرسان غصارة  
يسوق أساطيل الفرنج اليهم  
دماؤهم في البحر حبر سوائيم  
علم يفت في فج من الأرض هساريم  
وطاد الأسارى مردفين وسفنتهم

هذا ما انصوبت من تصور كثيرة لتكون  
أدبا مختارة - لم نجد فيها الوصف الدقيق للمصركة ، من حيث تلوّن الاحداث وتفصيلها ، ولم  
أشذنا نموصا أخرى أوجدنا اشتاق كثير من الأدباء في نقل جو المصركة ، بل قد يجمع شيبان  
بعضهم فيقدم المصركة في صور لا ترتبط عادة بالجو القتالي ، وذلك منسيا منهم وراء الزخرف  
البياني ، يقول ابن الساعاتي مثلاً :

خفيثا تثنى رصحه وهو نضيم  
وكم مرد هنر دونه وهو غزيب

إذا ما تثنى السيف في المهام والخلل  
تثنى التور عنقه رأسيا لبدائيم

ويتقون الحجاد : " ورتضت قدود السم على فناء السواحل ، وحركت رياح السواحل ذوائيم  
الذوابل " ( ٢ ) ، ويقول شهاب الدين محمود :

أبراجها لنبيا منهمن باللمسب ( ٣ )

ونحت البيض في الاغواق فأرتقصت

وقد يقال أن بين الاعراض والمعارك بعض مشابهة بما في كليهما من حركة واضطراب ، ربما  
ولكن وصف الحرب يتطلب كل ما يوحي بالقوة والشدة والعدا ، يستوى في ذلك الالفاظ والاصوات  
والاخيلة والصور ، وقد حد من دقة وصف الأدباء للمعارك ، وأعطاه صورة واقعية عنها ، مما  
انصرفوا اليه من زخرف لغوي ولغوي قد يصل الى حد الحد لقة ، ومثال ذلك قول النسابة المصري  
الجواني :

فالرجم ينظم والمهند ينشمر ( ٤ )

نشر ونظم طعنة ونرابيسه

- ( ١ ) ديوان أسامة ٢١٦ وأنظر أيضا ص ٢١٧
- ( ٢ ) ديوان ابن الساعاتي ١٢٩/١
- ( ٣ ) النسخ التسي ٥٠٨
- ( ٤ ) تاريخ ابن الفرات ج ٨ / ١١٧ - ١١٨ ، وأنظر جواهر السلوك ورقه ٦٠
- ( ٥ ) الروشتين ١٠٥/١

وتقول العماد :

تنثر الهمام كالمحروف فما أهدى به هذى السيف بالأقرب  
في محارب حربة البيض صلست

وركوح النطى سجود المهاد (١)

وتقول شهاب الدين محمود في فتح عكا :  
وحطتها بالمجانيق التي وقفت  
درغوة نصبوا أضراسها غنسادا

ازاء جدرانها في جحفل لجسب  
للكسر والحطم منها كل منتصب (٢)

ومن النثر قول شهاب الدين محمود يصف مجازية الفرنج التي عجزت عن الصود أمام مجازية المسلمين : " فأعلمتهم أنها لا تطيق الدفاع عن غيرها بعد أن عجزت عن نفسها ، بسلمت أنفها المارة على الأذعان ، ورفضت أصابعها أما اجابة أن تذل للشهد ، وأما اناية الى طلب الأمان " (٣) ، فهذه الاخيلة تشرق عن الجوا الواقعي للقتال ، وان استوت على أنصاف جديدة غير ما لوقت من التشبيها والاستمارات ، ومن عوامل الافتقار الى الوصف الواقعي الدقيق للمركة ، التركيز كما أسلفنا على النتائج ، دون تتبع مجريات الاحداث ، ففي حديث القاضي الفاضل عن حصار الفرنج لمكا ، يركز على انتشار المسلمين في مرحلة من مراحل الحصار ، على النحو التالي : " فنزلت الفرنج نثر عكا في اسلول ملك بحره ، وحين سلك بوه ، فنبضنا اليد ، ونزلنا عليهم وعليه ، فضرب منا صاع ، قتلت فيه غرسانه وشجانه ، ونخذلت صلبانه (٤)

وقد يتبادر الى الذهن أن الادباء الذين تحدثوا عن الممارة كانوا بعيدين عن ساحة القتال ، ولكن هذا الامر لا يمكن تعميمه على ادباء العصر جميعهم ، لان بعضهم شاهد الممارة غير مرة ، ومن هؤلاء العماد الذي شاهد هجوم الفرنج على المسلمون في عكا ، وأكثرت من الجيوش ، يقول : " وكنت في جماعة من أهل الفضل ، وقد ركبتنا في ذلك اليوم ، ورتبنا على التل شاهد الوقعة ، وننتظر ما يكون من القوم ، وما ظننا أن القوة تهي ، وأن الوقعة الينا تنتمي ، فكلما خالطونا في المخيم ، وباسطونا في المجثم ، وكنا على بئال بغير أهبة قتال ، أستدركنا أمرنا وأخذنا حذرنا ، ورأينا المسكر دوليا والمنهزم عما تركه من خيامه ورحله متخليا ، فواقفنا في الأندفاع والفيينا الاستمرار في الطل عين الانتفاع " (٥) ، على أنه يمكن فهم رواية العماد هذه ، على أنها دليل على أن الادباء ، أو معظمهم على الاقل ، لم يمارسوا المعاناة الحقيقية التي طرستها المقاتل ، ولذلك وصفوا المركة وصفا جزئيا ، وهذا ما يفهم من قول العماد " وكنا على بئال بغير أهبة قتال " فهم كالمصحفين الذين يراقبون المركة ويفسونها وصفا ظاهريا ، ولكنهم محجزون عن وصف دقائقها وساناة المقاتلين فيها ،

- (١) الروشتين ١٢١/٧
- (٢) جواهر السلوك ورقه ٦٠ وأنظر تاريخ ابن الفرات ١١٢/٨
- (٣) صبح الاعشى ٣٩٦/٨ ، وأنظر حسن التوسل ١٤٥
- (٤) صبح الاعشى ٥٢٩/٦
- (٥) الفتح التسي ٣٠٩ وأنظر ص ٧٨ - ٨٢ ، ١٦٥

وبذلك يتغلب الوعي والاعتقاد على الشعور والاحساس، فيكون وصف المعركة من الخارج ، لا من الداخل .

وتد يورد انصراف الادباء عن وصف تفاصيل الاعداء الى أنهم اهتموا باعذار انبياء المعركة على الماء في وقت قاتل فيه وسائل الاعظم . ويضيف الدكتور محمود ابراهيم سبيبا آخر في مجال حديثه عن ابن القيسراني ، يمكن تعميمه على ادب هذه الفترة ونحو انكسار الفعراء في وصف معاركهم على التراث الشعري السابق ( ١ ) ، وخاصة تصائد أبو تمام وتصائد المتنبي الخيرية .

ومن ذلك ، فان الادباء لم يدخلوا وصف المعركة كلية ، بل تناولوا اجزاء منها ، كوصف قوة الاعداء ، وقوة المسلمين ، وادوات المعركة ، والجو العام لها ، ثم التركيز على النتيجة . . . . وفيما يلي تفصيل ذلك . . .

١٠١ وصف قوة الاعداء : اهتم الادباء باظهار قوة العدو ، وكثرة عدته ، قبل الدخول في المعركة ، لكي يفسحوا لخيال السامع حتى يكون صورة مضخمة عن قوة العدو ، وكثيرة عدده ، وبالتالي عن عظمة الانتصار عليه ، يقول القاضي الفاضل في حصار دمياط زمن صلاح الدين : " فانهم نزلونا بحرا في ألف مركب مقاتل وحامل ، وبرا في مائتي ألف فارس وراجل ، وحاصروها شهرين يباكرونها ويراوحونها ، ويماسونها ويمسحونها ، القتال الذي يعليه الصليب ، والقراع الذي ينادى به من كان قريبا . . . ( ٢ ) ، وفي ذلك يقول فتيان الشافري :

ولما اتوا دمياط كالبحر طامسها  
يزيد عن الاحصاء والمد جمجمهم  
وفي زمن الكامل بن العادل ، حاصر الفرنج دمياط بقوات هائلة ، فقال علم الدين ايدمر المحيوي في ذلك :

واتى بما ملاء البسيطة كسيرة  
جيش اذا مسحت يدها بقصبة  
كالسيل الا انه لا ينقص  
والله ربك تادم ما شيمسوا  
جف المياه بها وذاب الجلمسوا  
والليل الا انه يتوقسوا ( ٤ )

- ( ١ ) صدى الشوق الصليبي في شعراء ابن القيسراني ١٣٧
- ( ٢ ) صبح الاعشى ٨٣/١٣
- ( ٣ ) ديوان فتیان الشافري ٣١٩
- ( ٤ ) ديوان علم الدين ايدمر المحيوي ص ١٥



وفي وصف قوتهم البحرية يقول الصادق : " فسمّر الفرنج اسطولا ، وصف شوانيه على البحر عرضا وطولا ، وقدر أنه يلاقي الاسطول المنصور ، ويحظر بسد الطرق عليه وصدها ، السبور ٠٠٠ ( ١ ) ، ويقول ابن دنينير في وصف قوات الفرنج البحرية التي حاصرت دمياط :

فألبحر من تحتهم آذيه وعلمسي	رؤوسهم من نار الحرب تستعسر
وزعتهم بين بيض الهند مصلتسة	وبين سمير القنا ، والموت محتكسر
فللمرماح قلوب منهم أبسدا	وللسيوف الدللي والهام والقصير
أموا الحبور الى دمياط تحصنهم	وما دروا أنه عز به العيسر ( ٢ ) *

وصف قوة المسلمين : وقد قصد الأدباء من ذلك اظهار قوة المسلمين أمام قوة الفرنج للدلالة على شدة المعركة ، ولرفع معنويات المتألمين ، فان كان النصر لهم أظهر ونفسهم بمظهر القوي الذي تشلب على يد قوي ، وأن كان النصر عليهم قد دوا بين أيديهم عذرا مقبولا وهو أنهم اعدوا ما أستطاعوا ، فان خسروا معركة فما خسروا المحساراة ، ولا خسروا الأمل بالنصر ، وأدلة ذلك كثيرة \* \* ، فمن أمثلة انتشار المسلمين الأتقواء على الفرنج الأعداد لهم ، ما جاء في الروضتين تحت باب القدسيات ( ٣ ) ومنها تقول ابن دنينير في مدح الأشرف موسى يوم دمياط :

أتيت دمياط إذ أبيت رياضتها	كل الأورى وتناءى البدو والعشيرة
فكنت إذ زرتها مفتاح مقتلهم	فالحق منتصر والشراة مندثرة
صدفته بخميس لو صدت بسبه	وجه البسيطة كادت منه تنفطيرة
من بعد ما كان في آمالهم طمول	يوم الكفاح وفي أطارهم قصيرة
أوردت أنفسهم خوض الردى فندا	ورودهم بارتواء ط له صميرة ( ٤ )

- ( ١ ) الفتح القسي ٣٨٥ ( ٢ ) ديوان ابن دنينير ورقه ١٥٠
- \* المزيد من الأمثلة أنظر : ديوان أسامة بن منقذ ٦٠٧ ، ٦١٧ ، ٦٢٤ ، ٦٢٦ ، ٦٢٩ ، الروضتين ج ١ ق ١ ص ٥٢ ، ٢٧١ ، ٢٧١ ، ٢٧١ ، البداية والنهاية ١٢ / ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، تاريخ ابن الفرات ١١٢ / ٨ ، ومجلد ٥ ج ١ ص ٢٢٠ ، تشرىف الايام والمنصور ٢٨ عند الجمان ج ٢٠ ق ٤ ورقة ٢٧٨ ، ٢٧٨ ، ج ١٨ ق ١ ورقة ٥٨ ، ج ١٢ ق ١ ورقة ١٨٢ ، الفتح القسي ١٧٤ ، ٢٨٩ ، ٢١١ ، ٢١٤
- \*\* المزيد من الأمثلة أنظر : ديوان أسامة بن منقذ ١٧٦ ، ٢٠١ ، تاريخ ابن الفرات ١١٦ / ٨ ، الفتح القسي ٢٧١ ، الروضتين ١١ / ١ ، ١٢٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ١٢١ ، خريدة القصر تسم شعراء الشام ١٥٥ / ١ ، ٤١٤ ، ٤٢٧ ، ٤٧٠ ، ٢٨٩ / ٢ ، تسم شعراء العراق ١٤٧ ، فتح التروب ١١٦ / ٢ ، عبد اللطيف حيزة ، الأدب المصري ٦٨
- ( ٣ ) الروضتين ١٠٣ / ٢ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١١٩
- ( ٤ ) ديوان ابن دنينير ورقه ٢٢

ويقول ابن النبيه في مدح الاشرف موسى يوم دمياط :

فتح له تثقيع المبيع السمسمات	لله من ثمر دمياط وبرزخه
أمطارهن مصيبات مصيبات	يوم على الرويشي ريحه سحيبات
ليث له في جيوش الشرك هجمسات	رأوا جيوش بني أيوب يقدمه
وللصوارم أعناق وهامسات ( ١ )	فللمطاح كلالهم أوصدورهم

ويقول الرشيد النابلسي ، في فتح العادل لحصن كوكب سنة ٦٠٩ هـ :

وكاد كوكبه الدر ينكسر	لقد رأى كوكبني نفسه عجيبا
أنفاسها في نفوس الشرك تزدفسر	أصرت جذوة بأس في جوانبسه
قلب الحديد ولا يستمسك الحجس	طوقته بسجائيق يلين لهسسا
فخده بصعيد الأرض منفسر ( ٢ )	( هوت ) عليه بمثل الشهب قاذفة

ومن الثر تول العادل في وسك المصاف يوم عكا : " ٠٠ وواغي الانجاد عسكر الشرك طغري .  
 النرب هوصرنا محاصرين للمحاصرين ه مكابرين للمكابرين ه قد أسطنا بالعدو وشوبالبلد  
 محيط ه واستحطنا منه وهو مستشيط ه وأحدقنا بأولئك الكفرة احاطة النار بأهلهم ه  
 ومنحنا الطوق من ورائهم في وعدها وسهلها ٠٠٠ وخملنا عليهم فأخذوا الضربة ولمسهم  
 يخطونها ه وأنحنا لهم مضايا المنيا غمان عليهم أن يخطونها ٠٠٠ " ( ٣ ) ه  
 والأمثلة على انتصار الفرنج على المسلمين أقل من أمثلة انتصار المسلمين على الفرنج ه  
 وذلك لأن الأدب كان يصمت منتظرا النصر ه وإن كان لا بد من القول ه فالتمزيكية  
 والتعديد بالنار وغرور الأمل في النفوس ه مع الاستمالة بالنصوح الدينية ه وأحاديث  
 التاريخ الإسلامي ه هذا السماد يميز صلح الدين بمسقوط عكا فيقول له : " بسنده  
 بلدة ما فتحه الله ه قد استعادها أعدها ٠٠٠ وإن ذهبت مدينة عما ذهب الدين ه  
 ولا ضعف في نصر المماليقين " ( ٤ ) ه ويقول القاضي الفاضل : " فلا تعظم بسنده  
 الفتوح على مولانا فتبهر سببه ه وتماء صدره ه فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم  
 الأعلون والله محكمهم ه وهذا الدين ما غلب بكثرة ولا نصر بشوة ه انما اختار الله  
 تعالى له أرباب النيات ه وذوي قلوب معه وحالات ه فليكن المولى نعم الخليفة  
 لذلك السلف ه لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ه وأشددي أزمة تنفرجس  
 والنحرات فذهب ثم لا تجي ٠٠٠ " ( ٥ ) ه

- ( ١ ) ديوان ابن النبيه ص ٦٦
- ( ٢ ) عقد الجطان ج ١٧ ق ٢ ورقة ٣٢٨
- ( ٣ ) الفتح القسي ٢٩٩
- ( ٤ ) الروشتين ١٨٨/١
- ( ٥ ) المصدر السابق ١٦٧/٢

ويقول ابن دنيير غيب هزيمة دمياط ، وقد وصل المسلمون عيسى لنجدة أخيه الكامل  
محمد :

فقد جاءكم عيسى وهذا محمد  
بها الفأل فالأفراح فيها تحمد  
أرى كبدى شوقا إليه توشح  
وكل نبي بالذي قلت يشهد  
غذا الدين للرحمن في نصره يمسد  
لهم في المهدي فرج زكي ومحسد  
مقى تتركوها أن النار تشمسد  
لدى الناس إلا ذابل ومهنسد  
ينيلكموها اليوم أو يسعف القد ؟ ( ١ ) \*

أتيموا عمود الدين لله تسعدوا  
أرى الآية الكبرى من النصر قد جرى  
عسى الله أن يأتي بموس فانسي  
ليظهر أن الحق حق محسد  
فلا تجزعوا من حادث جاء قادم  
فشنوا لدين الكفر غارات محسد  
وشبوا لهم نار الجهاد فانكم  
غذا الدين ما أرسى قواعد حقه  
هل الدين ملبوسه جميل وشبهه

وصف الجوال العام للمعركة وذكر النتيجة : وقد أعتد الأديب في اظهار الجوال العام  
للمعركة على تقديم صور خاطفة لالتقاء الجيشين ، ثم ما تلبث المعركة أن تنتهي  
بإعلان هزيمة الفرنجة ، يقول عبارة اليمنى في مدح الملك الناصر بن السالم :

تشل بها أعناقهم وتشتال  
ميا سبب حالت دونهم ورمس  
اذ الريح كالت لم يصبه كسائل ( ٢ )

شهدت الى الأفرنج تزجي كتابها  
غولوا وقد أبقت عليهم نفوسهم  
وأبستهم ركنا على كل سابع

ويقول في مدح صلاح الدين يوم دمياط :

عبرتهم ببخر من حديد على الجسر  
فغزتم بها والصخر يترج بالصخر  
وتلتزم لأيدى الخيل مري على (مُـرِي) \*\*\*  
كما لزمهم من الليل بالفجر ( ٣ )

لكن نصبوا في البر جسرا فانكم  
طريق تقارعت عليها مع الصيدا  
أخذتم على الأفرنج كل تيسة  
وأزجه من صر خوف يلمسره

- ( ١ ) ديوان ابن دنيير ورقه ٤  
\* المزيد من الامثلة أنظر : الروضتين ١ / ٥٨ ، ١٥٧ / ٢ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٨٨
- ٢٠٤ ، ٢٢١ ، ديوان ابن مناة الملك ٥٦٦ ، صبح الاعشى ٧ / ٣٥٥ ، ديوان  
علم الدين آيد مرعي ١٥ ، وأنظر محمد كامل حسين في أدب مصر الفاطمية من ٢٣٠  
الخريدة تسم الشام ٢ / ٢٢١ ، ديوان ابن الشياط ١٨٤ .
- ( ٢ ) النكت المصرية ٣٠٧
- \*\* مري هو ملك القديس الأفرنجي
- ( ٣ ) المصدر السابق ٢٦٦ ، الروضتين ١ / ١٢٦

وثمة أمثلة كثيرة تصور لقاء الجيشين بأعداد كثيرة وعدد متنوع ، وقد اتكا الأديباء  
لاظهار هذا الجو على الجرس الموسيقي القوي المرتبط بجو الحروب ، فكثرت الألفاظ  
التي تشير الى الضرب والحركة ، واستعملت البحور الملوثة التي تتناسب مع جدية  
الموقف .

وبما يتعلق بوصف الجو العام وصف نتائج القصف ، وقد قدم القاضي الفاضل وصفنا  
دقيقا لتهديم سور القدس بعد تسفه بالمدفعية يقول : فأشلى السور من السيارة ،  
والحرب من النظارة ، وأمكن النقب أن يسفر للحرب النقب ، وأن يعيد الحجر الى  
سيرته من التراب ، فتقدم الى الصخر فمضج سرده بأنياب مخلوه ، وحل عده بضربة  
الاحراق الدال على لطافة أنحله بوتيلاً بعض الحجارة من بعض ، وأشذ الشراب  
عليها موثقا فلن تبين الارض ٠٠٠ " ( ١ ) ، كما وصف ابن دنيير ضمار المعركة  
فلا يرى من شأنها سوى وجه المدون ( المعظم عيسى ) أو لمح الأسته والسيوف ،  
يقول :

عاد النهار لهم ليلاً بقسط المسنة دحت ، ووجهها في ظلماتها قمر ( ٢ )

وصور الأدب في معرزة وصف الجو العام للمعركة حالة الفرنج النفسية في وقتي الضعف  
والقوة ، وقد سبقنا الاشارات الى مواطن القوة عندهم حين تصلهم الامدادات أو عند  
النصر ، وأما ضعف نفوسهم فيكون بعد الشروع من هزيمة أو حين يشعرون بقسوة  
المسلمين ، وأمثلة ذلك وافرة ، منها ما حدث زمن عماد الدين زكي حين حاصر حصن  
الأثارب ، فأجتمع الفرنج من كل مكان ، ولكنهم مع كثرة عددهم أحسوا بقوة عماد الدين ،  
فلم يقدروا على الهجوم بل زهقت نفوسهم وهم ينظرون ، يقول ابن الاثير : " هذا ،  
والرعب قد ألقاه الله في قلوبهم فهم منه وجلون ، والخوف قد عم رئيسهم ومرؤوسهم فهم  
منه خائفون ، ويتقدمون في سيرهم رجلاً وبؤخرون أخرى ، ويحقدون أن القاههم  
أولى وأجرى ، ولكن آجالهم تسوقهم الى مصارعهم ، فهم نحوها يبرزون ، وكأنهم  
يساقون الى الموت وهم ينظرون ٠٠٠ " ( ٣ ) ، ويصف أسامة بن منقذ حالة الفرنج لا سيما  
بعد وبن وقد أنتصر عليهم نور الدين :

وقد ضاقت الدنيا عليهم برحمتها فام ينجه بر ولم يحمه بحسب ( ٤ )

وينفي المهدب بن الزبير أن تكون الارض قد زلزلت ، وإنما شعر الفرنج بحركة الارض  
نتيجة خوفهم فيقول :

ما زلزلت أرض المداهل ذلك ما بقلوب أهلها من الخفقان ( ٥ )

- ( ١ ) الروضتين ١٠٠ / ٢  
( ٢ ) ديوان ابن دنيير ٢٢ ، وأنظر مثلاً آخر في الروضتين ٥٤ / ١  
( ٣ ) الباهر ٤٠  
( ٤ ) ديوان أسامة بن منقذ ٢٠٢  
( ٥ ) الروضتين ١ / ٢ / ٣٧٦ والخريد تقسم شعراء مصر ٢١٠ / ١

وقد صور ابن سناء الملك حالهم النفسية بعد سقوط القديسين قال :

غدا بادويل وهو يلصق نفسه  
يروحه الصباح الضير اذا بسسندا  
وحق لتلك النفس ان تريح اللئيم  
ويوحيه الليل اليهيم اذا بسسندا ( ١ )

ويؤكد الرشيد النابلسي هذا المعنى فيجعلهم كالوهن لشدة الخوف والحسرة يقول :

لتراهم من التناؤل كالوهن  
وكانوا تلح المناكب صسكا ( ٢ )

كما نجد هذا المعنى عند ابن عبد الظاهر زمن المنصور قلاوون حين فتح حصن المرقب و يقول :

حصن به الفارق قالوا تسسرى  
وقال كل منهم ليتسسرى  
من بعد هذا أي شيء بقسسرى  
لمثل هذا اليوم لم نغسسرى ( ٣ )

ويقول العماد في وصف حالة الفرنج الذين تحصنوا بحصن الاكراد " وخاف الكفر وطلاف الذعر " وقال تفر الشرا تفرولا نستقر " فكأنهم في حصونهم أموات " لا ترتفع لهم من الوهل والوله أصوات " ( ٤ ) ويقول علاء الدين بن القاضي محسي الدين بن الزكي في وصف الفرنج صفاء وقد هاجمهم ببغداد سنة ٦٦٤ : " وواغانا والحصن قد تزعت أركانه " والفرقد أنهدم بنيانه " وشمر عن ساق الهزيمة شيلانه " ( ٥ ) \* وقد كان للأحداث الجارية ورجحان كفة المسلمين أثر في شعور الفرنج بأن مصيرهم الموت بعيد عن مواطنهم الأصلية " يقول القاضي الفاضل : " والفرنج يمرغون منسما خصما لا يمل الشر حتى يملوا " وقرنا لا يزال يحرم السيف حتى يخلوا " حتى أنك لمسا تجاوزناهم في الأمر القريب ( دهاط سنة ٥٦٤ ) وعلموا أن المصحف قد جاء بأيديهم يخاصم الصليب استشعروا بفراق بلادهم وتبادوا التمازي لأرواحهم بأجسادهم " ( ٦ ) ولقد وفق الأدباء حين قدموا لنا صورتين للفرنج " إحداهما خلال فترة تمسوة واستحالة " ما لبثت أن انقضت " والأخرى خلال مواجهة طويلة مع جيوش الاسلم " انتهت بخروجهم من المشرق الاسلمي " ولعل الآيات التالية التي قيلت بعد أن أنتصر نور الدين على الفرنج قرب بلخية سنة ٥٥٧ تملئ فكرة عما كان عليه الفرنج في فترة القوة

( ١ ) ديوان ابن سناء الملك ٧٥٩ ( ٢ ) عند الجبان ج ١٧ / ١ / ١٧٤ / ١٧٤

( ٣ ) تحريف الايام والحدود ٨٢ ( ٤ ) الفتح القسي ٢٢٥

( ٥ ) نهاية الارب ١٥٢ / ٥

\* لمزيد من الامثلة انظر : الروضتين ١ / ٧ / ٣٧٤ و ٣٧٤ و ٤١٢ و ٣٨ / ١ و ١٥٦ و ١٥٦ و ١٨١ و ١٥٨ و ١٥٧ و ١٤١ و ١٣٢ و ١٠٦ و ٨٢ و ٧٧ و ٥٧٦ و ٢٨ و ١٣ و ١٢ / ١٢ و ٢٧٤

والفتح القسي ١٥٦ و ٢٤٥ و ٢٠٠ و ٣١٢ و ٣٧١ و ٣٦٧ و ٤٠٣ و صبح الأعشى ٣٥٦ / ٧

رسائل ابن الاثير ١٥٢ ديوان غنيان الشاغوري ١٤٧ و ٣١٨ النوادر ٧٧ ديوان ابن سناء الملك ٥٦٦ و ٨١٤

( ٦ ) صبحي الاعشى ٩٠ / ١٢

والاستسلام ، وما آلوا اليه بعد ردة النسل الاسلامية القويصة :

ما رأينا فيما تقدم يومنا  
 مثل يوم الفرنج حين علقهم  
 وراياتهم على العيس زفتوا  
 بعد عزكهم وهيبه ذكسر  
 وفي عهد صلاح الدين ، بعد أن اتحدت البلاد الاسلامية ، أصبحت أرض الفرنج كما صورها  
 الشاعر العربي سبيلاً سهلاً لكل سالك رغم كثرتهم ، بعد أن كانت حتى لا يخام ، يقول  
 ابن الدغان الموصلی :

وكانت حتى أرض الفرنج فأصبحت  
 خشوا أن يلاقوا جحفاً كل فساربي  
 وهابوك حتى الفارس المشهم من رأى  
 ولو أنهم كالرمل أو عدد الحصى

ويشير ابن عبد الظاهر الى تحول خطير في نفسية الفرنج ، ساعد على استئصالهم ، وتحو  
 تكالبتهم على الحياة ، بعد أن كانوا لا يخافون الموت ، فغفل لهم الرعب أشياء لا واقع لها رغم  
 حصانة الموت الذي يمشون فيه ، وذلك حين حاصر المسلمون حصن المرقب الحصين ، وبعد  
 جهد كبير لم يستأج المسلمون السيارة على الحصن ، فقتلوا الرجوع على انبعاث الوقت ، وإذا  
 رسولهم يأتي يالبا الامان ، يقول : " فسئل في أيديهم وحل الخذلان في ناديهم ،  
 وتحققوا أنهم قتل بخير شك ، وأن أسيرهم لا يفاك ، وطلبوا الحديث في الامان ، والمحاولة  
 بالعدو والاحسان ، وبعد أن كانوا يؤثرون الموت على الحياة ، صاروا يؤثرون الحياة على  
 الموت ، وتحققوا أنهم ان قتلوا عن أنفسهم فأت فيهم الموت " (٣) ، ومما اتخذه الابداء قسري  
 وصف المعركة وصفا مجزأ ، تقسيم جيش الفرنج بعد الهزيمة الى هارين أو أسرى أو قتل \* .

(١) الروضتين ١/١/٢٧٢ ، وانظر ذيل تاريخ دمشق ٣٤٢ ، عقد الجمان ج٢ ا١٢ ورقة ٢٨٣

(٢) ديوان ابن الدغان الموصلی ٤٢

(٣) تشريف الايام والعصور ٧٩ ، وللمزيد انظر الروضتين ١/٢/١٥٤١٥ ، صبح الاضراس

٤٤٩٩/٦ ، ديوان ابن الدغان ٤٢ ، ديوان شرف الدين الانصاري ٢٨٣ ، ٤٠١ ، الرشيدة

قسم الشام ٢٨٢/٢

\* يقول الرشيد النابلسي :

فقتيل معفر ليه يودي وأسير مكبل لن يفكا (عقد الجمان ج٢ ا١٧ ورقة ١٨٠)

ويقول الصاحب شرف الدين الانصاري :

فالقوم بين قتييل وبين عاف وهارب (ديوانه ٩٦ ، وأنظر ص ٤٠١ )

ويقول ابن مطروح :

خمسون ألفا لا يرى منهم غير قتييل أو أسير جريح (المشعر في أخبار البشر ١٨٢/٢)

ديوان ابن مطروح ١٦٦ ، ديوان ابن دنينير ١٧٤ )



ويصف ابن القلانسي وصول الاسرى الى دمشق ، وقد رتبوا على كل جمل فارسان من  
أبدانهم ، ومعها راية من راياتهم منشورة ، ويذكر قول بعض الشعراء :

ما رأينا فيما تقدم يوماً  
مثل يوم الفرنج حين علتهم  
وراياتهم على العيس زفوا  
بين ذل وحسرة وضياء (١)

ويقدم القاضي الفاضل والحماد الاصفهاني وابن الاثير مثل هذه الصورة يوم حطين  
إذ صعد الاسرى بجبال الغمام ، وجيء بهم بين يدي السلطان ، يقول القاضي  
الفاضل : " فلورأيت أطاب الخيم في أعناق الاسارى يخاقون بها مقرنين ، لحدث  
الذى سخر لنا هذا وما كنا لمقرنين " (٢) .

ويقول الحماد : " وجاءوا بالاسارى بين يديه مقرنين في الأصفاد ، مقودين في  
الاقباد ، مسوقين الى السوق ، والحديد منهم في الاعناق والسوق " (٣) .  
ويقول شياخ الدين بن الاثير : " وجيء بالاسرى مقرنين في الأصفاد ، موقنين  
ان رؤوسهم عوار عن تلك الاجساد ، ولو استطار رأس أحدهم أن ينكر عنقه لأنكره ،  
ولا يود وهو المعظم أن يقال ما أعظمه بل يقال ما أحقره " (٤) .  
ولم يكن هذا الحال للجنود فقط ، وإنما شاركهم فيه ملوكهم ، يقول ابن  
سنة الملك :

وعوى الأسر كل ملك يتأسن الد (م) هو يفتى وملكه ليس يفتى  
والمليك العظيم فيهم أسير يثنى في أدهم يثنى  
يحسب النوبقة ويتأسن الش --- خص طودا ويصير الشمس دجنا  
كم تمنى اللقاء حتى رآه فتمنى لونه أنه ما تمنى (٥)  
ومن الواضح أن ذكر الملوك الاسرى جاء ليظهر عظمة النصر ، وقدرة الاسر ، فصح  
أن الاسير ملوك عظيم إلا انه وقع في أسر المسلمين ، ولولا قوة القائد المسلم لما  
تمكن من أسر هذا الملك العظيم ، يقول ابن القيسراني في مدح نور الدين :  
من باتت الأسد أسرى في سلسله هل يأسر الغلب إلا من له الغلب (٦)

- (١) تاريخ ابن القلانسي ٣٤٣ هـ وانظر الروضتين ٢٧٢/١/١ هـ ومفج الكروب  
١٤٩/٣ ، وعقد الجمان ج ١٢ ق ٢ ورقة ٢٨٣
- (٢) الفاضل من كلام القاضي الفاضل ورقة ١٠٠
- (٣) الفتح القسي ٩٣
- (٤) شياخ الدين بن الاثير ٧٥
- (٥) ديوان ابن سنة الملك ٨١٩
- (٦) الروضتين ١٥٤/١/١



وقد سلك أدباء العرب سياط السخرية والاستهزاء على قادة الفرنج الأسرى ، يقول ابن دنينير :

يمشون همسا ، وإيماءً حديثهم  
نهامم الرعب عن عود نمقصة

ويقول ابن مطروح :

قل للفرنسيين إذا جئتكم  
آجرك الله على ما جرى  
أثيت همرا تبتغي ملكهمسا

وكرر عدد الأسرى حتى أصبح القيد غالبا لشدة حاجة المسلمين إليه ، يقول الشاغوري :

أغلى الأدهم من أسرته وأرخصت  
بيض الصوارم من نسياب المعسكر (٣)

ويقول الحماد :

ياعون أسرابا شرايح أحمل  
كشلة صفور من الريش جردا (٤)

ويقول :

سبايا بلاد الله ملوثة بهيسا  
يطاف بها الأسواق لا راغب لها  
وقد شريت بهيسا وقد عرضت نخسا  
لكثرتها ، كم كثرة توجب الوكسا (٥) \*

هذا ، وقد صور الأدب القتلى ودماهم ، وصير تلك الجثث المنتشرة هنا وهناك  
لكثرتها ، كما رسم صورة رهينة لرأس الجندي الصليبي القليل وهو يعملو الرمح ،  
وكأنه ثمرة من ثماره مع أن الرمح لا يثمر ، يقول ابن القيسراني :

عجبت للصعدة السمراء مشرة  
سما عليها سمو الماء أرهقه  
برأسه ، إن إثمار القنا عجب  
أنبوه في صمود أصلها صيب  
بدا لتعلمها من نخره سرب (٦)

(١) ديوان ابن دنينير ورقة ١٥

(٢) ديوان ابن مطروح ١٨١ ، والإلغام ١٦٩/١

(٣) ديوان فتیان الشاغوري ١٦ ، والروضتين ٨٤/٢

(٤) الروضتين ١١٨/٢ (٥) المصدر السابق ٨٣/٢

\* للمزيد من الأمثلة عن الأسرى أنظر : الروضتين ٢٠٦/١/١ ، ٤٤٤/٢/١ ،

جذ ٤٨/٢ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١١٧ ، ١٢٩ ، حسن المحاضرة ٣٩

تاريخ ابن الوردي ٥١/٢ ، قوات الوفيات ١٥٧/١ ، المواعظ والاعتبار

ط . بولاق ٢١٣

(٦) الروضتين ١٥٤/١/١

ولم يكن رأس القائد هو الرأس الوحيد الذي رفع على رمح ، وإنما استطالست رؤوس  
الترنج كأنما هي نزع قد أنصب ، وحين شهدنا السيف الاسلمي أغرته بهتافها ،  
فنادى سيف المسلمين لتشارك في حصاد الزرع البشري ، يقول ابن القيسرائي أيضا :

وطالت رؤوس الأعلاج عجبها  
أحداث بهم فكان القتل صبيرا  
ولا يبرز فوق الرمح رأس  
فنادى السيف قد وقع الحصاد  
ولا طعن هناك ولا طراد  
توسد والسنان له وسباد (١)

ويقول القاضي الفاضل في فتوح صلاح الدين : " وعاد المسلمون برووس  
عدوهم في رؤوس القنا ، وقد أجتتوا ثمراتها ، وأرواحهم في صدر النابى ، وقد  
أدافوا بماثها جمراتها ٠٠٠ " (٢) ، وفي معركة دميطة سنة ٦١٥ يقسمول  
ابن دنينير :

ما أنبت الخط طول الدهر من أسل  
وقد فصل الشعراء صورة أنفصال الرأس عن الجسد ، فجعلوه يركض نحو الهليل  
المسلم ليقدّم الدلاعة والتحية إليه ، أو يدلي إلى السماء من القناة ثم يهب إلى الأرض  
لشدة الضربة ، يقول ابن القيسرائي :

أتى رأسه ركنا وفودر شلمسوه  
وليس سوى عافي النسور له قبر (٤)

ويقول ابن ضمير :

تحشى القناة برأسه وهو العدى  
لو هانت الحيوق يوم رفعتسه  
نخامت مدار النير من قناتسه  
لأراك شاهد غفقه إخباتسه (٥)

بل قد تبلغ الضربة لشدها عدداً ترفق معها جثة القائد الصليبي فتلقيه مسبل العينين  
لا من نحاس ، وغائرهما لا من سهاد ، يقول ابن القيسرائي :

ترجل للسلام ففرسسوه  
غضيف المقتلين ولا نحاس  
وليس سوى القناة له جسسواد  
وغائرنا وليس به سهاد (٦)

- 
- (١) الروضتين ١٤٦/١/١  
(٢) الفاضل من كلام القاضي الفاضل ٩٨  
(٣) ديوان ابن دنينير ورقة ٢٢  
(٤) الروضتين ١٨٦/١/١  
(٥) المصدر السابق ١٥٨  
(٦) المصدر السابق ١٤٦

وقد تصل الشربة الى رأسه فتعدهم بعد أن تكون قد علمت التاج الذي عليه ،  
يقول ابن منير :

حملت التاج عنه وحمل تاجها  
فكان العمد من عند الكتاب (١)  
وفي مقابل ارتفاع الرأس في الجو ، فان الشربة تنرس الجسم في الأرض حيث  
تبرى وكأنها أشجار والرماح تحمل الثمر ، يقول العماد :

لقد بنيت فئة الافرنج فأنتصفت  
غرس في أرض حصر من جسمهم  
منها بأقدامك الهندية البتسر  
أشجاراً غط لها من هامهم ثمر (٢)  
وبالإضافة الى هذه الصورة ، فقد قدم الادب صوراً أخرى لجثة القتيول الفرنجسي ،  
فهني اما ملقاة على الأرض تحلونها الدماء كما يقول ابن الصياد في مدح طلائع بن  
رزنيك حين تمكن من قتل مقدم خيل الفرنج :

هو ملين جثت العدا في الحرب من  
فجياده تشكو مزاحمة القسا  
حلل النجيب مجاسدا وربا  
وترد غرصان الرماح مياطاً (٣) \*

واما ملقاة بالمرء ، يقول ابن منير في صاحب انداكيسة :

والآن ملقى بالمرء يقتاتيه  
أولأت أذراف السنايك دنامه  
ما كان قويل ببيده يقتاتيه  
فتقاذت بحنيفة قذ فاتيه (٤)

ويقول ابن شداد في وصف قتل الفرنج يوم عكا : وقامت سوق الحرب ، فلم يكن  
الا ساعة حتى رأينا القوم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، وأمدوا مطرحين  
على الثلال والوهاد ، وشربلت السيوف من دمايم حتى رويت ، وأكلت أسد الوغى  
بأسنان الظفر بهم حتى شبعت ٠٠٠ (٥) ، ويقول راجح الحلبي في قتل مسي  
دمياط سنة ٦١٥ هـ :

فلم ينسج إلا كل شلو وجسد  
ثوى منهم أو من تراه مقيسدا (٦)

- (١) الروضتين ٢٢٩/١/١  
(٢) المصدر السابق ٣٧١  
(٣) الخريدة / قسم شعراء بصر ٢٤٣/١  
\* الابيات منسوبة خطأ الى ظافر العداد ، انظر ديوان ظافر ص ٣٧٥  
والرباط الاثواب الرقيقة  
(٤) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٥٨  
(٥) النوادر السلطانية ١٣٠  
(٦) ابن كثير / البداية والنهاية ٩٥

وفي قتلى معركة حمص زمن قلاوون يقول بدر الدين المنهجي :

أجريت فيها بخارا من نجيمهم فكل سابعة سبحا الى اللبسب  
لم تطلع الشمس فيها بعد ذلك على غير الشاذيا من القتلى ولم تشب (١)

وهذه الجثث المتناثرة على الأرض كثيرة العدد ، لأن الجيش الفرنجي يضم أعدادا كبيرة ، يقول ابن الأثير في وصف قتلى حطين : " فكان من يرى القتلى لا يثنى أنهم ( المسلمين ) أسروا واحدا ، ومن يرى الأسرى لا يثنى أنهم قتلوا واحدا ٠٠٠ ولقد اجتزت بموضع الواقعة بعدها بنحو سنة ، فرأيت الأرض مألَى من عظامهم تبين على البعد ، منها المجتمعي ومنها المفترق ، هذا سوى ما جرفته السيول وأكلته السباع ٠٠٠ " (٢) ، ويقول فتيان الشاغوري :

فالخيول لا تشي بها إلا على هام منقذة وشمر أشمسر (٣)

وقد أعطى الأدب صورة لاعداد القتلى ، ربما كان مهالفا فيها ، يقول العماد فسي قتلى الفرنج أثناء حصار عكا : " ولم يفلت من الاعداء الا أعداد ، ولم ينسج من الآلاف الا آحاد ، وأمسك ( تلك الاجساد ) لنار العرب فراشا ، ولارض المعركة فراشا ٠٠٠ " (٤) ، ويقول ابن النبيه في مدح الملك العادل :

كم لك في يافا وفي المنج من عشرون ألفا غير أتباعهم  
وتأني غر مشاهير ما بين قتول وأسور (٥)

ويقول ابن مطروح في وصف قتلى الفرنج في موقعة دمياط سنة ٦٤٧ هـ :

خصمون ألفا لا يرى منهم غير قتيل أو أسير جريم (٦)

ويقدر الملك تورانشاه عدد القتلى في الموقعة السابقة بثلاثين ألفا ، يقول فسي كتاب الى نائبه في دمشق : " ولما كان الليل ، تركوا خيامهم وأثقالهم وأموالهم وقصدوا دمياط هاربين ، فسرنا في أثرهم طالبيين ، وما زال السيف يحصل فسي

(١) عقد الجمان ٢٠ ق ٤ / ٧٢٢

(٢) الكامل ٥٣٧/١١ - ٥٣٨

(٣) ديوان فتیان الشاغوري ١٤٥

(٤) الفتح القسي ٣١١

(٥) ديوان ابن النبيه ١٢

(٦) ديوان ابن مطروح ١٨١ ، المختصر في أخبار البشر ٣ / ١٨٦

أديارهم عامة الليل ، ويحل فيهم الخزي والويل ، فلما أصبحنا نهار الأربعاء ،  
قتلنا منهم ثلثين ألفاً غير من ألقى نفسه في اللجج ، وأما الأسرى فحدث عنن  
البحر ولا عن ٠٠٠ (١) \* \*

هذا وقد صور الأدب مجال هذه الجثث ، وتستهوا بين بطون الوحوش وحواصل  
الطيور ، لا إكراماً لهم ، وإنما لان الأرض رفضت احتواء جيشهم لوجسهم ، يقبول  
الحماد في وقعة حطين ، بادياً صلاح الدين :

كسرتهم إذ صح عزمك فيهم ونكستهم إذ صار سبهم  
بواقفة رجعت بها الأرض جيشهم دماراً كما بست جبالهم بسبها  
بطون ذئاب الأرض صارت قبورهم ولم ترض أرض أن تكون لهم رمما (٢)

ولهذا أكثر الأدياء من وصف جيوش الطيور فوق الجبال الإسلامي ، متوقفة سقوط  
القتلى من الفرنج ، يقول فتيان الشاغوري :

خميس له الرايات ظل ، وفوقه من البايير ظل يحجب الشمس سادل (٣)  
ولكثرة الطيور فوق الجيش الإسلامي أخذ بعضها يصادهم ببعض ، يقول الحماد في  
مدح صلاح الدين :

تركنا مصارعاً للمشركسين يدأون القشاعم فيه قيسر  
تزاحم فرسانها الضاربين فتصدم فيها النسور النسور (٤)

وقد قاسمت الطيور الجارحة في فرائسها الوحوش الضاربة ، وأشتركت جميعاً في  
أكل تلك الجثث ، مع أن الطيور تنفر عادة من الوحوش ، يقول فتيان الشاغوري :

فالقوم نهب للسباع تنوشهم من كل ذي ناب وصاحب منسر (٥) \* \*

- (١) نهاية الاربع ج ٢٧ ورقة ١٠١ ، الفجوم الزاهرة ٣٦٧/٧
- \* لمزيد من الأمثلة عن القتل أنظر : الخريدة قسم شعراء مصر (٢١٢/١) ص ٥٠٩
- الاعشى ١٢٧/٧ ، طنح الكروب ١٥٠/٣ ، ديوان فتیان الشاغوري ٤٥٧ ، ٥٠٩
- ابن الأثير الكامل ٥٧ ، ١١١ ، ١٧٤ ، الروضتين ٤٦٦/٢/١ ، الروضتين
- ١٠/٢ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ١٠٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
- ديوان أسامة بن منقذ ٢٠٢
- الروضتين ٨٣/٧ (٢)
- ديوان فتیان الشاغوري ٣١٧ (٣)
- الخريدة / قسم شعراء دمشق والشعراء الامراء من بني أيوب من ٢٨ (٤)
- ديوان فتیان الشاغوري ١٤٤ ، وأنار ١٤٥ (٥)
- \* \* للمزيد عن مال الجثث للطيور والسباع أنظر : ديوان طاهر الحداد ٢٥٤ ، ديوان
- فتیان الشاغوري ١٤٥ ، ٢٢٤ ، ديوان ابن النبيه ٧٦ ، أعلام النبلاء ١٦/٦ الفتح
- ٢٩٠ ، الخريدة قسم الشام ١٥٧/١ ، قسم العراق ١٤٧/٢ ، قسم مصر ١١/١ ،
- الروضتين ١٨٦/١٧

هذه حالة جثث القتلى ، أما دماء القتلى فقد جاء وصفها في الأدب لتدل على ما دلت عليه متابعة الطير للجهش الاسلامي من كثرة قتلائهم سواء في البحر أو البر ، فيها هوذا شهاب الدين محمود يصف الغيل الإسلامية تخوض في دمائهم في البر ووصف الرماح تنثر دمههم على الاسوار ، وتمتد البحر ببحر من الدماء ، يقول :

وخاضت البيض في بحر الدماء فما أبدت من البيض إلا ساق مختضب  
وغاص رزق القنا في رزق أعينهم كأنما شطآن تهوى الى قلب سب  
أجرت الى البحر بحرا من دمائهم فراج كالراج ، اذ غرقاه كالجب (١)

ويبالغ ابن القيسراني في كثرة قتلائهم ، اذ يجعل مياه نهر الماصي حمراء لكثرة الدماء التي أهرقت فيه يقول :

غداة كأنما الماصي احمرا من الدم عبرة الجفن القريح (٢)

ويقول فتيان الشافري في مدح الملك الأشرف موسى الذي قتل من الفرنج يوم دماط ما قتل :

فسيقه مع الفرنج دماءهم في البحر حتى الماء منه أشكل (٣) \*  
وقد نظر الادباء الى هذا الدم على أنه ماء مطهر للأرض التي دنسها الفرنج ، فدماؤهم المطهر الوحيد لجسدهم ، يقول ابن القيسراني :

وقد أصبح البيت المقدس الهرا وليس سوى جاري الدماء له طهر (٤)

ويقول ابن سناء الملك :

وكانت بهم تلك البلاد تتجمت فتاب دم منهم عن الماء في الشسل (٥)  
ويقول الحماد في تكوي الفرنج عن عكا والقدة سنة ٥٨٣ هـ " ٠٠٠ بل ليس من أيام الكفر يوم فيه خير ، وقد غسل عن بلاد الشام بدماء الشرك ما كان يتخللها ، فلا حذر ولا خير " ٠٠٠ (٦) ، ويقول القاضي الفاضل في ذلك أيضا : " فلك الحمد أن أحرمت الصخرة بذلك البنيان المحيط ، وطهر ما طهر من دم الكفر وما كان لطهرها البحر المحيط " ٠٠٠ (٧) ، وحين تم طرد الفرنج نهائيا من بلاد الشام قال شمس الدين الخزاري :

وأعدتها للمسلمين ولم يكسسن منهم ترى التطهير الا بالدم (٨) \*\*

- (١) جواهر السلوك ٦٠ ، ابن القرات ١٧/٨ - ١١٨ (٦) أعلام النبلاء ١٦/٢  
(٢) ديوان فتيان الشافري ٣١٤ \*  
\* لمزيد من الأمثلة عن صورة الدماء أنظر : ديوان ابن سناء الملك ٨١٤ ، ٥٦٦ ، ديوان ابن النبيه ٦٧ ، الروضتين ١٤٢/١ ، ٣٧١/٢/١ ، الشريدة قسم شعراء الشام ١٥٨/١ قسم شعراء مصر ٢١١/١ ، عقد الجمان ٢٠/٤/٢٢٢  
(٤) الروضتين ١٨٦/١/١ (٥) ديوان ابن سناء الملك ٥٦٦ (٦) صحح الأضنى ٥١٩/٦  
(٧) المصدر السابق ٥٢٨/٦ (٨) جواهر السلوك رقم ٤٨ \*  
\* ذكر محمود سليم هذا البيت من قصيدة ابن الضائع في فتح عكا ولجش الى المصدر وهي للخزاري / أنظر عصر سلاطين المماليك ج ٥٢/٨

وبالإضافة الى أنهم المظهر الوحيد لثرض ، فان لها فائدة أخرى وهي أنها تروى الارض والباع والسيوف المطشى ، وتد تفنن الشعراء في تقديم هذه الصور للتشفي بالعدو المهزم ...

\* \* \*

تلك هي صورة الصراع العسكري الذي أنتهى بعد غناء مرير أستم مدة قرنين من الزمان ، ولكن ما الوظيفة التي أخطأ بها الادب خلال هذا الصراع ، وما النهاية التي استهدفتها الادباء ؟

لقد أخطأ الادب بمهمة جليلة كان لها الأثر البعيد في مسيرة الصراع ، وفي حفز قادة المسلمين على القتال ، والسير به الى أن انتهى الوجود الصليبي في المشرق الاسلامي وذلك أن الأدب نظر الى الفرنج على أنهم غرباء طارئون على البلاد الاسلامية وعلى أهلها ، ومن ثم فقد حرضوا على مقاومتهم والتصدي لهم ، مهما بلغت التضحيات ، ومهما طال الزمان ، ولم يخل ديوان من دواوين الشعراء الذين عاشوا خلال أحداث الحروب الصليبية من التحريض على قتال الخزاة ، ويستطيع الباحث أن يتبين ذلك بوضوح في الاحداث التي سجلها الادب ، وقد استغل الادباء لاسيما الشعراء انتصار القادة المسلمين ، وأوضحوا للناس أن الفرنج طارئون وهم ينتظرون أحد المصيرين : الرحيل أو القتل والتدمير ، كما استغلوا المدح الشخصية ، وأضفوا على المدوحين صفات ترتبط بحظهم من أجل طرد الخزاة ، ويتجلى هذا الموقف بصورة أكثر وضوحا في فتوح صلاح الدين ، إذ أجمع الادباء على أن القدس وغيرها من البلاد الاسلامية قد احتلت في حانة ضعف المسلمين ، وأن قادة المسلمين يحملون الآن لاسترجاعها لتعود الى سابق عهدها بما فيه من طهر وروح وأمن ، يقول العماد : " وكان الاسلام غريبا فرجع الى وطنه ، وسكن فيه التوطن في مسكنه ، وزالت مخاوفه ، وعاد الى مأمنه ... " ( ١ ) ويقول : " ورد الاسلام الغريب الى بيته المقدس ، ونفى الكافر عنه كاسف الهال راغم المخلص " ( ٢ ) ولم تفب فكرة الطرد عن أذهان القادة ، فهذا صلاح الدين يغلب في الجيش الاسلامي وهو قبالة العدو في عكا ، ويعلمهم أن هذا العدو اللدري قد وطئ أرض الاسلام ، فيجب قتاله ، يقول : " أعلموا أن هذا عدو الله وعدونا قد وطئ أرض المسلمين ، وقد لاحت لوائح النصر عليه ، والرأي عندي مناجزته ، فليخبرنا كل منكم بما عنده " ( ٣ ) .

وحين حاول الملك رتشارد قلب الأسد مفاوضة صلاح الدين رد عليه بقوله : القدس لنا ، وهو عندنا أعظم مما هو عندكم ، فلا يتصور أن ننزل عليه ولا نقدر على التلطف بذلك بين المسلمين ، وأما البلاد فهي أيضا لنا في الأصل ، واستيلاؤكم كان طارئا عليها لضعف ما كان بها من المسلمين في ذلك الوقت " ( ٤ ) .

- ( ١ ) الروضتين ٩٨ / ٢
- ( ٢ ) الروضتين ١٠٠ / ٢ وأنظر أيضا ٨٩ / ٢ أو صبح الاعشى ٥١٢ / ٦ ( ٣ ) الروضتين ١٤٦ / ٢
- ( ٤ ) ابن شداد / النوادر السلطانية ١٩٤ ، وأنظر ديوان ابن مطروح ١٨٢ ومحمد زغلول سلام / ضياء الدين بن الاثير ٨٠ ، الغريدة / الشام ١٥٨ / ١

وهكذا نجد حرص الأديباء والقادة على إظهار الصدق بهذا المنهج تاريخي الصراع معه ، وحتى قضي عليه نهائياً ، وأخرج من ديار الإسلام .

\* \* \*

وقد حاول الفرنج نيل الاعتراف بهم من المسلمين ، باللين تارة ، وبالشدّة تارة أخرى ، وعن طريق المفاوضات أو المهادنات ، ولكن ذلك كله لم ينته الى ما يريدون ، ويظهر ذلك من ردّ صلاح الدين الأتقي الذكر ، ولذا فقد لجأوا الى القوة ، وهددوه كما روى الحجاج ما ضمنه " وأن أبيهم غير النجيرة والإباء ، ودمت على إرهاب الدهماء وأهواق الدماء ، جاء من وراء السببة البحار من يسد فضاء المسبح الناباق ، وأفاق للتناصر على دفع هذا الغضب نصارى الآفاق ، وثار الروم لرقم الثأر ، وخرج الفرنج أنقاراً للاستفار (١) ولكنه لم يكثر لهذا التهديد ، ورد عليهم بالعزم الذي لا يعرفون سواه ، فقال للترخان " أمرنا الله بتمهيد الأرض ، ونحن قائلون في طاعتها بالفرض ، وعلينا الاجتهاد قسسي الجهاد ، وأمثال أمره فيه بالانقياد ، وهو الذي يقدرنا على فتح البلاد ، ولا تكثرت الآماد بكثرة النقاد \* (١) .

وقد لجأوا الى السديمة وصرف الناس عن العرب ، وذلك بالمراسلات المتكررة من أجل الصلح لتستمرى نفوس المسلمين الراحة ، وتكره القتال ، فأرسل ملك الانجليز عدة رسائل يدالب في بعضها من السلطان الكف عن القتال ، وأنه لا يجوز أن يهلك المسلمين في القتال ، كما لا يجوز له أن يهلك الفرنج ، ثم تودد اليه بأن يتنازل السلطان عن القدس والساحل وعسقلان (٢) ، فرفض السلطان ، فأعيد الكرة ثانية بطريقة جديدة ، إذ طلب من السلطان أن يزوجه أخاه العادل بأخته ، ثم يتنازل كل منهما للزوجين عن الساحل والقدس ، وطالمت السفارات ، ولم تسفر عن شيء ، ومع ذلك بقي السلطان وجنده مهيبين للقتال (٣) ، ولما شعر بالحاج ملك الانجليز ، وقدر غجر الحسكسر الإسلامي من ملازمة القتال عدة سنوات قبلي المهادنة ، لأنه خشى أن يستمر الضمير الفرنجي في حين أزداد الضجر في الجيوش الإسلامي ، فتكون الهاتقوشميسنة .

(١) الزنج القسي ٢٤٠

(٢) النقاد جنس من النظم لصغيرة الأرجل

(٣) النوادر السلطانية ٢١٩ - ٢١١ وللمراسلات أنظر ابن شداد / النوادر ٢٠١ - ٢٠٣

٢١٨ - ٢٢٠ ، ٢٢٢ - ٢٣٠

(٣) الروضتين ١٠١ / ٢ ، ٢٠٣



وهذا ما يؤكده ابن شداد حين قال : " إن الصلح لم يكن من إشارته " (١) ، وكأنه  
أحري بأن الهدنة بالرغم عن مدتها القصيرة تشكل خطرا على القضية ، فيصارع ابن شداد  
بقوله : " أخاف أن يصلح ، وما أدري أي شيء يكون طويلا فيقوى هذا الصدو ، وقد  
بقي لهذه البلاد ، فيخرجوا لاستعادة بقية بلادهم ، وترى كل واحد من هؤلاء  
الجماعة " المسلمين " قد قعد في رأس ثلة ، وقال لا أنزل ، ويهلك المسلمون " (١)

وإن الناظر في بنود الصلح يدرك أنه كان لصالح المسلمين ، لأن سأم الجند  
الاسلامي بلغ حدا كاد يصل الى حد التمرد على أوامر صلاح الدين ، فكان هذا الصلح  
تجديدا لنشاطهم ، ومن ناحية أخرى فإن خوف صلاح الدين من المستقبل قد تحقق  
فعلا ، إذ توفي بعد الصلح بفترة تقل عن السنة ، ولو أنه مات والقتال مستمر لتحققست  
مخاوفه من أن يكتسح الصدو البلاد وقادة المسلمين متفرقون ، كل في البلد الذي يعكمه ،  
وهذا ما عبر عنه ابن شداد في تحقيقه على قول صلاح الدين بقوله : " وكان كما قال " (١)  
ثم إن مدة الصلح تشحير بأن الحرب مستمرة ، إذ قد تجدد القتال سنة ٥٩٣ هـ أي بعد  
انتهاء الصلح بستين (٢) .

ولو سرننا مع التاريخ الى مصر ببيروت وقاذوون لوجدنا الهدنة في صالح المسلمين  
بشكل واضح ، إذ كان من شروطها مقاسمة الفرنج في انتاج الأرض ، ومنهم من استتبع  
الامدادات كما منحهم من تعمير الأسوار والقلاع ، وهذا يدل على أن الهدنة لم  
يصاحبها شعور بأنها حالة الحرب ، وقد ساعد هذا العامل النفسي المسلمين على  
استرجاع الاراضي المحتلة (٣) .

والدارس لتاريخ هذه الفترة وأدبها يجد فيها تركيزا على غرس الكره في نفوس  
المسلمين ضد الفرنج ، لأنهم محتلون ، وقد أفلح هذا الكره في تصميم المسلمين على تحرير  
الأرض ، ومن الأدلة التي تثبت شعور المسلمين الدائم بالكره للمحتلين ما سبقت الإشارة  
اليه عند الكلام من تعريض المسلمين بعدهم ، وما ورد في النثر من دعاة بتدمير المسدن  
التي يسكنونها واستنزاف اللعنة والنذلان عليهم (٤) .

- (١) النوادر السلطانية ٢٣٥
- (٢) الذيل على الروضتين ١٠
- (٣) صبح الاعشى ٣٣/١٤ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥١ ، ٥١ ، ٦٠
- (٤) انظر الاعتبار : ١٠ ، ١٧ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٩١ ، ٩٤ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٦٢
- ابن شداد ٢٩ ، ٣٣ ، ٦٣ ، ٧٥ ، ٩٨ ، الكامل ١٠/٣١٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥
- ٣٧٣ ، ٣٩٤ ، ١٠٦/١١ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ٤٥٣ ، ٦٦/١٢ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٧٨
- ١٢٦ ، رحلة ابن جبير ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، الروضتين ١٧٣/٢ ، الخ

وقد أبرز الأدياء هذا السمع بداريقة قوية مؤثرة حين رجاوا بين كراحتهم للخرقة ، وكسره الله لهم ، ورفض البلاد المحتلة لوجودهم ، يقول القاضي الفاضل في وصف فتوح صلاح الدين : " وقد أثار الله بالعدو الذي تشذات قلبه شفقة ، وطارت فرقه فرقا ، وكل سيفه فصار صلا ، وصعدت حصاته وكان الأكثر عددا وعصا ، فكلفت حملاته ، وكانت قدرة الله تصرف فيه العنان بالعيان ، عقوبة من الله ليعزل صاحبها يد بها يدان ، وعثرت قدمه وكانت الأرض لها حلينة ، وغنت عينه وكانت عيون السيوف دونها كسيفة ، " ( ١ ) .

أما بالنسبة إلى الأرض فقد صورها الأدياء تتلطم تحت الأعداء ، بل صوروها

تلتظلمهم وتذسهم ، يقول ابن خلدون في فتح قامة :

فاليوم أصبحت تستدم جبرها  
ويقول أحد الشعراء على لسان المسجد الأقصى شاكيا الدائم الذي يحيى فيه :

يا أيها الملائكة المندى	لماذا لم تخلصن
جاءت الهك ظلامنة	تسمى من البيت المقدس
كل المساجد طهت	وأنا على شرفي منجس ( ٢ )

وقد صور الشعراء العوامل الطبيعية وكأنها تعمل على استئصال الترنج ، يقول العطار في وصف زلزلة :

سماوة زلزلت بسكانها الأرض	ض وهدت قواعد الأطوار
أخذتهم بالعق رجفة يسا	تركبتهم صرع صروف المسواد
آية أثرت ذوي الشرك بالهلم	ك وأهل الأيمان بالارشاد ( ٤ )

( ١ ) صحیح الاعشى ٤٩٩/٦

( ٢ ) الروضتين ٦٣/١

( ٣ ) الانس الجليل ٣١٨ ، وزبدة كشف الممالك لابن شاهين الداهري ٢٠

( ٤ ) الخريدة بدياة قسم الشام وشعراء دمشق ص ٤٩

في حين حرص الأدب على تقديم الصورة المقلبة لهذه الصورة ، فصوروا الأرض تطيح  
القادة المسلمين وتلقي بأيديهم حصون الأعداء ، يقول ابن القيسراني في مدح نور الدين  
حين تمكن من قتل أمير أندلس :

وأقت بأيديها إليك حصونك  
ويتول شهاب الدين محمود مخاطباً الأشراف :

نسر حيث ما تختار فالأرض كلها  
والحل الذي طارحه الأدياء دائماً لتحقيق النصر هو الوحدة الحقيقية ؛ حين البلاد  
الإسلامية ، والجهاد المستمر ، وقد أسهمت الحرب لنفسها في إيجاد الوحدة وتنويع  
عزائم الجاهدين ، يقول ابن القيسراني مخاطباً نور الدين حين حاول أن يوحد أمارة  
دمشق مع البلاد التي كان يحكمها :

إذا ما دمشق ملكتك عنانها  
تبتن من في إيليا أنه الذبيح (٣)  
وفي هذا البيت إشارة واضحة إلى أن اتحاد الأقطار الإسلامية يثني عليها القضاء على التفرج  
الذين كانوا يحتلون القدس ، ويقول الصادق في مدح أسد الدين شيركوه وصلاح  
الدين !

غداً يشبان في الكفار ناراً وغسباً  
بلشعها يصح الشبان كالشيب  
بملك مصر ونصر المؤمنين غداً  
تحطى النفوس بيتانيس وتايب (٤)

(١) الروضتين ١٨٦/١/١ ، المغريدة قسم الشام ١٥٨/١

(٢) البداية والنهاية ٣٢٩/١٣

\* صحح الأعشى ٣٥٤/٧ ، ٥١٨/٦ ، الروضتين ٨٩/٢ ، ١٠٠ ، ديوان ابن  
مطروح ١٨٢ ، ديوان بهاء الدين زهير ١٢١ ، النجوم الزاهرة ٢٢٠/٧

ضياء الدين بن الاثير ٨١

(٣) الروضتين ١٨٠/١/١

(٤) الروضتين ٣٦٩/٢/١

ويقول في مدح أسد الدين شيركوه حين وزر في مصر :

فتحت مصر وأرجو أن تصير بهنسا      ميسرا فتح بيت القدس عن كذب (١)

حمد أن ضم صلاح الدين حلب والموصل قال العماد مهنثا إياه :

فكأنني بالساعل الأقصى وقسد      ساعت ببيع دم الفرنجة ساحسه

فأعجز إلى القوم الفرات ليشربوا دم      الموت الإجاج فقد طما طماحه (٢) \*

وهكذا انتهى الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي بعد جهود ضئيلة تواءمسة  
دامت قرابتين من الزمن ، وقد شارك في هذه الجهود المقاتل بسلاحه ، والشاعر بشعره  
والكاتب بنثره ، فكان الأدب في المعركة طيلة امتدادها يستخدم عن وشي ومصرف لا حراز  
النصر ، ويترك أثره في نفوس تهتز للكلمة البليغة ، وتتوق المذكر العسن ، وتخشى أن يقال  
فيها ما يمسوه .

(١) الروضتين ٤٠٣/٢/١

(٢) مفرج الكروب ٤١/٢

\* لزيد من الأمثلة على أثر الوحدة أنثر ديوان ابن الساعاتي ٣٨٢/٢ ، ديوان

طلالغ ١٢٦ ، ديوان أسامة ٢١٧ ، الروضتين ٤٩/١ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٢٠٧ ،

٢٥٧ ، ٦/٢ ، ١٣ ، ١٧٠ ، تاريخ ابن الزيات ١١٠/٨ ، تاريخ ابن الصديم

٢٠/٢ - ٢٥ ، الكامل ٣١٨/١١ ، مؤنوند ، تاريخ العروب المقدسة ١٨١/١

أحمد بيلي المصري حياة صلاح الدين ، مائة السعادة سنة ١٩٢٦ ص ٦٨ ،

لزيد من الأمثلة على الاستشصال ، أنثر ديوان الشانوري ٥٣ ، ابن النبيسه ٦٦ ،

ابن سناء الملك ٢٨٣ ، ٧٥٨ ، ابن الساعاتي ١٧٢/١ ، ديوان طلالغ ١٠٣ ،

١٤٦ ، ١٧٢ ، ديوان البوصيري ٨٨ ، ديوان شرف الدين الأنصاري ٢٠٥

٤٠١ ، ديوان ظافر الحداد ٢٥٤ ، وأنثر الروضتين ١٥٦/١ ، ٣٩٦/٢/١

١١٦/٢ ، ١٠٦ ، ١٠٦ ، ١١٦ ، ١٥٠ ، ١٩٤ ، ١٩٤/١/١ ، ٢١٦ ،

جواهر السلوك ٤٩ ، ١٥١/٥١ ، ٤٣ ، نهاية الأرب ١٩٢/٥ ، ١٤/٨ ، صبح

الأعشى ١٨/٥١٨ ، ٢٥٠/٨ ، ١٤٦/١٠ ، مفرج الكروب ٢٢٢

## القسم الرابع : الخطر الصليبي :

شكل الصليبيون بنزولهم المشرق الاسلامي خطارا على البلاد الاسلامية وأهلها ومعتقداتها ، وقد أظهر الأدباء هذا الخطر ونتائجه القريبة والبعيدة ، ليكون ذلك استنهاضا للهمم من أجل الوقوف في وجه الخطر أولا ، ثم القضاء عليه في النهاية .

وقد تابع الأدب في مجالتي الشعر والنثر الاحداث الكبار التي شهدتها المشرق الإسلامي إبان الوجود الصليبي فيه وأحسن الادباء العرب تصوير هذا الخطر وعرضه ، فلم يقدموه الى الناس بصورة تدعو الى تجاهله وعدم التفكير فيه ، وهذا يفسر تركيزهم على إظهار الخطر في مناسبات النصر أو الدخ أو قبيل المعركة ، حين تكون همم المقاتلين عالية ، وأن يتحفزوا للمقاتلة باعتبار المسبيل الوحيد لدفع الخطر عن الأمة والبلاد .

ولم يجد الباحث في أدب هذه الفترة على طولها سوى موقف واحد ظهر فيه اليأس وعدم الاكتراث ، وذلك حين قام الفرنج بالمهجوم على دمياط سنة ٦١٥ وأعلن الملك الكامل النفير العام ، في القاهرة ومصر ، وبين مغادر المنزلة الصليبي لمصر ، وأن ملك الفرنج قد أقطع مصر لأصحابه فقال أحدهم :

يهددونا بأهل عكسنا      أن يملكونا وأهل يافسنا  
ومن لنا أن يلاوا علينا      فالروم خير من الريافا (١) \*

ويلاحظ أن سبب هذه الدعوة اليائسة هو عدم إظهار الخطر الصليبي إذ ذاك بالحكمة التي أظهرها الادب طيلة الحروب الصليبية ، مما نشأ عنه نتائج سيئة ، فقد أظهر الافرنج بصورة لاقوياء القادرين على الاستيلاء على مصر دون شك ، مما أوجع عزائم الناس

(١) السلوك ج ١ ق ٢٠٦/١

\* في البيت الأول الاصل : يهددوننا حذف النون غائفا لقواعد اللسان ، وفي البيت الثاني الريافا : أهل الريف .

وَأَدْخَلَ فِي قَلْبِهِمُ الرَّعْبَ ، وَلَوْ قَابَلْنَا هَذِهِ الصُّورَةَ مِنْ صَوْرَةِ حِصَارِ عَمَلِكَا سَنَةَ ٥٨٦ لَوَجَدْنَا أَنْ قُوَّاتِ الْفَرَنْجِ كَانَتْ تَزِيدُ أَوْ تَقَارِبُ أَعْدَادُ الْفَرَنْجِ الَّذِينَ حَاصَرُوا دِمِشْقَ ، وَلَكِنْ طَرِيقَةُ إِظْهَارِ الْخَطَرِ اخْتَلَفَتْ ، نَحْنُ حِصَارُ عَمَلِكَا أَرْتَبَدُ النَّارِ بِاسْتِثَارَةِ عَزِيمَةِ الْمُسْلِمِينَ ، بِالرَّضْمِ عَنْ كَثْرَةِ الْفَرَنْجِ وَالْمُحَاصِرِمْ لِاقْتِحَامِ عَمَلِكَا ، يَقُولُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ مِنْ كِتَابِ السِّيفِ الْإِسْلَامِيِّ أَخِي صَالِحِ الدِّينِ فِي الْيَمَنِ : " ٥٥٥ . فَالْبِدَارُ الْبِدَارُ ، فَإِنَّ لَمْ يَكُنِ الشَّامُ لَهُ بِدَارٌ فَصَالِحُ الْيَمَنِ لَهُ بِدَارٌ ، وَالْبَيْئَةُ الْبَيْئَةُ ، فَانْهَذَا لَا تُتَارَى إِلَّا بِإِيقَادِ الْعَرَبِ عَلَى أَهْلِ النَّسَارِ ، وَالْهَيْئَةُ الْهَيْئَةُ فَإِنَّ الْبِعَارَ لَا تَلْقَى إِلَّا بِالْبِحَارِ ، وَالطُّوْكَ الْكِبَارُ لَا يَبْقَى فِي وَجْهِهَا إِلَّا الطُّوْكَ الْكِبَارُ ٥٥٥ " (١) . هَذَا وَيُمْكِنُ تَقْسِيمَ صَوْرَةِ الْخَطَرِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءَ :

- أ . الْخَطَرُ عَلَى الْأَرْضِ الْإِسْلَامِيَّةِ
- ب . الْخَطَرُ عَلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ
- ج . الْخَطَرُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْتِراثِ الْإِسْلَامِيِّ

\* \* \*

### الخطر على الأرض الإسلامية :

أقام الصليبيون إماراتهم على حساب البلاد الإسلامية ، فكانت الإمارات الأربع ، وأولها الرها ، وهي في الجزيرة الفراتية ، أي في عمق البلاد الإسلامية ، مما جعل لها أثرا كبيرا في إعاقة الوحدة الإسلامية ، وتهديد العراق والشام معا ، وأما الإمارات الثلاث الأخرى فقد كانت ممتدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط من شماله إلى جنوبه متوقفة توفلا عميقا في بعض المناطق الإسلامية ، حتى أصبح بوسطنها تهديد حلب ودمشق ومصر غير مرة .

وقد بسين الأدباء في مجال الحديث عن خطر الفرنج على الأرض الإسلامية نوعين من البلاد : تلك التي تعرضت للغزو وأثر الغزو عليها وتلى ما وراءها ، وتلك التي لم تتعرض للغزو ، ولكنها كانت مهددة به إن لم يقف المسلمون جميعا لهده .

وأما عن البلاد التي تعرضت للشزو ، فيمكن تحديد بلاد الشام والجزيرة ومصر ، وقد أوضح الأدب خطورة الفرنج عليها عامة ، وعلى بعض البلدان المهمة خاصة ، كالقدس ودمياط والرها ، فهذا ابن الأثير يصف خراب الفرنج الذين في مناقرة الرها فيقول : " وكانت سراياهم تبلغ ديار بكر إلى آمد ، فلم يبقوا على موحد ولا جاعد ، ومن ديار الجزيرة إلى نصيبين ورأس الصين ، فاستأصلوا ما لأهلها من أثار وعين ، وأما الرقة وحران فقد كان أهلها منسهبين ذل وحنان ، واستنصاف واقتصار ، كل يوم قد أذقوهم الهوار . . . وانقطعت الدارق إلى دمشق إلا على الرحبة والبر ، فكان التجار والسافرون يلقون من المخاوف وركوب العفازة تعباً ومشقة ونصباً ، ثم زاد الأمر وعظم الشر ، حتى جعلوا على كل بلد جاورهم غراباً واناؤه ، ثم لم يقتصروا بذلك حتى أرسلوا إلى دمشق واستعرضوا الرقيق من أخذ من الروم والأرمن ، وسائر بلاد النصرانية ، وغيرهم من المقام عند أربابهم والعود إلى أوطانهم ، فمن اختار المقام تركوه ، ومن أثار العود إلى أهله أخذوه ، . . . وناهيك بهذه الحال ذلة للمسلمين وأما أهل حلب فإنهم أخذوا مناقفة أعمالهم حتى الرهي التي على باب الجنان ، ومنهم من وسين المدينة عشرون خدوة ، وأما باقي بلاد الشام فكان حالها أشد من هذيين البلدين " (١) .

ويبين طلائع بن رزيق في رسالة بعثها إلى أسامة بن مثنى حمرته لخلو القدس من أهلها فيقول :

لهدف نفسي على ديار من السكسا (م) ن أقوت فليس فيها عريب (٢) ولم تقف الخطورة عند هذا الحد ، بل وصل الأمر بالفرنج أن غيروا معالم المدينة ، فبنوا على الصخرة كنيسة ومدبحاً وجعلوا فيها الصور والتماثيل (٣) ، ولذلك صور العماد القدس مائة طيبة حين خلعها صلاح الدين من هذه العنارة يقول :  
الآن شاب إلى البيت المقدس كال  
بيت المحرم إحرام ومعتصر (٣)

(١) الباهر ٣٤ ، وانظر ابن قاضي شهبة : الدر الثمين في سيرة نور الدين ورقة ٦١

(٢) ديوان طلائع بن رزيق ٦٣

(٣) الأئمن الجليل ٢٣٩/١

ويؤيد كذا ابن الساعاتي قول العماد ، لأن صيانة القدمين تعني صيانة الحجج  
ثم يبين عمل المحظم عيسى بن العادل في حماية القدمين وأعلمها من خطر الفرنج فيقول :

حصى القدمين من زرق الأعادي بسمرها  
شكا أهلها دائي محول وخيفسة  
سقى ربيها ماء النجيج سيوفسسه  
فلم يبق في ساحاتها غير مسلسلسم  
وما صانها دارا تحل وأختهمسا  
فما تجد الخطي إلا تحطما  
فأجرى على أطرافها الماء والدما  
ففي غيرها لا يستجيز التيمسا  
ولولا له لمهيق الفرنجة مسلمسا  
ولكنه صان العظيم وزمما (١)

واهتم الإدياء كذلك بدمياد ، وركزوا على أهميتها من جميع النواحي (٢) ، فهي  
مفتاح مصر ، وقد احتلها الفرنج عدت مرات للعبور منها إلى داخل مصر ، ولكنهم كانوا  
يفشلون في النهاية ، وفي حصار الترمذ لها سنة ٦١٥ كتب الأمير جمال الدين الكثاني إلى  
الكاظم رسالة شعرية ، وراها إليه في ثياب ، وقد جاء في تلك الرسالة :

هذا كتاب موضح من حالسستي  
أشكو اليك عدو سوء أجدتسست  
فالهر قد فطعت إليه داريقسسه  
فخضوعه بباد على أبراجسسه  
ولو استطلاع لأم بابك لا تسسندا  
ورسوله في أن تجيب دعسساءه  
فقد انتهت أدواؤه وتحكمست  
ما ليس يمكنني لديك أقولسسه  
بجميعه فرسانه وخيولسسه  
والبحر عز لنصره أسطولسسه  
وخنيته وسكاؤه وعويلسسه  
لكنه سدت عليه سبيلسسه  
دين الآله وخلقه ورسولسسه  
عارته ونجسا عليه دعولسسه (٣)

ولكنه مع هذه الحالة الحزينة لم ينقطع أمله ولا رجاؤه بل هو يستثير همه الكامل  
لتحقيق رجاؤه البلد الحزين فيقول :

بقي له رمق يسير يرتجسسى  
فاحرس حماك بحزممتسفي بهسسا  
فالله أعطاك الكثير بفلسسه  
فالعذر في نصر الآله ودينسسه  
والشكر ناظره إليه محمسددق  
أو يشتن لما دفاك عليلسسه  
داء لمثلك يرتجوى تسليلسسه  
ورجاؤه من هذا الكثير قليلسسه  
ما ساء عند المسلمين قبولسسه  
ما إن يمل من الدموع حموله (٤)

- (١) ديوان ابن الساعاتي ١٧٨/١  
(٢) انظر ابن دقاق ، الانتصار لؤاساة عند الأصار ج ٢ ص ٨٠ و ٧٨ عن تقي  
(٣) السلوك لمعرفة دول الملوك ١٩٩/١/١  
(٤) المصدر السابق ١٩٩/١/١



وحين جاءت الامدادات من الأشرف موسى والمعظم عيسى ، انتصرت القوى الإسلامية  
الموحدة على الفرنج ، فقال ابن دنيير مخاطباً الأشرف موسى وبينما خطورة وجود الفرنج  
على عقيدة أهل دمياط :

وخريدة الاسلام أنت أعدتھما  
من بعد طول تشرد وندود (١)

ومع أن الخطورة كانت بصورة خاصة على بعض المدن المهمة ، إلا إنها كانت تعني أن البلاد  
كلها كانت مهددة بالخطر ، وقد بين الشعراء بالفصل خطورة الفرنج على جميع أرض  
مصر والشام ، فيقول المعاد مثلاً في تعاون شاور مع الفرنج مبيها خطورة هذا المصل على  
مصر بلد الاسلام :

هو الذي أذلج الافرنج في بلد الا (٢) سلاحتي سبوا للتصد والتالب (٢)

ولما تكررت هجمات الفرنج لاحتلال مصر ، والمسلمون في حالة لا تعينهم على التصدي  
للفرنج تنضح الشاعر عمارة اليميني لله أن يحفظ مصر من المصير السيئ ، والفتن التي تتوهج  
كالجمر فقال :

يا رب اني أرى مصرا قد انتھمت  
فاجعل بھما ملة الاسلام باقيسة  
لھما عيون اللھالي بعد رقدتھما  
وأعرس عقود الھدی من حل عدتھما  
من فتنة يتلظى بحر وقرتھما (٣)

ويقول وحيث الأسدي مبيها خطورة الفرنج على الشام لولا صلاح الدين :

والشام لو لم يدارك أهله اندرست  
أثاره وغت آياته حقبسا (٤)

ويقول ابن عبد الظاهر في مدح تاورون بعد انتصاره في معركة حصن سنة ٦٨١ :

هذا المقام الذي لو لم تحل بھ  
لم يبق واللھ لا شام ولا مصر (٥)

وقد وفق الأدباء في ربط هذه البلاد التي تعرضت للخطر الصليبي بالهستناد  
الإسلامية البعيدة لانتاع البعيدين عن أرض المعركة بأن وقوع بلد من بلاد الاسلام في  
أيدي الأعداء يعني وجوب الجهاد على كل فرد وان ابتمد وطنه ، وإلا فإن تلك البلاد  
البعيدة معرضة للمصير نفسه ، ولذا حرص الأدب على ربط البلاد المعرضة للخطر بالبلاد  
الأخرى ، وهذا يدل على بعد نظر وعمق تفكير ، كان من أهم آثاره انجاح المصل من  
أجل الوحدة والجهاد لدارد الشزاة .

(١) ديوان ابن دنيير ٢٠

(٢) عقد الجمان ٤٢٣/٢/١٢

(٣) خريدة القصر : قسم الشام ١٤٠/٣ والنكت المصرية ١٩٠

(٤) الخريدة / قسم الشام ٦٤٣/١ وانظر مثلاً آخر في عقد الجمان ٤٢٣/٢/١٢

(٥) عقد الجمان ٤/٢٠ ورقة ٦٧٧

وأول ما يلاحظه المرء في هذا الصدد ربط البلاد المغزوة بالأماكن الدينية في مكة والمدينة المنورة ، وقد كان هذا الارتباط ماثلاً في تنكير نور الدين محمود ، حتى تمثلت له رؤيا في نومه أكثر من مرة واحدة ، فقد روى ابن قاضي شهبية ، أن نور الدين رأى النبي صلى الله عليه وسلم سنة ٥٥٧ يقول له : " يا محمود أنتذني من شذيين الشخصين ، يشير إلى رجلين تجاهده ، وقد تكررت هذه الرؤيا ثلاث مرات في ليلة واحدة " (١) .

وبعد سنة ٥٥٧ بمحشرين عاماً جمع الفرنج غيلهم ورجلهم وتصدوا تيماء السبي يقول فيها العماد : " وهي دهليز المدينة " (٢) ثم قام أرنط في السنة التالية بتجهيز جيش بري وبحري لغزو العجاز وأيلة من الكرك ، يقول القاضي الفاضل : " وكان للفرنج مقصدان : أحدهما قلعة أيلة التي هي على فوهة بحر العجاز ومدخله ، والآخر : الخوض في هذا البحر الذي تجاوزه بلادهم من ساحله " (٣) . وقد نجحوا في الوصول إلى أعماق الجزيرة ، ولكن صلاح الدين علم بذلك فأرسل إلى أخيه العادل بتحريرك الأسطول المصري بقيادة حسام الدين لؤلؤ ، وتكمن منهم وهم على بعد ليلة من المدينة فقتل من قتل وساق الأسرى إلى القاهرة ، فكتب صلاح الدين إلى العادل " بضرب رقابهم ، وقطع أسبابهم بحيث لا يبقى منهم عين تارف ولا أحد يخبر طريق ذلك البحر أو يحرف " (٤) .

ومن المواقع التي اتخذها الفرنج لتهديد الأراضي المقدسة في العجاز حصن الكرك ، وقد سبق الحديث عنه ، وأما خطورته فقد تحدث عنها القاضي الفاضل بقوله : " وجلس ( حصن الكرك ) من هام الإسلام مكان عمامته ، وجثم على أنفاس العجماز ، فلهديح نفساً يصعد من تهاوته " (٥) ، ويتولى عن قلعة الكرك : " وكانت على الإسلام آية مضرة ، بل كانت لكعبة الله ( زادها الله شرفاً ) أيقظة " (٦) .

ومن هنا نجد إشارة الأدباء إلى اطمئنان البيت الحرام بعد امتلاك الصليبيين للكرك ، أو حتى حين يهزمون الفرنج هزيمة تقضي أجنحتهم وتقل شوكتهم ، يقول العماد : " واختار الكفر في أسلحه إلى الإسلام ، وتجم بهحل هذا البيت ( حصن الكرك ) أمن البيت الحرام " (٧) .

- 
- (١) ابن قاضي شهبية ، الدر الثمين في سيرة نور الدين ٤٨ - ٤٩
  - (٢) الروشتين ٢٣/٢
  - (٣) المصدر السابق ٣٧/٢
  - (٤) المصدر السابق ٣٦/٢
  - (٥) ابن نباتة المصري ، الناضل من كلام القاضي الفاضل ورقة ٢٥
  - (٦) المصدر السابق ورقة ١٠١
  - (٧) التتج القسي ٢٢٦

ويقول أيضا في انتصارات صلاح الدين :

ونام من لم يزل حلقا له المسهر  
بيت المحرم إحرار ومختصر (١)

الآن قرت جنوب في مضاجعها  
الآن ثاب إلى البيت المقدس كال

ويقول أبو الحسن الذروي في حسام الدين لؤلؤ :

وذدت عن أحمد والكعبة (٢)

كفيت أهل الحرمين السدا

وحيث جاء ملك الانجليز ، أراد اعتزال القدس ، فقام صلاح الدين بتحصينها وتسميم الآبار التي في طريقها ، فعاد الفرنج عنها ، ولجأ ملكهم إلى المفاوضات والسح على صلاح الدين ، حتى عقد صلح الرملة سنة ٥٨٨ هـ ، ويقول ابن الساعاتي حينما خطورة الفرنج على البلاد المقدسة :

ولسال سولُ نداء في بطحاءه  
لترنم الناقوس في أنفائه (٣)

لولاك أم البيت غير مدافع  
ومكت جفون القدس ثانية دمسما

ولئن كان للحجاز من القيمة الدينية ما جعل الأدياء يصورون خطر الفرنج عليها ، فان الأدب أبرز خطورة الفرنج على العالم الإسلامي كله ، فقد بحث الملك المظفر عمسى كتابا حثفه بيتين من الشعر إلى الخليفة العباسي يطلب منه التدخل الفعلي في المعركة ضد الفرنج ، وبين له خطأ الظن بأن أرض بغداد بعيدة عن ميدان المعركة ، فإن انتفاح الطريق من الشام يعني سقوط بغداد أو تهديد دمشق ، والبيتان اللذان  
عبد المحسن الكاتب الحلبي وهما :

لها على الكفر ابراق وأرعساد  
لا تغفلن ، فأرض الطور يشداد (٤) x

قل للخليفة لا زالت عزائضه  
إن الفرنج بحصن الطور قد نزلوا

وقد تشبه ابن منير إلى خطورة الفرنج على البلاد الإسلامية قبل ذلك بكثير ففي سنة ٥٤٧ هـ افتتح نور الدين حصن انطرسوس ، فأشده ابن منير قصيدة بحلب منها :

وأصبح لا عراق ولا شام (٥)

ولو لم تشرق وتشم لأمسسى

(١) عقد الجمان ١٧/١/١٨٠

(٢) الروضتين ٣٦/٢

(٣) تاريخ ابن الفرات ج ٤ ص ٨٦/٢

(٤) نهاية الارب ج ٢٧ ورقة ٢٢ والذيل على الروضتين ١٠٣

\* في نهاية الارب :

إن الفرنج بأرض القدس قد نزلت  
لا تغفلن ، فأرض القدس يشداد

وهو غير متفق مع الأحداث التاريخية إذ ان القدس سنة ٦١٤ لم تكن قد أعطيت للفرنج

\*\* في الاصل تعترف ، ولا معنى لها هنا ، فالمقصود الدخول في العراق والدخول في الشام

(٥) الروضتين ١/١/٢٢٠ وانظر ج ١ ص ٩٣ - ٩٤ مط دار الجيل

كما تنبّه الى ذلك عمارة اليمضي سنة ٥٦٤ ان يجعل حكم صلاح الدين لمصر تأميناً  
لقبر الرسول عليه الصلاة والسلام من خطر الفرنج \* يقول :

بكم آمن الرحمن أعظم يمشرب  
ولم يرجعت مصر الى الكفر لاندوى  
وأمن أركان التثية والحجر  
بساط الهدى من ساحة البر والبحر  
فدا لقلها يشتق من شدّ اللازر (١)

وقد ربط الشعر البلاد الاسلامية بعضها ببعض \* لتقف في وجه الخطر الصليبي  
فهذا العماد يجعل حماية مصر حماية لبلاد الاسلام \* فيقول في مدح أسد الديين  
شيركوه سنة ٥٦٣ :

صلاح الاسلام أنقذتها من  
ت من الشرك أيما أنقذها (٢)

ويقول البهاء زهير في مدح الملك الكامل محمد بعد أن طرد شو وأغواه الفرنج من  
دمياط سنة ٦١٥ :

ولو لم يقم بالله حق قيامه  
وأقسم لولا همة كالميتة  
فمن مبلغ هذا الهناء لمكتبة  
فقل لرسول الله إن سميت  
لما سلمت دار السلام من الفجر  
لثافت رجال بالتمام والحجر  
ويشرب تنهيم الى صاحب القبر  
حصى بيضا لاسلام من نوب الدهر (٣) \*

\* \* \*

ثانياً : الخطر على المسلمين :

أظهر الادباء الخطر الصليبي على المسلمين أفراداً وجماعات كما سبق أن بينا \*  
وفي هذا الباب نبين مظاهر أخرى للخطر تحدث عنها الادباء \* أما الخطر على الافراد  
فقد صورته عرقلة الكلبى أصدق تصوير \* وبيان ذلك أن صلاح الدين كان قد وعده بالسف  
دينار إن ملك مصر \* فلما ملكها كتب اليه تصديتين يطالبه بتحقيق وعده بارسال الدنانير  
والا فانه لن يستطيع الذهاب الى مصر \* لأن الفرنج في طريقه كالسياح المانع السذي  
يلاقى من يجتازه الموت أو الاسر \* يقول في الاولى :

(١) الروضتين ٤١٢/٢/١

(٢) المصدر السابق ٢٨٤/٢/١

(٣) ديوان البهاء زهير ١٢١ ومفرد الكرب ١٠٣/٤

\* للزيد من الأمثلة أنظر : الروضتين ١٤٥/٢ \* ١٤٦ \* ١٦٦ \* ٢١٦ \* غريدة  
القصر وجريدة مصر / قسم شعراء مصر ٢٩/١ \* زبدة الحلب ٩٦/٢ \* ١٥٠٦-١٥١٠  
تاريخ ابن الوردي ٥٥/٢

يا ألف مولاي أين الألف دينار  
وما تقي جنة الفردوس بالنار (١)

قل للصالح معينني عند إعصاري  
أخشى من الأشر إن حاولت أرضكم

ويقول في الثانية :

زمانا على البحر الكريه يجور  
بها في يدي قبل الممات تصير  
سياج ، قتيل دونه وأسير (٢)

إليك صلاح الدين مولاي اشتكسي  
ترى أبصر الألف التي كنت وأعدى  
وهيها والإفرنج بعيني وينكس

ويصف سبط بن الجوزي حالة الذعر التي نشرها الفرنج ، وما نتج عنه تقطع  
المواصلات بين المدن الاسلامية ، يقول : " وجئنا الى عتبة أفيق ، والطير لا تقدر أن  
تطير من خوف الفرنج " (٣) ، وقد ظهر هذا الخطر العام على المسلمين منذ أن وطئ  
الصدو الفرنجي أرضهم ، إذ احتل البلاد وشتت العباد ، وأشاع الفساد ، وأهلك الحرث  
والنسل ، وقتل الفتيات والأطفال ، دون أن يرضى حرمة أو يحفظ عهدا ، يقول ابن الخياط :

ولا يعترفون مع الجور قصدا  
ولا يتركون من الفتك جهدا  
تدق من الخوف نحرا وشددا (٤)

بنو الشرك لا ينكرون الفساد  
ولا يردعون عن القتل نفسا  
فكم من فتاة بهم أصبحت

وقد نتج عن هذا الإهلاك والتشتيت أن عاش الناس في ظروف قاسية ، كانت سببا في  
تحرك نور الدين لانقاذ دمشق ، ولكن صاحبها مجير الدين استنجد بالفرنج ، فكتب إليه  
نور الدين معللا سبب نزوله في منطقة دمشق ، وهددنا له الأخطار المحدقة بها من الفرنج ،  
يقول : " انني ما قصدت بنزولي هنا طلبا لمحاربتكم ، وإنما دعاني الى هذا الأمر كثرة  
شكاية أهل حوران بأن الفلاحين أخذت أموالهم وسبيت نساؤهم وأطفالهم بيد الفرنج ،  
وعدم الناصر لهم ، ولا يسعني مع ما أعطاني الله من تعالي ، أن أقعد عن نصرة المسلمين مع  
معرفتي بمجزكم عن حفظ أعمالكم والذب عنها " (٥) ، وقد تكرر هذا الخطر عندما  
كان الصف الاسلامي يصاب بالضعف أو التصدع ، فهذا ابن عيين يرثي المعظم عيسى بن  
بأعماله التي كان منها حفظ البلاد والعباد من الفرنج ، يقول :

عن نصرها لتحكمت فيها العدا  
فيها سبايا ، والموالي أعبدا  
تجتاب ما بين الحقير الى كدى ، (٦) \*

ودييار مصر لو وئت عزمانته  
ولا أمت البيض الحرائر أسهما  
ولأصبحت خويل الفرنج مفيرة

- (١) الخريدة / قسم شعراء الشام ١٧٨ / ١  
(٢) الروضتين ١ / ٢ / ٤٤٩ / ١ قسم الشام ٢٠٨ / ١ (وفيها : وأسير) وعند الجمان ١٢ / ٢ / ١  
(٣) الذيل على الروضتين ٧٠ (٤) ديوان ابن الخياط ١٨٤  
(٥) الدر الثمين في سيرة نور الدين ٩٧ (٦) ديوان ابن عيين ٦١  
\* كدى / بلد قرب مكة

وينكر ابن دنينير على المسلمين أن يعيشوا في حياة مرفهة ، وهم لا يأمنون على حياتهم والموت يترصص بهم ، فيقول :

أيطمخ أقوام بنعمة عيشية متى عطشوا فالموت دونهم ورد (١)

وسبب هذه الحياة القاسية عدم استقرار الناس في ديارهم ، لا في بدو ولا في حضر ، ولذلك يمدح ابن دنينير الملك الحسام الذي أعاد إلى دمهال أهلها :

أثبت دمهال إذ أعيت ربا نتمها كل الوري وتنامى البدو والحضر (٢)

ويذكر الملك الامجد سببا آخر هو الذهب الذي يقوم به الفرنج على عين غلة من أهلها ، يقول عن عمل جماعة من الفرنج في نابلس بأنها : قتلت فيها المشايخ والشهان ، وسبيت الحلال والصبيان ، واستولت يد الكفار على ما كان مدخرا من الاموال والحلال ، وصا جمعه المسلمون لأزمتهم في السنين الداوال (٣) ، وقد أشار ابن أسعد الموصلى الى خطر آخر يتهدد الاحلاف الاسلامية ، إذ إن الفرنج حاولوا تمزيق المسلمين أو زيادة شقة الخلاف بينهم ، ولذلك فان من صفات القائد الاسلامي أن يقوم على نصرة أحلافه وانجادهم مهما كانت مخاطر العون والانجاد ، يقول في مدح صلاح الدين :

لهيئة عن نصره حلفه ساءه بجحافل مثل السيول تدافعت  
عدد العدو ولا يحد الموضع وإذا السيول تدافعت لم تدفع (٤) \*

\* \* \*

### ثالثا : الخطر على الاسلام والتراث الاسلامي

كان من أهداف الوجود الصليبي في المشرق الاسلامي القضاء على عقيدة الاسلام وهذا ما سبق ذكره في الصراع الحثائدي ، والجدير بالذكر هنا أن نشر مبادئ الفكرة شكل خطرا على الاسلام ، لا لأن هذه المبادئ تمثل فكرا يشكل خطرا على الفكر الاسلامي ، بل لأن القوة في بعض الفترات كانت الى جانب النزاة ، فتراءى لهم أن القوة العسكرية وقوة العقيدة الدينية صنوان ، يقول الملك الامجد : ورزع الكفار الصلوسب على رؤوس الاشهاد والمشاهد ، وأعلنوا بما يفترونه من التثليث الذي تنزه عنه الله الأحد الواحد ، فاستفحل الشر وأعضل الداء ، وعز على اللديغ الشفاء ، وأقاموا بها ( نابلس )

(١) ديوان ابن دنينير ورقة ٣ (٢) المصدر السابق ورقة ٢٢

(٣) النوائد الجلية في الذرائد الناصرية ورقة ٩٥

(٤) بنهار الحثائق ص ١٠٠

\* للمزيد من الامثلة أنظر : صبح الأعشى ٤/٧ ، ديوان ابن الساعاتي ١/١٧٨  
ديوان ابن دنينير ١٧٤ ، عقد الجحان ٣/١٢ ، ٣٣٨/٣ ، ٤٥٧ ، السلوك لمعركة  
دول الملوك ١/١ ، ١٩٩/١ ، الاعتبار ١٢ ، ٣٤ ، تاريخ ابن الوردي ١/٨٧

ثلاثا لاكمال فتكهم وإظهار إنكهم . . . " (١) ، وقد أدرك الأدباء هذه الخطورة ،  
وتجنوا تضاييق الاسلام وخرجه من اعلان شمائر الفرنج ، يقول حيوي يهوي في مدح سوف  
الدين غازي أخي نور الدين :

فصابقة معدودة في الهشائير  
وصدقتها والكفر بادي الشمائر (٢)

أثابك ان سميت في المهدي غازيسا  
وقيت بها والدين قد مال روقسه  
ويقول عمارة في مدح شاور :

أقسمت لولا حسن رأيك لاغدى ال

وكتب القاضي الأاضل الى العادل سنة ٥٩٣ هـ يخبره بوصول نجدات الفرنج الى بيروت ، وخطورة  
ذلك على البلاد والدين يقول " ٥٠٠٠ و للاسلام اليوم قدم ان زلت نزل ، وشمعة ان طبت  
فان النصر منمصل . . . " (٤) ، ويقول الصاحب شرف الدين الأنصاري :

ما ليس يطمع في ابطاله قاض (٥)

فكاد يقضي على الاسلام جاهلهم

جفت نضارته وان ذبوله (٦)

وحين حاصر الفرنج دمياط كتب الأمير جمال الدين الكناني الى الملك الكامل :

عن حوزة الاسلام عاد كما بدا (٧)

ولئن قعدت عن القيام بنصيره

ويقول ابن عنين في المعظم :

مصر وأشمل ذكره وتبدا

لولا دفاعك بالصوارم والقنسا

أعلاجها صحراب عمرو شيكلا (٨)

لولاك لانصمت عرى الاسلام فسي

وفي زمن تورانشاه نزل الفرنج على دمياط وحاولوا تغيير صبغة المدينة لولا صمود تورانشاه ،  
يقول علي بن عرام :

ويرى بتهديل وشيك وتقليب

وقد كاد دين الله يخفت نسوره

وتصعيد آرائه كته وتصويب (٩)

فحتمتوه بالأسنة والتابسا

ويلاحظ من الأدلة السابقة تركيز الأدباء على أن الاسلام يواجه عدوا متسلحا بالقوة والمتاد ،

(١) الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية ورقة ٩٣

(٢) عقد الجمان ١٢/١/١٩٢

(٣) النكت المصرية ٢٦٩

(٤) الروضتين ٢/٢٣٢

(٥) ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري ٢٨٣

(٦) السلوات لمعرفة دول الملوك ١/١/١٩٩

(٧) ديوان ابن عنين ٦١ ومفج الكرب ٤/٢٢٠

(٨) ديوان ابن عنين ١١ ، ومفج الكرب ٤/١٠٢ ، وعقد الجمان ١٧/٢/٤٢٠

(٩) خريدة القصر وجريدة المصر / قسم شعراء مصر ٢/١٧١

يريد أن يقضي عليه ، ولم يقل أحد منهم إن الإسلام يواجه دينا أو تكرا يشكل خطرا عليه ،  
ولذلك أحس الأدباء بعودة الحياة إلى الإسلام ، بعد كسر الفرنج في حطين وغيرها ،  
لأن القوة التي تشكل خطراً على الإسلام قد خضعت شوكتها ، يقول ابن سناء الملك في  
صلاح الدين :

أنت أهيبته وقد كان ميتاً ثم اعتقته وقد كان قساً (١)

وعندما ما أدركه القادة المسلمون ، فهذا الكامل بن شاور يقول لأبيه الذي أراد الاستنجاد  
بالفرنج حين جاء شيركوه ٥٥٠ " ولئن نقتل ونحن مسلمون ، والبلاد يوم المسلمين خير من  
أن نقتل وقد ملكها الفرنج ، فليس بينك وبين عود الفرنج إلا أن يسموا بالقبض على  
شيركوه ٥٥٠ " (٢) ، وهذا صلاح الدين يصارع ابن شداد بأنه إن ترك الجهاد ومقت  
مع الكفر حصون ٥٥٠ " اختل أمرنا المصون لا سيما صفد وكوكب فأنهما للدأوية والاستبارية  
في وسط البلاد ، والشور الإسلامية بهما وأمية السداد ٥٥٠ " (٣) ، وقد كتبت الأدباء  
عن خطورة الفرنج على الإسلام بخطورتهم على القرآن ، فهذا الأمير جمال الدين يصف  
حالة القرآن لدى نهوض المسلمين في الدفاع عن ديار سنة ٦١٥ بينما يرتفع الصليب ويتلى  
الإنجيل يقول :

وهدت قوى القرآن فيمور قصت  
وعلا صدى الناقوس في أرجائه  
صليانه وتلي به إنجيله  
وخفى على سمح الهوى تهليله (٤)

ويقول ابن النبيه في ذلك :

الله أكبر أن تسمى ديارهم  
تتلى وتتسى من القرآن آيات (٥)

كما بينوا خطورة الفرنج على الإسلام بانظهار خطرهم على الصلاة ، ولذا مدح الشعراء  
القائد الإسلامي الذي خلص المدن من الفرنج وأقام الصلاة فيها ، يقول ابن دنينير في  
مدح أسد الدين المهراني الذي فتح يافا سنة ٦٠٨ :

وأقامت الصلاة في ذلك الدر  
ب وقد كانت الصلاة كفاء (٦)

- 
- (١) ديوان ابن سناء الملك ٨١٤  
(٢) الروضتين ١٥٦/١ - ١٥٧ مطبعة دار الجيل  
(٣) الروضتين ١٣٦/١  
(٤) السلوك لمصرفة دول الملوك ١٩٩/١/١  
(٥) ديوان ابن النبيه ٦٧  
(٦) ديوان ابن دنينير ورقة ١٢٢



وقد تحدث الأديباء العرب بحرقته عن تحويل المساجد الى كنائس ، ومن ذلك ما ذكره الرحالة ابن جبير عن عكا بقوله : " تعداد مساجد عكا كنائس وصوامعها منساربا للنواقيس ٠٠٠ " (١) ويقول ابن عيين في جهنم المعظم للفرنج الذين اتخذوا المساجد بيما يعبدون فيها الصليب :

ومشرد دماها فكم من بيضة  
ويقول في الاشراف موسى الذي ابعده غطار الفرنج عن دماها :

وتحكمت فيها الفرنج وفادرت  
أعلاجها محراب عمرو هيكلها (٢)

ويقول فيه :

لولا يقهوسى يهخر معمد  
لصلا على درج القطيب الأسقف (٤)

وقد مدح الأدب القائد الاسلامي في منافعته عن المساجد حتى لا يدنسها الفزاة ، يقول ابن القيسراني في مدح تاج الملوك بوري :

وحاولوا المسجد الأدنى فما هرت  
عن مسجد القدام الأقصى له مقدم (٥)

كما أعلنوا فرحتهم وفرحوا لاسلامت خلعهم من الاعداء ، يقول ابن دنينير :

فثم تزي الاسلام سفر وجهه  
سرورا ونجم الحق في أئفه يبدو (٦)

ويقول :

تهلل الدين والدنيا به فرحا  
لهتخاض يثرب تثريرا لفادحة  
واستبشرت مكة والحجر  
درمعه ان سرت في ذكره السور (٧)

ويقول آخر :

بهذا الثغر لاسلامت سما  
بعد الأناجيل آيات القران به  
يقون محرابه لو كان يسمنا  
بهدد العيون وفيه الله مذكسور  
تقلى وقد نسج الفاقوس تكبير  
معدن ناسر والشرع منصور (٨) \*

- (١) رحلة ابن جبير ٢٢٦ (٢) ديوان ابن عيين ٦١  
(٣) المصدر السابق ١١ (٤) المصدر السابق ١٥  
\* للمزيد أنظر : الروتين ٨٢/٦ ، ٨٨ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١١٢ : الكامل ٥٣٩/١١  
رسائل ابن الاثير ١٥٥ ، الاعتبار ١٥٥ ، فوج الكروب ١٨/٤ ، القديس لويين  
حياته وخطاته على الشام ومصر ( مذكرات جوائفيل من ١٠٢ )  
(٥) عقد الجمان ١٨٢/١/١٢ (٦) ديوان ابن دنينير ورقة ٢  
(٧) المصدر السابق ورقة ١٤ (٨) عقد الجمان ٤٦٠/٢/١٢  
\* للمزيد عن فرحة البلاد أنظر : ديوان الهباء زهير ١٢١ ، ديوان ابن دنينير ٥ ١٤٤  
عقد الجمان ١٨٢/١/١٢ ، ديوان ابن النبيه ٧٦

وكذا شكل الفرنج خطرا على الاسلام ، شكلوا خطارا على التراث الاسلامي والقيم  
الاسلامية ، مما جعل المشركين يمتدحون القائد الذي يحافظ على هذه الفضائل ، يقول  
ابن دنينير في المصظم :

فَلْتَشْكُرْكَ بَنُو الْعَبَّاسِ بَعْدَهُمْ      لَابِلُ قَرِيْبٍ تُوْدِي الشُّكْرَ بِلِ مَضْرُورٍ  
أَلْبَسْتَهُمْ عَزْمَةَ سَاءِ دَهْرِهِمْ      مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ طَوَّوْا مَا كَانَ قَدْ نَشَرُوْا (١)

ومما اُمدح به القادة المجاهدون ، معافاتهم على الخلافة باعتبارها الوعاء السياسي  
الذي حوى الاسلام ، يقول عمارة اليمني في مدح صلاح الدين سنة ٥٦٤ هـ :

حَمِيَّتُهُنِ الْاَفْرَنْجِ سَرِبَ خَلَاقَةَ      جَرِيْتُمْ لَهَا مَجْرَى الْاَمَلِ مِنْ الذُّعْمِ  
حَصَى اللّٰهُ فَيْكُمْ عَزْمَةَ اَسْدِيْنَسَةَ      نَكَمْتُمْ بِهَا الْاِسْلَامَ مِنْ دُوْنِ الْاَسْرِ (٢)  
ويقول ابن دنينير في مدح الأشراف :

حَفِظْتَ مَلِكُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَانْحَفِظْتَ      بِكَ الشَّرِيْعَةَ اِذْ غِيْرْتَ بِكَ الْفَيْرَ (٣)

(١) ديوان ابن دنينير ورقة ١٥

(٢) الروضتين ٤١٢/٢/١

(٣) ديوان ابن دنينير ورقة ٢٣

## الفصل الثاني

### أضواء على حياة الصليبيين

#### أولا : الحياة الاجتماعية :

اطّلع المسلمون بسبب الاحتكاك على ألوان من حياة الصليبيين الاجتماعية ، ولمسوا بشكل عام تركيب المجتمع الصليبي ، فتحدثوا عن ذلك باعتباره الرئيس الأعلى ، ثم عسكروا الامراء وكبار الفرسان وطبقة التجار الاغنياء ( ١ ) ، وأخيرا طبقة الفلاحين ( ٢ ) ، وكذلك ميزوا بين ثلاث طبقات في الكيان الصليبي ، هي : طبقة النبلاء ، وطبقة التجار ، وطبقة الفلاحين .

وبالرغم من أن الادباء المسلمين لم يفهموا لغة الفرنج ، لأنهم لا يتكلمون الا بالفرنجي ( ٣ ) ، الا انهم سجلوا ما رأوه وما سمعوه عن طريق الترجمة ، أو عن طريق الاختلاط بالفرنج الذين تسلموا العربية ، يقول الصادق : " وأعرضنا الترجمان وأدى عنالبيان " ( ٤ ) .

وقد جاءت ملاحظاتهم عن المجتمع الصليبي ممتزجة مع ملاحظات المؤرخين المسلمين أو المؤرخين المحدثين من الأوروبيين ، ويمكننا من اجل حياة الاجتماعية الصليبية في اطار مجالات ثلاثة : ما يتعلق بالمعتقدات ، وما يتعلق بالحياة وقت الحرب ، وما يتعلق بالحياة العامة .

#### ما يتعلق بالمعتقدات :

وأول ما يسترعي النظر في عاداتهم الدينية العرص على بناء الكنائس والاهتمام بها ولو كان ذلك خارج المدن ، فحين خرج الفرنج لعصارتانياس نصبوا خيمة كبيرة ، وجعلوها كنيسة يصلون فيها ، ثم فرشوا أرضها بالعلفاء والحشيش ( ٥ ) ، أما الكنائس التي في المدن فقد تأنقوا في بنائها ، وأقاموا فيها التماثيل ، وعلقوا على جدرانها الصور ، فكانت مشار

( ١ ) أنظر أسامة بن منقذ ، الاعتبار ١١٤

( ٢ ) انظر عبد الحفيظ محمد علي ، الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين ١١٢-١١٣ ( ستانسل ) القاهرة ١٩٧٥

( ٣ ) الاعتبار ٦٦ وأنظر ١٤٠ وديوان فتيان الشاغوري ٣١٨

( ٤ ) الفتح القسي ٢٣٩ ، وأنظر النوادر السلطانية ٣٦ ، ٣٣

( ٥ ) الاعتبار ٨٦

اعجاب الادباء ، يقول الصماد في وصف كنيسة بنوها على الصخرة : " وأما الصخرة فقد كان الفرنج قد بنوا عليها كنيسة ومذبحا ، ولم يتركوا فيها للأيدي المتبركة ولا للعيون المدركة ملصقا ولا مطمحا ، وقد زينوها بالصور والتماثيل ، وعينوا بها مواضع الرهبان ومحت الانجيل وكتلوا بها أسباب التعظيم والتبجيل ، وأفردوا فيها لموضع القدم قبة صغيرة مذهبة ، بأعمدة الرخا منقبة ، وقالوا محل قدم المسيح ، وهو مقام التقديس والتسبيح ، وكانت فيها صور الأنماط هائلة في الرخام ، ورأيت فيها التصاوير وأشباه الغنازير (١) ، ويرى الجزري عن الشهاب أحمد الحفيلي أنه رأى بعد خراب عكا على بعض أبواب كنائسها مكتوبا :

أدسى الكنائس ان يكن عجت بكم أيدي الحوادث أو تغير حال  
فلطال ما سجدت على أبوابكم شم الأنوف جحاجح أ بطال (٢)

ويصف النص عادة السجود بالانحناء حين دخول أبواب الكنائس ، وذلك تعظيما للصليب \* وللقيسراني في تخرياته تجزية فريدة من نوعها ، وصف خالها الكنائس وما يجري فيها من قداس ديني ، وهو بذلك يؤكد ما وصفه الصماد وغيره ، ويضيف صورا جديدة عما يجري داخل الكنيسة ، أما حديثه عن الصور في الكنائس ، فيظهر في وصفه للراعية الساجدة لصورة مسلقة ، يقول :

كم بالكنائس من مبتلثة مثل السهاة يزينها الخفسر  
من كل ساجدة لصورتها لو الصقت سجدت لها الصور (٣)  
كما يظهر في مناجاته لاحدى الراهبات ، إذ يطلب منها أن تعاطله كالصورة المسلقة فسي  
الكنيسة ، يقول :

هبيني صورة يحنى عليها  
فلمسمع بأدرك من فتاة  
أجيب إذا دُعيت ولا تُجيب  
من الرهبان قوتها أديسب (٤)

ويقول :

فيا ليتني عندها دميصة  
فأتسلو أنني استطيسج  
تراني ولا ريب في ملمسي  
تحولت صورة مرجرجسس (٥)

وأما الصورة الجديدة التي قدمها من خلال تجزئته الشخصية ، فهي ما رآه في كنيسة برسارة وهي للفرنج خاصة دون غيرهم ، إذ رأى القس فيها يتلو قداسا في الليل ، وحوله الراهبات الجحيلات يرتدين الماييس الثينة يقول :

بديناك يا قن تبرسارة وما بست تتلوه نسي الحنسس

(١) النسخ القسي ١٤١ ، وأنظر ص ٩٥ و ٢٢٨

(٢) جواهر السلوك ورقة ٤٨ ، وأنظر ٤٩

\* تبين فيما مضى أنهم يعدلون الصليب ويعتقدون به ، ومن الأمثلة الأخرى قول ابن القيسراني في راعبة :

أعمدات الصليب ودت أني ودين الله عندكم صليب (ديوانه ورقة ٦٤)

(٣) مخطوطة ديوان ابن القيسراني ورقة ٦٢ (٤) المصدر السابق ورقة ٦٤

(٥) المصدر السابق ورقة ٧١

أجرني من الصور الناطقا  
 اذا هن أقبلن وقت الصلا  
 وجات مناطق أوساطها  
 وأجلسها ثقل أردافها  
 فلولا التخرج في طنستي  
 وقمت ألحن قداسهن من (م) غير بليد ولا أشوس من (١)

فهو لولا تخرجه الديني لقام مقام الأسقف في تلاوة القداس ، وارتدى برنسا كبرئسه .  
 ومن المعلوم أن لباس الأسقف يختلف عن لباس الآخرين من الفرنج ، كما أن لباس الفرنج عامة  
 يختلف عن لباس المسلمين \* ، ويظهر ذلك من الخطة التي اتبعتها المسلمون للدخول الى  
 عكا وهي محاصرة ، اذ تزيوا بزى الفرنج (٦)٠٠ " وتصوروا رهباناً ومسحوا لحاهم ومسحوا  
 حلاهم ، وتلطوا وتكوفوا ، وتشبهوا بهم في كل بزة لئلا يتخوفوا ، وشدوا زنانهم سير ،  
 واستصحبوا خنازير " (٣) .

وفي هذا النص بيان لصادة أخرى غير اللباس ، وعني حلق اللحية ، ففي قول  
 الصناد السابق " ومسحوا لحاهم ، و... وتلطوا " ما يؤكد اختلاف الفرنج عن المسلمين  
 في هذا الجانب ، وثمة أدلة أخرى تثبت ذلك ، منها قول ابن شداد عن الهنفرى : " إنه  
 شاب حسن ، إلا أنه مخلوق اللحية ، على ما هو شعارهم " (٤) .

ولكن توجد أوصاف لبعض ملوكهم تشير الى أنهم أطلقوا لحاهم ، كما أن القساوسة  
 كانوا يدلقون لحاهم كذلك ، وليس في هذا من تناقض مع قول ابن شداد ، اذ ان عامة  
 الفرنج يحلقون لحاهم ، وأما الملوك فقد أطلقها بعضهم ، كما جاء في وصف ملك الالمان بأنه  
 صاحب اللحية الخنراء " (٥) ، وحلقها آخرون كما جاء في وصف ملك الانكسار أنسبه  
 " قد أشفى من المرض ، وأشرف على المرض ، حتى حلق رأسه ، حلق لحيته ، واستلقى  
 لانتظار منيته ... " (٦) . وأما القساوسة فلهيبرد نمر يشير الى أنهم حلقوا لحاهم (٧)

(١) مخطوطة ديوان ابن القيسراني ورقة ٧١

\* يقول ابن عسار في وصف لباس المقاتلين :  
 عليهم من الماذي كل مفاضة دلائل كقرن الشمس ، قد احكمت وضنا (ديوان ص ٣٠)

ويقول نجم الدين محمد بن الغضنبر بن اسرائيل بوصف لباس الملك فرنسيس ، الذي  
 بره توزنشاء وأهدى لباسه الرناييد بدمشق :

ان عقارة الفريس الذي جاء ت جيا لسيد الامراء

كبياض القرطاس لونا ولكن صبغتها سيوفنا بالدماء

نهايتا لارب ١٠١/٢٧ وانذار الذيل على الروضتين ١٨٤ والبيتا لأول فيها مكمور

(٢) زبدة الحلب ١١٨/٣ ، مفرج الكروب ٣٢١/٢ (٣) الفتح القسي ٤١٧

(٤) النوادر السلطانية ١٨٢ (٥) الاضبار ٣٢٠ وأنظر ١٣٦ (٦) الفتح القسي ٤٩٧

(٧) تاريخ ابن القلاسي ٣٠٠

ومن عاداتهم الدينية اعتقادهم في رجال الدين ، كما اعتقدوا بنصرة الصليب لهم ، يقول ابن القلانسي في نزول الفرنج على دمشق سنة ٥٤٣ هـ " وكان معهم تسميس كبير طويصل اللحية يمتقدون به " (١) ويؤكد ذلك قول أسامة عن صاحب طبرية وجماعة : أنهم جاءوا بتسميس ليطلب فارسا كبير القدر مع أنه لا يفقه بالذاب شيئا ، ولكنهم كانوا يوشون بانفسهم " اذا حط يده عليه عوفي " (٢) . ومهد هذا ليس من الشريب أن يذكر ابن الاثير أن قول البابا عند استقباله قول النبيين (٣) .

### التصليب على الوجه :

ويحتمى ذلك أن يرسم الفرنجي علامة الصليب على وجهه ، حين يسمع أو يرى شيئا مروعا ، وإنما يفصل ذلك التماسا لمساعدة روح القدس يقول ابن القيسراني :

فيا حسن ذاك الوجه إذ ربح روعة<sup>فصوته</sup> فيها بتصلية اليـــــــســـــــــــــــع (٤)

ومن المواقف التي صلب فرنجي فيها على وجهه ، حين عقد شيركوه الصلح مع الفرنسيين والصريين ، فجاهه أحد الفرنجة الغرباء فقال له : " أما تخاف أن يشدريك هؤلاء المصريون ، والفرنج قد أحاطوا بك وأصحابك ، ولا يبقى لكهتية ، فقال شيركوه : يا ليتهم فعلوه حتى كنت ترى ما أفعله ، كنت والله أضع السيف فلا يقتل منا رجلا حتى يقتل منهم رجال ... والله لو أطاعوني لخرجت اليكم من أول يوم ، ولكنهم امتنعوا " ، فصلب على وجهه وتساءل : " كما نمجب من فرنج هذه البلاد ، ومبالختهم في صفتك ، وخوفهم منك ، والآن قد عذرتنا عم " (٥)

وحيث أظهر صلاح الدين القوة والاستبانت في مقدم أسطول صقلية الذي هدده بجيوشه قواتها أن يقال له : " وإنهم إن خرجوا أدقناهم ما أدقنا أصحابهم من القتل والأسر " ، فصلب مقدم الأسطول على وجهه (٦) .

وفي زمن الملك المعظم عيسى ، استمال نساء خيالة الفرنج بالهدايا ، وكان أن اكتشف أحدهم الأمر ، وسأل زوجته عن أرسلها ، فقالت : (الكريدي) ، فصلب على وجهه (٧) .

(١) تاريخ ابن القلانسي ٣٠٠ (٢) الاعتبار ١٣٧

(٣) الكامل ٥٣/١١

(٤) ديوان ابن القيسراني ٧٥ ، وأنظر مذكرات جوانفيل ص ١٩٦ ، ٢٣٣

(٥) الكامل ٣٠٠/١١

(٦) الكامل ١٠/١٢ ، وأنظر الفتح القسي ص ٢٤٠ ، الروضتين ١٢٩/٢

(٧) نهاية الارب ج ٢٧ ورقة ٣٨

## عدم الاختتان :

ارتبط هذا الوصف بنوع من الشماتة والاستهزاء ، لأن الوصف جاء في جو حريمي  
فيمد انتصار المسلمين على أعدائهم الفرنج ، أظهر الأدباء شماتتهم ، وتقليل أهميتهم  
يقول ابن منير في فتح الرها :

يا لها عنتش أنحكمت من بني القلندر ثنور الشامتين (١)  
ويقدم ابن الجاور صورة تاريخية ، إذ إن رؤوس الفرنج تغطت بالسيف في حين إن نفوسهم  
تزهق وهم قلف غير مداهرين ، يقول :

سنت سيوفك في الرؤوس ختانة ذعبت بمهجة كل علق ألقف (٢)

## الأيام :

لم يتحدث الأدب عن أعيادهم ، أسمائها وأنواعها ، وإنما وصفوا أفراسهم في  
بعضها ، وقد اشتهر من الأدباء في تسجيل ما شاهدوه من أعيادهم اثنان هما أسامة بن  
شقذ وابن جبير ، وأما الأول فيصف عيدا في طابرية ، حيث أجريت مسابقة بين مجوزين في  
ميدان كبير ، وفي نهاية الميدان خنزير جعلوه جائزة لمن تسبق أولا (٣) بينما يصف ابن  
جبير عيدا حل على الفرنج وهم مسافرون ، فاجتمعوا في المركب كصغيرا وكبيرا وحلوا الشمع  
المضي (٤) .

## الزواج :

ظهرت الدراة الفرنجية في الأدب العربي سافرة منالقة غير مضبوطة ، تخرج دون  
إذن زوجها ، وتتزوج دون إذن أوليها ، ومن ذلك أن زوجة ملك الفرنج بالشام أحبت رجلا  
من الفرنج الذين قدموا من أوربا فتزوجته ونقلت الملك إليه (٥) .  
وقد كانت تجرى مراسيم الزواج بحضور البدارك والقسوس ، وقد يحضرها جموع  
غير من الفرسان ، إن كان للزوجة مكانة خاصة ، كما يحضرها النساء ، وقد نقل ابن جبير  
صورة حجة لمرس انرنجي في صور ، يقول : " ومن مشاهد زخارف الدنيا المحدث بها  
زفاف عروس شاهدناه بعمور في أحد الأيام عند مينائها ، وقد احتفل لذلك جميع النصارى  
(يقصد الفرنج) رجالا ونساء ، واصدافوا سمالين عند باب العروس المهداة ، واليوقات  
تضرب والمزامير ، وجميع الآلات الملهوية ، حتى غرقت تنهادى بين رجلين يمساكنها من  
يمين وشمال ، كأنهما من ذوى أرحامها ، وشي في أبهى زي ، وأفضل لباس ،

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٠١

(٢) الروضتين ١٠٤/٢ وانظر الروضتين ١٩٦/١/١ ، ومذكرات جوانفيل ١٤٥

(٣) الاعتبار ١٣٨ (٤) رحلة ابن جبير ٢٨٦

(٥) الكامل ٤٩٠/١١

تسحب أذيال الحرير الذهب سحبا على الهيئة الممهودة من لباسهم ، وعلى رأسها  
عصابة ذهب قد حقت بشبكة ذهب مسوجة ، وعلى لبثها مثل ذلك منتظم ، وهي رافلسة  
في حلبيها وحلليها ، تشي فترا في فتر مشي العصابة أو سير النمامة ، وأمامها جلة رجالها  
من النصارى في أفخر ما لبسهم البهية ، تسحب أذيالها خلفهم ، ووراءها أكتاؤها ونذاراؤها  
من النصرانيات ، يتهادين في أنفس المائيس ، ويرقلن في أرقل الحلى ، والالات اللهوية  
قد تقدمهم ، والمسلمون وسائر النصارى من النذار قد عادوا في طريقهم سماطين يتطلعون  
فيهم ، ولا ينكرون عليهم ذلك ، فساروا بها حتى أدخلوها دار بعلها . . . (١) .

ولا يملك ابن جبير الا أن يستعيز بالله من فتنة المناظر ، ومن تلك الزخارف .

ومما أنكره الأدباء الحرب على المرأة الفرنجية استهانتها بالمشرة الزوجية ،  
فهي لم تكن تعتمد بعد وفاة زوجها ، وإنما تتزوج بعد وفاته بأيام قليلة حتى لو كانت حاملا  
يقول الحماد عن الكندهرى بأنه " دخل بالملكة زوجة المريكس في ليلته ، وادعى انسه  
أحق بزوجه ، وكانت حاملا ، فما منح الحمل من نكاحها ، وذلك أنطلع من سفاحها " (٢)  
ويقول في أخرى : " وقيل إنها كانت حبلى ولم تخرج من حباله الحبل ، فما شغلهم حرمة  
الرحم المشتغل " (٣) ثم يقب على ذلك بقوله : " فأنذار الى استباحة هذه الطائفة  
المشركة " (٤)

ولم يكن هذا الأمر افتراء عليهم ، فهذا المؤرخ الصليبي جوانفيل يروى في  
مذكراته ما يؤكد وجود هذه الظاهرة ، إذ يقول إن امرأة منهم قد تزوجت ولما يمض على  
موت زوجها وقتطويل (٤) .

هذا فيما يتعلق بالزواج فيما بينهم ، وأما التزاوج مع المسلمين ، فقد كان ممنوعا  
ومستهجنا الا اذا تنصّر المسلم أو شربت هي من عندهم ، ويظهر ذلك مما جرى من  
مفاوضات بين ملك الانكليز والصادل ، حين عرض الاول أخوته على الثاني ، شريطة أن يتنازل  
صلاح الدين لآخيه المادل عن القدس وغيرهما ، وهو يتنازل لآخته عن مناطق الساحل ،  
وحين علمت بالخبر " تسخطت من ذلك وأنكرته انكارا عظيما وحلفت بدينها المنلظ من  
يمينها أنها لا تفعل ذلك " (٥) ، ويصف الحماد الرأي الصام الفرنجي في ذلك فيقول :  
فجبهوها بالعذل واللذع ، وأتجهوها بالقدح والقدح ، وقالوا لها كيف تفجئينا بأنجع مسلم  
مولم ، وتسلمين بضمك لباضعة مسلم ، فان تنصر تنصر ، وان تسن فما تعمسرس  
وان أبى أبينا وان أتى أئيناه ، فرهبت من بعد ما رغبنا ، ومطلت من بعد ما طالبت " (٦)

(١) رحلة ابن جبير ٢٧٨ - ٢٧٩ (٢) النتج القسي ٥٩٠

(٣) المصدر السابق ٤٩٤ ، وأنذار الكامل ١٢٨ / ١٢

(٤) القديس لويس حياته وعملياته على مصر والشام ١٤٣

(٥) النوادر السلطانية ١٩٦

(٦) النتج القسي ٥٥٦ ، وأنذار الاعتبار ٩٦ ، والروضتين ١٩٣ / ٢ ، ١٩٦



ويؤكد هذا ما جاء في قصة مريم الزنارية التي تزوجت من مسلم في مصر ، **لما**  
اختطفها الفرنج وعادوا بها الى أوروبا سألتها أمها عن زواجها ، فبينت لها أنها أجهرت  
على الزواج من المسلم (١) ، وأما اذا رغبت الفرنجية في الزواج من مسلم فإنها تهجر  
أهلها كما دلت على ذلك قصة الصعيدي وزوجته الافرنجية (٢)

### دفن القتلى :

ليس المقصود بدفن الموتى المراسيم التي كانت تتبع عند دفنهم ، وإنما المقصود  
اهتمام الفرنج بدفن موتاهم حتى في أخرج الأوقات ، يقول ابن شداد : وكلما قتل منهم  
شخص دفنوه وكلما جرح رجل حملوه " (٣) ، ويظهر أن هذا العمل كان يتم في المصركة  
أما إن كانوا في حالة هجوم وابتعدوا عن مواقعهم فإنهم يحملون قتلاهم ، أو يدفنونهم قبل  
أن يخادروا أماكنهم ومن ذلك ما رواه أسامة بن منقذ أن الفرنج كسروا على أبواب دمشق  
وقتل منهم خلق كثير ، فقطعوا رؤوسهم وحملوها في سموط الخيل (٤) ، وقد تم دفن  
القادة الاموات في القدس تكريماً لهم ، ولو كان مكان موتهم بعيداً جداً عنها ، ولذلك عمدوا  
الى خطة يتم بها نقل الجثة أو العظام الى القدس ، وتدل هذه الخطة على ما عهدناه  
عندهم من وحشية وغلظة ، فحين مات الطك بلدوين ملك القدس في طريق غزوه الى مصر  
شق أصحابه بطنه ، ورموا حشوته في منطقة ما تزال تعمل اسمه حتى اليوم ، وحملوا جثته  
ودفنوها في قمامة (٥) ، وحين مات ملك الالمان في شمال الشام وهو في طريقه الى القدس  
سلقوه في خلّ وجسدت عظامه لتدفن في كنيسة القيامة ، يقول الحماد : " وقيل إنهم  
سلقوا ذلك الهالك في قدر حتى تغلص عظامه ، وتهرى لحمه ، ثم جمعوا في كيس عظامه ،  
وراموا بذلك اكراهه واعظامه ، ليحمله الى كنيستهم بالقدس قمامة ، ويدفنوه على ما كان  
أوصى به أورامه " (٦) .

- (١) ألف ليلقوليطة ٢٣٣/٦
- (٢) المصدر السابق ٤/٧
- (٣) النوادر السلطانية ٢٥ وأنذار ١٤٨ ، والروضتين ١٧٩/٢
- (٤) الاعتبار ١١٦
- (٥) تاريخ ابن الوردي ٢٠/٦ والأنس الجليل ٣٠٩/١
- (٦) الفتح القسي ٣٩٣ ، وأنذار الحادثة في النوادر ١٦٤ ، وزبدة الحلب ١١٤/٣ ،  
ويؤكد جوانقيل ما ذكره الادباء العرب عن دفن موتاهم في مذكراته ص ١٤٥ .

رأينا حرص الفرنج على دفن قادتهم في بيت المقدس ، كما رأينا حرص القادة على زيارة القدس ، وإن لم يُنصأ في أجلبهم فأنهم يهوضون بدفنهم فيها ، كما قال الصماد ... ويدفنوه على ما كان أوصى به أورامه . . . ولم يكن قادتهم بأكثر حرصا من عاصمتهم للزيارة ، فقد أرسل صاحب انداكية الى أسامة كتابا يقول فيه : " هذا فارس محتشم من الافرنج وصل وحج ويريد الرجوع الى بلاده ، وسألني أن أسيره اليكم بغير فرسانكم وقد نفذته فاستوصوا به . . . " (١) وذكر الصماد أن صلاح الدين أسر شيخا طاعنا في السن فسأله عن سبب جنونه وهو في هذا السن فقال : انما كان مجتهدا للحج الى القيامة (٢) .

وقد كان لهم مواسم معينة يزورون خلالها الأماكن المقدسة في القدس وغيرها ، وقد استلزم ذلك تعيين فرقة للإشراف على هذه المواسم ، يقول الصماد في معرض حديثه عن زيارة الفرنج لمشهد زكريا عليه السلام في سبسطية : " وهو متعبد لهم المعظم ، والمشهد الكرم ، وقد حججوه بالاستار ، وعلوه بالفضة والنضار ، وعينوا له مواسم الزوار ، وقوته من الرهابين فيصقيمة ، ولا يؤذن في الزيارة الا لمن معه هدية لها قيمة . . . " (٣) .

الحياة الإجتماعية خلال الحروب :

## تقدير النارس :

لقد كان لتركيب المجتمع الصليبي أثر في ايثار الفارس والاهتمام به ، وقد لاحظنا ذلك أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار ، فأورد فصلا خاصا سماه " منزلة الفارس عندهم " وذكر أن الفرسان تميزوا بمنزلة عالية ويصفهم بأنهم " أصحاب الرأي وأصحاب القضاء والحكم " (٤) ، ويثبت ذلك بأدلة يوردها ، منها أن جماعة الفرسان حكموا في قنيسية جنائية ففني بقضائهم ، شهقب على ذلك بقوله : وهذا الحكم . . . ما يقدر الملك ولا أحد من مقدمي الافرنج يخيره ولا ينقضه . . . (٤) .

كما أن الاحداث التاريخية نفسها تثبت ما ذهب اليه أسامة ، فما من فارس له قيمة أسر أو قتل في أرض المعركة الا تجد التحقيب على مقتله أو أسره يوحى بأهميته ، ومن ذلك التحقيب على أسر جوسلين بأنه " كان من أعظم الفتح على المسلمين . . . وأصبحت النصرانية كانه بأسره ، وعقائم المسيحية عليهم يفقده ، وغلبت بلادهم من حاميتها ، وشورهم ممن حافظها وسهل أمرهم على المسلمين بعده . . . " (٥) .

(٢) الكنج القسبي ١٥٦

(٤) الاعتبار ٦٤

(١) الاعتبار ٦٩

(٣) الروضتين ٨٨/٦

(٥) الروضتين ١٨٣/١/١

## الحزن والحداد :

وهما من المظاهر الاجتماعية المرتبطة بالحروب ، ويمكن أجمال أسبابهما بموت كبير أو فقد عزيز أو سقوط بلد أو تحطيم سفار ديني أو التعرض لهزيمة ٠٠٠ وقد أشقى الأدباء صورا عريضة على مظاهر حزنهم ، ومنها النوح والندب ولبس الحداد ، وحث التراب على وجوههم ، فهذا ابن الدهان يمدح الملائخ بن رزيق ويسين ما أنزله بالفرنج من هزائم حتى خيم الحزن والنواح على كل صقع من ديارهم ، يقول :

مات في كل صقع من ديارهم نوح على بطل لولاك ما شيكا \* (١)

بل ادعى الأدباء أن الحزن خيم على كل بيت فرنجي حين أفضل أسد الدين شيرويه مخططات الفرنج في التساوم مع وزير بصر شاور ، يقول الحداد :

في كل دار من الافرنج نادبة بط دهاهمنقد باتوا على نسدب (٢)

وقد برح الحزن بهم ، حين عادوا الى بيوتهم فوجدوها غاوية من أهلها بسبب ما أحدثه صلاح الدين بهمن هزيمة وقتل في حصن الاعزان ، يقول الحداد :

عادوا ، وعين رأوا خراب بيوتهم يثسوا من الأطار والأوطان  
باءوا بأحزان وغافوا هولها مما لقوا بمخافة الاحزان (٣)

أما طارق تعبیرهم عن الحزن فهي البكاء ، وحث التراب ، ولبس السواد ، وتحريم الملاذ ، ومن ذلك وصف الحداد لصاحبة الكرك التي أسر ابنها فخرجت الى السلطان " متعرضة للخضوع ، مترفة بالخشوع ، ومرت مسكينة مستكينة ، مستعطفة مراحم السلطان مستلينة ، رافدة عقيرتها بالابتهاال ، شائدة في فك ولدها من الاعتقال ، محفورة خدأ شأنسه المتصر ، سافرة عن وجه من عادته التخدر ، حاسرة حسرى ، عباسرة لحزنها بأسرى " (٤) ومن وصف ابن شداد لحزنهم حين علموا بمقتل رجل كبير منهم ، يقول : " فتربوا بنفوسهم الارض ، وحثوا على وجوههم التراب ، ووقفت عليهم بسبب ذلك خمدة عاية " (٥)

- (١) ديوان ابن الدهان ٢٢٦  
\* شيكا : الشوكة : حمرة ترقى الجسد ، وقد شيك الرجل : أصابته هذه العلة (اللسان : شوك)  
(٢) تاريخ ابن الزرات مج ٤ / ١ / ٤٦  
(٣) خريدة القصر وجريدة العصر / بداية قسم شعراء الشام ص ٥٩ ، وانظر الروضتين ١٨٠ / ١ / ١  
(٤) الفتح القسي ٢٠٥ ، وانظر ٢٠٦ ، والذيل على الروضتين ١٠٣  
(٥) النوادر السلطانية ١٣٤ ، وانظر ١٤٣ والروضتين ١٥٩ / ٢

والطريقة الثانية للتعبير عن حزنهم هي لبس السواد ، ففي زمن نور الدين سنة ٥٦٥ هـ ضرب زلزال ضاراً في كثيرة في الشام ، فأنزلت غسائر فادحة ، فقال العماد في ذلك :

جل رزؤ الفرنج فاستبدلوا منه بلبس العديد ليهي العمداد (١)  
وفي سقوط القدس لبس الرهبان والقديس وشلق كثير من الفرسان المشهورين السواد وعرعوا الملاذ ، وقاطعوا كل من فرج عن هذا العرف ، يقول ابن شداد : " قد حرّموا الملاذ على أنفسهم حتى إن من بلبسهم عنه بلوغ لذة شجره وعزوه ، كل ذلك حزناً على بيت القدس " (٢) وقد نهج جماعة منهم طريقة ثالثة وهي خلع الثياب ولبس العديد ، كناية عن الحزن ، وتلفظاً للقتال لاسترجاع القدس ، يقول العماد : " وقد لبسوا العديد للحداد على البيت المقدس وهجروا الثياب ولزمو المصاب وداوموا الاكثاب . . . " (٣) ومن طرقهم في التعبير عن حزنهم اشعال النار الضخيمة ، فحين مرض ابن ملك الالمان حزنوا عليه حزناً شديداً " فأشعلوا نيراناً بائلة ، بحيث لم يبق خيمة الا اشتعل فيها الناران والثلاثة ، بحيث بقي عسكرهم كله نارا تنقد " (٤) \*

### المهادنات :

وتكون بعد اتفاق الدارين على وقف القتال ، لمدة تختلف حسب الواقع ، ولها مراسم خاصة يحضرها ممثلون عن الدارين والأسقف ، وتؤدي فيها الايمان والمواثيق أما المسلمون فكانوا يقسمون باللمثلاث مرات ، وأما الفرنج فيقسمون بالله ثلاث مسمرات وبالصلب كذلك ، وبالمسيح . . . والاقانيم الثلاثة . . . ثم توضع خطوطهم عليهم بالفرنجي (٥) .

ويلاحظ أن المهادنات كانت في صالح المسلمين ، وقد اعتبر القلقشندي مصلحة المسلمين من شروط شرعيتها (٦) .

- (١) الروشتين ٤٦٩/٢/١
- (٢) النوادر السلطانية ١٢٦
- (٣) النتج القسي ٣٩٣
- (٤) الروشتين ١٨١/٢
- \* انزيد من الامثلة على حزنهم أنظار : النتج ٢٠٥ ، ٤١٥ ، ٤٧٤ ، ٤٨٠
- الروشتين ١٨٠/١/١ ، ١٨٦/٢ ، ديوان ابن ضين ٣١ ، ديوان ابن سناء الملك ٥٦٦
- (٥) تشریف الايام والعصور ٩٢ ، صبح الاعشى ٣١٢/١٣ - ٣١٤ ، الفتح ٥٥٦
- (٦) صبح الاعشى ٧/١٤

الرياضة والفرنج :

ان وجود الصليبيين في أرض بسيدة عن بلادهم ، وما تبع ذلك من صراع عنيف ، له جعلهم يظلمون عن عاداتهم في المرح واللهو ، بل لقد اتخذوا من بعض ألوان لهوهم تدريجاً على قتال خصومهم من المسلمين ، فلا عجب أن يتخذ هذا اللهو أحياناً المصاحبة عسائياً عنيفاً ، فهذا ابن جبير يصف ميدان عكا بأنه لا يوجد شبهه في المنطقة ، وقد اتخذ الفرنج ملعباً يتدربون فيه على ركوب الخيل ، بما فيهم صاحب البلد الذي يركب كل بكرة وعشية (١) .

ويصف أسامة بن منقذ عبداً للفرنج حشره في طبرية ، وكانت وسائل الترفيه فيه لعبة قام بها الفرسان بالرمح وخرج معهم عجوزان فانيتان ، وسر كل واحدة منهما سرية من الخيالة يحثونها ، شوقوا في نهاية الميدان خنزيراً فمن وصله أولاً أخذه ، ففجرت المصابقة بينهما وهنضحكون لانهما كانتا تقومان وتقفان كل خطوة (٢) .

وقد يدخل في لهوهم تلك المبارزة التي جرت بين صبيين مسلمين وآخرين من فرنجيين ، وكان ذلك في وقت السلم ، فتغلب الصبيان المسلمان على الا فرنجيين ، فأخذ اجازته (٣) من ألعاب الرياضة التي اتبعوها للترفيه عن أنفسهم الصيد ، وقد مارسوا هذه الهواية في أوقات السلم ، فكانوا يتبادلون الرخص للصيد في الاراضي المجاورة لكل منهم (٤) ، هذا وقد اتخذوا الهزة والصقور والشواشين والكلاب لتساعدهم في القبض على الصيد (٥) ، ومن الأدلة الشعرية التي تشير الى ممارستهم الصيد ، قول ابن منير متشفيًا بمقتل صاحب انطاكية :

والآن ملقً بالمرأ يقتاتسه ما كان قبل بصيده يقتاتسه (٦)

المرأة الصليبية :

سبق الحديث عن مشاركة المرأة الفرنجية في الحرب ، ولم يكن هذا هو الشيء الوحيد الذي استرعى انظار الادباء بالنسبة اليها ، فقد لفتهم جمالها ومعض عاداتها .

- |     |   |     |              |
|-----|---|-----|--------------|
| (١) | رحلة ابن جبير ٢٨٣   | (٢) | الاعتبار ١٣٨ |
| (٣) | الروضتين ١٤٣/٢  |     |              |
| (٤) | زكي النقاش ، العلاقات الاجتماعية ١٤٨ - ١٤٩                                    |     |              |
| (٥) | انوار النوادر السلطانية ١٥٢ ، النتح ٤٧٤ ، الروضتين ١٨٣/٢ ، الاعتبار ٢١٠ ، ٢٢٣ |     |              |
| (٦) | اعلام النبلاء ١٩/٢ ، الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٥٩                                   |     |              |

وقد تميز ابن القيسراني عن غيره في تجسيد محاسن المرأة الفرنجية ، وكان فسي تجسيده ينحو منحى الشاعر أبي نواس ، ولذا لك سنترك الكثير من الأمثلة التي تجرح الحياء ، ونذكر مثلاً دالاً على جمالها ، يقول :

وفي ذلك الزنار تحال فضضة      تنقاد خديه العيون بحسب  
وقد غلب الصباح فيه على الدجي      سنا قمر في جنح ليل مجسد  
فيا لي من وجهكنديل هيكل      عليه من الصدغين حراب مسجد  
لقد أسرني حيث لا ابتغي الفدا      فقل في أسير لا يسربمفتسد (١)

ويصف السواد المرأة الفرنجية بأنها : ... حمراء رخاء ، نجلاء كحلاء ، عجزاء عرياء ، غناء لفاء ، زرقاء ورقاء (٢) .

وقد تحدث الأدب عن انصراف بعضهن عن ضاحج الحياة الى اقامة الصلوات ، يقول ابن القيسراني :

كم بالكناهي من مبتلوسة      مثل المهابة يزينها الخفسر (٣)

ويقول :

يا هبل سمعتهدير سمحسان      وما به للصيون من عسان  
أموثك للصلاة هيكلسه      أم نبت من منابت البيسان ؟ (٤)

ويقول :

إذا هن أقبلن وقت الصلاة      من كل لون من الاطلس  
وجالت مناطق أوساطها      ونابت بها حلل السنسند  
وأجلسها ثقل أردافها      فيالي من ذلك المجلس (٥)

عادات مستكبرة :

تحدث الأدب عن كثير من صفاتهم وعاداتهم السيئة ، وقد ورد بعضها في مجال الحديث عن الصراح الحناري ، ويضاف اليها ما يلي :

الدعارة والنجور :

كان لتكوين المجتمع الصليبي العربي أثر في اشاعة الفاحشة بينهم ، فكثيرون منهم تركوا أوطانهم وأولادهم وجاءوا تلبية لنداء الكنيسة ، مما جعلهم يعانون مرارة المزمنة فندبت أوروبا مجموعات من النساء لاشباع حاجات الفرسان ، ثم تطور الأمر الى أن أنشئت أسواق للنسوة الساقطات في بعض المدن (٦) .

(١) ديوان ابن القيسراني ورقة ٧٥ وانار ورقة : ٦١ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩

(٢) النتج القسي ٣٤٧ (٣) ديوان ابن القيسراني ورقة ٦٢ (٤) المصدر السابق ٧٣

(٥) المصدر السابق ورقة ٧٠ (٦) الفتج القسي ص ٣٤٥

وقد عقد الصناد فصلا خاصا ذكر فيه حال نساء الفرنج ، وتحدث عن هذا الجانب حديثا مفصلا ، وفيما يلي مقتطفات منه ، يقول " ٠٠٠ " قد اجتمعن من الجزائر ، وأتديبن للجزائر ، واغتربن لاصفاك الشرباء ، وتأعين لإسعاد الأشقياء ، ترافدن على الارفاق والارفاق وتلبهن على السفاح والسفاد ، من كل زانية نازية ، زاعمة نازية ، عاطية متصاطمة ، عاذية خاطية ، متخنية متخنجة ، متبرجة ٠٠٠ فوصلن وقد سلبن أنفسهن ، وقدمسن للبتذل أصونهن وأنفسهن ٠٠٠ وتفردن بما خرينه من الخيم والقباب ، وانضمت اليهن من أترابهن من الحسان الشواب ، وفتعن أبواب الملائك ، وسبلن ما بين ٠٠٠ وثلقن سوق النسوق ، ولتقن رتوق الفتوق ٠٠٠ وزعن أن هذه قرية ما فوقها قرية ، لاسما فهن اجتمعت عند هفة وعزية ٠٠٠ (١) .

وقد كان لانتشار هذه الفاعشة أن انفسن فيها القسوس ، يقول الصناد : وما عند الفرنج على النساء اذا أمكت من الاغرب عرج ، وما أركاها ضد القسوس اذا كان للزبان المضيقين من ٠٠٠ فنَّ (٢) .

ولم يتوقف هذا الداء عند النساء ، بل إن المتزوجات كن يحقن أزواجهن ، (٣) ولو جاز لنا أن نتخذ حكايات ألف ليلة وليلة دليلا ، متمد عليه لوجدنا في حكاية الصميدة ، زينة المتزوجة التي تؤكد ذلك (٤) .

وقد استرعى انظار الادباء العرب عدم فيرة الفرنج على نساءهم ، ومن ذلك ما رواه أسامة بن مفضل في الاعتبار عن فرنجي في نابلس كان يبيع الخمر ، وجد رجلا غريبا في حجرة نوم زوجته ، فما زاد بعد حوار عجيب له مع ذلك الرجل على أن قال له : وحق ديني ان عدت فعلت كذا تشاصمت أنا وأنت ، فكان هذا تكبيره وبلغ غيرته (٥) وفي المصرة دخل فرنجي عند حمامي من أهل المصرة ، ولم يشغل من أن يمرض زوجته لتجربة غريبة ، تبس عن انعدام الخير والحياء معا ، (٦) .

ويروى أسامة كذلك قصة وقعت في صور ، يبين عدم فيرة الاباء على بناتهم (٧) ، لا عجب إذن أن يقول أسامة عن الفرنج انه " ليس عندهم شيء من النخوة والخيرة ، يكسون الرجل منهم يمشي هو وأمراته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويحتزل بها ، ويتحدث معها والزنى واقف ناحية ينتظر تراقبها من الحديث ، فإذا طألت عليه خلافا مع المتحدث وعنى (٨)

(١) الفتح القسي ٣٤٧-٣٤٨ (٢) المصدر السابق ٣٤٩

(٣) انظار نهاية الارب ٢٧ ورقة ٣٨ ، وانظار المقري : نضح الطيب ٢٩٧/٢ والروشتين ١/٢

(٤) ألف ليلة وليلة ٤/٧ وانظار الفتح القسي ٥٩٠

(٥) الاعتبار ١٣٦ (٦) المصدر السابق ١٣٦

(٧) المصدر السابق ١٣٧ (٨) المصدر السابق ١٣٥

ولا غرابة والحالة هذه أن يتخذ القوم من الأماكن المقدسة مكانا لممارسة فجورهم  
وفحشاتهم ، فجمعوا من المسجد الأقصى المبارك موصفا يتشبهون فيه أوطارهم . (٢) \*

### الخمير :

اتخذ الفرنج للخمير أسواقا ، وبعوها بأثمان باهظة لأنها أصبحت سلعة تجارية  
تستورد من وراء البحر ، وقد وصف أسامة عملية بيعها بالجملة في نابلس إذ يقول :  
" ياخذ ( السمسار ) الخمير في قنينة من النبيذ وينادي عليه ، ويقول : فلان التاجر  
فتح بنية من هذا الخمير ، من أراد منها شيئا فهو في موضع كذا وكذا " وأجرته على  
ندائه ، النبيذ الذي في تلك القنينة (٢) .

وقد انتشرت الخمرات في أماكن كثيرة ، ويصف ابن القيسراني أحدها وهي خمر  
جسر الحديد في منطقة انطاكية فيقول :  
ان كان لا بد من السكر  
خمرات تملح من نحرها  
فمن يدي خمرات الجسر  
خمرات بيضاء من نحرها (٣)

وقد أشرت المرأة لفرنجية في تقديم الخمر ، ولذلك ربط العماد بين الخمر والنساء  
الفرنجيات في حديثه السابق ، يقول : " وسقين الخمر ، وطالين بعين الوزر الأجر " (٤)  
هذا ، وقد سجل انشعر هذه الصور ، وسخر من خلالها من الفرنج ، ومن ذلك قول الرشيد  
بن النابلسي يمدح صلاح الدين بعد الفتوحات :

كم قد سئيتهم لا فلا عجب إن عربدوا سفها ، فالنوتد سكروا (٥)

جفاء أخانتهم وقسوتهم :

سبق الحديث عن وسئيتهم وقتلهم للمسلمين العزل ، مما يدل على اعتيادهم  
النفاظر الدموية ، حتى ولو كانت مخالفة للدابح الانسانية ، فعين حاصر المسلمون كفر طاب  
رفقوا التسليم ، وقتلوا أولادهم ونساءهم وأحرقوا أموالهم (٦) .

- (١) النتج القسي ١٣٧ \* للتأكد من صدق المصادر العربية أنظر مذكرات جوانفيل ١٩٩ \* ٢٤٤ وغوستاف لومون / خمرات السرب ٣٢٨ ، وزكي النقاش / العلاقات الاجتماعية ١٥٢
- (٢) الاعتبار ١٣٦ ، وانظر جوانفيل في مذكراته ص ٨٣ \* ١٤٢
- (٣) ديوان ابن القيسراني ورقة ٧٧
- (٤) الفتح القسي ٣٤٨
- (٥) الروضتين ١٩٤ / ٢
- (٦) الكامل ٥١٠ / ١٠





وأخذوا أموالهم ، واستنفذوها بالمقومات وأنواع العذاب (١) ، وسعد أن استقروا في بلاد الشام حملت نجداتهم لوصفا اعترفوا مهنة السلب ، ومن ذلك أن جماعة من الحرامية أخذوا قافلة للمسلمين وهم عند بحلبك ٠٠٠ (٢) ، وعين فادر أسامة مصر عائدا الى الشام عن طريق البحر ، نهب الفرنج مركبه والراكب الاخرى بحجة أنها كسرت ، فكتب الى طلائع ابن عزيزك يشكو الله :

أذهبت تالدي وطار مسني الطاري فضاع المهورث والمكسبوب  
فهو شطران بين مصر ومصر ذا غريق ، في ذما منه سوب (٣)

ويصف ابن جبير شجرة عاثيمة هي حد بين الامن والخوف لوجود حرامية للفرننج (٤) وكان من شروط الناصر قلاوون على الفرنج ، وقد رجحت كفة المسلمين ، أن لا يمكنوا حرامية البحر من الزيادة من عند هؤلاء من عمل الماء ٠٠٠ (٥) \*

صفات خلقية :

نظر المسلمون الى صفات الفرنج الخلقية فأذبحوا أنهم شتر غريبون عن البلاد التي احتلوها ، ثم كالأقاي الغبيثة ، زرق أشداء ، ومع ذلك فههناك استهزاء ، يقول الحماة : " خرجوا الى عكا من كل ٠٠٠ أزرة ، زرق الموت الاحمر ، وأنمشي يمشي واليسوم أغبر ، وأشقر وهو أشقى ، وأبقع اذا غوى في الوض ما ترك ولا أبقى " (٦) ويقول أيضا " شقرا كأننا لعمت النار وجههم " وهم فيها كالعون " زرقا كأننا عيونهم من حديد فهم بقلوبهم وعيونهم يكافعون " (٧) ، ويقول في ملك الالمان : وأنه غر في ثلاثمائة ألف مقاتل ، فمن كل سالب باسل ، وطالب للباطل ، وجهم جهنمي ، وأشقر سقري ، وأنمش أنصواني " (٨) ، ومن مواطن استهزاء الادباء العرب بالفرنج وصفهم لملك الانجليز بأنه " أشقر أصمط ، في عينية ضحف ، لو كان عبدا ما يساوى ماثي درهم " (٩) .

- (١) الكامل ٣٧٢/١٠ ، وانظر : الحياة الادبية في عصر العروب الصلبية بمصر والشام ١٢
- (٢) الاعتبار ١٤٠
- (٣) ديوان أسامة ١٦٢ ، وانظر ٢٦٤ والروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٤٨
- (٤) رحلة ابن جبير ٢٧٣
- (٥) صبح الاعشى ٦٠/٤ / ٦٢
- \* للزيد أنار الخريدة / الشام ١/٦٩ ، ٢٠٢ ، ٢٢٢ ، والاعتبار ٤٤ ، ٤٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٦ ، ١٨٣ ، ١٥٤ ، ٢٢٠ ، ٣٤٥ ، ومذكرات جوانفيل ١٨٩
- (٦) الفتح القسي ٤٠٢ المصدر السابق ٥١
- (٧) المصدر السابق ٥١
- (٨) المصدر السابق ٣٢٩
- (٩) عقد الجمان ١/١٨ ورقة ٨٣

وقد ركز الشعراء على وصف عيونهم الزرق ، التي يشتمز منها الحربي ، بل يتطير بها ، يقول المهدب بن الزبير في البرص صاحب انطاكية :

وتعجبوا من زرقه في دارفسه وكان فوق الرمح نصلا ثانياً (١)  
ويصور فتيان الشاغوري الغيل تمشي على بجمشهم ، والدايور تنقر عيونهم الزرقاء ، ولا يخلو هذا الوصف من التشفي والاستهزاء ، يقول في مدح صلاح الدين سنة ٥٨٣ :

فالدخيل لا تمشي بها الا على هام مضدة وشعر أشقر  
نهبت حفاة الدبير من حدقٍ بها زرقٍ قصوا من نفيس الجوهـر (٢)  
وقريب من هذا المعنى ما ذكره شهاب الدين محمود في فتح عكا سنة ٦٩٠ هـ يقول :

وغاص زرق القنا في زرق أعينهم كأنها شطن تهوى الى قلب (٣)

### عادات أخرى :

ومن عاداتهم أنهم ينكرون على من يشد في وسطه المثز في الحمام (٤)  
ومنها كشف الرأس عند الفرج (٥) .

اقتباس ٠٠٠ واعجاب :

أدى استقرار الصليبيين في المشرق الاسلامي الى تأثر بالفن الاسلامي بأنواعه ومن ذلك الفن المعماري وقد وصف بعض الادباء أبنيتهم ، ومن هؤلاء القيسراني الذي قال في وصف انطاكية حين كانت تحت الاحتلال الصليبي :

واحرها في الثبور من بلاد	ينحك حسنا كأنه شـ
به تصور كأنها بيمـ	ناطقة في خلازلها الصـ
هالات طاقا تهن أهـ	يسم عن كل هالة قصـ (٦)

\* قيل في دجاء خالد الفهري :

فألفيته يهوى فـ	عروق الى أخواله الزرق تتشمـ
إذا الهقظة نخوة عربيـ	الى المجد قالت أرمنيته نسـ

(ديوان ابن عيين ١٢٦)

- (١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٧٦ ، وأنظر الخريدة قسم شعراء مصر ٣٨/١  
(٢) ديوان فتیان الشاغوري ١٤٥ (٣) جواهر السلوك ورقة ٦٠  
(٤) الاعتبار ١٣٦ (٥) تاريخ ابن الفرات ٢٥٥/٢/٤  
(٦) ديوان ابن القيسراني ٦٣ ، وأنظر الخريدة / قسم الشام ١٠٠/١

ويصف ابن جبير عكا المعتلة بأنها "تأخذ من الافرنج بالشام ، ومحسب الجوارى . . . وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الافاق ، سلكها وشوارعها تشخص بالرخام ، وتضيق فيها مواطن الاقدام " (١) ، ولكن الاحتلال شوه المدينة في نظر ابن جبير ، اذ يقول فيها بعد ذلك : " زفرة قدرة مملوءة كلها رجسا وعذرة " (١) ، ولذلك فضل عليها صور التي تنصم بالهدوء ، ويقل فيها التصيب ضد المسلمين . . . (٢) .

وقد أتخذ البناء في المدن المحتلة طابعا فنيا من الجمال ما يتفق مع تاريخ المحارم الاسلامي قبل فزو بلاد الشام ، كما يظهر من كتابة الرحالة الفارسي ناصر خسرو . وقد أضاف الفرنج الى الاماكن الدينية زغرقا لم يكن فيها من قبل ، واستتبوا الاشجار حولها ، يقول السواد في وصف اللاذقية : " رأيتها بلدة واسمة الافنية ، جامعة الابنية متناسبة المصاني ، متناسقة المناني ، قريبة المجاني ، رحيمة المواني ، في كل دار بستان وفي كل قطر بستان ، أمكنتها مخرمة ، وأروقته مرسمة ، وعقودها محكمة ، ومعالها مسلمة ودعائها فضامة ، وساكنها مهندسة مهندمة ، وأماكنها محكمة ، ومعالسها مهندسة ، ومراتبها معنية . . . " (٣) ، ويقول في كنيستها : " بأجزاء الاجزاء مرصحة وألوان الرخام مجزقة . . . " (٤) .

وقد أثنى الصليبيون جهدهم في تزيين القدس وكنائسها ، حتى أصبحت مزارا عجاب لكل من رآها ، يقول القاضي الفاضل " فأنهم - خذل لهم الله - عموها بالأسل والصفاح ، ونوها بالعمد والصفاح ، وأودعوا الكناس بها وبيوت الدمية والاستبارية ، فيها كل غريبة من الرخام ، الذي يآرد ماؤه ، ولا يطرد لآءلاؤه ، قد لطف الحديد في تجزيمه ، وتفنن في توشيعه ، الى أن صار الحديد الذي فيه بأس شديد ، كالذهب الذي فيه نسيم خفيف ، فما ترى الا مقاعد للرياض لها من بياض الترخيم رتراق ، وعمدا كالأشجار لها من التثبيت أوراق . . . " (٥) .

ويتحدث ضياء الدين بن الاثير عن مشاهداته في القدس بعد أن استعادها صلاح الدين ، كما شاهد ذلك القاضي الفاضل ، ولكن ابن الاثير يسلط الاضواء على جوانب أخرى ، فيذكر تفنن الفرنج في الابنية التي أتخذوها من الحجارة ، بينما ذكر القاضي الفاضل تفننهم في زخرفة الحديد ، يقول ضياء الدين بن الاثير " ولا ينتهي الوصف الى ما شوهد بالهد من الآثار المجدبة التي تستلذت العجلاان ، وتستجلب الازدهان ، وتستلذق الألسنة بالتصبيح لله الذي فطر الانسان ، ومن بحلة ذلك ، تنوه في حسنه من البوسع

(١) رحلة ابن جبير ٢٢٦ (٢) المصدر السابق ٢٢٢

(٣) الفتح القسي ٢٣٨

(٤) المصدر السابق ٢٣٨ ، وأنظر الفتح القسي ١٤١

(٥) صبح الاعشى ٥٠٢/٦ - ٥٠٣

والصوامع ، فوات الأبنية الروائع ، التي رُوِّضت بالزخارف ترويض الأبنار ، ووفدت مصاندها حتى كادت النجوم توحى اليها بالأسرار ، وما فيها إلا ما يقال إنه إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ، ولقد ألان الله لهم الحجارة حتى تحيروا في توشيمها بضروب الاختيار ، وجعلوها أعاجيب الأسماخ والابصار ، وتبين فيها هذه روضات جنان لا أفنية ديار ... (١) .

### التأثر بالحضارة الإسلامية :

لم تتسم العلاقات الإسلامية الفرنجية دائما بالبعفاف ، بالرغم عن الحروب الطويلة المستمرة ، فقد كانت العلاقات التجارية أحيانا طبيعية ، مما لفت نظر ابن جبير فقال : " ومن أعجب ما يحدث به في الدنيا ، أن قوافل المسلمين تخرج إلى بلاد الأفرنج وسببهم يدخل إلى بلاد المسلمين " (٢) ويقول في عكا : " مجتمع السفن والرفاق وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق " (٣) ثم يقول : وناهيك من هذا الاعتدال في السياسة " (٤) .

هذا ما كان سوق الحرب قائمة ، أما حين وضعت العرب أوزارها ، فقد نادى العنادى في أسواق المسكر أن الصلح قد أُنظِم ، من يشاء من بلادهم يدخل بلادنا فليفضل ، ومن شاء من بلادنا أن يدخل بلادهم فليفضل " (٥) .

وقد نتج عن هذا الاختلاط تعلم بعض الفرنج لغة العرب ، مما جعل التأثر بالحضارة الإسلامية أكبر ، ومن الأدلة التي تثبت معرفة بعضهم للغة العربية ما ذكره ابن جبير من أنهم " يكتبون بالعربية ويتكلمون بها " (٦) . وما ذكره ابن شداد عن صاحب شقيف أرنون بأنه عارف بالعربية ، وعنده اطلاع على شيء من التواريخ والاحاديث (٧) \* وروى أصامة بن منقذ عدة مشاهدات في أماكن مختلفة يتكلم فيها الفرنج العربية ، منها أن

- 
- (١) أنيس المقدسي ، رسائل ابن الاثير ص ١٥٥ ، دار العلم للطالبيين ط بيروت ١٩٥٦  
 (٢) رحلة ابن جبير ٢٧١ (٣) المصدر السابق ٢٧٦  
 (٤) المصدر السابق ٧٣ (٥) تاريخ ابن القرات ٨٦/٢/٤  
 (٦) رحلة ابن جبير ٢٧٥  
 (٧) النوادر السلطانية ٩٧ ، ومفج الكروب ٢/٢٨٢  
 \* انظر الاعتبار ٦٧ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٩٠

مجموعة منهم جاءت الى شيزر ، وسألوا البواب عن اسم البلد ، فقالوا : ايش اسم هذا البلد ؟ فقال شيزر (١) ٠٠٠ وحين دخل فردريك الى القدس زمن الكامل سأل قسّام الصخرة عمدة أسئلة بالعربية (٢) ٠٠ وفي حكاية الصعيدي وزوجته الفرنجية ما يؤكد معرفة المرأة الفرنجية للمربية ، فحين خيرها السلطان بين زوجها المسلم والفرنجي قالت : أنا قد أسلمت وتزوجت وحملت كما ترون (٣) ٠٠

ومن الأدلة الأخرى التي تثبت معرفتهم للمربية ، ما كان يجري من مناظرات بين بعض المسلمين والفرنج ، ومثال ذلك قول ابن القيسراني في المناظر بينه وبين فرنجي نسي تحريم الخمر :

هذا يناظرني بها عن دينه فقالت ليلاً بالجدال مكيشياً (٤)

ويقول ابن شداد في صاحب شقيف أرنون " وكان يناظرنا في دينه ، ونظّره في بطلانه ، وكان حسن المحاوره متأديبا في كانه " (٥)

ومن الدليبيضي الا يكون التناظر والتجاوز الا باللثة المربية ، لأنه لم يصهد عن العرب آنذاك أنهم تعلموا اللثة الفرنجية ، بل كانوا ينفونها بأوصاف لا تخلو من الطعن مثل البريرة (٦). ومن المتوقع بعد هذا أن الجماعات السلمية لم تستطع أن تحتفظ بمبادئها ومظاهر حياتها سليمة كما جاءت بها ، وإنما اضطرت بحكم انحطاط مستواها الحضاري الى أن تكتسب الكثير من صفات المجتمع الاسلامي وعاداته ، حتى بلغ الاكتساب حدا شكك منسبه المؤرخون الصليبيون ، فهذا فوشيه Foucher كتب بعد انقضاء نصف قرن تقريبا يقول : " واحسرتاه ! بعد أن كنا غويبين عربنا الآن شرقيين تماما في هذه البلاد ( الشام ) وغدا الايطالي أو الفرنسي الذي يعيش في غده البلاد جليليا أو فلسطينيا لقد نسينا أوطاننا ، وصار معنا لا يعرف عنشيتنا (٧) .

أما مجالات التأثير فهي كثيرة منها :

٠١ الاسلام :

فالبرغم من تعصب الفرنج الشديد لمعتقداتهم إلا أن بعضهم اقتنع بالدين الاسلامي وأسلم ، يقول الحماد مشيرا الى اسلام بعض الفرنج بعد حطين :

- (١) الاعتبار ٥٦ وأنذار ١٣٥ و ١٣٧
- (٢) عقد الجمان ١١٨/١/٨٢ ، ومفرج الكروب ٢٤٤/٤
- (٣) ألف ليلة وليلة ٤/٧ وأنظر ألف ليلة وليلة ٢٢٧/٦
- (٤) ديوان ابن القيسراني ٧١ (٥) النوادر السلطانية ٩٧
- (٦) الاعتبار ١٤٠ وأنذار ١٠٤
- (٧) نقلا عن المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام مقالة الدكتور سعيد عاشور/عنتمان سنة ١٩٧٤ ص ٢٤٠

" وما أسلم إلا أحاد حسن إسلامهم ، وتأكد بالدين عزائمهم " (١) ويقول :  
وعرب خادمان من عند الفرنج ، وذكر أنهما لأخت ملك الانكبير ، وأنهما كان  
يكتبان الايمان في سر الضمير . . . . " (٢) .

ويلاحظ المرء من حكاية الصمدي وزوجته الافرنجية اذا اعتبرناهما مصدرا يعتمد  
عليه ، أن هذه المرأة أسلمت عن قناعة كما يبدو من قولها : " وهذا سر دينك  
الصحيح ، وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . . . . " (٣)

اللباس :

٥٢

تأثرت المرأة الفرنجية بزي المرأة المسلمة ، وراحت تقلدنا في اتخاذ الحجاب لا  
احتشاما ، وإنما رغبة في التجميل ، وفي محاكاة المرأة المسلمة التي تفوقها حضارة  
فلبست الفرنجيات الحرير والسترات الشرقية الموشاة بخيوط الذهب والفضة ،  
ومن ذلك وصف الصماد لصاحبة الكرك التي اتخذت الحجاب فيقول : وخرجت  
محفرة خذا شأنه التصمر ، مسفرة عن وجه من عادته التخدر . . . . " (٤)  
ويقول ابن جبير في وصف عروس : تسحب أذيال الحرير المذهب سحبا على  
الهيئة المصهودة من لباسهم ، وعلى رأسها عصاية ذهب قد حفت بشبكة ذهب  
منسوجة . . . . ووراءها أكفؤها ونظراؤها من النصرانيات (الفرنجيات) يتهادين  
في أنفس الملبس، ويرقلن في أرقل الحلى . . . . (٥)

وقد لبس الرجال اللباس العربي ، وهو القبا والشربوش ، فقد أرسل الكندي إلى  
صلاح الدين يقول : أنت تعلم أن لباس القبا والشربوش عندنا عيب ، وأنا ألبسهما  
منك محبة لك ، فأنفذ إليه السلطان خلعة . . . فلبسها بمكا " (٦) .  
ولنا أن نستند في تصديق ذلك على ما يذكره ستيفن رنسيطان عن ملابس الرجال  
والنساء فيقول : يرتدى الفارس في عدته وسلاحه برنسا من الحرير ويتخذ عمامة ،  
وعند القتال يرتدى فوق درعه سترة من الكتان لوقاية الزرد من حرارة الشمس كما  
يجعل خوذه كوفيه على نحو ما يفضل العرب . أما السيدات فأتھمن الزى  
الشرقي التقليدي فيما اتخذنه من قميص طويل وسترة قصيرة أو رداء بكسسين ،  
وكلها موشاة بخيوط الذهب وأحيانا بالجواهر ، فاذا خرجن من بيوتهن اتخذن  
الحجاب شأن النساء المسلمات ، لا من قبيل الاحتشام ، بل لوقاية الطلاء الذي  
غلى وجوههن " (٧)

- |     |                           |     |                                 |
|-----|---------------------------|-----|---------------------------------|
| (١) | الروضتين ٨٠/٢ وانظر ١٦٥/٢ | (٢) | الفتح القسي ٤٩٣ وانظر ٤٤٠ و ٤٦١ |
| (٣) | ألك ليلة وليلة ٤/٢        | (٤) | الفتح القسي ٢٠٥ وانظر ٢٠٦       |
| (٥) | رحلة ابن جبير ٢٧٨         | (٦) | الكامل ٢٩/١٢                    |
| (٧) | الحروب الصليبية ٥٠٩/٢     |     |                                 |

روى أسامة عن أحد الفرنج الذين بأنطاكية أنه " أحضر مائدة حسنة ، وطعاما نبي غاية النظافة والجودة ، ورأيت متوقفا عن الأكل فقال : كل ، طيب النفس ، فأنا ما أكل من طعام الفرنج ، ولي طبياغات صغريات ، ما أكل إلا من طبيخهم ، ولا يدخل ذاري لحم خنزير " (١)

اتخاذ الموسيقى العربية وسيلة للترفيه :

وقد استعملت في الثناء والأفراح ، ومن ذلك ما جاء في ديوان ابن القيسراني من أن جارية من مولدات انطاكية تثنى بالدف وتستميل قلوب المسلمين بقولها :

علقت بحبل من حبال محصد أفتبه من طارقي الخدثان (٢)

وهناك أداة أخرى غير الدف ، وهي السود استعملها الفرنج ، يقول ابن القيسراني :

إذا بدا أذنت له خندق وإن شدا ملكته أسمنج

يحن أوتار عود هبيد ايقاعها بالنفوس ايقعاج (٣)

ويصف ابن جبير عرسا فرنجيا في صور ، استعملت فيه جميع الآلات اللهوية يقول : " وقد اعتقل لذلك ( المدرس ) جميع النصارى رجالا ونساء ، وأصداقوا سباطين عند باب الخروس المهداة ، والبوقات تشرب والمزامير وجميع الآلات اللهوية ، حتى خرجت تشهادي بين رجلين يسكانها " (٤)

الأبنية والفنادق والقلاع والمصون وأستعان النار ليلا والحمام الهادي نهارا  
لنقل الاخبار (٥)

الأشياء الإدارية ، فقد أعتدوا على المسلمين ، أو من تدرب عندهم لإدارة الديوان

والندار في شؤون القوافل ، يقول ابن جبير " ورئيسها ( ضيعة قرب عكا ) الناظر فيها من المسلمين مقدم من جهة الفرنج " " ويقول " .. وحملنا إلى الديوان وهو خان معد لنزول القافلة ، وأمام بابها مصاطب مفروشة فيها كتاب الديوان من النصارى بمخابر الابنوس المذهبة العلي ، وهم يكتبون بالعربية ، ويتكلمون بها " (١)

(١) الاعتبار ١٤٠ ، وانظر رحلة ابن جبير ٢٢٥

(٢) ديوان ابن القيسراني ورقة ٧٤ (٤) المصدر السابق ورقة ٧٩

(٤) رحلة ابن جبير ٢٧٨

(٥) انظر رحلة ابن جبير ٢٢٥ ، الذبح ٤٨٤ ، مفرج الكروب ٣٠٣/٢ ، وزكبي

النقاش في العلاقات الاجتماعية ١٦٢ ، واحمد عبد الجواد الدوسي : صلاح

الدين الايهي ١٠٧

(٦) انوار العلاقات الاجتماعية ١٥٧



## ثانيا : الحياة الاقتصادية :

حظيت حياة الافرنج الاجتماعية باهتمام أكبر عند الأدباء العرب من الحياة الاقتصادية ، وسبب ذلك يعود الى خياورة النواحي الاجتماعية على بناء المجتمع الاسلامي تبرزت هذه النواحي في الأدب مرتبة بالتميز والاستغراب . وثمة سبب آخر ، هو أن الحياة الاجتماعية ممارسات يوضحة مصروفة ، في حين ان الحياة الاقتصادية قد تغيب ملاحظتها عن غير المهتم بها ، ولذلك جاءت ملاحظاته أدباء العرب عن الحياة الاقتصادية غسيرة وافية ، ومعداتها مرتبطة بالأشياء الظاهرة ، وتنقصها سمة التعمق والاستقصاء .

### موارد الفرنج :

تبين لنا فيما مضى أن الفرنج استمدوا مقومات وجودهم من دول وراء البحار ، وهذا يعني أنهم اعتمدوا في حياتهم الاقتصادية على الامدادات الخارجية ، فكانت كسل حملة تأتي الى المشرق الاسلامي تتخذ الاجراءات تكفل لها الامداد الاقتصادية ، إما عن طريق ما تحمله سفن تابعة للحملة أو عن طريق امدادات متوالية من سفن المدن التجارية كالبندقية وجنوا وبيزا .

ويظهر هذا الامداد في مواقف كثيرة ، فحين غزا الفرنج الاسكندرية رافقهم اسطول يحصل كل ما يحتاجه المسكر ، ومدد ستوا القدس بيد صلاح الدين جاء الجيش الالماني بمدته ومثاده ، وفي حصار عكا جاءت افرنجية متنفذة ، ومصفا ثلاثمائة فارس ، معهم كل ما يحتاجون اليه .

الا انه كان للفرنج مصادر دخل أخرى منها :

### ١ . الضرائب :

وتشمل ما يؤخذ من البلاد الاسلامية التي تغلب عليها الفرنج ، وما يدفعه الافراد من المسلمين للفرنج بسبب بقائهم في بلادهم ، وما تدفعه القوافل لقاء دخولها في الاراضي التي يحتلها الفرنج .

ويقتح من تنوع الضرائب أنها كانت تشكل دخلا كبيرا للفرنج ، فعلى سبيل المثال قرر الفرنج على أهل صيدا نوناً وشرين ألف دينار ، وكذلك على صقلان وصور (١) .

وهذه البلاد لم تكن وحدها التي تدفع الجزاة مثل هذه الضرائب الكبيرة ، كما أن الضرائب النقدية لم تكن الضرائب الوحيدة التي تقدم لهم ، إذ كانوا يأخذون من المسلمين جزاء عينية كذلك ، كما أوضح ابن جبير حين قال : " وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم " (٢) .

(١) انثار ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ١٧١

(٢) رحلة ابن جبير ، ٢٦٠

أما الضريبة التي كانت تدفع على القوافل ومن معها من مسافرين عدا التجار ، فقد كانت على أساس أن يدفع المسافر دينارا وقيراطا ، ويدفع التجار عن الهضائع المشرف في مواضع معينة ، منها حصن تبنين الذي يقول ابن جبير فيه : " موضع تمكين القوافل ، والضريبة فيه دينار وقيراطا . من الدنانير الصورية على الرأس ، ولا اعتراض على التجار فيه ، لأنهم يقصدون موضع الطلك الملعون ، وهو محل التشهير والضريبة فيه قيراط من الدينار " (١) .

وقد فرض الفرنج ، في عصر قوتهم وسيادتهم ، على المناطق التي يسكنها المسلمون ضريبة على الانتاج ، مقدارها نصف الثلثة ، مقابل السماح لهم بمزاولة أعمالهم بسلام ، وقد لاحظنا ذلك الرحالة ابن جبير ، حين اجتاز بطحاء بانيا من وتبنين فيقول في بطحاء بانيا من الفرنج " يتشاطرون الثلثة على السواء ، ومواشيهم مختلطة ، ولا حيف يجرى بينهم " (٢) ، ويقول في الثانية : " سكانها ( وهم من المسلمين ) مع الفرنج على حالة ترفيه - نعوذ بالله من الفتنة - وذلك أنهم يؤدون لهم نصف الثلثة ، عند أوان ضمها ، وجزية على كل رأس دينار وخمسة قراريط . ولهم على الشجر ضريبة خفيفة يؤدونها ، وكل ما بأيدي المسلمين على هذه السبيل " (٣) .

ثم فرضوا على المناطق الزراعية البعيدة عنهم فضلا عن القرية ضريبة المشاطرة بسبب موافقها ، فيذكر ابن شداد أن طبرية شاطرت المناطق القريبة منها ، بل التي تبعد عنها ما يقارب مائة كيلومتر غلاتها الزراعية ، وهذا يؤكده ما ذكره ابن جبير سابقا ، ويقول ابن شداد : " وكانت طبرية في عهد الفرنج تقاسم نصف فصل البلاد من الصلت والبلقاء وجبل عوف والحياينة والسواد ، وتناصف الجولان وما بقربها إلى بلد حوران (٤) . وقد توقف هذا المصين حين رجحت الكفة الإسلامية .

#### التجارة :

ارتبطت الحركة الصليبية منذ توجهها إلى المشرق الإسلامي ، بالمدن التجارية الإيطالية ، وكان لهذا الأمر آثار خطيرة على الحركة الصليبية نفسها ، فقد غيرت اتجاه حملة كان من المقرر أن تتوجه إلى مصر باعتبارها العامل المهم في هزيمة الفرنج في حطين ، ولكن العلاقات التجارية بين هذه المدن ومصر كانت طيبة ، فأقنع التجار الفرنج بأن يهاجموا القسطنطينية التي تخلت عن الفرنج في بعض معاركهم في مصر والشام ، ولكن الحملة فشلت ، وبدل هذا على تأثير المدن التجارية في سير الحملات الصليبية .

- |     |                   |     |                   |
|-----|-------------------|-----|-------------------|
| (١) | رحلة ابن جبير ٢٢٤ | (٢) | المصدر السابق ٢٢٣ |
| (٣) | المصدر السابق ٢٢٥ | (٤) | الروشتين ٢٩٧      |

على أن الصليبيين ومن خلفهم من الأوروبيين اتخذوا بعض المدن التجارية في الساحل الشامي مركزا لهم للبيع والشراء . ومن المدن التي اتخذوها لهذه الغاية مدينة عكا التي كانت محط القوافل وملتقى التجار من المسلمين والفرنج . يقول ابن جبير فيها : " قاعدة مدن الفرنج بالشام ومحط الجوارى ، وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الافاق ، سكنها وشولرهما شخص بالزحام وتشتهق فيها مواطنون الاقدام (١) ومثلها مدينة صور (٢) .

ولم تكن عكا أو غيرها لتفص بالزحام لولا كثرة التجار ، فقد اجتمعوا بيها من جميع الافاق ، وتوضيح ذلك ، أن القوافل كانت تختلف من مصر الى دمشق ، ومنها الى بلاد الفرنج ، كل ذلك دون انقطاع (٣) وكذلك كان تجار الفرنج يدخلون البلاد الاسلامية ، لا يمنع أحد منهم ولا يعترض (٤) حتى في أوقات المعارك ، وهذا ما يتضح من حكاية الصميدى وزوجته الفرنجية ، حيث ذهب الى عكا لبيع الكتان فيها وهي مع الفرنج (٥) ويتضح كذلك ، اذا أخذنا بالرواية ، من حكاية مريم الزنارية أن الفرنج دخلوا الاسكندرية ، واشتروا ما يريدون ، ثم عادوا الى بلادهم ومعهم مريم الزنارية الفرنجية (٥) .

وفي عهد بيبرس عقدت هدنة بينه وبين بيت الاستيوار ، نصت على أن يكون التجار والسفار المترددون من جميع الجهات المذكورة آمينين من الجهتين (٦) . ويظهر من النص الاخير أن التجار تميزوا بمعاملة خاصة من كلا الطرفين ، منذ وقت بكر ، إذ يروى أسامة بن منقذ أنه اجتاز سوق عكا ، واذا امرأة فرنجية ، تعلقت به ظنا منها أنه قاتل أخيها ، فأجتمع عليه رجال الفرنج ، ولم يتخلص من أسامة منهم الا حين جاء أحدهم وقال : هذا رجل برجاسي (أي تاجر) لا يقاتل ولا يحضر القتال ، ففترقوا عنه (٧) .

وقد عين الفرنج نقاطا للحراسة على مداخل البلد التي تمر منها القافلة ، ونقاطا أخرى داخل المدينة ، وسبب هذه العراسة فحص المواد المنقولة ومعرفة أصحاب السلع من غيرهم منعا للسرقات ، وكان يتم ذلك كله بالمعاملة الحسنة . يقول ابن جبير : " وطلب رجل من لا سلحة له لثالا يحتوي على سلعة مخبوءة فيه ، وأطاع سبيله حيث شاء ، وكل ذلك برفق وتؤدة ، دون تعنيف ولا حمل " (٨) .

- |     |  |     |                   |
|-----|--|-----|-------------------|
| (١) | رحلة ابن جبير ٢٧٦  | (٢) | المصدر السابق ٢٧٧ |
| (٣) | المصدر السابق ٢٦٠  |     |                   |
| (٤) | ألف ليلة وليلة ٤/٧ وأنظر الكامل ٥٣٩/١١                             |     |                   |
| (٥) | المصدر السابق ١٩٩/٦  |     |                   |
| (٦) | صبح الاعشى ٣٧/١٤ ، وأنظر محمد زغلول سالم / ضياء الدين بن الاثير ١٥ |     |                   |
| (٧) | الاعتبار ١٤٠   | (٨) | رحلة ابن جبير ٢٧٦ |

أما ان حدثت سرقة أو اخيذة ، فتفرم الجهة التي سرقت عندها ، أو تحلف  
اليمن ، وقد جاء ذلك في الهدنة التي عقدت بين بيبرس وبين بيت الاستيوار  
اذ نصت على أنه ان تعدى أحد من أصحابه ( الاستيوار ) بأذية ، أو تعدى  
أحد من الفرنجة في بلاده بأذية ، كانت المهلة في ذلك خمسة عشر يوما ، فان  
تكشفت الاخيذة ، أعيدت ، والا تحلف الجهة المدعى عليها أنها ما علمت وما  
أحست . . . . ( ١ )

ويبدو أن التجار اتخذوا زيا خاصا بهم . ففي زمن الصالح أيوب تحرك ملك  
فرنسا يريد مصر ، فعلم ملك صقلية بذلك ، فأرسل ابنه يخبر الصالح بحزم  
لويس التاسع على قصد مصر ، وكان ذهابه الى مصر في زى تاجر خوفا من الفرنج  
أن يعملوا مبالاة الانبرطور للمسلمين . . . . ( ٢ ) ، هذا ، وقد وردت اشارات  
عابرة عن المواد التي تاجر بها الفرنج ، وأهمها الفضة والاشياء الأثرية ، فقد  
ظفر المسلمون بمراكب لتجار المدو في حصار عكا ، يحمل معها فضة مصوغة  
وغير مصوغة . . . ( ٣ ) ، وأما الاشياء الأثرية ، فقد أخذوها من القدس ، وأعوها  
في صقلية ( ٤ ) .

أما التجارة الداخلية ، فقد كانت تتعلق بحاجات الجيش من ميرة وسلاح ، كما  
حدث مع ملك الألمان الذي فنيت أقوات جيشه وأسلحتهم بسبب ما لاقوه من مصاعب  
وقتال في طريقهم الطويل . فاتفق مع ملك التركمان أن يتزود عسكره من أسواق  
السلاجقة . . . ليعرضوا ما فقدوه ، يقول السواد : وأقالهم الاسواق ، وعرض  
عليهم الأمتعة والاعلاق ، فساروا في رفعة ورفق ، وتقوبلا ثوق . . . ( ٥ )  
وكان أرنطاي حصن حصنه في الكرك بما يشتره من سوق المسكر ( ٦ ) ، هذا ،  
وقد استعمل الفرنج العملة الذهبية للبيع والشراء ، وكانت الوحدة المستعملة  
التي تحدث عنها الادب ، هي الدينار السوري ، والدينار أربعة وعشرون قيراطا ( ٧ )  
ويصف القلقشندي الدينار السوري فيقول : " دنانير يوتى بها من البلاد الفرنجية  
والروم ، وهي معلومة الوزن ، على أحد وجهيها صورة الملك الذي تضرب في زمنه ،  
وعلى الوجه الاخر صورتا بطرس وولس الحواريين ( ٨ ) .  
ومن الأدلة التي تثبت استعمالهم للدنانير السورية ، ما ذكره ابن جبير عن التمكين  
حيث يقول : " والتمكين بالدنانير السورية " ( ٩ ) ، وما جاء في مضمار الحقائق من أن  
ابن بارازان الفرنجي بذل في نفسه مائة وخمسين ألف دينار . . وابن القومسياسة  
افتكته أمه بخمسة وخمسين ألف دينار سورية ( ١٠ ) .

- |        |   |                         |
|--------|---|-------------------------|
| ( ١ )  | صبح الاعشى ٣٤/١٤ وأنار ٣٨ ( ٢ )                       | مفرج الكروب ٢٤٧/٤       |
| ( ٢ )  | الروختين ١٨١/٢ ( ٤ )                                  | الفتح القسي ١٤٦ ( ٥ )   |
| ( ٦ )  | مفرج الكروب ٢٨٣/٢ ( ٧ )                               | رحلة ابن جبير ٤٧٤ ( ٨ ) |
| ( ٩ )  | رحلتا ابن جبير ٢٧٤                                    |                         |
| ( ١٠ ) | مضمار الحقائق ١٧ ، والكامل ٤٥٦/١١ ، وصبح الاعشى ٣٤/١٤ |                         |

أشار الأدباء إلى بعض مزرعات الصليبيين في معرض حديثهم عن سيطرة المسلمين عليهم وتدبير زرعهم ، وقطف ثمار أشجارهم ، وهم لا يستطيعون دفعها ولا صدأه يقول صاحب مزار الحقائق في نزول صلاح الدين سنة ٥٧٨ على الكرك : " ووجد فيها جمعا عظيما من الفرنج ، فنزل قريبا منهم ، فأخذ لناهم وضائقناهم ، حتى لا ذوا بالجدار ، فاستولينا عليهم ، فقطعنا أشجارهم ورعيينا زرعهم ، وجعلنا نشتن الثارات عليهم مدة عشرة أيام " (١) . وكتب محيي الدين بن عبد الظاهر إلى ملك الفرنج في طرابلس وأنطاكية : " قد علم القوم كيف فارقنا بلادك ، ومسا بقيت فيها ماشية إلا لدينا ماشية ، ولا زرع إلا وهو محصود ، ولا موجود إلا وهو منك مفقود . . . " (٢) ويقول سبط بن التماوندي :

جهوشهم بالرعب مخلولة وزرعهم بالسيف محصود (٣)

ولكن المزارعين - مع هذا - أعطوا حرية التثقل لتصرف منتوجاتهم ، ولصالحهم نالوا هذه الميزة لأنهم اشتركوا مع التجار في النشاط الاقتصادي ، بل أصبحت حرية التثقل اتفاقا محولا به زمن الظاهر بيبرس ، فقد نصت المهدنة التي عقدها مع بيت الاستجار على " أن يكون فلاحو بيت الاستجار راثحين وغادين ومصرفين في بيهم وشراثمهم لا يتعدى عليهم أحد ، وكذلك جميع فلاحو بلاد الاسماعيلية (٤)

#### الحيوانات :

وقد اعتمد الفرنج عليها في غذائهم وتثقلهم ، فكانوا يستوردونها من الشرب أو يشترونها من المنطقة ، ثم يحافظون عليها ، ويقدمون لها ما تحتاجه من أعلاف وقد ورد ذكر الأدب للحيوانات في مجال سيطرة المسلمين على الفرنج . يقول صاحب مزار الحقائق عن صلاح الدين : " وساق أغنامهم وأبقارهم ، وخسرب عليهم بل أحرقت ديارهم " (٥) . ويقول العماد : " وانتهى اليها أن الفرنج ينتشرون في الأرض وينبسطون في موضع القبض ، ولا يحتفظون في الرفق والخفض ويحتطبون ولا يحتاطون ، ويحتشون ولا يخبثون " (٦)

وقد اعتمد الفرنج على الأسماك مصدر آخر من مصادر الغذاء ، ولكن قوة المسلمين المتصاعدة جعلت الفرنج يقدمون نصف إنتاجها إليهم ، كما نصت على ذلك لسمك الاتفاقية التي عقدت بين الطرفين سنة ٦٦٥ هـ وقد جاء فيها " وتكون مصيصة السمك الرومية مهما تحصل منها يكون النصف منها للملك الظاهر بيبرس والنصف الثاني لبيت الاستجار . . . " (٧)

- |     |                         |     |   |
|-----|-------------------------|-----|---|
| (١) | مزار الحقائق ٩٢         | (٢) | صبح الاعشى ٢٤٦/٨                                  |
| (٣) | ديوان ابن التماوندي ١١١ | (٤) | صبح الاعشى ٣٥/١٤                                  |
| (٥) | مزار الحقائق ٣٣         | (٦) | الفتح القسي ٦٩٣ وأنظر النوادر ٢٠٠ والروضتين ١٤١/٢ |
| (٧) | صبح الاعشى ٣٣/١٤        |     |   |

هذا • وقد ذكر الأدب بعض صناعاتهم • وهي صناعة حربية كصناعة الأبراج والأسلحة الخفيفة • وقد سبقت الإشارة الى ذلك •

ويلاحظ ما مضى أن دخل الفرد الفرنسي في بداية الحروب الصليبية كان عاليا لتتبع مصادر الدخل • مما جعل أحد امرائهم يوضح فرسانه لضعفهم أمام المسلمين • مع أن دخل الفرنسي يعادل دخل مائة مسلم • قال لهم : " انتم فرساني • وكل واحد منكم له ديوان مثل ديوان مائة مسلم • وهو لا • سرجنند (Sergeant) (يعني رجالة) ما تتدرون تقلمونهم من موضعهم ؟ •••• " (١) •

ولكن هذا الدخل تناقص تدريجا • بل حدثت أزمات اقتصادية خانقة فيما بعد • بسبب تدهور الاحوال السياسية • إذ انحصر ملك الفرنج في صور وأنطاكية • فاجتصم الفرنج كلهم في هذه المناطق • وماعوا ما لا يمكنهم حمله بأرضهم • كما قضى بذلك الاتفاق (٢) • ثم قدمت الجيوش الفرنجية بأعداد هائلة عن طريق القسطنطينية • وحين وصلوا انطاكية استهلكوا بضاعتها • فارتفعت الاسعار ارتفاعا فاحشا حتى بلغ سعر غرارة القمح اثني عشر ديناراً • يقول الحماد : " وكانت حينئذ انطاكية قد أسمر غلتها غملاً • سحر الخلة • وقل ساكنوها لما كانوا فيه من القلة • والغرارة تساوي اثني عشر ديناراً • والقوم قد شاربوا فيها تبارا ووارا " (٣) • بل ان ابن شداد يذكر أن سعر الغرارة يبلغ ستا وتسعين ديناراً صورية (٤) •

وأما في عكا حيث اجتمعت الجيوش الصليبية • فقد ازدادت الاسعار أكثر مما كانت عليه في انطاكية • إذ بلغ ثمن الغرارة أكثر من مائة دينار • يقول الحماد : " وكان ثمن الغرارة من الفلة قد بلغت أكثر من مائة دينار • والسعر من الزيادة لديهم في استعمار (٥) • بسبب هذا الغلاء التجأت جماعة منهم الى المسلمين • وماتت جماعات يقدرها ابن شداد بحياة وميتين يوماً (٦) • ويصور الحماد حالتهم تلك فيقول : " وظلت الاسعار عند الفرنج • واستعرت الخلل • وأعلمهم ما عراهم • ورتهم الملل • ماءً وبالهاء • ولوا من الهسلاء • وظلوا من النلاء • وتنبهوا من الضراء • وشقوا رءسهم استمرار الشقاء • وعمت المجاعة الجماعة • وعدموا الطاعة والاستماع • ووزاد جوعهم • وزال هجوعهم • وقصرت عن الفرار بوعهم • وأصلت بوعهم • واستحال رتوعهم • وبعث الرهب على الهرب • أو القحط • على الشحط • لكنهم أقاموا على الموت • واستنابوا الى القوت • ولوا بأموهم صعبة • وهرب الينا منهم عصابة بعد عصابة " (٧) • ولم تكن حالهم من بيبرس وقادوون والاشرف بأحسن مما كانت زمن صلاح الدين • بل ان حالتهم ازدادت سوءاً • لانهم زمن صلاح الدين وجدوا الحماس الأوربي يمددهم بما يحتاجونه من ميرة وأموال وسلاح • ولكن هذا الحماس تضائل زمن بيبرس حتى قضى عليهم نهائياً زمن الاشرف • ولهمتم لهم بعد ذلك قائمة •

- |     |                       |     |                 |                 |                 |
|-----|-----------------------|-----|-----------------|-----------------|-----------------|
| (١) | الاعتبار ٦٧           | (٢) | الكامل ٥٥٣/١١   | (٣)             | الفتح القسي ٢٥٩ |
| (٤) | النوادر السلطانية ١٤٦ | (٥) | الفتح القسي ٤٤  | والروضتين ١٦٥/٢ | والكامل ٥٤/١٢   |
| (٦) | النوادر السلطانية ١٥٤ | (٧) | الفتح القسي ٤٣٩ |                 |                 |

أقام الصليبيون كياناتهم السياسي في المشرق الاسلامي على شكل امارات منفصلة ، هي الرعا وانطاكية والقدس وطرابلس ، وتشكل منها الاطار العام للحكم السياسي ، اذ كان الادياء يبرزون الفرنج كلامتاسكا ، في بداية تأسيس تلك الامارات ، وربما خلط بعضهم بين الروم والفرنج ، ثم اتضحت الرومية تدريجا ، وصار الادياء ينسبون الفرنج الى مناطق وجودهم ، فيقولون فرنج انداكية ، وفرنج الرها ، وهكذا ، ولكنهم مع هذا نظروا الى امارة القدس نظارة خاصة ، لانهم أدركوا أن من اسباب الحروب الصليبية ، العامل الديني ، يضاف الى ذلك توجه كثير من الفرنج الى القدس للحج ، وتوسع الفرنج الذين فيها فسي أرض الشام ومصر .

ولكن هذه الامارات ، وعلى رأسها القدس ، لم تتركز على أساس متين ، فهي كانت قائمة على أساس الاتكاء على قوة الغرب الاوربي ، مع أنهم جهدوا في بناء كيان سياسي منفصل عن الغرب ، ومقبول في المشرق الاسلامي ، فمضوا من أجل ذلك على التوسيع السريع لتكون البقعة الجغرافية صالحة لاقامة كيان مكثف متكامل ، يدر أنتاجا. يضمن لهم الاستثناء عن الجهات الاخرى ، كما أن الفرنج حاولوا الاستفادة من الاوضاع الداخلية للبلاد الاسلامية ، فتوسعوا في الارض الاسلامية ، وأمدوا أعداء الامة ، ولكن مسيرة الوحدة والجهاد كانت أسرع من عملياتهم ، فأوتت نتائجها ، ولا شهت تحولت فيما بعد الى مرحلة الهجوم ، مما اضار الفرنج الى الداهية بوقف القتال على أن يعترف المسلمون بهم بوصفهم جيونا لهم . وراسلوا صلاح الدين في ذلك مرات ومرات (١) ، كما راسلوا قطز وسيفر ، وقلاوون وغيرهم (٢) وكان جوابهم أن الارض ليست لهم ، ولكنها للمسلمين ، فلا يستطيعون المفاوضات عليها ، حتى اكتملت التهيئة النفسية والعسكرية عند المسلمين ، مما مكثهم في النهاية من اجتثاث الفخاة من المشرق الاسلامي .

ولقد كان للتكوين الاجتماعي في المجتمع الصليبي أثر في نظمهم السياسية ، فهم من طبقات شتى وأجناس مختلفة ، جمعتهم المصالح الخارجية والاستثارة الدينية ، فجاءوا معا من أجل أن يقاتلوا وينشوا كيانا لهم في المشرق ، فجاء هذا الكيان صورة عن الانظمة السياسية الغربية ، وانتخبوا في القدس ملكا على الطريقة الغربية .

وقد اتخذ ملك الفرنج القدس عاصمة لهم منذ احتلالهم لها والى حين استعادة المسلمين لها سنة ٥٨٣ هـ ، ثم اتخذوا عكا قاعدة لهم ، وقد تبصمهم في ذلك أمراء الضائق التابعة للقدس ، وتبع الامراء الفرسان والفلاحون وبذا كان النظام المتبع نظاما اقطاعيا ، يكون الملك بموجبه على رأس الحكومة (٣) ، وهو الذي يصدر القوانين والتشريعات

- 
- (١) انظر الروضتين ١/٦٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١١٩ ، ١٩٣ ، ٢٠٣ ، والحركة الصليبية ٤٦٥
- (٢) انظر النجوم الزاهرة ٦/٣٦٧ ونهاية الارب ٥/١٥٣
- (٣) الحروب الصليبية ٢/٤٨٠

بمساعدة مجلس الفرسان والقساوسة . . . وبدل على ذلك ما فعله الملك فولك حين سرقه  
 الداوية أغنام المسلمين ، فأمر الملك أن تعقد محكمة من الفرسان ، وأصدر حكم التنفيذ بمسد  
 المشاورة بالشرامة (١) ، دون الرجوع إلى سلطات أخرى .

ولكن الملك لم يكن دكتاتوريا ، يتفرد بإصدار القرارات أو التشريعات ، وإنما كان  
 يعالِب عقد مجلس شعوري ، وله حق التصادق على القرار . وأما تشكيل المجلس ، فقد كان يختلف  
 من موطن إلى آخر ، وقد كان أعضاؤه إما من الفرسان أو القسوس أو ضمها معا ، وقد يكون من  
 الأمراء . وعدد الأعضاء قد يزيد عن الثلاثة ليصل إلى عشرة ، ومن ذلك أن ( مري ) جمع  
 أمراءه واستشارهم بعد الذهاب إلى مصر لأنه يتيح المجال لنور الدين " يتفقد فهمها لان  
 أهلها يميلون إليه دون الفرنج (٢) .

وعينها جمع صلاح الدين ، اجتمع أمراء الفرنج ، وأشار ملك دارابلس بمدم  
 التمرض له ، ولكنهم رفضوا اقتراحه وكان بينهم خلاف فاصطالحوا " وتأمروا فيما بينهم  
 وتشاوروا " (٣) ، ويقول ابن شداد في قصة الفرنج إلى القدر بعد سقوط عكا سنة  
 ٥٨٢ هـ : " وانهم قد نصوا على عشرة أنفس منهم وحكمهم ، فأبى شي ، أشاروا به  
 لا يخالفونهم (٤) . . . " ويقول : " فأنفصل الحال على أنهم حكموا ثلاثمائة من أعيانهم ،  
 وحكم الثلاثمائة اثني عشر منهم ، وحكم الاثنا عشر ثلاثة منهم ، وقد باتوا على حكم الثلاثة ،  
 فما يأمرؤنهم به يفعل " (٥) .

ومع أن الملك مصدر السلطات القضائية والتشريع ، إلا أن حكم الفرسان نهائي ولا  
 يردده الملك ، وهذا ما يفهم من تعقيب أسامة على الحادثة السابقة : " وهذا الحكم بمسد  
 أن تعقده الفرسان ما يقدر الملك ولا أحد من مقدمي الا فرنج يغيره أو ينقضه " (٦) ويؤكد  
 ذلك ما ذكره ابن شداد من أن القسوس رفضوا بذبح أحد الجناة فتشرف بعضهم لدى الملك  
 فلم يلتفت إلى ذلك وذبحه (٧) .

تقدير الحكم :

نذار الصليبيون إلى ملوكهم وأمراءهم نظرة تقدير واعجاب لما كانوا يتميزون به من  
 فروسيته وتضحية ، ولما كانوا يبدلون من أموال ، لا سيما أنهم الاقوياء الكبار . يقول ابن  
 جبیر في صاحب دارابلس وطبرية : " وهو ذو قدر ومغزلة عندهم ، وهو الموهل للملك ،  
 والمرشح له ، وهو موصوف بالدهاء والحكر " (٨) ، ويصف ابن شداد نظرتهم لملك فرنسا  
 فيقول : وكان عظيمًا عندهم قدما محترما ، من كبار ملوكهم ينقاد إليه الموجودون فسي  
 المسكر بأسرهم ، بحيث إذا حضر حكم على علي الجعفي . . . " (٩) ويقول العماد : وما زال

- |     |                         |     |   |
|-----|-------------------------|-----|---|
| (١) | الاعتبار ٦٤             | (٢) | الكامل ٣٣٥/١١-٣٣٦                             |
| (٣) | الفتح القسي ٦٥ وانظر ٦٦ | (٥) | المصدر السابق ٥٣٤/١١ ، من تاريخ الحرب المقدسة |
| (٤) | النوادر السلطانية ١٢    | (٧) | النوادر ١٢٦                                   |
| (٦) | الاعتبار ٣٥             | (٩) | النوادر السلطانية ١٥٦-١٥٧ وانظر ١٣٤           |
| (٨) | رحلة ابن جبیر ٢٨٢       |     |   |



الفرنج في وهن وضعف ، وتوزن وخلف ، حتى وصل في البحر كند يقال له هري ، ونمو عندهم  
عظيم القدر ، فيكمل بمن وصل معه نقصهم ، وأحيا بعد موت نفوسهم حرصهم ، وأفاض عليهم  
الاموال ، وحلى نهبهم عائلها الاحوال . . . . " (١) .

ومن مذاهر تقديرهم للحاكم هذا لهم ارواحهم دونه ، ففي معركة حطين نصبوا لملكهم  
خيمة ، على ثل بناحية حطين ، وأحاط به نحو من مائة وخمسين فارسا من الفرسان المشهورين  
والشجمان المذكورين . . . . " (٢) ويقول الحطاب في آخر : " وقاتل دونه جماعة من المقدمين  
فما قتل حتى قتلوا ، ولا بذل روحه حتى بذلوا . . . . " (٣) .

أما إن قتل أو أسر أو انهزم ، فإن ذلك يفت في أعقادهم ، ويشير حزنهم ، فحين  
أسر جوسلين " أصيبت النصرانية كافة بأسره ، وعظمت المصيبة عليهم بفقده ، وخلت بلادهم من  
حاميتها ، وشفورهم من حافظها ، وسهل أمرهم على المسلمين من بعده " (٤) . وحين قتل  
الكند هري " أكثر الفرنج عليهم التحويل عويلا ، وياتوا يندبونهم نوحا ، ويذيعون سر تقدمه  
بوحا . . . . " (٥) وحين انهزم ملك طرابلس في معركة عطين قبل انتهاها " سقط في أيديهم  
وكادوا يستلمون " (٦) .

ولكن تقديرهم للحاكم ، وطاعتهم لم يكونا مطلقين بلا حدود ، ودون اعتبار للمصلحة  
العامة ، فحين أسر ابن صاحبة الكرك اشترط عليها صلاح الدين أن تسلمه الحصن مقابل اخلاء  
سبيل ابنها ، فصادت الى سكان الحصن وتوسلت اليه بأن يرحلوا عن الحصن لتسلمه الى صلاح  
الدين ، فكان موقفهم قاسيا معها ، لأنها تجاوزت ما اعتبروه مصلحةهم العامة ، وخرجت عن  
المصهود في البذل والتضحية ، ولذا لكصونها ونسبها الى موافقة الاسلام . يقول الحطاب : " فلما  
وصلت قاطعوها ، ودافسوها عن حصونها ومانعوها ، وأغلقتوا ذاتها وغالفتوها ، حيث ما ألقوها  
كما ألقوها ، وجنحوا وجمحوا ، واحتبروا عليها واجترحوا ، وعصوها وأقصوها ، وعددوا عليها  
الذنوب وأحصوها ، وأنحشوا لها في غدا الخراب ، وأوحشوها بالتلخي عن صوب الصواب ،  
وسبموها وسبوا ، والى موافقة الاسلام نسبوا " (٧) \* .

- 
- (١) الفتح القسي ٤١٣  
(٢) الكامل ٥٣٦/١١ ، وأنظر الروضتين ٨٧/٢ ، ١٩٢  
(٣) الروضتين ١٩١/٢  
(٤) الروضتين ١٨٣/١/١  
(٥) الفتح القسي ٤١٥  
(٦) الكامل ٥٣٥/١١  
(٧) الفتح القسي ٢٠٧  
\* للمزيد من الأمثلة عن تقدير الحكام، أنظر النتج ١١٠ ، الروضتين ١٦١/٢  
مذكرا عجوانفيل ١٩٠ ، ٢٤٥ ، ٢٥٤

لاحظ الادباء بعض مظاهر الحياة السياسية ، ومنها الحكم ، وقرروا أنه كان حكماً وراثياً ، لا فرق فيمن يتولاه بين ذكر وأنثى ، وهم في هذا ينطلقون من النظام الاقطاعي ، فقد ولوا أمرهم ولداً مجذوماً ، وما كانوا ليولوه لولا النظام الوراثي ، يقول العماد : " لما هلك الملك أماري (سنة ٥٦٩) خلف ولداً مجذوماً ، وكان مع اللجوء معدوماً ، قد أخذ داوود ، وأخير شفاوود ، وسقطت أعناوود ، وطلال باذوود ، فوضع الفرنج التساج على رأسه ، وتمسكوا من أمراضه بأمراسه ٠٠٠ " (١) .

وما داموا قد ولوا أمرهم ولداً مريضاً فلا غرو أن يولوا أمرهم امرأة ، وقد أجاز قانونهم ذلك ، ومارسوه فعلياً بشكل لافت للنظر ، يقول العماد : وعادتهم أنه اذا مات ملك ينتقل ملكه الى ولده ، وسواء في هذا الميراث ، بين الذكور والاناث ، ويكون الملك بعد الابن ، اذا لم يخلف ابناً ، للكبرى ، فان توفيت من غير عقب ، كانت للصغرى " (٢) وجاء في الروضتين أن صاحب اندالكية خلف ابناً بعد مقتله ، فتزوجت أمه ببرنر ، آخر ليدبر الجيش حتى يكبر بوهند الثالث (٣) .

وقد أحصى أحد الدارسين البيوت التي انتقل عن طريقها الملك ، فذكر أنه عندما تزوج فولك ميليند انتقل العرش الى بيت أنجو (١١٣١-١١٨٦) ثم انتقل العرش بزواج ايزابيلا للمرة الثالثة الى بيت مونفرات (١١٩٠-١١٩٢) ودي شامبان (١١٩٢-١١٩٧) ثم عاد العرش الى بيت لوزيجنان (١١٩٧-١٢٠٥) ثم انتقل بعد ذلك الى بيت بيسن (١٢٠٥-١٢٢٥) ثم أخذ ينتقل العرش بواسطة الاناث الى أن استقر في عام ١٢٦٩ في بيت لوزيجنان (٤) .

وقد كان هذا ماثراً انتقاد الامبراطور فردريك الذي تأثر بالثقافة الاسلامية فيسرى ابن واصل أن الامبراطور سأل الامير فخر الدين عن الخليفة ، ما أصله ، فقال : هو ابن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أخذ الغلافة عن أبيه وأخذها أبوه عن أبيه ٠٠٠ وهكذا ، فقال ما أحسن هذا ، لكن هؤلاء القليلي المقول - يعني الفرنج - يأخذون رجلاً من المنزل ليس بنموين الصبح نسبة ولا سبب ، جاهلاً قد ما يجعلونه خليفة عليهم ؟ (٥)

(١) الفتح القسي ٦٧ ، وأنظر ابن جبير ٢٨٢

(٢) الفتح القسي ٤٩٤

(٣) الروضتين ١٥٢/١/١ - ١٥٣ وادار نسيمان ، الحروب الصليبية ٢/٦٦٨

(٤) عهد الحفيظ محمد علي ، السيادة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين ورقة ٣١

رسالة مستشرق القاهرة ١٩٧٥

(٥) مفرج الكروب ٢٥١/٤

أدى الصراع الى تماسك الصليبيين على اختلاف مشاربهم ، حتى تحققت لهم  
 الانتصارات العظيمة التي أقاموا بها كياناتهم السياسي . ولكن هذا الكيان حمل في طياته  
 بذور فناءه ، ومن هذه البذور ، الحكم الوراثي الاقطاعي ، ومنها وجود عدة أجناس وفرق  
 عرقية . واثمن قدمت هذه الفرق جهداً عظيماً في بناء الكيان السياسي للفرنج ، الا انها  
 أخذت تنقسم على نفسها ، وأصبحت فيما بعد - دولا داخل دولة ، تحمل كل فرقة دون  
 التنسيق مع غيرها مما سهّل القضاء عليها فرقة فرقة (١) .

وقد رصد الادباء بعض الحالات التي وقع الخلاف فيها بين الفرنج أنفسهم ، ومنهم  
 منيون ، إذ عن الخلاف فيها بينهم ، فقد ظهر في أول حملتوصلت الى انطاكية ، اذ كان  
 أميراً مسيحية أمراء ، كل أمير أن تكون المدينة له ، فاشتغلوا (٢) . لكن هذا الخلاف  
 لم يدم طويلاً ، كان قايلاً ، يتلاقى بسرعة ، ولذا لك يقول ابن القلانسي حين اختلفوا وهم على  
 خلاف دمشق : " ونسبت المحاربة وقتل منهم جماعة من غير عادة جارية لهم بذلك (٣) " .

وأما استقرت الأمور ، وامتد الشزوا الى ضاغط واسعة ، وصل الخلاف بهم الى حد  
 ما نتج عنه صاحب دارابلس بصلاح الدين ، ويصف العماد هذا الخلاف بقوله : " وقد كان  
 بينهم خلاف شديد ، ووقع ثأور بين الانصار ، ووقود شرار بين الشرار " (٤)  
 حتى لا يكون له الملك ، يخاف الفرنج على ملكهم منه ، فعملوا على اشهار أنفسهم قبل وصوله  
 الى انطاكية ، وأرسلوا بالاحشاء اليها واليهما بالاحشاء ، قالوا : إنه اذا جاء لا يبقى لنا  
 ملك ، والى صواب أن نشيخ لنا قبل شيخ اسمنا " (٥) ويقول : " وما زال الفرنج في  
 خلاف بعضهم وخلاف " (٦) .

بعد أن احتلوا مكة ، توجهوا الى القدس ، فسبقهم اليها صلاح الدين وحصنها  
 بحرب آبارها القوية منها ، فلما وصلوا المنطقة اختلفوا في الوصول الى القدس . . . (٧)  
 شهفأتمت الامير زمن قاضون وابنه حتى توانت الاخبار بشزوا الفرنج بعضهم بعضا ،  
 وبقيت تسعهم أرضهم ، وأنهم تقاتلوا بالحبوب والملاحم ، وما بقي لهم من راحم " (٨)

- (١) : الفتح النقيسي ١٦١ ، وانظر تشريف الايام والحصور ١٧٧ ، ومذكرات جوانفيل ٢٢٦ / ٢٢٧
- (٢) : زبدة الحلب ١٣٢ / ٢ ، وانظر ص ٦١٥ ، ص ٢٤٧ ، ج ٣ / ٩٣
- (٣) : ذيل تاريخ دمشق ٣٦
- (٤) : الفتح ٦٥ ، وانظر ص ٦٢ ، واكمل (١) / ٥٢٧
- (٥) : الفتح النقيسي ٤٠٣ ، والروضتين ١٦٠ / ٢
- (٦) : الفتح النقيسي ٤١٣
- (٧) : انوار السلاطينية ٦١٧ ، وانظر أحمد بيومي المصري / حياة صلاح الدين ١٧٥ ،  
 وانظر انوار روضتين ١٩٦ / ٢ (٨) تشريف الايام والحصور ٥٨

أما خلافه مع الروم ، فيظهر من رسالة كتبها القاضي الفاضل إلى الديوان  
 ببغداد سنة ٥٧٨ يخبره بكتاب ورد من مصر بأن المسلمين كسبوا بطشة فرنجية كانت قد  
 خرجت من القسطنطينية " لفتنة وقعت بين روما وفرنجها ، فقتل منهم خمسون ألف فرنجي  
 وأفلت منهم بطش منها هذه البطشة ، وفيها رجال أكابر ومقدمون لهذكر سائر (١) .  
 وقد حدث خلاف آخر بين الروم والفرنج حين حاصروا دمياط ، ثم ما لبست  
 أن عاد الروم ، ففشلت الحملة على مصر ، مما قطع العلاقات بينهم .

وذلك أمن صلاح الدين من خطرين من جهة الروم : الأول أنه حالتهم  
 وصرف جهده لمقاومة الفرنج ، والثاني : أنهم كانوا يخبرونه بتحركات الفرنج التي كانت  
 تتلحق من القسطنطينية إلى بلاد الشام (٢) .

ونلاحظ أن هذا الخلاف كان سببا من أسباب نهايتهم في بلاد الشام ، وثمة  
 أسباب سياسية أخرى للخلاف ، منها أن الفرق الكثيرة التي أنشأها الكيان السياسي  
 جعل بعض الفرنج يميل إلى السلم دون اعلام الفرق الأخرى ، مما ساعد على التهميم  
 النفسي لترك القتال ، بينما كان المسلمون يقبلون السلم ، ولكنهم يعدون العدة للجهاد  
 والتخلص من النزاة .

(١) الروضتين ٣٢/٢

(٢) النوادر ١٢٤ - ١٢٦ ، ١٣٢ - ١٣٣

## الباب الثالث

### التقويم الفلكي

الفصل الأول : الشمس

الفصل الثاني : النجوم

موازنة بينهما

## الفصل الأول

### أدب عارف :

يقتصر التقويم الفني للشعر ، على ذلك النوع من الشعر الذي تصدى للأحداث التي جرت خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ، وهذا يعني أن نسلط الأضواء على أدب التزم بالدفاع عن وجود الأمة الإسلامية ، خلال هجمة عاتية عليها ، وهو بذلك يمثل ظاهرة الشعر الجماعي في الأدب العربي على نحو ممتاز ، وذلك لأن الشاعر العربي فسي هذه الفترة ، نفذ من الدائرة الذاتية الضيقة ، إلى الدائرة الإسلامية ، عبر الدائيرة الوطنية ، فهو في مقاومته للمحتلين الصليبيين صوّر ما فعلوه في البلاد المحتلة من قتل وتشريد وتخريب وتدمير ، وناشد كل مسلم أن يهتف للذود عن المحارم ، يقول الأبيوردي :

<p>فأيها بني الإسلام إن وراءكم          أتهوية في ظل أمنٍ ومخاطبة          وإخوانكم بالشام يضحي مقلهم          يسومهم الروم الهوان وأنتكم          وكم من دماء قد أبيحت ومن دمي          بحيث السيوف البيض محمرة الخبي          وبين اختلاس الطعن والضرب وثقة</p>	<p>وقائع يلحقن الذرى بالمناسم          وعيش كنوار الخيلة ناعس          ظهروا الذكوي أو بطون القشاعم          تجزؤون ذيل الخفض فعل الصالسم          توارى حواء حسنها بالعاصم          وسم الصوالي دامية اللهب ما ذم          تظل لها الوالدان شيب القوادم</p>
---	--

إلى أن يقول :

<p>وتفضي على ذل كماء الأعاجم          عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم (١)</p>	<p>أفضي صناديد الأعراب بالاذى          فليتهم أن لم يذودوا حميمة</p>
---	--

ويقول آخر فيما أحدثه الفرنج من مجازر ، مناشدا ذوى البصائر أن يهبوا للتصدي لها :

<p>لداقل في عوارض المشينيب          وعيش المسلمين إذ أيطيب          يدافع عن شبان وشييب          أجيوا الله - ويحكم - أجيوا (٢)</p>	<p>أمور لو تأملهن دافس          أتسى السلطات بكل ثغر          أما لله والإسلام حسق          فقل لذوى البصائر حيث كانوا</p>
---	--

وهفي انتصارهم ، إنما يمثلون انتصار الحق على الباطل ، يقول ابن دنينير في استرداد دمياط سنة ٦١٨ هـ :

<p>نصر المليك قلاوان ولا جحد          والدين مهتمم ، والملك مضطهد</p>	<p>الله أكبر جاء الحق يقدمه          كم موقف لك ليس الله ناسيكسه</p>
---	--

(١) الكامل ٢٨٥/١٠ ، نهاية الأرب ٢٢٦/٥ ، النجوم الزاهرة ١٥١/٥

(٢) النجوم الزاهرة ١٥١/٥

جلوت وجه العلى فيبذى شطاب  
يقول العماد في صلاح الدين :

وبنسيم النصر وانفج الضط (٢)

وهو انتصار الكارم والضايق الحسنة \* يقول ابن القيسراني في عماد الدين زنكي :

نشرت الضائل بعد الخسول  
الأرنا نبه الخامل (٣)

ويقول ابن الدهان في صلاح الدين :

ولولاك مات الفضل هزلا وأصبحت  
رياض الاماني ذابوا عوجلا (٤)

وهو طرد للخزاة عن أرض يملكها أصحابها \* يقول ابن سناء الملك في مدح المزيـ  
عثمان سنة ٥٩٤ :

الشام للإسلام دار القسرار  
وكان في ظلمة ليل دجست

وجاءه بالبر بعد الضنى  
فيا أمان الكفر لا تأمنوا

وكان من قبل طريق القسرار  
فجاء عثمان معاً والنهبكار

وجاءه بالأمن بعد الحسذار  
بذار ما الشام لكفر بدار (٥)

وأخيراً \* هو انتصار التوحيد على من لا يؤمنون بالتوحيد \* يقول ابن سناء الملك في  
صلاح الدين :

أقمت بها التوحيد لله وحده  
وأنسيت فيها الروح والابنا (٦)

تلك أمثلة سريعة نفذ الشاعر من خلالها الى الدائرة الواسعة في مقاومة الخزاة  
للمشرق الاسلامي .

اما التعبير عن روح الجماعة \* فيظهر في اهتمام الشعراء بقضية الامة الصاعدة \*  
والتفافهم حول القادة المسلمين \* لا في منازقة الصراع فقط \* بل حينما كانوا في ديار  
الاسلام (٧) \* اذ راح الشعراء يخفون من أثر الهزيمة حين تقع ويشيخون انبياء  
الانتصار بطريقة مشيرة \* ويشرون بالمزيد منها \* بل \* ويرسمون طريقة الخلاص من

(١) ديوان ابن دنشير ورقة ١٧ (٢) الخريدة \* قسم شعراء مصر ١/٢٩

(٣) الخريدة \* قسم شعراء الشام ١/١٠٩ (٤) ديوان ابن الدهان ص ٤٥

(٥) ديوان ابن سناء الملك ص ٢٨٣ (٦) المصدر السابق ص ٧٥٨

(٧) انظر كتاب د \* عبد الكريم توفيق العمود \* الشعر العربي في العراق من سقوط

السلجقة حتى سقوط بغداد ص ١٣٥ - ١٣٩

الاحتلال الاجنبي ، فيدعون للوحدة والجهاد معا ، ويربطون بينهما وبين النصر .  
وتظهر الروح الجماعية في استعمال الشراء لصير المتكلمين ، ولشعرهم بالقوة  
الجماعية ، يبرزونها دون تفریق بين الافراد ، يقول ابن عنين :

سلوا سهوات الخيل يوم الوقي عثا	اذا جهلت آياتنا والقنا اللدنا
غداة لقينا دون دمياط جحفا	من الروم لا يحصى يقينا ولا ظنا
قد اتفقوا رأيا وعزما وهمة	ودينا ، وان كانوا قد اختلفوا لنا
تداعوا بأنصار السليب ، فأقبلت	جموع كأن الموج كان لهم سقنا
وألمسهم فينا غرور ، فأرقلسوا	الينا سراعا بالجهاد وأرقلسنا
فما برحت صر الرماح تنوشهم	بأرافها حتى استجاروا بنا ضا (١)

ويقول ابن القيسراني حين كسر الفرنج على أبواب دمشق سنة ٥٢٣ هـ ، مصورا خطر الفرنج  
على السكان جميعا ، ودفع صاحب دمشق لهذا الخطر :

حتى اذا ما أحاط المشركون بنا	كالليل يلتمهم الدنيا له ذالهم
وأقبلوا لا من الاقبال في عسدد	يوؤود حاسبه الاعياء والسمام
أجزيت بحرا من الماذي مصتكرا	أواجه بأواصي اليأس تلتطم (٢)

وقد أضفى هذا الشعور الجماعي على الشعر العربي في تلك الفترة قيمة فنية ، تجلت في  
القوة اللفظية والمعنوية ، الناتجة عن الانتماء الجماعي ، وذلك بالإضافة الى القيمة التاريخية  
لما قدمه من تصوير للمجتمع الاسلامي وعلاقاته الداخلية والخارجية مع الفرنج خلال القرنين  
السادس والسابع الهجريين ، كما أعطى صورة جديدة عن الحياة الاجتماعية والسياسية عند  
الطرفين المتصارعين .

وهذه القيم لا تعني أن الشعر أو الادب وثيقة اجتماعية أو سياسية أو تاريخية ،  
وإنما هو فن أو رؤية خاصة للأحداث ، يمكن للدارس من خلالها أن يستخلص استنتاجات  
متعددة ، ويستفيد معلومات قيمة ، وان كانت هذه كلها ملونة بلون شعوري معين ،  
يضيفه مؤلف الشاعر من الأحداث التي يواجهها ويتفاعل معها .

#### شكل القصيدة :

من نافلة القول أن نتحدث عن شكل القصيدة العربية التقليدي : من وتوف على  
الاطلاق أو ذكر المرأة أو ما يتعلق بها من رحيل وكاء ، ومن نافلة القول كذلك أن نحاول  
تفسير هذه الظاهرة ، فقد تصدى لتفسيرها القدماء والمحدثون على السواء (٣) .

(١) ديوان ابن عنين ٢٩ - ٣٠ (٢) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤١

(٣) انظر على سبيل المثال كتاب د . حسين علوان : مقدمة القصيدة العربية



وبالرغم من ثورة بعض الشعراء ، مثل أبي نواس ، بنشار والعتبي ، على المقدمات التقليدية ، إلا أنهم لم يستأيدوا الاستثناء عنها كلية ، وفي هذا العصر ، نجد ثلاثة أشكال لاستهلال القصائد : أولها : البدئ بمقدمات تقليدية ، وثانيها : البدئ بمقدمات غير المقدمات التقليدية ، وثالثها : البدئ دونها مقدمات ، وسنضمحل فيما يلي الحديث عن كل منها ، ثم نتحدث عن أجزاء القصيدة وترتيبها :

أولا : المقدمات التقليدية :

لم يقتصر الشعر العربي خلال العروب الفطرية على وصف العروب فقط ، وإنما قيلت قصائد في سائر أغراض الشعر المعروفة ، وبهذا من هذه القصائد ما تصمدى لوصف الصراع بين المسلمين والفرنج ، أو الشعر العربي بشكلى عام .

ولدى دراسة شعر الحرب ، نجد قصائد معدودات استهلها قائلوها بمقدمات غزلية ، في حين نجد كثيرا من القصائد تدخل في الموضوع مباشرة دون مقدمات ، أو بمقدمات مرتبطة بجو الحرب .

وبما أن القصائد التي تبدأ بمقدمات غزلية قليلة ، فلا بد أن يكون لذلك تفسير ما ، وخير ما نفعل في البحث عن هذا التفسير ، هو أن ندرس جو القصيدة العام والمناسبة التي قيلت فيها ، ولنبدأ هنا بتقصيدة لأسامة بن منقذ أرسلها من مصر إلى محين الدين أنر حاكم دمشق ، بيتى له فيها خفاورة انتياده إلى وزراءه الذين يزينون له القرب من الفرنج ، يقول :

فليتهم حكوا علينا بط علموا	ولوا ، فلما رجونا عدلهم ظلموا
.....	.....
والصبر تنجز عما ندرك الهمم	يا راكبا تقذاح البيداء هممسه
من نازح الدار ، لكن وده أمم *	بلغ أميرى مسين الدين مألكة
حياء والدين والأقدام والكبيرم	وقل له أنت غير الترك فضلك ال
.....	.....
حتى استوت عندك الانوار والثالم	لكن ثقاتك ما زالوا بششمهم
لو أنهم عدوك ، الويل والصندم	باعوك بالبخس يبنون الضنى ولهم ،
وكلمهم و هوى في الرأي متهم .. (١)	والله ما تصحوا لنا استشرتهم

(١) مألكة : رسالة ، أمم : قريبا  
 (١) ديوان أسامة بن منقذ ص ١٤٦

ويشعر من القصيدة أن الشاعر بعيد عن مصين الدين أنتر ، فالأول في مصر والثاني في دمشق ، ولذلك جاء النداء التقليدي " ياراكبا " مرتبطاً مع نص القصيدة وجونا العام ، فهو يدالب من المسافرين إلى دمشق عبر صحراء واسعة أن يبلغ صاحبها أمراً بالغ الخطورة ، وهو نصح حاكم دمشق بأن يعتمد عن أولئك النفعيين الذين يحسنون له التفاوض مع الفرنج ، وقد عبر عن خائفة الخوض وأهميته بعدة أمور منها ، الرحلة من مصر إلى دمشق عبر الصحراء الواسعة ، ثم المسافر الجلد ، والخيول القوية ، ، ومن هنا يحسن القارئ أن المقدمة لها دلالة خاصة ، تستثير القارئ إلى أهمية ما يأتي بعدها ، وهو :

بلغ أميري مصين الدين : مألقة  
هَذَا أَنْفَتَ حَيَاءٍ أَوْ مَحَافِظَةَ  
أَسْلَمَتْنَا وَسَيُوفَ الْبَهْدِ مَخْمُودَةً  
من نازح الدار ، لكن وده أَسْلَمْتُمْ  
من فعل ما أنكرته العرب والعجم  
ولم يرو سنان السمهري دم . . .

فهو اخبار للأمر مصين الدين أن يرسل رسالة مهمة حملت إليه من مكان بعيد ، وعندما البند يستعدداً مع الحسد والبغض لأولئك المعيديين بالآخر ، ولذا ، فالرسالة رسالة ناصح ودود في نفسه تحنان إلى وطنه الشام ، وودعة تربية لصالحها .

ومجد هذا التقديماً للوجيز البليغ ، يمدح أسامة " مصين الدين أنتر " ويضفي عليه صفات البهولة والدين والشجاعة والكرم ، ويحفل بالثناء مسوؤلية تزيين الاعمال السيئة له ، ويتممهم بأنهم باعوه بالبغض ، لينالوا الثمنى من الفرنج على حسابه .

وهنا قصيدة أخرى تبدأ بمقدمة غزلية هي قصيدة عرقله الكلبي في مدح مجير الدين أبق صاحب دمشق أيضاً ، وهذا السها :

عج على نجد لملك منجسدي بنسيميا ، ومذكر سعدى مسعدى (١)  
ونلاحظ أن القصيدة في مدح صاحب دمشق ، والمدح تناسبه المقدمة الغزلية التقليدية ، وكأنها أمر متعارف عليه ، وهذا ما يؤكد أبو الياقوب المتنبى في ثورته على هذا النظام يقول :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل بليغ قال شعرا متسليم ؟

ومجد أن يبدأ عرقله بمقدمة يتغزل فيها بأمرأة بدوية في جنان الشام ينتقل في البيت الثاني عشر من القصيدة إلى الإشادة بالمدوح ، ويثني على أنصالة التي يحق لفاعلها الفخر حقاً ، فقد أبلى في حرب الفرنج ، الذين قصدوا دمشق بأعداد هائلة ، بلاد حسنا ، وأظهر من شجاعته وعبره ومسالته ما لم يشاهد في غيره " (٢) " ، يقول عرقله الكلبي :

ما نشرت راياته يوم الومغسى  
من قاتل الافرنج دينا غسيره  
الإ انابون جيبو المدو المستسدي  
والذين مثل الميز عند المشهد

(١) ديوان عرقله الكلبي ص ٢٥ - ٢٦

(٢) الروتين ج ١ ق ١ ص ١٢٨

ومن الجياد بكل شهيد أجسود  
ومن النجاج بكل نقي أسود  
وغدا يحند من شهيدة أحمد  
مثل الحميا في الحى ، طالق اليد . . .

رد الايمان بكل ندب باسسل  
ومن السيوف بكل غضب أبيسض  
حتى لوى الاسلام تحت لوائه  
الملق الحميا ، واضح ، متهلل

ويتضح مما مضى أن الشاعر لم يجعل مومن القصيدة هجوم الفرنج على دمشق ولاء مجير الدين في صدهم ، وإنما كان موضوعها المدح ، ومن خلال المدح عرض شجاعته ودفاعه عن الاسلام ، وكرمه وشاشة وجهه . . .

ولو كان الموضوع هو العادة نفسها لوجدنا الامر يختلف ، ولنا من ابنن القيسراني مثل علي ذلك ، فقد جعل مومن قصيدته نوقدة شبيهة بهذه ، قد دخل ثبني الموضوع دون مقدمة غزلية ، يقول :

الحق مبتهج ، والسيوف مبتسم	وما ل أعدا مجير الدين مقتسم
قدت الجياد ، وحصنت البلاد	وأضنت المباد ، فانت العتل والحرم
وجئت بالخيل من أتقى مراتبها	معاقد الحزم في أساطبها الحزم
حتى اذا ما أحاط المشركون بنا	كالليل يلتهم الدنيا له ظلم
وأقبلوا لامن من الاقبال في عدد	يوؤه حاسبة الاعياء والسلام
أجريت بحرا من المادي معتكرا	أواجه بأواسي اليأس تلتظلم (١)

ولدى قراءة القصيدتين نحب بالفرق بينهما ، فقد اختلفت في البناء والموسيقى باختلاف طريقة التناول عند كل من الشاعرين .

ومن استقرائنا لعدد من القصائد التي قيلت في المدح ، نستطيع التمسول إن معظمها يبدأ بمقدمات غزلية .

ومن هذه القصائد المدحية التي ابتدئت بمقدمة غزلية كذلك القصيدة التالية التي مدح بها ابن القيسراني نور الدين ، فقال في أولها :

يا ليت أن الصد مصيدود	أولا ، غليت النوم مسردود
الى متى تعرض عن منكرم	في حدة للدمع أخسودود
قالوا: عيون البيض بيض الدابي	قلت ولكن هذه مسودود
يخاف منها وهي في جفنها	وأسيف يخشى وهو مضمود (٢)

ومعد هذه المقدمة القصيرة ، يخرج الشاعر الى المدح ، فيصف نور الدين محسودا بالعدل والحفاظ على الاسلام ، والشجاعة في القتال ، ثم يذكر وقته مع الفرنج في يثري \*

(١) الروشتين ج ١ ق ١ ص ١٤١

(٢) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٤١

\* وهم أبو شامة أنها بصرى .

وكانت الدائرة فيها على الأثرنج ، فيقول :

عاد وقد عاد لهم	وإنما الأثرنج من بشيرها
في قلبه بأسك	قد حصص الحق لما جاحد
وكل شربك	فكل مصربك مستفتسح

ويلاحظ القارئ لهذه الآيات أن الوقفة جاءت دليلاً على شجاعة نور الدين ولم تكن موضوع القصيدة الأساسية .

أما قصائده العربية التي تكون الوقفة فيها موضوع القصيدة ، فلم يبدأها بتقديمات غزلية ، ولهذا جاءت خالية من المقدمات ، إلا هذه وقصيدة أخرى سنقف عند بابها قليل ، وقد لاحظ الدكتور محمود إبراهيم ذلك ، وعند قصيدته السابقة خروجا عن عادته في الاستغناء عن التقديمات الغزلية في قصائد القتال ( ١ ) .

وفي القصيدة التالية لابن القيسراني ، ورد ذكر الوقفة دليلاً على شجاعة نور الدين كذلك ، كما في قصيدته السابقة ، بل ذكر الشاعر في هذه القصيدة عشرة وقفات ، لا وقفة واحدة ، وقد جاء في مقدمة القصيدة قوله :

لقد هاج من ذكراه مالا أغيبه	أما وغيال زار من أحبسه
ذكرت نسيما بالشفور مهيبه	إذا ما ضبا قلب المحب إلى الصبا
يخافي عليها مدنف القلب صبه	فيا نفحات الشام رفقا بمهجة
فان فواد المرء مع من يحبسه	فلا تسألن الصب : أين فواده
غداة استطار البرق من طار لبه	وفي شجب الأكوار من هو عالم
سنا بشر نور الدين تشهل سحبه	يشيم شهور المزن تهيم كأنها

شبهت خلفي إلى مدح نور الدين بالكرم وجودة الرأي ، والحفاظ على الإسلام ، ويقدم الأدلة على ذلك ، فيقول :

علي برعي الهند واني خصمه	كيوم الرها الورماء والها يانسح
ثانما ، وليل العرب ينقض شهيه	وشهبها هاجتها وفي صرخديمة
كوادي شمود أذ رغا فيه شقبه	وقارم يوما بالهريمة فانتهدت
دم الافك حتى انكم النضل خطبه	وغاصي على العاصي بأرعن خاطب
بصاحب انطاكية وهو كسيه . . . ( ٢ ) الخ	بأنب لما اكسب المال وانثنى

ويستدرك في ذكر الأدلة على شجاعته وما فعله بالأعداء ، وكلها ترتبط بشخصية القائد نور الدين الذي يستحق الثناء فعلاً .

( ١ ) صدى الفزو الصليبي في شعر ابن القيسراني ص ١٠٢

( ٢ ) الروستين ج ١ ق ١ ص ١٨٨

ويحاول بنا النقام لو حللنا بقية القصائد التي تبدأ بمقدمات غزلية ، ولذلك نذكر  
مطالعها ووضوعاتها ، للاحاطة بها ثم مقارنة عددها بصورة تقريبية بتعدد القصائد  
الحربية التي يمكن أخذ صورة عامة عنها من مطالعة الملحق الشمري .  
يقول ابن رواحة العموي ، وهو من شعراء الشام في مدح صلاح الدين بعد  
أن رد الفرنج عن دمياط ثم الاسكندرية سنة ٥٧٢ :

أغمت الموت لي رجدا فأخشى      زيارته وان يك لمهزني  
كما رصد المدى في كل يوم      صلاح الدين في سهل وحزني  
يروون خياله كالدايف يسمرى      فلو هجسوا أتاهم بعدد وهن  
أبادهم تخوفه فأسمى      مناسم ، لو يبيتهم بأمن (١)

ونلاحظ من هذه الابيات حسن تخلصه وسر انتقاله .

وارسل ابن التماونزي قصيدة الى صلاح الدين من بغداد يمدحه فيها ،  
ويهنئه بانتصاره على الفرنج في وقعة مرج عيون مطالعها :

إن كان دينك في الصباية ديني      فقف النطي برملي يبري  
وقدمتها الخزلية طويلة ، ينتقل بعدها الى الوقعة ، فيقول :

كنوا وكم لك من كمين سواده      في الشيب تظهر من وراء كمين (٢)  
ولعل بعد الشاعر عن الحادثة مكانيا وزمانيا جعله ينهج هذا المنهج .

ولما انتهى صلاح الدين من بعض المصلبات العسكرية في منطقة انطاكية ، رجع  
الى حماة ومنها الى حمص ، فأتاه الفقيه مهذب الدين عبيد الله بن أحمد الوصلبي ،  
وأشده :

أما وجفونك المرض الصحاح      وسكرتقلتيك وأنت صاحبني  
لقد أصبحت في المشاق فردا      كما أصبحت فردا في المصاح  
ثم يذكر اخضاعه للفرنج ، فيقول :

وما خضع الفرنج لديك حسبي      رأوا مالا يطاق من الكفاح (٣)  
وقد مدح العماد الاصفهاني الامير تقي الدين عمر سنة ٥٨٢ بقصيدة مطلعها :

عفا الله عنك ، عن ذوى الشوق نفسوا      فقد تلفت منا قلوب وأنفس (٤)

ثم يذكر تهابه الى تونس ، ووقوفه في وجه الفرنج من هناك ، ثم يعنى عليه أن يفتتح  
القدس ويظهر البلاد من الرجس .

وتال في مدح حمام الدين عمر بن محمد بن لاجين (ابن أخت صلاح الدين) يوم فتح  
القدس :

استوحش القلب مذ غتم فما أنسا      وأظلم اليوم مذ بنتم فما شمسنا (٥)

- |     |                                 |     |                    |
|-----|---------------------------------|-----|--------------------|
| (١) | الخريدة ، قسم شعراء الشام ٤٩٢/١ | (٢) | الروضتين ١٠/٢      |
| (٣) | المصدر السابق ١٦/٢-١٧           | (٤) | المصدر السابق ٢١/٢ |
| (٥) | المصدر السابق ٨٨/٢              |     |                    |

وحنأ السلطان صلاح الدين يفتوحاته ، فقال :

أطيب بأنفاس تطيب لكم نفسا وتعتاض من ذكراكم وحشتي أنسا (١)

ومن السمرات الذين استهلوا قصائدهم العربية بمقدمات غزلية ابن دنينير ، ففي ديوانه عشر قصائد حربية ، ذكر بعضها فور انتهاء المعركة ، فتخلصت من المقدمات ، وقال ستة منها في مدح بعض الحكام والقادة بتابتات بمقدمات تقليدية .

أما الأولى فهي في السريز عثمان بن صلاح الدين سنة ٥٩٤ هـ وهي من شعره فهي  
العبا ، ومالها :

إن كان أضمر قلبي عنك سلوانا لا كنت من مفرم صب ولا كانا (٢)

والثانية في الأمير أسد الدين أحمد بن عبد الله المهراني ، ومالها :

راج يخشى في حبه الرقبسا ويسر الخرام والبرعسا (٣)

والثالثة في مظفر الدين كوكبرى بن علي بن يكتكين ، ومالها :

أشقتك من أطلال ليلي معالم فأبدت شؤن الدمع ما أنت كاتم (٤)

والرابعة في الملك الناصر قلق أرسلان بن الملك المنصور محمد بن عمر بن شاهنشاه الأيوبي ومالها :

بما يجفنيك من غنج ومن كحلل صل مفرما ليس يصفي فيك للعذل (٥)

والخامسة في الملك الكامل بن العادل ، ومالها :

لهم حب قلبي ان تدانوا وان صدوا وان قربوا أو حال دونهم البمد (٦)

والسادسة في الأشرف موسى عند منصرفه من الجزيرة إلى الشام ثم إلى مصر ، ومالها :

أرأيت ما صنعت لحاظ الشيسد ما بين منصرج اللوى فزود ؟ (٧)

ومن هؤلاء الشعراء : ابن سناء الملك (٨) ، وفتيان الشاغوري (٩) ، ومهذب الدين سالم بن سعادة (١٠)

\* \* \*

(١) الروضتين ١٠١/٢

(٢) المصدر السابق ورقة ١٢٢

(٣) المصدر السابق ورقة ٢٤

(٤) المصدر السابق ورقة ٢٠

(٥) انظر ديوانه ص : ٣٥٨ ، ٣٦٦ ، ٣٧٨ ، ٥٦١ ، ٥٤٥ ، ٧٥٨

(٦) انظر ديوانه ص : ١٤٨ ، ٢٥٧

(٧) انظر تاريخ ابن الفرات مجلد ٤ ج ٢ ص ١٥٧

## المقدمات التي تخلصت من الفزل :

تلك هي المقدمات التقليدية في القصائد العربية ، وهي وان بدت كقصيدة ( اذ بلغت خمسا وعشرين قصيدة ) ، فانها تقل بكثير عن عدد القصائد التي تخلصت من المقدمات التقليدية .

وأما سبب تخلص الشعراء من هذه المقدمات التقليدية بأنواعها ، فلأنهم وحسبوا أحداثا مهمة في جو حرارة تلك الاحداث ، فلم يشعروا بالحاجة الى التقديم لها ، لأن هذا التقديم من شأنه أن يضع حرارة الانفصال ، ويبدد الاندفاع الشمورى ، ولهذا تصدتت بدايات هذه القصائد عند الشاعر الواحد ، وعند الشعراء المختلفين على السواء . ولناخذ مثلا على هذه القصائد ، قصيدة أبي المظفر البيهرودى ، التي قالها اثر سقوط القدس بيد الفرنجة سنة ٤٩٤ هـ وفيها يتفجع ، ويقرق ، ويدعو الى الاستيقاظ ، ويأمل في الانتقام من المعتدين ، يقول :

مزجنا دما بالدموع السواجيم	فلم يبق لنا عرضة للمراجيم
وشر سلاح البرء دمع يفيض	إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فأيها بني الاسلام ، ان وراءكم	وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
أتهوية في ظل أمن وغطائية	وعيش كنوار الضميلة ناعم
واخوانكم بالشام يضحى مقلهم	ظهور المذاكى أو بطون القشاعم ( ١ )

وهكذا تنبئ بنية القصيدة : انفصالات متأججة صادرة عن نفس متحرقة متحصرة تمتب على الشياخ ، وتدعو الى دفع الاخطار قبل تفاقمها ، ولذا جاءت القصيدة في موضوع واحد ، وابتدأت باستهلال حزين مؤثر ، يعبر عن مشاعر أضعفتها الخلاصات ولونها التمزق .

ولعل القصيدة الثانية التي لم يذكر اسم نائلها ، تعبر عن مثل هذه المواطن ، وقد جاء فيها :

أحل الكفر بالاسلام ضيمسا	يداول عليه للدين النحيب
فحق ضائع وحى مبساج	وسيف قاطع ودم صبيب
وكم من مسلم أمسى سليبسا	ومصلحة لها حرم سليب

الى أن يقول :

أتسبى المسلمات بكل شمس	وعيش المسلمين اذن يطيب
أما لله والاسلام حسبق	يدافع عنه شهبان وشيب
فقل لذوى البصائر حيث كانوا	أجيبوا الله ويحكم أجيبوا ( ٢ )

( ١ ) نهاية الارب ٢٢٦/٥ ، الكامل ٢٨٥/١٠ ، النجوم الزاهرة ١٥١/٥

( ٢ ) النجوم الزاهرة ١٥١/٥

ولم يكن هذا الحزن والبكاء مرتبطا ببداية المد الصليبي فقط ، إذ إنه بعد أن انفرطت عند الدولة الايوبية ، وتحارب الاخوة ، واستجد بعضهم بالفرنج مقابل التنازل عن القدس ، فعادت رنة الحزن والالام ، كما كانت أو أشد ، لأن من الصعب على الانسان أن يتحمل الضياع والهزيمة بعد القوة والنصر ، ولذلك كانت قصيدة ابن الجوار في تسليم القدس زمن الملك الكامل الايوبي ، أشد وقعا وتأثيرا على النفس من القصائد التي قيلت بعد سقوط القدس بيد الفرنج للمرة الاولى ، يقول ابن الجوار :

أعينني لا ترقني من العبيرات	صلي في البكا الأصال بالبكبرات
لحل سيول الدمع يداني فيدها	توقد ما في القلب من جمبرات
ويا قلب أسمر نار وجدك كلما	خبت باوكار يبعث الحسبرات
ويا فم يبح بالشجو منك لعلمسه	يروح ما ألقى من الكربرات
على المسجد الأقصى الذي جل قدره	على موطن الاغيات والصلوات (١)

وتستمر القصيدة في هذا التدفق العاطفي الحار ، الصادر عن نفس متألمة حزينة وفي غمرة الاحزان والضياع ، في بداية الخروب ، وقف بعض الامراء في الثغور موقفا مشرفا ، ومنهم الامير مجد الدين عضب الدولة زعيم الجيوش في دمشق ، كما وقصف الادب مع هؤلاء يحضهم ، ويقوى من عزيمتهم ، فهذا ابن الخياط يحرض الامير المذكور على الجهاد ، فيقول في مطلع قصيدته :

ندتاك الصواهل قبا وجسردا	وشم القبائل شيما ومسردا
وذلت لاسياقك البيض قضيبا	ودانت لأرماحك السمر مطسدا
وقل لمن قام في ذا الزمضان	مقامك أن بات بالخلق يفسدى
أصت أبر البرايا يسسدا	وأندى من المزن كفا وأجسدى
وأضى حساما وأوفى ذمامسا	وأهص غاما اذا الفيث أكدى (٢)

والمتمتع لنص القصيدة يلاحظ أن موضوعها واحد ، وغو في استعراض أحوال المسلمين على ضوء الغدار الصليبي ، وتعرض البطل كي يقف في وجه الشزة ، ولذا جاء مطلع القصيدة حماسيا في معانيه والناظرة وموسيقاه ، ثم أخذت النبرات الحماسية تتحول الى تعداد صفات القائد ، وما لبثت أن عادت مرة ثانية حين نه الشاعر الى الاغيار المحذرتبالمسلمين ، واستحثهم على العمل ، وحثهم على الجهاد .

وقد وفق الشعراء باستهلال القصائد العربية بما يشق والجو الحماسي ، وقد اختلفت التقديمات من قصيدة الى اخرى ، ومن شاعر الى آخر ، ولكن ذلك لا ينفي أن يكون لهذه التقديمات صفات مشتركة تلحق عندها ، ومن هذه الصفات ابتداءها بضمير الشأن ، وهو من الضمائر التي تفيد التفخيم الذي يتناسب والجو الحماسي .

(١) الروضتين ٢٠٥/٢

(٢) ديوان ابن الخياط ١٨٢ - ١٨٤



ومن ذلك قول أمية بن أبي الصمات في الافضل مقدم الجيش المصري :

هي المزائم من أنصارها القدر	وهي الكتاب من أضياعها الظفر
جرت لك للدين - والاسياق منمودة	سيفنا تغل به الاحداث والسير
وقدت إذ قعد الاملاك كلهم	تذب عنه وتدعمه وتنقصر
بالبيض يسقط فوق البيض أنجمها	والسمر تحت ظلال النقع تشتجر (١)

ورده أيضا عقول ابن القيسراني في فتح الرما سنة ٥٣٩ هـ :

هو السيف لا يخنيك الا جلاله	وهل داوق الاملاك الانجلاه
ومن ثغر هذا النصر فلتأخذ الظبي	سناها هوان فالتاليمون اتقلاه
سمى قبة الاسلام فخرا بداولسه	ولم يك يسمو الدين لولا عماده (٢)

ومنها ابتداؤها بأسماء الاشارة : وهي تفيد جلب الاجرام لامر جليل ، ومن ذلك قول ابن القيسراني في انتصار نور الدين على الفرنج في مناقبة اطاكية :

هذي المزائم لا ما تدعي القضب	وهذي الكارم لا ما قالت الكتب
وهذه المهجم الاتي متى خطيبست	تعثرت خلفها الاغصار والخطيب (٣)

وقول الرشيد بن ممدو النابلسي في فتح القدس :

هذا الذي كانت الآمال تنتظر	فليوف لله أتوام بما نذرنا
بهل ذا الفتح - لا والله ما حكيت	في سالف الدهر أخبار ولا سير (٤)

ومنها ابتداؤها بأدوات الاستفتاح والتنبيه والتساؤل ، وهي تفيد ما تفيدته أسماء الاشارة من جانب الانتباه لامر ذات غبار ، يقول طلائع بن رزيك مفتخرا بأعماله ضد الفرنج ومحرضا في الدين على قتالهم :

ألا هكذا في الاله تحضي المزائم	وتحضي لدى الحرب السيوف الصوارم
وتستنزل الاعداء من طود عزهم	ولينسوي سمر الرماح سائلهم
وتنزي جموح الكفر في مقر دارها	وهروا حياها والانوف رواغم
وهي الكرام الناذرين بغيرهم	وأن بذلت فيها النفوس الكرائم (٥)

وقول ابن القيسراني في فتح الرها :

أما أن أن يرهق الباطل	وأن ينجز الحدة المطاطل
أى كم يغب ماوك الضلال	ل سيك بأعناقها كافيال
فلا تحفلن بصوت الذم	ب ، وقد زار الاسد الهائل (٦)

- (١) الخريدة ، قسم شعراء مصر ٢٦٥/١ (٢) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٩٢
- (٣) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٥٢ ، والهداية والنهاية ٢٢٦/١٦
- (٤) " بيوتين ١١٨/٢
- (٥) ديوان طلائع بن رزيك ١٢٥ ، والروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٨٩
- (٦) الخريدة ، قسم شعراء الشام ١٠٨/١ ، والروضتين ج ١ ق ١ ص ١٢٦

ويقول ابن دنينير في تغليظ دمياط من الفرنج بعد اجتماع الجيوش الشامية والمصرية بقيادة  
الاخوة ابناء المادل وراثسة الكامل :

ها قد بلغت الذي قد كان ينتظر      اللهم اكبر هذا النصر والظافر  
قد صرح الخبر نك اليوم عن خبر      قد كان أنظر فيه نفسه النظر (١)  
وقد يكون التساؤل لمظام النصر ، الذي يمهز العقول ، ويأخذ النفوس ، ويبحث الحيرة  
في النفس ، حتى ليتغير الشاعر ، وهو يتلمص الشيء الذي ينبغي أن يهنئ به ، يقول  
الجواني :

أترى منا ما بعيني أبصر      القدر تفتح والفرجة تكسر  
وقامة تبت من الرجس السذي      يزواله وزوالها يتطهر  
وطيكتهم في القيد مصفود ولسم      ير قبل ذلك لهم طيكت يوم  
قد جاء نصر الله والفتح السذي      وعد الرسول فسبحوا واستغفروا  
فتح الشام وطهر القدس الذي      هو في القيامة للأثام المعشر (٢)

ويحسن المرء حين قراءة الابيات أنها تعبر عن فرحة فامرة استولت على المشاعر والالساب  
فجاءت الحيرة محزونة بالفرجة ، ومعبرة عن هذا الشعور الدافق ، يقول ابن سناء الملك  
مخاطبا صلاح الدين بعد الفتوحات الكبرى :

لست أدري بأي فتح تهسني      يا نبيل الاسلام ما قد تصبني  
كل فتح يقول اني أولسي      وهو أولى لانه كان أهسني  
أنهنيك ان تملك شامسا      أم نهنيك ان تملك عدنا ؟ (٣)

ونها ابتداءها بـ " كم " الخبرية ، وقد قصد بها الكثير ، وذلك للمبالغة في عظمة  
الضربات التي أنزلها القادة المسلمون بالفرنج ، يقول العقاد في عزيمة الفرنج على أبواب  
دمشق على يد نور الدين :

كم وقصة لك في الفرنج حديثها      قد سار في الافاق والبلدان  
قصت قومهم رداً من ردى      وقرنت رأس برنسهم بسندان  
وملك رقى ملوكهم وتركتهم      بالذل في الاقياد والاشجان (٤)

ويقول ابن عبد الظاهر في فتح حصن المرقب زمن المنصور قلاوون :  
كم لك فتح غير هذا خبي

- (١) ديوان ابن دنينير ورقة ١٤
- (٢) الروضتين ١٠٥/٦
- (٣) ديوان ابن سناء الملك ٨١٤
- (٤) الخريدة ، بداية قسم شعراء الشام ص ٥٥

- يا فاتح الحصن الذي فتحه  
حصن عظيم القدر في سوسة  
ويقول شهاب الدين محمود في فتح الحصن المذكور :  
كم رام قبلك هذا الحصن من ملك  
غدا الاعادي حطم تحته هـ  
أوردتها الرقب العالي وليس سوى  
ومنها ابتداءها بالاستهزاء والتشفي ، والمستهزئ يكون عادة في مركز القوة ، حتى يستطيع  
أن يهزأ بالعدو ويزري بقوته ، وهذا من مستلزمات الحرب النفسية ، التي كانت وما تزال  
ترافق حرب السلاح ، يقول ابن منير في انتصار نور الدين على الفرنج في حصن قامة :  
خمس الثعالب حين زجر محصر  
تركوا مشاجرة الرماح لحاذق  
لربيب حرب لم تزل فصلا تـ  
ويقول ابن مطروح في كسرة ملك فرنسا على دمياط :  
قل للفرنسيين اذا جئتـ  
آجرك الله على ما مضى  
قد جئت مصرا تبتغي أخذـ  
فصاقتك الحين الى أدهـ  
ومن التشفي قول العماد في ملك الفرنج :  
في باطن النيب ما لاتدرك الفكر  
مالي أرى ملك الافرنج في ققص  
ومنها ابتداءها بذكر السلاح وأدوات القتال : وهي مرتبطة بجو المعركة أشد ارتباطا ،  
لأنها عنصر أساسي من عناصر القوة في الحرب ، كما أنها تشير مكان القوة عند تصورنا ، وادراك  
مفهومها . يقول ابن القيسراني في هزيمة الفرنج امام نور الدين في يخرا :  
تفي بضمانها البيض الحسداد  
وتدراك ثأرها من كل بـ  
فذو البصيرة في الأحداث يعتبر  
أين القواضب والعسالة السمر ؟ (٥)  
فوارس من عزائمها الجسلا (٦)

- (١) تشریف الايام والمصور ٨٦  
(٢) ابن حبيب ، درة الاسلاك في دولة الاتراك ورقه ١٢٥ ، وانظر مثلا آخر من ديوان  
علم الدين ابن محمد الصيوى ص ١٥  
(٣) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٦٦  
(٤) ديوان ابن مطروح ١٨١  
(٥) الروضتين ١١٦/٢  
(٦) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤٦

ويقول ابن منير في هزيمة الفرنج في حصن قامية على يد نور الدين :

أسنى الممالك ما أطلت منارها - وجعلت مرهفة الشفار دسارها (١)  
ويقول ابن أسعد الموصلي في مبايعة الفرنج للمسلمين قرب حصن الأكراد ، وسيطرتهم على  
الموقف ، واصرار نور الدين على الأخذ بالثأر :

ذاب المواصي وأطراف القنا الذبل ضوا من لك ما حازوه من نفل  
وكافل لك كاف ما تحاولسه عز وعزم وأس غير منتحل (٢)

ونلاحظ أن هذه القصيدة في معركة خسرها المسلمون ، ومع ذلك فهي تتفجر  
قوة ، لأن الشاعر يتهدد هؤلاء المنتصرين ويتوعدهم في يوم قريب ، فنور الدين لن ينام  
عن ثأر ، وقد حقق ثأره من الفرنج فعلا ، إذ هاجمهم بعد وصول الامدادات اليه ،  
وانتصر عليهم ، فعقب السواد على هذه القصيدة بقوله : " وهذا أحسن ما سمعته من  
مدح من كسر وعذر ، ولقد وافق العذر ما ذكر ، وانصف بعد ذلك وانتصر " (٣)  
ويقول ابن عنين في هزيمة الفرنج على دمياط سنة ٦١٨ :

سلوا صهوات الغيل يوم الوغى عنا اذا جهلت آياتنا والقنا اللدننا  
غداة لقينا دون دمياط جحشلا من الروم لا يحصى يقينا ولا دانا (٤)  
ومنها ابتداءها بالدعوة الى الوحدة والجهاد : ويتطلب ذلك قوة في التعبير ، وقدرة  
على التأثير ، إذ ان الصياغة الفنية هي التي تكسب الكلام سمات القوة والتأثير ، وعن ذلك  
طلب المهدب بن الزبير من طلائع بن رزيق أن يعمل للجهاد بالتعاون مع نور الدين ،  
يقول :

أعلمت حين تجاور الحيسان أن القلوب مواعد النسيان  
يا كاسر الاصنام ، قم فانهض بنا حتى تصير مكسر الصليبان  
فالشام ملكك قد ورثت بسلالده عن قومك الماضين من غسان  
واذا شككت بأنها أولادهم قدما ، فسل عن حارث الجولان  
الى أن يقول :

وأعدت رسل ابن القسيم اليه فسي شعبان كي يتلاءم الشعبان  
والقال يشهد في اسمه أبع سوف يخسدو الشام ونحو عليكما تسمان (٥)

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٦٠

(٢) الخريدة ، قسم شعراء الشام ٢٨٩/١ ، الروضتين ج ١ ق ١ ص ٣٢٠

(٣) الخريدة ، قسم شعراء الشام ٢٨٩/٢

(٤) ديوان ابن عنين ص ٣٠

(٥) الروضتين ١٤٧/١

ومنه أيضا ، تحريض ابن دنينير لامراء المسكر والابناد علي القتال عقيب هزيمتهم عين دمهات ، وقد وصل الملك المظلم عيسى من دمشق لجددة أخيه الكامل محمد ، يقول ابن دنينير :

أقيموا عمود الدين لله تسعديا  
فريق المهدي ، والله يظهر دينه  
ثم يقول :

فلا تجزعوا من حادث جاء قادحا  
فشنوا لدين الكفر غارات مشر  
وشبوا لهم نار الجهاد فانكم  
فذا الدين للرحمن في نصره يسد  
لهم في المهدي فرع زكي ومحتسد  
معي تتركوها أن للنار تخمد (١)

وسا يدخل لي هذا كذلك ، ابتداء القبهائد بالتحذير والتهديد ، كقول ابن القيسراني :  
حذار يا هوانى ينفع الحذر  
وأين ينجو ملوك الشرك من ملك  
من خيله النصر ، لا بل جنده القدر (٢)

وبلاحظ القارئ لهذه القصيدة الحرارة الرخدانية الشديدة ، وتزاحم الانفصالات فيها ، وامتزاج التحذير بالتهديد ، والاستعثاث والفخر . . . وضها ابتداءوها بذلك سر نتيجة المعركة ، أو باستبشار الشعراء بالنتيجة التي يتضمنونها . ويان أن النصر لا يحقق بيسر وسهولة ، وإنما يحتاج إلى جهد كبير ، وإلى صبر وعمل ، إضافة إلى ارتقاب عون الله لمن يجاهدون في سبيله . يقول العماد في امتلاك أسد الدين شيركوه مصر وطارده الفرنج عنها :

بالجد أدركت ما أدركت لا اللعيب  
عندي الصلى التي تزهى الملوك بها  
فتحت مصر ، وأرجو أن تدير بهما  
وفي زمن قلاوون ، قال بدر الدين المنبجي  
أدركت بالجد أقصى غاية الدلب  
أيا الصافر لا زالت مظالمه  
فأله جارك أنى سرت من طمسك  
كم راحة جنيت من دوحة التعيب  
وهي الطائر لا المأثور في الكتب  
هيمرا فتح بيت القدس عن كتب (٣)  
البراز في فتح طرابلس :  
ونلت بالجد أعلى منتهى الرتعب  
منه الجيوش على الأعداء بالرتعب  
وناء لك من ناء ومقسترب (٤)

- (١) ديوان ابن دنينير ورقة ٤
- (٢) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٨
- (٣) الروضتين ١٥٩/١ ، تاريخ ابن الفرات مجلد ٤ ج ١ ص ٤٥
- (٤) عند الجمان ج ٢٠ ق ٤ ص ٧٦٦

وقد قرن الشعراء في شعرهم الجدل الانساني بالنون الالهي ، وافتتحوا بعض قصائدهم بهذا المعنى ، يقول الجويني في فتح القدس :

لك رب السماء خير مصابين  
فله الحمد أي نصر عزيز

ويقول أيضا :

جند السماء لهذا الملك أعوان

ويقول ابن عبد الظاهر في معركة حمص التي دارت بين المسلمين بقيادة المنصور قلاوون من جهة وبين الفرنج والتتار من جهة أخرى :

الله أعوانك لا زيد ولا عمرو  
هذا المقام الذي لو لم تحل به

وقد بدأ بعض الشعراء قصائدهم بالحديث عن النصر بلفظه الجاهلي ومن هؤلاء ابن دنيير إذ يقول في استرداد دمياط :

نصر من الله وأنانا به الخبير

ويقول علم الدين بن الشاتاني في صلاح الدين :

أرى النصر محقودا برايتك الصفرا  
يحييك في يمن ، ويسرك في اليسرى

وقد حمد بعض الشعراء في مقدماتهم القادة ، وبينوا للناس أن طاعتهم واجبة ، لانهم دافعوا عنهم ، وعن معتقداتهم ، يقول شهاب الدين محمود في المنصور قلاوون حسين فتح دارابلس :

علينا لمن أولاك نعمته الشكر  
ومنا لك الاخلاص في صالح الدعا  
ولله في اعلاء ملكك في السورى  
نهضت الى عليا دارابلس التي

لأنك للاسلام ياسيفه ذو خسر  
الى من له في أمر نصرتك الامسر  
مراد وفي التأييد يوم الوغى سر  
أقلّ غناها أن غندقها البحر (٦)

- (١) الروضتين ج ٢ ص ٩  
(٢) عقد الجنان ج ٢٠ ق ٤ ص ٦٧٧  
(٣) مرآة الجنان ٤٩٦/٣  
(٤) ديوان ابن دنيير ورقة ٢١  
(٥) درة الاسلاك ورقة ١٤٥ ، النجوم الزاهرة ٢٢٣/٧ - ٢٢٤

ومنها المقارنة بين حالة المسلمين وحالة الفرنج ، ويكون ذلك عادة حين تكون كفة المسلمين هي الراجحة ، وهذا يحصل المقدمة مرتبطة بموضوع القصيدة .  
يقول ابن القيسراني في كسرة الفرنج على أبواب دمشق :

الحق مبتهج والسيف مبتسم  
قدت الجياد ، وحصنت البلاد وأمنست المهاد فأنت الحل والحرم  
وجئت بالخيول من أقصى مرابطها  
يقول ابن مثير في انتصار نور الدين على صاحب انطاكية :  
أقوى الضلال وأقفر عرصاته  
وانتاش دين محمد محموده  
ويقول ابن سناء الملك في صلاح الدين :  
بدولة الترك عزت دولة العرب  
وما بين أيوب ذلت بيعة الصليب (٣)

ومنها التهنئة والدعاء : وهو نوع من أنواع المقدمات التي ترتبط بالموضوع ارتباطا وثيقا ، فكان الشعراء يقدمون التهنئة بعد انجلاء الحرب عن النصر ، بأسلوب يختلف عن تقديمهم لقصيدة في ذكر الاحداث الحزبية . ومع هذا الاختلاف ، نجد قوة التفسير ماثلة في القصيدة ، وهذا أمر طبيعي ، لان التهنئة مرتبطة بالنصر ، والنصر يحمل مساني القوة ، يقول الامير نجم الدين محمود بن الحسن بن نبهان العراقي في تهنئة صلاح الدين بالنصر على الفرنج في بيت الاحزان :

هيفا صلاح الدين بالفتح والنصر  
وما حزت فيها من فخار ومن عسلا  
سموت لها بالمشرفية والقنصا  
ونيل الاماني الفخر والفكة البكر  
وحسن ثناء يبقى الى آخر الدهر  
سمو أبي لا ينام على وتر (٤)

وقد افتح راجح الحلبي قصيدته باللفظة نفسها ، والتي ابتدأ بها ابن نبهان العراقي ، وذلك حين انتصر الملك الاشرف موسى وأشوته على الفرنج في دمياط ، ولحل جوالقح أطلى عليه كما أطلى على سابقه هذه المقدمة ، يقول :

هنيئا ، فان السعد راج مخلصدا  
حيانا اله الخلق فتحا بدا لنسا  
تهلل وجه الدهر بعد قطامسه  
وقد انجز الرحمن بالنصر موحدا  
مينا ، وانحاما وعزا موييدا  
وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا (٥)

- (١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤١  
(٢) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٥٦  
(٣) الروضتين ٤٣/٢  
(٤) المصدر السابق ١٢/٢  
(٥) الذيل على الروضتين ١٣٠ ، الهداية والنهاية ٩٥/١٣ ، النجوم الزائرة ٢٤١/٦

وما يتصل بهذا الجانب البدء بالبشرى ، يقول شرف الدين الانصارى مشيراً الملك  
المظفر تقي الدين بن المنصور صاحب حماة بانتصاره على الفرنج في مضائق حصن الاكراد :

أبشر بما شئت من نصر وتأيسد فسناك يروي حديث الهامس والوجود (١)

وهناك صور أخرى ابتدأ بها الشعراء قصائد لهم بمقدمات تتفق مع موضوع القصيدة  
الحربية كأن تبدأ بالتكبير أو بالجميل الاخبارية القوية الالفاظ ، ومن ذلك قول العماد في  
فتوح صلاح الدين :

أسباط يوسف من مصر أتوا ولهم من غير تيه بها سلوى وامسسان  
لهم فلسدين ، ان يخرج عداتهم عنها والا تعدت بيض وخرصان (٢)  
وبنه قول شهاب الدين محمود في فتح حصن المرقب :

الله أكبر ، هذا النصر والظفر هذا هو الفتح لا ما تزعم السسير

هذا الذي كانت الامال ان طلعت الى الكواكب ترجوه وتنتظ السير

فأنهض ، وسر ، وملك الدنيا فقد نحلته شوقاً ضابرها وارتاحت السير (٣)

وأما الجمل الخبرية القوية ، التي بدأت بها القصائد الحربية فهي كثيرة منها قول ابن قسيم  
الحوي في عماد الدين زنكي :

بحزمك أي الملك العظييم تذل لك الصحاب وتستقيم

اذا خارت سيوفك في نفسوس فأول ما يفارقها الجسموم (٤)

ومنها قول أسامة بن منقذ الموجه الى دلائع بن رزيق على لسان نور الدين :

أبي الله الا أن يكون لنا الاصر لتعيا بنا الدنيا ويفتخر المصمر

وتخذنا الايام فيما ترومسه وينقاد طوعاً في أزمنا الدهر (٥)

وقد يقول قائل : إن هذه القصائد قد خلت من المقدمات النزلية ، ومع ذلك فإن  
فيها مدحا للقائد ، وهذا صحيح ، ولكن المدح في موضوع القصيدة يجد أن موضوعها  
يدور حول حادثة أو حوادث ، بل لها القائد المدح فهو عنصر عام فيها ، ولكن  
الحادثة هي محور القصيدة ، بينما لاحظنا في القصائد ذات المقدمات التقليدية أن القائد  
هو موضوع القصيدة ، والحادثة أو الحوادث فيها إنما أوردت باعتبارها أدلة على شجاعته .

(١) ديوان صاحب شرف الدين الانصارى ص ١٧٨

(٢) الروضتين ١١٦/٢ (٣) النجوم الزاهرة ٣١٧/٧ ص ٣١٨

(٤) خريدة القصر ، قسم شعراء الشام ٤٧٠/١ ، والروضتين ٣٢/١

(٥) ديوان أسامة بن منقذ ٢٠١



تدور المقطعات الشعرية حول حادثة واحدة ، وموضوع واحد ، وقد تستوعب عشرة أبيات أو أقل ، أو أكثر من ذلك بتأليل ، ولهذا المقطوعات دلالات خاصة بها ، إذ إن الوقت الذي نزلت فيه لا يسمح بإنشاء قصيدة طويلة ، فتكون المقطوعة الشعرية كالخاطرة أو كالدقيقة الشعرية الحارة ، لأن موضوعها واحد مشير ، والاستثارة تتباين أشكالها بتباين الموضوعات ، فالحزن غير الفرح ، والفرح غير المدح ، وهكذا .

وفيما يلي أمثلة منوعة على المقطعات الشعرية ، حسب نوع الانفعال المضمن فيها :  
١ . سجلت المقطعات الشعرية الحزن الذي عاشه المسلمون ، لسقوط البلاد الإسلامية بيد الفرنج ، ومن ذلك الدقيلة التي نسبت إلى مجهول في سقوط القدس ، والتي مطلعها :

أحل الكفر بالاسلام شهيدنا يطاول عليه للدين النحيب (١)  
والقاري لهذه المقطوعة يلاحظ أنها نثاء شعرية صادقة ، تنبعث من نفس حزينة لما أصاب المسلمين من ذل وخسارة وهوان ، وفي روح ناثرة تستصرخ المسلمين جميعا ، لكي ياتقوا عن دينهم وأعراضهم .

ومن هذه الحراطر الشعرية قول الصديق أبي بشر بن الحواري في غراب معصرة النعمان ، وقد استوحى الصورة من غراب داره بعد هجوم الفرنج على مدينة المعصرة :

أهذي بين انكاري وعرفانسي	صارب الوعر أم داري وأوطاني
جهاتها ولقد أبدت مألوفها	عهد الصبا بين أخواني وخلانسي
فصحت أسألي ، وندم مع منسكب	والقلب في لوعة من وجده عان
يا دار مالي أرى الأيام قد حكمت	فيما وفيك بحكم الجائر الجانسي
فلو أجنبت لقلت هكذا فصاحت	قد ما بجيرة نعمان ونعمان
وفي مدائن نو شيران معتبر	للسائلين وفي سيف وضدان
فأذهب لهدانك فالدنيا لينا نول	تمضي وتأتي وكل بينها فان (٢)

إن القارئ لهذه الأبيات ليحس وكأنها كتبت بدموع الشاعر لا بمداده ، وهذا الحزن الذي تعبّر عنه أبيات المقطوعة ، هو حزن جماعة الناس من البلد الضكوب لاحزن شاعر فرد ، فحسب ، ويؤكد ذلك ما وجدناه من مقالمات أخرى لشعراء المعصرة ، ومنهم أبو سلامة محمود بن داوي الذي يقول :

أنا من بلاد قضي الله يا حبيب  
قتلوا أعابنا وأثروا جرحنا !  
ح غايبها كما ترى بالخسراب  
من شيوخ وصبية وشباب (٣)

(٢) الشريدة ، قصص شعراء الشام ٨٧/٢

(٣) المصدر السابق ١٠١/٢

وضمهم دحية بن عبد الله بن نصر الذي يقول :

هذه صاح بلدة قد قضى اللبس  
وقفت الصبيس وقتة وايبك من كا  
واعتبر ان دخلت يوما اليها  
ولو تجاوزنا هذه الفترة التاريخية الى زمن  
الحزينة تبتعد ثانية ، لسقوط القديس بايدي الفرنج ، وفي هذه الحادثة المولمة  
يقول قاضي الطور :

مرت على القديس الشريف مسلما  
خفاضت دمع العين دعي بهامة  
وقد رام علي أن يمضي رسومه  
فقلت له شملت يمينك خلفها  
فلو كان يفتدي بالنفوس رنديته  
على ما تبتى من ربح وأنجم  
على ما منى من عصرة المتقدم  
وشمر عن كثر لثيم من مضم  
لستبر أو سائل أو مسلم  
بنفسى ، وهذا الثان في كل مسلم (٢)

وقد شارك الشعراء بحفظهااتهم الشعرية في تقريب وجهاث النثار ، ورأب الصدع ،  
فحين تأكدت الوحشة بين نور الدين وقلج أرسلان السلجوقي ، أرسل صلاح الدين  
نور الدين يقول :

نقول ولكن أين من يتفهم  
وما كل من قاس الأمور وساسها  
وما أحد في الملك يفتق مخلدا  
أمن بعد ما ذاق السدى طعم حريكيم  
يرجعتم الى حكم القناص بينكم  
أما عندكم من يتقي الله وحده  
تسالوا لعل الله ينصر دينه  
ونهبض نحو الكافرين بعزيمة  
ويعلم وجه الرأي ، والرأي مجهم  
يوفق للأمر الذي هو أحسنهم  
وما أحد مما قضى الله يسلمهم  
وفيك من الشحاء نار تضيهم  
أما في رعاياكم من الناس مسلم  
إذا ما نصرنا الدين نحن وأنتم  
بأثم لها تحوى البلاد وتقسم (٣)

وقد تطرق الشعراء في مقطوعاتهم الى الموضوعات العامة من فخر ومدح ووصف ،  
ولكن الفرق بين القصائد والمقطوعات ، أن الاولى أطول من الثانية ، ولذا فقد  
يتراوح الاتصال فيها بين القوة والشمور ، فنبأ عن أن القصائد قد تحتوي عدة  
موضوعات ، في حين أن المقطعات تبتثق عادة عن انفصال شديد يصاغ فني  
أبيات قليلة ، فلا تجد فيها الذبذبة الشعرية التي قد نجدها في القصيدة  
الدويلة .

(١) النجوم الزاهرة ٢٠٠/٥

(٢) شذرات الذهب ٦٦/٥

(٣) ديوان صلاح الدين رزيك ١٢٢ ، والكامل ٣١٨/١١

وقد عبرت بعض المقادير عن الأمانى الكاملة في النفوس ، فقد احتوت كتب الأدب  
عدة روايات تذكر أن بعضهم قد رأى في المنام تأثراً يتول شجراً أو يمشى بالفتوح  
وانتهاء العسر ، كتلك التي سمعها أحدهم في منامه تبين استرداد دمياط :

لا تيا من لمسة فورا هـ  
كم كربة قلق الفتى لنزولها  
وضها ما قيل عما سمعه البوصيري في منامه من نشيد قيل فتح عكا ، جاء فيه :  
قد أخذ المسلمون عكسا  
وساق سدا اننا اليه سيم  
وأقسم الترك منذ سسارت  
يسران وعد ليس فيه خسلاف  
لله في أعلامها ألسلاف (١)  
وأشبهوا الكافرين صكسا  
خيلا تدك الجبال دكسا  
لا تركوا للفرنج ملكسا (٢)

ومما يندرج تحت هذا ، تلك المقطعات التي كانت تكتب على الجدران ، ومنها ما  
وجد مكتوبا على عصابة محراب المسجد في الرها :

أبحت صغرا من بني الأصفر  
دان من المعروف حال بسنه  
مظهر الرعب على أنسني  
وجمال الدين هذا هو الذي شجع عماد  
أختال بالأعلام والمنبسر  
ناء عن النحشاء والمنكسر  
لولا جمال الدين لم أظهر (٣)  
الدين زكي على فتح الرها ، وشبيهة بهذا

ما وجد مكتوبا على باب كنيسة في عكا :  
أدق الكناز إن تكن عشت بكم  
فلطالما سجدت على أبوابكم  
صبرا على هذا المصاب فإنسه  
أيدي الحوادث أو تشير حال  
شم الأنوف ججاج أبلال  
يوم بيوم والحروب سجال (٤)

ولا بد أن القارئ لاحظ أن معظم هذه المقطعات لم يعرف اسم قائلها ، وهذا  
يعني أن الشاعر غير مشهور ، وأنه قد انفصل مع الأحداث التي عبرت به ، فعبر  
عنها بلفظ موجز ملتبس ، فحفظ القول ونسي القائل . . .  
ولا بد كذلك أن يلاحظ في هذه المقطعات سهولة الألفاظ ، وقرب الصان  
وخلوها من التقليد الذي قد يذهب بحرارة القول .

- (١) الذيل على الروتين ١٢٩
- (٢) ديوان البوصيري ٢٣١
- (٣) زبدة الحلب من تاريخ حلب ٢٧٥
- (٤) درة الاسلاك ورقة ١٦١ ، وجواهر السلوك ورقة ٤٨

## بناء القصيدة :

اتضح من خلال الحديث عن مقدمة القصيدة أنها اتخذت ثلاثة أشكال عامة .  
فالقصيدية التي تبدأ بالهزل يتحدث فيها قائلها عن المرأة ، ثم ينتقل الى المسدوح ،  
ويذكر صفاته ، ويدلل على شجاعته بأمثلة عليية مرتبطة بالتصدي للفرنج ، ثم يختم قصيدته  
بالمدح ، وقد يبين للمدوح قيمة قصيدته بأن يمجده فيه الشمرى .

وخالها ما تكون القصيدة التي من هذا النوع طويلة ، وقد تصل أحيانا الى مائتي بيت كما  
عند الحماد ٠٠٠ ولناخذ مثلا شعريا واحدا على هذا النمط من القصائد ولتكن للشاعر  
ابن دنيبر (١) ، يقول هذا الشاعر في مدح الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك  
الصادق ، وذكر نزول الفرنج على دمهط :

لهم حبّ قلبي إن تدانوا وإن صدوا صباية قلب قد تفرد بسسلاسى أقم ما تم الأشواق ان كنت ذا هوى فقد هب من أرض العراق نسيمية ققوا بالحقى النجدي نرجي طلائعا وان رشم وردا فيها فيض عبرتسي فلي بين هاتيك القباب غريسة أحن اليها ما تألق بسسارق ويطربني أن قام بالدوح نائسح سقى الله نجدا ما حللتهم بأرضها جحدت الهوى خوف الوشاة فأعربت وإني وان قامت قيامة غدلسي أرى كبدي صدوة بحد بحدكسم وما أنا بالهاغي سواكم لخلصة	وإن قربوا أو حال دونهم البعد بهم حين أقوى منهم الملم الفرد يرنحه بان ويذكره رنسد تضرع في أرجائها الطك والنسد من الشوق يحدوها من الوجد ما يحدو لمينكم إن مسها ظمما ورد يطالبني في كل وقت بها الوجد حنينا يرى للنار من حره بسرد على عذبات البان من شجوه يشدو فان غتم عنها فلا سقيت نجسد دموعي بما ألقى ولم ينفع الجسد على كل حال ليه لي منكم بسد وفي كل عضو من فرائكم كبسد وان أسعدت سعدى وإن وصلت هند
---	---

فهو يبدأها بالنزل التقليدي ، اذ يبكي على فراق الأحبة كلما هب النسيم أو لاج  
بارق من أرض العراق ، ثم يأتي بالصورة التقليدية : صورة الثمائن ، وما يكتف الرحيل من  
حزن وحنين ، ثم ينتقل الى مدح الملك الكامل ، فيقول :

وركب تداعوا للسرى شت انبسرى فقلت لهم والليل ملق جرانسه ققوا حيث أنوار الهدى كاطميسه فتم ترى الاسلام يسفر وجهه فلولا سمى المصطفى ووليته	ليمني القوى بعد الهدى ذلك الوفد وقد ستر الآفاق من جنحه بسسرد ونار الوغى والمشركون لها وقسد سروا ونجم الحق في أنفه يسرد وهي الدين بل كادت قوى الحق تشهد
--	--

فما صافحت بيض الصفاح ككفِّه ولا حملت ذاك المطهمة الجرد

ويستمر الشاعر في مدحه ، ثم يذكر ما قام به في الذود عن الاسلام ٠٠٠ وقد يكون من المفيد أن نتمس علاقة المقدمة بالموضوع ، فابن دنيثير كما يلحظ من قصيدته ترك المسراق وجاء الى أرض الشام ، ثم الى مصر ليجد حظوة يتخلص بها من الفقر الذي لاوصه ، فهو لم يحرض في حديثه عن الحب والشوق إلا لالاسى والالم والدموع ، ( الابيات : ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٣ ) ثم ينتقل الى الممدوح فتشيب نبرة للحزن ، ودخل صحتها نبرة للقسوة ، ويستبدل بالصوت الصادفي الشجي ، صوتا هادرا ثويا ، ويتصاعد هذا الصوت حتى يبلغ الذروة في الابيات التالية :

عن الملك أو سدوا من الأمر ما صدوا  
تصدت فيه للصدى حين ما صدوا  
متى عطشوا ، فالصوت دونهم ورد  
على جيد دمياطر كما أنتظم المقعد  
حشاه عشايا ملوها النهط والعقد  
يجنب النبي المصطفى ذلك اللحد

فقل لملوك الخافقين اليكسوم  
ملك الهوى أين الطوك عن السدى  
أيطمح أقوام بنعمت عيشة  
إلام التمادى والفرنج يجمعهم  
فوالله ثم الله حلقة صدق

بجانب النبي المصطفى ذلك اللحد

لما طاب سكنى طيبة ، ولقد نبأ

يتم بها بين الهوى عند السعد  
قدونك فضلا حال عن جزره الصد

ثم تلين النبرات عندما ينتقل الشاعر الى طلب الرعاية من الممدوح ، فيقول :

يد الدهر يرويه لرونقة الضمد

ولست أرتجي غير خدمتك السستي  
تركت بالادى ، وارتحلت أريدكم  
شبهتم القصيدة بمدح شمره ، فيقول :

ويلاحظ أن القصيدة تدور حول محور واحد ، وان تعددت جزئياتها ، فالهكاه والعسزن

فخذ ، واستمع مدحا تمد لسواه

ناشيان عن فقر الشاعر ، وذكر الظلمة يمثل الارتحال الى الممدوح للتخلص من الفقر ، اذ ان الممدوح يتصف بالكرم الى جانب الشجاعة وصفات عظيمة أخرى من أعمال الجهاد ومقارعة العدو ٠٠٠

أما القصيدة التي تخلصت من المقدمات النزلية فنجد طابع القوة فيها عن البداية حتى النهاية ، وهي تدور حول بطل المصركة وحوادثها ، فتجد القائد ، وتضفي عليه صفات القوة والمظلمة ، أو تتحدث عن وقائع المصركة وجوها وأسلحتها ، أو تشيد بالنصر وتعدد بهزيمة الفرنج .

ولنأخذ مثلا غير منتقى على هذا الجانب وهو قصيدة ابن الساعاتي في فتح طبرية ، يقول :

نقد قرت عيون المؤمنين  
فدا عرف القضاء بها ضمينا  
يمز على الصوالي أن يهوننا

جلت عزماتك الفتح الصينينا  
رددت أخيدة الاسلام لسنينا  
وهان بك الصليب وكان قد مسنا

وأنت تقاتل الأعداء ديننا  
وفي جيد العلى عقدا ثميننا  
ويا لله كم أبكت عيوننا . . . (١)

يقاتل كل ذي ملك ريسا  
عدت في وجنة الأيام خلا  
فيا لله كم سررت قلوبنا

تبدأ القصيدة بذكر النتيجة وهي النتح ، واستقرار نفوس المسلمين باسترداد ما سلب من حقهم ، فهم في تلهف لرؤية المدينة المستردة ، واستنشاق هوائها ، إذ إن للنصر عذوة خاصة ، لأن استرجاع المدينة لم يكن أمرا سهلا ، أو بلا ثمن ، فالمدينة حصينة ، ترد المهاجمين ، وكأنها المرأة الصفيقة المحصنة ، التي تتأبى على الرجال ، هبل تترفع عن أكف اللامسين ، ومع ذلك فإن الإعداء السليم ، والتضحية ، جعلت هذه المدينة تلين ، وتفتح ذراعها للقائد المجاهد ، إعجابا به ، وتنديرا له :

وما طيرة الأعداء	ترفع عن أكف اللامسين
حصان الذيل لم تقذف بسوء	وسل ضها الليالي والسنين
فضضت ختامها قسرا ومن ذا	يصد الليث أن يلج العين
لقد انكحتم صم العوالي	فكان نتاجها الحرب الزبون
هناك ندى أهل الأرض طورا	سواك ومحقل أعيا القرون
قست حتى رأتك أفلانست	وظاية كل قاسر أن يلين

ثم ينتقل الشاعر إلى ذكر أهمية النتح للمسلمين ، وخطورتها على الفرنج ، فتستولي عليه الفرحة ، ويدير من بلد مفتوح إلى آخر ثم يختتمها بالثناء على هذا البطل القائد ، فيرى فيه أعظم الأبطال ، وأن كان آخرهم زمنا ، مثلا أن محمدا عليه الصلاة والسلام أعظم الأنبياء ، وأن كان خاتمهم :

وان تكأخرا وخسبك ذم  
وهي خاتمة رائعة لحادثة رائعة . . .

\* \* \*

أما المقطعات الشعرية ، فهي ومضات سريعة تحمل قوة الانفصال ، وسرعة المروض ، فأبياتها أقل من النوعين السابقين عددا ، وحرارتها متأججة ، وصورها قليلة مركزة

المواطف :

تكسب المواطف التي تكتنف النص الأدبي مادة النص حرارة تتناسب مع درجة انفعال الأدب ، فإذا لم ترتفع درجة الانفصال في النص الأدبي عن درجة الانفصال المادية التي يحس بها كل فرد ، فإن هذا النص سيخفق كل الاخفاق (٢) .

(١) الروضتين ٨٤ / ٢

(٢) انظر حول هذا الموضوع كتاب سيد قطب ، النقد الأدبي ص ٦٥

وهي د . أحمد الشايب أن الصوائف نوعان : ذاتية تقع في دائرة ضيقة ، وانسانية تستقطب مشاعر ابناء اللغة أو من يفهمها ، لأنها تقدم الافكار بطريقة مؤثرة تستعمل النفس وتسرب المعاني الى الذهن ( ١ ) .

ومن المسلم به أن نوع الانفعال يرتبط بمادة النص ، فالقصيدة الحربية التي تتحدث عن موقعة فاصلة ، تثير انفعالا حماسيا شديدا ، بينما القصائد الخزلية أو المقطعات الشعرية كذلك التي نظمها ابن القيسراني في الفرنجيات ، تثير نوعا مختلفا من الانفعالات يشيب فيها الاندفاع والخف .

وبين قصائد الحرب وقصائد الخزل أنماط من القصيد تثير أنماطا مختلفة من الانفعالات . . . ويصاحب هذه الانفعالات جرس موسيقي يتناسب عادة مع مادة النص كذلك ولناخذ أمثلة على أنواع الصوائف والانفعالات في شعر هذه الفترة ، وبين ارتباطها بالجرس الموسيقي الخارجي المتمثل في الوزن الشعري ، والجرس الداخلي المتمثل في موسيقى الالفاظ والحروف . . .

#### ١ . العاطفة الدينية :

تهرز هذه العاطفة في القصائد الحربية بشكل واضح . فما من قصيدة تخلو من رمز الحادثة أو يطلها بالشعور الديني ، وهذا أمر طبيعي ، لان الحروب الصليبية اتخذت في كثير من جوانبها شكل صراع عقائدي ، وقد أكسبت هذه العاطفة الشعر عنصر اثاره ، وحرارة ، نحس لفحها في قصائد كثيرة ، منها قصيدة ابن منير الطرابلسي ، التي نأخذ بعضها شاهدا على ما نذهب اليه ، يقول بهذا الشاعر :

أقوى الضلال وأقفر عوصائه	وعلا الهدى وتهلجت قساماته
وانتاش دين محمد محدوده	من بعد ما علت دما جراته
ردت على الاسلام حمر شبابه	وثباته من دونه ، وثباته

ويبدو من المقدمة أنها تحمل انفعالا دينيا قويا ، يتخذ شكل المقارنة بين الفرنج والمسلمين ، فأولئك أهل ضلال اندثر ، ولم يبق منه سوى رسوم تدل عليه ، وهو لا أهل الهدى الذي أهل وابتسم . وفي هذا الاطار من الاضطراب العقائدي ، يوضح الشاعر عمل نور الدين في تعزيز هذا الدين ، ويحرص الشاعر على أن يقدم هذه العاطفة في ظلال التحنان الى الماضي المجيد ، والمقابلة بين قوة في عهد نور الدين ، وضعف في عهد الحكام المتخاذلين الذين سبقوه .

ولو تابعنا ابن منير في قصيدته الطويلة هذه ، لوجدناه يلج على فكرة المقابلة بين المسلمين والفرنج ، مستعينا بالعركات السريعة لمقاطع البحر الكامل لوضع القارئ في جو لشك متحرك :

( ١ ) انظر كتاب د . أحمد الشايب ، أصول النقد الادبي ، فصل الصوائف .

حرب يصلصل في الطلح صمقاتسه  
فرس الفوارس ، والقنا ظيلتسه  
لله محتصمة غزواتسه . . .

فتفرقت أيدي سبا خشباتسه (١)

حط القوامر فيه بحد قماصها  
نبدوا السلاح لضيقهم ، طاداته  
لحزب عمرية غضبالتسه

ثم يقول

صدم الصليب على صالبة عوده

## (٢) عاطفة الكراهية :

وهي عاطفة لا يكاد يخلو منها شمر قبل في العروب ، وذلك من أجل استثارة الجند  
والناس ، للوقوف في وجه العدو ، ومحاولة القضاء عليه .  
فلا عجب ، إذن أن نرى الشمرء العرب في هذه الفترة يحفزون بكرامية الخزاة  
حين ينظمون شعرا يرتبط بالوجود الصليبي في البلاد . ومن خلال شعور  
الكراهية يحفزون قادة المسلمين ضد العدو ، ويشتمون به حين تلحق به الهزائم .  
يقول الصماد محوفا صلاح الدين على استرداد ما تبتى من الارض المحتلة ، بحد  
ان استرد القدس :

صور فإن فُتحت فاقصد طرابلسا  
وابعث الى ليل انطاكية الصمسا  
من العداة ومن في دينه وكسا  
فانهم ياخذون النفس والنفسا (٢)

من بحد فتحك بيت القدس ، ليس سوى  
أثر على يوم انظر سوس هذا الجسب  
وأخل ساحل هذا الشام أجمعسه  
ولا تدح منهم نفسا ولا نفسا

وقيل ذلك قال ابن منير في تحريض نور الدين على الخزاة :

غروا ، وقد ركبوا الأغر غرورا  
منهم هودت أرضهم تدصيرا  
شعوا ، تصلي الكافرين سميرا  
والخيل صوريك تزيك صورا  
قصي مطهرة لها تطهيرها (٣)

أن الألى أمنوا وقاعك بحد هسا  
ألقى الصا فيمن أطلع ومن عصى  
لا يلهمهم أن قد مننت ، وشتمها  
باكر برکز قنالتنصف أسهسا  
وتريك لامعة التريك بصاحبة الأ

وتظهر هذه العاطفة في مواطن التحدى بدرجة أكبر ، ومن غير ما يمثل هذا الجانب  
قصيدة ابن عيين في فتح دمياط التي مالمها :

سلوا صهوات الخيل يوم الوغى عنا  
فمن أول بيت نحس بالشدة والصالبة والاعتداد بالنفس ، ولعل نتائج الاصصوات  
المتشابهة في الهيئ يوحى بالتحدي والاعتداد بها .

(٢) المصدر السابق ١٠٢/٢

(١) الرونتين ج ١ ق ١ ص ١٥٦

(٣) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ٢١٧



وقد تجلت هذه العواطف في أوقات الضعف التي مر بها المشرك، الاسلامي كفترة سقوط القدس والمعرة ودمياط وغيرها .  
ومن القصائد التي تعجلت فيها هذه العواطف قصيدة ابن الجاور في تسليم القدس للفرنج سنة ٦١٠ هـ ، إذ يبدأها بالبكاء والنداء الحزين لعينه ، بأن تذرف الدموع وتواصل البكاء ، لعل الدمع يكون سبيلاً لان يطفئ ما في القلب من حرقنة ، يقول :

أعيني لا ترقني من الصبرات  
لعل سيول الدمع يطفئ فيضها  
ويا قلب أسمر نار وجدك كلما  
وما فم يبح بالشجونك لعلسه  
صلي في البكا الأصال بالبكرات  
توقد ما في القلب من جمرات  
خبت بآركار يبعث الجمرات  
يروح ما ألقى من الكريات (١)

ان النداء المتكرر ليوحى بالحسرة والتلطف ، كما أن القافية المكسورة المسبوقة بالمد يتناسب وقصها مع الجو الحزين ، وليس من العجيب أن تشترك قصيدة العماد في رثاء صلاح الدين مع هذه القصيدة في كثير من أدوات الحزن، فيها ، يقول العماد في رثاء للبلبل المسلم الراحل :

شبل الهدى ، والملك عم شتاته  
أين الذي مذ لم يزل مغشية  
أين الذي كانت له طاماتنا  
بالله ، أين الناصر الملك السدي  
والدعبر ساء وأقلدت حسناته  
مرجوة رغباته وهباته  
مذولة ، ولربه طاعاته  
لله خالصة صفت نياته (٢)

أما الحزن والحسرة على سقوط المعرة فتتمثلة مقابلة أبي بشر بن الخواري ، التي يبدأها أيضا بالاستنهام والبكاء والنداء ، ويتكرر فيها حرف المد وتنتهي بروي مكسور أهذه بين إنكاري وعرفاتي  
جهلتها ، ولقد أبدت مآلجهما  
فمجت أسألها ، والدمع منسكب  
مسارب الوحش أم داري وأوطاني  
عهد الصبا بين إخواني وغلاني  
والقلب في لوعة من وجدته عان (٣)

أما الحزن على دمياط ، فقد امتزجت فيه الشكوى بالتحريض ، وجاءت أدوات الحزن متكررة متنوعة . يقول الأمير جمال الدين الكناني في رسالة شعرية ندمت بها من داخل دمياط المحاصرة :

يا مالكي دمياط شفر هدصت  
يقربك من أزكى السلام تخيمة  
شرفاته ، كادت تجت أصوله  
كالمسك ، طاب دقيقه وجليله

المصدر السابق ٢/٢١٥

(١) الروضتين ٢/٢٠٥

(٢) الخريدة ، قسم شعراء الشام ٢/٨٧

حتى كأنك جاره ونزيله  
 بين الملوك شبيهه وعديله  
 بجميعه فرسانه وخيولسه  
 والبحر عز لنصره أسطوله  
 وحنينه وكاؤه وعويلسه  
 ما إن يعل من الدموع هموله  
 لكنه سدت عليه سبيله  
 دين الاله وخلقه ورسوله  
 علاته ونجا عليه نحوله (١)

ويقول عن يحد ، وإنك سامع  
 يد أيها الملك الذي ما إن يرى  
 أشكو إليك عدو سوء أجدت  
 فالهر قد منعت إليه طريقه  
 فغضوبه باد على أبراجيه  
 والشعر نادره الميك محدد  
 ولو استطاع لأب بابك لا هذا  
 ورسوله في أن تجيب دعائه  
 فقد انتهت ادواؤه وتحكمت

ففي الابيات الأولى تأخذ الشاعر النخبة ويتهدج صوته ، ثم ينتقل إلى مخاطبة الملك  
 الكامل ويشكو اليه سوء الحال ، بسبب حصار القرين لدمياط ، ثم يعرض صورة مؤثرة  
 تعكس ما يعانيه الشعر من ضيق ، ويكرر هذه المواقف والمخاض لكي تحرك مشاعر الكامل  
 وتدفعه إلى العمل ، وقد حصل ما توقعه فعلا ، إذ انه عندما وقف الكامل على هذه  
 الابيات ، أمر أهل القاهرة ومصر بالنفير للجهاد ، وكان قد بحث إلى أخيه الأشرف  
 يستحثه على سرعة الحضور بأبيات مشيرة ، قال فيها :

فانهض بشير تلبث وتوقسف  
 بتجشفي سيرها وتبسف  
 الا على باب التليك الأشرف  
 ما بين كل مهند ومثقف  
 يوم القيامة في عراش الموتف (٢)

يا مسعدي إن كنت حقا مسعفي  
 واحث قلبك مرقلا أو موجفا  
 واطو المنازل ما استطعت ولا تخ  
 إن تات عبدك عن قليل تلقه  
 أو تطر عن انجاده ، فلقبواوه

وقد سبق الحديث من خلال المقدمات من أنواع أخرى من العواطف الحافزة على قول  
 الشعر ، ومن هذه : الإعجاب بالقائد ، والاحساس بالنشوة حين النصر ، وشعور الانتماء  
 إلى الأمة . . . إلى غير ذلك .

ومن خلال الامثلة التي تقدم تحليلها في هذا القسم يمكننا أن نقول :  
 إن عواطف الشعراء في قصائدهم الحربية عواطف صادقة ، لأنها تنطلق من احساس  
 شديد بالأحداث ، وانتماء قوى إلى المحتج وعقيدته وعضارته ، وارتباط بالموطن ، وإعجاب  
 بالبطل ، إلى غير ذلك مما سبقت الإشارة إليه ، ولذا فإننا نحس في كثير من الاحيان  
 بتوهج الابيات ، بل اننا نحس بأننا نتفاعل مع الشاعر ، وكأننا ينقل إلينا مشاعره بالصداق  
 وإذا نحن وهو في وضع عاطفي واحد .

(١) الملوك لمصرفة دول الملوك ج ١ ق ١ ص ١٩٩

(٢) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٩٧

وهذا التصديق في التعبير هو صدق شموله ، ولا يستلزم الصدق الشمولي دقة  
صدقا في نقل الوقائع ، إذ إن الشاعر ينقل لنا الوقائع والأحداث ملونة بمشاعره ، ومواقفه  
الخاصة ، وكذلك بأحاسيس المجتمع الذي ينتمي إليه ، مما يجعل النص أكثر تأثيرا .

وقد عرضنا ألوانا مختلفة من عوالم الشعراء ، فوجدنا أشد تأثيرا وقوة صا  
يرتبط بالتحديد والتجريد ، حتى ليجد الدارس النبرة الخطابية واضحة فيها .

ومن عوامل التأثير في الشعر ، العنصر الموسيقي ، المرتبط بالبحر والقافية  
والموسيقى الداخلية ، وما أن الشعر الخري في غالبه يعبّر عن القوة ، فإن من المتوقع  
أن تكون موسيقى القصائد الخرية توحى بالقوة ، ولعل الجدولين التاليين ، المرتبطين  
بموسيقى الشعر الخري الذي أخذته من الرونيتين ، يعد لماننا فكرة عن أشيع بحر  
الشعر والقوافي التي استعملت في القصائد ذات السمة الخرية :

البحر											
مجموع القوائد											
الكل	الطويل	البيط	الغفيف	الواو	المثاقير	السرغ	التملح	الجز	الرمي	الذي	١٢٨
٣٧	٢٦	٢٥	١٠	٩	٨	٥	٤	٢	١	١	

وكانت حروف الروي كما يلي :

حروف الروي														
مجموع القوائد														
الذي	الذي	الذي	الذي	الذي	الذي	الذي	الذي	الذي	الذي	الذي	الذي	الذي	الذي	١٢٨
١	١	١	٢	٢	٣	٣	٥	٥	٦	٨	١٠	١٢	١٤	٢٤

ويلاحظ أن البحر الكامل قد تكرر استعماله في هذه القصائد سبعا وثلاثين مرة ،  
وهذا أمر طبيعي لأنه يحتوي على ثمانية عشر مقطعا صغيرا واثنى عشر مقطعا طويلا ، ولعل  
ما يوحى به البحر من حركة متصلة ، يتسق مع الانفصالات الشديدة التي ترافق الحروب  
في المعتاد ، كما يصور جو المعركة وما فيها من حركة أيضا . أما البحر الطويل ، ففيه  
عشرون مقطعا طويلا وثمانية مقاطع قصيرة ، فهو يتسع للموضوعات الجادة والمواقف الخطيرة  
وقد استعمله قدامى الشعراء في شعر البطولة (١) .

1-Mahmud Ibrahim , Martial Poetry under the Hamdanids  
of Aleppo, p.p 461-463 (PH.D 1965)  
وانظر كذلك كتاب د . أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ص ٣٢٢-٣٢٥

أما البحر البسيط الذي يأتي ثالثاً ، فهو قريب من البحر الطويل ، إذ إن عدد الحركات فيها يكاد يكون متساوياً ، وكثيراً ما استعمل هذا البحر في الموضوعات الرصينة الجادة كذلك . على أنه لا يهد من القول ، أنه لا يوجد رابط حاسم متفق عليه ما بين موضوع القصيدة الشعرية ، ومخرجها ، وإنما هي استقرأت تستمد على مدى شيوع استعمال بحر ما في موضوع من الموضوعات .

وكما أن موسيقى البحور تنفي على الشعر جواً معيناً ، فإن حروف الروى تنفي مثل هذا الأثر كذلك على الشعر ، وقد لوحظ أن حرف الراء قد تكرر في أربع وعشرين قصيدة من القصائد التي استقرت ، ثم يأتي حرف الدال في المرتبة الثانية ، وقد جاء في ست عشرة قصيدة ، ثم حرفا : الميم والنون في المرتبة الثالثة ، وقد تكرر في ثمان وعشرين قصيدة . ولعل هذه الأحرف الأربعة تمثل أصواتاً تتناسب في وقعها على الأذن مع أجواء العرب ، لا سيما أنها من الحروف التي كثر استعمالها في قوافي القصائد العربية .

### التصوير :

يختلف الناس بعضهم عن بعض في نقل الأفكار ، فبعضهم من ينقل الفكرة مجردة ومنهم من يخلقها بالصور الشائقة ، ومنهم من يصب عليها من قلبه ما يشيح الدف والحرارة فيها . . . .

ثم ، إن تميز الشاعر عن بقية الناس بشدة الاحساس بالحياة وما يجري فيها ، يجعله أقدر من غيره على التفاعل مع الأحداث وتصويرها تصويراً يحمل طابعه الذاتي ، وهذا التصوير يحمل كل كلمة في الفن الشعري تودى وظيفته معينة في نقل الفكرة ، ولذلك فإن للكلمة تأثيراً خاصاً . . . .

ولعل الصور التي تثيرها الكلمة هي التي تبحث الحياة في النص الأدبي ، وتكسبه القدرة الإيجابية ، وهي التي تجعل القارئ يقبل على نوع من العمل الأدبي دون نوع آخر . ومن المسلم به أن الصور الشعرية مرتبطة بالفكرة أشد ارتباطاً ، لأنها تعبر عنهما ولكن ذلك لا يعني أن تكون الصور في الشعر الحربي مشتقة من مظاهر الحرب فقط ، بل إن مصادر الصور متنوعة ، يلجأ الشاعر في تكوينها إلى مصطلحات البيئة المحلية ، والمثاقفة ، والتجارب الشخصية .

وبطول الحديث لو حللنا عناصر هذه المصطلحات ، وشرينا لها الأمثلة ، ولذا ، فقد يكون من المجدي اختيار أمثلة معينة ، وتوضيح مصادر الصور من خلالها . . . .

١ . يقول ابن دنيير في صرقة دمياط :

- |                                    |                               |
|------------------------------------|-------------------------------|
| ١ . يا يوم دمياط قد راحت مسودة     | منك الطروس وقد سارت بك السير  |
| ٢ . تهلل الدين والدنيا به فرحاً    | واستبشرت مكة والججر والحجر    |
| ٣ . لم تخش يثرب تريباً لفادحة      | من بعده إذ سرت في ذكره السور  |
| ٤ . أنطقت خرس الأمانى وهي صامتة    | ورضت صعب الصماني فهي تبيدر    |
| ٥ . أهبست أهل الهدى من نصرته حملاً | والشرك قد حل منه الأزد والأزد |

يكاد منه فؤاد الدهر ينفطر  
 عن فخريها وهو طول الدهر يفتخر  
 فالشرك منخذل والحق منتصر  
 زورق الأسننة فهني الأتجم الزهر  
 لكنها بظلام النقع تستقر  
 بنصره ، وصليب الشرك منفسر  
 كسر مدى الدهر منك ليس ينجبر  
 ذرعا ، فأنت لديه مهل له جزر  
 وفي السماء قضاة الله والقاسد  
 رؤوسهم منك نار الحرب تستر  
 وبين سمر القنا والموت مصتكر  
 وللسيوف ، العليل والهيام والقصر  
 وما ذروا أنه عجز به العيسر  
 وقد رأوا غارة هانت لها الفيسر  
 بأن سيفك لا يبقى ولا يبذر  
 ويل طويل وقد وافاهم الخبر  
 من يوم أسك حصرا ليس يشحبر  
 فيها لخوفك ، إن قالوا وإن ذكروا  
 إن قيل عودوا ، نعد بالسيف نتصر  
 ولا حنين ، وإن عدوا وإن شهروا (١)

٠٦ في يوم ذي رهب لا وصف يدركه  
 ٠٧ يوتدين له الأيام إذ غرست  
 ٠٨ في حالة جمع الشدين في قرن  
 ٠٩ قد عاد صبحهم ليلا تضي به  
 ١٠ والشخص طالعة فيه وغارسة  
 ١١ والدين قد تليت آيات فرحنا  
 ١٢ يا دين عيسى بعيسى قد خذلت ودا  
 ١٣ واثاك في جحفل ضاق الفضا به  
 ١٤ أتى بجيش يوغى ، في الأرض عسكره  
 ١٥ فالبحر من تحتهم أذيه وعلسى  
 ١٦ وزعتهم بين بيض الهند مصلتة  
 ١٧ فللرمح قلوب منهم أبدا  
 ١٨ أموا الصبور الى دمياط تحصنهم  
 ١٩ راموا - بحيث اطلخهم لأمير سلمهم  
 ٢٠ لم يطلبوا السلم إلا بعد علمهم  
 ٢١ أضحى لرومية الكبرى بما شهدوا  
 ٢٢ ان لم يكن حوصروا فيها فإن بها  
 ٢٣ يمشون همسا ، وإيما جديشهم  
 ٢٤ نهاهم الرب عن عود فمقصصة  
 ٢٥ ما يوم بدر بأعلى منه أو أحد

ففي هذه القصيدة يرسم الشاعر صورة دمياط ، وقد تخلضت من الافرنج بعد معركة طويلة ، فقدم النتيجة على المعركة ، نظرا لأنها كانت مسروقة ، ثم أخذ يصف قوة الفرنج ، ولكن هذه القوة لم تغن عنهم شيئا ، ولم تدفع كثرتهم الهزيمة ، بسبل سقطوا موزعين بين النار والماء ، والسيوف والرمح .

أما مصادر الصور فهي إما مأخوذة من حياة الناس ، وأقوالهم وممارساتهم كالتهلل والاستبشار (بيت ٢) والنطاق (بيت ٤) والهمس ، والاشارة (بيت ٢٢) واللباس (بيت ٥) والتلاوة (بيت ١١) ، أو مستمدة من الجوا الحرسي كلمعان النصال ، والسيوف وغار المعركة ، والجيش ، والمعركة البحرية والنار المحرقة . . . .  
 (الابيات ٩-٢٣) ، أو من الحياة الدينية ، كحكة والججر والحجر ، والمدينة الضورة (بيت ١-٢٠) والهدى والشرك (بيت ٥ ، ٨) صدر واحد وحنين (بيت ٢٥) .

٠٢ ويقول فتيان الشاغوري في فتوح صلاح الدين :

أنشأت ملحمة تمل معاقبل ال  
اعرابها جرب الحسامونقطها  
والحبر بحر دم تغلظت موجته  
والبيض تنثر وهي غير خواطسب  
والخيل ملزبة كأن صهيلها  
نشوى تميد من السرور كأنصا

فرسان بالصدو الذي لم يهصر  
وقع السهام وخطها بالسهمري  
إذ ليس ثم سوى الثرى من دفتر  
والسمر ناظمة وان لم تشمس  
شدو النخيلة في نسيب الهجري  
صبحت كوهسا من شراب مسكر (١)

ومصادر الصور في هذه الأبيات متنوعة ، أبرزها الاعتماد على الثقافة اللغوية والأدبية  
مثلة في : الإعراب والنقط والخط والنثر والنظم ، وأدوات الكتابة من حجر وورق .  
وقد اشتق بعض الشعراء الصور البيانية من أسماء الفرج وقادتهم ، كما في أبيات  
العماد التالية :

لما رأى الداوي راونداه  
طلب الفريزي الفرار بطلبه  
والهافري مذهان فرمو مسالا  
باروا فبارو نيتهم بفنائسه

ولى بطاعون بغير طعسان  
متباعدا من هلكه المتدانسني  
لساذمة ، والمهون شأن الثاني  
مود ، وسيرهم أسير عسان (٢)

وهذا يمكن تلخيص مصادر الصور الشعرية في شعر الحروب الصليبية ، بما يلي :

٠١	الحياة الاجتماعية	٠٤	جو الحسرب
٠٢	الحياة السياسية	٠٥	الهيئة المحلية
٠٣	الحياة الثقافية	٠٦	الحياة الدينية

### الصور التقليدية :

سادت الروح الاتباعية أدب هذا العصر ، فاتكأ شعراء الحروب الصليبية على التراث  
الأدبي السابق ، وأخذوا منه كثيرا من الصور ، بالإضافة إلى التأثر بالجو العام للقائد  
الحربية في العصور السابقة .

وقد ناقش الدكتور محمود إبراهيم في كتابه : " صدى الفزوة الصليبية في شعر ابن  
القيسراني " هذه الزكرة مناقشة وافية ، استعرض فيها أسباب هذه التبعية ، واستوعق  
أمثلة كثيرة من شعر ابن القيسراني في تأثره بالمعتبي وأبي تمام . (٣) .

- (١) ديوان فتيان الشاغوري ص ١٤٦  
(٢) الخريدة ، بداية قسم شعراء الشام ٥٥ ، ٥٦ ، وانظر الروضتين ٥٢٩/٢/١ و ٥٢٩  
(٣) صدى الفزوة الصليبية في شعر ابن القيسراني ص ١٢٦ - ١٩٦

وليس من الضروري ، في هذا المقام ، استعراض كل صورة أقتبسها شعراء هذه  
الثقفة من الشعراء الاقدمين ، فذلك يحتاج الى دراسة خاصة ، ولذلك فاننا سنعرض  
بعض الصور التي تردت في شعر العرب الصليبية ، وأخذنا أصحابها من الشعراء السابقين  
ويمكن عرضها كما يلي :

### ١٠ صورة الجيش الاسلامي يظلمه جيش من الطيور :

وقد تكررت هذه الصورة في الشعر العربي غير مرة ، منها قول فتيان الشاغوري  
في وصف جيش صلاح الدين :

خيمت له الرايات ظل وفوقه من الطير ظل يحجب الشمس سادل (١)  
وقوله :

وجيش لها ، خلق الطير فوقه ستضحى لكم أحشاؤها نواويسا (٢)

ويصف العماد تزاحم الطيور الجارحة في الجو وكأنها جيوش تتزاحم فرسانها ،  
فيقع الصدام بينها ، يقول :

تزاحم فرسانها الضارسات فتصدم فيها النصور النصور (٣)  
ويقول ابن دنينير في مدح الملك كوكبري بن علي بن بكتكين :

وما زلت في جيشين : جيش مقاتل وجيش على القتلى من الطير حائم (٤)

وقد وردت هذه الصورة في الشعر الجاهلي ، وردت اسماة بن منقذ الى الافسوه  
الاودي ان يقول :

وترى الطير على آثارها ثم أخذها التايضة فقال :

إذا ما غزا بالجيش خلق فوقهم جوانح ، قد أيقن أن قبيلهم  
ثم أخذها العطيفة ، ثم حميد بن ثور ، ثم مسلم بن الوليد ، وأبو نواس ثم أبو تمام  
والمتبي ، إذ يقول الأخير :

له عسكرا خيل وطيور إذا رمسى  
بها عسكراً لم تهق إلا جماجمه (٥)

(١) ديوان فتیان الشاغوري ٣١٢ (٢) المصدر السابق ٢١٤

(٣) الخريدة ، هداية قسم شعراء الشام ص ٢٩

(٤) ديوان ابن دنينير ورقه ٥٢

(٥) الهدى في نقد الشعراء ص ٢٢٤

## ٠٢ صورة الجيش الاسلامي الكثيف المدجج بالسلاح :

وقد جاءت هذه الصورة في شعر الحرب العربي ، فاستفاد شعراء هذه الفترة من الصور القديمة وأوردوا في شعرهم وصفا للجيش الاسلامي ، فقالوا إنه يزحف كالجراد ، ويحمل من السلاح اللامع والسهام الكثيرة ما يشبه أغصان الشجر في الثبات ، كما وصفوا انقراض السهام والرمح بانقراض الشهب ، يقول معاذ الأعشى في وصف جيش صلاح الدين :

عمر كالدني الطيار منتشـير  
إذا نهبت إلى أرض الحدو به  
تسبح عليه سماء من عجاجته  
وفي ياجيه نار من صوارمه

ويقول ابن أسعد الموصلي متعديا الفرج بـحيد انتصارهم على نهر الدين :  
هالاً وقد ركب الأسد الصقور وقد سلوا الذئبي تحت غابات من الأسل (٧)

## ٠٣ صورة جيش المدو المنهزم :

وقد قدم الشعر لهذه الصورة أريفة تحمل معنى الاستهزاء ، فهم لا يفرقون بين وخز السلاح ووقع حبات المطر الشديد تنزير أجسامهم ، وقد اعتمد ابن القيسراني في هذه الصورة حين قال :

صاب الخمام عليهم والسهام معا  
على صورة المتبني التي يقول فيها :  
يششاهم مطر السحاب مفضالاً  
يشهند ومثقف وسنبلان

## ٠٤ التأخر بقصائد الشعراء السابقين اعامة :

فقد اعتمد الشعراء على قصيد تـأبـي تمام الهائيتعي وزنها ورويها وصورها ، ومن الشعراء الذين قلده ابن القيسراني في قصيدته التي مطلعها :  
هذي المزائم لا ما تدعي القضب وذوي المفارم لا ما قالت الكتب (٤)

(١) الخريدة ، قسم شعراء الشام ١ / ٤١٤

(٢) المصدر السابق ٢ / ٢٨٩

(٣) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤١

(٤) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٥٢



وشهاب الدين محمود في قصيدته التي مطلعها :  
 الحمد لله زالت دولة الصلب وعز بالترك دين المصطفى العربي (١)  
 وأخذ ابن دنينير من قصيدة ابي تمام البائية بعض الصور في قصيدته التي يصف  
 فيها فتح دمياط ، ومطلعها :  
 ها قد بلغت الذي قد كان ينتظر الله أكبر هذا النصر والظفر  
 وفيها يقول :

هذا هو الفتح فتح لا يقوم بهه نظام المديح ولا نثر فينتكسر  
 فتح مبين وفي من كل مهقسة لم يبق من بعده ذنب فينتكسر  
 يا يوم دمياط قد راحت مسودة منك الداروس وقد سارت بك السير (٢)  
 ومن الشعراء الذين استفادوا من قصائد ابي اليايىب المتبى ابن أسعد الموصلى  
 في قصيدته التي يعتذر فيها عن كسرة نور الدين ومطلعها :

طلبى المواضي ، وأطراف القنا الذبل ضوامن لك ما حازوه من نفل (٣)  
 فقد استفاد من قصيدة المتبى التي يعتذر فيها عن كسرة سيف الدولة ، ومطلعها :  
 غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

٥٥ مقارنة الفتح بالفتوح السابقة ، ومقارنة القادة بالأبطال السابقين في تاريخ الاسلام :  
 وقد أصبحت هذه المقارنة ظاهرة من ظواهر شعر الحروب الصليبية ، ولعل ذلك  
 يعود الى طبيعة الصراع الديني بين المسلمين والفرنج .  
 ومن الشعراء الذين أقرنت صورة الفتح في أذهانهم بالفتوح الإسلامية السابقة ،  
 أبو علي الحسن بن علي الجويني ، يقول :

هذي الفتوح فتوح الانبياء وما لها سوى الشكر بالأفعال أثمان  
 .....  
 فأين مسلمة عنها وأخواتها بل أين والدهم ، بل أين مروان (٤) ؟  
 ومنهم الحماد الاصفهانى ، إذ يقول في مدح صلاح الدين وتكسيه الصلحان في  
 القدس :  
 نفى من القدس صلحانا كما نقيت من بيت مكة أزلام وأنصاب (٥)

(١) تاريخ ابن الفرات ١١٥/٨ ، درة الاسلاك ورقة ١٥٤

(٢)

(٣) الروضتين ج ١ ق ١ عن ٣٢٠

(٤) المصدر السابق ٢/٢٠٥

(٥) المصدر السابق ٢/١٠٣

ويقول الهباء زهير في فتح دمياط :

فله يوم الفتح ، يوم دخولها  
لقد فاق أيام الزمان بأسرها

ويقول ابن دنينير في فتح دمياط :

ما يوم بدر بأعلى منه أو أحسن

وقد طارت الاعاذم منها على وكسر  
وأنتى حديثا عن حنين وعن بدر (١)

ولا حنين وإن عدوا وإن شهروا (٢)

أما مقارنة القادة بالابطال السابقين أو الانبياء فتظهر في قول ابن الساعاتسي  
اذ أقام علاقة بين صلاح الدين يوسف والنبي يوسف عليه السلام بجامع الاسرار  
والشهرة :

فكنت كيوسف الصديق حقا

له هوت الكواكب ساجد ينسا (٣)

ويقول الجويني فيه أيضا :

جباه ذو المرش بالنصر العزيز فقا ل الناس : داود هذا أم سليمان (٤)؟

الدين بعد فتح القدس :

فأروقها عمر الإمام الاطهر

ولانت في نصر البوّة حمدر (٥)

يا يوسف الصديق أنت لفتحها

ولانت عثمان الشريعة بمسده

تشبهه المدن والشور بالنساء المتضعات :

فقد صور الشعراء تمنع المدينة على الفتح بتضع الفتاة ، وقد سبق المتبني الى هذا

الهاب في استحسان الفاظ النزل والنسب في وصف الحرب (٦) .

ومن الشعراء الذين جاءت هذه الصورة في شعرهم ابن القيسراني ، اذ يقول في

مدح نور الدين :

ما زلت الحرب الموان بسنه

الا انجلت عن معقل بكر

يا كفاها ما المذر عن عذرائها

ما بين أجدها وبين إمائها

بكر ، ملوك الارض من رقبائها

عن نيلها أن ليس من أكفائها (٨)

ومضم الملك المناظر تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي ، اذ يقول في فتح صلاح

الدين للقدس :

جاءتك أرض القدس تحطب ناكحا

زفت الهك عروس خدر تجملسي

ايه صلاح الدين خذها غادة

كم خاطب لجمالها قسد رده

(٢) ديوان ابن دنينير ورقة ١٥

(٤) المصدر السابق ١٠٥/٢

(٦) يثيمة الدهر ٢٠٩/١

(١) ديوان الهباء زهير ١١٣

(٣) الروضتين ٨٥/٢

(٥) المصدر السابق ١٠٥/٢

(٧) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٤٦

(٨) الخريدة ، بداية قسم شعراء الشام ٨٦

نعم كثير من الدارسين لهذه الفترة على الشعراء والكتاب استعمالهم الزائد للبديع ، واستقصاءهم لصوره ، وقد غالى بعض الدارسين في نقد هذه الظاهرة حتى وصف العصر الذي ندرسه بالجمود والانحطاط بسببها ، وكأن الصنعة لم توجد الا في أدب هذه الفترة فقط ، أو كأنها قد تمثلت في كل نص من نصوص هذا الأدب . ولا شك أن بعض هذه الاحكام لا يستند الى دراسة مستقصية دقيقة ، وإنما عسي خطف سريع لأحكام متأثرة بأحكام سريعة سابقة .

ومن المسلم به أن البديع موجود في الأدب العربي قبل هذه الفترة ، ولكن درجات اهتمام الأدباء به تختلف من واحد الى آخر ، ومن نمط من أنماط الأدب الى نمط آخر .

ولسنا معنيين بدراسة تحكّم البديع في الأدب العربي عامة ، وفي شعر هذه الفترة خاصة ، لان ذلك يحتاج الى دراسة مستقلة . وقد عالج د . زكي مبارك في كتابه النشر الفني في القرن الرابع الهجري هذه الظاهرة (١) ، كما عالجها د . محمود ابراهيم في الشعر من خلال دراسته لابن القيسراني الشاعر (٢) وما نريد تأكيده هنا ، هو أن البديع ظهر في الأدب ، شعره ونثره ، بشكل بارز في هذه الفترة ، ولكن موادنه في البديع والوعف . . . أكثر منها في الموضوعات الاخرى .

ويمكننا التذليل على ذلك بملاحظة سريعة ، وهي أنه لو قارنا بين ما فسي الشعر الخريدة من شعر ، وبين ما في الروعتين من شعر ، لوجدنا أختلافاً ملموساً من حيث تحكّم البديع ، والسبب في هذه الظاهرة هو أن شعر الروعتين يكاد يكون مرتبطاً بالأحداث السياسية في عهدي نور الدين زنكي وصلاح الدين الايوبي ، وهذا يعني أن الشعراء قد تحرروا بشكل عام من عقال البديع في موضوعات معينة ، فلم يطغ البديع على شعرهم ، بينما نجد شعر الخريدة تبرز فيه هذه الظاهرة بشكل يسترعي الانتباه ، لأن شعر الخريدة مغموغ حسب المناطق الجغرافية ، إذ يعرض الحماد شعر الشعراء الذين اختارهم بغض النظر عن الموضوع ، وقد تحكّم ذوقه بمختراته الشعرية ، فجاءت مثلثة لولعه بالوان المحسنات اللفظية .

وسنذكر فيما يلي بغض القوائد الحربية موزعة على فترات حقبة الحروب الصليبية ، ثم تعرض للبديع الذي ورد فيها ، لنرى الى أي مدى كثر استعماله في هذا اللون من الشعر ، فقصيدة ابن الخياط التي مطلعها :

قد تك الصواهل قباً وجسردا  
وشم القبائل شيئا وصردا (٣)

(١) انظر : النشر الفني في القرن الرابع الهجري ص ٦٤ وما بعدها

(٢) انظر : صدى الشرو الصليبي في شعر ابن القيسراني ص ١٩٨ - ٢٠٢

(٣) ديوان ابن الخياط ١٨٢ ، وانظرها في الملحق الشعري

لا يسيطر عليها البديع ، الا بشكل معتدل ، كالطبايق في قوله : بهيضى - سمى - شرقا - غيا ، غورا - نجدا ، هزلا - جدا ، الحر - عبد ، تامون - اسهرتموهن ، والجناس في قوله : الأسد - الأشدا ، نائل - نائل ، جاعلا - عاجلا ، جدا ، جدا ، والتقسيم في قوله : فدتك الصواهل : قبا وجردا وشم القبائل : شيئا وسمسردا أما مقطعة أبي بشر بن الحواري التي مالمها :

أهدمين إنكارى وعرفانسي مسارب الوحش أم داري وأوطانسي

فلا يوجد فيها من البديع الا الدبايق في البيت المذكور .

وكذلك الحال في قصيدة ابن قسيم الحموي التي يمدح فيها عماد الدين زنكي ، ومثلها :

بحزمك أيها الملك العظيـم تذل لك الصعاب وتستقيـم

ان يقل فيها البديع ويمكن حصره في عدد محدود من أمثلة الطبايق والمقابلة والجمالنة . . .

وأما قصيدة ابن عيين في هزيمة الفرنج على دمياط التي مطلعها :

سلوا سهوات الخيل يوم الوغى عنا اذا جهلت آياتنا والقنا اللدنا

ومقطعة ابن مديون في هزيمة الملك لويس التاسع على دمياط سنة ٦٤٧ التي مطلعها :

قل للفرنسيين اذا جئتـهم مقال صدق من قول نصيب

أجرك الله على ما مضى من قتل عماد يسوع المسيح

فهما عميدتان عن الصناعة اللفظية ، مع انهما مختلفتان في الاسلوب من حيث القوة واللين

كما انهما قيلتا في وقتين متباعدين نسبيا .

ومع أن قصيدة شهاب الدين محمود في فتح عكا ، التي مطلعها :

الحمد لله زالت دولة الصلب وعز بالترك دين المصطفى العربي

هي تقليد لقصيدة أبي تمام ، إلا أنها خلت تقريبا من الصناعة اللفظية ، علما بأن

قصيدة أبي تمام فيها من الصناعة الشيء الكثير .

كل هذا يدل على أن الصناعة اللفظية لم تكن متحكمة تحكما كلياً في جميع الشعر

ولذا فلا يجوز تحميل الحكم على شعر الجروب الصليبية كله . . . ومع هذا ، فأنتم

تجد بعض القصائد تستبد فيها الصناعة ، لا سيما في القصائد التقليدية ، وقد بين

د . محمود ابراهيم ذلك في شعر ابن القيسراني (١) ، ولذلك منمروض فيما يلي

أمثلة أخرى من نظم شعراء آخرين ، فمن ذلك قصيدة ابن منير الطرابلسي التي مطلعها :

أقوى الضلال وأقفر عرصاته وعلا الهدى وتبلجت قسامته

فان كل بيت فيها لا يخلو من البديع ، لان ابن منير عرف عنه ولعمه بالزخرفة اللفظية ،

وأكثر ما استعمل من أنواع البديع :

المقابلة ومن أمثلتها : أقوى الضلال وأقفر عرصاته . . . البيت ، والبيت الثاني ،

الجناس : وهو كثير ، ومنه : وثباته - وثباته - شداته شداته . . . التجنيس بالاشتقاق

وهو كثير أيضا منه :

- أصلاته وصلاته وصلاته  
ضرب يوصل في الدالي صحقاته  
فوس الفوارس والقنا غاياته  
فوق التوانس والقنا قينانسه  
أست زوافر غيها زفراته ٠٠٠ الخ
- \* وأعاد وجه الحق أبيض ناصها  
\* حدل القواص فيه بمد قماصها  
\* نبذوا السلاح لضيفم عاداته  
\* يمسي قنانيه بنات قيونسه  
\* ومضى يوءب تحت إنب همة

اللباق : نار - ذلحاه ، صبور - غبور  
المبالغة : ومن أمثلتها :

- نداف النفوس تدبرها نشواته  
شجرا أصول فروع شراته  
فوق السماء ، وتحتلي درجاته
- \* فصبوحه خير الدالي وغوقسه  
\* لم تنبت الأجسام قبل رماحه  
\* في كل يوهستليل قناتسه

ثم قصيدة ابن سناء الملك التي مدحها :

هل الكرك التكلي بأولادها انتهت  
ومنها من أنواع البديع ما يلي :

- يسهل إلا أنه ليس بالمسهل  
فكيف يسير الجيد في فوها بلاسهل  
فناج دم ضهم عن الماء في الشمل  
وتصبح تشكو بعده غلة الصحل
- \* يكلفهم غزو الترويع بدارهم  
\* إذا كنت من قتلاك تملأ سبلها  
\* وكانت بهم تلك البلاد تنجست  
\* ولم أر أرضا جادها التميث قبلها

المبالغة : ومنها :

- وليس لها غير الوارس من أكل  
تصيف وتخشى في الدماء من الوحل  
جيوشك لكن بالوارس والرجل
- \* عساكر أرواح العساكر شربها  
\* جيادهم تخشى العثار من القنا ال  
\* وما شرقوا بالماء والريق إذ رأوا

العقابلة : ومنها :

- ومستك إذ أمست وهي بلا أصل  
ربيع من النيل المدد كالمسهل
- \* وصبحت أخرى صبحتك بأهلها  
\* أحسوا بطل للخريف فجساء نسيم

هذه نثرية سريعة في مدى وجود البديع في شعر العرب الصليبية ، ولنا أن

نتساءل : هل أدى البديع إلى تضبيب الصورة أو إطفاء الانفعال ؟

قد يكون الجواب بالإيجاب بالنسبة إلى بعض القصائد التي سمي قائلوها البديع  
تزيين شعرهم بالزخارف اللفظية كيفما اتفق ، ولكن المتصفح للملحق الشعري ، يجد أن  
البديع لم يكن طاغيا على كل الشعر ولا على أكثره ، وما يقوم دليلا على ما ذهبنا إليه ،  
تلك الرسائل الشعرية التي تبادلها الشعراء :

أسامة بن منقذ وطلحة بن رزيق ، إذ ان الشعراء لم يحفلا كثيرا بالصنعة ، ولنضرب على ذلك مثلاً واحداً من شعر كل منهما ، فقد كتب طلحة الى أسامة رسالة شعرية قال فيها :

قل لابن منقذ السدي  
.....

كم قد بمتنا نصوصك الا  
مثل الحسان الشيدنا  
علا بذلت لنا مقابلا  
مع أننا نوليك صب  
ونبشاك الاغبسار ان  
سارت سرايا لتص  
تزوجي الى الاعداء جر  
تمضي خفافا للبخس  
حتى لقد رام الاعسا  
فاجابه أسامة بقوله :

يا أشرف السوزراء أخذ  
وأعزهم جاراً وأمتاً  
نبهت عبداً طامساً  
وعتبه فأنتلست منه  
أما السرايا حين تسر  
ومسيرها في كسل أر  
فكذلك فضلك مثل عد  
فاسلم لنا حتى نسرى  
واشدد يدك بود نو  
فهو المحامي عن بلاد  
ومجد أملاك الفسرى

قد حازني الفضل الكمالا  
.....

شمار صرعة عجببالا  
هتني محاسنها دلالا  
لا حين لم تهذل فصبالا  
را في النودة واحتمبالا  
أضحت تصارا أو طسبالا  
د الشام تعتف الرمالا  
د الخيل اتبانا توالسبا  
ربها وتأتينا ثقبالا  
دي من ديارهم ارتحالا . . . الخ ( ١ )

لأننا وأكرمهم فمبالا  
نعهم حصى وأحبالا  
نبيته قدر أو حسبالا  
شرفا ومجدا لن ينسبالا  
جع بعد خفتها ثقبالا  
ض تبتفي فيها المبالا  
لك في الدنى سار وجبالا  
لك في بني الدنيا مثبالا  
ر الدين والقوبه الرجبالا  
د الشام جمعا أن يسذبالا  
نج ، وجمعهم حالا فحالا . . . الخ ( ٢ )

\* \* \*

١ . على أنه يسترعي الانتباه في شعر هذه الفترة عدة أمور أهمها :  
المبالغة في التصوير ، سواء في وصف الجيش الإسلامي أم الجيش الفرنجي أو في  
وصف القائد ، ولعل ذلك يعود الى البيئة الدارونية التي نشأ فيها هذا الشاعر  
وما يكتنفها من جو انفعالي .

( ١ ) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٩٢  
( ٢ ) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ٢٩٤

ب • تركيز الشعراء على إبراز صورة البطل أكثر من إبراز صورة الحركة ، وهذا يرجع إلى طبيعة الشعر الذي يبحث دائما عن شخصية محورية تتمثل في البطل ، فضلا عن أن الشعر يضيّق بالتفصيلات الواقعية ، يضاف إلى ذلك ، أن الشاعر المصري رأى أن تمجيد القائد الإسلامي ، والقائد الفرنسي دلالة على ضراوة القتال المنتظر .

ج • انخفاض مستوى الشعر الحربي زمن المماليك • فلو قارنا الانتاج الشعري فسي القرن الاول من الصراع الاسلامي الصليبي ، لوجدناه أرقى مستوى ، وأغزر انتاجا ، ولعل ذلك يرجع إلى أن الصراع في ذلك القرن كان شديدا وحاسما ، بينما شالت كفة الصليبيين في القرن السابع الهجري ، وأصبح موقفهم في الغالب موقف الدفاع ، فخفضت حدة الصراع في الواقع وفي نفس الشاعر أيضا .

\* \* \*

ومعد هذا العرض السريع ، قد يكون من المفيد التمرس لأراء بعض الدارسين لأدب هذه الفترة ، ويمكن تصنيفهم في ثلاث فئات :

- أ • فئة تتهم أدب الفترة عامة بأنه سطحي وتقييم .
- ب • فئة معجبة به أشد الإعجاب .
- ج • فئة وقفت وقفة اعتدال بين التمتين المتطرفتين ، وأخذت لها موقفا توفيقيا ، فجاءت أحكامها معتدلة .

فمن يمكن أن يصنفوا في الفئة الاولى كل من د • أحمد الجندی ود • عبد العزيز الأهواني ، ود • زكي المحاسني ، وقد وصف د • أحمد الجندی شعر هذا العصر بأنه " سطحي يكرر نفسه في أفكاره وتعبيراته وصناعاته " . . . . . فقير في صورته وأخيلته ولمحاته الذهبية " . . . . . " (١) ، ثم أرجح بدء هذا الانحطاط إلى أوائل القرن الخامس الهجري ، والتمس أسبابا لذلك ، فوجدتها في ولع الشعراء بالمحسنات اللفظية ، نظرا لان المدوحين من أصل غير عربي ، مما حدا بالشعراء إلى التلاعب بالانفاذ ، لتعجب أولئك المدوحين (٢) .

أما د • عبد العزيز الأهواني فقد وصف عصر الأيوبيين بالسقم والانحراف ، وقد استند في حكمه هذا على شعر ابن سناء الملك ، ووصفه بأنه عمل عقلي بحث . . . . . ثم عم حكمه على شعر ابن سناء الملك على شعر العصر الأيوبي كله (٣) .

(١) ديوان عرقله الكلبى ، المقدمة ص : ٥

(٢) ديوان فتیان الشاغورى ، المقدمة ص : ٦

(٣) ابن سناء الملك ومشكلة الحكم والابتكار في الشعر ص ٣٠٢ وانظر ص ٧٠ و ١٠٠

أما د . زكي محاسني فلهي درس هذا العصر ، وإنما درس شعر الحرب فسي  
المصريين الاموي والعباسي الي عهد سيف الدولة ، ومع ذلك فقد قال : " فاذا صح وصف  
التطور ( في شعر الحرب ) بأدوار ، فيكون شعر الحرب في العصر الجاهلي في طـ  
الدولة والبداءة ، وفي العصر الاموي في طور النحوي والتحضر ، وفي العصر العباسي فسي  
طريق التكامل . . . وفي عصر الحروب الصليبية انحدر شعر الحرب الي درك التقاصر على  
الرغم من وفرة الاسباب المعنوية ، لان شعراء العرب في عهد هذه الحروب كانوا فسي  
دور ضعف وانخذال في اللفظ والاسلوب ، وكان أغلبهم صاحب ركة في القول ، وصناعة  
تنسج بالكلفة . . . ( ١ ) .

ويخشى أن يكون في هذه الأحكام تسميات خيارة ، انطلاقا من شواهد انتقائية  
ولنبداً بقول د . أحمد الجندی : إن الشعر ساجي يكرر نفسه .

فإن الناظر في كتاب الروميتين يصعب عليه أن يحكم بالساذجية على شعر مونتيسكو  
بأحداث جسام خطيرة مرتبها الامة الاسلامية ، وقد صور الشعر هذه الاحداث بمسا  
احتوت عليه من صراع طويل بين أميتين وحضارتين . ثم ان التكرار الذي يراه الدكتور  
أحمد الجندی هو ظاهرة لا بد من وجودها على درجة من الدرجات ، في شعر نظم في  
فترة واحدة ، وفي ظل مؤثرات كبيرة واحدة أيضا ، وحتى مع ذلك ، فإنه يصعب اطلاق  
هذا الحكم دونما تحفظ على جميع الشعراء الذي نظم في هذه الفترة ، لان التنوع موجود فيه  
مثلا أن قدرا من التماثل والتكرار موجود فيه كذلك .

أما تحديد زمن الضعف بالقرن الذي بدأت فيه الحروب الصليبية ، فهو حكم على  
النواحي السياسية في المشرق الاسلامي ، ولا يوجد دائما ارتباط بين الضعف السياسي  
وضعف الادب ، وإذا وجد ارتباط بينهما فإنه لا يمكن أن يظهر ظاهرة في النصوص  
الادبية ، لان الظواهر الادبية لا تولد بين يوم وليلة ، بل هي تحتاج الي زمن كاف لكي  
تولد أو لكي تتبدل .

أما تعليقه الضعف الادبي بوجود البديع ، فإن ظاهرة البديع لم تكن بالظاهرة  
الطارئة في القرن الخامس الهجري ، بل هي قد وجدت قبل ذلك ، وأصبحت لافتنة  
للانظار بشكل واضح خلال القرن الرابع الهجري .

وأما الحديث عن أعجمية المدوعين ، فإن السيرة في الامر ، هو التمكن من اللغة  
العربية ، وليس السرق ، بدليل أن كلا من ابن العميد ، والصاحب بن عباد فسي  
القرن الرابع كانا من غير العرب ، ولكن تمكثهما من العربية وتذوقهما لادبها ، جعلاهما  
من اعلام الادب العربي في عصرهما ، بل ومن عوامل النهوض بالادب ، بما كانا يقدمانه

( ١ ) زكي مبارك ، شعر الحروب في أدب العرب ص ٣٤٠



من تشجيع ورعاية لا دباء عصرنا \* .

ولو أننا جارينا د . أحمد البغدادي حول كون الممدوحين من أصل غير عربي ، مما دفع الشعراء الى تبسيط شعرهم ، فان تبسيط الشعر لا يكون بالتلاعب اللفظي ، لأن التلاعب اللفظي يعقد المعنى ولا يبسطه ، ومعلوم أن الهديج يحتوى الكثير من التلاعب اللفظي ، فكيف يكون اعجاب الممدوحين من أصل غير عربي بشعر معقد ، قد يصعب عليهم فهمه ؟ .

أما وصف د . عبد العزيز الأهواني الأدب في العصر الايوبي بالمعقد والانحراف ، فان فيه قسوة حتى على شعر ابن سناء الطنك وحده ، لوجود قصائد لهذا الشاعر لا ينطبق عليها الحكم القاسي الشامل الذي أصدره عليه الدكتور الاخواني ، فكيف بالامر ، اذا عم هذا الحكم على جميع شعراء عصره ، ومنهم من لا يسير في شعره على مدرسته ، وبالتالي ، فلا يجوز أن يشجب شعرهم بناء على مقاييس لا تنطبق عليهم ؟ .

وأما حديث د . زكي المحاسني عن نزول الشعر العربي في هذه الفترة الى درك التعاقب ، فان الرد عليه لا يختلف كثيرا عن الرد على الناقدين السابقين . . . .

ولعل من المناسب هنا أن نذكر أقوال بعض من الدراسات الأخرى لهذه الفترة :

أ . يرى د . عبد اللطيف حمزة أن الشعر الصليبي يمتاز بالقوة والصدق ، لأنه شعر الحساسة في مهنة الحروب الصليبية ، ثم إن شعر الصائفة الذي يتصل بشعور ديني عميق في نفوس الصليبيين ( ١ ) .

ب . وصف " جب " هذا العصر بأنه العصر الفني للأدب ، وأنه يتميز بالاستسداد والعبقرية تدر امتيازه بالبراعة والذخيرة أو المهارة الفنية ( ٢ ) .

\* أنظر عن تشجيع حكاه العصر للأدب كتاب : الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ص ٢٥ ، وكتاب : التدخل في الأدب العربي ص ١١٢ ، وأنظر كذلك النجوم الزاهرة ٥٨ / ٦ - ٥٩ .

( ١ ) أدب الحروب الصليبية ص ١٧٤ وأنظر ص ١٩ ، وكتاب الشعر العربي فسي

العراق ص ٣٠٥ وكتاب الأدب في مصر والشام ص ٧٩٩

( ٢ ) محمد زفلول سلام ، ضياء الدين بن الاثير ص ٢٢ عن :

Gibb, Arabic literature p. 82

ج • كما وصف جودت الركابي أدب هذا العصر بأنه حافظ على رولقه ، وتماسك قسبي العصر المملوكي بعض الشيء ، ولكنه انحدر انحدارا واضحا في العهد العثماني (١) هذا ، وقد بالغ بعض الدارسين في تقرير سحر الفترة ، فذهبوا الى حد القول : ان الشعر في هذا العصر اتصل بالواقع اتم اتصال ودبت فيه حياة لم تكن تمهد قبل ذلك في الشعر العربي (٢) •

ولا بد أن نتساءل بـ أخيراً هل تأثر الأدب العربي بالفرنح وأدبهم ؟ الجواب على ذلك بالنفي ، وذلك لأنه قد تبين أن الفرنج كانوا أدنى في مستواهم الحضاري من المسلمين ، ولأن العداء المستحكم بين الطرفين طيلة هذه الفترة ، وتلك الاحتكاك الثقافي فيما بينهما ، بالإضافة الى اختلاف مصادر الأدب العربي وأسسها وركائزه عن مصادر أدب الفرنج وأسسها وركائزه ، كل هذه العوامل جعلت تأثر الأدب العربي بأدب الفرنج يكاد لا يحدث •

أما تأثير الفرنج عامة بسلوكهم وعاداتهم ولغتهم في الأدب العربي ، فهو كذلك تأثير محدود ، وقد يتجلى بدخول بعض الألفاظ الجديدة في الشعر ، كالقوس ، والبرنس ، والسير ، وبعض الأسماء كالدائمة والقريرة والهنغري \* •  
كما أن بعض الشعراء قد أورد في شعره صوراً وألفاظاً مأخوذة من حياصة الصليبيين ، مثل : هيكل ، قونة ، قديس ، قس ، بريرة ، مدرس ، برنس ، قداس  
... الخ \* \* \*

- (١) جودت الركابي ، الأدب العربي من الانحدر الى الازدهار ط ١ مط زيد بن ثابت ، نشر دار الفكر دمشق سنة ١٣٩٤ ص ٧
- (٢) محمود مصطفى ، الأدب العربي في مصر الى نهاية العصر الايوبي ٢٧٧ \* انظر على سبيل المثال : الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٥٦ - ١٥٩ ، والخريدة قسم شعراء الشام ٥٩/١
- \* \* انظر ديوان ابن القيسراني ورقه ٦٢ - ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٠

## الفصل الثاني

أولاً : النشر الأدبي :

شارك النشر الشعري في تقديم صورة الصليبيين ، بما قدمه من أوصاف دقيقة لبعض  
المشاهد ، أو سرد لبعض الحوادث ، ويمكن عرض الأنماط الأدبية التي شاركت في رسم  
صورة الصليبيين على النحو التالي :

٠١ التواليف الأدبية ٠٢ الرسائل ٠٣ الخطب ٠٤ نصوص الهدن

### ٠١ التواليف الأدبية :

عرف عن هذا العصر كثرة التأليف في مختلف ميادين الحياة الإنسانية ، وبهنا منها  
كتب الأدب أو الكتب التاريخية الأدبية ، وهي تتراوح بين الالتزام بالصور البيانية المختلفة  
والانفكاك عنها . وغير ما يمثل النوع الأول كتاب " الفتح القسي في الفتح القدسي " <sup>١</sup>  
للمعاد الاصفهاني ، وهو مثقل بالسجع وأنواع البديع ، ومن غير ما يمثل النوع الثاني كتاب  
" النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية " لابن شداد ، وقد تخلى فيه صاحبه عن البديع  
إلا ما جاء عنو خاطر ، ثم كتاب " الاعتبار " لأسامة بن منقذ ، وهو يمثل أسلوب المذكرات  
الشخصية ، فجاءت لغته ، في معانيها ، عادية ، وربما تنحدر أحياناً إلى العامية ،  
وكتاب " رحلة ابن جبير " ، وهو يمثل كتابة الملاحظات العامة التي يشاهدها الرحالة ،  
وقد يجنح أحياناً إلى استعمال الصور البيانية ، ولكن هذا ليس هو النمط الكتابي الغالب  
عليه .

### ١ . الفتح القسي في الفتح القدسي :

لسنا محنين هنا بتقويم الكتاب إلا من حيث الصياغة الفنية ، فهو كما يبدو من  
المنوان ، يستلهم نفاحات قس بن ساعدة كائن الصرب وخطيبها ، ليمرض تاريخ  
الفتوح العظمى زمن صلاح الدين وأهمها فتح القدس ، وهو يقدم مادته بلغة  
مبسوجة ، وألفاظاً منتقاة ، قد تصل إلى حد الغرابة ، إن اضطره السجع إلى  
ذلك .

ولكن مقدرته اللغوية سهلت له استعمال ألوان البديع ، فقد يشتق من الألفاظ  
الأجنبية مفردات تجانسها ، يقول على سبيل المثال في وصف فرق الفرنج التي  
استعدت لحركة حطين : " ولداوي دوي ، ولأستاري هوي ، والباروني يقدم على  
الحوار ، والتركولي يلقي نفسه على النار ، وقد ثاروا والثار قد وقد ، والجوق قد عقد  
وقد انصدح زجاج الزجاج ، وارتجزعجاج الحجاج ، وانفض الفضضاء " .

وأنقض القضاء ، وكادوا يفلون الجمع ، ويحصون الفل ، ويجلون العقد ، ويعقدون ما انحل . . . (١)

ونلاحظ دقة الوصف في أوصافه مع أن كتابه حفل بأنواع البديع ، فالنص السابق محشو بالسجع ، والدياق ، والجناس ، والتجنيس بالاشتقاق اللغوي ، ويمكن أن نجد ذلك في أية صفحة من صفحات الكتاب .

ومن الأمثلة الأخرى للوصف الدقيق ، وصفه للخلاف الذي نشب بين امراء الفرنج ثم تصافيتهم قبيل المعركة ، يقول : " وقد كان بينهم (الفرنج) حينئذ خلصت ضيقت وحليف ضكت ، ووقون نشار بين الانفار ، ووقود شرار بين الشرار ، ولما استدنوا حين حوهم ، سموا في اصلاح ذات بينهم ، ودخل الملك على القومى ، ليتقصى له بالود الأخلص ، ورمى عليه بنفسه ، واستبدل وحشتمه بأنسه . . . (٢)

والذي يتابع نصوص العماد في التتح القسي . . . يلاحظ أنها مستقاة من مصادر مختلفة ، فبعضها مأخوذ من البيئة في انسانها وحيوانها ، كتول العماد عن المركيس : " وكان المركيس من أكبر ما واهت الكفر ، وأغوى شيا ايئه ، وأغرى سراحونه وأتبع ذئابه ، وأنجس كائيه . . . وأغوى أعوانه ، وأخون إخوانه ، وأبشى بغائته وأرعى حماته ، . . . وأروى شعالبه والسب عقابه . . . (٣)

وبعضها مأخوذ من الحرب وما يرتبط بها من شؤون القتال وأدواته ونتائجها ، كتول العماد : " . . . هذا ، والمنجنيقات ترميهم ، والمفوقات الموقفات تميمهم وتصميمهم ، والقتال قائم ، والنزال دائم ، والصخور تطلق والصدور تفلسق ، والأحجار تطلق ، والأحجار تطلق ، والأسوار تحلحل . . . والأوداج شاخبة كالعيون البواكي ، والأبشار دامية من الزنبوركات والناوكات النواكي ، وهناك العقل معزول بالتهور ، والرأي مشغول عن التدبير ، والعلم والحلم خالطهما الجهل والسهاف ، والجرحي يبتدىء ببسم الله ، والمنجنيقي يختم بلا إله إلا الله ، والزراق بالنار يطيب القارورة ، ويحرق الساتورة . . . فلم يسمع الا ضجة الحديد من الحديد ، وجة الشديد من الشديد ، وجججة رحو الحرب ، وقشقة أداة الدلعن والحرب ، وصلصلة الزبر ، وولولة الزمر ، وجميلة دعاة النصير ، وهيئة رعاة الكفر . . . (٤)

(١) التتح القسي ٦٢

(٢) الصدر السابق ٦٥

(٣) الصدر السابق ١٠٢ وأنظر ص ٢٤٠

(٤) الصدر السابق ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦

وقد تؤخذ هذه الصور من الحياة الدينية للمسلمين وخصوصهم ، كما يتراءى في النص السابق ، وفي قول الكاتب نفسه : " مات الاسلام للكفر محاربا ، والتوحيد للتعليق مقاتلا ، والهدى للضلال مراقبا ، والايمان للشرك محاربا ، وعيشت دركات النيران ، ومنتجت درجات الجنان ، وانتثر ما لك واستبشر رضوان " (١) وفي قوله : " وهو ( الصليب ) اذا نصب اقيم ورفع ، سجد له كل نصراني وكن وهم يزعمون أنه من الخشب التي يزعمون أنه صلب عليها مبعودهم ، ثم سجدوا مبعودهم وسجدوا لهم " (٢) .

وثمة مصادر أخرى للصور البيانية التي استعملها السواد ، تستبين منها ثقافته الواسعة العنقودية ، ولا مجال هنا لاستقصائها . . . إلا أن أي قارئ لهذه النصوص لا تخفى عليه مقدرة السواد اللغوية ، كما لا تخفى عليه قدرته على استخلاص الصور البيانية من مصادر كثيرة متنوعة ، منها ما هو حسي ، ومنها ما هو ذهني . . . وقد يتأتى عن الإفراط في الزخرف البياني عند السواد ، أن تجور الصياغة اللغوية على وضوح المعنى وحرارة الانفعال .

#### النوادر السلطانية :

وهو كتاب عن صالح الدين كتبه قاضيه ابن شداد مستعينا بمشاهداته ، وما وصله من مشاهدات غيره وسماهم ، وقد حرص فيها على تحديد الزمان والمكان دون تأنيق زائد ، أو تصيد للالفاظ ، فجاءت كتابته سهلة ، تستقي من الوقائع ، وتعتمد على الحقائق في تحريك المشاعر ، دون إفراط في استعمال الصور البيانية .

وأستلعاة القارئ ملاحظة ذلك في معظم ما ورد في الكتاب من نقل للأحداث ، فيها هوذا يصف خروج الفرنج إلى التارول المحيطة بمكا وصفا دقيقا ، ثم يصف تصدى المسلمين لهم ، فيقول : " فامتدوا على القتل ، وساروا المهين غير مغرطين في أنفسهم ، ولا مغررين من راجلهم ، والرجالة حولهم كالسور البني ، يتلو بعضهم بعضا ، حتى قاربوا اليزك ، ولما رأى المسلمون ذلك ، واقدام العدو عليهم ، تداعت الشجعات ، وتنازلت الكفاة السي الاقران ، وصاح السلطان ( قدس الله روحه ) بالمسائر الاسلامية : " يسا لالسلام " .

فركب الفناء ، بأجمعهم ووانق فارسهم راجلهم ، وشابهم شيخهم ، وعملوا حيلة الرجلى الواحد على العدو الضفول ، فساد ناكضا على عقبيه ، والسيف يحصل

(١) الفتح القسي ص ٧٨

(٢) المصدر السابق ص ٨٤

فيهم ، والسالم منهم جريح ، والصاب دارج . . . يعثر جريحهم يقتولهم .  
ولا تلوى الجماعة منهم على قتلهم ، حتى لعق الغيام من سلم منهم ، وانكثوا عن  
القتال أيا ما ، وكان قصاراهم أن يحفظوا نفوسهم ويحرسوا رؤوسهم . . . (١) .

فهذا النص لوحة نالقة ، تتضح فيها حركة العدو ، وتصدي المسلمين لهم ، مع  
وصف الحالة النفسية عند الدافقين .

كل ذلك بلغة شائقة مأنوسة لا تبعث كثيرا عن الاستعمال اليومي ، وإنما فيها من  
الحرارة ما يطيء الموقف المثير ، وفيه من الفصاحة ما يتطلبه وصف موقف كهذا .  
وأما ما جاء فيه من سجع ، فلا أفراد فيه ، وهو متماسك غير متخلخل ، وألفاظه  
ذات أيقاعات ماثرة ، اكتسبت من تواتر الاستعمال في سياقات معينة ، مثل  
قوله : وصاح السلطان : يا للإسلام " و " كان قصاراهم أن يحفظوا نفوسهم  
ويحرسوا رؤوسهم " .

ولكن ، مع حيوية الوصف وحرارته ، فإن الكاتب لم يقدم صورة ذات تسلسل  
لاحداث الحركة ، شأنه في ذلك شأن العماد ، وذلك لأن الكاتبين يقدمان  
صورة الحركة العامة ، بدلا من أن يسيرا مع المعركة خفاوة خطوة ، إلى أن  
يصلوا إلى نتیجتها . وقد يتعجل الواحد منهما في الوصف إلى النتيجة كما  
فعل ابن شداد ، حتى وهو يصف حصار مدينة استمر سنتين كاملتين ، سيطر  
الفرنج خلالها على مشارف المدينة - عكا - من البر والبحر معا . في حين  
أن الآخر - العماد - يصرح لنا لوحة زخرافية حافلة بالصور الجزئية المتمدة  
على التزييق اللفظي ، وهو يقدم لنا وصفا لوقعة عكا الأنفة الذكر ، يقول :  
" وأصبح الفرنج ، يوم الاربعاء العشرين من شعبان ، قد رفعوا الصليان ،  
وزحف أسودهم في غاب المران ، وطارت بهم غيولهم عتيانا على عقبان ،  
وجرت بالجمال منهم رياح ، وجالوا دون التل كأنهم له وشاح ، وخرجوا على  
التعبية ، وشفصوا نداء القرب بالتلبية ، وشففوا بالتبرية للثرية ، وتقدموا  
معتزمين ، وعزبوا مصممين ، وثاروا ثورة الشيطان ، وفاروا ثورة الداوشان ،  
وقدموا الراجل أمام الفرسان ، وزحفوا ، ألبيا ، وحفزوا طالبا ، ودهوا دبيب  
الليل إلى النهار ، وهبوا هبوب الغيل إلى المضار ، وأجروا سيول السوابق  
إلى القرار . . . (٢) .

والمدقق في هذا الوصف ، يجد أنه يتكون من قلاع فسيفسائية ، تتعلسق  
أجزاءها الأولى بوصف لحركة الفرنج العريضة ، وهم مدججون بالسلاح على  
سوابق الغيل ، وأصواتهم تتردد بالتعريض والاستثسارة ، ولكن المشهد

(١) النوادر السلطانية ١٠٧

(٢) الفتح القسي ص ٣٠٨ - ٣٠٩

الأول سرعان ما يندغم في المشهد الثاني ، المتصل بتقدم الفرنج نحو خصومهم :  
 "وتقدموا معترمين ، وعزموا مصممين . . . ثم يبدأ المشهد الثالث بالحديث  
 عن حركة للجيش الفرنجي سرعان ما تتصاعد ، إلى أن تصل قمة السرعة ، ويصدها  
 تنهجر الدماء سيولا في ساحة المعركة .  
 وهذه المشاهد الثلاث تكون معا صورة المعركة ، بما فيها من حركات وأصوات  
 وأدوات قتال .

ولعل عدم توفيق الشعراء والكتاب في رسم صورة متكاملة للمعركة ، تتسلسل فيها  
 المشاهد وتتتابع ، هو عدم وجود الكثير من الوصف الحربي الدقيق في تراثها  
 الأدبي ، وربما كان غياب الأدب كذلك عن مسرح القتال في كثير من  
 الحالات ، عاما من عوامل فقدان التسلسل والتتابع والتكامل .

### الاعتبار :

وهو كتاب مذكرات ، كتبها أسامة بن منقذ في شيبوغته عن مشاهداته وتجاربه ،  
 وأراد بها تقديم العبرة لغيره ، فهو - لذلك - أن وصف معركة لم يكتب ،  
 برواية أحداثها فقط ، وإنما يذكر ، كذلك ، ما يتفق وروح الأحداث ، وما  
 يمكن استخلاص العبرة منه . يقول في موقعة بيت جبرين التي كان سببها  
 اشحان أسامة ومحض فرسانه النار في بيادر الفرنج : " فاجتمع الفرنج - لمنهم  
 الله - من تلك الحصون ، وهي كلها مقاربة ، وفيها خيل كثيرة لألفونسج ،  
 لمخاداة عملاقان ومراوحتهما ، وغربوا على أصحابنا ، فجاؤنا ناري يركض ،  
 وقال : قد جاء الأفرنج ، فسرت إلى أصحابنا ، وقد وصلت أوائل الفرنج ، وهم  
 - لمنهم الله - أكبر الناس احترازا في الحرب ، فصعدوا على رابية ووثقوا عليها  
 وصعدنا نحن على رابية مقابلهم ، وبين الرابيتين فضاء . . . لا ينزل منهم ناري  
 خوفا من كمين أو مكيدة ، ولو نزلوا أخذوهم من آخرهم . . . " (١) .

فقد أراد بذلك التدليل على احتراز الفرنج ، بالرغم عن كثرتهم وقلة أعدائهم  
 فلم ينزلوا عن الرابية خوفا من كمين أو مكيدة . وقد أورد ملاحظات كثيرة في  
 كتابة " الاخبار " عن تأخر أهمهم ، وعدم غيرتهم . . . الخ .

ومن العبر التي يقدمها للقارئ أن القتال ودخول المصارف لا يقصر الأجمال ،  
 ويذكر على ذلك بعض المشاهدات ، منها : أن شابا فرنجيا جاء إلى أسامة  
 ليصير فرسان المسلمين ، ويصفه بحسن الهيئة ، إلا أن فيه آثار جراح كثيرة  
 وفي وجهه خربة سيف قد تم من طرفه إلى حكمته ، ومع ذلك ما زال حيا (٢) .

(١) الاعتبار ص ١٧

(٢) المصدر السابق ص ٦٩

أما لغة هذا الكتاب فهي سهلة لا تبتعد عن اللغة المحكية كثيرا ، بل كثيرا ما  
 اتكأ على اللغة المحكية في وصفه ، مثل قوله عن سرعة فرسه بأنها : " مثل الطير " (١)  
 وقوله على لسان الفرنج الذين سألوا بواب مدينة شيزر " أي هو اسم هذا البلد " (١)  
 وقوله عن فرنجيني أراد اصطحاب ابنه ( ابن أسامة ) معه إلى أوروبا بأن كلامه :  
 " ما يخرج من رأس عاقل " (١) .

### رحلة ابن جبير :

وهي مذكرات كتبها الرحالة ابن جبير حين مر ببلاد الشام ، فوصف بعض المناطق  
 مثل حصن الكرك ، وسانياس ، وركا ، . . . ووصف عاقبة الفرنج بالمسلمين في بعض  
 المناطق . . . كما سجل ما شاهده من سلوك الصليبيين ، وعاداتهم في الإفراج  
 ومن ذلك قوله عن معاملة أهل عكا من الفرنج للمسلمين : " ان المسلمين يعانون  
 أهوالا ومشقات ، منها الذلة والمسكنة الذميمة ، ومنها سواح ما يفجع الأقدمة  
 من ذكر من قد سب الله ذكره ، وأعلى خطابه ، لا سيما من أراد لهم ، وأساقفتهم  
 ومنها عدم الداهية والشهرة بين الخنازير " (٢) . وعن معاملتهم للأسرى  
 المسلمين ، يقول : " ومن الفجائع التي يعانيها من أهل بلادهم ، أسرى  
 المسلمين ، يرسفون في القيود ، ويصرون في الخدمة الشاقة تصرف الصبيد ،  
 والأسيرات المسلمات كذلك ، في أسواقهم غلاخيل الحديد " (٢) .

ويلاحظ أن لغة الكتاب ترتفع عن لغة أسامة بن ملقد ، فهي بعيدة عن التعبيرات  
 المحكية ، وقد يتأنيق المؤلف أحيانا في بعض الفصول حتى يشيح الزخرف  
 اللفظي والصور البيانية فيما يكتب (٣) .

ويلاحظ الباحث ، أيضا ، أن هذه المذكرات بأنواعها قد غذت الأدب العربي  
 بخادة شائقة وأخبارات إليه أبوابا جديدة ، وقد جاء بعضها مثقالا بالزخرف  
 اللفظي ، في حين كان أكثرها بعيدا عن الصنع والتكلف ، وهي في مجملها  
 سواء منها المثقلة بالزخرف أو الخالية منه ، تقدم صورة واضحة عن أوضاع  
 كانت قائمة في تلك الفترة ، وتستخدم هذه الصورة قيمتها من أثارها وليست  
 المشاهدة لا السماع . . .

(١) انظر الاهبار على الترتيب ص ٤٠ ، ٤٨ ، ١٢٢ ، وأنظر ١٣٦ ، ١٤٨

(٢) رحلة ابن جبير ٢٨٠

(٣) انظر رحلة ابن جبير ص ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، . . . الخ



## ٠٢ - الرسائل -

أدت الحروب المتوالية بين المسلمين والفرنج الى نهضة النشر ، لا سيما نشر الرسائل بما كانت تحمله هذه الرسائل من بشائر بالفتح أو تهنئة أو طلب نجدة أو أوامر عسكرية . ومن خلال هذه الاغراض يمكن للقارئ أن يخرج بطلاة خصبة عن الفترة التي ندرسها . وقد يكون من المفيد التوقف على الرسائل الديوانية والاشوانية لنستشف من خلالها السمات الفنية لهذا النوع من النشر .

## الرسائل الديوانية :

من الصعب على الباحث أن يحصر عدد الرسائل الديوانية لان كثيرا منها لم يصلنا ، ولان الكثير مما وصلنا لم يصل كاملا ، بل جاء نقفا ، نجد الكثير منها في كتاب الروضتين ، وفي مغاولة " الفاضل من كلام القاضي الفاضل " ، والذي جاء فيها كاملا عدد منتميل موزع بين سبع الاعشى والروضتين ، ونهاية الارب ، ورسائل ابن الاثير .

وستتناول بالتحليل بعض هذه الرسائل لنقتطع على سماتها الفنية .

١ . رسالة القاضي الفاضل الى الديوان العزيز ببغداد ، بفتح القدس وما معه ، واقتلاع ذلك من أيدي الفرنج ، واعادته الى ما كان عليه من الاسلام ، وهي :

" ادام الله أيام الديوان العزيز النبوي الناصري ، ولا زال مظفر الجعد بكل جاد ، غني التوفيق عن رأى كل رائد ، موقوف المساعي على اقتناء مطلقات المحامد ، مستيقظ النصر ، والسيف في جفنه راقد ، وارد الجود ، والسحاب على الارض غير وارد ، متعدد مساعي الفضل ، وان كان لا يلقى الا بشكر واحد ، ماضي حكم القول بسنم لا يمضي الا بنيل غوى ، ورش راشد ، ولا زالت غيوث فضله الى الاولياء أنواع ، الى الموابح وأنوارا السى المساجد ، صحوت رعبه الى الاعداء خيالا الى المراقب وخيالا الى المراقد .

كتب الخادم هذه الخدمة ثلوما صدر عنه مما كان يجرى مجرى التبشير بصبح هذا الخدمة ، والسنوان لكتاب وصف هذه النعمة ، فانها بحر للاقلام فيه سبح طويل ، ولطف الحق للشكر فيه عبث ثقیل ، وشرى للخواتم في شرحها مأرب ، يسرى للاستمرار في اظهارها مسارب ، ولله في اعادة شكره رضا ، وللنعمه الراهنة به دوام لا يقال معه هذا منى ، وقد صارت أمور الاسلام الى أحسن مصايرها ، واستتبعت عقائد أهله على بصائرهما ، وتقلص ظل رجاء الكافر الجسوط ، وصدق الله أهله دينه فلما وقع الشرط حصل المشروط ، وكان الدين غريبا فهو الآن في ومانه ، والنوز مصروضا فقد بذلت الانفس في شنه ، وأمر أم الحق وكان مستضعفا ، وأهل رعبه وكان قد عيف حين عفا ، وجاء أمر الله وأنوف أهمل الشرك راغمة ، فأد لجهت السيوف الى الأبطال وهي نائمة ، وصدق وعد الله في اظهار دينه على كل دين ، واستطارت له أنوار أبلانت أن الصباح عندنا حيان العین ، واستترد

الصلون تراثا كان عنهم آبقا ، وظفروا يقظة بما لم يصدقوا أنهم يظفرون بمطيفا على النأي طارقا ، واستقرت على الاعلى أقدامهم ، وخفقت على الاقصى أعلامهم ، وتلاقت على الصخرة قبلهم ، وشفيت بها وان كانت صخرة كما تشفى بالماء غلهم .

« ولما قدم الدين عليها عرف منها سويدا قلبه ، وعنا كفوها الحجر الاسود بيست عصمتها من الكافر بحربه ، وكان الخادم لا يسمي سعيه الا لهذه العظمى ، ولا يقاسي تلك البؤس الا رجاء هذه النعمى ، ولا يفتخر من استعمله في حربه ، ولا يما تيب بأطراف القنا من تهادى في عتبه ، الا لتكون الكلمة مجموعة ، والدعوة الى سامهها مرفوعة ، فتكون كلمة الله هي العليا ، وليفوز بجوعر الاخرة لا بالعرض الاذنى من الدنيا وكانت الالمنة ربما سلفته فأنضج قلوبها بالاعتقار ، وكانت الخواطر ربما غلت عليه من اجلها فأطفاها بالاحتمال والاصطبار ، ومن طلب خطيرا خاطر ، ومن رام صفقة رابحة تجاسر ، ومن سما لان يجلي غيرة غامر ، والاقان القمود يلين تحت نيوب الاعسداء المحاجم فتعصها ، ويضمف في أيديها مهر القوائم فتقتضها ، هذا الى كون القمود لا يقضي فرضي الله في الجهاد ، ولا يرضى به حق الله في العباد ، ولا يوفى به واجب التقليد الذي تطوقه الخادم من أئمة قضوا بالحرة ، وه كانوا يعدلون ، وخلفاء الله كانوا في مثل هذا اليوم للميسألون ، لا جرم أنهم أورثوا سرورهم وسريرهم خلفهم الاظهر ونجلهم الاكبر ، وصغيتهم الشريفة ، وطمعتهم الضعيفة ، وعلوان صحيفة فضلمهم لا عدم سواد العلم ومناضى الصحيفة ، فما غابوا لما حضر ، ولا غصبوا لما نظر ، بل وصل الاجر لما كان به موصولا ، وشاطروه العمل لما كان عنه منقولا ومنه مقبولا ، وخلص اليهم الى المضاجع ما اطمأنت به جنوبها والى الصفائح ما عجمت به جيوبها ، وفاز منها بذكر لا يزال الليل به سميرا والنهار بصيرا ، والشرق يهتدى بأنواره ، بل ان أبدى نورا من ذاته هتف به الغرب بأن واره ، فانه نور لا تكته أغساق السدف ، وذكر لا تواريه أوراق الصحف .

« وكتاب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدو الذي تعطلت قنانه شفا ، وطارت فرقه فرقا ، وفل سيفه نصار عصا ، وصعدت حصاته وكان الاكثر عددا وحصا ، فكلست حملاته ، وكانت قدرة الله تصرف فيه المنان بالعيان ، عقوبة من الله ليس لصاحب يد بها يدان ، وهتفت قدمه وكانت الارض لها حليفه ، وضمت عينه وكانت عيون السيسوف دونها كسيفة ، ونام جفن سيفه ، وكانت يقظته تريق نطف الكرى من الجفون ، وجدعت أنوف رماحه وطما لما كانت شامخة بالمضى أو راعفة بالضون ، وأضحت الارض المقدسة الطاعرة وكانت الطامت ، والرب المعبود الواحد وكان عندهم الثالث ، فبيوت الشرك مهدومة ، ونيوب الكفر مهتومة ، وطوائفه الصامية ، مجتمعة على تسليم البلاد الحامية وشجعانها المتوافية ، مذعنة ببذل الصالح الوافية ، لا يروق في ماء الحديد لهم عصره ، ولا في فناء الاثنية لهم نصره ، وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، ومدل الله مكان السيئة الحسنة ، ونقل بيت عبادته من أيدي أصحاب المشامة الى أيدي أصحاب البيضة .

وقد كان الخادم لقيهم اللقاة الاولى فأمده الله بمداركته ، وأنجده بملائكته فكسرهم كسرة ما بعدنا جبر ، وصرعهم صرعة لا يحيى معها بمشيئة الله كفر وأسر منهم من أسرت به السلاسل ، وقتل منهم من فتكت به المناصب ، وأجلت المصركة عن صرعى من الخيل والسلاح والكتفار ، وعن أنصاف محبسن نانه قتلهم بالسيوف الافلاق والرمح الاكسار ، فنيلوا بثأر من السلاح ونالوه أيضا بثأر ، فكم أهلة سيوف تقارضن الضراب بها حتى عادت كالعراجين ، وكم أنجم رماح تبادلت اللسان حتى صارت كالصاعين ، وكسهم فارسية ركض عليها فارسها السهم الى أجل فاغتلسه ، وفشرت تلك القوس فاها فاذا فوها قد نهش القرن على بعد المسانة فأفترسه ، وكان اليوم مشهودا ، وكانت الملائكة شهودا ، وكان الكفر مفقودا ، والاسلام مولودا ، وجعل الله ضلوع الكفار لنار جهنم وقودا ، وأسر الملك ويده أوثق وثاقه ، واكد وصله بالدين وعلاقته : وهو الصليب الصليوت ، وقائد أهل الجبروت ، وما دهموا قتل بأمر الإقام بين دعائمهم يسجد لهم باعة ، ويخرضهم وكان مد اليدين في هذه الدفعة وداع ، لاجرم أنهم تهاقت على نارهم قراشهم ، وتجمع في ظل ظلاله غشاشهم ، فيقاتلون تحت ذلك الصليب أصلب قتال وأصدق ، ويرونه ميثاقا بينون عليه أشد عقد وأوثق ، ويسيدونه سورا تحفر حوافر الخيل خندقه . . .

ولما لم يبق الا القدس ، وقد اجتمع اليها كل شريد مشهورا ، واعتصم بمضمتها كل قريب منهم وصعيد ، وظنوا أنها من الله ما نصحتهم ، وأن كنيستها الى الله شافعتهم فلما نازلها الخادم رأى بلدا كبلاد ، وجمعا كيوم التناد ، وغزائم كسند تألفت وتألبت على الموت فنزلت بحرصته ، وبان عليه مورد السيف وأن تموت بعصته ، فزاول البلد من جانب فاذا أودية ، ولجج وعرة فريقة ( هكذا ) ، وسور قد انحطفت عطف السوار ، وأبرجة قد نزلت مكان الواسلة من عقد الدار ، فسدل الى جهة أخرى ، كان للطلائع عليها منح ، وللخيل فيها متولج ، فنزل عليها ، وأحاط بها وقرب منها ، ونهبت خيمته بحيث يناله السلاح بأبارقه ، وبزاحمه السور بأكتافه ، وقابلها ثم قاتلها ، ونزلها ثم نازلها ، وبرز اليها ثم بارزها ، وحاجزها ثم ناجزها ، فضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح ، وصدق أهلها فاذا هم لا يبسون على عبودية الجدد عن عطف الصبح ، فراسلوه ببذل قطيعة الى مدة ، وقصدوا نظارة من شدة ، وانتظارا لنجدة ، فمررتهم في لحن القول ، وأجابهم بلسان الطول ، وقدم المضجيقات التي تتولى عقوبات الحصون عصيبا ، وحبالها ، وأوتر لهم تسميها التي تشرب فلا تفارقها سهامها ، ولا يفارق سهامها نصالها ، فصافحت السور بأكتافه ، فاذا سهمها في ثيابا شرفاتهاك سواك ، وقدم النصر سرا من المضجيق يخلد اشلاله الى الارض ويعلو علوه الى السماك ، فصح مرادع أبراجها ، وأسمع صوت عجيجها ، ورفق مثارعجاجها ، فأغلى السور من السيارة ، والعرب من النجارة ، فأدكن النجاب أن يسفر الحرب النجاب ، وأن يصيد الحجر السي سيرته من التراب ، فتقدم الى الصخر فضبح سرده بأنياب مسوله ، وحل عقده بمنزله

الاحرق الدال على لطافة أنمله ، وأسمع الصخرة الشريفة غنيته واستخائته ، السى أن كادت ترق لمقبله ، وتبرأ بعض الحجارة من بعض ، وأخذ الخراب عليها موثقاً فلسن تخرج الأرض ، وفتح في السور باب سد من لجاتهم أبواباً ، وأخذ نخب في حجـوره قال عنده الكافر : يا ليتني كنت تراباً ، فحينئذ يشك الكفار من أصحاب الدور ، كما يشك الكفار من أصحاب القبور ، وجاء أمر الله وغرهم بالله الخرو . (١) .

يجدر القول ، قبل الشروع في تحليل هذه الرسالة ، أن القلشندي صاحب "صبح الاعشى" قد تحدث عن بدايات الرسائل الديوانية ، وحصرها في جملة أساليب ، فوجد أنها تبدأ بذكر الديوان العزيز والدعاء للخليفة (٢) ، وقد تكون البداية في صدر الرسالة ، وقد تكون بعد الآيات التي تستهل بها الرسالة .

وكما هو واضح ، تبدأ هذه الرسالة بالدعاء للديوان العزيز ، ثم تنقل البشـرى بالتوجهات ، وما جرى فيها من أحداث انتهت بتسليم الفرنج ولردهم . وخلال ذلك يعرض القاضى أحوال المسلمين قبيل النتج ومعه ، لتظهر قيمة النتج والفتح ، ومن هنا ندرك أن هذه الرسالة ، وغيرها من الرسائل الديوانية ، ملتزمة بطرائق معينة .

والرسالة تدور حول موضوع واحد هو معركة عداين وفتح القدس ، وقد ضمـن القاضى القاضى رسائله عدة أفكار ، هي : الدعاء للديوان ثم شرح حال المسلمين قبل الفتح ومعه ، ثم وصف الاحداث التي أدت الى النتج ، ووصف خروج الفرنج . . . على أن البارز في الرسائل الديوانية عامة ، ومنها هذه الرسالة ، الميل الى التصوير والتشخيص ، والاكثار من البديع ، والجنوح الى التكرار .

أما مصادر الصور في هذه الرسالة فهي :

١ . دينية :

ومن ذلك قوله : وتلاقت على الصخرة قبلهم ، وشئيت بها وان كانت صخره كما تشفى بالماء ظلهم ، وقوله : " وكان اليوم مشهوداً ، وكانت الملائكة شهوداً ، وكان اللـر مفتوداً ، وجعل الله شلوع الكفار لنار جهنم وقوداً .

(١) صبح الاعشى ٤٩٦/٦ - ٥٠٢

(٢) المصدر السابق ٤٩٦/٦

## ٥٢ حربية :

وتتجلى في النص التالي : " . . . فكسرهم كسرة ما يصددها جبر ، وجرعهم صرعة لا يعيش معها بحقيقة لله كفر ، وأسر منهم من أسرتهم السلاسل ، وقتل منهم من فتكت به المناصل ، وأجلت المصركة عن صرع من الغيل والسلاح والكنار ، وعن انصاف محول فانه قتلهم بالسيوف الافلاق والرماح الكسار ، فنبلوا بثلر مسن السلاح ونالوه أيضا بثار ، فكم أهله تقارضن الضراب بها حتى عادت كالسراجين ، وكم أنجم رماح تبادلت اللطمان حتى صارت كالمطاعين . . . النص " . وفي النص صور أخرى يمكن الرجوع اليها .

## ٥٣ اجتماعية :

مأخوذة من حياة الناس ، وهي صور متعددة كتعدد مظاهر الحياة الاجتماعية ، فمضها ما هو مأخوذ من البشري ومضها ما هو مأخوذ من البيح والشراء ، ومضها ما هو مأخوذ من الماديات الاجتماعية كالسمر واللبار ، والمصانعة والتاثر . . . ومضها ما هو مأخوذ من الحياة الزراعية .

## ٥٤ ثقافية :

وتشمل صور التعلم وأدواته كالأقلام والعبر ، والمعلومات التاريخية والمعلومات الصلحية كالحديث عن الانواء والكواكب والشفاء والتداوي .

## ٥٥ بيئية :

مأخوذة من الطبيعة كالظال والسحاب والبحر ، والاسد والشباب والرياض . . .

وقد مال الكتاب كثيرا الى التشخيص، ومحت الحياة في الجمادات ، كما فعل القاضي حين صور الصخرة بالقلب الذي حل في جسم الدين ، وهي بذلك تلتقي مع العجر الاسود ثم صورها بالمرأة المجاهدة التي خلصت نفسها من عصمة الكفر ، كما صور الارض المقدسة كلها بالمرأة الطامث زمن النزول الصليبي ، وأما بعد استرجاعها فقد تطهرت منهم ، وكذلك صور القوم بالحيوان الشرس الذي يفخر فاه لينهبش عدوه .

على أن جمال التشخيص يتجلى في وصفه لتحصينات القدس ، وما قامت به المجانيق الاسلامية من نقب للأسوار وتحديمتها ، فهو يشبه السور المحيط بالقدس ، بالسوار المحيط بالهد ، وتتغلل هذا السور الابراج المشرفة على المناطق المجاورة ، ثم يذكر نزول صلاح الدين عليها ، وقتاله لها ، وخصفه اياها بالمنجنقات وأنواع الاسلحة الخفيفة ، فالسهام تصافح السور ، وتدخل في الشرفات كأنها سواك ، والمجانيق تقصف الابراج فتتهزها بالصوت وتدمرها بالحجارة ، فيرتفع النبار ، وتتناثر الحجارة ، ويترأ بعضها من بعض ،

ابن الخلال رئيس الديوان ، فسأله : ما الذي أعددت لفن الكتابة من الآلات ؟  
فرد عليه القاضي - كما يروى ابن الاثير في كتابه الوشي المرقوم - ليس عندي  
شيء سوى أنني أحفظ القرآن ، وكتاب الحماسة ، فقال : في هذا بلاغ ٠٠٠ ثم  
أمره بملازمته ، ٠٠٠ حتى تدرّب بين يديه ثم أمره بحل شعر الحماسة من أوله  
الى آخره مرتين ٠٠ (١) .

وهذا يدل على أن حل الشعر والقرآن والحكم والامثال والحديث أصبح ممن  
مستلزمات الكتابة الفنية في العصر الايوبي وما بعده . وفي الرسالة الموردة آنفا  
اعتمد القاضي على الاقتباس العرفي والمعنوي ، ومن أمثلة ذلك قوله : " وصدق  
الله أهل دينه " ، وقوله : " وصدق وعد الله في اظهار دينه على كل دين " (٢)  
وقوله : " فتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى " (٣) وقوله :  
" وكان اليوم مشهودا وكانت الملائكة شهودا (٤) وجعل الله ضلوح الكفار لنار جهنم  
وقودا (٥) وذئبوا أنها من الله مانحتهم وان كنيستهم الى الله شافعتهم (٦)  
فقبل منهم البذل عن يد وهم صاغرون (٧) وقال الكافر : يا ليتني كنت ترابا (٨)  
فحينئذ يئن الكفار من أصحاب الدور كما يئن الكفار من أصحاب القبور (٩) ، وجاء  
أمر الله وغرهم بالله النور (١٠) .

- (١) انظر مجلة الهلال ، العدد التاسع - السنة الحادية والثلاثون ، ايلول سنة ١٩٧٣  
مقال د . محمد أحمد خلف الله ، عن القاضي الفاضل ص ٤٢  
(٢) اشارة الى الآية : " ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " . الصف ٩  
(٣) " وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا " التوبة ٤٠  
(٤) " ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهور " هود ١٠٣  
(٥) " وأولئك هم وقود النار " آل عمران ١٠  
(٦) " وذئبوا أنفسهم انحتهم حصونهم من الله " الحشر ٥٩  
(٧) " حتى يصدوا الجزية عن يد وهم صاغرون " التوبة ٢٩  
(٨) " ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا " النبا ٤٠  
(٩) " قد يئسوا من الآخرة كما يئن الكفار من أصحاب القبور " المتحفة ١٣  
(١٠) " حتى جاء أمر الله وغرهم بالله النور " الحديد ٥٧

ومن التأثر بالحديث قوله : وكان الدين قريباً فهو الآن في وطنه ، ومن الحكم قوله : ومن طلب غلباً غلبه ، ومن رام صفقة رابحة تجاسر ، ومن سمل لان يجلب غيرة غامر .

### ٥٣ : الطباق :

وهو قليل في هذه الرسالة بالنسبة الى السجع ، ومن أمثله : ثقلن - للبحرط الهوسى - النحى ، الاخرة - الدنيا ، سواد - بياض ، غابوا - حضر ، كسرة - جبر . . . الخ .

### ٥٤ : الجناس :

وهو قليل أيضاً ، ومن أمثله : أنوار - المراقب - المراقب - العنان - العيان . . . الخ .

أما الاطناب وتكرار المصانيف فهما سمتان عامتان في الرسائل الديوانية التي تحصل انباء الفتوحات ، إذ يعبر الكاتب عن الفكرة في عدة جمل ، ويكرر المعنى في أشكال مختلفة ، ولو نظرنا في رسالة القاضي السابقة لوجدنا فيها هذه السمة بوضوح ، فهو يقول مثلاً : وكتاب الخادم هذا ، وقد أظفر الله بالعدو الذي تشطت قناته سققنا ، وطارت فرقه فرقا ، وقل سيفه نصار عصا ، وصدعت حصاته وكان الاكثر عدداً وحصا ، فكلمت حملاته وكانت قدرة الله تصرع ، فيه العنان بالبيان ، عقوبة من الله ليس لصاحب يد بها يدان . . . " فالتص كل يد دور حول معنى واحد ، وهو ضعف العدو ، وهذا المعنى تكرر من قبل في الفقرات السابقة أيضاً ، كما تكرر في الجمل السابقة ، فتكثرت رماحه ولبيران فرقه ، وتثلج سيفه . . . كلها تمنى ضعف العدو .

وهما يتسم به أسلوب هذه الرسالة المبالغة ، فقد بالغ القاضي في كل شيء : وهو يذف البشرية ، وهو يصف الفتح ، وهو يصف اندحار العدو ونهزمته . . . ويمكن للقارئ أن يرجع الى الرسالة ليجد الشواهد على هذه المبالغة ، ونجترى هنا فقط ببعض حديثه عن البشرية : " فانها بحر لا أقلام فيه سبح طويل ، ولطف الحق للشكر فيه عبث ثقيل ، وبشرى للخوادير في شرحها مأرب ، وبسرى للاسرار في اظهارها مسا . . . "

والمبالغة في التعبير ما جنح اليه كتاب الداوين عامة في هذا العصر ، ولعل حرص القاضي الفاضل على تعظيم النصر والمنتصر ، من الحوافز التي دفعت الى هذه المبالغة ، ولكنه أفرط ، وافراطه هذا لا يرجع الى تعكم السجع والزخرف اللفظي في كتابته ، فقد كان تكتمه من المادة اللغوية كفيلاً بأن يخرج من قيود البيان السلي قد يتعثر بها من هو أقل منه معرفة باللغة . . .

أما انفعال القاضي بما يكتب ، فأمر لا ريب فيه ، وهو انفعال يبعثه أولا أنه رجل من الأمة التي ابتليت بالفتور والاحتلال ، ثم استطاعت التخلص منهما ، ويؤججه بعد ذلك أن الكاتب لم يكن مجرد رجل عادي من صفوف الناس ، بل كانت له منزلته عند صلاح الدين لا تكاد تداني ، حتى عده السلطان من صناع النصر في القدس ، والاسلوب الذي اعتمده القاضي في هذه الرسالة ، هو اسلوب شاعري ينطلق فيه خيال الكاتب ، وتتدفق فيه عواطفه ، كما في أي نص شعري .

ب . رسالة الساد الاصفهاني الى الديوان الصليبي في حياض طبرية يقول :

" ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحين " ، الحمد لله علي ما أنجز من هذا الوعد ، وعلى نصرته لهذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد ، وعلى أن اجري هذه الحسنة التي ما اشتمل على شبهها كرام الصحائف ، ولم يجادل عن مثلها في الدوايق ، في الايام الامامية الناصرية زادنا الله غرا وأوضاحا ووالى البشائر فيها بالفتوح غدا ورواحا ، ومكن سيوفها في كل مازق ، من كل كافر ومارق ، ولا أخلاها من سيرة سرية تجمع بين مصلحة مخلوق وطاعة خالق ، وأطال أيدي أوليائها لتحمي بالحقيقة حصن العقائد ، وأنجزها الحق وقذف به على الباطل الزاهق ، ومطكها هوى الخراب ومرامي المشرق ، ولا زالت آراؤها في الظلمات مصابح ، وسيوفها للبلاد مفتاح ، وأطراف أسنتها لدماء الاعداء نوازح .

والحمد لله الذي نصر سلطان الديوان الصليبي وأيده ، وأثقر جنده الثاليب وأنجده ، وجلا به جلايب الظلماء وجدده ، وجعل بعد عرسيرا ، وقد أحدث الله بعد ذلك أمرا ، وهون الامر الذي ما كان الاسلام يستطيع عليه صبرا ، وخوطف الدين بقوله : " ولقد مننا عليك مرة أخرى " : فالأولى في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ، والاخرى هذه التي عتق فيها من رق الكعبة ، فهو قد أصبح حرا ، فالزمان كهيئته استدار ، والحق بمهجته قد استنار ، والكفر قد رد ما كان عنده من المستمار وغسل ثوب الليل بما فجر النجر من أنهار النهار ، وأتى الله بنيان الكفر من القواعيد ، وشفى غليل صدور المؤمنين برقراق ماء المورديات البوارد ، أنزل ملائكة لم تظهر للمؤمنين الا لاجلته ، ولم تخف عن القلوب العائاة ، عزت سيما الاسلام بمسومها ، وترادف نصره بحرفها ، وأخذت القرى وهي ذالمة فتري مترفيها كأن لم توه فيها ، فكم أقدم بهيها حيزوم ، وركض فاتبسه سبحانه عجاج مركوم وضرب فاذا ضربه كتاب جراح مرقوم ، ولما كان الحروب انما عقدت سجالا ، وانما جمعت رجالا وانما دعت غفانا وثقالا ، فاما سيوف تقاتل سيونا ، أو زحوف تقاتل زحونا ، فيكون حد العديد بيد مذكرا بيد مؤنثا ويكون السيف في اليد الموحدة يعني بالضربة الموحدة وفي اليد المثلثة لا يعني بالضرب مثلنا ، وذلك أنه في فتتين التقتا ، وعدتتين لغير مودة اعتنتا ، وان عده النصر ان زويت عن ملائكة الله جحدت كراماتهم ، وان زويت عن البشر فقد عرفت قبل مقاماتهم .



فما كان سيف يتيقظ من جفنه قبل أن ينبهه الصريح ، ولا كان ضرب يطير الهام قبيل ضرب يراه الناظر ويسمعه الصيخ ، فكم قرية كأنها هجرة الموت وسها التاريخ ، وكم طمعة تغر لها هضاب الحديد ولها شماريح .

والحمد لله الذي أعاد الاسلام جديدا ثوبه ، بعد أن كان جديدا حبله ، مهوضا نصره ، مخضرا نضله ، متعسا فضله ، مجتمعنا شمله ، والخدام يشرح من نيا هذا الفتح العظيم ، والنصر الكريم ، ما يشرح صدور المؤمنين ، ويضع الجهور لكافة المسلمين ، ويكرر البشري بما أنعم الله به - من يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الاخر الى يوم الخميس منسلخه - وذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوما سخرها الله على الكفار " فسترى القوم فيها صرعى كأنهم أمجاز نخل خاوية " ورايتها الى الاسلام ضاحكة كما كانت مسن الكفر باكية ، فيوم الخميس الاول فتحت طبرية وقاض ري النصر من بحيرتها ، وقضت على جسرهما الفرنج فقضت نجسها بحيرتها ، وفي يوم الجمعة والسبت كسر الفرنج الكسرة التي ما لهم بعدها قائمة ، وأخذ الله أعداءه بأيدي أوليائه أخذ القرى وهي ظالمية . وفي يوم الخميس منسلخ الشهر فتحت عكا بالامان ، ورفعت بها أعلام الايمان ، وهي أم البلاد واخت ارم ذات العماد ، وقد أصبحت كأن لم تفن بالكفر وكان لم تفتقر من الاسلام . وقد أصدر هذه المطالعة وصيلب الصلوات مأسور ، وقلب ملك الكفر الاسير جيشه المكسور مكسور ، والحديد الكافر الذي كان في الكفر يضرب وجه الاسلام ، قد صار حديدا مسلما يفرق خطوات الكفر عن الاقدام ، وأنصار الصليب وكباره ، وكل من الممبودية عمدتسه والدير داره ، قد أحاطت به يد القبضة ، وأخذ رهنا فلا تقبل فيه القناطر المقنطرة من الذهب والفضة ، وطبرية قد رفعت أعلام الاسلام عليها ، ونكصت من عكا ملة الكفر على عقبها وعمرت الى ان شهدت يوم الاسلام وهو خير يومها ، بل ليس من أيام الكفر يوم فيه خير ، وقد غسل عن بلاد الاسلام بدماء الشرك ما كان يتخللها فلا ضرر ولا ضير ، وقد صارت البيسج مساجد هم بها من امن بالله واليوم الاخر ، وصارت المناصر مواضع لخطباء المنابر واهتزت أرضها لوقوف المسلمين فيها وطالما ارتجت لمواقف الكافر ، والباين الامام سي الناصري قد أمضى مشكاته على يد الخادم حتى بالدني في الكنائس ، وان عز أول الاسلام بحك تاج فارس ، فكم حطت سيوفه في هذا اليوم من تاج فارس . . . . . ( ١ )

أول ما يلقت النظر في هذه الرسالة أنها تبدأ بآية قرآنية ، متلوة بالدعاء للديوان العزيز والسلطان صلاح الدين ، ثم ينتقل الكاتب الى وصف حالة الاسلام قبل الفتح وحده ، ففتح القدس هو محور الرسالة الذي تدور الاحداث حوله . وقد انتزع العماد صورة البيانية من الحياة الدينية والاجتماعية ومصادر رهسلا ، ومن التلميح وأجواء الحرب ، ومن السهل على الناظر في الرسالة أن يجد الشواهد على هذه الصور .

والعماد كالمقاضي الناشئ ، يستمد كثيرا على التشخيص ، كما في قوله : " وضل  
سبب الليل بما فجر الفجر من أنهار النهار ، وأتى الله بنيان الكفر من القواعد " .  
وفي قوله : " وقد أصدر هذه المطالمة وعلب الملبوت مأسور ، وتلب الكفر الأسير جوشه  
المكسر مكسر ، والحديد الكافر الذي كان في الكفر يضرب وجه الاسلام قد صار عديدا  
سلنا يفرق خطوات الكفر عن الاقدام " .

ويطغى البديع على هذه الرسالة كما يطغى على رسائل العماد عموما ، ولو  
أخذ القارئ أية فقرة لوجد فيها ألوان البديع ، ومنها السجع والاقتراب اللفظي  
والمعنوي والتضمين ، ومن أمثلة الاقتراب اللفظي قوله : " ولقد كتبنا في الزبور من  
بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون ( ١ ) وقوله : " ولقد مننا عليك مرة أخرى " ( ٢ )  
وتوله : " فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية " ( ٣ ) . ومن الامثلة على حمل  
الآيات القرآنية قول الكاتب : الحمد لله على ما أنجز بهذا الوعد ، على نصرته له هذا  
الدين الخفيف من قبل ومن بعد ( ٤ ) وقذف به على الباطل الزاهق ( ٥ ) وحمل  
بعد عشر يسرا ( ٦ ) وقد أحدث الله بعد ذلك أمرا ( ٧ ) ما كان الاسلام يستطيع  
عليه صبرا ( ٨ ) ، وأتى بنيان الكفر من القواعد ( ٩ ) ، أنزل ملائكة لم تظهر للمؤمنين  
الملائكة ( ١٠ ) ، وأخذت القرى وهي ظالمة فترى مترفيا كان لم تؤو فيها ( ١١ ) ،  
في فئتين التقتا ( ١٢ ) ٠٠٠ الخ .

( ١ )	سورة الانبياء آية ١٠٥	( ٢ )	سورة طه آية ٣٧
( ٣ )	سورة الحاقة آية ٦٩		
( ٤ )	إشارة الى قوله تعالى :		لله الامر من قبل ومن بعد " الروم ٤
( ٥ )	= = =		" بل نقذف بالحق على الباطل فيدفعه فإذا هو زاهق "
			الانبياء آية ١٨
( ٦ )	= = =		" فان من العسر يسرا " الشرح آية ٥
( ٧ )	= = =		" لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا " الطلاق ٦٥
( ٨ )	= = =		قال : إنك لن تستدبرن مني صبورا " الكهف ٦٧
( ٩ )	= = =		قد مكر الذين من قبلهم ، فأتى الله بنيانهم من القواعد "
			سورة النحل آية ٢٦
( ١٠ )	= = =		" ألن يكفركم أن يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين "
			سورة آل عمران آية ١٢٤
( ١١ )	= = =		" وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة " عود ١٠٢
( ١٢ )	= = =		" قد كان لكم آية في فئتين التقتا " آل عمران ١٣

ومن الأمثلة على هذا نصوص الأحاديث النبوية ، قوله : فهو قد أصبح حراً فالزمان كهيئته ، استدار . . . ومن ألوان الهدى كذلك ، التليق ، ويبدو في الألفاظ التالية : مخلوق - خالق ، الحق - الهائل ، القارب - المشارق ، عصر - يسر الليل - النهار ، مذكر - مؤنث ، الموحد - المثلث - ضاحكة - باكية ، جديد جديد ( الهالي ) . . . الخ .

ومنه الجناس ، ويمثل في الكلمات التالية : سيرة - سرية ، جدد - جدد ، استدار - استنار ، بحيرتها - بحيرتها ، نصره - نصره . . . ( ١ ) .

وأما الأطناب والتكرار ، فإننا نجد منهما ما وجدناه من قبل عند القاضي الفاضل كقول العماد : الحمد لله الذي أعاد الإسلام جديداً فهو ، بعد أن كان جديداً قبله موهباً نصره ، مخضراً نصره ، متسعاً نصره ، مجتمعاً شمله . . . فهذه الجمل تؤدي معنى واحداً هو قوة الإسلام بحمد الفتح .

ورغم هذا التشابه في السمات الفنية بين النصين إلا أننا نعصر بعض فوارق في طريقة تناول ، فالعماد قسم الفتح على الأهم ووصف ما جرى في كل يوم ، ثم أن الجمل التي اعتمدها خاصة في نقل البشور ، كانت أقصر من جمل القاضي الفاضل ، وقد يشرح هذا القصر في الجمل بسرعة الحركة ، ثم إن العماد دخل في موضوع البشور مباشرة ، إذ قدم آيات الحمد المرتبطة بالفتح ، بينما أبتدأ القاضي الفاضل رسالته بالدعاء للخليفة العباسي ثم لصالح الدين .

محمد ، فقد نتساءل : لو سقطت أسكتاب كل من الرسالتين ، هل يمكننا أن نتعرف عليه من خلال السمات الفنية لرسالته ؟ .

أغلب الظن أننا لن نستطيع ذلك ، لأن السمات الفنية مشتركة بين الرسالتين إلى حد بعيد ، والواقع أنني حاولت فعلاً - حين كنت أقرأ بعض الرسائل في كتاب الروضتين - أن أرتد هذه الرسائل إلى أصحابها فلم أستطع ، لأنني لم أجد المميزات الخاصة التي تضح حداً فاصلاً بين رسائل أشهر كتاب الدواوين في هذه الفترة : القاضي الفاضل ، والعماد الأصفهاني ، وابن الأثير .

( ١ ) انظر وصف العماد لرسائله بمناسبة الفتح ، يقول : وأوردت الحمقى البليغ في

اللفظ الوجيز ، ووشحت ووشحت ، وشعبت وأشعبت ، وأطلت وأطلبت . . .  
وأبعدت وأبدعت ، ورضعت وصرعت ، وابتدت وجاتت ، ووافقت وأنست . . .

وقودنا هذا الي مناقشة آراء الذين ذكروا أن القاضي الفاضل ابتكر الطريقة التي سميت " الفاضلية " باسمه ، وهي التي تستمد على نثر القرآن ، والتشخيص والاكتار من البديع ( ١ ) ، فقد تبين أن هذه المميزات الفنية مشتركة عند عدد من الكتاب الذين عوا بالهدية زمن الفاضل وقبله ، مما يدل على أن القاضي لم يبتكر طريقة خاصة في الكتابة ، وإنما كانت شهرته ومشاركته في الاحداث السياسية ، وأرتهاطه بشخصية صلاح الدين هي التي ساعدت على نسبة هذه الطريقة اليه دون غيره . ومعلوم أن القاضي الفاضل كان كاتباً زمن الدولة الفاطمية ثم زمن الدولة الايوبية ، وهو الذي كتب الصهد لصلاح الدين بالوزارة ، لكنه حتى تلك الفترة لم يكن قد اشتهر بعد ، لأنه لم يكن قد اضطلع بدور سياسي كبير ، وفي الأمر كذلك ، الى أن تمت الوحدة بين الشام ومصر على يد صلاح الدين ، فتولى تصريف الأمور في مصر في غياب صلاح ، وكان على اتصال دائم به ، واعتمد عليه صلاح الدين كثيراً . . . واستفاد من قلمه ، حتى قال فيه : " مسأفتحت البلاد بالمساكر ، وإنما فتحتها بقلم القاضي الفاضل " ( ٢ ) .

ويمكننا القول ، إن رسائل القاضي الفاضل رسائل سياسية فكرية وجدانية تتصل بأعمال صلاح الدين وحياته اتصالاً وثيقاً ، بينما تقتصر رسائل العماد وابن الاثير على مراسلاته الرسمية " دون غيرها " .

ج . رسالة الملك المنصور قلاوون الى اليمن مبشراً بفتح " صافينا " من انشاء محيي الدين بن عبد الظاهر ، يقول الكاتب :

" أعز الله تعالى نصره المقام العالي ، الدولوى ، السلطان الملكي المظفرى الشمسى ، وأشرکه في كل بشرى تشد الرجال لاستماعها ، وتحل الحوى لاستطلاعها وتنهافت التواريخ ، والمسير على استرقاعها ، وتنافس الاقلام والسيوف على الافهام بأجناسها وأنواعها ، ولا خلا موقف جهاد من اسمه ، ولا مصرف أجر من قسمه ، ولا غرض هنا من سهمه ، ولا أفق ابتهاج من بزوغ شمسهِ وطلوع نجمه ، سطر المسكوك هذه الهشوى والسيوف والقلم يستمدان : هذا من دم وهذا من نفس ، ويمضيان هذا في رأس وهذا في طرف ، ويتجاوبان : هذا بالصليل ، وهذا بالصرير ، ويتناوبان : هذا يستميل وهذا يستمير ، وكل منهما ينافس الآخر على المشاهدة بخبر هذا الفتح الذى

( ١ ) انظر الخريدة ٣٥ / ١ ، غزاة الادب ٢٤٠ ، الروضتين ٢ / ٢٤٢ ، الحروب

الصليبية وأثرها في الادب العربي من ١٥٩ - ١٦٠ ، ادب الحروب الصليبية

١٨٥ ، أمير شمراء المشرق ، ابن نباتة المصري من ٩١

( ٢ ) مرآة الزمان ٤٧٢ / ٨

سمت اليه هم الملوك الاوائل ، ولا سمت به سيرهم التي بدت أجيادها من حلاله عواطل ، ولا دار نفسي خلدت أن مثله يتها في العدد الدابولة ، ولا تشكل في ذهن أنه سيدرك بحول ولا حيلة ، وهو النصر المرتب على حركتنا التي طوى الله لركابنا فيها المراحل وألقى بدمر عساكرنا من بحر الحديد المالح الى الساحل ، وهجومنا على الهلاد الفرنجية : وهي طرلبلس و صافيتا وأنطرسوس ومرقبة والمرقب ، كما يهجم الفهيت ، وميلد متنا صدورهما كما يصدم الليث ، وسلوكنا منها حيث لم يبق حيث ، وما جرى في هذه الوجبة من اغارات أحسن منقلب الأعنة ، ومتلوى السيوف وحترق الاسنة ، وما تها منها من فتوح صافيتا التي هي أم الهلاد ، ومنتجج الخاضر والهاد ، وكوضتها قدمت بنفسها في جملة ما يقرى به الضيف ، وقالت : هذا فتوح حضر على هذا الفتوح لهذا السيف ، وتلطف في مسح أطراف الامان ، والبيت شكرا ومنا شكران ، وأحضرت اليها من أهلها الوقت وهدت السيوف في أعناقهم فتشبهت بها الاغلال ، وأنفت أيمان أهمل الايمان من مصافحتهم لأنهم أصحاب الشمال ، فأطلقهم سيفنا وأقله يمد الي من هو أعز منهم مالا ، وأكثر احتقلا ، وأبزمالا ، وأبزم سيقوا قصارا ورمحا طولاً ، واستطار منها شرار نار الحرب الموقدة الي غيرها من القلاع ، واستدلال الي سواها من الحصون منهم الباع فلا حصن الا واقترت ثيبته عن نصر مسهل ، وفتح مجمل وموجل ، ، الخ (١) .

بدأت هذه الرسالة بالدعاء لمقام المرسل اليه ، كتلك الرسائل السابقة ، ويجد القارى في هذه ما وجدناه في تلك من سمات فنية ، فالسجح مطرزم به من أول الرسالة الي آخرها ، والطباق والجناس بشكلان عنصران مهما من عناصر البيان فيها ، ولكن اعتماد الكاتب على حل القرآن والشعر أقل في هذه الرسالة مما هو في الرسالتين السابقتين ، وقد أكثر الكاتب من استعمال التشخيص ، فبحث الحياة في السيف والقلم ، وأنشأ مفاضلة بينهما على ما هو معهود في هذا العصر من مناظرات بين السيف والقلم ، ومنها مناظرة طويلة بينهما لجمال الدين بن نباته المصري (٢) .

ومن التشخيص كذلك وصفه لخصن الاكراد بأنه انسان متكبر يحتاج أن ينزل ضربته بالشام وقت ما يشاء ، ثم يصوره بأنه مقر للصقور ، ومريض للأسود ، يقول : " فمن ذلك حصن الاكراد الذي تاه بحذافه على الممالك والحصون ، وشمع بأنفه عن أن يمد الي مثله يد الحرب الزبون ، وقد اجازبا بتضج الشام ، وآخذوا بمخائق بلاد الاسلام ، وشلا في يد الهلاد ، وشجا في صدر المباد ، تنقض من عشه صقور الاعداء الكاسرة ، وترتاع من سطوتها قلوب الجيوش الطائرة ، وترى بأرياضه آساد تحمي تلك الاجام ، وثقوة من تسيه سهام تصمي مفوقات السهام ، تحطيه الملوك الجزية عن يد وهم صاغرون ، ويصطفى كرام أموالهم وهم صابرون لا صابرون ، وله مدن حوله خصه هو كالراحة وشسي

(١) صحح الأعشى ٣٥٤/٧ - ٣٥٥

(٢) انظر المناظرة في كتاب : العروب الصليبية وأثرها في الادب العربي ص ٢٩

كالانامل ، وتكاد بوجه ترى كالمطايا المقطرة وهي منها بمنزلة الزواميسل ٠٠٠ الخ  
وفي الرسالة أيضا تشخيص لأدوات الحرب من مجانيق ورماح وسهام يقول : ونصبت  
عليها عدة مجانيق حملت في شواعق الجبال ، على رؤوس الأبطال ، فتخيلت  
السميرية أن الذي تقوم به هذه ، تلك به لا تقوم ، وأن ما فيها إلا له من الأيدي والرؤوس  
مقام مفلوم ، ومار يرمي بها كل كمي مختلس ، وأروح منتهب ، وكل ليث غابة يحمصها  
وتحميه ، فشكراً لأسود حتى غايتها تفتس ، إلى أن جئت أسوارها على الركب ، وكانت  
سهام مجانيقها تمول من العجب فصارت تميد من العجب ، وكانت تطلب فصارت تهرب  
من الطلب ٠٠٠ (١) .

\* \* \*

هذا نمط من الرسائل الديوانية ، وهناك أنماط أخرى تتميز عن هذا النمط  
بسمه أو أكثر من السمات ، نذرا لاختلاف الموضوع أو اختلاف الكاتب .

أما اختلاف الكتاب فالمقصود فيه انتماؤهم إلى كتاب الدواوين أو عدم انتمائهم  
وذلك لأن كتاب الدواوين تجمع بين رسائلهم سمات عامة مشتركة : كالسجع ، والتشخيص  
وحل القرآن والشعر ٠٠٠ الخ . في حين أن الكتاب الآخرين قد لا يقيدون أنفسهم  
بقيود الزخارف اللفظية ، ولا يعنونها بالبحث عن الالفاظ والمصور .

ومن الأمثلة على ذلك رسالة السلطان الملك المعظم تورانشاه إلى الأمير جمال  
الدين موسى بن يحمور نائبه بدمشق يبشره بهزيمة الفرنج عن دمياط . يقول :  
" الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، وما النصر إلا من عند الله ، ويومئذ يفرح  
المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .  
يبشر المجلس السامي الجمالي ، بل يبشر الاسانم كافة بما من الله به على  
المسلمين من الظفر بحدو الدين ، فإنه كان قد استفعل أمره ، واستحك شره ، ويشهد  
العباد من البلاد ، والاهل والاولاد ، فنودوا لا تأسوا من روح الله .

ولما كان يوم الاربعاء مستهل السنة المباركة . تمم الله على الاسانم بركاته -  
فتحننا الخزائن ، وبذلنا الاموال ، وفرقنا السالح ، وجمنا السريان والمطوعة ، واجتمع  
خلق لا يحصهم الا الله تعالى ، وجاءوا من كل في عميق ، ومن كل مكان بميد سحيق  
ولما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع الاتفاق بينهم وبين الملك الكامل  
فأبيناه .

(١) صبح الأعي ٣٥٥/٧ - ٣٥٦ ، وانذار رسالة أخرى زمن الأشرف خليل تحمل  
السمات نفسها ، صبح الأعي ٣٦٨/٧ .

ولما كان الليل تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم ، وقصدوا دمياط هلمسين ،  
فسرنا في آثارهم طالبيين ، وما زال السيف يحمل في أيديهم عامة الليل ، ويدوخل  
بهم الخزي والويل . فلما أصبحنا نهار الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا غير من ألقى  
نفسه في اللجج ، وأما الأسرى فحدثت عن البحر ولا حرج ، والتجأ الفرنسيين إلى  
الغنية ، وطلب الأمان ، فأضاه وأخذناه ، وأكرمناه ، وتسلمنا دمياط بحون الله تعالى  
وقوته وجلاله وعظمته . (١) .

فإذا ما قارنا بين هذه الرسالة والرسائل الديوانية السابقة نجد وجه التشابه  
انكاسها جميعا على المادة القرآنية إلى حد الاقتباس الحرفي .

فهي تبدأ بجملته آيات من سور مختلفة : " الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (٢)  
" وما النصر إلا من عند الله (٣) " ، " ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو  
المعزى الرحيم " (٤) ، " وأما بنعمة ربك فحدث " (٥) ، " وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها " (٦)  
، " ومن الاتقياسات المعنوية قوله : " فتودوا لا تيأسوا من روح الله " (٧) ، وقوله :  
" فجاءوا من كل فج عميق " ، ومن كل مكان بعيد سحيق " (٨) .

ولكن مع هذا التشابه اختلافا واضحا في نواح أخرى بين هذه الرسائل ، فالسجع  
في الرسالة الأخيرة قليل ، ويأتي دونما جهد وطلب شديد ، ويمكن حصره في أماكن محدودة :  
" ويثى الصباد من البلاد والأهل والأولاد " ، " فجاءوا من كل فج عميق " ، ومن كل مكان  
بعيد سحيق .

- 
- (١) نهاية الأرب ج ٢٢ ورقة ١٠١
  - (٢) سورة فاطر آية ٣٥
  - (٣) سورة آل عمران آية ١٢٦ والأطفال آية ١٠
  - (٤) سورة الروم آية ٥
  - (٥) سورة الضحى آية ١١
  - (٦) سورة النحل آية ٧
  - (٧) إشارة إلى قوله تعالى : " ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا  
القوم الكافرون " ، سورة يوسف آية ٨٧
  - (٨) إشارة إلى قوله تعالى : " وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر  
يأتين من كل فج عميق " ، سورة الحج آية ٢٧

وقصدوا دمياط هارمين ، فصرنا في آثارهم طالبيين ، وما زال السيف يحمل فسي  
أدبارهم عامة الليل ، ويدخل بهم الخزي والويل " ، " غير من ألقى نفسه في اللجج  
وأما الأسرى فعدت عن البحر ولا خرج . . . . .

وثمة اختلاف آخر ، وهو ما تتسم به هذه الرسالة من سهولة الألفاظ وساطة  
المعاني ، وقلة الصور البيانية ، دون أن ينشأ عن ذلك ضحالة في المعاني . فالرسالة  
تعرض ما جرى في دمياط من قتال مع الفرنج ، وتصور الحالة النفسية التي كان عليها  
المسلمون ، من ذعر استشعروه في البداية ، ثم من ثقة ، استطلاع السلطان أن يعيدها  
إلى نفوسهم بعد ذلك ، كما تصور حالة الفرنج النفسية قبل المعركة الحاسمة وعدهما ،  
مع ما رافق هزيمتهم من شعور المسلمين بالتشفي ، والحديث عن المدو بزرابة وسخرية  
وكل ذلك في إطار أسطر قليلة .

وإن يختلف أسلوب النص باختلاف كاتبه ، فإنه يختلف كذلك باختلاف موضوعه .  
وقد وضع شهاب الدين محمود نبطاً عاماً للرسائل ، والملب من الكتاب التقيد بسننه ،  
فهو يقول : " ومما يتعين على الكاتب استجماله والمحافظة عليه ، والتمسك به ، إعطاء  
كل مقام حقه ، فإذا كتب في أوقات العروب إلى نواب الملك عنه وإلى مقدمي الجيوش  
والسرايا ، فليتموخ الإيجاز والألفاظ البليغة الدالة على القصد من غير تناول ولا بسط  
يضيق القصد ، ويفصل الكلام بعضه عن بعض ، ولا تهويل لأمر المدو وينحف القلوب ،  
ولا تهوين لأمر يحصل به الاغترار . . . . . وإذا كتب عن الملك في أوقات عركات المدو إلى  
أهل الثغور يحملهم بالحركة للقاء المدو ، فليسط القول في وصف المزمائم ، وقوة الهمم  
وشدة الحمية الدين ، وكثرة المسامك والجيوش ، وسرعة الحركة وطبي الراحل . . . . .  
ويبرزه في أمثن كلام وأجله ، وأمكنه وأقربه من القوة والبسالة ، وأبعده من اللين والرقه  
. . . . . ( ١ ) ، وهذا ما لاحظناه القلتشندي فيما بعد . " إذ يقول : " وأعلم أن الكتابة  
في فتوحات بلاد الكفر ومعاقلهم والاستيلاء على بلاد البغاة تكاد تكون على نسق واحد  
إلا أن مجال الكاتب في فتوحات بلاد الكفر أوسع ، من حيث عزة الاسلام على الكفر ،  
وظهور دينه على سائر الأديان " ( ٢ ) .

ومن الموضوعات التي برزت في الرسائل الديوانية التحريض والتمهيج والرد على  
التهديد . . . . .

ومثال التحريض ما كتبه الشيخ بد الدين حبيب الحلبي إلى أصحاب الثغور  
في طرابلس ، عند ظهور الفرنج في بحر تلك المنطقة ، يقول : " العسوم بالامر العالسي  
أعلاه الله تعالى ، لا زالت مراسمه النافذة تبلغ أهل العصاة المحمدية غاية الآمال ،

( ١ ) نهاية الأرب ج ٢ ص ١٨٩ - ١٩٠ ، وانظر حسن الثوسل إلى صناعة الترسل ص ١٣٤

( ٢ ) صبح الأعشى ج ٨ ص ٢٧٨



وأوامره المطاعة تفضي بكسر اللوسارية وشين الشوال ، أن تتقدم المسائر الضخمة بالصلابة  
الطرابلسية أيد الله تعالى عزائمهم القاهرة ، وأذل بسيفهم الطائفة الكافرة ، بارتداء  
منهم الجهاد ، والتخلي بمرارة الصبر على اجتلاء الجلائد ، وأن يجيئوا داعي الدين ،  
ويكفوا أيدي المعتدين ، ويفوقوا سهامهم ويجعلوا التقوى أمامهم ، ويشرعوا رماحهم ،  
ويحملوا سلاحهم ، ويومضوا بروق السيوف ، ويرسلوا نبال الختوف ، ويهدموا بنيان الكفار ،  
ويطلمعوا أهله القسي بمد الأوتار ، ويهضموا جانب أهل العناد ، ويقابلوا البحر بمسل  
بحر من الجياد ، وينظروا أمواجه بأموج النصال ، ويقاتلوا الفرقة الفرنجية أشد  
القتال ، ولا يهملوهم بالنهار ولا بالليل ، وينددوا لهم ما استطاعوا من قوة ومن رباط  
الخيال ، وينهروا بمصابيح الرباط في سبيل الله ظلام الدجته ، وأن يصابروا ويصبروا  
فإذا استنفروا فلينفروا ، ويبالغوا في الفدو والرواح ليلفوا الرعية من الأمن أمانيتها ،  
فقد قال صلى الله عليه وسلم : " لخدوة في سبيل الله أروحة خير من الدنيا وما فيها " .  
ويعتمدوا القرب المجيب ، ويجتهدوا في كسر أصلاب أهل الصليب ، وينافسوا في أمر  
الآخرة ، ويدعوا الدنيا ، ويقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا ، ويشهدوا مواقف ،  
ويذلوا التالذ والطارق ، وليبرز الفارس والراجل ، ويظهر الرامح والنابل ، فإن الجهاد  
سنة الله تعالى على ذوى الفساد ، ونقمة القائمة على أهل الشرك والعناد ، وهو من  
الفروض الواجبة ، التي لم تزل سهام أصحابه صائمه ، فواظبوا على فعله ولا تذهبوا عن  
مذاهبه وسبله ، واطلبوا أعداء الله برا وحرا ، وقسموا بينهم الثكاث ثقلا وأسيرا ،  
وقاجئوهم بحركه الحرب ، وناجئوهم برسائل الطمن والضرب ، وخذوا من الكفار  
باليمين ، وجدوا في تحصيل الریح الثمين ، ولازموا النزول بساحل البحر لمنازلة  
الطغاة المشركين " يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدوا فيكم  
غلظة ، واعلموا أن الله مع المتقين " وسابقوا الأعداء ، ونزوا أصناف الأسته ، وشمروا  
عن سائر المزائم ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم ، واتخذوا الخيام مساكن ، واجعلوا  
ظهور الخيل لكم مواطن ، وانصبوا الألوية والأعلام ، وانفثوا جمرة الشريعة الناشئة  
للاسلام ، ولا تخشوا من جمعهم الاثل الى التفریق ، وحشدكم الذي هو عما قلمس  
إن شاء الله تعالى غريق ، ولا تعبأوا بسفنهم البحرية ، فإن سفنكم الخيل المغلوقة  
من الرياح ، ولا تنظروا الى مجاذيفهم الخشبية ، فإن مجاذيفكم السيوف والرماح  
فاقلعوا قلوبهم ، وشتتوا جموعهم ، وأذنبوا الجنف والخييف ، وخاطبواهم بالسنة  
السيف ، وأوقدوا في قلوبهم بالتحصين والاحتراز نارا ، وادعوا الله أن لا يذر عيسى  
الارض من الكافرين ديارا ، ونكسوا صلبهم المنصبوب ، وادروا الى حرب حيزهم  
المقلوب ، وارفعوا باليقين شك هذه المخنة ، وتاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، وانجروا  
في ذات الله طيب المنام ، وانقلوا الاقدام الى الاقدام ، واكشفوا عنكم أستار الملال  
والملام ، واهتموا بما يحلي كلمة الاسلام والسلام ، فليرفعنكم الله الى منازل المسز  
والتميز ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز " (١)

ويتبين من الرسالة أنها " مرسوم " بالحركة لمواجهة الفرنج الواصلين بالبحر ،  
 - يرضى لاستئصال شأفة الفرنج ، فجاءت قوية الجرس شديدة الوثع وكأنها خطبة قائم  
 في بنده قهلا الحركة - وتشترط هذه الرسالة مع الرسائل السابقة في معظم السمات  
 الفنية ، وتتميز عنها بشدة الوقع لاختلاف الموضوع ، فالسجع فيها سمة بارزة تتراءى في  
 الرسالة جميعها ، وكذلك الجناس والاقتران بنوعيه الحرفي والمعنوي ، ثم التكرار  
 والاطناب ، من أجل زيادة التأثير ، وشحن النثر بها بالانفصالات المحركة .

ومع أن هذه الصفات مشتركة في الرسائل الديوانية ، إلا أن هذه الرسالة تتميز  
 بالحرارة الشديدة ، والانفعال القوي ، وقد جاءت عباراتها قصيرة ، وألفاظها قوية  
 موجية بالحركة ، واقترانها مرتبطة بموضوع القتال والجهاد .

وقريب من هذه الرسالة رسالة شهاب الدين محمود التي يقول فيها :  
 " أصدرناها وضادى النفير قد أعلن : يا خيل الله اركبي ، ويا ملائكة الرحمن اصحبني  
 ما وفود التأييد والذافر اقربني ، والعزائم قد ركبت على سوابق الرعب الى الحدى ، والهيم  
 الى عدو الاسلام لو كان في سائر القسطنطينية ما بينها وبينه مسن  
 مدى . . . . "

فهذه رسالة الى مقدم سرية كشف ، يطلب فيها أن يكون خفيفا سريعا ، فجاءت  
 الرسالة قصيرة في حجمها وفي جملتها ، مشيرة في أصواتها وايقاعاتها . . . .  
 ومثال التوبيخ والتفريح رسالة القاضي محي الدين بن عبد الظاهر الى ملك الفرنج  
 في طرابلس وانطاكية ، يقول :

" قد علم القومى الجليل . . . . . ألهمة الله رشده ، وقرن بالخير قصده  
 وجعل النصيحة محفوظة عنده ، ما كان من قصدنا اربابنا وغرؤنا له في عز الدار ، وما  
 شاهدنا بعد رحيلنا من الخراب المماثر وعدم الأعمار ، وكيف كتبت تلك الكائن من  
 على بساط الارض ، ودارت الدوائر على كل دائر ، وكيف جعلت تلك الجزائر من الاجساد  
 على ساحل البحر كالجزائر ، وكيف قطرت الرجال واستخدمت الاولاد وتملكت الحرائر ،  
 وكيف قطعت الاشجار ولم يترك إلا ما يصلح لاعواد الجانق . . . ان شاء الله تعالى . . .  
 والستائر وكيف نهبت لك ولرعيك الاموال والحريم والاولاد والنواصي ، وكيف استخسني  
 الفقير وتأنيل السارب واستخدم الحريم وركب المشاي ، هذا وأنت تنظر نظر المشسي  
 من الموت ، وانما سمعت صوتا قلت فرعا : علي هذا الصوت ، وكيف رحلنا عنك  
 . . . . . ما كان بالعماء الا لأجل معدود ، وكيف فارقنا بلادك  
 وما بقيت فيها ماشية إلا وهي لدينا ماشية . . . . . سنا جانسة ،  
 ولا سارية إلا وهي بين أيدي السعاون سارية ، ولا زرع إلا وهو محصود ، ولا موجود  
 إلا وهو منك مفقود ، وما منحت تلك المناير التي هي في رؤوس الجبال الشامخة ،  
 ولا سنا . . . . . ما كان بالعماء الا لأجل معدود ، وكيف فارقنا بلادك  
 وما بقيت فيها ماشية إلا وهي لدينا ماشية . . . . . سنا جانسة ،

مدينتك انطاكية خبير ، وكيف وصلنا اليها وأنت لا تصدق أننا بعد فسنعود على الأثر ،  
 وها نحن نعلمك بما سمعنا ، ونفهمك بالبلاد الذي عم ، كان رحيلنا عنك من طرابلس يوم  
 الأربعاء ، ونزلنا انطاكية في شهر رمضان ، وفي حال التزول خرجت معاكرك للمبارزة  
 وتناصروا فما نصرنا ، وأسر من بينهم كند اسطبل ، فسأل في مراجعة أصحابك ، فدخسل  
 الى المدينة ، فخرج هو وجماعة من رهبانك : وان رأيهم في الخير مختلف ، وقولهم في  
 الشر واحد ، فلما رأيناهم قد فات فيهم النوت ، وأنهم قد قدر الله عليهم الموت ،  
 رددناهم وقتلنا : نحن الساعة لكم نحاصر ، وهذا هو الاول في الانذار والاخر ، فرجعوا  
 به متشبهين بفعلك ، وصعدتدين أنك تدركهم بخيلك ورجلك ، ففي بعض ساعة مر شأن  
 العرشان ، ودخل الرهب الرهبان ، ولان للبلاد القسطلان ، وجاءهم الموت من كل  
 مكان ، ونقحنا بالسيف في الساعة الرابعة من يوم السبت رابع شهر رمضان ، وقتلنا  
 كل من اخترته لحنقنا والمحاماة عنها ، وما كان أحد منهم إلا وعنده شيء من الدنيا  
 فما بقي أحد منا الا وعنده شيء منهم ومنها ، فلورأيت خيالتك وهي صرعى تحت أرجل  
 الخيول ، وديارك والنهاية فيها تصول ، والكسابة فيها تجول ، وأموالك وهي توزن بالقنطار ،  
 وأماك وكل أربع منها تباع فتشترى من مالك بدينار ٠٠٠ ولو شأنت النيران وهي في  
 تصورك تحترق والقتلى بنار الدنيا قبل الاخرة تحترق ، وقصورك وأحوالها قد حالست  
 وكنيسة بونصر وكنيسة القسيان وقد زلت كل منهما وزالت - لكنت تقول : يا ليتني كنت  
 ترابا ، ويا ليتني لم أوث بهذا الخبر كتابا ، ولكانت نفسك تذهب من حسرتك ، ولكنت  
 تطفي تلك النيران بما عبرتك ، ولورأيت مخانيك وقد أقفرت ، ومراكبك وقد أخذت في  
 السويدية بمراكبك ، ولصارت شوانيك من شوانيك ، ولتيقت ان الإله الذي انطاك  
 انطاكية منك استرجعها ، والرب الذي اعطاك قلمتها منك قلمها ومن الارض اقتلعها \* (١)

فهي رسالة يقصد منها القضاء على الروح المعنوية عند العدو ، بما احتوت عليه  
 من تهكم وتوبيخ ، وتفريع ، وتذكير بالهزائم ، وقد اتبع الكاتب في رسالته عدة وسائل  
 لارتعاب العدو ، والقضاء على إرادة القتال عنده ، منها تذكيره بالافعال السابقة التي  
 قام بها الجيش الاسلامي في الارض التي كان يسيطر عليها الفرنج ، ومنها الاستهزاء به  
 وبجيشه ، والمن عليه بالطلاق سراح الرهبان ، بعد ما ذاقوا الخوف المريع الذي هو  
 أشد من القتل ، ومنها التشفي بما أصابهم من ويلات ، ويرافق ذلك كله اظهار قوة  
 المسلمين ، وسيطرتهم على الاعداء في جديين المجالات .

ومع ان هذه الرسالة موجهة الى الفرنج الا انها مسجوعة كالرسائل السابقة ، بل ان فيها من الجناس ما لم يوجد في بعض الرسائل ، وذلك لان السجع قد أصبح سمة فنية استحكمت في الادب عامة في هذه الفترة .

ومن السمات الفنية المشتركة الاخرى ، تكرار المعاني وحل الأيات القرآنية . . . على ان الناظر في الرسالة لن تفوته ملاحظة إنها كتلة انفعالات متاججة ، يستخرج فيها الاستهزاء بالتوبيخ والتسليم ، وقد اعتمد الكاتب في اظهار هذه الانفعالات على الاستشهادات الكثيرة ، في جمل تتراوح بين الطول والقصر حسب طبيعة الانفعال ففي التثفي تناول الجمل مثل قوله : قد علم القوم . . . ما كان من قصدنا طرابلس وغزونا له في عقر الدار ، وما شاهدته بعد رحيلنا من اخزاب العمائر وهندم الاعمار ، وكيف كنست تلك الكنائس من على بساط الارض ودارت الدوائر على كل دائرة ، وكيف جعلت تلك الجزائر من الاجساد على ساحل البحر كالجزائر . . . ونفي التوبيخ والتفريح تقصر الجمل وتشد حتى تصبح كالسياط الشديدة الاذعة ، ومن ذلك قوله : وأخربناك وما كان تأخيرك الا لاجل محدود ، وكيف رحلنا عنك رحيل من يحسود وكيف فارقنا بلادك وما ابقيت فيها ماشية الا وهي لدينا ماشية ، ولا جارية الا وهي فسي ملكنا جارية . . . الخ .

ويمثل الرد على رسائل العدو رسالة بهاء الدين زهير التي كتبها بناء على طلب الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ردا على رسالة الملك لويس التاسع ملك فرنسا ، يقول فيها :

" أما بعد ، فإنه وصل كتابك ، وأنت تهديد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك ، فنحن ارباب السيوف ، وما قتل قرن منا إلا جددناه ، ولا يشق علينا باخ الا دم مناه ، فلورأت عينك أيقا المقرور - حد سيفونا ، وعظم حروبنا ، وفتحنا منكم المصيرين والسواحل ، وأخربنا منكم ديار الا واخر والا وائل ، لكان لك أن تعض على أناملك بالندم ، ولا بد ان تزل بك القدم ، في يوم أوله لنا وآخره عليك ، فهناك تسوء بك الذنون ، وسيعلم الذين ظالموا أي منقلب ينتظرون ، فإذا قرأت كتابي هذا تكن فيه على أول سورة النحل " أتى أمر الله فلا تستعجلوه " وكن على آخر سورة ص : " ولتعلمن نباء بعد حين " ونعود الى قول الله تبارك وتعالى ، وهو أصدق التائلين : " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين " ( ١ )

وبلاحظ أنها رسالة قصيرة ، تحمل قوة التحدي والتهديد ، وقد استلزمت حرارة الخرف الذي كتبت فيه ان تقل فيها الحسنات نسبيا ، إلا ما كان من سجع واقتباس بالرغم من قصر الرسالة ، وقد ساعد هذا القصر على اكتناز الحرارة فيها ، كما ساعد على ذلك طبيعة الموضوع ومقتضياته . . .

( ١ ) السلوك ج ١ ق ٢ ص ٣٤٧

تختلف الرسائل الاخوانية عن الديوانية باصطحابها بالصيغة الشخصية ، وهي لذلك تعتمد على التأثير الوجداني على المرسل اليه ، ولا تقتصر على الشؤون العامة للدولة .

ومن أمثلة الرسائل الاخوانية رسائل القاضي الناضد الى صلاح الدين حين شدد الفرنج حصارهم على عكا سنة ٥٨٦ هـ ، ومنها قوله :

وما تجدد للعدو من الشروع في آلات الحصار لعكا ، وما أربف به مسير النجدتين الفرنجيتين ، والواصلة والبعيدة ، وافتراق الحساكر في هذا الوقت للضرورة والتماس المسكر الشرقي الدستور للذبح ، وحاجة المولى من الإنفاق الى ما لا يحصى التدبير ، ويضيق عنه الإمكان ، ومطالبة النغي بالزيادة مع الشنى والضعيف بأكثر مما يحتاج اليه ، وشيخ فرصة ، واختلاف رأي بين المشاورين من الجماعة ، وجود الالسة بالاراء ، وسخل الايدي بالحمونة ، وانفراد المولى بالتعب ، واشتراك الناس في الراحة ، وما ابتلى به المسلمون من مرض أظهوره ليكون عذرا لهم في القعود ، وكتمه المولى على نفسه لئلا يجلب لأصحابنا شغف النفوس ، فهذه الأمور وإن كانت شداك ، وزائدات على السوائد ، فقد ألهم الله مولانا فيها سعة الصدر ، وعسن الصبر ، ليشعره أن صبره يحتمه النصر ، وحسنه يحقها الاجر ، ولو لم ير الله تعالى أن قوة مولانا أكمل القوى وعزوة عزمه أوثق العزمي ، لما أمّله لأن ينصرمة لا يصرف المملوك غير الله ينصرمها ، وغير مولانا يياشر النصر ويحضرها ، فليس إلا التجرد للدعاء ، والتجلد للقضاء ، فلا بد من قدر مفعول ، ودعاء مقبول ، ومن الأمثلة المنطومة :

نحن الذين اذا علوا لم يبداروا يوم المهراج ، وان علوا لم ينسجروا  
معان الله أن يفتح علينا البلاد ثم يخلتها ، وان يسلم علو يدينا التدين ، ثم ينصره ، ثم معان  
الله ان نخلب على الصبر ، واذا كان ما يقدم الله اليه الممالك قبل المولى لا بد منه ،  
وهو لقاء الله ، فإذن نلقاه والحجة لنا ، غير من أن نلقاه والعجة علينا ، فلا  
تعظم هذه الفتوق على مولانا فتبهر صبره ، وتملاء صدره ، فلا تهنوا وتدعوا الى السلم  
وانتم الاعلون ، والله محكم ، وهذا دين ما ظب بكثرة ولا نصر بشرة ، انما اختار الله  
تعالى ليه أرباب نيات ، وذوى قلوب معه وحالات ، فليكن المولى نعم الخلف  
لذلك السلف ، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، واشتيدي أزمة تنفرجسي ،  
والشمرات تذهب ثم لا تجي ، والله تعالى يسمع الأذن ما يسر القلب ، ويصرف عن الأسانم  
وأهله قاشية هذا الكرب ، ونستنفر الله العظيم ، فانه ما ابتلى إلا بذنب " (١) .

لقد عرض القاضي الناضد أسباب ضيق المسلمين ، وثرقتهم ، وتحكم الفرنج وتنفذهم ، ولكنه مع ذلك لم ينس العزم على رفع الروح المعنوية ، فطلب من السلطان التوجه الى الله بالدعاء ، والتجلد للقضاء ، ليقتوي نفسه ونفوس الجند ، وقد راج

الكاتب ما بين الصوت المتعقل الرصين ، وسفالية الضمير المؤمن في محاولة التسرية عن صلاح الدين ، فهو يقول : " اذ كيف يفتح الله علينا البلاد ثم يسلقها ، وان يسلم على يدنا القدس ثم ينصره ؟ .. ثم معاذ الله ان نخلب على النصر ، ثم معاذ الله ان نخلب على الصبر ... "

وقد اتبع القاضي في عرشه اسلوبا موقفا ، فانتقل من الواقع المؤلم المتمثل في نفسه تعداده المنخفضات والمثبطات ، الى غرس الثقة في نفس سيده ، واشاعة الطمأنينة في نفسه : " فهذه الأمور وإن كانت شدايد ، وزائدات على الصواك ، فقد ألهم الله مولانا فيها سعة الصدر ، وحسن الصبر ، ويشعره أن صبره يحقبه النصر وحسبته يحقبقها الأجر ، ولو لم ير الله تعالى أن قوة مولانا اكمل القوى ، وعروة عزمه أوثق الصرى ، لصا أهله لأن ينصرمة ، لا يصرف المملوك فير الله ينصرها ، وغير مولانا يياشر النصر ويحضرها ... " كل ذلك بحيد عن التواكل والحزن واليأس والدعوة الى الاستسلام ، " فلا تعظم هذه الثتوق على قلب مولانا فتبهر صبره ، تملأ صدره ... "

ومعد أن عمل على إشاعة الأمل في نفس القائد ، وتقوية عزيمته لتحمل الشدايد صارحه بأن هذه البلوى لم تكن إلا بذنب . وقد أوضح ذلك في رسالة إخوانية أخرى كتبها في المناسبة نفسها - أي خلال حصار عكا - إذ قال : " المملوك ينهي أن الله تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته ، ولا تفرج الشدايد إلا بالرجوع اليه ، والامثال لأمر شريسته ، والمحاصي في كل مكان بادية ، والمظالم في كل موضع فاشية ، وقد طلح الى الله تعالى ضحا ما لا يتوقع بحددها إلا ما يستعان به ، وتد أجرى الله تعالى على يد مولانا من فتح البيت المقدس ما يكون بمشيئة الله له حجة في رضاه ، ونحوذ بالله ان يكون حجة طيه في غنبيه ... ولا يتعزز المملوك لتفصيل ما يلخه من ظلمهم المنكرات في اتباعه ، وشيوع المظالم في ضياعه ... " ( ١ ) .

فهو يشخص الداء ، ويهون الهلاء ، ويضع العلاج ، الذي هو ازالة المظالم ، واعادة النذر في مراعاة تطبيق الشريعة الاسلامية ، والزام تايحية بتطبيقها ، كل ذلك دون أن يبعث النم واليأس في نفس السلطان ، إذ إنه قد أحسن الثاني في كل ما عرضه .

ويلاحظ القارئ أن الرسالة تتصلق من الوجدان ، وتصبر عن نفس منفضلة بما تقول ، فلا غرو ان امتقت من الهدى إلا ما جاء عفو الشاطر ، مع أن الهدى قد ارتبط بأسلوب القاضي الفاضل الكتابي ارتباطا شديدا خلال هذه الفترة .

والرسالة بمد ذلك تشترك مع الرسائل الاخرى في الاقتباس والتضمين ، ومثاله :  
 " فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون " ( ١ ) ، ولقد كان لكم في رسول الله أسوة  
 حسنة " ( ٢ ) ومن التضمين قوله : " اشتدني أزمة تنفرجي " ومن الامثال المنطوقة  
 قوله :

نحن الذين اذا علوا لم ييطسروا ، وان علوا لم يضجروا  
 أما مادة الرسالة ، فصادرتها مأخوذة من التاريخ ، ، والقرآن ، ، والشمس  
 والأمثال ، ، وقد عرضت حالة المسلمين النفسية والاجتماعية ، خلال فترة حرجة من  
 جهاد صالح الدين ضد الصليبيين ، ولهذا فهي ذات قيمة أدبية وتاريخية واجتماعية  
 في آن واحد .

ومن الرسائل الاخرى ذات الصبغة الديوانية الاخوانية المشتركة ، رسالة الملك  
 الناصر داود الى العزيز مجد السلام يطلب منه فيها أن يحدث الملك الصالح نجم  
 الدين أيوب على قتال الفرنج بعد غزوتهم لمدينة نابلس . يقول الناصر :

" أحسن الله عزاء المجلس السامي العزيز في مصابه بالمسلمين ، وصبرنا  
 واياها على ما ذهمت به حوزة الدين ، وأثاب الذين استشهدوا بما وعد به الشهداء  
 من رضوانه ، وعوضهم عن منازلهم بمنازل الأمن من قصور جنانه ، وسامعنا واياها بما  
 أعملناه من حماية الدين وحفظ أركانه ، وما اعتمدناه من إقباله وغذائه ، ولا حول  
 ولا قوة الا بالله قول محترف بتقصيره ، عن جهاد اعداء الله واعداء دينه ، ذاكرا بجرمته  
 جهرا بلسانه وسرا بوقينه ، وذلك بمصيبة المسلمين بمدينة نابلس التي قتلت فيها  
 المشايخ والشبان ، وسبيت الحلائل والصبيان ، واستولت يد الكفار على ما كان مدخرا  
 من الاموال والنمال ، وما جمعه المسلمون لازمتهم في السنين الطوال ، فهو يوم  
 ضرب فيه الكفر بجرانسه ، وتبخرت فيها بين أنصاره وأعدائه ، وزها على الاسلام برونق  
 زمانه ، وهو اليوم الذي تقابلا فيه فأحجم الاسلام ثم تولى ، واقتسم فيه بالسهمان فكان  
 سهم الكفر هو السهم المملا ، فيا لها من فجيسة أبكت العيون وأبكت الجفون ، وعجبت  
 على القلوب من أسمعها غودت لو أنها سبقت بالمنون ، فيا ليتني نبذت قبل سماعها  
 مكانا قصيا ، أو ليت ربي لم يجعلني بعباده حفيا ، أو ليتني مت قبل هذا وكنت  
 نسيا نسيا :

فلم يقضها ربي لمولى ولا بعسل  
 لبيب أديب لبيب الفرح والأصيل  
 فما بشرت يوما بأنثى ولا فحمل

ألا ليت أمي أيم طول عمرها  
 وما ليتها لما قضت لسيسد  
 قضتها من الأثني خلقت عواقرا

( ١ ) إشارة الى قوله تعالى : ولا تهنوا ولا تعزوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين

سورة آل عمران آية ١٣٩

( ٢ ) الآية من سورة الأحزاب آية ٢١

\* للمزيد انظر الروضتين ١٦٥ / ٢ - ١٧٣ وصبح الأعيى ٢٣ / ٧ \* ٢٤ وصبح الأعيى  
 ٥٢٨ / ٦

ويا ليتها لما غدت بي حاملا  
ويا ليتني لما ولدت وأصبحت  
أصيبت بما اجتثت عليه من الحصل  
تشدد الي الشدقيات بالرحل  
ولم أركني الاسلام ما فيه من خجل  
لحقت بأسلافي فكنت ضجيجهم

فيا أيها العز الذي كنا نظن أن الاسلام يتزهد بسببه عزا ، وأن رقى عزائه تكون عليه من سحر الكفار حزنا ، تيقن أنه قد عم بالشام النفير ، ووجبت الفرزة على الجسد الطير ، والشيخ الكبير ، وجاز للحر أن تبرز للمقاتل بشير اشارة بحلها ، وللأمة أن تبارز برمحها ونصلها ، ووجب على المجاورين الاسعاد والانجاد ، وتعين عليهم فسي طاعة الله الجهاد ، فيا لعان الشريعة ، أين الجدال فيه والجداد ، وأين مهند لعانك الماضي اذا كنت المهندة الحداد ، أتفمد سيف لعانك في جفنه وقد هجرت سيوف الكفار جفونها ، وأجرت عيون الانام على الاسلام شوهونها الا وان الاسلام بدا غريبا وسيرجع غريبا كما بدا ، وتقاضرت الهمم عن إسعاده حتى لا يرى له مسدا ، فانا لله قول من عسز عزائه في الإسلام وذويه ، ومذل في الدفاع عنه ما تملكه يده وتحتويه ، وصبرا في الله على احتفال الاذى وروية جافيه ، والله سبحانه يتلقى الاسلام بتأذيه ، ويحويه بحمايته وحسن نظره فيه ، إنه قريب مجيب (١) .

ابتدئت الرسالة بالتبشير عن الحزن الشديد ، في معرض اعتراف الحاكم بالتصير في الدفاع عن الشيوع والشبان والنساء والصبيان ، وملك هذا الحزن عليه أقطار نفسه حتى إنه تمنى لو لم يولد . . . ثم استحث العز من عهد السلام على ان يستثير الناس للجهاد ، بعد أن ابتلي الاسلام بما ابتلي به من عدوان ، وقضي عن الهوان أن فسي الرسالة من السمات الثنية ما في الرسائل الديوانية من سجع وتكرار واقتباس وتضمين ، وغير ذلك من السمات التي اتسمت بها الرسائل في هذا العصر .

### ٣ . الخطبة

لم يصلنا من الخطب في عصر العروب الصليبية الا القليل ، مع أن الصوق أن تروج الخطبة في جو الحروب ، لانها جو مواعز لها ، والجدير بالذكر أنه عهد ما تم فتح القدس ، اجتمع عدد كبير من الخطباء ، وتمنى كل واحد منهم أن يكون له السبق فسي القاء أول خطبة بعد الفتح ، يقول العماد : وانتدى الفضلاء ، وانتدب الخطباء ، وكثر المترشحون للخطابة المتوشحون بالإصابة المصروفون بالنصاحة الموصوفون بالحصافة . . . (٢) . وما هذا الفتح - على أهميته - إلا حدث كبير من أحداث أخرى كبيرة

(١) الفوائد الجليلة والفرائد الناصرية ورقة ٩٤ - ٩٥

(٢) الروضتين ١٠٨/٢



شهدتها الأمة خلال هذه الفترة .

ومن أشهر الخطب التي وصلتنا في هذه الفترة خطبة ابن الزكي في اول صلاة  
جمعة أقيمت في القدس بعد استعادة المدينة على يد صلاح الدين . وقد ابتدأها  
بالآيات التي فيها حمد لله ، ثم قال : " الحمد لله ممز الاسلام بنصره ، ومذل الشرك  
بقهره ، ومصرف الأمور بأمره ، ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذي  
قدر الايام دولا بمدله ، وجعل الصاقبة للمتقين بثقله ، وأثناء على عباده من ظله ،  
وأظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده ، فلا يطاغ ، والناظر على خلقه فلا  
ينازع ، والأمر بما يشاء ، فلا يراجع ، والحاكم بما يريد ، فلا يدافع ، أعمده على اظفاره ، وأظهره  
واعزازه لأوليائه ، ونصره لأنصاره ، وتطهيره بيته المقدس ، من أدناس الشرك ، وأوضأه  
حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده  
لا شريك له الأعد الصمد ، الذي الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، شهادة  
من طهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى به ربه ، وأشهد أن محمدا ( صلى الله عليه وسلم ) عبده  
ورسوله رافع الشك ، وداحض الشرك ، وراعي الإفك الذي أسرى به من المسجد الحرام  
الى هذا المسجد الأقصى ، وعرج به منه الى السموات العلى ، الى سدرة المنتهى  
عند جنة النأوى ، إذ يفضى السدرة ما يفضى ، ما زاغ البصر وما طغى " ، صلى  
الله عليه وعلى خليفته أبي بكر الصديق السابق الى الايمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن  
الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلحان ، وعلى أمير المؤمنين عثمان ذي  
النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك وكسر  
الأوثان ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان .

أيها الناس ، ابشروا برضوان الله الذي هو الناية القصوى ، والدرجة العليا ،  
لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة ، من الأمة الضالة ، وردّها الى  
مقرها من الاسلام ، بعد ابتداءها في أيدي المشركين قريبا من مائة عام ،  
وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يرفع وارث يذكر فيها اسمه ، واماطة الشرك  
عن بابه بعد ان امتد عليها رواقه واستشعر فيها رسمه ، ورفع قواعده بالتوحيد  
فانه بنى عليه ، والتقوى نانه أسس على التقوى من خلفه ، ومن بين يديه ، فهو  
موطن أبيكم ابراهيم ومسراج نبيكم محمد عليه السلام ، وقبلتكم التي كنتم تتكلمون اليها في  
ابتداء الاسلام ، فهو مقر الانبياء ، ومقر الاولياء ، ومقر الرسل ومهبط الوحي ومنزل  
تنزل الأمرو والنهي ، وهو في أرض المحشر ، وصعيد المنشر ، وهو في الأرض  
القدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين ، وهو المسجد الذي صلى فيه رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين ، وهو البلد الذي بعث الله اليه عبده ورسوله ،  
وكلته التي ألقاها الى مريم وروحها عيسى الذي شرفه الله برسالته ، وكرمه بنبوته ولم  
يسزحه عن مرتبة عبوديته ، فقال تعالى " لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله  
وقال : " لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم " ، وهو أول القبلتين

وثاني المسجدين وثالث الحرمين ، لا تشد الرحال بسد المسجدين الا اليه ، ولا تمتد  
 الخناصر بحد المولدين إلا عليه ، ولولا أنكم ممن اختاره الله من عباده ، واصطفاه من  
 سكان بلاده ، لما خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها حجار ، ولا يباريكم في  
 شرقها حجار ، فلهي لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية ، والوقعات  
 الهدية ، والعزمات الصديقية ، والفتوح الحربية ، والجيوش العثمانية ، والفتكات  
 الحلوية ، جددتم للإسلام أيام القادسية ، والوقعات اليرموكية ، والمغازات الخيرية ،  
 والهجمات الخالدية ، فجازاكم الله عن نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) أفضل الجزاء ،  
 وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الأعداء ، وتقبل منكم ما تقرتم به من مهراق  
 الدماء ، وأنايكم الجفة فهي دار السعداء ، فأندروا رحمتكم الله النعمة حق قدرها  
 وقوموا لله تعالى بواجب شكرها ، فله النعمة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة ، وترشيحكم  
 لهذه الخدمة ، فهذا هو الفتح الذي فتحت له أبواب السماء ، وتبليت بأنواره وجسوه  
 الظالم ، وابتهج به الملائكة المقربون ، وقرب عيننا الأنبياء والمرسلون ، فماذا عليكم  
 من النعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح عليه البيت المقدس في آخر الزمان ، والجند  
 الذي تقوم بسببهم بعد فترة من النبوة أعلام الايمان ، فيوشك أن تكون التهاني به بغير  
 أهل الخضراء ، أكثر من التهاني به بين أهل النبراء ، اليس هو البيت الذي ذكره  
 الله في كتابه ، ونس عليه في خطابه ، فقال تعالى : " سبحان الذي أسرى  
 بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، الذي باركنا حوله " . اليس  
 هو البيت الذي عظمت الملوك ، وأثنت عليه الرسل ، وتليت فيه الكتب الأربعة  
 المنزلة من إلهكم عز وجل ؟ ، اليس هو البيت الذي أمسك الله عز وجل الشمس على  
 يوشع لأجله أن تخرب ، وماعد بين خطواتها لتهتسر فتحه ويقرب ؟ . اليس هو البيت  
 الذي أمر الله موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلا ، وغضب عليهم لأجله  
 فألقاهم في التيه عقوبة للمصيان ؟ ، فاحمدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما قد غم بنو  
 اسرائيل وقد فضلتهم على الصالحين ، ووفقتكم لما غذل فيه من كان قبلكم من الأمم  
 الماضية ، وجعل لأجله كلمتكم وكانت شتى ، وأغناكم بما أمضته كان وقد ، عن وسوف وحتى ،  
 فليهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده ، وجعلكم بعد أن كنتم جنودا لا تهوتكم  
 جنده ، وشرككم الملائكة المنزلون على ما أهديتهم الى هذا البيت من طيب التوحيد ، ونشر  
 التقديس والتحميد ، وما أماتتم عن طرقتهم فيه من أذي الشرك والتثليل ، والاعتقاد  
 الفاجر الخبيث ، فالآن يستخفر لكم أملاك السموات ، وتصلي عليكم الصلوات المباركات ،  
 فاحفظوا رحمتكم الله هذه الموهبة فيكم ، واحرسوا هذه النعمة عندكم ، بتقوى الله التي  
 من تمسك بها سلم ومن اعتصم بمرورها نجا وعصم ، واحذروا من اتباع الهوى ،  
 وبوافقة الردى ، ورجوع التهقري ، والنكول عن الصدى ، وغذوا في انتهاز الفرصة ،  
 وإزالة ما بقي من الفضة ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، ويمموا - جاهد الله -  
 أنفسكم في رضاه إذ جعلكم من خير عباده ، وإياكم أن يستزلكم الشيطان ، وأن يتداخلكم  
 الطغيان فهخيل لكم أن هذا النصر بسببكم المعداد ، وبخيولكم الجياد ، وجنادكم

في مواطن الجلاء ، لا والله ما النصر إلا من عند الله ، إن الله عزيز حكيم ، واعتذروا عباد الله بحد أن شرفكم بهذا الفتح الجليل والفتح الجزيل ، وخصكم بهذا الفتح المبين ، وأعلق أيديكم بحبله المتين ، أن تقترفوا كبيرا من مفاعبه ، وأن تأتوا عظيما من محاصيسه فتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، والذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الشاوين ، والجهاد الجهاد فهو أفضل عباداتكم ، وأشرف عاداتكم ، انصروا الله ينصركم ، اذكروا أيام الله يذكركم ، اشكروا الله يزدكم ويشكركم ، جدوا نسي حسم الداء ، وقلع شأفة الأعداء ، وتطهير بقية الأرض التي أغضبت الله ورسوله ، واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله ، فقد ناءت الأيام بالثارات الإسلامية ، والملة المحمدية ، الله أجزفت نصر ، غلب الله وقهر ، أدل الله من كفر ، وأعلموا رحمكم الله أن هذه فرصة فانتبهوها ، وفرصة فناجزوها ، ومهجة فأخرجوا لها هممكم ، وأبرزوها ، وسيروا اليهسا عزمانكم وجهزوها ، فالأمور بأواخرها ، والمكاسب بذخائرها ، فقد أظفركم الله بهذا العدو المخذول ، وهم مثلكم أو يزيدون ، فكيف وقد أشعق في قبالة الواحد منهم منكم عشرون ؟ ، وقد قال الله تعالى : " إن يكن منكم عشرون صابرون يصلحوا ما تيقن " ، أعاننا الله وإياكم على اتباع أوامره ، والازدجار بزواجره ، وأيدنا معشر المسلمين بنصر من عنده ، إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن ينخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده (١)

عقد ابن الزكي مقارنة بين حال المسلمين وحال الفرنج المشركين ، ثم قاده ذلك إلى الحديث عن الشلفاء الراشدين والقادة المسلمين ، لما قدموه من نصره لهذا الدين ثم بين فضائل المسجد الأقصى ، وارتباطه بالدين الإسلامي والتاريخ الإسلامي ، ونهسى عن المدوان والبطار ، وحشهم على متابعة الفتوح وإزالة الكيان الشريك .

هذه أفكار الخطبة أما بناؤها فقد ابتدأت بالحمد والثناء ثم الشهادات ثم

الموضوع والخاتمة . . .

وأما مادتها فهي مأخوذة من التاريخ الإسلامي ، مثل إشارته إلى أعمال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومخالد بن الوليد ، والمعارك التي جرت من أجل اعزاز الإسلام مثل القادسية واليرموك وموقعة خيبر ، ومن التاريخ أيضا قصة الأسراء والمصراع وقصة موسى ودخوله الأرض المقدسة ، وعيسى وموشع عليهم السلام . . . وهي معتمدة على القرآن والحديث ، ولهذا كثرت الصور الدينية في الخطبة كثرة لافتة .

وتتميز الخطبة بكثرة الاقتباس الحرفي والمصنوي ، فمن الاقتباس الحرفي ، قوله : " لم يولد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " (٢) و " عندها جنة المأوى ، إذ ينشئ الصدر ما ينشئ ، ما زاغ البصر وما طغى " (٣) و " لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله " (٤) و " لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم " (٥) و " سبحان الذي أسرى

(١) الروضتين ١١٠/٢ - ١١١ (٢) سورة الاخلاص ٣ - ٤

(٣) سورة النجم ١٧ (٤) سورة النساء ١٧٢

(٥) سورة المائدة ٧٢

بعبدته ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله" (١) و"إن يكن  
منكم عشرون صابرون يظهرن ماثنين" (٢) و"إن ينصركم الله فلا غالب لكم" وإن  
يخذ لكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده" (٣) .

ومن الاقتباس المنفوي ، وان لم يخل أحيانا من اقتباس حرفي جزئي ، قوله :  
" وأظهر دينه على كل دين ، القاهر فوق عباده فلا يمانع والأمر بما يشاء فلا يراجع ،  
والحاكم بما يريد فلا يدافع . . . راحض الإفك الذي أسرى به من المسجد الحرام  
الى المسجد الأقصى ، وعرج به منه الى السموات الصلى . . . وتطهير هذا البيت  
الذي أذن الله أن يرفع وأن يذكر فيه اسمه . . . بيوموا أنفسهم في رضاه . . . وجاءعدوا  
في الله حق جهاده . . . واللوما النصر إلا من عند الله . . . فتكونوا كالتي نقضت  
غزلبها من بعد قوة أنكاثا . . . والذي آتينا آياتنا فانسلخ منها فأتيمه الشيطان  
فكان من الخاوين .

وأما تضمينه للأحاديث فيظهر في قوله : وهو أولى القبلتين ، وثاني المسجدين  
وثالث الحرمين ، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه . . . الامور بأواخرها . . .  
ومن تضمينه لقول علي ابن أبي طالب : الجهاد الجهاد ، فهو أفضل عبادتكم . . .

كما يتضح في هذه الخطبة السجج وأنواع البديع الأخرى . أما السجج  
فهو ممثل في الخطبة جميعها ، ولقيمة في الاداء ، إذ يكسب الخطبة ايقاعا مؤثرا  
لا سيما أن الجمل قصيرة ، حارة انفعالية ، توحى بالحركة ، وأما أنواع البديع  
الاخرى فنفسها الطباق ، ومنه : ممز الاسلام - مذل الشرك ، مصرف الامور -  
مديم النعم ، باطن سره - ظاهر جهاره ، رافع الشرك - داحض الشرك . . . .  
والجناس ومن أمثله : الشرك - الشرك ، واسترد هذه الضالة ( القدس ) من  
الامة الضالة ( الفرنج ) ، مجار - مجار .

ومن السمات الننية التكرار والاطناب ، إذ إن أفكار الخطبة محسوسة  
ولكنه كررها بصور مختلفة ، ومثال ذلك ما ذكره من نعم الله على الانسان السلم ،  
فقال : ممز الاسلام بنصره ، ومذل الشرك بقهره . . . ومديم النعم للمتقين بشكره ،  
ومستدرج الكافرين بكفره ، الذي قدر الايام دولا بعدله ، وجعل العاقبة للمتقين  
بغضله ، وأفاء على عباده من ناله ، وأظهر دينه على الدين كله . . . السجج .

(١) سورة الأسراء آية ١

(٢) سورة الأنفال آية ٦٥

(٣) سورة آل عمران آية ١٦٠

فهي صور متعددة لمعنى واحد . . . ومثال آخر تجده في بيان فضائل المسجد  
الاقصى والقدس . . .

وأخيرا يحس المرء بحرارة العاطفة وصدقها ، وتدققها ، وهي عاطفة شخصية  
جماعية في آن واحد ، تمبر عن شموخ الخطيب ومشاعر المسلمين المحتشدين في  
ساحة المسجد الاقصى بعد تسمين عاما من الاحتلال . كما تعبّر عن لهفة الناس لرؤية  
القدس والمسجد الاقصى ، وعن نشوة النصر والفرح ، ولكل ذلك أطاب الخطيب وكسر  
القول . ثم دعا المسلمين الى تجنيد نصرهم ومشاعرهم وطاقاتهم فيما يرضي الله ،  
ويستكمل الفتح ، وينهي الوجود الغريب في البلاد ، يقول : والجهاد الجهاد ،  
فهو من أفضل عباداتكم ، وأشرف عاداتكم ، أنصروا الله ينصركم ، اذكروا أيام الله  
يذكركم ، اشكروا الله يزدكم ويشكركم ، جدوا في حسم الداء ، وقطع شافة الاعضاء ،  
وتطهير بقية الارض التي اغضبت الله ورسوله ، واقطعوا فروع الكفر ، واجتثسوا  
أصوله . . .

\* \* \*

ومن الخطب التي وصلتنا ، خطبة صلاح الدين في الجند اثناء حصار الفرنج  
لمدينة عكا ، يقول : " بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، اعلموا  
ان هذا عدو الله وعدونا ، قد وطئ أرض الاسلام ، وقد لاحت لوائح الضر عليه ان  
شاء الله تعالى ، وقد بقي من هذا الجمع اليسير ، ولا بد من الاعتماد بقلوبهم  
والله قد أوجب علينا ذلك ، وأنتم تعلمون أن هذه عساكرنا ليس وراءنا نجدة ننظرهما  
سوى الملك العادل ، وهو واصل ، وهذا العدو ان بقي وطال أمره الى أن يفتسح  
البحر جاءه مدد عظيم ، والرأي كل الرأي عندي ، مناجزته ، فليخبرنا كل منكم بما عنده  
في ذلك " (١) .

يتضح من الخطبة أنها قيلت في أرض المصرة ، ولذلك جاءت قصيرة جسدا  
بعيدة عن التكلف والتصنع والإطالة والتكرار ، فهي تدور حول موضوع واحد هو استشارة  
القوم في القتال بناء على الواقع الذي كان ماثلا أمامهم ، وقد حاول أن يقتضيه بما  
يرى دونما مهالمة ، وإنما بتصوير الخطر ، وبيان واجب الانسان المسلم ازاءه ، وایضاح  
بما يقتضيه الموقف العسكري .

كثرت الكتابة في موثيق الهدن ، والموثيق السياسية ، لا سيما بعد رجحان كفة المسلمين . وقد تقبل الفرنج الهدن ترقباً لوصول نجدات من أوروبا ، وتقبلها المسلمون للتصدي للخطر المنولي القادم من الشرق ، أو لمعالجة المشاكل الداخلية ، ولهذا فقد اعتبروها ذات فائدة لهم .

أما النص المتعلق بالهدنة فقد كان كما يلي : القسم على الوفاء بما تضمنته الهدنة ، وطريقة القسم عند الفرنج تكون بأن يحلف مقدمهم بالله ، وبالسيح والصليب والأقنيم الثلاثة والأنجيل . . . ثلاث مرات على كل مقسم به ، وطريقة القسم عند المسلمين تكون بأن يحلف السلطان أو نائبه بالله ثلاث مرات ( ١ ) .

ثم يحدد المقسم عليه ، وهو موضوع الهدنة ، وفيه تفصيلات كثيرة جسدياً ، تشمل مدة الهدنة والأماكن الواقعة ضمن الهدنة ، والأشياء المتفق عليها ، لا سيما في معاملة التجار والفلاحين ( ١ ) .

ثم تنتهي بالمقومات التي يلزمها كل لنفسه إن خالف ما جاء في الهدنة . . . وهي لهذا ذات قيمة تاريخية واجتماعية وأدبية وسياسية ، بما تقدمه من معلومات عن الطرفين .

وقد فرضت كثرة التفاصيل على الهدنة ، أن تكون طويلة مفضلة ، ومثال ذلك ، الهدنة بين الظاهر بيبرس وبيت الاستار سنة ٦٦٩ هـ ومنها : -

" استقرت الهدنة المباركة بين السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس قسيم أمير المؤمنين ، وولده الملك السعيد ناصر الدين خليل ، وبين المباشر المقدم الجليل أفرز أولد كمال مقدم جمع بيت استار سرجوان ، بالبلاد الساحلية ، وبين جميع الأخوة الاستارية ، لمدة عشر سنين كوامل متواليات متتابعات وعشرة أشهر أولها مستهل رمضان سنة تسع وستين وستمائة للهجرة النبوية المحمدية ، الموافق للثامن عشر من نيسان سنة ألف وخمسمائة واثنين وثمانين للأسكندر بن فيليب اليوناني على أن تكون قلعة لد بكاملها وربضها وأعمالها ، وما هو منسوب إليها ومحسوب منها بحدودها المعروفة بها من تقادم الزمان ، وما استقر لها الآن ، وما يتعلق بذلك : من المواضع والمصايد ، والملاحات ، والبساتين ، والمصاير ، والطواحين ، والجزائر : سهلها وجبلها وعامرها وداثرها ، وما يجري بها من أنهار ، وينبع منها من عيون ،

( ١ ) انظر صبح الأعي ٣١٢/١٣ - ٣١٣

( ٢ ) الصدر السابق ٢٨/١٤ - ٦٦

وما هو صغي منها من عمائر ، وما استجد منها من القراج وغير ذلك ، وكل ما عرف نفسي  
أراضي المناصفت على دورها وانهارها ، وما يحدود ذلك من نهري بكرة الى جهنمة  
البحال ، وما استقر لبلده من هذه الجهات الى آخر الايام الناصرية من الحسدود  
المعروفة بها والمستقرة لها ، وحصن برفين وما ينسب الى ذلك من البلاد والضواح  
والقرى التي كانت مناصفة - تكون جميع بلده وهذه الجهات خاصا الى آخر الزائد  
للك الظاهر ، ولا يكون لهيت الاستار ولا للمرقب فيها حق ولا طالب بوجسه ،  
ولا سبب الا حين انقضاء مدة الهدنة وما بعدها الى آخر الرائد ، ولا لاحد من جميع  
الفرنجة فيها تعلق ولا طالب بوجه ولا سبب .

وكذلك مهما كان مناصفة ، كقلمة المليقة في بلادنا لهيت الاستار ، يكون ذلك  
جميعه للديوان المعمور والخاص الشريف ، ولا يكون للمرقب فيها شيء ولا لهيت  
الاستار .

وكذلك كل ما هو في بلاد الدعوة المباركة جديتها وقلاعها من القرى - لا تكون  
فيها مناصفة لهيت الاستار ولا للمرقب ، ولا حق ، ولا رسم ، ولا شرط ، ولا طالب  
في جميع بلاد الدعوة : مصيف المحروسة ، والكهف والضيقة ، والقدموس ،  
والخوابي ، والرصافة ، والمليقة ، وكل ما هو في هذه القلاع وفي بلادها من مناصفة  
يكون ذلك خاصا للملك الظاهر ، وليس لهيت الاستار ولا الفرنجة فيه عديست ،  
ولا طلب . . . ( ١ ) \* .

ونص الهدنة داويل جدا يقع في تسع صفحات من القلح الكبير ، لأنهم  
تميل الى التفصيل والتحديد الدقيق للمعاني ، شأن النصوص السياسية ، لا سيما  
تلك التي يكون الطرف الآخر فيها أعجميا ، وهي مع ذلك لا تتكرر فيها المعاني ،  
لأن التكرار غير التفصيل . . .

وواضح أن لغتها سهلة بعيدة عن السجع وأنواع الديدج الأخرى ، فهي تقرر  
الحقائق ، وتوصي بتنفيذ المقررات ، دون إثارة أو تعريض أو تصوير فني ، ولذلك فهي  
ذات قيمة تاريخية وسياسية واجتماعية قبل أن تكون ذات قيمة فنية .

( ١ ) صبح الأعي ٤٢/١٤ - ٤٤  
\* للمزيد من الهدن انظر ج ٣٣/١٤ وج ٣٢٧/١٢ وتشريف الأيام والعصور  
ص ٣٤ ، ٩٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٦٨

وقد تصل البساطة في نصوص الهدن الى حد استعمال التعابير المحكيمة مثل ما جاء في هذه الهدنة من أن "الدار المستجدة عمارتها بقلعة الرقب برسوم الماستر المقدم الكبير ، الذي هو عايز تكميل عمارة سقف القبو بالحجارة والكلس لا تكمل (١) .

هذا ، وقد ذكر القلقشندي ثلاثة مذاهب لبداية الهدن : أولها أن تفتح بلفظ : هذه هدنة أو نحو ذلك (٢) ، وثانيها : أن تفتح بلفظ استقرت الهدنة بين فلان وفلان (٣) ، وثالثها : أن تفتح بغطبة مبتدأة بالحمد لله (٤) .

كما بين شروط الهدنة عامة ، من فلال استقرائه لعدد كبير منها في الجسر الرابع عشر من صبح الاعشى ، فذكر أن يكون عاقدتها الامام أو نائبه العام ، وأن تكون في مصلحة المسلمين ، وأن لا يكون فيها شرط يأباه الاسلام ، وأما مدتها فهيمية تتراوح ما بين أربعة أشهر وعشر سنين (٥) .

- 
- (١) صبح الاعشى ٥٠ / ١٤  
 (٢) المصدر السابق ٢٩ / ١٤  
 (٣) المصدر السابق ٣١ / ١٤  
 (٤) المصدر السابق ٧١ / ١٤  
 (٥) المصدر السابق ٨٣ / ٧



ثانيا : موازنة عامة بين الشعر والنثر :

اشترك الشعر والنثر في تسجيل الأحداث خلال فترة الحروب الصليبية ، ولكنهما اختلفا في طريقة تناول الأحداث من حيث واقعيتهما وريقة عرضها ، وتأثيرها والتفاعل معها ،  
ونعرض فيما يلي نصوصا ثلاثة اشتركت في تسجيل معركة حطين وفتح طبرية ،  
لنتف على الفروق بينها .

١ . يقول ابن الساعاتي مخاطبا صلاح الدين :

فقد قرنت عيون المؤمنين	جلت عزماتك الفتح المبين
غدا صرف القضاء بها ضميرنا	رددت أخيدة الاسلام لمنا
يعز على السوالي أن يهوننا	وعان بك الصليب وكان قد منا
وأنت تقاتل الأعداء ديننا	يقاتل كل ذي ملك ريسنا
وفي جيد العلاء عقدا شميرنا	عدت في وجنة الايام خسنا
ويا لله كم أبكت عيوننا	فيا لله كم سررت قلوبنا
ترفع عن أكف اللامسيننا	وما طبرية الا حسدينا
وسل عنها الليالي والسنيننا	حصان الذيل لم تقذف بسمننا
لصد الليث أن يلج السريننا	فضممت ختامها قسرا ومننا
فكان نتاجها الحرب الزبوننا	لقد أنكحتها صم العوالسيننا
سواك ، ومقتل أعياننا	هناك ندى أهل الارض طسرا
وغاية كل قاس أن يلوننا	قست حتى رأيت كفاءنا
وسدقت الأمانى والذنوننا	قضيت فرينة الاسلام مننا
وترضى هناك مكة والحجوننا	تهز مطافك القدس ابتهاجنا
لنادتكم أدخلوها آميننا	فلو أن الجهاد يدايق نداقنا
وأبدلت الزمير بها أنيننا	جعلت صباح آملها ظلامنا
يفخون الحديد مقتنيننا	تخال حماة هوزتها نسنا
لذيذ ، علم الطير الحنيننا	لهيضة في جماجمهم ضمنا
فهل أمست رماحا أم عصوننا	تحيل الى المثقة العوالسيننا
بروق القاضيات كما هدىنا	يكاد النقع يذهلها نلسولا
قدودا كالقنا لونا وليننا	فكم حازت تدود قناك مننا
كفهد نداءك أبارا وعوننا	وغهد كالجادر أنسنا
بسان تفضح الشيث الهتوننا	ولما باكرتها منك نمسنا
وقد كانت بها الأيام جوننا	أعدت بها الليالي وعيني يمسنا

أخو سئب ولا ماء معيننا  
 ظبي تشفى بها الداء المدفينا  
 سهاد يمنح الضمى الجفوننا  
 اليك وألحق الهام المتوننا  
 سطاك لكان مكتتها عزينا (١)

فليس بمحامد مرعى خصينا  
 فلا عدم الشام وساكنه  
 سهاد جفونها في كل فيصح  
 فالتم بالسواحل فهي صور  
 فقلب القدس مسرور ولولا

ب • وكتب العماد الى الديوان بذلك الفتح رسالة ، وقد وردت مع الرسائل  
 الديوانية فيرجح اليها (٢) •

ج • وكتب ابن شداد في وصف معركة حطين ما يلي : " وكانت في يوم السبت  
 الرابع والعشرين من ربيع الآخر من شهر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وذلك  
 أن السلطان رأى أن نعمة الله عليه باستقرار قدمه في الطنك وتمكين الله ايساه  
 في البلاد ، وانقياد الناس لطاعته ، ولزومهم قانون خدمته ليس لها شكر سوى  
 الاشتغال ببذل الجهد والاجتهاد في اقامة قانون الجهاد ، فسير الى سائر  
 الحساكر واستعصرها ، واجتمعوا اليه بعشرا ، في التاريخ المذكور  
 وعرضهم ورتبهم ، واندفع قاصدا نحو بلاد العدو المخدول في وسط نهار الجمعة  
 سابع عشر من ربيع الآخر ، وكان أبدا يقصد بوقته الجمل لا سيما أوقات صلاة  
 الجمعة ، تبركا بدعاء المشايخ على المنابر ، وربما كانت أقرب الى الاجابة •

فسار في ذلك الوقت على تعبئة العرب ، وكان بلنفة أن العدو لما بلغهم أنه قد  
 جمع الحساكر اجتمعوا بأسرعهم في مرج صفورية بأرض عكا ، فصدوا نحو الحساكر  
 معهم ، فسار ونزل من يومه على بحيرة طبرية عند قرية تسمى الصغيره ، ورجل  
 من هناك ، ونزل غربي طبرية على سطح الجبل بتسمية العرب منتارا ان الافرنج  
 اذا بلغهم ذلك قصدوه ، فلم يتحركوا من منزلهم •

وكان نزوله في هذه المنزلة يوم الاربعاء الحادي والعشرين من ربيع الآخر  
 المذكور ، فلما رأى أن لا يتحركون نزل جريدة على طبرية ، وترك الاطلاب بحالها  
 قبالة وجهة العدو ، ونازل طبرية ، وزحف عليها فهاجمها ، وأخذها في ساعة  
 من نهار ، وامتدت الأيدي اليها بالنهب والاسر والخريق والقتل واحتضمت  
 القلعة وحدها •

(١) الروضتين ٢/٨٤ - ٨٥

(٢) انوار الروضتين ١/٨٩ وصبح الأعشى ١/١٧٥

ولما بلغ العدو ما جرى على طابرية لم يأخذهم الصبر دون إجابة الحماسة ، فرحلوا من وقتهم وساعتهم ، وقصدوا طابرية للدفع عنها ، فأخبرت الطلائع الإسلامية الامراء بحركة الاثريج ، فسيروا الى السلطان من عرفه ذلك ، فترك على طابرية من يحفظ قلعتها ، ولحق المسكر هو ومن معه ، فالتقى المسكران على سطح جبل طابرية الفرسى فيها ، وذلك في أواخر الخمين الثاني والعشرين .

وحال الليل بين الثنتين فتبايتا على مصاف شاكين في السلاح الى صبيحة الجمعة . في الثالث والعشرين ، فركب المسكران وتصادما ، وعطلت الجالسية ، وتحركت الاضلاب والتعم القتال ، واشتد الامر ، وذلك بأرض قرية تسمى اللوميا ، وضاق الخناق بالقوم ، وهذا وهم سائرون كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون ، وقد أيقنوا بالويل والثبور ، وأحست أنفسهم أنهم في غد زوار القبر .

ولم يزل الحرب يلتحم ، والفارس من قرنه يضادهم ، حتى لم يبق الا الفارس ووثق الهال على من كثر ، فحال بينهما الليل وظلامه ، وجرت في ذلك اليوم من الوثاق العظيمة ، والامر الجسيمة ، ما لم يحاك عن تقدم ، ومات كل فريق في سلاحه ، ينتظر خصمه في كل ساعة وقد أقمده التعب عن النهوض ، وشغله التعب عن الجوف ففسدا عن الركوض .

حتى كان صباح السبت الذي يورك فيه فطلب كل من الفريقين مقامه ، وعلمت كل طائفة ان الكسورة منهما مدحورة الجنس مددومة النفس ، وتحقق المسلمون أن مسن وراثهم الاردن ، ومن بين أيديهم بلاد القوم ، وأن لا ينجيهم إلا الله تعالى .

وكان الله قد قدر نصر الدومنيين ويسره ، وأجراه على وفق ما قدره ، فحطمت الاطلاب الإسلامية من الجوانب ، وحمل القلب ، وصاحوا صيحة الرجل الواحد ، فالتقى الله الرعب في قلوب الكافرين : " وكان حقا علينا نصر الدومنيين " .

وكان القوم ذكي القوم والمصهم ، فرأى أمارات الخذلان قد نزلت بأهمل دينه ، ولم يشغله ظن محاسنة جنسه عن نفسه ، فهرب في اوائل الامر قبل اشتداده ، وأخذ طريقه نحو صور ، وتبعه جماعة من المسلمين ، فنجوا وحده ، وأمن الاسلام كيده ، واحتاط أهل الاسلام بأهل الكفر والظلمين من كل جانب ، وألقوا عليهم المسهام ، وعاملوهم بالصفاح ، وانهمزمت منهم طائفة ، فتبعها أبطال المسلمين ، فلم ينج منهم واحد ، واعتصمت الطائفة الأخرى بقتل يقال له تل عطلين ، وهي قرية عنده وعندها قبر شبيب عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الانبياء ، فشايقهم المسلحون على القتل ، وأشعلوا حواليتهم النيران ، وقتلهم العطش ، وضاق بهم الامر ، حتى كانوا يستسلمون للأسر خوفا من القتل ، فأسر مقدموهم ، وقتل الباقون وأسروا وكان فيمن سلم وأسر من مقدميهم الملك جفرى ، والبرنس أرناط ، وأخو الملك ، والبرنس ، وهو صاحب الشوك ، وابن

الهنفسي ، وابن صاحبة طبرية ، ومقدم الداوية ، وصاحب جبيل ، ومقدم  
الاستبار (١) .

\* \* \*

يقدم النص الشعري تصورا عادافيا شموليا للحادثة دون الدخول في الجزئيات  
أو التفاصيل ، وهذا التصور جاء منتزعا بشعور الفرح عند المسلمين وشعور الشماتة بالفرنج  
كما يبدو في الأبيات التالية :

فلو أن الجهاد يطيق نطقا	لنارتك ادخلوها آميننا
جعلت صباح أهلها ظلاما	وأبدلت الزئير بها أنيننا
تخال حماة عورتها نسنا	يخوضون الحديد مقنعيننا
لبيضك في جماجمهم غنا	لذيذ ، علم الابر الحنيننا
تميل الى المثقفة السوالسي	فهل أمست رماحا أمهوننا

ثم يذكر الشاعر ما حازه المسلمون من غنائم ، وكان قد أعلن عن النتيجة في بداية  
القصيدة بقوله :

جملت عزماتك الفتح الميننا	فقد قرنت عيون المؤمنيننا
رددت أخيدة الأسلام لنا	غدا صرفنا القضاء بها شميننا

وهذا يدل على أن الشاعر لم يلتزم بالتسلسل المتتابع للحادثة ، ولم يذكر  
تفاصيل ما حدث فعلا ، وإنما ذكر ما هم شعوره وشعور المسلمين ، بينما تسلسل النشر  
في سرد قصة المعركة ، وأن يتعدت الحداد عن المعركة ، فإنه يبدأ بالحديث عن فتح  
الجزيرة ، موردا تاريخ الفتح ، ثم يتابع حديثه عن الأحداث اللاحقة :

ويورد الهنسي بما أنعم الله به من يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر  
الى يوم الخميس منسلخه ، وتلك سبع ليال ، وثمانية أيام حصوما ، فترى القوم فيمنها  
صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، وإذا رأيت ثم رأيت البلاد على عروشها خالية ، ورأيتها  
الى الاسلام ضاحكة ، كما كانت من الكفر باكية ، فيوم الخميس الأول فتحت طبرية ،  
ويوم الجمعة والسبت نوزل الفرنج فكسروا التسرة التي ما لهم بعدها قائمة ، وأخذ الله  
أعداءه بأيدي أوليائه أخذ القرى وهي ظالمة ، وفي يوم الخميس منسلخ الشهر  
فتحت عكا . . . . .

وبالإضافة الى التسلسل التاريخي ، يدخل الكاتب في بعض التفاصيل عن  
الحادثة ، إذ يذكر ما جرى من حوادث خلال اسبوع : ففي الخميس الأول سقطت طبرية

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٧٥ - ٧٧

وفي يومي الجمعة والسبت نوزل القرون في حقلين ، وبعدها سارت الجيوش الى عكا  
وفتحها ، ثم يجمل البلاد المفتوحة ويسميتها فيقول : " والبلاد والمعاقل التي فتحت  
هي : طبرية ، عكا ، الناصرة ، صفورية ، قيسارية ، نابلس ، حيفا ، صليا ، الفولة  
الطور ، الشقيف ، وقلاع بين هذه كبيرة . . . " ولم نجد مثل هذا التفصيل في الشعر .

ويمكننا ملاحظة هذه التفاصيل ، وهذا التسلسل المنطقي في وصف ابن شداد  
فهو يتدرج مع الاحداث زما ومكانا ، وينقل جزئيات دقيقة ، لأن النثر يتحمل ذلك ، لما  
يهدف اليه من تقديم الوقائع والعقائق بشكل تثيرى مباشر ، يقول : فسار في ذلك  
الوقت على تعبئة العرب ، وكان بلغه أن العدو لما بلغهم أنه قد جمع الحساكر اجتمعوا  
بأسرهم في منج صفورية بأرض عكا ، فقصدوا نحو المصاف معهم ، فسار ونزل من يومه  
على طبرية ، عند قرية تسمى الصنبرة ، ورحل من هناك ، ونزل غربي طبرية على سلاج  
الجهل بتعبئة العرب ، منتظرا أن الفرنج ، اذا بلغهم ذلك قصدوه ، فلم يتحركوا  
من منزلهم . . .

فالقصيدة الشعرية لم تلتزم بعرض العقائق ولا ترتيبها ، كما لم تقدم عن مجريات  
الاحداث الا النزر اليسير ، ثم أن ذكر النتيجة في بداية القصيدة والسود الى الحديث  
عنها مرة أخرى في مكان آخر من القصيدة ، لا يتسق مع التطورات الطبيعية للأحداث  
ولا غرابة في ذلك ، لأن الشعر إنما يتصل أولا وقبل كل شيء بالحالة النفسية للشاعر ،  
الذي يختار أن يسلك الاضواء على مشاهد معينة منتقاة ، دون أن يلتزم نفسه  
بقيود الواقع .

وكثيرا ما ينقاد الشاعر الى المبالغة ، وهو يعرض مادته الشعرية ، نتيجة تفاعل  
قوى مع مادته الشعرية ، وهو تفاعل كثيرا ما يؤدي الى التعميمات غير المنضبطة  
بخوابط الواقع .

أما النثر ، فعابها ما يلتزم بعرض العقائق ، كما يلتزم بالتسلسل المنطقي  
وقد يفتني كتاب معينون ألوانا خاصة على ما يكتبون ، كما فعل السامد في رسالته  
. . . وقد تكون هذه الالوان هادئة غير صاخبة ، كما في وصف ابن شداد ، وديهي  
ان العرض الواقعي للعقائق يحتاج الى هدوء عقلي يتمثل في نثر الناثر ، أكثر ممن  
تمثله في شعر الشاعر ، الذي يقيم عادة علاقات غير صادية بين الكلمات ، من أجل الايقاع  
والتأثير ، وكلا الايقاع والتأثير محتاج الى الصور ، ولذا كانت الصور عنصرا بارزا في  
الشعر ، في حين أنها تقل عادة في النثر ، الا ما كان منه نثرا فنيا ، يقترب في أسلوبه  
والمنهج التي يضطلع بها الشعر كما نرى الحال في أكثر نصوص السامد النثرية فسي  
النح القسي . . .

وقد يكون من المفيد أن نقارن بين الصور التي وردت في النصوص الثلاثة  
 آنفة الذكر . فقد صور ابن الساعاتي طبرية بالمرأة السبية التي جاهد صلاح الدين من  
 أجل تحريرها . . . وصورها بأنها خال جميل في وجنة الايام ، ولذلك فهي تستحق  
 الجهد الكبير الذي بذله ، ومثلها بالحدق الثمين في جيد الصلى ، وهذا يشير  
 البطل بأن يتحمل المشاق من أجلها ، ومثلها بالمرأة الحصان التي تترفع عن أكساف  
 اللامسين ، وتبتعد عن قالة السوء ، ومع هذه الصفات فقد تكن صلاح الدين منها ،  
 لأنها بعد أن صدت وتصدت رأت أن صلاح الدين ليهز كنيهه من الرجال ،  
 فلانت له روحته به . ثم صور الأماكن الاسلامية المقدسة مشاركة في فرحة المدينة  
 وفرحة المسلمين ، وصور الفرنج داخل للمدينة وخارجها في حالة حسرة وعجز ،  
 إذ هم لا يملكون الشجاعة الكافية للدفاع عنها بل هم نساء يلبسون ما يلبسه رجال  
 الحرب . . . كما قدم صوراً للمعركة بنا فيها من غبار وسهام ، وجثث ودايور . . . تتحفظ  
 لأكل القتلى . . . ثم صور السبايا الفرنجيات ، وشمور الارتياح عند المسلمين بعد  
 خلاصهم من احتلال طلال أمده .

أما الحماد فقد صور انتصار الاسلام على الكفر الذي رد ما عنده ، كما صور  
 جثث القتلى ، والبلاد الخالية . ثم تحدث عن تقدم الجيش الاسلامي في البلاد ،  
 وتقهقر الفرنج أمامه . وفي هذه الصور تسجيل لمواقف الفرح والتشفي بالمحتسمل ،  
 وقد جاءت هذه الصور في حوالي ثلاثة وعشرين سطرًا .

وأما ابن شداد فقد عرض حقائق مفصلة ، فابتدأ بحركة الجيش الاسلامي نحو  
 طبرية ، وحركة الفرنج في منج صفورية ، ثم تقدمهم نحو طبرية بعد استعادة المسلمين  
 للمدينة ، ثم وصف بداية المعركة بين الطرفين الى أن عجز بينهم الليل ، ثم العودة  
 الى القتال صبيحة اليوم التالي ، ثم تباشير النصر ، الى أن ضرب أمير أرابلن وتمشتت  
 شمل الباقيين ، ووقعوا بين أسير وقتيل . . .

ويلاحظ أن الانفعالات التي يثيرها هذا الوصف ، إنما هي وليدة الوثائق  
 والاحداث ، وليست وليدة الزخرف البياني أو الصور اللفظية المثيرة .

لما كان من الصعب دراسة جميع النصوص الشعرية والنثرية في فترة الحروب الصليبية لتتبعها ، وكثرتها ، ولطول النثر التي ترتبها بها هذه النصوص ، فقد اخترت قسماً محددة ، رغبت في أن أدرسها من خلال الأدب ، وتلك هي " صورة الصليبيين في الأدب العربي " .

وقد احتوت الدراسة على إطار تاريخي للحروب الصليبية تبين من خلاله أن هذه الحروب كانت صورة أخرى على نطاق واسع لحروب المسلمين مع بيزنطة في الشرق ومع الإسبان في الغرب ، فضلاً عن كونها تحقيقاً لآطام أوربية في السيطرة على منطقة ذات أهمية دينية وتاريخية واقتصادية ، ولهذا تتبعت مسيرة الحركة الصليبية من أوروبا إلى الشرق الإسلامي ، وبينت الحوافز التي كانت تدفعهم للتمرد والمصاهرة ، والحوامل التي ساعدتهم على تثبيت أقدامهم في المشرق الإسلامي ، حتى اتحدت مصر والشام تحت قيادة قوية واحدة أنزلت بهم هزيمة ساحقة .

ولدى استقراء المادة الأدبية من شعر ونثر ، ظهرت عدة أنواع من الصراع أهمها : الصراع الديني ، وقد تجلى فيه تصكك الطرفين بمعتقداتهم الدينية ، فالفرنج ، اتخذوا الصليب شعاراً لهم ، في حياتهم اليومية والحربية ، ولكنهم مع هذا الشعار الديني كانوا قساة غلاظاً ، وقد تصل غلظتهم إلى حد الوحشية ، فلا يراعون عهداً ولا ذمة ، على النقيض من المسلمين الذين أظهرتهم النصوص الأدبية - في معرض المقارنة بينهم وبين الفرنج - بأنهم يحافظون على اليهود ، ويحفظون عند القدرة ولا يبالغون في الانتقام .

وفي إطار الصراع الحضاري ، وصف الأدب الفرنج بأنهم متأخرون في علومهم ، وفي طرائق تعاملهم في شؤون القضاء والقانون ، ولكنهم متقدمون في شؤون الحرب ، من اختراع وتطوير أدوات القتال الهجومية والدفاعية ، وقد تدم الأدب صورة مفصلة للصراع العسكري ، حين عرض علينا وصفاً دقيقاً للجيش الصليبي من حيث تكوينه ، وأعداداته وأسلحته ، وخطاه العربية ، كما سلك الأضواء على حصون الفرنج وقلاعهم ، وبين الأدباء من خلال الشعر والنثر أن الفرنج إنما كانوا يستمدون مقومات وجودهم من المدد الذي كان يأتيهم من وراء البحار ، ومن فرقة المسلمين وعدم اجتماع كلمتهم .

ومن ناحية أخرى ، قدم الأدب العربي صورة لهؤلاء الطارئين ، خلال الهدن وتوقف القتال ، فصورهم في أوقات السلم يمزجون ويلبسون ، وينرسون الأرض ، ويغنسون ، ويستقبلون التوائف ويتجرون ، تعج بهم الشوارع والأزقة ، ويعيشون في بلاد الشرق ، حياة تتناقض في أبعثها كثيراً مع حياة السكان الأصليين .

وقد حرص الأدباء وهم يقدمون صورة بغيضة للصليبيين ، على أن يعرضوا  
الحكام والقادة بأسوأهم ويستثيروا عواطفهم بكل وسيلة ، لتخليص البلاد من الوجود  
الصليبي في المشرق الإسلامي .

والدراسة الاستقصائية أو شبه الاستقصائية للنصوص الأدبية التي كتبت خلال  
هذه الفترة وما وصل إلينا بالفعل ، تكشف عن غزارة في الانتاج الأدبي خلال القرن  
الأول من الشزو الصليبي ، وربما كان من عوامل هذه الغزارة ، ظهور شخصيات فذة  
خلال القرن المذكور ، في ميادين الحرب والسياسة والادارة ورعاية الادب ، أمثال  
نور الدين زنكي وصلاح الدين ، وبعض ابنائه . وقد يضاف الى ذلك شدة التحدى  
والصراع خلال القرن الأول من الصراع ، ولا يخفى أثر الزخم الأدبي القوي المنحدر  
من نتائج القرن الرابع الهجري السابق للقرن الذي ابتدأت فيه الحروب الصليبية .

وأما الاداء الفني في نصوص الشعر فقد كان الى حد ما امتدادا لتناغمه  
في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين ، فهو يجمع بين التقليد  
والاتباع من ناحية ، وبين التجديد في اخراج النص من ناحية أخرى ، ويظهر ذلك  
في شكل القصيدة ومثولها . . . . . إذ وجدنا مصطلح القوائد تنهج نهج الشعر القديم نسي  
الاستهلاك والصور والافكار ، في حين يخرج بعضها عن النهج المعتاد ، وخاصة  
في التقدم وفي البأس المعاني ثوبا زخرفيا بشية اشراجها في قالب طريف جديد .

وقد لوحظ أن البديع سمة فنية ظاهرة في شعر هذه الفترة ولكنها لم تكن  
بالظاهرة الطارئة في القرن الخامس الهجري ، إذ هي قد وجدت قبل ذلك ، ولكنها  
برزت بروزا قويا في هذه الفترة حتى بلغت حد الإفراط عند بعض الشعراء .

وأما الاداء الفني في نصوص النثر فقد اتسم كذلك بالسمة الزخرفية ،  
لا سيما في الكتب الأدبية المحضنة ، أما الكتب التي تجمع بين الادب والتاريخ ،  
فقد تراوحت حسب اتجاهات المؤلف الأدبية بين زخرف أدبي مفرط ، وبين اعتدال  
في هذا الزخرف ، قد يصل أحيانا الى حد التغلص منه .

هذا ، وقد قورنت رسائل القاضي الفاضل برسائل الحماد الاثني عشرية  
ورسائل ابن الاثير ، تبين أنه لا يوجد فرق واضح بين رسائل الكتاب الثلاثة ،  
مما يجعل المرء يتشكك في قول من رأوا أن للقاضي الفاضل مدرسة أدبية خاصة به  
تتمسك بسمة فنية معينة .

ولدى الموازنة بين الشعر والنثر العربيين بالوجود الصليبي في المشرق  
الإسلامي ، لوحظ اختلاف متوق في طرائق التعبير عن الموضوع الواحد .



من حيث كيفية التناول والمعالجة ، ومن حيث الأسلوب الأدبي كذلك ، فالشعر كلما يلتزم بالتسلسل المنطقي ، وسرد الحقائق المجردة ، وتلما يحتفل بالتفصيل والتفصيل ، وإنما يهدف الحركة النفسية للشاعر ، واصداء الأحداث في نفوس أبناء مجتمعه ، وقد يحدد في تصوير ذلك كله إلى المبالغة لأحداث تأثيرات معينة ، واستثارة العواطف ، كما يلجأ إلى تلوين الوقائع بلون معين ، تتبين فيه ذات الشاعر .

أما التشرافان يقدم أول ما يقدم الوقائع والأحداث في إطار الحقيقة ، ويسمى إلى التسلسل والتفصيل ، وما كان فيه من إثارة ، إنما يعتمد بالدرجة الأولى على مجريات الحوادث نفسها . على أن النبوة بين الشعر والنثر ، قد تضيق أحياناً إلى حد كبير ، في نثر المتأدبين الذين تطلق النزعة الفنية على كتاباتهم حتى تتحول في بعض الحالات إلى شعر لا ينته إلا الوزن الموسيقي .

وأخيراً أسأل الله أن يكون قد وفقني في تقديم صورة الصليبيين كما رسمتها الأدب العربي ، وأن يبارك لي في جهدي ، وأن يجعله ابتداء مرضاتيه .

”والحمد لله رب العالمين“

## الملاحق

- اولا : الملحق الشمسي
- ثانيا : معاني المصطلحات ( مرتبه تراثيا )
- ثالثا : جدول بتحويل السنوات الهجرية الى ميلادية
- رابعا : جداول بأسماء الخلفاء المسلمين والصليبيين
- خامسا : الخرائط

فهرس باسماء الشعراء الذين وردت لهم أشعار في هذا الملحق

الصفحة	اسم الشاعر	تسلسل	الصفحة	اسم الشاعر	تسلسل
٤٧٦	ست الفخر مثنوية الأشرف	٢٨	٢٩٨	الابيهودي و أبو المنذر	١
٤٨٧	السخاوي و أبو الحسن	٢٩	٤٠٠	أسامة بن منقذ	٠٢
	علي بن محمد		٣٠٣	أمية بن أبي الصلت	٠٣
٢٧٨	سعادة الأعشى	٣٠	٥٠٧	أيدمر المحيوى علم الدين	٠٤
٣٨٦	ابن سعدان الحلبي	٣١	٥٠٨	بدر الدين الضبجي	٠٥
٢٩٦	أبو سلامة محمود بن علوى	٣٢	٢٩٤	أبو بشر بن الحواري	٠٦
٤٥٠	ابن سناء الملك	٣٣	٥٠٠	البهاء زهير	٠٧
٤٢٨	المنجاري بهاء الدين	٣٤	٥١٤	البوصيري	٠٨
	أسعد بن يحيى		٤١١	تقي الدين عمر و الملك المنذر	٠٩
٥٠١	شرف الدين الأنصاري	٣٥	٤٦٤	ابن جبير الأندلسي	١٠
٥١٠	شمس الدين الفزاري	٣٦	٤٤٢	الجليلاني و الحكيم أبو الفضل	١١
٢٦٦	شمس المصالي أبو الفضائل	٣٧	٤٧٤	جمال الدين الكنتاني الأمير	١٢
٥١٧	شهاب الدين محمود	٣٨	٢٨٩	الجمال الواسطي	١٣
٢٥٧	ابن الصياد	٣٩	٤١٢	الجواني محمد بن أسعد	١٤
٢٥٨	طلحة بن رزيق	٤٠		الحلبي	
٢٠٤	ظافر الحداد	٤١	٢٩٦	الجويني	١٥
٥١١	ابن عبد المظفر	٤٢	٣٩٠	أبو الحسن الذروي	١٦
٢٦٩	عزقة الكلبي	٤٣	٣٠٩	أبو الحكم الأندلسي	١٧
٢٨٤	ابن عساكر	٤٤	٢٩٩	ابن الخياط	١٨
٢٩١	علي بن عرام	٤٥	٢٩٥	هحية بن عبد الله بن نصر	١٩
٤١٢	العقاد الأصفهاني	٤٦	٤٨٩	ابن دنينير	٢٠
٢٧٢	فطارة المومني	٤٧	٢٩٢	ابن الدهان (ابن أسعد	٢١
٤٨١	ابن غنيم	٤٨		الموصلي)	
٤٦٦	فتيان الشاغوري	٤٩	٤٨٠	راجح الحلبي	٢٢
٢٨٢	ابن القواش	٥٠	٤٦٠	الرشيد النابلسي	٢٣
٢٠٦	ابن قسيم الحموي	٥١	٣٨٥	ابن الرزيلة	٢٤
٢١٠	ابن القيسرائي	٥٢	٤٤٤	ابن الساعاتي	٢٥
٤٦٣	الكاتب الحلبي الأمير	٥٣	٤٢٧	سالم بن سعادة	٢٦
	عبد المحسن		٢٩٧	سبط بن التعاويذي	٢٧

تابع اسماء الشعراء

الصفحة	اسم الشاعر	تسلسل	الصفحة	اسم الشاعر	تسلسل
٣٣١	ابن عنبر الداريلسي	٦٥	٣٨٧	ابن كاسيونيه	٥٤
٣٦٧	المهذب بن الزبير	٦٦	٤٨٥	الكامل بن الملك العادل	٥٥
٤٨٦	الناصر داود	٦٧		الايبسي	
٦٨٨	ابن نيهان المراقي	٦٨		كمال الدين الشهرزوري	٥٦
٤٢٩	نشو الدوله بن نفاذه	٦٩	٤٤٠	ابن المجاور نجم الدين	٥٧
				يوسف بن العسسين	
٤٧٧	نصر الهيشي الدمشقي	٧٠	٤١٠	مجد الدين الاربلي	٥٨
٤٧٧	ابن النبيه	٧١	٤٦٥	مجد الدين النعفي	٥٩
٣٧٦	وحيش الاسدي	٧٢	٣٠٢	مجد الحرب الامير	٦٠
٥٢٣	أشعار لم يعرف قائلوها		٤٧٥	ابن محمد المجاور الرئيس	٦١
				ابو يوسف بن يعقوب	
			٤٨٨	ابن مبروح	٦٢
			٢٩٧	ابو الحافظ بن المهذب	٦٣
			٤٤٩	ابن مهاتي	٦٤

له وقد وقف على داره بالعمرة بعد هجوم الفرنسيين :

مسارب الوحش أهدارى وأوطاننا  
عهد الصبا بين اخواني وخلائقنا  
والقلب في لوحة من وجدته عسان  
فيها وفيك بحكم الجائر الجانسين  
قدما بجيرة نسطان ونمصننا  
للسائين وثي سيف ونمصننا  
تمني وتأتي وكل بينهما نسطان ( ١ )

أفذه بين انكاري وعرفاننا  
جبهتها ولقد أبدت ملامحنا  
فصحت أسألها والدمع نسطنا  
يا دارنا لي أرى الايام قد حكمت  
فلو أجابت لقات هكذا نسطنا  
وثي مدائن نوشروان محبتنا  
فأذوب لثألك فالدينا لسطنا دول

( ١ ) الخريدة ٥ قسم مشرق الشام ج ٢ ص ٨٧

وله في المصنوعة :

هذه مصاح بلدة قد قضى اللـه عليها كما ترى بالخطاب  
 وقف العير بوقفه وأبك من كـ... ان بها من شيوخها والشباب  
 وأعتبر ان دخلت يوم الـ... فهي كانت منازل الاخيار ( ١ )

له في الحميرة :

بح عليها كما ترى بالشـراب  
من شين وصبية وشباب (١)

أنا من بلدة قضى الله يسا  
قتلوا أهلها وبادوا جميعا

---

(١) الخريدة ، تسم شعراء الشام ١٠١/٢ ، وانظر النجوم لزاهره ٢٠٠/٥

## أبو المعافى بن المهذب

له يصف الوباء والافرنج بالشام :

أعذر بساكن ريمها الممكسين  
شهداء بين الطمن والظاعون ( ١ )

ولقد حلت من الشام بقمسة  
وثقت وجاورها الندو فأهلها

---

( ١ ) الخريدة ، قس شمره الشام ، ١٢٩/٢



قال بعد دخول الفرنج القدس سنة ٤٩١ :

فلم يبق منا عرضة للمراجسة  
 اذا الحرب شبت نارضا بالصوارم  
 وقائع يلحقن الذرى بالناسس  
 وعيش كنوار الشيلة ناعسس  
 ظهرو المذاكي أو بطون القشاعسس  
 تجرون ذيل الخفض فعل الممالسس  
 توارى حياء حسنهما بالمصاصسس  
 وسمو السوالي دامية اللهبكاذم  
 تظل لها الولدان شيب القسوادم  
 ليسلم يقرع بعد ثنا سن نسادم  
 ستشمد منهم في الطلى والجماجسس  
 ينادى بأعلى الصوت يا آل شاشسس  
 رطاحهم، والدين واعى الدعائسس  
 ولا يحسبون النار ضربسة لازم  
 وتشفي على ذل كباة الاعاجسس  
 عن الدين ضنوا غيرة بالدهجسس  
 فهال اتوه رضية في السنانسس  
 فلا عظموا الا بأجدع راغسس  
 الينا بالحاظ النسر القشاعسس  
 تحيل عليها الروم عنى الاباءسس  
 رضنا الى أعدائنا بالجرائسس (١)

مزجنا دماء بالدوح السواجسس  
 وشرسا المزمع مع يفضسس  
 فأيها بني الاسلام : ان وراءكم  
 اتهمية في ظل امن وقبطسة  
 وأخوانك بالشام يضحى ثقيلسس  
 يسومهم الروم المهور وانسس  
 وكمن دماء قد أبيحت ومن دمى  
 بحيث السيوف البيض سخرة التلبسس  
 وبين اختلاص اللحن والضرب وقفسة  
 وتلك حروب من كئيب عن غارها  
 سلن بأيدى المسلمين قواضبسا  
 يكاد يهن المستجن بطيبسة  
 ارى أمقى لا يشرعون الى السسدى  
 ويجتفون النار خوفا من السسدى  
 أترضى صناديد الاعارب بسالادى  
 فليتهم ان لم يذودوا حبيبسة  
 وان زهدوا في الاجراد حى الوفسى  
 لئن أذعت تلك الخياشيم للبيسرى  
 دعوناكم والحرب ترنو ملحسبة  
 تراقب فينا ظارة عربيسبة  
 فان أنتم لم تفضبوا عند هسسده

(١) نهاية الارب ٢٢٦/٥ ، والكامل ٢٨٥/١٠

قال يطوح الامير مجد الدين غضب الدولة ابق بن عبد الرزاق، أحد مقربي امراء دمشق ويحضره على الجهاد :

وشم القبائل شيبسا ومسردا  
 ودانت لأرماحك السمر ملسدا  
 مقامك أن باتجا لخالسك يفسدا  
 وأندى مسن المزن كفا وأجسدا  
 وأهص غامسا إذا النيت أكسدا  
 وأورى إذا أظلم اليوم زمسدا  
 وان غالب السب الخطب كنت لا شدا  
 سبقت اليها من النار فمسردا  
 ومن ذا يساويك عملا وعسدا  
 والحمد مفردا مستمسدا  
 وتأبى مناقبه ان تسمسدا  
 بأن يجعل الهام للسيف فمسدا  
 أياديك واصفها ان تحسدا  
 من شرقا وغربا وغورا ونجسدا  
 يزداد نورا إذا ازداد بمسدا  
 دون الورى حده والفرنسدا  
 رقاب المآثر شكرا وخمسدا  
 ولكنه يترك الصمير عمسدا  
 في يطوى على النصح والنصح يمسدا  
 بسيل يمهال له السول مسدا  
 جيوه كمثل جبال تسمسدا  
 وتسون من يجعل الحمر بنمسدا  
 وهزلا وقد أصبح الامر جمسدا  
 وترتم فاسهر توهن حقسدا  
 لديها الضفائن بالكثر تحسدا  
 ولا يعرفون مع الجور قصسدا  
 ولا يتركون من الغتك جهسدا  
 تدق من الشوف نورا وخمسدا

غدتك الصواهل قبا وجسردا  
 وذل لا سيفك البيض قنيسدا  
 وقل لمن قام في ذا الزمسدان  
 الفت أبرا البرايسا يسسدا  
 وأمضى حماما وأفسم ذمامسدا  
 وأكلا إذا شيتح الأمر طرئسدا  
 إذا التيس الرأي كنت الامسدا  
 وان قصر الناس عن غايسدا  
 ومن ذا يجارئك فغسلا ونهسدا  
 سجية من لم ينزل بالثسدا  
 تامل مما ليه ان تستطسدا  
 حقيق إذا ما انتضى سيفسدا  
 زعيم الجيوش لقد اعجسدا  
 وأمن ذكره فسي الشاقيسدا  
 نمار صير هائل السسدا  
 فلو طبع الفخر سيفسدا  
 وكملك من نائل نائسدا  
 ندى يعتق السيد من رقتسدا  
 واني لمهد اليك القريسدا  
 الام \* وقد زخر المشركسدا  
 وقد جاش من ارش افرنجسدا  
 تراخون من يجترى شسدا  
 انوما على مثل همد الصفسدا  
 وكيف تناون عن اعمسدا  
 وشرا الضفائن ما أتبلسدا  
 بنو الشرك لا ينكرون الفسدا  
 ولا يردعون عن القتل نفسدا  
 فكم من فتاة بهم أصبحسدا

\* في الديوان : الى كم وقد زخر المشركون : وهو مكسور

من حرّاً ولا ذقن في الليل بسردا	وأمّ عواتق ما إن عرف
تذوب وتتلف حزناً ووجدا	تكاد عليهن من خيفة
محاماة من لا يرى الموت فقدا	فحاموا على دينكم والحريم
فمن حق شفر بكم أن يسردا	وسدوا الثغور بطل من النحور
أخا تدوا حازم الرأي جلسدا	فلن تمدوا في انتشار الامور
مظاهرة السيف كفا وزنسددا	يظاھر تدبيره بأس
بعضم يبيت له لحدسردا	كمثل زعيم الجيوش والملسي
ليست تحول عن النصر عهسددا	وعادات بأبكم في اللقبا
لكم باعلا سائر الارض مهسددا	قد ونكم ظفرا عاجسدا
فلا تغفلوها قظافا وحسددا	فقد أينما تاروه من المشركين
ولا يد من ركنهم أن يهددا	فلا يد من جد هم أن يفسل
مضى وهو أضى من السيف حسدا	فإن ألبرسلان في مثلهم
من ذكرا وأمنى من الشمر حسدا	فأصبح أبقى من الفرقد يسي
مآثر والمجد ما كان أبسددا	لحكم أن تصيدوا من الس
مقام المفاخر جدا وجسددا	وهذا ابنه قائما فيكنس
طيرا تحملن غابا وأسسددا	بخيل تنال غداة الكس
وضرب آخر من النصار وتسسددا	وطعن أمر من الموت طعمسا
فأنوعت الضرب قظا وقسددا	إذا ما السيوف غداة الحسو
من يشظن برقاً ويقصفن رسسددا	تري كمنها وقعا لا يسز
له عبة وصن الدرع بسردا	غذو الباس من جاب من تركسة
حتى يصير مع البلسد جسددا	ولم يضح السرود عن مكبي
من رام أن يلج المرز وسسددا	فما ينزع اليوم عنه الحسد يسي
من الأمر ما لم تجد يسه بسسددا	وأيسر ما كابدته النفس و
بدورا توافق في الأفق سسددا	بقيتم ولا زلتم في اللقبا
من من يحركم أبدا مستسددا	ولا برع المر للمسلم يسي
أنتم منكم علسي الله وسسددا	فلسنا نرى بعد طول البقسا
يتاركهم أسعد النصار بسسددا (١)	وقد قيل في الترك إن السذي

وقال يرثي السالار ( القائد ) قول بن الأمير عثمان ، وكان قتل في البقاع سنة ٥٥١ هـ ، ويصغى  
به الأمير غضب الدولة :

الخطب أعظم قيمة من أد ~~بشي~~

ان الردى في طي ذاك المظلم  
بيض كغاشطه البروق اللامع  
توق المطاهر الى صفا المش  
ان يستقيم على الطريق المهيم  
متصلا من جرمها المستفظ  
طولا ببخيم الوخير المرتس  
عزيمته يا شور عصف الزع  
باليهي من ميم الضراب النق  
من ان تقميص الحق عند المقط  
وظهر لخير بواركم لم تد  
رايز من نوذي وأشرف من د  
فيه العصي ولا السلسو بط

ليس البكاء وان أطبل بمقتضي  
ثم يذكر مقامه بأثنين وخمسين بيتا ، الى أن يقول :

لا يطبخ الاعداء يوم مره  
النار مضمون وفي أيامنا

وذو اهل شهوى الى كثر العسدي  
قد ان للدهر الضل سبيل  
مستدركا غلط الليلي فيك  
أفتركم ان الزمان أجزركم  
هنا ومجد الدين قد عصفت بك  
وغداة علسال التي روتك  
لا تأمن حربة غضبي  
بتسنا لخير ردكم ليهتفت  
يا خير من سمي وأكرم من رجب  
إنا وان عظم المصاب فساد الام

ويختتمها بتمزية الأمير غضب الدولة بستة أبيات أخيرة :

■ انظر الخريدة بداية قسم شعراء الشام ٢١٥

( ١ ) ديوانه صفحة ٢١٣ - ٢٢٠

قال يجمع الامير حسام الدين تيمور بن ايلغازي ويذكر ظفريه بالفرنج بعد عودة من الشام  
سنة ٥٢٤ :

ووالائك ما عادي معاديك المصـــــ  
ولا سارا الا تحت راياتك النصـــــ  
وجعلت الايام ايامه النصـــــ  
.....  
بمن الطمان الشزر والنائل النصـــــ  
وهندية حمرة وخطية مـــــ  
وخيل اذا استحضرتها اظلم الفجـــــ  
فترحل الاوهي من سكنها قفـــــ  
عزبك الاسلم و اقمهن الكـــــ  
فهن قوان من دماهم حمر..... الخ ( ١ )

اطاعك فيما ساء حاسداك - الدهر  
ولا استعرت الا بحملاتك الوغـــــ  
فانت الذي ارضى عن الدهر قريـــــ  
.....  
انا لك ما اعياء سواك من العليـــــ  
ومقربة شمر و ماذية خفـــــ  
نحول اذا استملرتها ذرت الطالـــــ  
منودة الا تجوس عمنـــــ  
هزمت بها جيش العدو مجاهدا  
ورويت بيض الهند من مهجاتهم

قال يمدح الوزير الافضل بن بدر الجمالي ويذكر تجريده العساكر الى الشام لصارمة الفرنس  
بعد انهزام عسكره في الموضع المعروف بالبصصية :

وهي الكتائب من اشياها النشور  
سيفا تفل به الاحداث والنشور  
تذب عنه وتحميم تنقش  
والسمر تحت ظلال النقع تشقج  
عن منابرها الاكباد والقصير  
في طولهن لاعمار المورى قصير  
من الكفا اذا ما استنجدوا ابتر  
شبهتها خلجا مدت بها غصير  
فما يشير ظهاها انها بسير  
فالشمس طالعة والليل منتكبر  
كانما الدم راج والظبي زهير  
قد يكهم السيف وهو الصارم الذكبر  
عقبى النجاج ووعده الله مفتكبر  
بما يسرك ساطت لها أخير

هي العزائم من انصارها القسدر  
جردت للدين والاسياغ مغمدة  
وقمت از قعد الاملاك كلم  
بالبيض يسقط فوق البيض انجمها  
بيض اذا خطبت بالنصر السنهم  
وذبل من رطاع الخط مشرعة  
يششى بها فخرات الموت اسد شرى  
مستلهمين اذا شادوا سيوفهم  
توم تطول بيض الهند از رعهم  
اذا انتذوها وذيل النقع فوقهم  
ترتاج انفسهم نحو الوغى طرسها  
وان هو نكصوا يوما فلا عجب  
العود احمد والايام ضامنة  
وربط ساءت الاقدار ثم جبرت

ومنها :

والغيل تزدى و نار الحرب تستسر  
هي الدنان وأطراف القنا شسر  
كصفحة البكر اذ من غدتها الشسر  
سيان عندك قل القوم أم كشمروا  
وهي الشجاعة الا أنها غرر (١)

لله بأسك والالباب طائشة  
وللعجاج على صم القنا ظلسل  
اذ يرجع السيف بيدي خده علقها  
أما يهولك ما لاقيت من هسدر  
هي الشجاعة الا أنها شسرى

(١) الخريدة ، قسم شمراء مصر ، القسم الرابع الجزء الاول ص ٢٦٥

قال يمدح الأفضل الجمالي بقصيدة مطلعها :

الحب مذ كان معني يصعب الأدبها  
فإن تنزلت في مدح فلذعجيبها :  
ومنها :

سارت له سيرة أدنى مناتهم  
تضمنت غزوات كلها ضحكها الإسما  
أرضي المساجد والزهاد عنده الأ  
ولالأذان سرور في مواطنه  
ضمير خيولك للنصر التي وعده  
أبشر فعاتدات وغد النصر قادمه  
واسفك دم في طلي الأعداء منتظما

قد عطر الأثر والأفواه والكتيبها  
لحم نهن ناه الكثر وانتخبها  
لله ط أسخط الرهبان والصلبها  
تيدي النواقيس منه الويل والحربها  
وتقف السمح عزما وأزيف القضبها  
كالهيم من بعد خصم وافت القربها  
فلو أشارت له أسياك انكبها ( ١ )

وقال يمدح الامام الأمر المنصور بقصيدة أولها :

بكم آل وحي الله يفتخر المجتهد  
ويؤيكم يسوخ المدح والشكر والحمد  
ومنها :

سأخذ للإسلام ثاراته السستى  
كما فعلت في يوم بدر سيروك  
لك المزلات النافذات اذا أبسرت  
وان خفت راياتك الحمر سيحسرت  
وخديعة حمر وبيض صمسم وارم  
وقوم منايهم مناهم لنا التفتت  
فقد شام منك الشام برقاً سيحتسوي  
تزلزل ما خلف المخرجة ديبيسة  
ولله سرفيك حان ظهه سوره

تقاوم للكفر اللعين بها التمسد  
وفي الشرك من دون التليب لها ورد  
الى مقصد لهنج البيز والسرد  
الشرك أجالها ما نكسة جنسد  
ومسرودة زعف ومقرية جنسد  
رضاك ه وفي طيب الحياة لهم زوسد  
على ملك قسطنطين من سيله قسد  
له فرواسها تخز وتتم سد  
ليوقن مرتاب ويرجع مرتد ... ( ٢ )

وقال يمدحه بقصيدة مطلعها :

صلى الاله عليك يا ابن رسول الله  
فبك استقر الحق وأنضح الهمسدى  
يا ابن الأئمة من ذوايته هاشم

وهدى لطاعتك الأورى لسبيل الله  
وأبان للمثقلين وجهه د ليلسده  
شرف سطا بفروعه وأصولسده

( ١ ) ديوانه ص ٢٤ مس ٢٨

( ٢ ) ديوانه ص ١١٧





قال يمدح صالح الدين محمد بن أيوب العمادي صاحب خمسه :

حماة ه وما يسطو على الأسد الكاسم  
وقد غلبت عنه المضراغة الخاسم  
فحال جناح البشير وأنكمز التلسم  
نجوم عليه بالحنية تنصم ( ١ )

وما جاء كلب الروم الا ليحتسوي  
أراد بها أن يملك الشام عسوي  
وما ذم فيها العيش حتى صدته  
غولي وأطراف الرماح كأنهم

وقال يمدح عماد الدين زنكي بقصيدة أولها :

تذل لك الصحاب وتمتق  
تبين أنك الملك الرحيم  
كأن الجحفل الليل البهيم  
فكان لخطبه الخطب الجسيم  
تيقن أن ذلك لا يسوم  
فأحزن لا يميز ولا يشم  
توعد وهو شيطان رجيم  
وليس سوى الحمام له حوم  
وأنت بها وما الدنيا كريم  
وأنت بتطرد ابرنا زعيم  
بيوم فيه يكتهل الفطيم  
منية جوساينهم اللثيم  
وأنت على معاقله متميم  
وتاد وما يصاد له متميم  
فأول ما يفارقها الجسموم  
ببائك لا تزول ولا تريم  
مكنا ليس تيلغها الفجيم  
وأين من الفزالة ما تميم  
ورددت فليد رشي الدنيا عديم  
أبيت بسيفك الزمن التاليم  
بمومثلك الدنيا عديم  
كما بعد استغفر الجحيم

يحزلك أيها الملك العظميم  
المتر أن كلب الروم لمتميم  
فجاء يطبق الفلوات خيسيم  
وقد نزل الزمان على رضيم  
فحين رمته بك في خوسيم  
وأبصر في الغاضة منك جيشيم  
كأنك في العجاج شهاب نسور  
أراد بتاء مهجته فواليسيم  
يوقل أن تجود بها عليسيم  
أيلتمس الفرنج لديك عفسيم  
وكم جرتعها غصن المنايسيم  
ولما أن طلبتهم تمسني السيم  
أقام يطوف الأفساق حينسيم  
فسار وما يعاد له مليسيم  
إذا خدرت سيوفك في نفسوس  
رايتك ه والبلوك لها از حسام  
تقبل من ركابك كل يسوم  
تود الشمس لو وصلت اليسيم  
أردت فليس في الدنيا طيسيم  
وما أحييت فينا المدل حسيم  
وصرت الى المالك في زمسان  
تزخرف للامهر جنان عسدم

( ١ ) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٣

تخامر غير بتمته الهـ  
وملكك من حوادتها سلسـ  
فغند الله أجزاك والنصـ (١)

أمر الملعونك من ليسـ  
فلا برحت لك الدنيا فسـ  
وإن تألفي حبيلا لله تشقـ

وقال يهني صلاح الدين بالتبديد ويذكر ما وهبه إياه من الصبيد والإماء سنة ٥٧١ : مطلقيا :

فأجمع بين ياسي والتمـ

أيحس بمد ضحك حسن طـ

وبعد مقدمة غزلية يتسول :

أتمت الموت لي رعدا فأخـ  
كما رعد السدى في كل يـ  
يرون غياها كالدليف يسـ  
أبا دنون خوفه فأمسـ  
تملكه حولهم شرنا وغـ  
أطاف عليهم من كل فـ  
أقام بأل أيوب رباطـ  
نهم للدين والدين جبـ  
إذا اتبسروا له عزما ورأـ  
وان نادى : نزاله غلن يبـ  
ربنا ألقى الملوك السلمـ  
وشاقتهم ملوك الناس جـ  
لهم من بأسه ركن شد يسـ  
حوت أفاق مصرهم حصونـ  
غطرفة لهم سلطان عسـ

أرى دأوية الكفار خائفـ  
أبوا نسال سفاقة نعل بنسـ  
فقد عثموا به من غير عـ  
ومن أفتادهم عدما حقيـ  
لقد شبر التجارب منه حصـ  
فكف الكثر أن يذلنى بمكـ  
نساق إلى الفرنج الخيل بسـ  
لقد جلب الجوارى بالجـ  
يزيدهم أجمع الشمل بومـ

زارتموان يك لم يزرنـ  
صانع الدين في سهل وحـ  
غلو فجمعوا أناهم بعد وهـ  
منادى لو يبيتهم بها مسـ  
نصاروا لاقتناص تحت رشمـ  
قبائل يقبلون بغير وهـ  
رأت منه الفرنج ضيق مسـ  
روا مولا ترى أبدا كشمـ  
غفوا في الحرب عن ضرب وطـ  
قتالهم لا تروا أو لجـ  
ولهم جهنم في البياور ينـ  
نظم قلب لهم ظهر المجـ  
ولو نلبوا لما آروا لركمـ  
فكيف إذا أداروا كل حصـ  
يسن لهم نكارهم يسـ

بمداء يضفك كل مسـ  
تفارق دينهم أو تلة أيسـ  
كننا بينوا به من غير جـ  
بمجد منلما وجدوا ويشـ  
وقلب دهره ظهرا ليطـ  
يخير كل ذي فكر وذ هـ  
وإن ركهم على بحر بسـ  
يبدن بكل قد مرجحـ  
فمرنان تنوح على مسـ

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٢ والخريدة ٥ قسم شعراء الشام ج ١ ص ٤٢٠ - ٤٢٢  
والكامل ٥٦/١٠ والباهر ٥٦

ولا ليت فدى رثاً أغسرت  
 ود ما طأ فما ضيا بخرت  
 بترب الملك كل على يهتني  
 ليجرت فضل أذ يسرر  
 فكم عزب بأطل بات يهتني  
 ولو ألقاه من بنير مرسر  
 وأموال تدبير بنير شرسر  
 فيحمل منه لأخ وشرسر  
 لأولى من كلى حيا بهتني  
 لآل فهو ينني حين يتسني  
 وإن بذل العدى فأسر (١) زرن

كالريح دل على القساوة لينسسه  
 لله سداوة بأسه ومكونسسه  
 هذا الذي بالله صح يقينسسه  
 والمشمخر الى التلى عرينسسه  
 لا غدره يخشى ولا تلوينسسه  
 أو سار فالنظر الشريف تورينسسه  
 أبدا وجبار السماء بعينسسه  
 والشرك يعلم أنه لمهينسسه  
 والله يكره أن تمين يهينسسه  
 أبواب ملك لا يزال مصونسسه (٢)

فما من ظيبتت فدى بليست  
 زهت اسكندرية يوم سيقسوا  
 وخيرهما هنا ما أنا هسوا  
 فلو ليست به للفخر بسسردا  
 لقد سبق الندى منه السبايسسا  
 وأعجله السماع عن أذ كسسا  
 فأسلحة تخاف لديه خزنسسا  
 وكيف يصون بحرا جود بسسرسر  
 وإن الناصر الملك المرچسسى  
 يبيد عداته ويشيد مجسسدا  
 إذا لاقى العدى فأشد ليسسث

وقال بحدح نور الدين :

تبدو الشجاعة من طلاقة وجهسسه  
 ووراء يقلتة أناة مجسرب  
 هذا الذي في الله صح جهسواده  
 هذا الذي يخل الزمان بمثلسسه  
 ملك الورى ملك أغر متسسرسر  
 إن حل فالفرق التايد أنيسسه  
 فالدهر خاذل من أراد عنسواده  
 والدين يشهد أنه لمعسرسره  
 ما زال يقسم ان يبدد شمسسه  
 فتح الرها بالاصر فأنفتحت لسسسه

(١) الخريدة قسم الشام ٤٩١/١ ص ٤٩٦  
 والروضتين ج ١ ق ١ ص ٦٩٥

أبو الحكم الأندلسي

قال يصف ما فعله الفرنج الألمان سنة ٤٣ هـ بدمشيق :

أبوز ما تواتينين  
 ما في جلس قد ينين  
 عديدا أو يزيد ونين  
 وبمن من فلما ينين  
 وين صيدا وتينين  
 ت أتوا ما مجانين  
 جل العنال البساتين  
 ل أيضا واليهاد ينين  
 فطائرهما جران ينين  
 خنازر والأقرايين  
 على منجد خاتونين  
 لعل الله يكفينين  
 أغان الخلق والدينين  
 لدى الهيجا شياطينين  
 ج من شرقى بمرينين  
 ر تحت التراب مدنونين  
 .....  
 ونيل نحو تسمينين  
 من القتل يفرنونين ( ١ )

بسطن شهر دارينين  
 وأقوام رأوا حفة السند  
 أنا ما لنا ألف  
 فبعضهم من أندلسين  
 ومن عكا ومن صور  
 إذا أبصرتهم أبصر  
 ولكن حرقوا فسي عسا  
 وجازوا النج والتسدين  
 تخالهم وقد ركبتوا  
 وبين خيامهم ضمتهم  
 ورايات وصلبانين  
 وتلنا إذا رأيناهم  
 حالهم مهين قسدين  
 وثيان تخالهم  
 فواوا يثابون البينين  
 ولكن غادروا اليمينين  
 .....  
 وضربنا على  
 وباتهم السيسى الآن

( ١ ) الروضتين ١٣٩ / ١ / ١

له من قصيدة هنا بها القاضي كمال الدين بن الشهرزوري ضد فتح الروم :

عاطفت عليها كل أشوس ناكسب  
كالشجر في صدر النهار الأيسب  
كُصرت صحائبها بأيمن صاحب  
كم ناهض بالحرب فير محسب  
بكتائب محفوفة بكتائب  
بجند النبوة هل لها من غالمسب  
ظننت وجوب السور سورة لاصسب  
ضاق الفناء على نجات الممسب  
ان الدروب على الطريق اللوحسب  
ما كان من أطرائ لحظ الطالسب  
دون الفريسة ، فهو عين الوائسب ( ١ )

ان الصفائح يوم صاغت الروم  
فتح الفتوح مبدع بتامسب  
لله آية وثقة بدريسسب  
لنزه كمال الدين ، كنت لقاحسب  
وأمدكم جيش الملائك نصسب  
جنبوا الدبور وقد تم ربح الصبسب  
أترى الرضا الورقاء يوم تنصسب  
لا أين يا أسرى المهالك بعد حسب  
شدا الى أرض الفرنجة بسب  
أفخركم واثار رهن دما تكسب  
وإذا رأيت الليث يجمع نفسسب

وقال في تهنئة نور الدين بانتصاره على الفرنج يوم إنسب :

وذى الكارم لا ما قالت الكتسب  
تعثرت بذلفها الأشمار والخطسب  
براحة للمساعي دونها تسب  
حتى ابتنى قبة أوتادها الشمسب  
أقضى اتساعا بما ضاقت به الحقسب  
وثابت القلب والأحشاء تضطسب  
فواد روية الكبرى لها يجسب  
أودى بها الصلب وانحطت بها المسب  
قولا لصم القنا في ذكسب  
من يوهبنا بعيد هلا ه ولا كتسب  
كم أسلم الجهل لنا فره الكسب  
وكان دين المهدى مرضاته الفسب  
طهارة كل سيف عندها جسب  
فالجرب تضرم والآجال تحتسب

هذى المزائم لا ما تدعي القضسب  
وهذا المهم اللاتي متى شطبسب  
صاغتيا بن عماد الدين ذرثسب  
ما زال جدك يبني كل شاهقسب  
لله عزك ما أضى وهطك مسب  
يا ساهد الطرف والأجفان هاجمسب  
أعرت سيوفك بالإنج راجفسب  
ضربت كبشهم ضها بقاصمسب  
قل للطناة وإن صمت مسامسب  
ما يوم إنب والأيام دائلسب  
أفركم خدعة الامال ظنكسب  
فخصيت للدين حتى لم يفتك رضسب  
ظهرت أرض الاغادي من دما تمسب  
حتى استطار شرار الزند قاد حسب

والخيل من تحت قتالها تفر لها  
والنقح فوق صقال البيض مضطرب  
والسيف هام على هام بمركبة  
والنبل كالويل هطال وليس لسه  
وللظبي ظفر حلو مذ اقتصبه  
وللأسنة عما في صدورهم  
خانوا فخانت رماح الطعن أيديهم  
كذاك من لهوى الله مهجتهم  
كانت سيوفهم أوحى حقوقهم  
حتى الطوارق كانت من طوارقهم  
أجسادهم في ثياب من دماهم  
أنباء ملحقة لو أنها ذكسرت  
من كان يمزو بلاد الشرك مكتسبا  
ذو غرة ما سمع والليل محتكرا  
أفعاله كاسمفي كل خاد شسنة  
في كل يوم التكري من وقائمه  
من باتت الأسد أسرى في سلسله  
فمكوا سلب الإبريز قاتلهم  
من اللقي بما لانت فوارسهم  
عجبت للسعدة السحراء متمسرة  
سما عليها سمو الماء أرفقهم  
ما غارقت عذبات التاج مغرقهم  
إذا القناة أبتنت في رأسه ثقسما  
كنا نعد حين أدارنا ظفوسنا  
عمت فتوحك بالعدوى مما قلمسنا  
لم يبق منهم سوى بيضريلا رصمق  
فأنهمضوا إلى المسجد الأقصى بذي لجب  
وائذن لموجك في تطهير ساحلهم  
يا من أعاد ثغور الشام ضاحكهم  
ما زلت تلحق عاصيها بطائمهم  
حللت من عقلها أيدي مما قلمسنا  
وأيتنت أنها تتلو مراكزهم  
أجريت من ثغرا لافاق أنفسهم  
وما ركزت القنا إلا وملك علسهم  
فامجد بما نكته من كل صالحهم

قوائم خانهم الركز والخبسب  
كما استقل دشان تحت لهسب  
لا البيض ذو ذمة فيها ولا اليلسب  
سوى القسي وأيد فوقها سحسب  
كانما الضرب فيما بينهم ضسب  
مصادره أقلوب تلك أم قلسب  
فأستسلموا وهي لانج ولا غسب  
لاقي العدى والقنا في كنه قصسب  
يا رب حائنة منجاتها المطسب  
ثارت عليهم بها دن تحتها النمسب  
صلوبة وكان القوم ما سلهم  
فيما مضى نسيث أيامها التمسب  
من الملوك تنور الدين محتسب  
إلا تنزق عن شمس الضحى الحجسب  
ووجهه ناب عن وصفه اللقسب  
شغل فكل مديحي فيه مقتضسب  
هل ياسر القلب إلا من له النلسب  
وهل له غير انطاكية سلسب  
وان يسأرونا من تحته قتمسب  
برأسه أن إثمار القنا عسب  
انبويه في صعود أصلها عسب  
الأ وهامته تساج ولا عسب  
بدا لتسليها من نخره مسسب  
فما كنتك الظبا ما ليس نحتسب  
كان تسليم هذا عند ذا جسسب  
كما التوى بعد رأس الحية الذنسب  
يوليك أقصى المنى فالقدس رثسب  
فإنما أنت بحر لجه لچسب  
من الظبا عن ثغور زانها الثنسب  
حتى أتمت وأنطاكية حلسب  
فأستعذلت والى ميثاقك الهسسب  
وكيف يثبت لاجوق ولا طنسسب  
جري الجفون امترانا يارح حصسب  
جسر الحديد هنز فيله أشسب  
ياوي إلى جنة الطوى لها عسب



مكين الحجى ارض الزمان بنفسه  
 حتى تبه الاسلام بالخيل ، فأغتندت  
 فكهمهية أو قمن بالكفر تحتها  
 كيم الرها الورها والهام يانسج  
 وشهبا هاجتها وغى صرخديسه  
 وعارم يوما بالعربية فأغتندت  
 وعاصى على الناصي بارعن خاطب  
 يانب لما اكسب الدال وانشنى  
 غداة هوى شظرن للسيف رأسه  
 على حين للخطي فيه عوامس  
 وقائح مخودية النصر لم تسزل  
 يقوم مقام الجيوش فيها وعيه  
 وحين انتشتمه عزة من قرابسه  
 الى اهد عشرتها كل بلده  
 ولما نزا بالقص عجب هوى بسه  
 فأصبح في الحجلين ينكر خطسه  
 تحاقبه البشرى بأخذ حصونه  
 تناجي عزاز باسم مثل باش  
 فان يكن المهود من ثل عرشه  
 نذل لملوك الخائفين نصيحة  
 وقلوا عن الآفاق فالشرق شرقه  
 ولا يستصم بالدرب طاع على القنبا  
 رهيب فضاء الحلم عن ذات قسده  
 عفو عن الجاني يكاد الذى جنى  
 أمخذ الاخلاص لله جنسه  
 أبوك استرد الشام بالسيف عنوه  
 اذا ذب عن أضفك د نياه بالسك  
 رأيت أتابح الحق خيرا مخبسه  
 وأوضحت ما بين الفريقين سنسه  
 وبينت نور الدين ما كان يبتغى

الى الآن حتى لان وانقاد صبيسه  
 وأوتادها جرد الطعان وقبسه  
 فما انقسمت الا وللذل جنسه  
 ملوي برعي الهند واني خشيه  
 ثناها وليل الحرب تنقصر شهيه  
 كوادى شموذ اذ رفا فيه صقيه  
 دم الا فلك حتى انك النصل خطبه  
 بصاحب انطاكية وهو كسبه  
 وللرمح حتى توج الرأس قلبه  
 يعاقبه خنفس الحسام ونسبه  
 غريبا بها عن موطن السيف غربه  
 وتفعل أفعال الكئاب كتمسه  
 مضى وهو نصل والسمالك قرسه  
 فليس من الأسرار مالا يوتسه  
 على أم رأس البني والند رعبه  
 بعيد على الرجلين في السحي قرسه  
 فبا عانيا ضرب البشائر ضرسه  
 فيلمنه لمن الصريح وسره  
 فهذا عود الكفر قد طاع ظنيه  
 كذا عن طارق الليث يزار غلبه  
 بحكم الرذيليات والقرب قرسه  
 فان القنا في شجرة النجر درسه  
 اذا ضاق من صدر الملك رعبه  
 يكر به شوقا الى الخوف ذنبه  
 ومن يستصم بالله ، فالله حسبه  
 وللهم بامر طالما غال خطبه  
 فانت الذي عن حوزة الدين ذنبه  
 فأفوجت عن رأى يسرك غيبه  
 بها عرف المربوب من هو رسبه  
 د ليلاً بأن الله من أنت خزبه



وقال بكنيسة أشمونينا وهي للفريرية والنصارى :

حتى ترى التوحيد والتثليث  
تستحسن التذكير والتأنيث

ملاء الزجاجة ثم جاء حثوث  
قد رداً أطيّب ما حملت خبيث  
ما عند شرّهم الثالث  
فقطعت لها بالجدال كيث  
( ١ )

لو كنت ثالثاً بأشمونينا  
لرايت منا عيناً طامحة  
.....

لما سألت عائلة من ريقه  
قلت سقني من فيك إن رضا به  
قال ..... المزاج نسبية  
وبدا يناظرني بها عن دينه  
.....

وقال يدهج نور الدين زنكي سنة ٥٤٤ ويذكر وقته بالفرنج يوم أنسب :

صريح جاء بالكرم الصريح  
على ما بين غامضة وسيم  
صوادع عن قتيل أو جريح  
من النقع والنزلة في مس  
من الدم عبرة الجفن القري  
أتيح له من القدر المتيسر  
يجود بنفسه غير الشخي  
وليبر سوى القشاعم من غري  
سوى البدر من بند الجن  
حكّم لسناك من زمن ملي  
بجيت تريح من تعب المري  
فهنك غير نظم المستر  
( ٢ )

ألا للهدرك أي در  
وعسكرك الذي استولى مسيحا  
وتستك التي بنت الموالسي  
بانب يوم أبرزت المذاكسي  
غداة كأنما الساصي احمرار  
وقد وافاك بالابرنس حتف  
تلت أجمعها للفنس إذ لا  
مذات بهم ضرائحهم فأسوا  
وعدت إلى ذرا حلب حميدا  
فإن خلّيت بشرتك الليا لسي  
رودك تمكن لهيجا فواقا  
فأنت وإن أرحت الخيل وقتا

وقال في الصلح بين نور الدين ومجير الدين صاحب دمشق سنة ٥٤٥ وأثر الوحدة في الانتصار على الفرنج :

وإن شئت صلحا عدّ من حرك  
نظورا له حدّ وطورا له صم  
ترنم من سكر فخلّ القنا صم  
إلى الحزم لو لم يشضب السيف والرسم

لك اللدان حاربت ه فالنصر والفتن  
وهل أنت إلا السيف في كل حال  
سقيت الردينيات حتى ردتها  
وما كان كف العز إلا إشارة

( ١ ) ديوانه ورقة ٧١ ( ٢ ) الروضتين ج ١ ص ١٥٥

الى السلم ما تنوي بذاك وما تنحسو  
 تيقن من غي اياها انما الذي  
 فلا مهجة يحوى الضائل ولا سفه  
 فقولا لليل الاثاق قد طلع الصبح  
 غار زالت الشكوى ولا اندمل الجسم  
 فسيق اليك الملك يسمى به النجس  
 ولو اسهلت بغير ما غرنا الصبح  
 بهيما ولولا الحسن ما عرف القيس  
 وورد هذا السدل ما صه قيس  
 على انه ما زال في طبعه شمس  
 ونحن نراه اليوم يثبت ما يهجم  
 واشهرت الآداب وأطرد المسدح  
 ودانت لك الدنيا وعزبك السدح  
 ولا صدر الا قد جلاه لك النص  
 فمن فاته حمد الوري فاته الرس  
 اعبر عما لا يقوم به الشمس ( ١ )

وقد علم الاعداء مذ بت جانحسا  
 اذا ما دمشق ملكك عنانها  
 متى التفت نزع الجحفلين على الهدي  
 اذا صار نور الدين في الجيش غازيا  
 تركت قلوب الشرك تشكو جراحها  
 صبرت فكان الصبر غير مفيد  
 كان القنا تجلو لهوجه أمه  
 بدولتك الخراء أصبح خدهمسا  
 وكم من قريح القلب لو بسسات واردة  
 سخا بك هذا الدهر جودا على السورى  
 وقد كان يحجو رسم كل فضيلة  
 بنت ابتهج الالهباب وانتهج الحجى  
 ولذت بك التقوى وعادت بك العلى  
 فلا قلب الا قد تملكته هوسى  
 وما الجود في الأملك الا تجارة  
 ولم اختر ما قلت الا لأنسني

وقال يمدح نور الدين :

تدارك ملكا الحربى ذى  
 وحل ذرى المواصوهي نهى  
 ثنى يده عن الدنيا عفافى  
 رأى حط الكوس عن الرعايى  
 وط لها رواق العدل شرعى  
 ومات وعند باب العرش منهمى

وقال يمدح نور الدين بعد هزيمته للفرنج ببيروى \* ه مملعها :

يا ليت أن الصد ممدود

أولا ه غليت النجوم ممدود ( ٢ )

- ( ١ ) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٨٠
- ( ٢ ) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٤٨
- ( ٣ ) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤٦ وانظر الكامل ١٣٤/ ١١ والباهر ٩٢
- ( ٤ ) وهم ابو شامة فظننها بصرى وهي عند ابن الاثير بخرى ه الكامل ١٣٤/ ١١

محمود ، والسultan محمود  
 ان رواق العدل مسددود  
 وطالغ الدولة مسددود  
 إلا وشلو الكفر مقسددود  
 إلا ونور الدين موجسدود  
 عليه تاج الملك معقدود  
 فهو سليم مسددود ان ود اود  
 ان رضاب الضر مسددود وورود  
 عند ملوك الشرك مشددود  
 أو موتق بالقد مشددود  
 قالت لهم هييته مسددود وودوا  
 فكل ما يضمن مسددود رددود  
 فطارد طوراً ومطردود  
 "عاد وُتد عاد لها" مسددود  
 في قلبه بأسك مسددود  
 وكل شربك مسددود

وكيف لا نشني على عيننا السددود  
 فليشكر الناس ظلال المسددودني  
 ونيرات الملك وهاجسددة  
 وعارم الامام لا ينثسدوني  
 مناقب لم تك موجسدودة  
 مقرر نفسي درعبيسددم  
 نان المهالي ما لكا حاكسددا  
 ترتشف الأغواما سيافسدده  
 وكم له من وقعة يومسددا  
 والقوم اما مرهق صرعسددة  
 حتى اذا نادوا الي مشسددا  
 طالب بثأر رضته الطيبسددي  
 والكر والفر مجال الوغسددي  
 وانما الاغرنج من بغبيسددا  
 قد حصص الحق فما جاحسدد  
 فكل مصربك مستفتسددي

وقال فيه :

وتقضي دينها العمر الصدداد  
 فوارس من عزائبها الجسداد  
 يشد بضبعه السبيح الشدداد  
 ونور الدين في يده الزنسداد  
 اذا انقضوا على الأبطال صددادوا  
 وان أبدوا عداوتهم أيسددادوا  
 وهل ينشفي وأنت لها عسدداد  
 بإنبا ما يؤنبها سدداد  
 وليه سوى النجيب لها مسدداد  
 فنادي السيف قد وقع الحصدداد  
 ولا نلعن هناك ولا طسدراد  
 تومد والعتان له ومسدداد  
 وايه سوى القناة له جسددواد

تغي بضمانها البيض الحدداد  
 وتدراك ثارها من كل بسددادغ  
 وينشفي حونة الهيجا همسددام  
 أظنوا أن نار الحرب تخبيسدو  
 وجدد كالصقور على عقسدور  
 اذا أخفوا ككيدتهم أخافسدوا  
 ونصرة دولة حامت عنسددا  
 وان تتل التواني ما تلتسدده  
 جرت بالنصر أقلام الحوالسددي  
 ونالت أروء من الاعلاج خصبسددا  
 أحطت بهم فكان القتل صبسدرا  
 ولا يبرن نوق الرمسددج رأسد  
 ترجل للسائم ففرسدوده

وقاثرها وليد به سهــــــاد  
 عاد بضـب ثنائـي ولا وهــــــاد  
 فدما عن باب مسلمة نيســــــاد  
 بفارسها يضي بها العــــــاد  
 وقد دانت لسطوتك اليــــــاد  
 ملية لدعوتك المصــــــاد (١)

خفيف المقلتين ولا نــــــاد  
 نــــــاد واستوعب الدنيا فتوحــــــاد  
 وزد بيني الوغى مشوي جيــــــاد  
 ولا في باب فارس غير تكــــــاد  
 لانطاكية يحيى ذرا هــــــاد  
 وان عت الممالك وامتجــــــاد

وقال في جارية حسناء اسمها ماريا تنفني هالدي ، خفيفة الروح في نهاية اللطف ومن أصواتهم  
 التي تغايظ بها النصارى وتستجيب بها قلوب المسلمين :

أمتُ به من طارق الحد شــــــاد (٢)

علقت بجبل من جبال مــــــاد  
 فقال فيهما بعد البعد عنــــــاد :

علقت بجبل من جبال مــــــاد  
 تعود ، ولو عادت عقيما بمــــــاد  
 وحسبك من ساح بها ومــــــاد  
 محلى بأثواب البلاحة مرتــــــاد  
 ذكرت له وحدة على غير موعــــــاد  
 بما عندنا من حاجة الهائم الصــــــاد  
 تنقط خديه الميرون بعــــــاد  
 سناتموني جنح ليل مجــــــاد  
 مقتني رضايا في اناء مــــــاد  
 عليه من الصدفين محراب مــــــاد  
 نقل في أسير لا يسر بدقتــــــاد

ألا يا غزال التدر هل أنت مــــــاد  
 وما هل لذاك اليوم في الدهر ليلــــــاد  
 فألقاك فيها هادي الكأس حاد يــــــاد  
 ألا حبذا عاري المحاسن عا طــــــاد  
 إذا ما الأمانى ما طلعتني بوعد هــــــاد  
 وعهدى بحاريا سقى الله عهد هــــــاد  
 وشي ذلك الزنار تمثال فضــــــاد  
 وقد غلب المصباح فيه على الدجــــــاد  
 وكنت إذا عفت الزجاجة مــــــاد  
 فيا لي من وجه كقنديل هيكلــــــاد  
 لقد أسرنتني حيث لا أبشي الفــــــاد

وقال عني فتح الزها سنة ٥٣٩ ومهنتا عماد الدين زنكــــــاد :

وهل طوى الاملاك الا نجــــــاد  
 سناها وان غات الميرون اتقــــــاد  
 ولهمك يسو الدين لولا عمــــــاد

هو السيف لا يننيك الا جــــــاد  
 وعن شمر هذا النصر فلنأخذ الظبــــــاد  
 سميت قبة الاسلام فخرا بطولــــــاد

(١) الروضتين ج ١ ص ١٤٦ ه وانظر أعلاه النبلاء بتاريخ حلب المشهب ١/٢  
 (٢) ديوانه : ورقه ٧٤-٧٥ والخريد قسم الشام (١) / ١٠

و زاد قسيم الدولة ابن قسيم  
 ليحيى يعني الايمان ابن ترقمست  
 وفتح حديث في السماع حديثه  
 اراح قلوبا طرن عن وكناتهم  
 لقد كان في فتح الرها دلالته  
 يرتجون مياد ابن ديم نصرة  
 مدينة اناك منذ خمسين حجينة  
 ثنوت مدى الابصار حتى لو ان  
 وجامحت عز الملوك تباد هـ  
 ثاوسمها حر القراع مؤيسد  
 كان منا لبح الاسنة حولسه  
 فاضرمها نارين حربا وخذعسه  
 فصدت صدور البكر عند افتخاضهما  
 فيما نظرا عم البلاد صلاحه  
 غداة كان الهام في كل قونسه  
 فما مطلق الا وشد وثاقسه  
 ولا ظير الا ترنج عوده  
 فان يشكل الابرنز فيها حياتسه  
 وبانت سرايا القصر تقصد ونهها  
 الى اين يا اسرى الضلالة بعد هذا  
 رويدكم لا مانع من مظفر  
 بسبب سهام الراي لو ان عزمسه  
 وقتل الملوك الكفر تسل بعد هـ  
 كذا عن طريق الصبح ايتها الدجى  
 فلودبح الافلاك منه تحصنست  
 ومن كان مالكا السماوات جنسه  
 والله عز ما سيحسان ورده

عن المهمل لا استطاع ذيسه  
 روايه عزا واطمان مهسه  
 شهني الى يوم الصاد مهسه  
 عليها فواهي كل صدر فسه  
 على غير ما عند الملوك اعتسه  
 ولم يفتن عند القوم عسه و لانه  
 يفل حديث الهند عنها حسده  
 ترفت اليه خان طرفا سواده  
 الى ان شادنا من يعز قيسه  
 بصير بتدوين الالذ لسده  
 سرار ولكن في يديه زنه  
 فما راع الاسورشا وانهمسه  
 وشميات كان السيف حتما سته  
 بمن كان قد عم البلاد فسه  
 كما تم نيت بالسيوف خصسه  
 ولا وثق الا وحل صفسه  
 ولا مصحف الا انار مسده  
 والا فقل للنجم كيف سهسه  
 كما تتزى عن حريق حسده  
 لقد ذل فاويكم وعز رشه  
 يساند اسباب القضاء عسه  
 رعى سد ذي القرنين اص من سهسه  
 ما لكها ان البلاد بسده  
 فيما طالما قال الظلم اتسه  
 لاه مست صعادا فوتهن سهسه  
 فاية ارض لم تطاها جيهسه  
 وروضة قسطنطينية مسسه تيان و ( )

وقال في جنيسة السودة ه وهي قبة شاهقة للنصارى بانطاكية :

متى عجت يا صاح بالسيه  
 وقلبك حذره عن ان يسه  
 وجوتها هي قناد يلمسه  
 ترى كل مستخف خصسه

فصل عن نوءادي في الانثسه  
 فان بها للمهوى صيه  
 بيهجة نيرانها الموقسه  
 اذا ما دعا طرفه أنجهسه

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ٩٧/ وانظر الخريدة قسم الشام (١) ١٥٣/ وانظر عقد الحصان ج ١ ق ١ ورقة ١٥٥

م تحسبها أنها مقصوده  
 يضحك أبيضه أسوده  
 ن اذا زرغن الليل او جمسه  
 ت أوردته قلت : ما أسوده  
 يطرق بين يدي عرسه  
 ن فهي مجردة منصده  
 م أوردته الحب مسداً ورده  
 وهيهمات أعجز يوم غصده  
 م من لم يمد اليها يسده ( ١ )

وذات روادف عند القيس  
 ودره من الشعر في غاسق  
 غيا لي من ذلك الزبرق  
 محل خيال اذا ما رأيت  
 به كل نشوانة لحظ  
 صوارق اطمة في الجف  
 فيها أنا من في سبيل الفسرا  
 فهل لدم فات من طالسب  
 وكيف يجازي بقتل النفسو

وقال يصدح نور الدين :

طبعته مضاربه على القه  
 الا أنجلت عن مقل بكسر  
 صدع الدجى عن خجلة البسدر  
 ابداً أمام جيوشمته  
 شملت قلوبهم عن الكسر  
 فالقوم قبل الأشر في أسدر  
 تجلو النايي شغرا على شسر  
 نهضت سرايا الخوف والذسر  
 حتى استكان الصخر بالصخر  
 هل غير مفرق هامه الفجر  
 ان يحيي العمرين بالذكسر  
 عقدت عليه تحائم الاجسر  
 ألا يبيت مجاور البحر  
 وثناؤه ابداً على ظهسر ( ٢ )

لله عزك أي سينبوغس  
 ما زفت الحرب الصوان بسره  
 هل وجه نور الدين غير سسني  
 ملك مهابته طليعت  
 كم قل كيدهم بصاعقة  
 تركت حصونهم سجونهم  
 عصم السواصم فهي ضاحكة  
 فاذا سرايا خيلها تفت  
 وري القناح بمثل جند لهم  
 يا سائلي عن نهج سيرت  
 عدل حقيق من تألمه  
 وشهامة في اللخالصة  
 وندى يد ما غمسر واردها  
 هذا الخيم في ذرا حلوسب

قال يصدح عماد الدين زنكي سنة ٥٣٤ هـ ويذكر هزيمة الفرنج قرب حصن يارين :

وهي السوارم لا تهقي ولا تسدر  
 من خيله النصر لا بل جند ما القسدر  
 صالوا فما غمدوا نصلاً ولا شهسروا  
 في مازق من سنا مبيرق البصسر

حذار منا وأنى ينفخ الحسدر  
 وأين ينجو ملوك الشرك من ملك  
 سلوا سيوفاً كأعماد السيوف بهسرا  
 حتى اذا ما عماد الدين أرقهم

ه وانظر الدر الثمين ورقة ٥١ مخطوط

( ١ ) الخريدة : قسم الشام ١٠٠/١  
 ( ٢ ) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٤٦

والدوت لا ملجأ من ~~منه~~ ولا وزر  
 طول وان كان في أقطارها قصير  
 ينافع والكفر لا عين ولا أشر  
 فالقوم ان نضروا ألوى بهم نفس  
 او طاردوا طردوا او حاصروا حصروا  
 حتى أتى ملك آراؤه غضب  
 ومن هناك قيل الصارم الذك  
 كالصبح تطوي من الاعداء ما نضروا  
 بحيث كان وان كانوا به نصروا  
 كأنما حل في أكتافها عصفور ( )

ولو اتفق لهم ذرعا مالهم  
 وفي الصافة من دون النجاة لهم  
 وأصبح الدين لا عينا ولا أشر  
 فلا تخذ بعمدها الا فرنج قاطبة  
 ان قاتلوا قتلوا او حاربوا حربوا  
 وطالما استفحل الخطب الهيم بهم  
 والسيف يفتوح أبقار أنفسهم  
 لا فارتت ظل محيي العدل لامعة  
 ولا انشئ النصر عن أنصار دولته  
 حتى تعود ثنور الشام ضاحكة

وقال في نور الدين عند قدومه الى حمص وقد استولى على سنجار وأعمال الرجب سنة  
 والفرات سنة ٥٤٤ :

وتمخضت فالأ به الأشجار  
 وردت وصفر ضميرها المضم  
 ان القواغي وخيمها إنس  
 حكما لعمري ما عليه غيب  
 بر يد ين يهديه الأبي  
 الا سما بك قائم وغش  
 لك من علاك بك كل أرض دار  
 نقما فيظلمها القنا الشط  
 وأمامه بل جحش كل جسر  
 نورية بهم الملوك كبر  
 دانت لمنظم نظامها الاقطن  
 الا تمتت انهما سنجار  
 طالت بها الأمال وهي قص  
 جري السيول وما سواك قص  
 والبحر ما اتصلت به الانه  
 فيها لسيفك كاعب معظ  
 قبل الربيع شقائق وبهم  
 وتود لو ان النجوم تش  
 عن أفقها فلها به أتم  
 ليل العرى حخت به الانسوار

هذا الذي ولدت له الافكار  
 وجرت له خيل النهى في حلب  
 وأنت به نذر القواغي بره  
 حكمت سيفك بالممالك عبوة  
 يا أيها الملك المطول نجساده  
 يا ابن السيوف وهل فخرت بنسب  
 فارتت دار الملك غير فارق  
 في عسكر يخفي كواكب له  
 جرار أذيال السجراج وراءه  
 تدني لك النهايات أكبرهم  
 حتى ملأت الخانقين مها  
 وملكت سنجارا وما من بلاد  
 وسطت بالاموال كفا ظالم  
 وجرت بأمداد الجياد شعابها  
 وثنى الفرات الى يدك عنان  
 وملكت رحبة مالك فتبرجست  
 جاءتك في حلال الربيع وحليم  
 نثرت عليك هوى القلوب محب  
 فأتت كالشمس المنيرة ان نسبت  
 من كان نور الدين ثم أجنس

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٨ وانظر عقد الجمان ج ١٢ ق ١ ورقه ١١٦

تدعو البلاد اليك السنة الثلثي  
 حتى عدت الدين يا ابن عمساده  
 وتغلت من أسفار جدك قادمسا  
 يخشي البصائر نور وجهك بعدما أعسا  
 حتى عدت بكل قلب صددره  
 إن تمسي في حلب رياحك غمسة  
 وعدت جياذك بالشام قديمة  
 هم سبتت بها الى صبح المسدي  
 وأرى صياح القميص كان خديسة  
 حال الصنيفة غير محقوق بمسا  
 حتى اذا ما غبت أقدام عاتبسا  
 أضحى السالج على عدوك بنيسسه  
 فاحس عناد ذوى العناد بجفلسه  
 جند على جرد أمام صدورهمسا  
 قد بايع الاخلاء بيعة نصرة  
 تلك له من عد لموفائسه  
 واذا الملوك تناقلت عن غايسه  
 واذا أنتنته الى الثفور عزمسه

فتجيبك الانجساد والاغسوار  
 بقنا استنحها عليه منسوار  
 كالصبح تم بثنره الاسفسوار  
 تركت على قسامته الابصوار  
 حين الصدور من القلوب قفسوار  
 فلها بانطاكية اعصوار  
 ولها بأطراف الدروب منسوار  
 صرف الردى ومسيرة احضوار  
 فطفي وجبار وليس ثم وجسوار  
 والخير يهدم ما بنى الختسوار  
 أقدام من اهدن منقسوار  
 بالتندر يطعن في الوض الشسوار  
 كالليل ثيه من الصفيح نمسوار  
 صدر عليه من اليقين صسوار  
 ولكن هادي أمة انصسوار  
 جيش بمستفتح الاصسوار  
 وأرادها خفت به الاقسوار  
 قامت مقام جنود ما لاخيسوار (١)

وقال يمدح نور الدين بعد صدوره عن دمشق واستقرار أمرها ، ويذكر قتل البرنسر ، وأسمر جوسلين ، وأخذ بسالده :

دعا ما ادعى من غرمانهني والامسر  
 ومن ثنت الدنيا اليه عنانهمسا  
 ومن راهن الاقدار في صهوة العلسي  
 اذا الجد أمس دون غايته المني  
 ولم لا يلي أسنى الممالك ما لسك  
 لمهن دمشقاً أن كرسي ملكهمسا  
 وأنت نور الدين ، طذرت أرضهمسا  
 خدعت فلم يجيبك عنها وليهمسا  
 جلالها لك الاقبال حورية السنسما  
 خلوب أكنت من هواك محبمسمة  
 فسقت اليها الامن والمدن نحلسمة  
 فان صاحت يمانك من بمد هجرهمسا

فما الملك الا ما حباك به القهمسر  
 تصرف فيما شاء عن اذنه الكهمسر  
 فلن تدراك العسرى مداه ولا الشهمسر  
 فماذا عسى ان يبلغ النظم والنثهمسر  
 زعيم جيش من طلائفه النصهمسر  
 حبي نك صدر اضاق عن ثمة الصهمسر  
 سمت بك حتى انحط عن سرها النهمسر  
 وخطب الماء بالمسيف ما دونه سمهمسر  
 عليها من الفردوس اودية شهمسر  
 نمت فانتمت جهرها وسر الهوى جههمسر  
 فامست ولا أمر تخاف ولا اصهمسر  
 فأحلى التارقي ما تقدمه هجهمسر

(١) البروقتين ج ١ ق ١ ص ١٧٤



دلالا ه وارن عز الحيا وغلا التمس  
 غليس له قدر وليس لها قس  
 واصبح عن باب الفراديس يشمس  
 لارهبها من باسك الغوث والذمس  
 على بردى من فوقها الورق النض  
 واصدرتها والبيضة من خلق شمس  
 فلا شهبها شهب ولا شقرها شمس  
 مكاشرة في كل نحر لها نحس  
 الى ان جرى الماصي وضحاها غمس  
 لجابرها ما كل كسر له جيس  
 فمن بارز الا برن كان له الفشمس  
 اطاعته الحاظ الدوه للستلشمس  
 الى الذئب ان الذئب هيمه الشمس  
 وليس سوى عافي النور له قيس  
 هي الفتك لو لم تنضب البيض والشمس  
 واسعد قرن من حواه لك الشمس  
 فابوقه الكفران : عدواه والكشمس  
 ولو لم تجب طوتا لجاء بها الشمس  
 تشق على النسر لو انها الوشمس  
 فبالافق الداخي الى ذا السن الشمس  
 واقصاه بالاقصى ه وتد قس الامس  
 وليس سوى جاري الدماء له الشمس  
 فلا عمدة في خلق سين ولا شمس  
 مساجدنا شفق وساجدنا وتشمس  
 فلا عجب ان يملك الساحل البشمس  
 بصاحبها حتى تخونك البشمس  
 فقولا لليل الافك قد طلع الشمس  
 لكان له من نفسه صكر شمس  
 كما زهيت : بها به الانجم الزشمس  
 دواسم حرج لا يروعها الشمس  
 ما ليس من اعلامها الحديد والششمس  
 تدنت لها بخداد لو انها شمس  
 فيمناك نوال ه كل مصر بها شمس  
 ويا طاله امس ومسلكه شمس  
 تشوف ارضتاه منهم شمس  
 ولولاك لم يهجم على كافر شمس

وهل هي الا كالحصان تنس  
 ولكن اذا ما قستها بصد اشمس  
 هي الشخر امسى بالكراديس عابشمس  
 على انها لو لم تجبك انابشمس  
 فابا وتفت الخيل ناقمة الصشمس  
 فمن بعد ما اوردتها حومة الوشمس  
 وجللتها نقعا انواع شياتشمس  
 نالا النهر لما كافر القصب الشمس  
 وقد شرفت اجرافه بدم الشمس  
 صد عنهم صدر الزجاجة لا شمس  
 فلا ينتحل من بعد ما الفخر والشمس  
 ومن بز انطاكية من مايكمشمس  
 اخو للميث لولا عذره ه نزع شمس  
 اتى راسه ركضا وغود رشلشمس  
 وقد كان في استبقائه لك شمسة  
 كما اهدت الاقدار للقمح اسشمس  
 طقى وبنى عدوا على غلواشمس  
 والنت بايديها اليك حصونشمس  
 وامست عزاز كاسمها بك شمسة  
 فسر ه واملاء الدنيا شيا وسهشمس  
 كاني بهذا العزم ه لافل شمسة  
 وقد اصبح البيت المقدس طاهشمس  
 وقد ادت البيض الحداد فروضشمس  
 وصلت بجمراج النبي صشمس  
 وان يثيتم ساحل البحر ما شمس  
 سللت سيوفا اكلت كل بشمس  
 اذا صار نور الدين في عز شمسة  
 ولو لم يعبرني عسكر من جنشمس  
 مليك صمت شم الضابر باسمشمس  
 فيا كعبة ما زان في عرصاتشمس  
 خلعت على الايام من حل العشمس  
 وتوجت شم الشام ملك جشمس  
 فلا تفتخر مصر علينا بنياشمس  
 رددت الجهاد الصف با شمسة  
 واطمعتني الافرنين ه كان شمسة  
 واتحصت جرد الخيل اعلى حصونشمس

ومن يدعي في تلك الشرك شراكة  
هي القائنات الحافظات فوجهها  
ولو لم يكن في فضلها وكمالها

ان لم يكن عند القواني له ذلك  
فما هدا عدل ورائتها سبحانه  
سوى أنها من بعد عمر الفتي عمر ( ١ )

وقال عند دخوله انطاكية وممره بالمواضع يذكر مواضع استحسانها وهي الثغريات فمن ذلك :

كم بالكناهن من مهتلة  
من كل ما جده لصورته  
تديسة في جهل عاتقه  
غرس الحيا بصحن وجنته  
وتكلمت عنها الجفون فل  
وجلّت مدارعها عند اثره

مثل الهبة تزينها الخفق  
لو الصقت سجدت لها الصبور  
طول وفي زناحها قصور  
ورداء جقي اغصانه انظر  
حاورتها لاجابك الحبور  
فأراك ضفي ليلة قميص ( ٢ )

وقال يصف انطاكية :

واحرى في الثغور من بلبل  
بفصير كأنها بيسر  
هالات طاقاتهم أهلية  
سوافر كلما شعرن بنسب  
من كل وجه كأن صورته  
فهو إذا ما السلو حارسه  
فيا طفولي فهين دع كلفسي  
وكن معيني على ذوي خبثك  
سرت وخلفت في دياره  
ولم أزل أعطف القيم به

يضحك حسنا كأنه فسور  
ناطقة في خلالها الصبور  
يبسم في كل هالسة قميص  
برقمهن الخيشاء والشعر  
بدر ولكن ليلى شمس  
كان لتلك الضفائر النظير  
وانظر الى الشمس هل لها طيور  
ان سالم القلب حارب النظير  
قلبا تحضيت أنهيصص  
للغرب حتى غببت من أسور ( ٣ )

ومن تندياته قوله :

على أردانها قضبان بسان  
إذا انتصبت فأقطار السدراري

.....  
تمس بفتاتنا للحظ حصور  
وإن مالت فأفلاك البسدر

- ( ١ ) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٨٥ - ١٨٧ وانظر الخريدة قسم الشام ١٥٧/ ١ والكمال ( ١١ / ١٥٥ ) والباهر ١٠٣
- ( ٢ ) ديوانه : ورقة ٦٢ مخطوط
- ( ٣ ) ديوانه : ورقة ٦٣ وانظر الخريدة قسم الشام ١٠٠/ ١

جرت تلك الخصور على الشمس  
 فأبرزن الحاسن في الشمس  
 منزلة الخدود عن الخصور  
 إلا ما في البراقع من خصور  
 به إلا على قعر من خصور  
 غلي شغل بسكان القصور ( ١ )

فلو ضلقتها بحلى يديه  
 سمن من مكن بيوتاً شمور  
 وأمرجن النواظر في وجهه  
 ترك الحسن غير مرقمات  
 فلو خادعت طرفك لم تم  
 فدعني من مخازلة البسور

ومن ذلك في خبارة بجسر الحديد على باب انطاكية :

فمن يسيدي خبارة الجسر  
 جارة بيضاء من نحس  
 تهدي سنا الشمس الى اليسر  
 الحانها أغنت عن الشمس  
 أولى من الزنار بالخصر  
 كما من الثغر على الشمس ( ٢ )

إن كان لا بد من السكس  
 خارة تطلع من نحرنا  
 تمضي فتشمي الراج في راحنا  
 حتى إذا دارت على شمسنا  
 ما زرتنا إلا وبات يسيدي  
 وبنا سقى من حفا ريقنا

وقال وقد أجتاز بمزاز من خواحي حلب وهي من الأفرنج :

وجوازي على الطباء الجسور  
 علينا كالربوب المجسور  
 وقدود عثل القنا المشور  
 ريقها ذوب سكس الأشور  
 غير أن الإعجاز في الأعجور  
 ار من سرة علي هسور  
 ر من ه بواقن المهمسور  
 سبي طرف له قوادم بسور  
 عهدتها تاجا علس إيسور  
 فخر غزواً غاني اليوم فسور ( ٣ )

أبن عزي من روحتي بمزاز  
 والهافير ساحسبات المنافير  
 يحيون كالمرهفات الهواء  
 وتخور تقلدت بشفور  
 ووجه لها نيرة حسسور  
 كل خصانك شئت طرف الزنور  
 ذات خصريك باد ينفى على الفسور  
 لا حظني فاقه بها على قلسور  
 وسبني لها ذواق شمور  
 من صيني على بنا عيني الاصور

( ١ ) ديوانه : ورقة ٦٦ مخطوط

( ٢ ) ديوانه : ورقة ٧٧

( ٣ ) ديوانه : ورقة ٧٩ وانظر الخريدة قسم الشام ١ / ١٥٦

وقال في كنيسة برسارة وهي للافرنج خاصة :

وما بنت تتلوه فسي الخنفساء  
 متى قدن حولك فسي مسد  
 قرني كل لون من الاطلس  
 وضاعت بها حلال المنفس  
 غيا لوي من ذلك المجلد  
 طلعت عليهم في برنفس  
 غير بليد ولا اخفس  
 بأشجع مني ولا أففس  
 بتلك الكناس من كنففس  
 ممرى بشمس الضحى مكنفس  
 تفور بنا طقة الأنفس  
 وزنارها قلن المجلد  
 عليها بناظرها الأشفس  
 تراني ولا ريب في ملفس  
 مع تولت صورة مرجرجفس (١)

بدينك يا قس برسارة  
 أجرني من الصور الناطقات  
 اذا هن أقبلن وقت الصلا  
 وجالت مناطي أوساطهم  
 واجلسها محل أردافهم  
 فلولا التحرج في ملستي  
 وقتما الحن قد امتهن  
 ولم تك فرسانها في العلمسان  
 الا حينذا ما استثار الهوس  
 ترى كل فاتن توجهم  
 تكاد التماثيل من حسنه  
 فرنجية ساكن عقد هه  
 اذا قبلت صورة أقبلت  
 ثيا ليتني عندها ديسنة  
 فاقسم لو أنني استطيت

(٢)

وقال في تولد من مولدي الافرنج ابصره ب " ياعو " من بلاد الشمال :

عيناه جند له واشيسع  
 ومقطع والقلوب أقطسع  
 وان شدا مكنسه أسمسع  
 إيقاعها بالنفسوس ايقاع (٢)

وشحنة كالنلال فسي " ياعو "  
 وال وألبابنا ولا يتسعه  
 اذا بدا أن عنت له حسدق  
 يحسن أوتار: عود هيسد

ولفي الكشوف :

لا انشني عنس متفيسف  
 جيش من الأقمصار مصفسوف  
 ما عندها البدر بموصوف  
 تلحظ طرفا غير مطسوف  
 عنها هوما القلب بمصوف  
 بالهيكل الكشوف بكسوف (٣)

كم لي بانطاكية بن هسوسوف  
 ان لا أجيل العين الاعلسوس  
 من كل بيضا مسيحيمة  
 تجري ثناياها المآقي فمسوف  
 فالعين شوف العين مصروفسوف  
 هذا وكم وجهكشوس الشفسوس

(١) ديوانه : ورقة ٧٠ (٢) ديوانه : ورقة ٧٩ (٣) ديوانه ورقة ٦٢

وليشهب بأفرونجيهتويصفها بزرقه المصـــــين :

لقد غنتني فرنجية  
ففي ثوبها فصن ناعمة  
وانك في عينها زرقية

نسيم العبير بها يحبس  
وغي تاجها قمصر مشـــــرى  
فإن سنان القننسا أزرى ( ١ )

وهنا عماد الدين زكي بفتح الـــــرهما سنة ٥٣٩ هـ :

أما أن يزهر الباطـــــل  
الى م يشيب ملوك الضـــــلا  
فلا تحفلن بصول الذـــــباب  
كذا ما اثبت قطصم الرمـــــبا  
هو السيف إلا تكن جامـــــلا  
وهل يضح الدين الأفســـــتى  
أبا جعفر هـ أشرفت دولـــــة  
فأما نصبت لرفع اسمـــــبا  
بل انقاد جامتها المصـــــبي  
ليهنك ما أفرج النصر عـــــه  
فتوح الفتوحاته نظم القنـــــبا  
نقل للحقاي : الطريق الطرـــــق  
وجاهد في الله حق الجهمـــــبا  
يجيش إذا لم ورد الثنـــــور  
إذا سحر اليأس عن ما قـــــه  
نيا نعمة شمل الشاكـــــر  
تحض عزه لها ضجـــــب  
غداة هـ ولا ربح دون اللـــــبا  
ولا نصل إلا لهيبـــــارق  
وتد قلدوا السيف تحصينهمـــــم  
وهل يضح السور من طالـــــع  
شققتم اليها بحار الحديدـــــم  
وخضتم غمار الردى بالســـــردى  
فان يفتح الرها لجـــــة  
فهل علمتم تلك الديـــــبا  
أرى القعن يأمل فوت الرمـــــبا

وإن ينجز العدة الماطـــــل  
ل سيف بأعناقها كافـــــل  
وقد زار الأسد الباســـــل  
ح أو يتشقى القنا الذابـــــل  
لهفته بزك الحامـــــل  
يصول انتقاما فيصتاـــــل  
أضاء لها يدرك الكامـــــل  
فإنكما الفعل والناعـــــل  
وأخصب جانبيها الماحـــــل  
وما ناله الملك المصـــــادل  
ة أعلى أنا بيبيها الحامـــــل  
فقد دلف المقرم اليـــــازل  
د محتسب بالعلن قافـــــل  
يروى بما لأصل الناهـــــل  
مضى وهو في نعمة رافـــــل  
من فضلك هـ أفضالها الشامـــــل  
فيا سند ما وضعت حامـــــل  
ن إلا وقربه شائـــــل  
دما الطلى تحت سوايـــــل  
ولكنه الناصر الخشـــــازل  
يشايعه القدر النســـــازل  
د ملتظما موجه لها طـــــل  
وعن نفسي يد فسح القاتـــــل  
فساحلها القدر روال ساحـــــل  
ر أن القمير بها را حـــــل  
ولا بد أن يضرب السا بـــــل

( ١ ) ديوانه : ورقه ٦٦ هـ وانظر الخريد تقسم الشام ١ / ٩٩

وهل عاقل بعدها عاقبــل  
 لمن ذات حسبته الحاصــل  
 تفاد إصابتنا بـــل  
 قضى فمضى الصارم القاصــل  
 ألا ربما نسيها الخامــل  
 كأنك في كلمتها نســـل  
 وصدرك من حلفتها أشــل  
 وفي يدك الصامت القائــل  
 ففارر بهم حنتها راجــل  
 كأن بنا ننتسبها بـــل  
 فأحمدها القاطع الواصــل  
 وهل يدرك العالم الجاهــل  
 فأكرم إصهارك القاضـــل  
 ومن كفها لئلا يخافــل  
 وإلا فكوكبها أفــل  
 وحالي من دونها حائــل  
 يزيل بها فضلك الدائــل  
 وفي كل فيج له نائــل  
 ن من كل ما يفرق الذائــل  
 فلا وصفت أنها عا طــل ( ا )

يقوي مساقله جاهــل  
 وكيف يذهب هواقي الجهــل  
 برايك في الحرب أم لفظك اســل  
 وعن حد عزتك في المشكــل  
 نشرت الفضائل بعد الخمــل  
 وحطت البلاد على نايــل  
 أمغصو المالك من خافــل  
 وإن لا تحيط بأفانهمــل  
 إذا ما علا الخمس في حوســل  
 يفيض على الطرس سحر البيــل  
 متى ترك الحميد والمهــل  
 بسابقة العلم فتال أنــل  
 إذا خطب الأكرمون الثنــل  
 أيز الكفا توتاج العســل  
 تأمل مطالع هذا الكــل  
 أرى القوم تلتفح أم لــل  
 فهل لي على البعد من قرــل  
 فان الفخام بعيد المنــل  
 وأنت الزمان وأنت الامــل  
 وأنت الحلبي على الكرمــل

وقال يطبع نور الدين سنة ٥٤٤ هـ بقصيدة مدالمهــل :

وحسنى الشلوخ على فواءــل  
 لا تأخذ عن عن الخبير العالــل  
 واسأل بنور الدين صدر الصــل  
 وصفتات تهتدى بهلمــل  
 بقوائم يدركن أهنــل  
 فلغير غرته يصمين اللاطــل  
 حتى بين المهزوم خلف المهــل  
 واليا بركان المكتنى بالقاســل  
 حلتى البطان على جواد الحصــل  
 الا اتصال يمينه بالقائــل  
 لولاه ما أعيت على يد سائــل  
 فيها العواصم وهي غير عواصــل

أبدى السلوخذ بعة للامــل  
 يا أيها المشرى بأخبار المهــل  
 أسأل وعديتك وبالصبا بة لمتــل  
 ومعطافات ترتعي بأجنــل  
 وسموات لمعت تدري في الوضــل  
 كل ابن سابقة إذا ابتدر المــل  
 يرمي بخارجه أمام طرــل  
 ينحى الى ملك إذا قسم النــل  
 متسرسل بالحزم ساعة تلتقــل  
 ما بين منقطع الرقــل  
 سام الشسام وبيا لها من صفقــل  
 ولشمرت عنها الثفــل

(١١) للبربرية : قسم الشام ١٨٧١ - ١١١ وانظر الروضتين ج ١ ص ١٢٦

ودعوت فانقادت بغير شكائهم  
 قام الزمان لها مقام الخسائهم  
 ما عند رأيك من طين وعزائهم  
 قلت الصواعق في متون غنائهم  
 وهل الأسود القلب غير اعاجيبهم  
 اسخى هناك بنفسه من حائهم  
 فالدرع من عرذ الشجاع الحسائهم  
 كفلت بفل قد يمهم والقسمائهم  
 ما في ظهور الخيل غير غنائهم  
 في الحرب كيف رأوا لسان الحاكيمهم  
 ما سكنت حركاتها بجناهم  
 طال البناء على يمينهم الهائمهم  
 فكانما هي دعوة في ظالمهم  
 من مارد قد فت اليه براجيمهم  
 امددت ديمتها بنسود ائيمهم  
 امن الموتل ثروة للقسائمهم  
 عدلا كمد لك ارجفوا بالقائمهم  
 فالدر انفسه بكف الناظمهم  
 تختال بين فضائل ومكسائمهم  
 لحقت امية لانتتم غنائهم  
 متسر بلا أسنى ثواب الصائهم  
 بدر التمام قلدا يتممائم ( ١ )

تلك التي جمحت على من راضهم  
 واذا سادتك احدثت في دولهم  
 يا اهن الملوك وهضب انصار الهدي  
 تو اذا انتضت السيوف اكفهم  
 من كل منصور الهبان بمجمهم  
 او مفض بقوى الصوارم في الوغهم  
 حصن بلادك هيبه لا رهيبهم  
 وارم الاعادي بالعوادي انهم  
 اهلا بما حملت اليك جهادهم  
 واسال فوارم حاكموك الى القنهم  
 تلك العوائل اي افعال المسمهم  
 هيبات يلطم في اناك ظالمهم  
 كلفت همك الملو فحلقت  
 قننت باوطمان النجوم فكم لهم  
 انشات في حلب غمامة رافهم  
 ألحقت اهل الفقر فيها بالفسهم  
 واظن ان الناس لما لم يسروا  
 فتبن اوصاف السلى منظومهم  
 جاءتك في حلال النباهة حاسمهم  
 عربية انسابها لو انهم  
 وتمل غرة كل فطر بحمدهم  
 لا زال وجهك في غود شموره

ولغني مدح تاج الدين هوري سنة ٥١٣ :

وطال اعدا مجير الدين مقتسمهم  
 نت المباد فانت الحل والحسهم  
 صاقد الحزم في اوساطها الحسهم  
 كالليل ، يلتهم الدنيا له ظلمهم  
 يهود حاسبه الاعياء والقسهم  
 اواجه باواسي الياسر تلتهم  
 سياسة ما يخفي اثرها نسهم  
 بالنصر ، كل قناة فوقها علمهم  
 والله يحصم من بالله يحتمهم  
 واقبلت اوجه الاقبال تبتهم

الحق متهيج والسيف مهتمهم  
 قدت الجياد وحصنت البلاد وامهم  
 وجئت بالخيل من اتنى براجلهم  
 حتى اذا ما احاطوا المشركون بنسهم  
 واقبلوا ، لا من الاقبال ، في عسهم  
 اجريت بحرا من الماذبي ممتكسهم  
 وسمت بندق ، والرحمن يكلسهم  
 وفتفتي الجيش والاعلام خائفهم  
 يحوطك الله هونا عن عيونهم  
 حتى اذا بدت الاراء ضاحكهم

( ١ ) الخريدة ، قسم الشام : ج ١ / ١١٢ - ١١٤ وانظر الروضتين ج ١ ق ١ ص ٤٩

فيها نجوم إذا جدّ الوغى رجموا  
 ترجو الشهادة في الهيجا وتغنم  
 فما دروا أيضا الهتالة الذي  
 قتلا ه ويختنوا الاموال فاغنموا  
 مجنوبة ه وعلى آرماحنا القمم  
 حرا السنة ه وهو البارد الشيب  
 ففارتوها وفي أيديهم القمم  
 إن لميزولوا سراعا زالت الخشم  
 وخلفوا اكبر الصلبان وانهمزوا  
 أغرى القنا يتمادى مخطفهم نه  
 كأنه حين يخشاه الردى صنم  
 عن مسجد القدم الأقصى لهم قدم ( ١ )

أبعت جن سراياهم مضمرة  
 والنصر دان وخيل الله مقبله  
 صاب الختام عليهم والتهام  
 سوا لينتهموا الأعمار فانتهموا  
 وأبعت خيلنا تردى بخيلهم  
 وأدبر الملك الطاعني يزعزعه  
 واثوا دمشق فظنوا أنها جادة  
 وأيقنوا مع غيا الصبح أنهم  
 فنادوا اكثر القربان وانجلفوا  
 مستسلمين لا يدى المسلمين وقدم  
 لا يملك الجسم دقما عن مقاتلة  
 وحاولوا المسجد الأدنى فما عسرت

وله في كنيسة القيسان :

أنت من قال ذكره نسيان  
 فاذا الليل جن جن جنان  
 بعد ما أطلق الفراخ نسيان  
 رتونا القضاة في الكثران  
 يفرس الأسد من بني الفرسان  
 د في غير ضبت الأعصان  
 .....  
 ساء على الأرض ثاني الألسان ( ٢ )

يا غزال الثبور بالقيسان  
 أسأل السانحات عنك نسيان  
 كيف يصفي الى السلو جماعسي  
 حبذا يومناكرتنا الزنانيان  
 وعلى موقف الأساقف طيبسي  
 عن كابت من المرمر المنصوان  
 .....  
 فأرى من أرائي الشمس شمسان

ولفي دير سمعان وهو على فرسخين من أنداكية :

وما به للميون من عسان  
 أم نبتت من منابت البيسان  
 تلقاك من مثلها بيستان  
 وذات جان بيدو على جسان  
 ما كل قوس ترمي بمرنيسان  
 .....  
 في الأفق عنبوجهم يران  
 مع كل نصرانة ونصيران  
 ن الدهر فيهم أعياد صليسان ( ٣ )

يا هبل سمحتهدير سمسان  
 أوقف الصلاة هيكله  
 في كل خصن تفاحتا خجل  
 من ذات بشر يلوح في بشر  
 يرمي فيصبي عن غير ناطقة  
 .....  
 تسجد للشمس وهي معرضة  
 وانصرفوا والفواد أفئدة  
 يا حسن عيد الصليب لو أن كسان

( ١ ) الروميتين : ج ١ ق ١ / ١٤١ ( ٢ ) ديوانه : ورقة ٦٧ ( ٣ ) ديوانه : ورقة ٧٣



وقال في شعره :

فما صدق وماريت  
 نيتيها الصبا طيب  
 اطلت عورها لي  
 ترى اليتيم حرم  
 من لم تبصر له في  
 ضل دلالا ومن حيا  
 ..... ( ١ )

اذا ما زرت ما ريت  
 فتاة كفضيب الب  
 تلوي كالواعيد  
 لها وجه مسيح  
 اذا ما قابلت شم  
 نيا احسن ما اع  
 .....

وقال في شعره :

فما صدق وماريت  
 نيتيها الصبا طيب  
 اطلت عورها لي  
 ترى اليتيم حرم  
 من لم تبصر له في  
 ضل دلالا ومن حيا  
 ..... ( ١ )

اذا ما زرت ما ريت  
 فتاة كفضيب الب  
 تلوي كالواعيد  
 لها وجه مسيح  
 اذا ما قابلت شم  
 نيا احسن ما اع  
 .....

(١) ديوانه : ورقة ٧٦

قال يمدح نور الدين :

وما يوم الفرنجة منك فسند  
 أجاز الأريما لهم خميسا  
 وأحكى بالحليم لهم حطاما  
 مشوا فمنادين إلى صليب  
 تلفتهم النيا في الثنايسا  
 أطاشتهم كبشهم هنيئا  
 حلت التاج عن مصل تاجيسا  
 اناف على النجاب فكان أشهيسا  
 فأشرف وهو عن شرف ميسا  
 تكاهرا لشوات وهو ميسا  
 بعيدا من قراع واقسيسا  
 وكم سوط بخيلك أقبول الص  
 تركتهم بأرض الشام شاميسا  
 هتكت حجابها والشمس وسيسا  
 بأبيض من حبيك الهند صيسا  
 له سمة الشيوخ صفاء شيسا  
 الا يا ناظر الدنيا بعيسا  
 تباطها فطالها ثلاثيسا  
 فاد ياوى إلى رأي شميسا  
 ترفى عن صاورة الأنايسا  
 صلاة الله كل دور شميسا  
 فقد ألقى إلى الاسلام عيسا  
 تجيش له رواس كالرواسيسا

فتحصر عده شطط الحسساب  
 بعيد النور ملططم الميساب  
 أمر بريمه مر الضراب  
 يبرقع صبوة الصم الصلاب  
 وتفجأهم شعوب من الشمساب  
 فكانت ذباب دأشة الذيساب  
 كان الدقة من عقد الكيساب  
 وأبهر منه في ظل المقسساب  
 وأبعد وهو غاية الأنصيساب  
 فناه مناه عن رجن الجيساب  
 يوهوب له إلى يوم الصيساب  
 دور فكان سوطا من عيساب  
 لنافر تقيه أو لنيساب  
 بشمس لا توارى بالحجيساب  
 مصون المتن متبدل الذيساب  
 وفي خطواته نزع الشيساب  
 أرتة غلا بها خدع السيساب  
 على عز التلمة والخيساب  
 ولا يثني إلى أمل غيساب  
 وحلق عن حاضرة التصابيسا  
 على مشى أبيك من السيساب  
 يطبق في النواب غير نابيسا  
 تعد لها بجان كالجوابيسا (١)

وقال في تمجيد نور الدين بفتح عزاز وغيرهما سنة ٥٤٥ :

ندت القلوب بالبابيسا  
 كتاب تربي جنود الميليسا  
 اذا ما أنشت من قراع الكيسا  
 تيرنن منها البرنس الثيساب  
 عشيتت على إنيساب  
 وقام لاجسد محموديسا

وساح الملوك بأربابيسا  
 ب منها بتقليح أصلابيسا  
 كست وقدها في أصابيسا  
 وحلته وقصيصا  
 نفوس النصارى بمضابيسا  
 يجده مسوارن أخزابيسا

(١) الروضتين ج ١ ق ٢٢٩/١

تجلى لها حيدر المصفا  
 نورث اركاسها مسنن اب  
 همام اذا اصوصت ثبوة  
 ضى وجنى لك حلو الفهم  
 واوص بها لك من بعد مسنن  
 واقسم جذك الا يلبسك  
 صحت دمشق دمشق الجي  
 واصلت رايتك قبل الحسن  
 فاعدتك ما لم تناسه  
 وانتصرف نضل الزم  
 تخونها الجور فاستد ركست  
 وثاجات قورسها للشائ  
 فط رمت حتى رمتهم  
 وعزت عزاز فاذ للتم  
 باشمخ من انفسها منك  
 دلفت لميطاء ام الدج  
 وعذراء مذ عقرت ما  
 تفرضها بفروع الوش  
 وعوج اذا انبضت اغض  
 ومحدوديات تحاير الخط  
 تصوب عقبان ريب المن  
 وما ركعت حول شملها  
 فلذت بمعتصم بالانص  
 بمقتضى النسدن والمه  
 محلن المحل بوصف الفت  
 وتجز مذاحه ان تحي  
 بدائع لو رد دهر روم  
 واين ابن اوس ورايات  
 من الاله عاد عتيق لم  
 فاياحه من حبور تك  
 لك الفضل ان راسلك الجي  
 اذا اعتسفت هم الجائر  
 ابوك ابوها وانت ابن  
 اتول لموة جرة بالف  
 حذار فعند ابتسام النبي  
 ولا تخدعوا بافترار الليم

ع اغلب مود بغلابهم  
 اكول الفوارس شرايم  
 د هاشا بها شم اصحابهم  
 د ما تمطق من صايم  
 تجرح مقير اوصابهم  
 بنسرك ملبس اثوابهم  
 زبور الوض بين احد ايم  
 غمخند جمره اجلابهم  
 وفازت رقاد باصحابهم  
 م من حمير تاخير ركابهم  
 بصرك اغبار ظبطابهم  
 تمج القناسم اذ نايم  
 اليك ازمة شرايم  
 بهجر ضيق لاسهايم  
 واكثر من عد تورابهم  
 م في الامر ايطاء اترابهم  
 ظنون الليالي لاشرايم  
 م مصرة تمام اوشايم  
 ذكاء لارسال نقابهم  
 ملافظ السن خطابهم  
 متى زينتها باعقابهم  
 ب الاسجدن لانصايم  
 وهوب الممالك اساريم  
 هموس العرى غير ديايم  
 ووصف التهانى واربايم  
 ياد ايه تلك آدابهم  
 بنات حبيب باحبابهم  
 من الاله اودت بحسابهم  
 ورد عليها ابن خطابهم  
 يطير بها فرط اعجابهم  
 وقامت اذ لة انجابهم  
 اتيت السيادة من بابهم  
 حريق ود مية محرابهم  
 تمطت هواها نا هوى يم  
 ت تخشى عواحق النهايم  
 ت فالنار في برد انيايم ( ١ )

( ١ ) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٨١ وانظر عقد الجمان ج ١ ق ١ ورته ٢٠٦

وأشده بحلب سنة ٥٤٧ هـ قصيدة أولها :

المجد ما أدعت ثراك هضابـــــــــــــــــه  
 ملكٌ تكفد دين أحمد كـــــــــــــــــه  
 نال عدل حيث تصرفت أحكامـــــــــــــــــه  
 مشيل والموت في نيراتـــــــــــــــــه  
 عقد اللواء وسار يقدمه ، ومـــــــــــــــــا  
 أسد فرائسه الفوارس والخايبـــــــــــــــــي  
 طبع الحديد فكان منه جناـــــــــــــــــه  
 وتهدى إن كتب الوجوه كأنـــــــــــــــــا  
 نضرت بمحمود شريعة أحـــــــــــــــــد  
 ما غاب أصلح هاشم فيـــــــــــــــــا ولا الـــــــــــــــــ  
 ابنا قيلة قائمون بنصـــــــــــــــــره  
 صبحوا محالقة البرنس بحالـــــــــــــــــق  
 ما زال يخلب من يخافه ضالـــــــــــــــــه  
 ملقى بوجه الأبرمين نزلـــــــــــــــــت  
 دون الأرنط سحبت به نبتـــــــــــــــــه  
 سلبته درة تاجه يدٌ ضيـــــــــــــــــف  
 وأنته تحلب جوسلين جناـــــــــــــــــت  
 أسرته لا منعت سراه وعـــــــــــــــــزّه  
 يمشي فيسمع وقائع قيســـــــــــــــــه  
 لا تل باشره ولا كيسونـــــــــــــــــه  
 ضجت شقاوته سعادة صافـــــــــــــــــم  
 ما زال يقدر ثم يقدر قـــــــــــــــــادرا  
 تصر الأمانى إن يملأه عصـــــــــــــــــرك الأـــــــــــــــــ  
 مجر يجر إلى الفنائم قيســـــــــــــــــه

وتتقنت شعوبه وشحا بـــــــــــــــــه  
 فأضاع نير موصاب شها بـــــــــــــــــه  
 والأمن حيث تصرفت أسرا بـــــــــــــــــه  
 يرجى ويرهب خوشه وثقا بـــــــــــــــــه  
 حلت عقود تديها أترا بـــــــــــــــــه  
 أنظار موا السميرتقا بـــــــــــــــــه  
 وسنانها هابوشيا بـــــــــــــــــه  
 أعداؤه تحت الوغى أشتا بـــــــــــــــــه  
 وأرى المصغابة ما احتذاه صحا بـــــــــــــــــه  
 فاروق باء بخطبه خطا بـــــــــــــــــه  
 ان أجليت من قاسط أجزا بـــــــــــــــــه  
 خرس الثياب من القلوب شبا بـــــــــــــــــه  
 حتى أتيت من الهدى غايبـــــــــــــــــه  
 آراؤه وتزاييلت الألبـــــــــــــــــه  
 وشجاده وترايه وترا بـــــــــــــــــه  
 لم تنجيه من بأسه أسا بـــــــــــــــــه  
 هبت فقل إلى القتال شبا بـــــــــــــــــه  
 بالقاع إن رام الورود سرا بـــــــــــــــــه  
 هزينا تقي دما له أندابـــــــــــــــــه  
 صدت منى عنه ولا شقا بـــــــــــــــــه  
 قطى على إغاثته إغابـــــــــــــــــه  
 حتى أتاه بجراح أصحابـــــــــــــــــه  
 سائهم روبا عليه عنجا بـــــــــــــــــه  
 وسحق يزار على الفتح قبا بـــــــــــــــــه ( ١ )

وقال يمد حميد كز ظفره بصاحب سب أنطاكيه وأصحابه :

أقوى الضلال واقفرت عرصاتـــــــــــــــــه  
 وأنتاش دين محمد محمـــــــــــــــــوده  
 ردت على الاسلام عصر شبا بـــــــــــــــــه  
 أرمى تواعده وقد عمـــــــــــــــــاده  
 وأعاد وجه الحق أبيض ناصـــــــــــــــــا

وعان الهدى وتبلجت تسما تـــــــــــــــــه  
 من يد ما علت دما عبراتـــــــــــــــــه  
 وثباته من دونه وثباتـــــــــــــــــه  
 سندا وشيد سوره سوراتـــــــــــــــــه  
 إصا تمول صالاته صالاتـــــــــــــــــه

( ١ ) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢١٨

رجعت لها عن طبعها ظلمات  
 ومشوقة بين الصوف شدات  
 ان لد حشحة الكوم والذات  
 لا الشتر يعبق في لماه لثات  
 نطف النفوس تديرها نشوات  
 وهفت على أعضائها عذبات  
 وانتال في أوضاعها جبهات  
 وسرت الى سكنها نفحات  
 واليوم ذبح وشبه ساعات  
 ضرب يصلل في الطلى صفقات  
 غرس الفوارس والقنا غابات  
 لله محتسمة غزوات  
 وتغيش ماء شوقها نقات  
 كالذود ثابت عن براعد اتساع  
 حلل الربيع تناسقت زهرات  
 واستأرت حماله حمالات  
 شرب أمالت هامة تموات  
 شجرا أصول فروعه ثمرات  
 شربات غرس هذه مجات  
 خير الثرى ما كنت أنتبات  
 لمقر ضحك السرى مرآت  
 ان الكواكب في الذرى ضرات  
 فوق السماء وتحتي درجات  
 مجددا والسنة الزمان روات  
 عن نرف بحر هذه قطرات  
 من جوهر فأتهم فذات  
 سخرت بما افتعلوا لهم فعات  
 فوق القوانسيرا القنا قينات  
 حركاته وتنيمها يقنات  
 وسمت به شئ قناتهم فعات  
 زحل الرحال مع السها عزمات  
 باءت بحمل ثاومها اتسعات  
 لا حش من تاريخه حشوات  
 فتفرقت أيدي سها خشبات  
 بالروى مقر ما جنت فدرات  
 يوم الشطيم وأصرت سروات

رفعت لنور الدين نار عزيمة  
 ملك مجالس لهو شدات  
 يخشى بحشحة اليراع بنات  
 ويروقه نشر الهدى قان دسات  
 غصوبه خمر الطلى وغبوت  
 فتح تعصمت السماء بفخسات  
 سبغت على الاسلام بهن حجول  
 وانزل فوق الابطحين غمام  
 لله بلجة ليله حصت بسبات  
 حط القوامر فيه بمد قمام  
 نبدوا السلاح لضمهم عادات  
 لمجرب عمرة فضبات  
 تحيا لشيق صفاء أسرار  
 بين الجبال خواصا أعنات  
 نشرت على حلب عقود بنود  
 روض جناه لها مكر جيات  
 مساندن على الرحال كما انتشى  
 لم تنبت الاجام قبل رماح  
 فليحد الاسلام ما جدحت لسبات  
 وسقى صدى ذلك الحيا صوب الحيا  
 نصب السرير ومال عنه ومهبات  
 ما ضر هذا البدر وهو محلس  
 في كل يوم تحت طيل قنات  
 وتظل ترقم في الضحى أشبار  
 أين الالى مالاوا الطروس زخارف  
 غدقوا بأعناق السواطل مالم  
 لو فسلوا ممطا ببعض فتوحات  
 يمسي تنانيه بناشقيون سات  
 سلتان من دون الملوك تفرهات  
 تحدث بهم عن خطوه جمات  
 سكنوا مصجفة الحيات وأسكنات  
 لو لاج للناثي غرة فتحات  
 أو دبت الطهري طيب نسيمات  
 صدم الصليب على صلابة عمود  
 وسقى البرنس وقد تبرنس ذل  
 فانقاد في خطم المنية أنف

أمست زواجر غيهمسا زفرا تسمسه  
 فتبوا ش طرف العنان شوات تسمسه  
 أغضت وقد كبرت لها لحظات تسمسه  
 بد ما إذا ضحكت لهش مات تسمسه  
 نظمت مدار النيزين قنات تسمسه  
 لأراك شاعداً خفضه إخبارات تسمسه  
 كلاً ، ولا همّت لها هدرات تسمسه  
 تحاقت سطاك له غطال صعات تسمسه  
 مبيتر نصرك نكست رايات تسمسه  
 مثل الكرين تقلصت كرات تسمسه  
 تحت الصجاج وأسلمته حبات تسمسه  
 بالبيعة ينهب ما حواه غفات تسمسه  
 دا المظال ولا تعيش عدات تسمسه  
 ما كان قبل بصيدة يقتات تسمسه  
 تسمنا ما استشرفت شرفات تسمسه  
 متوزعات بينهن بنات تسمسه  
 فتقادت بستيقتها قذفات تسمسه  
 أبدا ويكفت في الحضيض شات تسمسه  
 من شاء فلتسرع اليه هانات تسمسه  
 وتهب أرواح التصيد هبات تسمسه ( ١ )

ومضى يومب تحت أنب همسة  
 آمد نبوا كالخريف فجات تسمسه  
 دون النجوم منمنا ولطالم تسمسه  
 عجولته تبكي الأصادق تحت تسمسه  
 تضي القناة براسه وهو السسذي  
 لو طاق الميوق يوم رفعت تسمسه  
 ما انقاد قبلك انهم خزام تسمسه  
 طيان خلف السرح طال ز تسمسه  
 لما بدا مسود رأيك فوق تسمسه  
 ورأي سيونك كالصوالج طاوحت  
 ولي وقد شربت ظباك كرات تسمسه  
 ترك الكنائس والكناس لنا تسمسه  
 غلاب أروع لا يبيت عدات تسمسه  
 للوحش بلقى بالسرا يقتات تسمسه  
 اليوم ملكك الفراغ قلاع تسمسه  
 وقد تحل لك الحائل أسهم تسمسه  
 أوطات أطراف السنايك هام تسمسه  
 لا زال هذا الملك يشخ شأن تسمسه  
 ما أخطأك يد الزمان فدونس تسمسه  
 أنت الذي بحلي الحياة حيات تسمسه

وقال يمدح نور الدين :

وقد شاح عدلك فيه اتسمسه  
 ة أمين العثار متين السمسه  
 وتدان نكثك لسه ما احتشمسه  
 غفضوا كأن نماما شمسه  
 عراما تتعلب منها السمسه  
 وعفوك عنعام الصفسمسه  
 موازق مزقن جرد الجسسمسه  
 قياما لابناك ان قسسمسه  
 وتصلح من طبعه ما فسسمسه ( ٢ )

أيا نور دين خبا نسوره  
 رأك الصليب صليب القسسمسه  
 تهم فتسليه ما اتسمسه  
 زينتهم أمس عن صرخسمسه  
 يوم الضريبة أتباتهمسمسه  
 حبيبت ما ليكهم في الصفسمسه  
 وقيل أرتهم في الرهسمسه  
 بتيت ترقع مخرق الزمسمسه  
 تنقف من زيغهما التسمسه

( ١ ) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٥٦ وأعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ١٦/٢  
 ( ٢ ) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٥١

وله فيسه :

له الارض دار والبرية أعين  
ولكنه الحق الذي ليس يحسد  
تحل بأجساد الجياد وتمقت  
بهاء وحتى في الدجى ليس يرقس  
فلا الورد مشود ولا الباب عوس  
ورأى شهابي وعزم مؤيس ( ١ )

أيا ملك الدنيا الحلال والسدى  
وليست بدعوى لا يقوم دليلم  
أخو الفزوات كالمقود تناسقت  
لسان بذكر الله يكمنه  
وبذل وعدل أعرقا وتألق  
مرام سائني ه وحزم مسدو

وله فيسه :

بثوب زندان أو تدل على هسد  
وشاوت شيبهم البوازل أمسد  
أو أسجدوا للكأس جدد مسجدا  
هزته موعظة فسرف صبيسد  
أرضاه مشهورا وراع عقلسدا  
اللما برم حبلها فاستصحبسد  
فاد اعراضه مردى بالسيسردى  
والخوش كك لظاه حين ثوقسد  
يجتاب من مهبج الاصغر مجسد  
وأمال عطفيك الوشيع مقصسد  
الا أقام المشركين وأقصسد  
أرضى الهك والمسيح وأحمسد  
وشعاب باسوطا وشاب وصرخسد  
ماسل فيهم حاكما الا اعنسد  
رجاء فهل كانت سروقك مرتسد  
وأعادها كسر الصور كما بسسد  
سلام من بعد التساقف أعيسدا  
نسق بشم ه وقد رفعت بالابتسد ( ٢ )

أبدا تنكب عن ضلال سسد  
سدت الكهول من الملوك مرادقسدا  
ان شيدوا صرحا أناف منسد  
وإذا استهزتهم قالقد صبيسد  
قسما لشام الشام منك صهنسد  
وتعمك الاسلام منك بصسد  
أشقى فكننته فاه من حسسد  
كنت الصباح لليلة لما وجمسد  
لله يوم طلعتك به النسد  
نشوان فنتك النبي مثلوسسة  
في معرك ما قام بأسك دونسد  
ولكم مكر قمت فيه معلسد  
يوم الخزيمة والمحلجم وحسد  
لا يعدم الا شراك جددك انسد  
أهدتهم من بسد ما مازوا المسد  
طلعت نجوم الحق من آفاقسد  
وهوى الصليب وحزبه وتبختر الا  
سحق الجلي للخطين فرفسسد

وكتب الى نور الدين من حماة وهو محاصر دمشق تصيدة ينال فيها من صاحبها يقول :

أبا ورضوا وطء النجوم لفتسد  
بك الله ترمي ما رماه فتصسد  
وكالسلتك قد أمسى يحل ويعتسد  
ويبكي بأخرى ذات شتر وسسد  
لكل يوم ثوب عجز يجسد  
بيوتا على جيرون بالذل تصسد

أبوك أب لو كان للناس كلمسد  
وما مات حتى سد ثامة ملكسد  
صدمت ابن ذي اللقدين فأنحل عقده  
يقاب خلف السجف عينا سخينسد  
ولا غزو قد أبقى أبوه وجسد  
فيا راكبا إماما عرضت فإسد

( ١ ) الزوشين ج ١ ص ٥٢  
( ٢ )

بزعم لموجه الحقيقة أزسـ  
 وتفرق مطووس النبسـ  
 لنا عمرو بن أحمد أحمد  
 ولا بد من يوم به تنهـ  
 وموضعها من بختنصر أسـ  
 وأيد فيه من عماء الويسـ  
 وتصحيفه نقل عليك مويسـ  
 سوى بقلة حقا بالحق تحمصـ  
 تذكرت والجلاد أدس وأجـ  
 وراء زحفا أنا أنت تقمصـ  
 سنة بتر والمواهل تصمصـ  
 حملت لقد ناجتك صمصا مويسـ  
 ونشوان يعلى محمصا ويوبـ  
 وعنا فخرت الكفر فيك مسـ  
 لكي يصلحوا ما في يديك نانسـ  
 موالى وتوليه خوانا فيحمصـ  
 له الشام مرفا والصراف مرفـ  
 الى امرتسقى تما وتحفـ  
 لها الصنع دين وأقبلوا النصم ترشـ  
 عن الخير يزوي أو الى المين يسـ  
 عليكم أياك وشها ليمر بيجصـ  
 وضويوب عند حوران يشمـ  
 رعود فريه الموت ضمن برعـ  
 وعون مرهون وغر مزيسـ  
 بأن الجرار السود بالجرد تجصـ  
 وقد أبصرت بصري رداها وصرخـ  
 كما انصاح من أسد نعام مشـ  
 وطرح نيران الوغى تتوقصـ  
 بمشركها غنجان يحدو ويسـ  
 آثار مشورا غلة ليمر تبمسـ  
 فيمهد ان يسرى ويسرى فيمصـ  
 ومركزها صرى عليها مصـ  
 بهم أجل حتمهم عمر محمصـ  
 يرغرف في أرجائها وينمسـ ؟ ( ١ )

وقل لمبير الدين وهو مجـ  
 حطت الصليب باغيا ، ونبذتـ  
 وحاربت حزب الله والله ناصر  
 تنصرت حينما والبلاء موكتـ  
 وأتصمها ذاق اليهود بايليسـ  
 كعض الذي جرحه فسرطـ  
 ولايته عزل اليك موجـ  
 رماك بياقلا دمشق فلم تكـ  
 وجمالت جلادا وأنت موـ  
 تناوات لانفس تسمى ولا أب  
 أصعامة نور الدين تبني ودونـ  
 بمحدود المخود سيفا وساعـ  
 زهل يستوى سار تأسد طاويـ  
 تنصرت أما بل تجسنت والسـ  
 تنفذت بني الصوفي امرأوا سـ  
 لعمري لنعم العبد أنت تجيـ  
 اليك بني العادات عن مقـ  
 وما مصر إلا بعض أمصاره السـ  
 أنبيوا اليه هو أرحم قـ  
 ولا ترشخوا نعت المويد أسـ  
 وفرروا الى مولاكم والذي لسـ  
 ولا تكفروا بما أنتم لسـ  
 غداة على الجولان جول وللظـ  
 ولما اكفهر اليوم وأريد وجهـ  
 وأيقن من بين السدير وجاسـ  
 ردتهم على بصري وصرخد خيـ  
 وطاروا تهبز المرفقات طالـ  
 وليلة ألقى الشرك بالمن بركـ  
 ربي وأخوه مقرب الشمس دونكـ  
 فخذ ورد تما الأرط مفسـ  
 أيا سيفك شانه يد الملك صارمـ  
 دمشق دمشق : انما القدس مرحـ  
 حموها لكي يحموا وقد بلغ المـ  
 متى أنا راء طائر الفتح صاد حـ



وأُنشده بحض سنة ٥٤٦ قصيدة فيها :

الدهر أنت ود اراك الدنيا ومـــــــن  
 وأرتقا لاقدار طوع يديـــــــك والا  
 فت الوري وعقدت ناصية المـــــــدى  
 تال أبانك فهل سليمان يـــــــرى  
 جلى وسدت مصليا لا يرفـــــــع ال  
 ليهيخترم جد نمـــــــاك ولا أب  
 شخت طاراك في اليفاع وأمـــــــا  
 وهيبته للأسام وهو مـــــــن  
 وفنات بجمرة صالبيه صـــــــلم  
 خنطتهم فوق الخليم لوافـــــــم  
 وربوا على الجولان ملك بجولـــــــة  
 ولحا عظامهم صرقتة عـــــــارق  
 وشلت بالروح السرون وفوقـــــــا  
 وعلى عزاز عنوا وثل عروشـــــــم  
 وتل باهر باهر واهما فـــــــوا  
 أودوا كما أودى بصاديـــــــم  
 ان ألوا غرا فانك صالـــــــم  
 وزعتهم نيكل مهبط تلمـــــــة  
 وعبتهم بمصائب بل المـــــــال  
 آثارها محودة وأثارهـــــــا  
 لمست من أسك في الكريمة ملبـــــــا  
 وقيرة الأجال طول باعهـــــــا  
 مطرورة الاسلاب مذ هزعتـــــــا  
 أشرعتها فغلى شريعة أحمـــــــد  
 ولكن نثرت ذليما في موقـــــــد  
 يجلو سناك ظلامه ويحل مـــــــد  
 في شبة زحم السماء رواقـــــــد  
 ضربت مخيمها فكان كاتمـــــــد  
 في كل يومين فتوحا صـــــــد  
 تهدي لمانق كأسه فرغانـــــــة  
 فنراز سيفك للأحباش محبـــــــد  
 لا تحيد بين هذا القلد أمـــــــة  
 الورد تر والمسامح رجبـــــــة  
 والميش أبلج مشرق القسما والافـــــــة  
 والملك ممدود الرواق مـــــــور الا

في المد بعد موئل يـــــــود  
 ياع جندك والأناجيب يـــــــود  
 يمد من الشورى فأين تـــــــود  
 في الدست مهد ملكـــــــه داود  
 معدوم ما لم يشغ الموجهـــــــود  
 ان النباهة في الخليف خلـــــــود  
 من لم يسد غارته كيف يـــــــود  
 فاعتز أعضاب ورق منجـــــــود  
 نصبح الجنة يومها المشهـــــــود  
 نفس الارين لو أرهين بـــــــود  
 توغيدها نسر الضائل وثـــــــود  
 ما زلت تخضر بوجه فيبـــــــود  
 زرع تحصده الرماح حصـــــــود  
 ملك يقيد من عصاه مقيـــــــود  
 أشب الاسود حشوهن أمـــــــود  
 وعقوا كما أستنوي الفصيل تـــــــود  
 أو ألوا غدرا فانك هـــــــود  
 خد به من وانح أخـــــــود  
 شتى وان خل البسالة عـــــــود  
 مشهودة وشمارنا محمـــــــود  
 يتلى جديد الدهر وهو جد يـــــــود  
 بوعساصي هامها وقبـــــــود  
 تام الهدى وتبختر التوحـــــــود  
 مما جنته بوارق وعقـــــــود  
 تفريد صالى حره التفرـــــــود  
 عقدت قناه لواواهك المسقـــــــود  
 والارز ترجف تحته وتمـــــــود  
 أوتاد ما لقصوى وأنت عـــــــود  
 كزج الفناء وطائر عـــــــود  
 وتسيغ زبدة ما شدا مزيبـــــــود  
 وصار نعلمك للصعيد صحيـــــــود  
 ملقى اليه لرعيها الاقليمـــــــود  
 والرغد مذ والضائل مذ يـــــــود  
 جاز غرو الأشائل فيســـــــود  
 فاق وضاء المنى محمـــــــود

نشر الرفات وأشهر الجمل  
كل العوام عندها تميم ( ١ )

في دولة مذ هب نشر ربيعهم  
محدودة الآثار محمود يسم

وله في مدح نور الدين وتهنئته في غزاة حارم :

ما فوق شأوك في الصلى مسزاد  
شم ضرين على السماء سزاد  
أنت الذي خطبت له حسزاد  
قاما لدليل وسلم الخصم اليلسزاد  
زهرت لدولتك البلاد فروحهم سزاد  
أحيا ربيع السدل ميت روعهم سزاد  
فالمعشر إلا في جنابك ميتة  
وإذا العدي زرعوا النفاق وأحصوا  
بالمقربات كأن فوق متونهم سزاد  
تدأى ومن وحي الكماة صفوره سزاد  
سحب إذا سحبت بأرضه يلم سزاد  
يهدى النواظر في دجئة نغمهم سزاد  
أبستدين محمد يا نسوره  
ما زلت تمسكه بهياد القنسزاد  
لم يبق مذ أرهفت عزتك دونهم سزاد  
إن النابز لو تحلى تكلمهم سزاد  
ولكن حمت منك الأعادي من السزاد  
ولكم لكم في أرضهم من مشهم سزاد  
ملق بأطراف الفرنجة كلكهم سزاد  
حاموا ، فلما عاينوا حوض السزاد  
ورجا البرنس وقد تبرنمذ لسزاد  
ضجت ثمالها خرس جرسهم سزاد  
وحواعد ضرت بهم ربا القنسزاد  
يركزن في حلب ومن أفنانهم سزاد  
يا من إذا عصفت زعازع بأسهم سزاد  
عجبا لقوم حاولوك وحاولهم سزاد  
ورأوا لواء النصر فوقك خافقهم سزاد  
من منكر أن ينسف السيل الريسزاد  
أو ان يسيد الشمس كاسفة السنهم سزاد

( ١ ) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢١٢ - ٢١٥

فعاظم يلقى عزتك الإجم سزاد  
فالشهب أطصاب لها وعمهم سزاد  
والفضل ما اعترفت به الحسن سزاد  
دد وانجلي للأبى الاسن سزاد  
أن الصب ودوحها ميسهم سزاد  
فالبرض نجم والهشيم سزاد  
والنوم الا في حماك سمهم سزاد  
كيدا فمزق ناقض حصهم سزاد  
جن الملا وكأنها أطيمهم سزاد  
فالزجر قيدو الندى قيسهم سزاد  
فالحزن سهل والهضاب وهمهم سزاد  
بدر يسرجك نيز وقتهم سزاد  
عزأ له فوق السماء اسهم سزاد  
حقى ثقفت عوده الموسهم سزاد  
عدي يراعهم ولا استهم سزاد  
حمدتكم عن خطبايها الأهم سزاد  
فلمهم الى الدرعي الوبي منهم سزاد  
قامت به لظباكم لاشهمهم سزاد  
دارفاه ضرب صادق وجهمهم سزاد  
خاموا برائر كيدهم أو كسهم سزاد  
حرط بحارم ، والمضاد همهم سزاد  
بيوز تناسب في الحديد همهم سزاد  
من دون ملة أحمد الأهمهم سزاد  
تجني فواكها ضمها بشهمهم سزاد  
خدمت جحيم الشرك ثميهم سزاد  
عوداً غواتاهم اليهمهم سزاد  
فأقام منهم في السليهمهم سزاد  
وأبوه ذاك العارض المهمهم سزاد  
نار لها ذاك الشهاب زهمهم سزاد

لا ينفخ الاباء ما سلكوا من السبى حتى ترثه الاولاد  
ملك يتيد خوفه ورجى ساوه  
واقلمنا تنظافر الاضداد (١)

وقال يمدح نور الدين حين أسر جوسلوسين :

شمس اذا ما الحرب زرت جيوسلوسيا  
الوى ، الله ، حتى الشريعة جهده  
صحت البرنس وقد تارة لا يبرقسه  
ولى وقد سكت فسكت شمسسه  
مستلما مستعلما لا عسده  
ولجوسلين احسنت فاصبحست  
جاءت به بعد الشار عوابيس  
وتصيدته لك السمود وقلمسه  
داني لعيناه ادهم كلمسه  
سلبت عزاز عزاء موقورس  
ويشل خالد يوم تل جبينه  
وغدا يياشر تل باشر قلبسه  
مت امانيه بشائر ك السستى  
وحبوت ملكك من تنظيم ثوره  
لا يخذ عنك فانما اصابع مسسن  
انزل حيث قضت له غد راتسه  
في حيث لا ياوى لمسجانسه  
وشه ه هدمت بني الضلال بهدمسه  
فتكت به آيات من لجمسه  
او انشط البلد الحرام تسواست  
ولو ان ضبره اطلاق تكلمه  
نام الخليفة ، واستطال لذتسه  
رجعت لك امر القديم سيوفسه  
من بعد ما نطق الصليب لجزيسه  
انى تميل الحاد ثبات رواقسه

حل المماقد كره وطسواده  
واذل ناصية الضلال جهواده  
وأطار ساكن جاشمه ارعواده  
زبر تلقى فسودهن فسواده  
رد الصنى عنه ولا استمسه  
نمهى لمن : بلاده وتسه  
تود يلين لعنهم قيساده  
ينجو ويخير من اردت مصواده  
غناه طار شماتته عسواده  
صعجوة فرشت له اقتسواده  
غلب الثرى بجبينه إخشاده  
ياخر ما حمل القلوب عسواده  
عادت لمن ماثما أجمواده  
حليا تتايه تحتها جيساده  
يشفى انتشاط غناته اشمواده  
وأحله طغيانه وعسواده  
حنقا ويكشط جالسده جسمواده  
وعدت عبادك عنوة عيسواده  
ولد ينه أيد او موقسواده  
تشقى عايمت له ووشسواده  
نطقت يياهر فضله اعسواده  
عن سد تيه واستطير رقسواده  
ما زان رونق ياشها أغمسواده  
ورأيت زرع الملك حسان حصواده  
بهبوبها ، وابن العماد عسواده (٢)

(١) الروضتين ٢٥٥/١/١ ، وانظر عقد اليمان ج ١٢ ق ٢ ورقه ٢٦٧

(٢) الروضتين ٧٥/١ ، ج ١ ق ١ ص ١٩١

فذاك من صام ومن أظلم  
 وما المورى أهدأ فتغدى به  
 عدل تساوى تحت أكنافه  
 يا نودين الله كم حبات  
 وكم حصى للشرك لا يهتدى  
 يا ملك العصر الذى صدره  
 وابن الذى طاول أفلاكه  
 ساقب تكسر كسرى كسبا  
 ما عامي أوصافها شاعرا  
 لله أصل أنت فرع لسه  
 ما حلب البيضا طم صنته  
 شيدت في معجور أرجائه  
 فأصبح الشادي اذا شوب السد  
 لا عدم الاسلام من كفه  
 كأنما حاجته جنسه  
 تصرم الشهر الذى كنت في  
 جهاد ليل في نهار فتن  
 أصدق ما يرضه سامع  
 أبقاك للدينيا وللدين  
 حتى نرى عيسى من القدر

وقال فيه من قصيدة :

خضر الثعالب حين زجر مصحرا  
 تركوا مشاجرة الرماح لحدا  
 لربيب حرب لم تزل فعلا  
 أهد اذا ما عاد من ظفر بمف  
 يتناذر الاعداء منه سلا  
 عرفوا بنور الدين وقع وقائ  
 أبدا يظافرك القضاء على السدى  
 قوضت فانتزع الظهائر طلم  
 وعلى العواصم من دفاطك عاصم

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤٧

ومن سقى سحيك أو قصصا  
 وهل يوازي عروى جوهرا  
 مظائل الصين وأسد الشورى  
 دجى وأسفرت له فانه  
 وهم له غادرته مجزرا  
 أفسح من أقطارها مصدرا  
 فلم يجد من فوقه مظاهرا  
 تقصر عن ادراكها قيصرا  
 الا رأى أوصافها أشمرا  
 ما أطيب الدجنى وما أظلم  
 الأجرام مثل أم القورى  
 لكل باغي عمرة مشعرا  
 اعني له شلل أو كيبرا  
 كهفا لمن أرهت أو أحصرا  
 أجرت بها راحتته كوترا  
 أوقات من قدره أشمرا  
 ان كنت فيه الا صبر الاشكرا  
 ما هنز من أوصافك المنبر  
 خذك في ليلها نسييرا  
 لينا الى سيفك مستنصرا (١)

مذاه البناد هما هما وزئيرا  
 جعلت مخافته القصور قبيرا  
 بالراء يلزم لفظها التكريرا  
 ترور أحد لمثلهما ظفيرا  
 مل الزمان تنميلا وزئيرا  
 وفق بها الاسلام أعور نسيرا  
 تهنى فترجع ظافرا منسيرا  
 وتغلت فاشتعل الدياجر نسيرا  
 ينشئ الرشيد وينشر المنصيرا (٢)

(٢) الروضتين ١/١/١٦٣

وقال يمدح مظهر حـ

أني ومن أوهاتك الاقـدار  
 لا سئل أنشاها ولا إمـرار  
 فيشفء وهو النائق المسـرار  
 وأرته كيف يحين القـدار  
 فأحيل ذاك الجبر وهو بسـوار  
 والله يهدم ما بنى الكفـرار  
 لثمود من عثر الفصيل قـدار  
 ما زال يدمي ظفوه الاظفار (١)

هيات يعصم من أردت حـذار  
 ظلمت عليك بجوسلين ذرمة  
 وسجادة ما زلت تمرى خلفها  
 فأرتك ما يجني الوفي وفـاروه  
 عوداً أمر على أبارك ظلمـه  
 ما زلت تنصوه هو يكفر عاتيه  
 حتى أتاه لقومه ما جسرـه  
 أسرى فاصبح في برائن أسـر

وكتب اليه قصيدة بن حماة وبنو محاصر دمشق سنة ٥٤٦ هـ :

تصديق واصفه سراة المنـير  
 والمستطال اليه شقة صـر  
 والكوثر ابن الكوثر ابن الكوثـر  
 عقلوا جبادك عن بنات الاصفـر  
 نارا تخشع بهم غدا في المحـر  
 لفحاتها بين الصفا والمشمـر  
 ما ظاهر الكفار من لم يكـر  
 ربح الضال على أغر مشـر  
 فلقد تهكم في الخداع الخيـر  
 لم تفتن كالنفس من مستنـر  
 ما غار من سنن الملوك الفـر  
 يات المرزب ويقطة المستنـر  
 لا يدرك الغايات غير مشـر  
 واجتنب بالمعروف أنك المنـر  
 م الخفية ليتيم الأصفـر  
 يوم من ومن يتول عنها يكـر  
 أنت بنيت بكل مذكـر  
 قصي فضع ما د تصوبـر  
 بلهاك المتدمق التـر  
 اسماح جهجوج وسيف البريـر  
 حواهل سعد السمود الاكـر

أخليفة الله الذي ضمنت لـه  
 لا المستنيل بمصر ظل قصـوره  
 يا نور دين اللما من عمـاده  
 صغر بحد السيف دار أشائـه  
 هم شيدوا صرح النفاق وأوقـه  
 اذكوا بجلق حرها واستشمـرت  
 شردتهم من خلفهم مستنجـدا  
 لا تعف بل شق الهدى نفس الذي أد  
 قلده ما أهدي علي لم حـب  
 ما النفس ممن أنفصرانـه  
 اذكت لنا هذي العزائم لا خبـت  
 انجاب اراء المعز وخفـسق را  
 شم نقد نعت اليك رقابـه  
 أو لست من ملاء البسيطة عد لـه  
 حذب الأب البر الكبير ورأفة الأ  
 يا هذبة الأسلم من مصـه  
 كانوا على صلب الصليب مراد قـه  
 آثارهم نجر اذال السرجـه  
 جار الخليل ومن بخره هاشمـه  
 بصرهم علمت وعافه عـه  
 يفتخر عن ملك الملوك منحتـه

(١) الروضتين في اجاص ١٩٠

وتمم الاحسان غير مكسب  
 ساد في غاب الوشيق الشمس  
 عذرا القل ربان عجز المكتسب  
 في سائر الافاق هل من محسب  
 في ظل ملكك غاليات الامه  
 فانا الذي غيرت في وجه المسري  
 باسم ابن اوس واستخصوا البحسري  
 ان تسفر تفرقا او تقابل تظفر ( ١ )

عن طاعن الفرمان غير مكسب  
 بدر الجحافل والجحافل فسارس الا  
 ملك تماوى الناس في اوصافه  
 يا ايها الملك الضادى جسوده  
 ان القصاد اصبحت ابتكاره سا  
 ان كنت احييت ابن حمدان لهما  
 ولانت اكرم من اناس نوهسوا  
 ذلت لدولتك الرقاب ولا تسزل

وقال يمدح نور الدين ومهنيه يفتح انطرسوس ويحور سنة ٥٤٦ :

ابدا تباشر وجه غزوك ضاحكسا  
 تدني لك الامل البعيد سواههم  
 مثل السهام لو ابتغى ذو ارسن  
 نبذت علاقتها بحمصر واعلقت  
 وعدون صاغيتا لاج شوارهسا  
 القلب انت فان تصامى عن همدى  
 عرفوا مكانك والظهيره بينهم  
 اين الذبال من الفزالة اشركت  
 غضبان اقسام لا يشيم حماسه  
 غسل العواصم من اد رانهم  
 لهيبق بين الحولتين وامنهم  
 اغلى ديار الشرك من اوثانهم  
 رفع القصور على نضائد هامهم  
 بشواحب الاليا طرقتو في الظلال  
 غادرت انطرسوس كالطرس امحسى  
 وهي الرماد لفتنة كانت على الا  
 هتمت طرا بلسا فاصبح ثفرها  
 اتليد ها كانت ه وقد انطيتسه  
 ان الابلى امنوا وقاعك بعد هسا  
 القر الصا فيمن اطاع ه ومن عصى  
 لا يلهمهم ان قد مننت ه وشتمسا  
 باكر بركز قنا تنسف اسمهمسا  
 وتريك لامعق لنريك بساحسة الا

وتووب منهويدا منصورا  
 صفت اذلتها وكن بسورا  
 في الدجو مطالها لكن طيسورا  
 سحرا بصقر عرقا لا ظفورا  
 قد اثلعت عنقا اليك مشورا  
 غصوا هاب به فعاد بصصورا  
 يفرى بياض اذ يهما الديجورا  
 وجها ولبنتا لبيطة نسورا  
 والارض تحمل في الكفور كفسورا  
 واليوورد به السوا حمل بسورا  
 وترا لمضطفن ه ولا موتسورا  
 حتى غدا ثالوشين نكسورا  
 من بعد ما جعل القصور قيسورا  
 م قطا وتهموى في الصباح نسورا  
 رسما وحمم دزعها يحمصورا  
 سلام احكم كسره اكسورا  
 بسام من عز الثفور ثفسورا  
 واسال به من يد شتمخيسورا  
 غروا وقد ركبوا الاغر غفسورا  
 منهم ه ودمر ارضهم تد مسورا  
 شحرا تصلي الكاغرين سمسورا  
 والخيل صوركي تزيك صسورا  
 قصى مطهرة لها تطميسورا

أولست بن قوم اذا هزوا القنصل  
 واذا هم خطبوا اليراع عـ زينة  
 ألقى قسيماهم اليك أزمة الـ  
 ضحكت لك الايام وأكتاب المـ  
 لا ملك الا ملك محمود المـ الذي  
 تمشي وراء حدوده أحكامـه  
 يقتلان ينشر عدله في دولـه  
 خلف الخلائف قائما عنهم بمـ  
 البره والمصوم والمهدي والـ  
 يشروا به فمهودهم وعهادهم

وله فيـه :

ايا سينا أعز الدين منـه  
 ملاحت جوانح الاقطار رجفـا  
 علاء خلق على الدنيا فتـجـاج  
 انما ت شمس عدلك في دجـا  
 تحرك من عصاك وأنت مـ  
 الا لله وجهك والمنايـ  
 هتكت حجابها والنصر فيـ  
 بطعن للقلوب بما تنظـم  
 تبادره كأن الموت فسـتم  
 أنخت على الصليب مطا صليـ  
 يشرفقا لملكك بقربـات  
 جبين يانب انب العناصـي  
 وفي هاب أهبتها فجـات  
 وكم في فـج حار من حرـم  
 وإنطاكية استنت اليهـ  
 وصبح في عزاز بها عـزاز  
 يشق بها دجا الفمات عـسـا

فتلوا معاصمهم لها تسويـرا  
 ساقوا الشفار على المهار مـ ورا  
 لك المظل على السها تأشـيرا  
 قلقا فجفت بهرا ونديـرا  
 تنفذ الكتاب ملاحرا ووزيـرا  
 تأتمن فيحكم التقديـرا  
 جاءت لمطوية السماع نشـورا  
 عيوا به الموى والد غيـورا  
 امون والسفاح والمنصـورا  
 يمتحن تحت اوائهم مشـورا ( ١ )

شزار المصيب والنوم الفـرار  
 كان الارض خابرها دوار  
 بصفرقها وفي يدها سـوار  
 فكل زمان ساكنها نهمـار  
 وتخرق من رجاك وأنت نسـار  
 مكحلة وللبير أفـترار  
 وللمهبوات طي وانتشـار  
 وضرب للرووس به انتشـار  
 وما من عادة البدر اليمـدار  
 به من سطك مبركهم شـدار  
 لهمن بمن كل وفي حضـار  
 وأضن وللقنا منها شمـار  
 كما أجلى من الكسبم الصـوار  
 عفته فلا جديرو ولا جسـدار  
 فاجفل خيطها وله عـرار  
 فاسي وهو وعت أو خيـزار  
 جواد لا يشق لهغيـزار ( ٢ )

( ٢ ) الروضتين جواق ( ص ٢٢٨ )

( ١ ) الروضتين ٢١٦ / ١ / ١

أستى الممالك ما أطلت منارها  
وأحد من ملك البلاد وأهلها  
من خام سام الخافقين وحامها  
ضربة طبعتم مشاربه وإن  
آل الرعية وهي تجهل آلهها  
فأرجمتها وأبنت نبيها  
ملكه أبوه سماها تسما به  
نمى السبيل له فأوضح خلفه  
أنشرت يا مسعود ملكه أحسنه  
إن جنات عدل السنان قوامها  
تفقدت من العضم السواصم قد غمدت  
وتفقدت كعظم أنضيتهم  
كذات هوامها وردة مطارها  
كم حاولت من كفتيها غيرة  
أنى وحاي سرحها من لو سمست  
في كل يوم من فتوحك سمورة  
ومطيلة تدير المنابر ان غدا السورة  
هجم تحجلك الملوك وراهها  
وعزائم تستوئز الآساد عمن  
أبدا تنصر طول مشرفها السورى  
فغرت أفامية فما فهمتم  
أرقت رائك فوق رائك تحتهم  
أدركت تارك في البغاة وكنت يما  
حاربة الزمن المشير منالهم  
زار الجزير فقيدت عاناهم  
غاة تدجوتك فوقها ولربما  
أست من الشورى الصبور وأصبححت  
ولم تدرعت بقراتك مثلهم  
حتى اذا اشتعلت أشرق سورهم  
خر الصليب وتد علت شمامهم  
لما وعاهما سمع أنطاكيته  
فاليوم تحت مستد هجرهم  
علمت بان مستد وقى جرعة أختهم

وجعلت مرهفة الشفار د سارها  
رؤى تكنت عد له أقطارها  
منفا وزاد هوى فخر نزارها  
عدته ذرورة نزاره أسوارها  
وتعاف نطقها وتكره أدها  
وأساخ جرعتهما وأثبت زارها  
وأجارها فعلت سمها جارها  
وشدا له يمن الصلى أبقارها  
من بعد ما شمل البلى أصغارها  
أو نانات كان الحمام جبارها  
غذي المزائم أسرها وأسارها  
في صوتها أن تسترد ضميرها  
ما أرشتموتفت أطارها  
غلب الأسود غلقت أظفارها  
للك بك سبطه أحال مدارها  
للدين يحمل سفره أسفارها  
خطباء تنشر فوقها تقصارها  
يدم المنار وما اقتفت آثارها  
نهش الفرائس إن أحس أوراها  
بالمشرقية أو تطيل قصارها  
كجوار أجنائها الأران يوارها  
فحطبت من سمقاتها أعارها  
مختار أمه أخبر مختارها  
ملك المصير فأسترد مزارها  
عصر الفائل وأسامت أعارها  
باتت ثناغشها النجوم سرارها  
شمراء تستقلي الفحول سوارها  
تلما وقلدت الكماة عذارها  
عزاً وحالها سناك سوارها  
وأستوبلت صلواته تكرارها  
سرت الوقار وكشفت أمارها  
من جوره وعدت تدم جوارها  
إن زر أطواق القباة وزارها



أقلت لقبيل القراع إزاره  
 ملقاة أسجد كالجدير جدار  
 حتى استرقت آية أحراره  
 أبداً ويفضي بالظبي أبكاره  
 وهي لسابقة المنى فأزاره  
 أنصاره رجعت له أنصاره  
 وأما تحت عمارة عمارة  
 رجعت يقطع في اللهي دعاره  
 سلب البدور يدارها أيداره  
 أرى بنفسه أسرعتسه خياره  
 وسطى تذل إذا ضت جياره  
 لولز فاعلة بها لا باره  
 بين النجوم حمودها أساره  
 عنقا فمصر منماه عثاره  
 خرس البساتين حارت أوكاره  
 ينشى إذا اكتحلت به أباره  
 قدار عجزاً أن تشق غياره  
 حطت بها أوقار هيت وقاره  
 هيرا وتكحل الشفور شفاره  
 جذب المواتح غاورت أباره  
 متمليا صدر الصلى وصداره  
 زهر تنشق في الطلى أسطاره  
 وحديقة ضمت يدك إياره ( ١ )

طاهر إذا قرع الركاب لبلده  
 وإذا مجانقكم من لصبة  
 مذاهب البلاد مواهبها  
 يذكي العيون إذا أقام لعونها  
 أو ما إلى رمم الندى فأعاشه  
 نبوي تشبيه الفتوح كأنه  
 أحياء لصرح سلامها سلمانها  
 إن سار سار وقد تقدم جيشه  
 أو حل حل حبا القرويه يسيه  
 وإذا الملوك تنافخوا دج المسلا  
 ونهى إذا هيضت تدل بغيره  
 تهدي لحدود السجايها كاسمه  
 الفاعل الفعالات ينظم في الدجسي  
 ساح يحيى والسابقينات وراه  
 كالمخرجي إذا يصصر آيينها  
 عرفت لنور الدين نور وقائمه  
 مشهوره سقطت وقد حاولت الأ  
 لله وجهك والوجه كانم  
 والبيض تخنس في الصدور صدوره  
 والشيل تدلح تحت أرمية القنبا  
 فيقبت تستجلي الفتوح عرائسه  
 في دولة للنصر فوق لوائه  
 فالدين مومة رفعت بها الصوى

وتال أيضا :

يحضر اللهم أحضارهم  
 وسرت قلمت أظفارهم  
 قلوبا تكابد أذعارهم  
 ع أن تضج العرب أوزارهم  
 م أن يتوكر أوكارهم  
 فتودعها للسن أسمارهم  
 ولو شغغ القطر أكتارهم  
 فصلصل فمخوك فغارهم  
 فتوح النبي وأحصارهم

هي الخيل خير عباد الكريم  
 ضففت فأدررت أغواهم  
 الأم ه ولم تبق ما غسرت  
 أما في فضل أي القسرا  
 عسى أن يحرك هذا الحمم  
 وما يوبن غلته واحمد  
 وأين القاول مما فعلت  
 فكما جليت خلفك الجافوخات  
 أعد تيمصرك هذا الانيسق

( ١ ) الروضتين ج ١ ص ١٦٠ وانظر الكامل ١٥٠ / ١١ والباهر ١٠١

وأنصار رأيك أنصاره  
 وعمر جدك عماره  
 ك ه بل طال بالبوخ أهدس بهاره  
 تسيد الى الطي اغواره  
 باهبا خهلك أبصاره  
 عة عز فسقطها عاره  
 إذ ابت مع الماء أحجاره  
 بزحف تسور أسواره  
 شدت تصدقت أخباره  
 عليه فولت أدهاره  
 على صفحة الدهر أسطاره  
 وتستفر السفر أسفاره  
 تجير المنك أستاره  
 تكاد تحدث أخباره  
 دجها ومشعته أنواره  
 وصلت فأن لت بهاره  
 على عنق الدهر أزراره ( ١ )

وكان مهاجرها تاهمها  
 فجددت إسنم سامانها  
 وما يوم إنب الاكتي  
 وأياك الفتر من بمسده  
 ولما هيببت ببحرى سكت  
 وفي على الجون جمون السرا  
 صد متعريتها صد مسده  
 وفي تل باشر باشرتم  
 وأنب الكتهدم د لوانفقده  
 وشب التدا مرحتي طلعت  
 مشاهد مشهورة نسكت  
 يلذ الاغاني ترجيمها  
 بنيت لو فد المنى كسبية  
 ملكت الاراضي مغبرة  
 فما زلت تدجن حتى محسوت  
 وعلت فاعززت مسكينه  
 وصنت حلى من على أحكمه

قال يمدح عماد الدين زنكي وبهنييفتح الرها سنة ٥٣٩ هـ :

أرحت به ما في الجناحين من نيسل  
 ليفضل أضفا كثيرا عن الرسيل  
 تصك قلوب الماشقين بما تسل  
 بانك أمضى منهفي الشرز والسيل  
 إذا رد عنه منم المال والأسيل  
 .....  
 أناح على أماته كلكن التكيل  
 بجمما بين النهب والأمر والقنيل  
 وتوق مسطور الرواية والنسيل  
 جزيت جزاء الصدق عن خاتم الرسيل  
 تبتك أسباب المذلة والسيل  
 يشوب بأقدام الفتى حنكة لكهسيل ( ٢ )

وما يوم كلب الروم الا أخو السدي  
 أنا بمثل الروم حسد أرابسه  
 ثقافته بالله ثم بمنز مسده  
 توهم أن الشام موعى ومسدا دري  
 غطار وخير المغمين ذ مسداوه  
 .....  
 أيا ملكا ألقى على الشرك ككسلا  
 جمعت الى فتح الرها سد بابسه  
 هو الفتح أنسى كل فتح حديثسه  
 فضحت بمنقش الخواتم بمسده  
 تجردت للإمام دون ملوكسه  
 أخو الحرب غذته القراع معظما

( ١ ) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٩٣  
 ( ٢ ) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٣ هـ ص ١٠٠





بما شدت فيها وكاننا رصنا  
فإنه فرج المنير المشهور  
وأنت ابن من عز لما اشتك  
سارسه عين ندى الشمس (١)

وعاش الحنفي والشافعي  
وان لم تكن هاشمي الاصول  
ومن يدعي في الخلا ما ادعيت  
وأسمها غاب سيفت متسنت

وقال ابن خنير يمدح عماد الدين زنكي :

ردا لثقتك ابراهيم  
وزال لبطشك اقدامهم  
فواشا لما صح اسلامهم  
ايا نسي البرايا وايتامهم  
أزاق المحارب اصنامهم  
د والبيض والسمرا اجامهم  
فما حتى تشاء منها شامهم  
مضى شئت ارضى مستامهم (٢)

غدك الماويك وايامهم  
وزلت لميشك اقدامهم  
ولو لم تسلم اليك القلم سوب  
ايا محبي العدل لما نعتاه  
ومستند الدين من امسنة  
لنت لها تقفك الاسنة  
جزرت جزيرتها بالسياسة  
وصارت عوارى اكناسه

وله في نور الدين يذكر وقعة الجولان وغيرها :

الا وفيك الدين لا يتعالمهم  
أرضهم جلد الارض حكم تامهم  
د غاتهم كعب من اصنامهم  
صفت الادحى من نعامهم  
وكل مشغول من اعترامهم  
تود عقود القوط في شبامهم  
صاروا جفائف في القظامهم  
تجهمتها ألهم من جهامهم  
لهم ايا ايت على اشامهم  
نظم الثريا في فضا مصامهم  
سوط عذاب صب في ايامهم  
لم يصب الرشيد على احنامهم  
في تقصير ما اخصد من ابرامهم  
الشرب شئت تعثر في خطامهم  
هن النجوم أو نواصي شامهم  
عفوا علم تلمو على خطامهم  
أنفذ في المشكن من حكامهم

ما برقت بيشك في غمامهم  
محمود الصمود جدا وجمامهم  
ملكه أزال الروم عن عليانهم  
جنان على الجولان امر جولانهم  
والبحرين قد جرعها اجونهم  
وشد في التمد له مليكهم  
وفي الرضا صابت له صحابهم  
وهب في هاب لمعاصمهم  
وكفر لثالثات في جبينهم  
وقام يرفق تحت وقعهم  
فساعتا لبيغ اذا عدد همهم  
واعجبا لمصب الشرك السنتي  
حكمة استوارها في عيهم  
منظر الرايات والسراي اذا  
عدت به حد العاههم  
جلت له الدنيا على زبرجهم  
رأته وسو الليت يمد في ظمهم

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٢٤ (٢) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ٨٩

والشام غير مدافعات شامها  
 أو جردت حرم الكرى احرامها  
 بمفازة منها ، ولا اعتمها  
 هدايات فستها بها أحلامها  
 نارا حشاشات النفوس ضرامها  
 يوم الوضى ، واستثقلتها شامها  
 فيه جناد بها وصدق شامها  
 نمرت بها وهدانها واکامها  
 وقع الخداوب تكرها أيامها  
 والمجفلسى الحي اللقاح صيامها  
 عنقا وقد شب الصيدا اجامها  
 بردت بها الاكباد زاد هيامها  
 وتوزعت في كتسها آرامها  
 ذان من رجح الاذان صلامها  
 عذبا يمر لها العذاب غصامها  
 بغيا وأدس صفحتيه لدامها  
 وانجاب من تلك الهنات ظلامها  
 خام الكماة وزلزلت أقدامها  
 أشداقها وفرى القلوب ضمامها (١)

عزت سيوفك ، فالعراق عراقها  
 ان أعقدت حمل المزامم حلها  
 شخيت عداك بها ، فلا اشراقها  
 سريت نصيحها بها يفظلانها  
 كالما ، الا أن في رشقاته  
 خفت على أيمانك أوزانها  
 حتى أحلن الشاهما صرصرت  
 ورغبت أدران الجزيرة بمدما  
 شارا أبرت ، ومثله أنارتها  
 بالخابلات الخاب ، تزار أسده  
 أوردتها أجبات أنطاكية  
 تلقى المشافر في مرأشف ، كلما  
 فعدت وقد عز السراج سراجها  
 وضى الضلال القهقري واستاصل الا  
 وغدا يظلمها الخليل سواجبها  
 غيبا لدين الله خص جناحها  
 فالان رد النور فيه نوره  
 محمود الحمود اقدامها اذا  
 القارج الكرب المظالم تخاجمها

تدلتك الجوزاء في نظامهم  
 تسالمة للتسر من اسالمة  
 ساق واستشرف لاغشامهم  
 عراقها مسترد بشامهم  
 واقصد الفائز من توامهم  
 يقصر باح الدهر عن فطامهم  
 من أهله الاشراف من مقامهم  
 من ولم الارواء اولمامهم  
 يقرأ آياتهم من اعانهم  
 وبازل كنت من زمامهم  
 سلم الميالي آية استنامهم  
 لا نسأل الله سوى دوائهم ( ١ )

فتوجه العزني برتبة  
 عيان للاسلام لا يخطئه اس  
 خط على مثل اب طاعت له الا  
 (٢)  
 تصرف الدنيا على ايثاره  
 لو لم يكن دون منى فات الريني  
 وامانة ما كترواض  
 وصار كالجبر الجمار وشمالا  
 ودونها لا زلت ترقى فسي حمس  
 تلبس بيت الله وفي يمس  
 فانما الدين رحي قطبتهم  
 اعت بنا الامال منك كعبسة  
 وارشفنا بك نشر نعمسة

وقال يمدح عباد الدين زكي، ويهينه بفتح الرضما :

يعتاد الدين اصحت عسيرة السيرة  
 واستزادت بتقسيم الدولسة  
 ملك اصهر عينا لم تسير نزل  
 لا خلعت من كحل النصر فقسد  
 كل يوم بن ايامهم  
 لو جرى الانصاف في اوصافهم  
 ما روى الرايون بل اسطروا  
 اذ اناج الشرك في اكنائهم  
 وتعة طاحت بقلب الروم مس  
 ان حمت سمر فقد تام لهم  
 دن الدهر عليها محصرا  
 والرها لو لم تكن الا الركة  
 ولتم من ملك حاولهم  
 هي اخت النجم الا انهم  
 ضيت منه بليث قائمهم  
 زارطا يزار في اسد وغهم  
 صولجو البيخ بضرهم  
 يا لها طمة شر اضحكهم  
 برنست راء برنست لسة

تسمن ارعاش كيد المارقين  
 همها تشريد هم الراقديين  
 نقات عيظا عيون الخاسدين  
 فهو عيد عائد للمسلمين  
 كان اولنا اير البرهانيين  
 مثل ما خطبت له ايدي السنين  
 بمر الشراها بمسكين  
 تدلقة ايمن الى قطع الوتسين  
 واضح البرهان ان الصين صين  
 لم يد نسر بمرام اللذنين  
 كفت تطعا لشك الصترين  
 فتخلى الحين وسما في الجيسين  
 منه فاشجم لرأي المبرسين  
 بدران الذين اساد الصرسين  
 تجدل الاسد من الزار لانسين  
 سهام في ساحاتها نشر الكرسين  
 من بني القلث ثنور الشامسين  
 بعد ما جتاست حوايا جوسلسين

( ١ ) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٠٢

فرقت جماعها عنها عزمه الماضي بخير الفاتحين  
 مؤمن الخوف هيف الامن منه بعد الروح في ظل النفس  
 فاحتمها القطا بعد القطبين بين بيض تنباري في البر  
 ترعة الناقور، ترويب الاذ يسر في علك لجين او لجسمين  
 بردا من يوم ردت ما رد يسر نلم جيش فطرح للناظر  
 كل كل يد رسها درن الدرس ليس حصن ان نحتة بخصم  
 ستذ وقون شذاه بعد خصم فرمنه مشحا للمناظر  
 انها حيل لن تاب مقسمين من غداة تبرة لخرين  
 و في البيتين من دنيا وديسمين تملك الارض يمينا لا يس  
 منسيا مؤلم عند الجائر من كسبة مخوفة بالظائفين  
 من تنظيم المدح بالدر الثمين لك قالت السن الاخر، امين (١)

واطلع نجره الفتح البيمين وفاروق طبعه الزمن الخيون  
 وقد زنت بها الحرب الزيون ولا همدت مضاره القيون  
 ويقطر من غراره المنيون يشير الفركان ولا يكسون  
 ولا ليت وسادته عريون ولا تاج له الدنيا جيون  
 وما كل مجبول وطمين

وسرور مذ وقت اسراجيه تلك افعال رمانا الله من  
 شام منه الشام برقاً ودقمة كم كثير كنت قد رامها  
 دنت الاجال من آجالها وبنار يجتلي صلبان  
 قرعته البيض حتى بد لسنت بالقسيمات تقسم الهما السد  
 حل بها حران كم حوى سقت سمطت امر سميات بهم  
 وغدا يلقى على القدس لهمها شققصي وشعبي عزم سبسة  
 قد اتوم فرهم اسمها السبه انه الموت الذي يدرك من  
 وهو يحيي مسكسي عروتيه منيط يفتح ومن يعجز يك  
 بك يا ضمن المال ردت السر اتسم الجعد بان تبقى لكسي  
 وتثني الحدن في اقطارها لا تنزل داره كيف انتقلست  
 كل يوم يتحلى جيسدها كلما اخلاه فيها دعسة

وقال يمدح نور الدين :

بجدها اصحاب الجند الحزون وفي كنفك مولت الليالي  
 ومذت تعلم لقطع النواحي وانت الصيغ لم تحسه نسيار  
 تترقى فوق صفحته الاماني وتبلد ما سمعت بذن ففسار  
 ولا نيت سماوته سريار ولا قمر لعالم يجما هسال  
 جبلت ندى وغفوا وانتا صبا

(١) الروضتين ج ا ق ا ص ١٠٠



تأمرت الأوامر والحجج زون  
 إذا الأيام عند مواك جيون  
 يبين لشائمه ولا يبين  
 إذا عقت مشاربها الأجيون  
 وقد شيدت من النفع الحصون  
 تتيه له المشاعر والحجج زون  
 تون ملك في الجلي أميين  
 أسير في صفادك أو كنيون  
 ويخرج من جوسك جوسيون  
 ينام لمنتهاه أو سكون  
 تدي في أرضهم خف القطنيون  
 فررتناك وفيه ليميون  
 هوى الناوس وارتفع الأذيون  
 نكل من لقوق به جريون  
 كان عيون أكسبها عيون  
 له في كل حبيسة كصيون  
 له في جونها الأقصى وجيون  
 ودارته لمستها دريون  
 تدار على فراره اللججيون  
 يوتنها على تدن عيون  
 تراقى صعدا والنبيون  
 وقد قيسوا به وبنو اليميون  
 وطاعة نلها لبنيديون  
 ويذخر نفسه لدر الحصيون  
 إذا قوتهم يترك السيون  
 نوازيه بأن تبقى يهيون  
 ويثبطنا بدولتك القيون ( ١ )

وملكك عن الاقطار قطيرا  
 تارة لاه تحته فرر الليالي  
 وانتانمت للجدوى منسارا  
 وعندك مشرب النعمى زلال  
 تحكم في عطائك كل عساط  
 لقد اعمرت وبين الله عزك  
 وقام بنسره والناس فونسي  
 رجست بلوكهم وهم خيمون  
 فبرست البرنس لفاع خسون  
 اذا ما الفحل عن تالاح خذ  
 فنوا حتى فزوتهم ففمنسي الض  
 وكيمبر السليب بهم صايون  
 وما شطارت بدار الشرسك الا  
 صارت عظام ساحهم عظاما  
 باب في القنا تجرى نجيمنا  
 وبين جرار صرخند ذبن عسرا  
 وفين بن العريفة في عسرام  
 وكحرم لحارم فادر تسيه  
 وفي شعرا قورس صحن شعرا  
 وثاق صرن في صنماء طسيرا  
 نمانا اب اذا عد انتما يسي  
 شيالا كان املك البرايون  
 تضى وتضاوه في الارض حتمنا  
 لهذا اليوم تنتخب القوافسي  
 ونحن احق ملك بان نهنيون  
 صامت لنا فانا كل صسي  
 ترايطنا بمقوتك التهانسي

وقال يمدح نور الدين :

صفات مجدك لندك حين معناه  
 يا صارط بيمين الله قائمنا  
 أصبحنا دون بلوك الارض مفردا  
 فدانه بن حاولت مسناك هتمنا  
 قل للعداي : ألا موتوا به كمننا  
 ملك تنام عن الفعشاء هتمنا

( ١ ) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٥٥

فان استرد الذي أعلاكه اللسيه  
 وفي أعالي أعادي الله حسنا  
 بان شبيه إذ الامالك أهسنا  
 جهنا وتصر عن مسناك سسنا  
 فالله خيبروا الله أعطسنا  
 تقي وتسهل للمصروف يمنسنا

فيما ابتلاه وتدني ما توسل به  
 قدرا وبناوزت الجوزاء نسبه  
 وأين دما روزه ما رأينسبه  
 مثلل ألق الدينا جناحسبه  
 قلوبه بفتية المسك ريسه  
 فافتقر ميسه وأفتقر علقسبه  
 حديثها نسج الماضي وأنسبه  
 من رامها ليمر مغزاه كمشسبه  
 بن الملوك لها وتعا فواتسبه  
 رأى يبيت فوق النجم مسسبه  
 عن بدء غرور لهم أثمار عيسبه  
 وتامر الجود لما صح شمسبه  
 للمساكين ويستغني صفائسبه  
 من لم يتوجه هذا التاج الا هو ( ١ )

ما زال يسطك والايام تخد مسسه  
 حتى تعالت عن الشورى مشاعسره  
 وتد روى النامر أخبار الكرام مسسوا  
 أين الخائف عن فتح أنبيح لسسه  
 على النابير من أنباءسبه أن  
 فتح أعاد على الاسلام بهجتسبه  
 يهذي بسننم باللفظكسبه  
 ان الرنا غير عمورية وكسبذا  
 أخت الكواكب عزما ما بنى أحسد  
 حتى دلفت لها بالسز بهشحه  
 مشرا وينو الايام في شمسسل  
 يا حيي العدل إذ قامت نواد بسسه  
 يا نعمة الله يستغني المرشد بهسبا  
 أبقاك للدين والدنيا تحوطهمسبا

وله نسي نور الدين :

تطال أعزنا إنفاقسبه  
 عارضا شيب الدجى إبراقسبه  
 عطاء من أعتاقها إعتاقسبه  
 شامة والبراق بعد عرائسبه  
 قى يرينا إضداد إنفاقسبه  
 وم لما أظله إرهاتسبه  
 جله دون نيله أخفاقسبه  
 ات وأبتر من لهاه عرائسبه  
 شاقه نيك خصلة خلاقسبه  
 ما ونى سعه ولا اصماتسبه  
 من على الدين كظه اشفاقسبه  
 خلف صدر ينشيق عنه شفاقسبه  
 ح يكي في النافق نفاقسبه  
 ل له ركضه ولا إنفاقسبه  
 أعيا على الملوك لحاتمسبه  
 صلي بالنيرات نفاقسبه  
 ليمر الا الى المسالي سياتسبه  
 من أسار الصوت الزوام عناقسبه

ملك ما أذن بالفتح أرضسبا  
 والونى في الرهاء أرحى اليهسبا  
 بارت جارة اليه فحلنسى  
 تلك بكر الفتى فالشام مسسبا  
 أين كان الملوك عن وجهها الطلسبا  
 متسمنها أبوه بكل سب السرسبا  
 خائفا قلبه الى أمل عسسبا  
 قسمت راية المواضي القسربسبا  
 وكذا أنت يا أئمة ما عسدا مسسن  
 وكفى البحر أنه ابن سحسباب  
 لم يمت من سدوت ثلثه يسسبا  
 رهبة لم تدع على الارض قلبسبا  
 كلما طن ذكرنا منه في السمسبا  
 وجاهد عن حوزة الدين لم يسسبا  
 اى فان أدركت يا نور دين اللسبا  
 نطق الحاسدون بالعجز عن مسسبا  
 فمضى أبصارهم لحاق جمسسا  
 صل بصيرا كم اعتقت يوم بسسرى

( ٤ ) الروشيين ١ / ١ / ٩٩

ضاق منه على الصليب غفاته  
لها لها حكت الأمانى رباته  
طا ولكن طواه عنه ارتثاقه  
بان منه قربان كالنار ما تراه  
اذ ترقى أدواءهم درياقه  
رة ان ضربها بها لا نياقه ( ١ )

كم غرام على الصريحة شمس  
ولكم دهبه بناب وأختي  
بسط الذل فوق بسطة باس  
كان فيها ليلتين حمى الاله  
وشيبه النبي يوم حنين  
وهي الحرب مخلفها يعمن الك

وتان فيسسه :

صالح الدين يرفدها وبينهم  
نار الضلال ووزنها أثارهم  
فاستن وأثرت بها في صوائهم  
داريدة منه إلا استوتقت فيهم  
غيت الرعية واستضلت مراعيهم  
به اثقاف على البيضا ساريهم  
واستتجمت بعد انصاف بنائهم  
حتى استقرت على سمير سوارهم ( ٢ )

مظفر العزم محدود الرواق على  
رد الكناز كنسا للمهدى فجنست  
وأورد الحلم بدا من إياهم  
ويتالمشراء أوراها فيهم  
يا بدر في أشرق في الدست فرتمه  
أقام أحمد من محمودها عالمها  
محيي شريسته من بعد ما انهدمت  
شابت بواضبه فيها مهايتهم

وله من أخرى :

لديك نسى عفا ثناياهم  
فأعدت ديشها ودنياهم  
مقاسف الخوف خوفك اللهم  
لها ضامها الى مناياهم  
تروي غمومي أولاء أخواتهم  
وكم عفا غائبا فأهجاهم  
فاحتلب الذي تحت رعد انهم  
يداه أيدى ما غل مسراهم  
بوعسا وجراد الحيا محياهم  
يوسف ما انبست أشقاهم  
ما الضمير كفضاء له اذا باهم  
أعزبا الله مذ تولاهم  
مد وثيرا له ولاياتهم  
مد ونفس لله عزراهم  
نزلها الله يوم سواهم  
يحنو طهارة القل وسراهم  
من كل فنا خسرو وشاهنماهم  
أوه يدل من تولستي وأهسبا ( ٣ )

أما الرطيا ثامها رهفهم  
سلكت نهي العدل القويم لهم  
وكم أنيت خوفا نأكمهم  
لله أقطارهم التي تخلصهم  
أنب في انب غوارهم هيوهم  
أهجت لهما البرنس هيوهم  
وجوسلين امتعاع نطقهم  
ردتهم صبرا من كل ما ملكهم  
جويس جاستهم أوبسهم لا رأت  
سرية لو تكون نارهم  
لا زال ظل النعماء عن ملكهم  
والله جازيه من قبيهم  
مخود المستلي الى فلك الحسم  
اصفلكه جردك المتون بالجمهم  
نفر عزوف عن الشنا طهم  
انت الذي سلم الانام لهم  
رأت بولي الدلوام تاههم  
والضمير هذا لا تول أحمدهم

( ١ ) الروضتين ١/١/١٢٧ ١٣١٥١٤٤ ( ٢ ) الروضتين ١/١/٢٣٠ ( ٣ ) الروضتين ١/١/٧١

قال يمدح طلّاح بن رزيق حين قتل مقدم خيل الفرنج \* :

حيث الضية كاسها يتما طسا  
في الضل والنهل القطا الفراطسا  
أشقى وعامين مشابها عطا طسا  
خلل النبيح مجاسدا وربا طسا  
وترد خرصان الرماح سيا طسا  
من دينه الاطراف والاوسا طسا  
لما أثار من السجاج عطا طسا  
في الترق شيطان الحروب فشا طسا ( ١ )

عن سيف الدين الله سل أرتا طسا  
والشرفية تد حكت في جيشه  
قد شام طير الفرمنه منسب طسا  
هو طبع جئت المدي في الحرب مسن  
فجياهه تشكو مزاحمة القنس طسا  
هو فارس الاسلام يحفظ بالطلب طسا  
كم قد أثار من الاسنة أنجم طسا  
فتخاله ملكا رمى بشهابه

( ١ ) الخريدة ، قسم شعراء مصر ج ١ ص ١٤٣  
\* نسب الابيات أحمد بدوي الى ظافر الحداد ( أنظر الحياة العقلية ص ١٤٢ )  
والصواب لابن الصياد ( أنظر ديوان ظافر ص ٣٧٥ )



ذكروا أنه تذوب بسما السخَّاب ، فما للسخور أيضا تسبب  
 أبدنبا أصابها قَدْرُ اللبنة ، ففلاذ زرشكال أنام ذنم  
 إن ظني ه والثن مثل سبها المبري ه سبها المشطوي وسبها الصيب  
 إن هذا لئن غدت ساحة القبس وسبها للإسلام فيها نصيب  
 تنزل الوحي تبل بعث رسول اللبس فهو المحجوج والمحجوب  
 نزلت وسطه الخنازر ه والخمس وسبها وبأرى الناظر فيها الصيب  
 لو رآه المسيح لم يرش فصلا زعموا أنه له نصيب  
 أبعد الناس عن عبادة رب السمات قوم إليهم مسل  
 لم يبق نفسي على ديار من السمات إن أقوت نبيها فيهما عرس  
 ولكم حلما فأنسته أوطم إن صباه ه والأهل يوما ه غرس  
 فاحتسب ما أصاب قومك مجد الديمن واصبر فالحادثات غرس  
 هكذا الدهر : حكمة الجور والقسد ه وفيه المكره والمخبوب  
 إن تخصصكم نواب ما زال السمات لكم دون من سواكم تنم  
 فكذا القناة يكتر يوم السمات روع منها صدر ه رتيق كرس  
 ولسمري إن المناصح فسي الديمن ه على الله أجرة محسب  
 وجهاد العدو بالفعل والقول على كل صام مكتسب  
 ولكم الرتبة العالية فسي الامم سربن ه مذ كنت إذ تشب الحسب  
 أنت فيها الشجاع ه مالك في الطمطم سربن ه ولا في الشراب يوط خرسب  
 وإذا ما حضرت فالشاعر المفلس سربن فيما ثقوله والخطيب سربب  
 وإذا ما أشرت فالحزم لا ينم سربن إن التديبر منك صرسب  
 لك رأي يفتلسان إن صمصم السرابي ه على حاطي الصليب عليسب  
 فأنهض الآن مسرعا ه فبأ مشمسك ما زال يدرك المطالسب  
 والتي عن رسالة عند نور المسدي سربن ما في القائما ما يرسب  
 قل له دام ملكه ه وعليه سربن من لبار الاقبال بُرد تشيب  
 أيها العادل الذي هسمو المديمن سربن شهاب ه وللجروب شيبسب  
 والذي لم يزل قديما عسبنا الاسم بالقرن منه شبل الكسرب  
 وغدا منه الفروع إذا لاقسبوه ه يوم من الزمان عرسب  
 إن يرم نرف حقد هم فاذ شطسب سربن ان قناه في كل تلب تلبسب  
 غيرنا من يقول ما ليس به سربن ه بفعل ه وفيك المكنسب  
 تد كتبنا اليك ه فأوسع لنا الأ سربن بطاذا عن الكتاب سربب  
 قصدنا أن يكون منا ونكسب سربن أجل في سيرنا مشسرب  
 فلدينا من الصاكر ما خصسب سربن بادناهم الفضاء الرحيسب  
 وعينا أن يستهل علسب الش سربن كان النيوث ما ل صيبسب  
 أو تراشا مثل السروس : تراش سربن كله من دم الصدي ه مشسرب  
 لطنين السيوف في فلق الصبسب سربن على تمام أظلمها تطرسب

\_\_\_\_\_

ولجميع الحشود من كل مساحسين  
ويحول الاله ذاك ه ومسسين فـ  
سدياً نهطل لهم ونه مسسوسوب  
آب ربي فإنه مثل سوب (١)

واجاب طلوع أسامة بن مخدب قسيده رداً على قصيدته الطائفة ه وحرفه على الجهاد صلتها :

هي البدر ه التي الثريا له قسسط  
ومن أجم البوزاء في نحرها مسسسط  
ومنهما :

سلنا بها البيض السيوف فالح يفسه  
سيوف لها في كل درج وجنسية  
ذخرنا سطاها للفرنج ه لانهمسا  
لهم قسطنهم في الحرب منها ه وما لها  
وتد كاتبوا في السليح ه لكن جوابهم  
سطور غيول لا تنب ديارهم  
وحرب لها الأرواح زائقة امسا  
اذا أرسلت فرقا من النخ فاحمسا  
كان القنا فيها أنامل مسسب  
رددنا بها ابن الكثر عنا ه وانما  
فقلوا لنور الدين : ايمن لجائف الم  
وحسم أصول الداء أولى لساقسل  
ندج عنك مهلا للفرنج وهدنسية  
تأمل فكم شرط شرطت عليهم  
وشمر فانا قد أعنا بكل مسسا  
ودونك مجد الدين تدره زفهمسا  
هدايا تهادي بين حسن وفائمسسا  
على أنها تشتط ان هي سا جلسست

وقال قصيدة أرسلها الى أسامة بكتوبة بخط يده :

أيها الضفدي أنت علي البص  
ليبرغيا تأتيه من سمر أغمسا  
فلم هذا نرى مواصلة الكت  
سب تباط اليك مما يلرس

(١) ديوانه ص ٦١ - ٦٥ وانظر الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٩٥

(٢) ديوانه ٨٤ والروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٩٨

ونناجيا بالمهجات إذ أنشدت بالقائما اليك خلوصا  
 وأهم الأور أمر جهاد الكف  
 وأصلهم من سرايا فأهجبا  
 وأباحت ديارهم فأبسطت القيد  
 وانتارنا بزحفنا بره نصور السديس  
 وهوا الآن في أمان من اللبس  
 ما لهذا المهيم مثلك ه مجد السديس  
 كل له : لاعداه رأى ولازا  
 أنت في جسم داه طاغية الكفة  
 فأغتمها لجهاد أجرك ه كسي تلس  
 قى رفيقا له ه ونعم الرئيسة ( ١ )

وأشهد تصيدة في وصف جيوشه وعدتها ومناعتها وأرسلها الى الامير اسامة بن مئذ :

قل لأين منقذ السديس  
 فلذاك تد أضعنى الانس  
 وتريشة عند الظم  
 كالدره والياقوت ميسا  
 لكن يجاور فير أيمسان  
 ما كان ظني أن يعجز  
 كلاءه ولا يشكول حمي  
 كم قد بعثنا نحموك الا  
 مثل الحسان النيسند تا هم  
 بذلت لك المنسوع ثمم  
 وعددت عنهم سا حنين رام  
 ما كان مرسلهم سا ه وحقق  
 هل بذلت لنا مقبلا  
 من أننا نوليك صب  
 ونبيك الأخي ساروان  
 سارت سرايانا القيسند الش  
 تزجي الى الاعداه ج  
 تنضي خفافنا للمفا  
 حتى لقد رام الاعدا  
 وعلى الوعية معش  
 لما نأت عم من يجسيف  
 نهضت اليها خيلنا  
 قد حاز في الفضل الكمس  
 ام على فضائله عيس  
 ينصهم الماء المس  
 سكن البحار ولا الجيس  
 واحاطا ثقبت  
 ثم منه لي المحر الحس  
 رسائل مفي كس  
 شعار مسرة عجب  
 ست في عتاسنهم سا دلا  
 منحتها ملك ابت  
 ست من عتاسنك الوص  
 لك يستحق بهمبا المس  
 الا حين لم تبذل فم  
 را في الجودة واحتم  
 أضحت قصارا أو ط  
 ام ه نمتسف الرمس  
 رد الشيل أتباعا توال  
 ربهما ه وتأتينا ثق  
 دى من ديارهم ارتح  
 لو يمتدوا فيها القم  
 بها يمونا أو شم  
 من مصر تحتسبل الرج

( ١ ) ديوانه من ١٠٣ والروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٦١



والبيضاء لا مفسدة ويبعد  
 عندها كأن لم يسهلوا  
 هذا وفي تل السجود  
 إذ ترزني لبيد  
 واشتاق عمركنسا لبيد  
 وسريسة ابن فريج الطيب  
 سارت الى ارض الخليل  
 فلو أن نور الدين يجسر  
 وسير الأجناس  
 وبقي لبيد  
 لرأيت للأفريسيج  
 وإذا أبتى الأبطال  
 عدنا بتسلم الأمامين  
 في الهند والاسل الفهم  
 في أرضها حيا  
 ل ملائ بالقتل  
 في نحو رثته اشتغ  
 أهلا يحبهم  
 طال بهما  
 فلم تدح فيها  
 عمل فعلنا فيهم  
 را كوي ينازلهم  
 دل درلته بما تد كان  
 في معاقبتها اعتق  
 راحا للنصيحة وأع  
 لبحكم شالقتنا تالسي (١)

وكتب بخط يد مقصيدة الى امامسة :

أيها السافر الجيد الى الشيبان  
 خذ على بلدة بهما دار مجيد  
 وتصرف أخباره واتصراه  
 قل له : أنت نعم فخر الصديق  
 يا ظننا بأن حاله في القسي  
 لا كتاب ولا جواب ولا قسور  
 ل به للقسرين منا عص  
 غير أنا نواهل الكتب أذ تص  
 ذاكرين الفتح المذي فتسبح  
 لم يزل غسنا لهننا لينا وه  
 جاءنا بعد ما ذكرنا في كت  
 أن بصر الاسطول نال من الاف  
 سار في ثلثة وما زال بالل  
 وثقايا الاسطول لبحر المبه  
 فحوى من عكسا وانظر طسور  
 جدي ديوية بهم كانست الاف  
 قيد في وسطهم تقدمهم يه  
 بعد موى جماعة هلكست بال  
 جدي منحة الإله وتمدي يه  
 بلغوا قولنا الى الملك المصا  
 دل ه فهو المرجو والمأمسول

قل له : كم تامل الدين في الكفر ~~بار~~ فاحذر ان ينصب المصلح ~~بول~~  
سراي القدر وواحتسب ذلك في اللبس ~~نه~~ فالسير ~~لك~~ يشفي الشليم ~~س~~  
واذا ما ابدا سيرك فاللبس ~~نه~~ اذا حسبنا ونصم الوكيل ~~ل~~ ( ١ )

وقال اثر وعوة حصلت بين نور الدين محمود بن زنكي وبين قلع ارساذن بن محمود صاحب  
الروادت الى الحرب والتطاحن والتضاضن ، فعند ما بلغ خبرها الى صركتب الابيات هذه الى  
قلع ارساذن ، ينماه عن ذلك :

ويسلم وجه الرأي ، والرأي مهم ~~هم~~  
يوقن لادبر الذي هو ~~أحد~~ ~~هم~~  
وما أحد ما تضي الله يسلم ~~هم~~  
بشيئهم ، وكانت وهي صاب وعلق ~~هم~~  
وفيك من الشحاء نار تضي ~~هم~~  
أما في رعاياكم من الناصر ~~هم~~  
اذا ما نصرنا الدين نحن وأنتم ~~هم~~  
بأمثالها تحون البناد وتشم ~~هم~~ ( ٢ )

نقول ، ولكن أين من يفت ~~هم~~  
وما كل من قام الامور وسام ~~هم~~  
وما أحد في الملك يبقى ~~هم~~  
أمن بعد ما ذاق العدى طعم ~~هم~~  
رجعتكم الى حكم التنافس ~~هم~~  
أما عندكم من يتقي الله ~~هم~~  
تعالوا ، لعل الله ينصر ~~هم~~  
ونمنن نحو الكافرين ~~هم~~

النزاة ، وعرض فيها نور الدين ~~هم~~  
وارسل الى اسامة بن منذ قصيدة ~~هم~~ فيها حال  
قتال الصليبيين :

وتضفي لدى الحرب الموقن ~~هم~~  
وليس سوى سمر الرطام ~~هم~~  
ويوما حمانا ، والانوف ~~هم~~  
وار بنذلت فيه النفوس ~~هم~~  
مضى نصفه حتى اثنى ~~هم~~  
مفاوز وشهد العيش ~~هم~~  
بجنيبه مشبوب من القيد ~~هم~~  
اذا ما اناها المسكر ~~هم~~  
عزيمته جهيد النظم ~~هم~~  
ويسري الى الاعداء ~~هم~~  
عدت عوضا منها الطيور ~~هم~~  
اذا ما هي انقضت ~~هم~~  
تواد منها في جودها ~~هم~~  
نان داليت اعداءها ~~هم~~

الا هكذا في الله تضي ~~هم~~  
وتستنزل الاعداء ~~هم~~  
وتنزي جيوش الكفر في ~~هم~~  
ويوفي الكرام الناذرون ~~هم~~  
نذرتنا صير الجيش في ~~هم~~  
بختناه من مصر الى الشام ~~هم~~  
وناهيت من ارض الجفار ~~هم~~  
وصارت عيون الماء ~~هم~~  
عما دنا له بعد الديار ~~هم~~  
يهجر والصفسور في ~~هم~~  
اذا ما طوى الرايات ~~هم~~  
تباري شيولا ما تزال ~~هم~~  
نان طابت مصرنا ~~هم~~  
هي الدهم الوانا ، وصبح ~~هم~~

( ١ ) ديوانه من ١٢٨ والروغتين ج ١ ص ٢٩٦  
( ٢ ) ديوانه من ١٣٢ ، الكامل ٣١٨ / ١١

تصاحبها علما بأن سوف نفتتسيدي  
 كما أن وحش القفر ما زال منهم  
 خيول إذا ما فارتت صر تبتضي  
 يسير بها خرطوم في كل مسأرتي  
 ورفقتعين الزمان وماتت  
 ضى ظاهر الاثواب من كل ربيبة  
 هنيئا له ، يعقى الرحيق اذا غسدت  
 ولو أننا نيكى على فقد نالنا  
 ولكننا بمننا الاله نفوسنا  
 تهون علينا أن تصاب نفوسنا  
 وما خام اذ لاقى همام وصنوه  
 (وبرتية) شاموا السيوف ه فام تمسش  
 وأثناء جند لو توجه جمعهم  
 وجمع ما ليك بأعمالنا اقتسدوا  
 (وسنبر) قد شادوا المصالي بفعلهم  
 و (تعلمة) أضحوا بنا قد تأسدوا  
 وان (جذاما) لم يزل قطضهم  
 جيوش أفدناها اعتزما ونجسدة  
 اذا ما أثاروا الفزع فالشعر عابس  
 ولما وطوا أرض الشام تحالفت  
 وراجهم جمع الفرنجة يعطسنة  
 فلقوهم زرت الامسنة ، وانطسوا  
 وما زالت الحرب العوان أشدهما  
 يشبههم من لاج جمعهم لسه  
 وخسنة أن لم يبق في القوم فارس  
 وطادوا الى مل السيوف فقطست  
 فلبين منهم يوم ذلك مخبئ  
 كذ لك ما يفتك تهدي الى السدي  
 وتسرى لهم آراونا وجيوشنا  
 فتكلمهم بالبرأي طورا ، وتسارة  
 وما السازم المحمود الا الذي يسرى  
 وقد غرق الكفار منه بقطسرة  
 فكيف اذا مات عليهم سيولنا  
 وما نحريا لاسلام للشرك هسازم  
 فقولوا لنور الدين : لا فل حسده  
 تجهز الى أرض السدو ، ولا تمسن  
 فدا مقلها تهدي احتفالا به ه ولا

بها ، ولها في الكافرين مطاعهم  
 مدى الدهر أعراش لهم هولا  
 عدى ه فلها النصر المبين مسانم  
 وما يصحب الضرعان الا الضراعضهم  
 ويحيى ه وان لاقى المنية حاتمهم  
 شهيدا كما تمضي السراة الاكسارم  
 تحيية في الخلد الحسان النواعسهم  
 لقلت له بنا الدروع المواجههم  
 ورحنا هوط منا على البيوع نسادم  
 اذا لم تصينا في الحياة الماتسهم  
 عشية أصوات الرجال هطاسهم  
 ابارقتها في ساحة الشام شائسهم  
 لروية ، قالت عليها المقاسسهم  
 فكلمهم بالبطعن ه والضرب عالمهم  
 وليس لهم الا الصوابي دكسهم  
 فما لهم في المشركين مقسادم  
 قديما لمخيل الكفر بالشام جسادم  
 فظاعنا منهم ه ومنا المزائسهم  
 وان جردوا الامياف فالشعر باسمهم  
 فأنصت جعها عريها والا عاجسهم  
 تهون على الشجيان منها المزائسهم  
 عليهم ه فلم ينجم من الكفر ناجسهم  
 اذا ما تاتى السكر المتصسادم  
 بلجة بحر ه بوجها مقلاطسهم  
 من البشير الا وهو للريح حاطسهم  
 رويس ه وحزت للفرنج غلاصسهم  
 ولا قيل : هذا وحده اليوم سالسهم  
 وللوحش أعراش لهم وماتسهم  
 بداهية تبييض منها المقسادم  
 تدوسهم منا المذاكي المصسادم  
 من السزم في أحواله ه وهو حسازم  
 سحاب انتقام عندنا متراكسهم  
 وجاست لنا تلك البجار الضسارم  
 ولكننا الايمان للكفر هسادم  
 ولا حكمت فيه اللياسي النواشسهم  
 وتظهر فتورا ان مضت منك حسارم  
 تسار عليها لاملوك الأباشسهم

علمنا يقينا انه لك راحب  
 بانك قد لا تيمت ما الله حاتم  
 وحلت بها تلك الدواهي المظالم  
 فعبقت سبانيا ، وأسحلت محاسن  
 ومن يحتويه انه لك عسى  
 المهم ، فشكر الله للدليل  
 ونحلف بجمدا أننا لانعالم  
 ولهم ينحسي القوم منها الهزائم  
 اليهم ، فلا حين لهم منه عاصم  
 وتحوى الأسارى منهم والشنائع  
 نفاخر أملاك الوري ونقبس  
 وطاقتنا ، والله معط وحسن  
 تزيّن أعمال الرجال الخواتم ( ١ )

فمعدك من اللطاف ربك ما يسر  
 أعادك حيا بعد ان زعم السورى  
 بوقت أصاب الارض ما قد أصابها  
 وخيم جيش الكفر في أرض شمس  
 وقد كان تاريخ الشام وهلك  
 نعم ، واشكر الله الكرم بمنه  
 فنحن على ما قد عهدت : نروعهم  
 وثارنا ليست تخر عنهم  
 وأسفلنا أضغاث ما كان سائرا  
 ونرجو بان نحتاج باقيهم  
 على أننا نلنا من المجد ما يسر  
 ولكننا نهني المثوبة جهدا  
 وننتم بالحسنى الفعال ، وانصبا

وكتب الى أسامة بن مقلد في وصف غزو جيوشه للفرنج

يا سيداً يسمو بهم	ته الى الرتب الصليب
فبئال منها حين يحسب	م غيره أوفى مزب
أنت الصديق وإن يمسد	ت وأصاحب الضيم الرضيم
يهنيك أن جيوشنا	فعلت فمال الجاشييت
سارت الى الأعداء	أبطالها ما ثنا مرسم
فتنير هذى بكفرة	وتعاود الاخرى عشيت
فالويل منها للفرنج	ج فقد لقوا جهدا البليست
جاءت برؤوسهم تلسو	م على رؤوس السموم
ويداع قد قسمت	بين الجنود على السويست
وخلافتي كثرت من الامم	رى تقار الى المنيست
فأنهض ، فقد أنيبت	سد الدين بالجال الجليست
ألم ينور الديين وأعلم	م بهاتوك القديست
فهو الذي ما زال يخلص	م منه أفعالا ونبيست
ويبيد جمع الكفر بالي	م الرقاق المشرفيست
فصاه ينهز نهضت	م يفتي بها تلك البقيست
أط لشيرة دينيست	م أو ملكه أو للحميست ( ٢ )

( ١ ) ديوانه ص ١٢٥ وانظر الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٨٩

( ٢ ) ديوانه ص ١٧٢ والروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٩٠

قال حين سمع تاويل مقام بإعلان الخلافة السياسية بمصر تصيدة فيها :

بها سيف دين الله بالحق، ~~موسى~~  
 تقاصر عنها السهري المقتضى ~~سيف~~  
 بسوا من الآراء تحيي وتلك ~~سيف~~  
 ونابت نائب الروح والريح يرعى ~~سيف~~  
 الى كل قلب من عداك يزعم ~~سيف~~  
 وكادت بين يديها المشارق ترجى ~~سيف~~  
 اليك به حور الرقاب توجى ~~سيف~~  
 من الذرأه ناسخى لهن الحق ~~سيف~~  
 يسافى التقى والمدين منهم ويأتم ~~سيف~~  
 أغر غريب بالكاره يشغى ~~سيف~~  
 تتيه على كل البلاد وتشغى ~~سيف~~  
 وكانت الى عياقه تتشغى ~~سيف~~  
 وغلصها من صبغة الرقز، ~~يوسى~~ ( ١ )

لتبتهك يا مولى الأنام بشارة  
 نبرمت بها هام الأعدى بهتت  
 بنمت الى شرة البلاد وفرمى ~~سيف~~  
 ثقات مقام السيف والسيف قاطس ~~سيف~~  
 وقدت لها جيشا من الروح ~~سيف~~  
 ملكت به أفسى المنارب عن ~~سيف~~  
 ايمنك يا مولاي فتحتا تتاب ~~سيف~~  
 أخذت به سرا وقد حال دونهم ~~سيف~~  
 وقد دعت فيها المنابر عسى ~~سيف~~  
 فطهرنا من كل شره وبدع ~~سيف~~  
 فعادت بحمد الله بأسم ~~سيف~~  
 ولا غرو أن دانت ليومنا ~~سيف~~  
 تملكها من قبضة الكثر ~~سيف~~

قال المهذب بن الزبير يمدح طلائع بن رزيق بقصيدة : منها :

مغائفة أن يحطمها حبينسنا  
يدق بها الكواهل والمتونسنا  
وتوصف بالظما ، بحرا معينسنا  
نحاطا من دروع الدار عينسنا  
وقد شربت دماء الكافر نسنا  
حسبت نضالها تلكا لميونسنا  
صنائع في السفاة المبتدي نسنا  
وأقسام أقر به عيسونا ( )

وما أضطربت رماح الغنمنا  
وما تندت يوم الروح حمسنا  
عجبت لها تصافح من يد يسنا  
ويوردها ولا يغفل بسراي  
وهل يغشى لها أبدا غليسنا  
إذا لقيت عيون الروم زرقسنا  
وتأفح في العداة له تيسنا  
وأرقام به أبكى عيونسنا

وقال فيه أيضا : يصف أسطوله ونسوته على الروم سنة ٥٥٣ :

أن القلوب موافد النسيميران ؟  
حتى تصير كسر السلسناسان  
عن توطئ الماضين من غمسناسان  
قد ما فصل عن حادات الجيسمولان  
فأسند روايتها الى عسناسان

أعلمت حين تجاور الحيسناسان  
يا كاسر الاغنام قم فأنهض بنسنا  
فالشام ملكك قد ورثت تراثسنا  
فاذا شككت بأنها أوطانسنا  
أورمت أن تتلو محاسن ذكرهسنا

ومنها في وصف الزلزلة :

يقالوب أتلبيها من الشفتسناسان  
أوتيت من ملك ومن سلطسناسان  
لسانك يمسجد شاق البنيبسناسان  
كالأسد عسرين تتحول في خفسناسان  
أن البطار تحل في غمسناسان  
جرداء مغاية من المكسناسان  
يعصرون تحت كواكب المخرصسناسان  
هو في العديد ورمله سوسناسان  
يسطاك بعد المزداد شمسناسان  
وشم لك الضيفان بالذيفسناسان  
بصوارم سلت من الاجفسناسان  
مشبا شراب صادق وطسناسان

ما زلزلت أرض العدا بل ذاك مسنا  
وأقول إن حصونهم سجدت لمسنا  
والناس أجدر بالسجود اذا غمسنا  
ولقد بدت الى الفرنج كتابسنا  
لبسوا الدرر ولم تحل من قبلهسنا  
وتيمموا أرض المدو يقفسنا  
عشرين يوما في المقار وليلسنا  
حتى اذا قطموا الجفار بجفسنا  
أغريتهم بحص العدا فجسنا  
عجلت في تلك المجدول قراهسنا  
لما أبوا ما في الجفان قريتسنا  
وثلثت في يوم السرير عروشسنا

( ١ ) الخريدة تسم شعراء مصر ج ١ ص ٢٠٥

منه ومن دمهم منا يحسب  
في يوم عرسهم من الأقبان  
مدين تجارب بالنجوع القاني  
كشفاثة، نثرت على الريحان

وظفت عليه مناهت البرجسان  
لم يأت في عين من الأقبان  
من فتكها ولها الصداة شوانسي  
وفسفن غفل كواسر المقبيسان  
فيها الأنا عوجاً من الأقطان  
أسراهم سلولة ، الأذتمسان  
في كل يكر عندهم وعسيران  
شسبان كي يتانم الشمشيسان  
الشام وهو عليكما تسميسان

وجعته من أقرب الأخبسان  
ما لم يكن ليعد في الأكمسان  
لوا عتا في النبي والشيسان  
مر الجني بيدو على السيسان  
وكان فوق الريح نعدا ثانسيسان  
أوشى برتبه على كيميسان  
أرك أقراط من الخرسيسان  
تد خطه يكلها على الثرسيسان  
والسيل يهدم ثابت الأركيسان (١)

الجاتهم للبحر لما أن جبري  
مدح الوري بالياس إذ خضبوا الظبسا  
ولانت تخضب كل بحر زاخسر  
حتى توي دمهم وخضرة ما فسه

ونبها في وصف الأسطول ؟

وكان بحر الروم خلق وجهه  
ولقد أتى الأسطول حين غزا بمسا  
أحب الي بها شوانسي أصحبت  
شيهن بالشران في الوانسي  
أوترتها عدد الثمان فقد غسدت  
فأنتك دوترة يسبي بينسي  
حرب عوان حكمتك من السيسان  
وأنتد رميل ابن القسيم اليه نسي  
والقال يشهد بأسمه أن سوف ينسدو

ونبها في مدح نور الدين ووصف قتله للبرنس :

وأراك من بعد الشهيد أبا السيسان  
وتو الذي ما زال يفصل في السيسان  
قتل البرنس ومن عناه أعانسيسان  
وأرى البرية حين عاد برانسيسان  
وتعجبوا من زرقة في طرسيسان  
فليهنه أن فاز من سييسان  
قد صاع من أرباحه لهما من الاميسان  
والخيل تعلم في الترمية أنسيسان  
عجبا لجود يديه إذ بيني السيسان

(١) الخريدة ، قسم شعراء مصر ، ج ١ ص ٢١٠ ، وأندلس الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٢٢٥

قال يمدح الامير معين الدين انرا الطفتكى ه وقد وجه يستنجد بالافرنج :

وقد حجبوا عني قسي الحواجيب  
توكلت عني برعسي الكواكيب  
ولا رايح للميشر عني بايسيب  
فهيبت الوسواس عني قلب نسيب  
ومثل حاجر يكي اسي ه مثل غائب  
ريبي ه ومن ذاك التراب ترابسي  
اذا صاح بي : عنى على الدار صاحسي  
تشر عني عنها صروف النوايب  
اذا ما بكت فيها عيسون السحاب  
سوف سين الدين بين الكئاب  
كان نايه الضرب ضربت لارب  
وحلته درج على غير مساب  
وفيما سواها ه زاندا غير راغب  
كتر سانه ه ما الاسد مثل الثاليب  
مودة ابطاله للمصائب  
راحهم في كل ماش وراكيب  
فما غير ابطال وغير جنائب ( ١ )

تخاف ضمني بعد بعد الحبايب  
وذ افلت تلك الكواكب لم تنزل  
فما آيب للمهم عيني برائب  
وناد بة ناحيت سحيرا بايكيب  
تنوح على عيني ه انوح لمثلب  
بواد ه بوادي الخوطين ه ربوعكم  
يزيد احتراقي واشتياقي اليك  
واهوى عواها من ريساى انوقيب  
تظل تنور الاقحوان واكسبا  
كان لبعق البرق في جنبايب  
فتى لم يند حتى تعفر ترنيب  
حشيتة من على ظهر سايب  
غدا في المحالي راغبا غير زانيب  
يظن صلاح الدين فرسان جلسك  
غدا تطلع الشام الفرنج بفيلك  
رجال اذا قام الصليب تصابيب  
لها الليل نوح ه والاسنة انجيب

وقال يمدح الامير مجد الدين ابق بن محمد بن يوز بن طفتكسين :

بنسبها ه وبذكرى سعدى ه مسعدى  
شيل تنوح الى الطعان وتنتسدى  
عن كل شطري ه وكل مهنتسدى  
ذالك الحديث عن المنزال الاغيمدى  
لذن كشوط الهانمة المتسدى  
روحي فداه ه من قميم مقسدى  
الف الربيع بروضة الحسن النسدى  
من عنبر ه وشاره من عسدى  
شنيك عن شدو الشريف وميسدى

عن على نجد لملك منجسدى  
بدوية الالفاظ دون خبايب  
قد كان يخني لحظها وقواميب  
ياسائلي ه ام دمع عيني سائيب  
من لي بمصول لثنايا عذيب  
ابدا هواه لي قميم مقسدى  
واقدر نسمت بوصله في نسيب  
ازناره من جوهر ه ونسبميسدى  
وعلى النصوص من الحمايم قينسدى

( ١ ) ديوانه صفحة ٥ ٦٧



برد جنته الريح غير محمص  
 حتى تراه أجعدا كالهبوط  
 أبق الهطام الماجد بين محمص  
 وحلت مناقبه فويق الفرق  
 شمره تحلت من بروج الاستبد  
 الا انطوى جيش العدو المحتصد  
 والخيل مثل السيل عند المشم  
 ومن الجياد بكل نهد الهبوط  
 ومن السحاب بكل نق أسود  
 وعضا بحد من شربة أحمص  
 مثل الشيا فسي النوى طلوع السيد  
 في ذا الزمان ، وعنده لم يكصد  
 والسيد بين السيد بن السيد  
 والعلم ، لا تورث عيون الحصد  
 فيها الذي هناك غير مخلص  
 بعد الكرى شدنية فسي غدثسيد (١)

والداء في بردى كان حيا بسسه  
 بينا تراه كالسجنجل ساكنسا  
 وكانما أنفاس ريشاه تنسا  
 ملك تشرفت المنابر باسمسه  
 وعلى الأسرة من أسرة وجهسه  
 ما نضرت رايانه يوم الوغسه  
 من قاتل الافرنج دينا غسه  
 رد الامان بكل ندب باسه  
 ومن اسيرف بكل غضب ابيه  
 حتى كون الاسلام تحت لوائسه  
 طلق الحيا واضح فتهلسه  
 كسند القريض وكان قدما ناقسا  
 أمبير دين الله ، وابن جماله  
 كم حاسد لك في الشجاعة والسيد  
 أضحت دمشق بحسن وجهك جنسه  
 لا زلت لادامم عضدا ما سسرت

وقال يدهج الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايسوب :

وأمري من بفاك ولن أصيد  
 وعيناي البداح والمهيد  
 اذا ما تلت الاشمين سوادا  
 تملكت غوهها مني القصيد  
 تشقى في غارتها ومصيد  
 وشعر لم يزد إلا سوادا  
 ومن برد السلو وقد تصيد  
 باب ، ومن جماد في جميد  
 فاز سيدى أريد ولا سويد  
 اذا ما يوصف بالجمال جميد  
 وللأموال لم يبرح فصيد  
 جواد لم يهيب الا الجميد  
 وعند سواه قد ماتت كصيد

الام الأم فيك وكم أصيد  
 لقد ألف الضنى والسقم جسمي  
 وها أنا قد وهى صبري ، وشوقتي  
 بقلبي ذات خلخال وقلبي  
 مهفهفة كأن قديب بسيد  
 بوجه لم يزد إلا بياض  
 تعجب عاذلي من حر جسمي  
 ولا عجب اذا ما أب جسمي  
 وتد انساني الشيب الشوانبي  
 وهل أخشى من الأنواء بشيد  
 فنى للدين لم يبرح صلاح  
 هو المصروف بالمصروف ختيد  
 به الأعمار قد عاشت نفاثيد

(١) ديوانه صفحة ٢٤ - ٢٦ الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤٠

وما يهوى زيدا أو زينا  
فإن الله أعطاه اليأس  
وقد جاءكم بصر تمهيد  
يصيد المعتدين ولن يصيب  
وراء لوائه تلقوا رشدا  
وما مؤنا كمن صلى فسرادي (١)

يحب الخمسة الأدهاج ديننا  
لئن أعطانور الدين حصنا  
إلى كم ذا التواني في دمشق  
عروء بعلها أسد هصص  
إلا يا محشر الاجناد سبيروا  
وما كل أمرى صلى مع النسبنا

وقال يمدح صلاح الدين الأيوبي ، وقد وعده بألف دينار إن ملك مصر :

يا ألف مولاي أين الألف ديننا  
وما تفي بجنة الفردوس بالنسبنا  
من يضر ما خلف الطاغى أبو الصبار  
عتقا ثقلا كأعدائى وأطمبارى (٢)

قل للمصالح ، صيني عند اعسارى  
أخفى من الأسران حاولت أرضكم  
فجدد بها عاضد يات مسطرسرة  
جدرا كاسيا فكم ، فراقه كهيالكس

وكتب الى صلاح الدين من قصيدة :

زمانا على الحرّ الكريم يهوى  
بها ، في يدي ، قبل الممات تصير  
سياج ، قتل دونه وأسسير  
بمصر ، وانى في دمشق فقسير (٣)

إليك صلاح الدين مولاي اشتكسي  
تري أبصر الألف التي كنت وأعسدي  
وهيبات والآخرى بيني وبينكس  
ومن عجب الأيام انك ذو غسني

- ( ١ ) ديوانه صفحة ٣٠ - ٣٢ والروضتين ج ١ ق ٢ ص ٢٩٤ وعقد الجمان ج ١ ق ٢ ورثه :
- ( ٢ ) ديوانه صفحة ٤٩ - ٥٠ والروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٤٩ والخريدة قسم شعراء الضمائم ج ١ / ١٧٨
- ( ٣ ) ديوانه ٥٠ والروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٤٩ والخريدة قسم شعراء الشام ١ / ٢٠٨

قال يمدح شاور بعد أن رحل شيركوه عن بلبيس وواد الفرخ الذين ساعدوا شاور إلى ديارهم:

فلله من ظفر فلكت ونسب  
أقمت بها للقوم سور، غم  
مضارها في الصخر غير نوابس  
ودارت رجاها منهمهم ضراب  
ثيابا لهم، ما بدلتا بتوسبات  
ومين مصيب خصمه ومصبات (١)

وأخذت من مصر عدوا بمناسبه  
صدت جوع الكفر والشام صد  
وتد جودت أجناد مصر عزائمها  
تولوا عن الأفرنج فادع ثقلهم  
أقامت دروع الجند تسعين ليلته  
وهميين مطوي هناك وطسارج

وقال يمدح طلحة بن رزيق من تصيدة:

ديارهم لم ينجمم ملك، مهم  
فجاءت بالأسد الشون تتفلسب  
ومن بعض، ما أهدوا حجن وقتسب  
بسيك يا سيف المهدي سوغ يسلب (٢)

تيقت الأفرنج أنك إن تسرد  
وغافك إن لم تحلبها الأمن منحمسا  
وأهدوا رجال السام آله حرمهم  
وذلك قال صادق أن عزهم

وقال يمدح صلاح الدين سنة ٥٦٥ هـ:

ما كان من نسو بني أيسوب  
حسبي، غانتم غاية المطلسوب  
عز القوي وث لقا امفلسوب  
لو لم يجلوها أنت بكسروب  
عتاؤهم من نازج وترسب  
وهم اللباب، غانت غير لبيسب (٣)

من شاكركه والله أعظم شاكسر  
طلب المهدي نصرا، فقال، وقد أتوا  
جلبوا إلى دوا طعند حصارهم  
وجلوا عن الأمان نيبها كرسنة  
فالناس في أطل مصر كلهم  
إن لم تظن الناس تشرا فارغسا

وقال يمدح صالح الدين سنة ٥٦٤ هـ:

أطابه، ملك التقى والصصالح  
ما كان من وجه الليالي القيسالح  
ذكر أعدا عنه جهيسالح وراح

ملك صلاح الدين، لا قوضت  
سيرة عدل حسنت عند نسبت  
سافر في الدنيا وأتظار نسبت

(١) الروضتين ج ٢ ص ٢٣٧

(٢) النكت العصرية ص ١٧٦

(٣) الروضتين ج ٢ ص ٢٣٧ وأتظار عقد الجمان ج ١ ص ٣ ورته ٤٥٧



تتممها في ذمة البيض والمصم  
وملتجماً أجزالتهانة والزجبر  
أرجي بها نيل الثوبة والأجبر  
ولي سنوات منذ ثبت عن الشخص  
مترنة بالنهي منك وبالا  
وملتاكم لي بالطراقة والبش  
(١)

وما بقيت في الشرك الا بقيت  
وتند تمام الملك آتي منه  
ولولا اعتقادي أن مدحة قرينة  
لما قلت شعرا بعد اعطاء خطبتي  
فاوصي بين الايام خيراً ه فانهم  
وجائزتي تسهيل إذني عليك

وقال يمدح صلاح الدين أيضاً سنة ٥٦٦ و يذكر غزوه للداروم بتسيدة منها :

تظلمت منه ان يرقوا ويشفقوا  
جهارا ه وطرف الشرك خزيان مطر  
يفيض إناء البر منه ويفهم  
طرائق من شوك القنابل تطم  
تأنوا على تحصينها وتأنقوا  
بوادره سور عليهم وخشيت  
يمر به طيف الخيال فيغش  
خليل ه فأبشره أنت غاز مؤمن  
يطول بها منه اليك الشمس  
تطيب على قلب الهدى عين تشفق  
قربيا ه والا رائد ومطم  
فما بعد مباب من الشام مثل  
(٢)

لمن بني أيوب أن علوا بمسا  
فزوا مقر دار المشركين بفخر  
وزاروا صلى عسقلان بأرع  
وكانت على ما شاهد النار قبلكم  
وط عصمتهم منك الا معاقب  
ليت لهم سورة العرب ط التقى  
وأخريت من أعطاهم كل عام  
أنفت الى أجزالجهاد زينة  
وهيجت للبيت المقدس الوع  
تشتت من مملتك أعظم نفح  
وغزوك هذا سلم نحو فتح  
عو البيت ه ان تشتحه ه والله فاعسل

وقال يروي الدولة الفاطمية بتسيدة أولها :

وجيده بعد حلي الحسن بالنط

رويت يا دهر كفت المجد بالشامل

ومنها :

لنا المامة ان تصرت في عد  
عليها ه لا على صين والجم  
فيكم قروني ه ولا جرحي بمن  
في نسل آل أمير المؤمنين علم  
ملكتم بين حكم السبي والنفس  
(٣)

يا غاذلي في نوى ابناء فاطمة  
يا لله زر ساحة القصرين وأبك معسي  
وتل لا تلها ه والله ط التحم  
بأذا ترى كانت الإفرنج فاعلم  
هل كان في الامر شيء غير قسمة

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤١٢ وانظر الكتب المصرية ٢٦٩ - ٢٧١ والكامل ١١ / ٣٠٠  
(٢) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤١١ (٣) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٥٢٠

وقال يمدح طلال بن رزيق من قيسية :

ولما تشكى الحوف حيفا على المهدي  
نهدت الى الافرنج تزجي كتابها  
فولوا وقد ابقيت عليهم نفوسهم  
واتبعتهم ركناً على كل سابع  
جيات اذا جردتها يسوم شارة

وكاد المهوى يسفلو عليه  
تغل بها أذنانهم وتشمس  
مباسب خالت ذونهم ور  
اذا الريح كلفت لم يصبه كس  
فليس لها غير الوشيق ظم  
(١)

وقال يمدح أمير الجيوش شاورا عند رجوعه من حصار بلبيس ، والافرنج صحبته :

وتداركت بلبيس ملك عواطف  
أقسمت لولا حسن رأيك لأخذى الناقد  
بلد لو أنهدمت قواعد سورة

بيع المزمان وأدله فخران  
ورفي بلبيس وهو أفانهم  
بيد الضاري لم يعد بنيانها  
(٢)

(١) النكت المصرية ص ٣٠٧

(٢) النكت المصرية ص ٣٦٩

قال يمدح صالح الدين عند وصوله الى دمشق وملكها سنة ٥٧٠ بتصيدة أولها :

تكن لأشرفنا هذا النصر مرتبنا

قد جاءك السند والتوفيق وأصلحنا

ونحنها :

أدنى فرسته الأيام إن ونمنا  
فجنتها عامراً منها الذي غرنا  
وأزيع الخلق من أوطانها غرنا  
أعدت من عدلها ما كان تد فمنا  
سبيله ه وأهان الكفر والسلبنا  
بيوشه ه كان فيه البغض اللجبنا  
غالقة ه وفؤاد تطط وجبنا  
زهذا ويستصغر الدنيا إذا ودبنا  
أصارهم مثلاً في الأرض قد غرنا  
آثاره وضت آياته حجبنا

الله أنت صالح الدين من أسسنا  
رأيت جلق تنرا لا نظير لسننا  
نادتاه يا اذل اما قل نا عرنا  
أحييتها مثل ما أحييت مصر قسنا  
هذا الذي نصر الاسلام فأتصحت  
ويوم شاوره والايان تد غرنا  
أبت لنا نصيم ندمرة ويسنا  
يحتدبر الحدح يتلى في بكارمنا  
ويوم دما طوالا سكندرية قسنا  
والشام او لم يدارك أهله اندرسنا

ونحنها :

وهو الحسام ولكن لا يقال نيمنا  
وهو الزمام ولكن لا يقال غبنا  
نأتعد بلوكه شرسان ودح حلبنا ( ١ )

وهو الجواد ولكن لا يقال كيمنا  
وهو الهزبر ولكن لا يقال طفسنا  
فأنت أمكندر الدنيا ووارثنا

( ١ ) الخريدة قسم الشام ( ١ / ٢٤١ ) ه الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٢٠٦  
وعقد الجمان ج ١ ق ٣ ورته ٥٧٠

قال يحدح صاحب بصرى بتعبدة أولهما :

خال الصريم لواصل في آراسه

ونشها في الصدح :

أسد ولكن من براثن كفسه  
 لو لم يكن أحد الضراغم لم يكن  
 سائل به يوم الظليل فأنسه  
 ان جاءه جيش الفرج منظمه  
 وغدا يحدث في الحجام كفره  
 ولعبارض التدمر فيم هوتسه  
 كم يحفل للشرك دم بصريه  
 فينور شمس الدين قد كسفت من السم  
 فالليت في سريره والشيبه  
 ماء الناي والمضى في كفسه  
 حاز الباخر والنهي في مهسه  
 للربعية والندی في عداغه  
 وتهز عظميه البدائع هسه  
 يخنيك في العام الجديب بجوده  
 كرم غدا هذا الزمان لك لذي

وغزاله لتيم بيخامسه

بين الظبا والسمر من آجامسه  
 كسر الكماة الشوس من الهامسه  
 يوم تجلى عنه من أيا صمسه  
 غصبا اليه فحل عقد نظامسه  
 باليار والسطوات عن ستمسه  
 سلبت ملكهم لذ يدك نظامسه  
 فأحل صدر الرمح صدر نظامسه  
 كثر المرفوع طائفات نظامسه  
 من بنائه والكيدر تحت نظامسه  
 ببارء وغور الطروس من أظامسه  
 وسدا الي العلياء قبل غظامسه  
 فعل يقتصر منه فعل مرامسه  
 كمواسل المزان يوم زحامسه  
 عن تيم أبخره وجود غظامسه  
 أمل يروض به نفوس كرامسه ( ١ )

( ١ ) الخريدة قسم الشام ج ١ ص ٢٣٥



أنشد الملك الناصر صلاح الدين قصيدة منها :

سِرْتُقُ فَتَقَى هَذَا الْمَلِكُ مِنْ كَيْسِهِ  
 وَيَجْرِعُ بِالْبُورِ جَنَابَ قَبْسِهِ  
 فَلَا تَقْبَلُ لَهُمْ هَا عَشْتَا هَا عَشْتَا  
 هُمْ حَسَدُوا عَلَيْكَ بِكَيْسِهِ  
 وَجِيشًا طَدَدْتَ عَلَى أَغْسِيهِ  
 بِأَرْعَنَ مَثَلِ رَعْنِ الْمَلُودِ مَجْسَرِ  
 شَيْخِينَ حَوْفًا تَرْضَى الْبَيْضَ عَمْسِهِ  
 تَكَرَّرَ عَلَى الصَّقُورِ بِهِ أَمْسِيهِ  
 كَانَ نَارًا تَمْتَلِئُ عَلَيْهِمْ لَيْسِيهِ  
 فَلَمَّا أَتَدَمُوا لِلطَّعْنِ وَلَيْسِيهِ  
 ظَفَرْتَ أَيْهَا الْمَلْفَرُ بِالْأَعْسِيهِ  
 وَكَانُوا كَالْحَدِيدِ هَا نَحِينُ أَسْمِيهِ  
 أَعَابُوا بِالْمِزْمِيهِ تَحِينُ وَلَيْسِيهِ  
 فِدَاةَ هَزَمْتَهُمْ فَلَوْوَا وَقَالَيْسِيهِ

ومنها :

وَمَا شَمَعْتَ تَنْوِيرَ الشَّمْسِ إِلَّا  
 فَأَوْجَهُمْ كَوَاكِبِهِمُ بِاللَّهِ رَأَى  
 صَحْبُهُ بِالْمَوَاسِمِ كُلِّ شَمْسِيهِ  
 أَلْزَمَتْ عَنْهُ عَادِيَةَ الْأَعْسِيهِ  
 وَعَلِمَتْ فَالْعَذَابُ بِكُمْ نَمْسِيهِ  
 مَيْشَكَرَ عِنْمَكُمْ عَيْسُهُ رَجْسِيهِ

تَوَاضَعُ هَا لِلرُّؤُوسِ بِهَا أَنْقَضِيهِ  
 لَهُمْ عَنِ نَسْبَةِ الدِّينِ أَجْتَنْسِيهِ  
 وَإِنْ خَضَعُوا لَدَيْكَ وَإِنْ أَنَا بِسِيهِ  
 عَنَابُ هَا بِالضَّلَالِ لَهَا ائْتَسِيهِ  
 صَالِحِ الدِّينِ هَا عَاجِلُهُ الْجَسِيهِ  
 فَتَضَيَّقُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ الرَّعْسِيهِ  
 إِذَا زَارَتْ ضِرَافُهُ الْفَضْلِيهِ  
 عَلَيْهَا الْقَنَا الْخَطِيئِيهِ قَسِيهِ  
 إِذَا بَالَمْتَ شَمُوسَهُمْ غَيْبِيهِ  
 وَلَمَّا أَيْقَنُوا بِالنَّجْمِ خَابِيهِ  
 وَنَلَّلَ مِنْهُمْ ظَفَرَ وَنَمْسِيهِ  
 صَالِحِ الدِّينِ هَا نَارَ حَطَاكَ ذَابِيهِ  
 وَلَوْ وَقَفُوا الْفِدَاةَ لَمَّا أَصَابِيهِ  
 فَجِيئْتَنَا الْعَسَاةُ وَالْإِيْمِيهِ

وَمِنْهَا مِنْ مَنَّا سَنَكُمُ رَشِيهِ  
 وَأَيْدِيَكُمْ مَشَارِبَهَا الصَّبِيهِ  
 بِذِي لَا يَقُولُ لَهُ ذِيهِ  
 كَمَا ظَارَتْ مِنَ الرِّيحِ الذَّبِيهِ  
 وَسَلَّمَتْ فَالْعَصِيمُ بِكُمْ عَسِيهِ  
 لَهُمْ فَيْكُمْ دَعَاً مَسْتَجْسِيهِ ( ١ )

وأنشد في مجلده السلطان صلاح الدين يحرضه على الوحدة والجهاد ضد الأعداء سنة ٥٧١ هـ بقصيدة طويلة أولها :

لَا يَقْمَدُكَ مَا حَلَّوَا وَمَا عَقَسُوا  
 كَمْ يَخْدَعُونَ بِرُوقَا مَا بِهَا مَلَسُوا  
 وَالْقَوْمُ قَدْ تَمَدُّوَا عَمَّا نَهَضْتَ بِسَسِهِ  
 فَلَا تِيَابَ الْجَسَالِي فَوْقَهُمْ جَسَسُوا

هَمُّ الذَّنَابِ هَا وَأَنْتَ الضَّيْمُ الْأَسِيدُ  
 وَيَقْسِفُونَ رَعُودًا مَا بِهَا بِسَسِيدُ  
 مِنَ الْمَدَادِ هَا فَلَا قَامُوا وَلَا تَمَسِيدُوا  
 وَلَا طَرِيقَ الْأُمَانِي نَحْوَهُمْ جَسَسِيدُ

( ١ ) الخريدة هـ تسم شعراء الشام ٤٢٦/١

أيامك تخفل عنهم مثل ما فقلسوا  
 ماذا الكرى يا شيخ الدين عمن أرق  
 ولهان ترمز نار في جوانحه  
 لا يستطيع اعتداء فهو مرتبب  
 خيب السعي لا يعتاده ظفسي  
 فكيف يرقع خوفا وهو يتسرع  
 لما رآك وتد أقبلت تقد مهيبا  
 ألقى الملاح وما غلت ظبي قسيب  
 وراج من بعد ذلك الجمع مفردا  
 يطوى الخزون فيطويه وينشبهه  
 وفي شبهه الذي أعدهت فلم يسل  
 وحول عزل لو أنهم قسيبوا  
 خانوا فخانوا ه وط خانوا الذي طلبوا  
 لما دعوا أجبت القوم في لسيب  
 حتى اذا ما رأوا في الدرع منك فستى  
 سدوا وما عطفوا ه ألوا وما وقفوا  
 فرقتهم فرقا فأستحلوا فرقتنا  
 سعدت ما شبعوا ه قطعت ما وسلسوا  
 حقت لهم دماء لو تراق جسر  
 عنت من قتلهم يوم الوض فنجسوا  
 لهم عبيد إن لانوا وإن خونسوا  
 ونم أساءوا فأحسنت النداء بهم  
 أوسمت فرعونهم لما ظفسي غرقا  
 حباية البيض ه والبيضاء الحداد لسيبه  
 اذا تلاحق من السابحات بسبيبه  
 عزهم كالذي الطيار منتسب  
 اذا نهدت إلى أرض العبد وبسيبه  
 سمو عليه سماء من عجا جتسيبه  
 سماء نقع لهيطان الحدو بهسيبا  
 وفي دياجيه نار من حوارمسيبه  
 نار تشب على أيدي قطار غسيبه  
 هم الحوانيف في أفصالهم رشسيب  
 ما جن عتق جن كلما عزفسيبوا  
 من كل أروع ه أم ربحه شمسيب  
 في كل يوم بجار د لو ألم بسبيبه  
 شم بالشم سيوناً بن عزائمسيب

أيامك تترقد عنهم مثل ما رقسيبوا  
 من قبل سيفك تد أودى به السهسيب  
 يشبها القاتلان : الخوف والتمسيب  
 حيران فيه ه وفي أرائسيبه أود  
 مضلل الرأي لا يقناده رشسيب  
 أم كيف يسلح أمرا وهو مقسيب  
 أسدا عزائنها الاقدام والمسيب  
 تغري البرءوس ه ولا ذقت تناً لمسيب  
 ومن نحاك بجمع سوف ينمسيب  
 حزن له منه وجد فوق ما يجسيب  
 وفي عشاء الذي ألقته شمسيب  
 أضغى التنا وهو في لياتهم شمسيب  
 نابوا فآبوا وما نالوا الذي شمسيبوا  
 المريف ناسره والواحد المصمسيب  
 كأنه من نبات في الوض أشمسيب  
 ولوا وما ربيسوا ه ذلوا وما أمسيبوا  
 بظاهر القرن ه والأثران تطمسيب  
 غللت ما عذوا ه حلت ما عشمسيبوا  
 ضها مدود لها من طامهم شمسيب  
 ولو ترقى التتل رأيا ما نجا شمسيب  
 وإن أثروا بط أوليت أو شمسيبوا  
 سنا يحدث عنه الناس النسيب  
 بزاعر : لجة الفقع والنجسيب  
 شلح ه وأواجه لما طاش الزمسيب  
 على الكفاة غاه من دم زمسيب  
 تمسى الرطل ولا يحمى له شمسيب  
 لم يبق من طاشها غير ولا شمسيب  
 مبنية من قناة تحتها شمسيب  
 من الأسمه شهب كلمها رمسيب  
 تكاد تقطر ماء وهي تنقسيب  
 لا يبرء الجوا إلا كلما رمسيبوا  
 في الناقبات وفي أتوالهم شمسيب  
 ما أسد بيضة أسد كلما شمسيبوا  
 لا يستشير ه وأما سيفه شمسيب  
 عدو بن ود شبه السبر والشمسيب  
 اذا شم المواضي ليه ينمسيب

حلوا الجنان ، والمالي عابها شهسرد  
في أنفها شم في جيدنا غيسسد  
زفت اليه بلاد كلها خسسرد  
وتد تحال منها مسكل خسسرد  
وتد عنا لك منها الحصن والبلد . ( ١ )

ولا تخف فالعوالي شوكتها شمسرد  
وأخيلبا بعد الجوازي كل شامسة  
نحن يكن بالمواضي خاطبا أبسدا  
هل بسد جلق إلا أن ترى حليبسا  
وتد أتنا كما تخنار طامسة

وقال يهنى صلاح الدين بفتح حسن بيت الأحرار سنة ٥٢٥ هـ :

وسرت فكنت القمري العوي يسدا  
فأقعدت أعداء ولم تخنر مقسدا  
وكل أبرى مشرى بما قد تمسودا  
فناداه حزب الله يا ناصر الهمسدا  
فارغيت لما أن غضبت ه محمسدا  
من الخير ما قد غار غينا وأنجسدا  
ففتت بين الناس بالبا من والنمسدا  
إذا أبرقت فيه السوارم أرسسدا  
ولم تهق للزيطان شطه ميسدا  
فأقعدت لما أن نهضت به السمسدا  
فلما دجى ليل العجاج توقسدا  
فوارسه بالنجم أوردته السمسردى  
وشهدته لما غفا فتشهمسدا  
تعيد نباء كل ما كان جلمسدا  
نواجذ شر الهمفري وقسسدا ( ٢ )

حللت فكنت الالهي المسسدا  
وتمت بأعباء الديار ناهسدا  
تسودت ضرب السيف والطمع بالقنسا  
سمرت المهدي لما تخاذل عزمسده  
فغبت لدين أنت حقا صلاحسده  
نيا يوسف الشير الذي في يمينسده  
وسلت لدى سلم وعلت لدى وفمسى  
وتدت الى الأعداء جيشا عزمسدا  
نلم يبق للدافيان شمل مجمسدا  
فناهيك من جيتر نهضت بمهسده  
حللت ذبالا في ذوابل مسسده  
وزرت بما لخصن الذي لو تحسست  
فغبت به حلب السليب ورعتسده  
هبيت اليه هبة يوسفيسده  
وتقريبها قد فضه من سها مسسده

وقال يصف غارته على غزة سنة ٥٧١ هـ وعوده من ذلك النزوبالغزة بقميدة مظلها :

وتوفى وانسى على قرية الشمسسسط

وقفت وانشاء المطري ضحى تملمسسو

ونفها ٤

ناب عن نواحيها الرضا ودنا السسسسط  
ولا أجم إلا الذي ينيك المشسسسط  
من الترك ه لا روم طغام ولا قيمسسسط  
عليها أسود بل أساودة رقسسسط  
ففي كل سقط من جماجمهم سقسسط ( ٣ )

فتى مذ غزا بالخييل والرجل غمسسرة  
رماها بأسد طالهن ترابسسس  
وطات نواحيها ضحى بكتائسسب  
رماهم بأبثال السراحين شزسسدا  
وطاحت على تلك الرمال جسمهمسس

( ١ ) الحزبة قسم شعراء الشام ٤١٢/١

( ٢ ) الروضتين ١٢/٢

( ٣ ) الحزبة قسم شعراء الشام ٤١٦/١ والروضتين ج ١ ق ٢ ص ٢٤٦

وقال ينفذ دمشق ه ويحرق في سائر الدين على الجهاد بقصيدة طويلة أولها :

لما أثنيت قيتها على كثبانهم

حيث أعطى القدود بيانهم

وسد النزل والوصف يقول في سائر الدين :

وفتى إذا زحرت بحار نوالهم  
 حيث يكر من الطيب بصواعقهم  
 بصوارم أجانها قمع المسعودي  
 فضية ذهبية فلجيتهم  
 محمودة بدم الفوارس مشردتهم  
 من كل لائحة بلبل قناتهم  
 تلك السموات المرفقات بتكتمهم  
 تضرب إذا اقتربت كواكب بيضهم  
 مع فوزة الضرب في يد ما جسد  
 ملكة إذا جليت عرائس ملكهم  
 وإذا جحافلهم أترن سعاثهم  
 من كل ههنا العديد كأنما الام  
 وكثيرة كم قد كتبت لها الدليل  
 وإذا ذوابله هززن رأيتهم  
 من كل جائلة بكل كريمهم  
 سمره لا يثنى حليماً صدرهم  
 وإذا سواوله فزعن حسيتهم  
 من كل سلوية ألح بها الطموى  
 جرداء تلح البروق إذا دنست  
 خيل هي السقبان في طيرانهم  
 فالذهب ما حملته في أوطانهم  
 كم قد شهن أبا المناظر ظاهراً  
 متواترات للطحان ه فلا كبست  
 ضدت سبائهم بالهم المسست  
 هم رقت بك فأرتقت من السلس  
 أقامت ما نعت من أركان المسست  
 فأفخر فلو روعت رومية بهم  
 أو لو بها سبحت قسطنطينية  
 فأنهى إلى فتح السواحل نهمة  
 وأسلمت الدين وأبت لدوايسة  
 شنت لها الفجران عند جبالهم

فرقت بحار الارض في شلجانهم  
 طء الردى يجري على نيرانهم  
 لا ما كسادنا القين من أجانهم  
 يفتال يوم الروح في عقبانهم  
 فالورد منتور على ربحانهم  
 كالنار لائمة بلبل دغانهم  
 أمضى على الأيسام من عدتاتهم  
 بكريمة كانت ردى أقرانهم  
 شرب أظاح الروم عن أيدانهم  
 رصت فريد العدل في تيجانهم  
 لمعت بروق النسر في أحضانهم  
 واج ما شدة على شعبانهم  
 كتب يلوح العز من عنوانهم  
 والدوت مشتمل على غرسانهم  
 رأيت الفتى رأسا على جثمانهم  
 الا ومن نعر ثم للسانهم  
 ما دة يوم الروح من أرسانهم  
 حتى طواها الضم طي قناتهم  
 وثبت ما قد فات من لجانهم  
 لأبل هي السيدان في عسانهم  
 والخلب ما نقلته في عدوانهم  
 والأشد سائلة على عقبانهم  
 تلك العتاق الجرد يوم طعانهم  
 أشطانهم تنوب عن أشطانهم  
 رتباً ه فكان الشمردون مكانهم  
 الأبط شيدت من أركانهم  
 خرجت كنائسها على ربحانهم  
 شقت ما رفعت من سليمانهم  
 قاد قهالك الأعداء بيد جرانهم  
 ذلت لدولتها ملوك زمانهم  
 وضعت لها الأقران عند قرانها... (١)

(١) الخريدة تسم شعراء الشام جدا ٤٠٦ والروميين بها ١ في ١٤٦



رأيت المارقين ومن يليهم  
 إذا غنت صواهلهم وأبسى  
 فإشما طابت ناراً فأبسى  
 فأوسع لمن من عادك ظلمت  
 أما تنفي الهجوم بأرض قسوم  
 وها قد قمت من قبري لتحيب  
 وقد هاجرت إنكاراً لما تسب  
 ولي دهر يراقبني فأرمسب  
 وشمني تحرق المشاد كبت  
 علت في أرجها وحضيت حظسي

جميعاً من عصي أو مجيب  
 لها الخطي أخلاق الطروب  
 تنها لكها على جبر المهبسب  
 كما وسعت رزق المستهب  
 بما فسلوا وأخذ لني كرور  
 بقربك مهجة الموت الغريب  
 رأيت من المثالب والميسب  
 يلحظ منك الحاظ الرقيب  
 وشعبي وصف ذي اللسن الخطيب  
 يجاذبها بأرومان المشيب (١)

(١) الحزبة ، قسم شعراء الشام ج ١ ص ٢٠٠ - ٢٠٤

قال يمدح نور الدين سنة ٥٦٤ وكان نور الدين قد ألقى أهل الشام من المظالم بالخشيب:

عوضت مصر بما فيها من النشيب  
 للأجر ٤ - وزيت خيرا غير محتسب  
 فيما يشيب عليه خير مرتسب  
 خير من الفضة البيضاء والذهب  
 أصبحت تبتلى من مصر إلى حلب  
 لما تريد فبادر فجأة النشيب  
 حتى ينال بها العالي من الرتب  
 عليه فأقصد العالي من القرب  
 والحزم في المزم والأدراك في الطالب  
 من النجاسات والأشراك والسلب  
 وفي القيادة تلقى حسن منقلب (١)

لما سمحت لأهل الشام بالخشيب  
 وإن بذلت لفتح القدس محتسبا  
 والأجر في ذلك عند الله مرتسب  
 والذكر بالخير بين الناس تكسبه  
 ولست تعذر في ترك الجهاد وقصد  
 وعاصب الوضد النجباء مقتسب  
 فأحزم الناس من قوى عزيمته  
 وقد بلغت بحمد الله منزلة  
 فالجهد والجهد مقرونان في تسيير  
 وطهر المسجد الأقصى وحوزته  
 عساك تنظر في الدنيا بحسن تنسب

(١) الخريدة قسم شعراء الشام ١٧٧/١ ، الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٠٥

قال يمدح الصالح بن رزيق سنة ٥٥٤ بقسيدة مطلعها :

تخرج بالشكوى اذا غلب الصبر

ابنك لو ان ناعية تسمى

ونفسها :

ابادوا وان اجروا الى غاية جـ  
ليوت اذا كروا ، غيوت اذا بـ  
وان عرشت اعدى الدنيا لهم فـ  
فان عاربوا ساءوا وان سالوا سـ

من القوم ان ابدوا العادوا ، وان عدوا  
بحور اذا اجدوا ، بدور اذا بـ  
اذا قيل هذا صائل الدهر اقدمـ  
تطيع الدنيا والاماني ابرمـ

ويا مسبح النظم ان منما ضـ  
صروف الردى عنهم مباحات النـ  
ولا دولة الا وانت لها ذـ  
ولا سمر الا وانت له يسـ  
به انكسر الامم وانكسر الفـ ( ١ )

ايا كاشف النظم ان جن فـ  
حفظت شئور المسلمين ، وصانعت  
فلا دعة الا وانت تقيمـ  
ولا يقتر الا وانت له غـ  
فهنئت الايام منك بما السـ



قال ابن سعدان يمدح السلطان ويذكر ما فعله على عمقائين ويهون عليه امر كسرتهم  
بقصيدة فيها :

باتت تفلّ بموكاف من الأَسْمَلِ  
فأصبحت مرثعاً للخيل والإبْسَلِ  
بالنار أو تغنّ الشعرى من السَّسَلِ  
خوارق الأرز تمحو رونق الأَسْمَلِ  
كأن من اليهود عريان من النجْمَلِ  
أن يقرنوك بجرح غير مندْمَلِ  
مرت على أعبيه لذة السَّسَلِ ؟ ( ١ )

ترثت من عمقائين كل نائِسْمَلِ  
فاغرى النجيب عليها وهي محلسْمَلِ  
قل للترنجيبات الخذاني : رويدكسم  
ترقبونا من الثوار طاللسْمَلِ  
كأنني ينواعيهن يقدّمهمسم  
حسب العدى يا سائح الدين حسبهم  
وهل يخاف لسان النحل ملثمسم

قال يمدح عز الدين فرخشاه في القاهره سنة ٥٧٤ :  
 أنت الذي جاهدت عن دين الهندي  
 وأزرت أرض الشرك أطراف القنصل  
 وبالعن الاغناد خاطبت الهندي

فأعز نصران ناصر لا يخشى  
 حتى نعدت من خيفة تتسبب  
 فأجابها فتح أغر منجسل (١)

ونيل الأمانى الفخر والفتحة البكر  
 وحسن ثنا بيتي الى آخر الدهر  
 سمو أبي لا ينظم على وتسمى  
 قطعت بها يوم الرضى دابر الكفر  
 وخضت سواد الليل وهو دم يجرى  
 وجرعهم منه أمر من السيف  
 فأصبح بالشعواء منتهك السيف  
 أناملها الأعلى عنفة الضمير  
 بأقالها في الدين في السر والبر  
 وفي كل قلب منه جبير من الذمير  
 فما خلقتوا الا على شيمة النسيير  
 لأفست عيون المجد منها على أمير  
 بأخسها تملو على الأديم الزمير  
 ذوا الفيات الفخر والناقل الضمير  
 وبذل اللهي عالي السنا عزر الذكر ( ١ )

هنيئاً صالح الدين بالفتح والنسيير  
 وما حُزرت فيها من فخار ومن عسير  
 صوت لها بالشرقية والقنسية  
 وسات بها حبل الفاخر منسية  
 ملكت بها من السبع وهو منسية  
 وقد عرف الإفرنج بأسماء في الوقسية  
 وظنوا بناء الحسن عونا لملكهم  
 فما قبضت منهم يد الفدر قطعت  
 هي الفتحة الفخر لا زلت قائمسية  
 وأصبح في ألقى خراسان ذكرهمسية  
 فلا ترض منهم بعد هذا بلال طاعسية  
 فسر وأبلى الارض التي لو تركتهمسية  
 في آل أيوب حويتهم بناقبيسية  
 اذا عد أرباب الفخار فانتسيسية  
 وأنت الذي أصبحت بالباء روا القنسية

قال يجمع السلطان بعد إخضاع ملك الأرمن ابن لاون سنة ٥٧٦ بتسوية منها :

بأوفى عليك وفي هجرتك  
 في المهام لأنشطة القيمة  
 فأضحى به شبرا عن عروسك  
 حذاراً من الراحات اللسندان  
 ت وليس له بعداكم يسندان  
 وظدر للهدم تلك الجانسي  
 ة يعال إطلاقه فهو يسندان  
 فتوقفا من الأرتقي المهجان (١)

لقد جعل الله ملك السورى  
 تمش إلى نشاطات السورى  
 أزرت أبى لاون لاءواه  
 ودان من الذل لا يروى  
 فلا تدم عنده للثبى  
 وأخلى اليكم مناقبته  
 وأرسل بالأعراء المنسبات  
 رتقت بمنزلة والمكرهات



قال يصف نزول الفرنج على مصر و يمدح شمر الدين تورانشاه بن أيوب وآل أيوب :

على كل نهد لين المنق يخبوب  
 فهم بين مطول الدماء ومطلوب  
 صليبا ولاعجا لهم غير مصبوب  
 بهم حندا فيهم صدور الانا يمسب  
 يوم طريقا بينهم غير ملحسوب  
 جريح بانياب النوايب منكسوب  
 ويرى بتبديل وشيك وتقليسب  
 وتصعيد آراء كفته وتصويسب  
 حوا بيضة الاسلام أو في محارب ( ١ )

ولما دُعوا من مصر لبوا دعانا  
 فأروى كفاة الروم شدة بطشهم  
 فلمت ترى في عصبة الشرك حاملا  
 وحسبهم ذاك الطعان الذي غمدت  
 وظل عميد الروم من حذر السروى  
 ونكب عن مصر وولى بمكسب  
 وقد كاد دين الله يخفت نسوره  
 فحسنتوه بالامتنوا لطلبسي  
 فلمت ترى الا محارب في وغسي

ابن أسعد الموصلسي ( ٥٨٠ )  
( ابن الدنان )

قال :

أهدى عذارك اذا تبعدى عذرى وصار هواك جسدًا  
ومنها :

ملك أنامله علمي الس	سافي بن الانداه أنسدا
من آل غسان الألسي	غضلوا الوري بأسا ومجسدا
حمن السريرة لم يسزل	لله ما أشقى وأيسدا
طاش على الأعداء لا	فلت له الأعداء حسدا
مادة الفضاة عليهم	عددا وسد الأرض سسدا
كالبجر يجري خلفهم	سُنفا وثوق الأرض جسدا
.....	.....
هول أشاب صفارهم	وأثوب ريب الرامر مسدا
أغنيهم وورثهم	مالا وملاكه قولدا ..... ( ١ )

وقال يمدح صالح الدين بقصيدة طويلة مطلعها :

أما وجفونك المرضي الصبح  
وسكرة قلتيك وأنت صبح  
ومنها :

ترنت فجاعة وثقى وعلمنا	الى كرم الخلائق والسما
وقد أثنى عليك ظبي الواضحي	كما تشني بالسنة الرمسما
وكم نتجت حروب القحتمنا	سيدونك والنتاج عن اللتسما
وكم لظباك من يوم اغتبيساق	بن الأعداء أو يوم اصطيسمنا
وكم ذلت من ملك عزيزسنا	وكم دسخت من حسي لقسسما
تبيح حص الملوك وتمتبيسمنا	وبا تحميه ليس بمستبيسمنا
وما خضع الفرع لديك ختمسنا	رأوا ما لا يطساق من الكفسمنا
وما سألوك عهد الضلسمنا	ولكن شرف معلسمنا ردا
ملايت بلادهم سهلا وحزمنسنا	أسودا تحت فبايات الرمسما
على معتادة جوب الحوامسنا	دواج بالمأد بيسفر الاداحسنا
فحلوا أرض نابلس وفيهمسنا	نواج ليس نخلو من نسسما

( ١ ) ديوانه ص ٢٠٠

وما تخش الأُسود من النيبس  
صلاح الدين أكذب من سجمس  
تظل المحجرات لمواغيس  
وضن الخيث في شهري تمس  
ولم أر أدله أهل أمداح ٠٠٠ الخ (١)

فكانوا هولوا بالحشد جهس  
وهم في قولهم إنا نذلسس  
ألا يا سيل مججل كل سسس  
ويا غيث البلاد إذا تشمس  
تركت بني الزمان فلم أسلمس

وقال يمدح صلاح الدين بقصيدة مطلعها :

ورضى ظلوك عن دموعي المهس

أعلمت بمدك وقتي بالاجسس

ونها :

ما غرق الأعداء مثل تجسس  
عظم السدو ولا يهاد الموضس  
وإذا السيول تدافعت لم تدسس  
نها لطيب شذى لها مقسس  
والمقبلين إذا دعوا في مقسس  
والخارقين بخاضع سسات الأدرج  
نحو الحمام بكل أبسس أروح  
ان الخليج لديك أقرب مشسس  
من دونهم جواز دتهم لم تدسس  
أبدًا وكم جود حميد الموتسس  
تبعت جيوشك فوق غاب سسس  
رجزن : إما سارق أو مدعي ٠٠ الخ (٢)

(م)

جرح الجيوش فشتت حمل عداتسس  
لهيته عن نصره خائف سس  
بجحافل مثل السيول تدافسس  
من تبسج فلكم أرجت لهسس الحميد  
المعرضين إذا تعرض ماضسس  
والناشرين الهام يبرق بيضسس  
توم إذا يقع الصريح تبسسادروا  
لا ينزون الروم بعد ديارهسس  
لو أن مثل البشر سبعة أبحسس  
كم وثقة لك في الوفي محسس سودة  
والطير من ثقة بأكل مشسس  
والناس بمدك في المكارم والمسس

وقال يمدح طلائع بن رزيق سنة ٥٦٥ هـ بقصيدة مطلعها :

ولست تنقم إلا فرط حبيكسس

أما كفاء ثلاثي في ثلاثيكسس

ثم يقول :

يشعب رشملا الصلا لولا ثلاثيكسس  
خلق قديما ولا خلق يدانيكسس  
فلو سمى كان أيضا من مساعيكسس  
ويتبر المرء عن بندر غيركسس  
فيثنون ويبت المال يشكوكسس

يا كاشف الفجة الكبرى وقد نزلسس  
برزت سبقا فما دانك في أمسس  
أرت مساعيك سبل المجد بتاهلهمسس  
يخافك الملك ناء عنك منزلسس  
يشكو اليك بنو الأمال فقرهسس

(١) ديوانه ص ٥٦ - ٦٩ وانظر الروضتين ١٠/١٠٦ وضممار الحقائق ٢٤٠

(٢) ديوانه ص ٣١ هـ ضممار الحقائق ٢٤٠



يضحي له ثابت الأطوار مذكوكس  
 موقرا وتاذقي المال منهموكس  
 مثل الحديد براه الله فتيكس  
 فان دعوت الي حرب اجابوكس  
 يرون اكبر غم أن اطاعوكس  
 رأوا طريق غرار قط مسلوكس  
 وأوطأوا الهام بالقاع السنايوكس  
 ويشرق الزرد المادي معبوكس  
 نوح على بحال لولاك ماشيوكس  
 أسد أتوك بهم أسرى مماليكس  
 مطمما حشه ركضا وتحريكس  
 ورقة الحال عن مفروض حجيكس  
 سماحة فيك نبي استمنا ماركا ٠٠ الخ (١)

وفيلق يملاء الأتظار ذي لجسب  
 من كل أغلب تلقى عرشه حرمس  
 من الحديد على كالماء شيمسه  
 صم عن السدام ياتون داعيسه  
 بحتتهم نحو جيش الشرك فابعثسوا  
 ما روا الى الموت قد ما كآنهمس  
 فأوردوا السم شربا من نحورهمس  
 ضربا وطمنا يقدا البيض محكمس  
 وبات في كل صقع من ديارهمس  
 أسوا ملوكا ذوى أسرفصبحهمس  
 ولم يفتهم سوى من كان معقلسه  
 يا كسبة الجود إن القدر أتعديس  
 قد جاد غاديك لي جودا وأطمعني

وقال يحتذر عن كسرة نور الدين تحت حصن الأكراد سنة ٥٥٨ هـ ويمدحه :

ضوا من لك ما حازوه من نكس  
 عز وثزم وبأس غير منقس  
 بالقتل ه قد توتر الآساد بالحيسل  
 إذ لم يكن لهم بالجيش من قبيل  
 لينتد القدر المحتوم فسي الأزل  
 ولا الظلي كذب من موشق عجمس  
 والخييل عازمة ترعى من الحمس  
 بط حواليه من عفر وين وعيسل  
 سلوا الظلي تحت غابات من الأيسل  
 قد ان بالنبيل فيها الخذف بالنبيل  
 يجوس أد ناهم الأقصى على مهيسل  
 بجمدهم ولكم من واثق خجيسل  
 والمكر في كل إنسان أخو الفضيسل  
 غير الأراذل والاتباع والسفيسل  
 والسمر مركوزة والبيتر في الشليسل  
 مثال آخذها في الشكل والطيسل  
 والحرب دائرة من كفا معتيسل  
 يشلو من السنين الا غير يكتمس  
 خير الانام ومنهم خاتم الرسيسل

ظلي النواضي وأطراف القنا الذبسل  
 وكافل له كافيما تحاوليسه  
 وما يعيبك ما نالوه من سلب  
 وانما أخذوا جينا الى خيسدع  
 واستمئلوا وأراد الله غفلتكس  
 حتى أتوكم ولا المادي من أممس  
 قنا لقي وقسي غير موتسرة  
 ما يصنع الليث لا ناب ولا ظفيسر  
 هذا وقد ركب الأسد المقصور وقسد  
 من كل شافية السربال صافية الس  
 وأصبحوا فرقا في أرضهم بسدوا  
 وإنما هم أشاعوا حزمهم تقس  
 بني الأعاقر ما نلتهم بمكرهم  
 وما رجعتهم بأسرى شاب سحيكس  
 سلبتم الجرد ممراة بلا لجيسم  
 هل آخذ الخييل قد أردى فوارسها  
 أم سالب الرمح مركوزا كسالبس  
 جيش أسابتم عين الكمال ومسا  
 لهم بيوم حنين أسوة وهمس

(١) الخريدة قسم الشام ٢٨٢/٢ - ٢٨٤ وأنظر الروضتين ج١ ق ١ ص ٦١٥

وديوانه ص ٢١٩

البيض كالبيض والأدراع كالحلـ  
 بالصدق في القول والإخـ  
 والسيف ما غل والأطواد لم تـ  
 للظلم وأنجاب للأضلال من ظـ  
 غزا فأضحى وما فيها سوى ظـ  
 عند اللقاء وغضوا الطرف من خـ  
 لذتم بملككم لذتم إلى جـ  
 بثبقة لو بناها الطود لم ينـ  
 والسم لم تتذلل والبيض لم تـ  
 ولا تحاقت الأسياق في القـ  
 فكان من نسه في جهنم زجـ  
 خرت لأذقانها من شدة الوهـ  
 طارت قلوب على بعد من الوجـ  
 بهم وقد كرتهم غير محتفـ  
 أن التأثر لا يحي من الاجـ  
 لو أنهم لم يكونوا منه في شـ  
 لا تحمبوا وثبات الضم الذـ  
 ولا يصيب شديد البطر ذو الشـ  
 كما أعانك في أيامك الأولـ  
 وحزت من بلد منها بلا بسـ  
 وكم تريت العواغي من قرا بطـ  
 وأبدل أكله من لحم منجـ  
 لو لم يطل عهده بالسيف لم يـ  
 ولا تثت يدك الايام عن أمـ ( ١ )

سيفتضيك بشرب عند أهونـ  
 ملك يهيد من الأذنان ذو كـ  
 فالشمع ما أصبحت والشمع ما أفـ  
 كم قد تجلت بنور الدين من ظـ  
 وبلدة ما ترى فيها سوى بطـ  
 قل للمولين كقوا الطرف من جـ  
 طالبتم السهل تبغون النجاة ولو  
 أسلمتوه ووليتهم فسلـ  
 بمارعين ولم تنشل كـ  
 ولا طرقتهم بويل النيل طارـ  
 فقام فردا وقد دلت جـ  
 في مشهد لو ليوت الخيل تشهـ  
 وحيد المدين وحده ثبت الجنان وقـ  
 يسود عنهم هويدا غير مكـ  
 يزاد قدما اليهم من تيقـ  
 ما كان أتربهم من أسرا بـ  
 ثباته في صدور الخيل أنقذـ  
 ما كل حين تصاب الأسد غـ  
 والله عونك فيما أنت مزـ  
 كم قد ملكت لهم ملكا بلا عـ  
 وكم سقيت العوالي من طـ  
 وأسر من وريد النحر مـ  
 حصيد سيفك تد أعنيته زـ  
 لا أنكبت سهمك الاقدار عن فـ

( ١ ) الشريدة قسم الشام ٢٨٩/٢ - ٢٩٢ وأنظر الروضتين ج ١ ق ١ ص ٣٧١  
 ود يوانه ص ٢٠ - ٢٧

قال يدهج السلطان صلاح الدين بانتصاره على الفرنج في معركة قرب البقاع سنة ٥٢٥ هـ بقصيدة اولها :

وكناه بما تحب ضميرين  
قد حباننا به رفع مبرين  
وار ، خيف الكفار ليه الشريين  
عز عولى الورى علاج الديبين  
يه بلافظ المذلل السكرين  
حك حتى عوتقتهم بالسجينين  
فك ما لم يجل لهم في ظنهمون  
وله من تقاه النكمتين  
له مستصعباً وعدى اليقينين  
لسدور وثرة لميعين  
سهل الله نصره في الحربون ( ا )

لك رب السماء خير مبرين  
فيله العبد أيج نصر عزيزين  
أرك الثار حين نازل المبرين  
الهيام المنقش المالك النسين  
يا مليكاً أضى الزمان ينا جبرين  
تذفت أهلها الحصون السسين  
وأراهم رب السبا بأسسين  
لك قلب عند اللقاء بكسين  
يا مليكاً يلقى الحروب بحسين  
أن هذا الفتح المبين شفيع  
هو يوم أضى كيون حنينين

وقال في فتوحات سنة ٥٨٢ :

من شكك فوهم فهذا الفتح برهان  
وتد مدت قبل أزمان وأزمان  
له سون الشكر بالأفعال أثمان  
سهداً ، وما ضموا يوماً وما ثمانوا  
خوناً الفرنجة ولدان ونمان  
فظام عنها وصمت منسبه آذان  
لام يطوى ويحوى وهو سكران  
لام أساره شم وعينان  
بأر من هو للمعوان محمان  
سمت لها هم الاملاك بد كانوا  
ل الفار د اود هذا أم سليممان  
فحل برث منه أقطار ويلسان  
بل أين والدهم ، بل أين مسروان  
بيدهم من ملوك الارض إنسان  
تنزلت فيه آيات وقربان

جند السماء لهذا الله أعوان  
مضى رأى الناس ما تحكى في زمين  
هذا الفتح فتوح الأنبياء ومسان  
أضحت ملوك الفرنج السيد في يده  
كم من فحول ملوك غود روا وهم  
أسترخت بملوك شاه طرابلسين  
هذا وكم ملك من يده نلسر الإس  
تصون طام بلاد الله تصون والإس  
فالآن لبي صالح الدين دعوتهم  
للتاغر أدخرت هذى الفتوح ومسان  
جياه ذو العرش بالندى العزيز فقيا  
في سيف شهر غدا للشرك مصالمان  
فأين مصلحة عنها وأخوتهم  
وعد عطا سواه فالفرنجة لسهم  
لو أن ذا الفتح في عصر النبي لقد

( ١ ) الروشتين ٢ / ٢

قال يمدح صلاح الدين بقصيدة طويلة أولها :

والى متى تجنى على وتشتب

حتم أرض في هواك وتشتب

ومنها :

فأطاح ، وهو الخال المشتم  
فأليه أغذق الفضائل تجلسب  
الضمرات ، تراب من بناء وتشمسب  
في الله ترضى منذ كنت وتشمسب  
لحق الجحام ، وثائب يترقبسب  
رض القضاء ، وأين منك المهمسب  
المنسرفيها رائد لا يكسب  
مأرجح ييرانه تشتمسب  
بأسم الخليفة تم بأسطه يخطسب  
تعبوا اذا ذكر السليب غطسب  
علج ولا ناقوه ردير يشمسب  
بالسيف من بسواه لا يشمسب  
منهم قرب بجرمة لا توهسب ( ١ )

ذلت أخلاق الزمان لألسب  
وأتمت سوقاً للمدائح برحسب  
ونهبست لألسلم نهضة صسب  
وقضبت للدين الحنيف ولم تسسب  
غادرت أنفل البهي بين مجسسب  
أو دنارب ضاقت عليهم حبسب  
فأصبح بأاد الروم منك بشسب  
وأرم الكنائس من سطاك يمسسب  
وأرفع بها للمسلمين منابسسب  
وأترج بحق على الفلاح مسسسب  
لا تبق زنارا يشد بها علسبس  
وأخذ لحرب المشركين مهذبسسب  
لا تعفون اذا ظفرت بمجسسب

وقال يمدح صلاح الدين ويذكر دزينة الخرين سنة ٥٧٠ :

يشبع منها النصر والسيمسب  
وزرعهم بالسيف مخصسب  
في نصر دين الله مجسسب  
في الأسر مكبول ومشفسب  
بالنصر في الأعداء مشسسب  
بمثلها والفخر محمسب ( ٢ )

فأصبحت بالذو أشادوهسب  
جيوشهم بالرعب مفلولسب  
جهاد بن لم يبق يوطا لسبسب  
ومن تبقاه الردى منهمسب  
فأبشر بنصر عاجل يومسسب  
وأنتت لها عذراء بيت الالسبسب

( ١ ) مضمار الحقائق ر ١٩٢٢ ص ١٩٤  
( ٢ ) ديوانه ص ١١١  
( ٣ ) حذف من الديوان خمستا بيان وقد تمسند المحقق ذلك

وقال يمدحه أيضا :

يخلسني الاعادي كل كريم  
يزجي لهم سحب الحمام رعوده  
فرمانهم بالرعب ضه ليل  
قال يمدح صالح الدين سنة ٥٧٥ بقصيدة اولها :

يشوى الوجوه حريقها المتفر  
زجل الكماة ، صوب عارضها المسد  
ليلاه أو يوم عبوس أي يوم

إن كان دينك في الصباية ديني

فقف اهلي برماتي بيرسي

ثم قال بعد تمام الغزل :

ليت الضنين على المحب بوصلي  
ملك اذا علقت يدك بما  
قاد الجياد معاتلا وان انتفس  
سهرت جفون عداه خيفة ما  
لو ان لليث الهزير مطاه لس  
أضحت دمشق وقد خللت بجود  
لك عفة في قدرة وتواضع  
واربنا بجميل عنك مما روى  
وغمضت أن تحيي لنا أيامهم

لئن السماحة من صالح الدين  
علقت بحبل في الحفاظ متس  
بمعاقل من رأيه وحصصون  
خاقت صواره بشير جفون  
يلجأ الى غاب له وعريون  
ماوى الداريد وموئل المسكنين  
في عزة وشراسة في لسكنين  
راوون عن أم مثلت وتسون  
بالكرامات فكنت شير ضمسون

.....  
لله ما اشتعلت عليه قبا بهم  
من كل تائهة على أترابهم  
خود ترى قمر السماء إذا بسدت  
غادين ما لعت بروق ثغورهم  
.....  
كان الأعدى أن يصيبك كيد  
تخفي عداوتها وراء بشاشة  
دفنت حياثل مكرها فرد دتهم  
وخلصت ما أخفوا كأن قلوبهم  
كمنوا بكم لك من كمين سمسادة  
فموت نجوم مسود هم وتضى لهم

يوم النوى من لؤلؤ مكنسون  
بالحسن غانية عن التشمسون  
ما بين سالفه وبين جيسون  
إلا استهلكت بالدموع جفونسي

.....  
لم لم تكذبك برأيها الأفسون  
تشتت عن نظار لها مشفون  
تدوي بفيظ صدورها المدفون  
أغضت إليك بسرها المشفون  
في الغيب يظهر من وراء كمنسون  
بالنصر طائر جندك المومنون ( ١ )

( ١ ) ديوانه ص ٤٦١ الروضتين ١٠/٨ ومشار الحقائق ص ٢١

غدا يبرقها شوم<sup>و</sup> وخسب<sup>ل</sup> لان  
 ملكته وملوك الارض خسب<sup>ل</sup> زان  
 من ان يضا<sup>م</sup> ويلقي وهو خسب<sup>ل</sup>يران  
 فالكفر في سنة والنصر يقظ<sup>ل</sup>سان  
 معبوده دون رب النور سلب<sup>ل</sup>سان  
 يطوى لأجر صالح الدين ديوان ( ١ )

يا قبح أوجه عباد السليب وقسب<sup>ل</sup>  
 خزنت عند إله النور سائر مسا  
 فالله ييقك للإسلام تحرس<sup>ل</sup>سه  
 وهذه سنة أكرم بها سنسب<sup>ل</sup>ة  
 يا جامعاً كلمة الإيمان قاصح<sup>ل</sup>سن  
 اذا طوى الله ديوان المهاد فمسا

كتب الى الملك الصالح طلائع بن رزيق بعد ان استولى الفرنج على امواله بعد عودته من مصر الى الشام تصيدة اولها :

غربي لامع المراب ه وهـ هذا البحر دوني عذب المياه شـ سروب  
 سرت استقرن الحول وثـ سي ار ضي مرش رعين ه وواد قشـ سيب  
 وسحاب منه تعلمت السـ سحب ه وان لم تشبهه ه كيف تصـ سوب  
 سو حظ اناى عن الملـك الصـ الح ه والحظ ينتهي ويشـ سوب  
 والى بابـه مـكـسي ولـابـي عـن القبول عـين يشـ سيب  
 .....  
 انا اشكو اليك دهرنا لحا عـودى ه واعراه ه فهو يبيـ سـ سيب  
 وشطوبنا ربي بهما حسـادات الدهـ سوادى ه وكلـهن صـ سيب  
 اذ هيت تالدى وطار فـسي الطـ سارى ه فضاء الموروث والمكـ سوب  
 فهو شطران بين مـر وـحـر

وقال يمدح صلاح الدين بعد صاف عتلان سنة ٥٧٠ هـ اولها :

تمن يا أطول الملوك يسـدا  
 أجراً وذكرنا من ذلك الشكر فيـسي السـدا  
 لا تستقل الذي صنعت ه فـ سـدا  
 وجئت أرض الهدى ه وأفـيت مـ سـدا  
 وما رأينا غزا الفرنج مـن السـدا  
 غسر الى الشام فالملـكـة الأيـ سـدا  
 فهو فقير اليك ه يـمـ سـدا  
 والله يعطيك فيه عاتبـة النسـ سـدا  
 نـم حباك الورى ه وألـهـمـك السـ سـدا  
 في بسط عدل وسطوة يـ سـدا  
 ومن ذلك الجمان شـ سـدا  
 قدمت بشرى الجهاد مجتـ سـدا  
 أبطل لهم ما يجبـاوز السـ سـدا  
 طوبك في عقر دارهم أحـ سـدا  
 رار تالقك بجمعهم مـ سـدا  
 تصلح بالعدل منه ما فـ سـدا  
 صر كما في كتابه وعـ سـدا  
 وأعطاك ما ملكـت سـدا (٢)

وقال يمدح صلاح الدين ويهجو شاورا :

أصت عود الدين حين أمـ سـه  
 وجاهدت حزب الكفر حتى ردـتهم سـه  
 أخذت بما قدّمت ملكا مـ سـدا  
 وذكرك في الآفاق يـرى كأنـه الصـ سـدا  
 لطاغي الفرنج النغم طاغي بنى سـدا  
 خزايا ه عليهم خبيثا لذل والسـ سـدا  
 وذكراً مدى الأيام يقـن بالـ سـدا  
 باح له نشر الألوـ والنسـ سـدا (٣)

(١) ديوانه ص ١٦٦  
 (٢) البروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٠٥ وعقد الجمان ج ١٧ ق ٣ ورقة ٥٦٩  
 (٣) البروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٩٥

وكتب الى محيين الدين اثر لما لقي الفرنج في ارض بصرى سنة ٥٤٤ هـ قصيدة يقول فيها :

كل يوم فتح مبين ونسب	واعتاد على الاتادي وقه
بدرى النبت فيك أنت محسبين	السنين و إن النوت نال وزجس
أنت سيف الإسلام حقاً فسلاكم	فزاريك أيها السيد عس
بك زاد الإسلام سيفه المشه	مذم عزا و ذل شرك وكثس
لم تنزل نضر الجهاد مسنرا	ثم أعلنت حين أمكن جهس
كل ذخر الملوك يغنى وذخسرا	لك هما الباقيان أجر وشكس
للندى طالك البساج و ما مسرا	لك إلا جرد و بيض و مسس
عم أهل الشام عد لكس	بمدنا و مظاية البعد مسر

وكتب ردا على قصيدة طلائع بن رزيق التي مطلعها :

أبي الله إلا ان يمد يد لنا الدهر  
 قصيدة أشار بها عليه نور الدين وهي :  
 أبي الله إلا ان يكون لنا الامر  
 وتخذ منا الأيام فيما نروم  
 وتخضع أعناق الملوك لمزمننا  
 بحيث حللنا الأمن من كل حاد  
 بطاعتنا للناجح طوعنا الأئس

ويتخذ منا في ملكنا الحر والنص  
 لتحيا بنا الدنيا و يفتخر المص  
 وينقاد طوعاً في أرتقنا الدهر  
 ويرهبها منا على بعدنا الذك  
 وفي سائر الآفاق من بأسنا ذع  
 فما يخص لنا غيهم أمس

وط في ملوك المسلمين بجاهس  
 جعلنا الجهاد همنا واشتغلنا  
 دماء العدا أسهى من الراح عندنا  
 نواعلهم وصل الحبيب ودم عسدا  
 وثير حشاياتنا الحروب و تمسنا الد  
 ترى الارض مثل الأفق و هي نجومه  
 وتم الملوك البيض والسمر كالدمس  
 عوارضا حبر المضارب مسن دم  
 نسير الى الأعداء والطير فوئسنا  
 ثيابا سريذوب الصخر من حر نسار  
 وجيش اذا لاقى العدو وثقتهم  
 ترى كل شهيم في الوغى مثل سهمه  
 هم الامد من بين السوارم والقسم  
 يرون لهم في القتل شلداً فكيف بالقسم

سوانا و غط يثنيه حر ولا تمس  
 ولم يلهنا عنه السماع ولا الخمس  
 ووقع المواضي فيهم الناي والوتس  
 زيارتهم ينحط غنا بها السيس  
 روج و وضوب الخيام لنا تمس  
 وإن حسدتها عزها الأنجم الزمس  
 وشمقنا البيض الصوارم والسمص  
 توائمها من جودنا نضرة خس  
 لها القوت من أعدائنا و لنا النص  
 واحلف له بالماء ينبجس الصخس  
 أسود المرى عت لها الأدم والمص  
 نفوذا و غيا يثنيه خوف ولا كتس  
 لهم في الوغى الناب الحديدية والظفس  
 لتقوم قبلهم عندهم عصس

(١) الروضتين ج ١ ق ١٦٤



فطعنهم شزور وشرهم عليهم  
 فما غد هم يوما لإنسانا كفسر  
 وسأ لهم إكراهم والندى الفسر  
 وذل لنا من بعد عزة الكفسر  
 تحفنا بفارسان والمكر المحسر  
 بقاء لمن أسخت عليه النظا البفسر  
 وإن لم يكن خير لدتهم ولا بسر  
 وقد قتلت فرسانه فهم جمفسر  
 إلى اليوم فيه من دماهم غفسر  
 فمن ثوبه يوم المعاد لهم نفسر  
 ليخشى من الايام نائمة نفسر  
 بطان وكم ظن به يهلك النفسر  
 ولم يبق طال يستباح ولا نفسر  
 وفي نقل ما تد ناله يحرز الأفسر  
 كسرناه إبانل يربحى ولا نفسر  
 له الندر دين فإبه عن النفسر  
 فلم يندج بر و لم يحمه بحفسر  
 بإنجيله بين الأنام له نفسر  
 بذمه النفسر الخسيسة والركفسر  
 عماد إلينا وروى من دمهم نفسر  
 وما العجز الا ما أتى اليأس النفسر  
 ولهنته عن جهله النبي والزفسر  
 وبأن له من بأسنا البؤر والنفسر  
 وفي سمه من وقع أسياغنا وقفسر  
 فسطر له قتل ووشطار له أسفسر  
 ولو دار في أفت السماء بما نفسر  
 له في دياج و ما لليلتها نفسر  
 وتلى بأذن الله في الصخرة الذكفسر  
 فلم يبق منها في ما لكهم نفسر  
 ففاتها : بيض و مشارها نفسر  
 ورضاه و ذل الصبب واستسهل الوفسر  
 ووقع المذاكي المرعد والبرر والقفسر  
 باد و فاز خوف عليهم ولا نفسر  
 حياتنا و سنى ملكها لهم النفسر  
 وملكنا أبقارها النكة البكفسر  
 وقد عزت عنه الاكاسرة النفسر

إذا نسبوا كانوا جدياً بسني أب  
 يظنون أن الكثر عسيان أدنفسر  
 لنا منهم أندا بهيهم وولاوهم  
 بنا أيد الأسانم وازداد عفسر  
 قتلنا البربر و حين سار بجهلفسر  
 ولم يبق إلا بن أسرنا و كفسر  
 وفي سجننا ابن الففسر خير ملوكفسر  
 أسرناه من حصن العرومة راففسر  
 رسل عنهم الوادي بأقليه إنفسر  
 دم أنتشروا فيه لودت رعيلنفسر  
 ونحن أسرنا الجوسلين ولم يفسر  
 وتان يظن النر أنا نبينفسر  
 فلما استبحنا ملكه وسفسر  
 كحلناه و نبضى الأجر في فعلنا بسفسر  
 ونحن كسرنا البغدوين وما لفسر  
 بسله اللعين الحائن الخائن السفسر  
 وقد ضاقت الدنيا عليه برحبهم نفسر  
 أفي غدوه بالخيل بعد يمينفسر  
 دمه إلى نكت اليمين وفسفسر  
 وقد كان لون الميول شتى فأفسر  
 توهم تجزأ حلينا وأنا نفسر  
 فلما تبادى غية وضالفسر  
 وسرنا إليه حين هاب لقاء نفسر  
 فولى ييارى عافرات سها نفسر  
 وخلق لنا فرسانه وحياتفسر  
 وما تشفى عنه أعتة غيلنفسر  
 إلى أن يزور الجوسلين بما نفسر  
 ونرجع القدر والمطهر منهم نفسر  
 كأننا في أرض من حان منفسر  
 إذا استنقلت شم الحصون فعدنفسر  
 وإن بلد عز الطوار مرا نفسر  
 وأضحى على السهام وللظفسر  
 بنا أسترجح الله البلاد وأفسر  
 فتحنا الرها حين استباح عدانفسر  
 جعلنا طلي الفرسان أفسر  
 ونحن فتحنا تل باشر بعد نفسر

إليها وممراتهم إلى بابنا شهر  
 ولا كل ساع يحتجب له الأبر  
 فلم ترحمنا الرجال ولا الجبر  
 لكأسد ه لكن الرصاص له قطن  
 وفيها لها والساكين بها حصن  
 لنا وذرانا للذوق به وكس  
 لنا والنير يقده الصبي  
 لنا دقة من دونها الفخ والفخ  
 لنا واستحال النسر وهو لنا يس  
 وفي حصن سائقين لمملكة تص  
 لمتنح ه لو لم يسهل له القطن  
 ومزدرعات لا يحيط بها الخبي  
 ولم يبق في إقطارها لهم أش  
 وأما ذكهم ه فانزاح عنهم بها القطن  
 وقد صفتهم من نقدها البور والفض  
 عليها وعمر مؤمن بعده عم  
 كما نالنا من ردنا الأجر والشكر  
 فأبج مسرورا بمشجروها لشفت  
 تكدر تطاها لا يرونها عقت  
 وعزمهم سر ه ووقماتنا جه  
 روء وسر أعاد بهم بأساننا نش  
 هد اياهم ه والبتر يرهقها البس  
 .....  
 تمدونه من فملك ه بل كذا الفخر ( ١ )

أنى ساكنوها بالمفاتيح طاعسة  
 وما كل ملك قادر ذو مهايسة  
 وتل عزاز ه بيحته جيوشنا  
 ولنا إلى بين الرصاص وأنسه  
 وأضحت لإنطاكية حاهم شجسي  
 وحصن كثر لاتا وهاب تدانيمسا  
 وفي حصن باسوطا وقورس ذلت الصاب  
 وفا مية والبارة استنفذت ميسا  
 وحصن بسرتودر وأتب ميسا  
 وفي تل عمار ه وفي تل خالمسد  
 وما مثل راوندان حصن وأنسه  
 وكم مثل هذا من قلاع وبن قسرى  
 فلما استمدناها من الفخر عشوة  
 رددنا على أهل الشام رابعهم  
 وجاءتهم من بعد يا بروفا قسوة  
 وبر عليها الدنر ه والآخر حاكس  
 فنالهم من عودها الخير والشسنى  
 ونحن وشعبنا الكبر من كل بلسدة  
 وأصبحت الأناق من عد لنا حصسى  
 فكيف تسامينا الملوك إلى المسلا  
 وان وعدوا بالنزول نظام ه ثم سده  
 سنلقى العدا عنهم ببيض عقالم سسا  
 .....  
 فقل للملوك الأرض : ما الفخر في الذى

وكتب إلى صلاح الدين سنة ٥٧٦ :

تربتها المسعدان : النسر والظفر  
 وعونك الماضيان : السيف والقسطدر  
 تضاعل المظلمان : الظلم والضمر  
 أظلمنا المهرمان : الشيب والكبير  
 سحابه المشغيان : الدر واليسدر  
 قضى به الصادقان : الشرح والمسكور  
 يرد بهم المهلكان : النذر والأشمر

لا زلت يا ملك الإساقم في نصم  
 تردى الأطادي وتمتصفي مما لكهم  
 فانت إسكندر الدنيا ه بنورك تسد  
 أعدت للدهر أيام الغباب وقسد  
 وجاد فيك نداءك المسلمين فصمن  
 وسرت سيرة عدل في الأنام كمسسا  
 ففوق بنصر على الفخار أنهم

( ١ ) ديوانه ص ٢٠١ - ٢٠٦

المهم المزعجان : الخوف والحسد  
من بأسه المدركان : السر والبتسر  
وعيشه المخيران : الصين والأتسر  
لسيفه العاصمان : الحصن والسيوزر  
ما أستودع المخيران : الكتب والمسير ( ١ )

تأهم إذ رأوا إقبال ملكهم  
وما الفرار بمنجيتهم ، وخلفهم  
وسوف يصفو غداً منهم بخارمهم  
ولو رتوا في ذرى شهيدان أسلمهم  
تنى بتفضيله عن تقدمهم

وتال في نصر بن الفضل :

وعبيت البلاد بالسيف فأستصحبها سهل ، وعزذ ليسيل  
وقسمت الفرنج بالنزوشيا سر  
والذي لم يخن بسيفك من خسو  
مثل الخوف بين عينيه جيشا  
فالزبن عنده جيوش وروح البحر  
وإذا ما غف أقرت بسيفه المضرب  
غابق المسلمين كهفا ، ولأنف  
وكتب اليه الملك الصالح :

أيتها السائر المجد السبي الشا  
فرد عليه أسامة بقسيده مخلصها :

أين سمحي عما يتول الحسدول  
أنا بالمهبط والنوى مشغول

ونفسها :

يا أمير الجيوش ، يا أعدل الحك<sup>س</sup>  
أنت تقني بالحق لسيت وإن  
فيمأذا قضيت ، يا سيد الحك<sup>س</sup>  
من يمل الحياة أم من عليمه  
لا ترعني بالعتب ، فهو على تط  
لي رسوم ، دنها بواسطة الكت<sup>س</sup>  
سأم في فعله وغيا يق<sup>س</sup>  
زال جبال الارضين ، عنه تسم<sup>س</sup>  
سأم طراً على أني مل<sup>س</sup>  
من توالي أنثامه تثقي<sup>س</sup>  
رسوم التشريف عني د ليس<sup>س</sup>  
بوانت البر الكرم الوصول . . ( ٢ )

( ١ ) الخريدة تسم شعراء الشام ج ١ ص ٥٤٥

( ٢ ) ديوانه ص ١٩٦

( ٣ ) ديوانه ص ١٤٠ وانظر الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٩٦

يا اشرف الوزراء اغش ..... اذنا وكرمهم فمنا لا  
 واعزهم جباراً وأضعهم ..... حساً وأجمل آل  
 فلذاك قد أضى الأئمة ..... على كارهه عينا لا  
 وحق البلاد بسيفه ..... عن أن تذل وأن تستذل  
 وأحل بالافرنج فسبى ..... برؤفي بحر نكسنا لا  
 نبهت عبداً ظالمنا ..... نبهته قدرا وحسنا لا  
 وتعبته فالتسبى ..... شرفا ومجدا لن ينسنا لا  
 لكن ذاك العتسب يشم ..... سل في جوانبه اشتسنا لا  
 أمنا لجدد حال عتسبه ..... الى صمائه ومسننا لا  
 أما السرايما خمين تمسمر ..... جن بعد شفتها شمسنا لا  
 فلذاك عباد وفسود بسنا ..... بك مقلبين نشا ومسننا لا  
 وصيرنا في كسبنا سمل أرض ..... تبتغي منها الممسنا لا  
 فلذاك ذمك مثل عتسب ..... لآله في الدنى سارا وحسنا لا  
 فأعلم لنا حتى نسبى ..... لك في بني الدنيا مشسنا لا  
 وأعدد يديك بسسود نسو ..... ر الدين والقر بما لرجسنا لا  
 فهو الصابي عن بسسنا ..... د الشام جمعا أن يسسنا لا  
 وهبند أملاك الفرنس ..... وجهمم حالا فمسسنا لا  
 ملك يتيه الدهر والاد نس ..... يا بدواته أشتبسنا لا  
 حين الخلال الدنا لمس ..... تر فلم يدخ منهم شسنا لا  
 فاذا بدا المنسنا ظر ..... من رأتهيونهم الكمسنا لا  
 ثبقتهم للمسلمين حين ..... ولدنيا جمسنا لا ( ١ )

وبعث الى معين الدين أنر من مصر قسيدة يبين له فيها الدسائس التي يحوكها ساسة دمشق اولهما :

ولو ا ولما ربونا عد لهم ظلمسوا ..... فليتهم حكوا نينا بما علمسوا  
 ما تر يوما بقرى ما يربس ..... ولا سعت بر، إلى ما هاء لهم قيسسوا  
 ولا أضعت لهم عهداً ولا أطلمس ..... علي وداعهم في صدرى القيسسوا  
 فليت شعري بم استوجبت هجره نس ..... ملوا عدهم عن وصلى المسسوا  
 حفظت ما خيموا ، اغضبت حين جنسوا ..... وقيت إذ قدروا ، واصلت إذ صرمسوا  
 حربت ما كنت أرجو بن وداره نس ..... ما الرزق إلا الذي تجرى بما تمسوا  
 محاسني ، منذ ملوني بأعينهم نس ..... تدى ، وذكرى في آذانهم صمسوا

( ١ ) ديوانه عن ٢١٥ والروشتين ج ١ ق ١ ص ٢٩٤



سرايا كهن البحر ، في ليل عشم سير  
تسير جيوش الطير نوح جيوشهم سا  
فان خفي الفرسان للطن في الوغى  
تتروى منها نوح غرة عشم سا  
فللق سحبت والسيوف بسماوارق  
بواتد بنها النوت ه لا النيت يرتجسي  
عليه لواج غير غفوه ملجسا  
تنزعت عن اموال من انت تاتسلسل  
فهيها ارواح تنقلها الطيبسي  
.....  
يشن ابو الفارات غارات جشموده  
ويشها شعت النواصي كانتهمسا  
تلتظ بارش المشركين كانتهمسا  
فويح العدى من باسها ه انما سمري  
فهم جزر للبيض ه والبيض كالدسي  
فزوتهم في ارضهم وبلادهم  
فانيتهم تقاتل وامرا باسهم  
فلما ابادتهم سيوفك ه وانجلست  
فزوتهم في البحر حتى كانتما الاس  
يفرسان بحر ه فوة دهم كانتما  
يسرنها فرسانها باعستهم  
اذا دعوها قلت ه فرسان غسارة  
يسوق اما طيل الفرنج اليهم  
دناوهم في البحر حبر سواهم  
ظلمت في نوح من الارض ه ساربه  
وطاد الاسارى مردنين ه وسفهم  
وتد همر الملكان في الله ه طالبسي  
بجد ه هو العضب الحسام ه وحده  
وقاط ينصر الدين ه والله قائمهم  
وبادون ان يفتي الفرنج وتفتح البي  
فيا ملكا ه تد احمد الله سعيدهم  
شهن ثناء ه طيب الارض نشهم  
تناء به يحدو الحداة ه وينشد ال  
يسير مع الركبان ه انى تيموا

(١) الروضتين ص ٢٢٤

به من عواليهم نجوى نواجمهم  
لها كل يوم من عاداتنا ولا شم  
رباحهم انقضت عليها التشاءم  
سحاب المنايا نوحه متراكمهم  
ولدم ريل ه والنبات جماجمهم  
اشاعم ه لا يروى بها الدهر شاعهم  
وليبر الحاجر لم ينب منك طاصمهم  
فقد جهلت بين الجيوش القاسمهم  
وسر الصوالي ه والبلاد مفائهم  
.....  
على ماله ه ودهو المدايح المسا لهم  
ذباب الغاذ تردى عليها الضراغمهم  
صواد الى ورد ه حوان ه حوائهم  
اليها ه ولم تشمر ه ردى وادهم  
سبايا تهادى ه والبلاد صالحهم  
ويحفلهم في ارضها متزاحهم  
فنا جهم مستسلم او صالحهم  
عن الارض منهم ظلمة ومظالمهم  
اطيل فيه موجة المتلاطمهم  
على الماء طير طالين قسوادهم  
جرت ه حيت لم توصل بمن الشكاهم  
" سرورا بجياد طالين توائهم  
حمام ه وطير للفرنج اشاعهم  
ودناهم في البر سخم جواشمهم  
ولم ينح في لبح من الماء طاعهم  
تقاد ه كما قاد السهاري النزاعهم  
رضاه ه بنزم لم تصقه اللوائهم  
لعادية الاعداء والكفر حاسمهم  
بنفردنا ه ما دام للسيف تاعهم  
ازد ه سوى ان يضي المنزم صمهم  
ونيته ه والله بالسر طالمهم  
هو الصك ه لا ما شفته اللطاعهم  
رواة ه وتشدو في الضنون الحماهم  
على انه في ساعة التحوي تاجم ... (١)

وله في صلاح الدين فتسيدة منها :

الناصر الملك الموثى بذمتهم  
ومن إذا جرد البيضة الصوارم فسي  
ومن حوى الملك من بعد الطاعة في أن  
وردت طائفة الإفرنج يحسب مسسا  
ولى وراحتة صفر وقد ملكت  
يتصدون على طائفتهم نفسا  
وفي السلاطة ، اولا جهلهم ، وظفر  
وهم أسود الدرى ، لكن أذلهم

ومن ندى كنه يخفي عن الديس  
هيجاء أهدى في البيضة والتمس  
تزاعه بشبا الهندية الحسنة  
رجاه من ملك صر كان في الحليم  
بعد الطاعة من يابرون نسيم  
لولا فح البحر أضحى النوى كالحميم  
لمن أراد نزال الأسد في الأجسام  
ملك لديه الأسود الخلب كالشمس ( ١ )

وكتب الى ابن عمه الأمير ناصر الدين تاج الدولة ابي  
يحثه على تخليد أخيه من أسر الفرنج ، يقول :

يا ناصر الدين ، يا ابن الأكرمين ومن  
تولى الجهل بلا من تكسده  
هذا ابن عمك في أسر الفرنج لسه  
يدعوك لا بل أنا الداعي نذاك لسه  
وأنت أكرم من تثنيه طايفة القرس  
ومن تكن أنت حواه وناسمه

يخفي ندى كنه عن وابل الديس  
لا كدر الله ط أولئك من نسيم  
عول تجرم ، في الاظن والظلم  
يا خير من علقته كتا متسهم  
ويرجوه للجلل نوى الرصم  
ككيف تسطو عليه كسا متضم ( ٢ )

وقال يمدح صلاح الدين بتسيدة مطالعها :

لخفي لشخ شبيبتى وزمانى  
ومنها :

يا ناصر الاسلام حين تخاذلت  
بلك قد أعز الله حزب جنسه  
لما رأيت الناصر قد أغواهم الشيم  
جردت سيفك في العدى ولا رغبة  
فخرتهم حرب النرايب وأمسسا  
وخصبت لله الذى أعدى لك  
فقتلت من صدق الوفى ، ووضعت ممن  
وبذلت أحوال الخزائن بعد مسسا  
في جص كل مجاهد ومجاالس  
من كل من يرد الحروب بأبيس

وتروحي لفتوة وطمان

عنه الملوك ومظهر الايمان  
وأذل حزب الكفر والطغيان  
طان بالالحاد والسبيان  
في الملك بل طاعة الرحمين  
بالسيف ما رفضوا من الصلبيان  
للحكم غيبة تائر حمران  
نجى الفرار بذلة وهوان  
هرمت وراء خواتم الخسوان  
ومبارز ومنازل الاثمنان  
عضب ، ويسدر وهو أحر قسان

( ٢ ) ديوانه ١٤٩

( ١ ) الموضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٩٥

ظمان خاضعاً لحوارنا الفسيفسائي  
 ماذا أتى بالأسد من شغفهم؟  
 أركانها بالبيض والخزف  
 والشمع ما استعصى من البلدان... (١)

ويخوضون نيران الوشء وكانته  
 يوم إذا شهدوا الوشء قال السوري  
 لو أنهم عدوا الجبال لزعزعوها  
 فبهم الذخيرة للوقائع بالصبي

---

(١) الخريدة قسم شمراء الشام ج ١ ص ٥٣٠



قال يمدح بعض ذرية صالح الدين :

طليح من القوم الذين رماهم  
 ثم نسروا التوحيد نصرا  
 وهم قهروا قلب الفرنج بياهم  
 وردوا الى البيت المقدس سورة  
 وهم صهلوا سبل الحجيج وانسوا  
 وقد ركبت فرسانه بحر ايلس  
 وهم رجعوا سرا الى دعوة الهندي  
 وهم شيدوا ركن الخلافة بالسند  
 وهم شرفوا قدر المناير باسم  
 وهم وهبوا عز المالكة واكتفوا  
 فسل عن طياتهم يوم حطين كم  
 وضعف حديث العدل والياسوا لنسدي

دعائم هذا الدين في كل مشه  
 بمعز في الآفاق كل موحي  
 فدانوا لهم بالرغم لا عن تسي  
 وقد كان في ليل من الشرك أسود  
 بها الركب خوف الكافر المشهد  
 يخوضون في بحر من الكيد مزهد  
 بحزم ورأي في الخطائم محسد  
 أعادوه من حجة طريفا ومثل  
 وذكر ضوط بالرسول محسد  
 بسم الحوالي والغاز المشيد  
 بحر مراد الله في كل اعين  
 اذا كان عن أيامهم غير مسند ( ١ )

قال يدهج صالح الدين :

يا لائمي هـ ما أنت من نصحاءهم

دع مهجة المشتاق من أهوائهم

ونهبها :

يا كفاها ما المذر عن عذرائهم

جاءتك أرض القدس تخطب ناكهم

ما بين أعبدها وبين إمامهم

زفت إليك عروس خدر تجلسسى

يكرأ ملوك الأرض من رقبائهم

أيوه صالح الدين خذها غسادة

عن نيلهم ما أن ليس من أكفائهم ( ١ )

كم خاطب لجمالها تسدد رده

قال في فتوحات صلاح الدين :

القدر سرُ يفتح والفرجة تكسر  
 بزواله وزوالها يتحط  
 يرتجل ذاك لهم ملياً يوماً  
 وعد الرسول فسبحوا واستغفروا  
 هو في القيامة للأمام الجسر  
 ماذا يقال له وبأذا يذكر  
 فاروقها عمر الأمام الأظهر  
 ولانت في نسر النبوة حيدر  
 يغتال والدينا به تتبختر  
 فالرحم ينظم والمهند ينتصر  
 في خواشع حيث الجباه تعفر  
 فيها السيوف فكل هام منبر  
 تخدي فعلا أو دماء تهيدر  
 فيصدّها عنه طلي وسنور  
 عن بها لكنها تتمر (١)

أخرى مناه ما بعيني أبصر  
 وقامة تمت عن الرجس المنذر  
 ومليكتهم في القيد مصفود ولمصر  
 قد جاء نصر الله والفتح المنذر  
 فتح الشام وظهر القدر المنذر  
 من كان هذا فتحه لمحصر  
 يا يوسف الصديق أنت لفتحها  
 ولانت عثمان الشريعة بمصر  
 ملك غدا الأمام من عجب بصر  
 نشر ونظم طعنه وشراب بصر  
 حيث الرقاب خواشع حيث الدبر  
 غاراته حين فان خطبت لصر  
 إذ لا ترى إلا طلي بسنا بصر  
 وصوافنا غفطار أن تطأ السبر  
 تمشي على جثث المدى عرجا ولا

قال يمدح نجم الدين ايوب والد صلاح الدين سنة ٥٦١ بقصيدة مطلعها :

ولا الفراق إلى عيشي بمنسـوب

يوم النوى ليهـ بن عمري بمنسـوب

ثم يقول :

يا لله ، وبالنصر وعد غير مكسـوب  
تعودا ضرب طام أو عرا تيسـوب  
بلمحها يسيح الشبان كالشيبـوب  
تغلى النفوس بتأثير وتأييبـوب  
تتر بعد التناهي عين ينسـوب  
والله يجمعهم من غير تئيبـوب ( ١ )

أخوه وأبوك ه صدقا منها ه اعصمها  
هما حما مان في يوتي وفي وقسـوب  
غدا يشهان في الكفار نار وقسـوب  
بجلك مصر ونصر الوهـ من غسـوب  
ويستتر بمصر يوسف ه ويسـوب  
ويلتقي يوسف فيها بأخوتـوب

وقال في تهنئة أسد الدين شيركوه ملك مصر سنة ٥٦٤ :

كم راحة جنيت من دوسة التمسـوب  
نادى ه فصرف غير ابن بغسـوب  
من المدى في السلى ما حزت بالخبـوب  
عنها الملوك غطالت سائر الرتمسـوب  
ميسرا فتح بيت القدر من كشمسـوب  
فتح البلاد ه فبادر نعونا وشيبـوب  
والدين من عرفه في جحفل لجسـوب  
والقلب في شجن ه والنفر في شيبـوب  
حمر الطايا بها رفوعة العجسـوب  
أرى سادتها من أعجب العجسـوب  
في شكرنا ما به الاسام منك عسـوب  
نقمت فيهم مقام الوالد العسـوب  
بما دناهم ه فقد بانوا على نسـوب  
وكم قضيت لحزب الله مسسـوب  
سائم حتى سبوا للعدو والبالسـوب  
في النشر من أفضل الطاعات والتسـوب  
لما دعا الشرك : هذا قد تترزسـوب

بالجد أدركت ما أدركت لا اللمسـوب  
يا شيركوه بن شاذي الملك دعوة مسن  
جوى الملوك وما حازوا بركضهم  
تعل من ملك مصر رتبة مسسـوب  
فتحت مصر ه وأرجو أن تصير بهسـوب  
قد أمكنت أسد الدين الفريسة مسن  
أنت الذي هو فرد من بمالتسـوب  
في خلق ذي الشرك من عدوى سطاك شجوى  
زارت بني الأضر البيض التي لقيست  
وإيتها نقد بن خلفها أسسـوب  
لقد رفعتنا إلى الرحمن أيد يسـوب  
شكا اليك بنو الاسلام يتمهم  
في كل دار من الافرنج ناد بسسـوب  
من شر شاور أنقذت العباد كسـوب  
هو الذي أطمع الافرنج فسـوب بلد الإ  
وإن ذلك عند الله محتسـوب  
أذله الملك المنصور منتصـوب

( ١ ) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٦٩

إلا لنيل رضا الرحمن بالفضيل  
 وفي ذويه وتوح النار في الحطيل  
 نصرت نصر رسول الله بالرسول  
 للرشد كل غوي منهم وغيري  
 ثوابه ه نلت عفوا كل مرتكب  
 تقول : كم نكث لله في النكس  
 عدلاً ه وكنت لوزر غير مرتكب  
 دعي فيها يصادف شر منقلب  
 فالحزم عندي تطع الرأس كالسفنيد (١)

وما غنيت لدين الله بنقمتي  
 وأنت من وتحتفي الكفر هيبتي  
 وحين صرت إلى الكفار فأهزموا  
 يا صحيح الأمة الهادي بدعوتك  
 لما سمعت لوجه الله مرتقب  
 أعدت نعمة مصر نعمة ه ففدت  
 أركبت رأس سنان رأس ظالمها  
 رد الخائف عيسى ه ودع السيف  
 لا تقطع رذنب الأفس وتسلم

وبعث إلى الخليفة الناصر قصيد تبيشره بالفتوحات سنة ٥٨٢ :

وصيته في جميع الأرض جسر  
 واستعصب الفتح لما أظن البسر  
 مشتعل الناصر من بلواه أحقر  
 فكان فيه لغير الكفر انضسر  
 ايجازه بيلين القول اسهسر  
 لا قينة صنع بالحن مطسر  
 لقد تجلى الهدى والشرك منجسر  
 في تصع طاغية الأشراك أسسر  
 بيت الحرام لنتية وإعسر  
 كلاهما لا عتار الخلق محسر (٢)

أبشر بفتح أمير المؤمنين أنسي  
 ما كان يخيل في بال تصوره  
 وخام عنهم الملوك الاقدون وقسر  
 وجاء عسرك والايام قبله  
 نصر أعاد صلاح الدين رونق  
 تن الظن بالظن في الحرب يطرس  
 أحميا الهدى وأمات لشرك صارم  
 بفتح التدمر للمسلم قد فتح  
 فني بواقعة البيت المقدس للسر  
 والسخر والحجر المثلوم جانب

وقال يرثي السلطان صلاح الدين بقصيدة عدد أبياتها مائتان واثنان وثلاثون بيتا أولها :

والدمر ما وأتلمت حسنات  
 مرجوة رغبانه وديانات  
 مهدولة ولرته طاعات  
 لله خالصة صفت نيات  
 يروى نداء وتثق سطوات  
 وممت على الفضائل تشرفات  
 ذلا ومنها أدركت ثارات  
 أطواق أجياد الورى منات  
 أجدت لطب الدهر تدبيرات  
 بالنصر حتى أغدت صفحات

شمس الهدى والملك عمهات  
 أين الذي مذ لم يزل مخيفات  
 أين الذي كانت له طاعات  
 بالله أين الناصر الملك السدي  
 أين الذي ما زال سلطانا  
 أين الذي شرب الزمان بفلس  
 أين الذي ضمت الفروع لياس  
 أقتل أعتاق الهدا أسافس  
 لم يتجد تدبير الذبيب وكسر  
 من في الجهاد صفاحه ما أغسدت

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٠٣ وانظر تاريخ ابن الفرات ج ٤ ص ٤٥  
 وعقد الجمان ج ١ ق ٢ ورقة ٤٢٣ (٢) الروضتين ١٠٢/٢



حتى تفيء الى هداك بغااتسسه  
في ملكه حتى تطيح عصاتسسه  
نرضت عليه كالصلاة صلاتسسه  
شدت على اعدائه شداتسسه  
رجحت وتد نجحت به مساتسسه  
من كان بالتوفيق توقيماته الخ ( ١ )

والغرب منتار طولك نحسسه  
والشرق يرجو عزب عزتك ماشيسسه  
مغرى باعداء الجيول كاتسسه  
هل للولوك مضاهوه في موتسسه  
واذا الملوك سحوا وقصر سميسسه  
كم جاء بالتوفيق في وقساتسسه

وهنا نور الدين بفتح منبج سنة ٥٦٣ وحررضه على فتح القدس :

فليهن هذا النصر كل مشسسه  
في الملك يفتح كل باب موتسسه  
فانهمز اليها بالجيوش وصسسه  
ولكنهم لسواه كالانتمسسه  
طابا و فكيف جوان في امسسه  
انر السيوه بوجهك المتبللسسه  
في ضمنها تقويم كل مسسه  
وعلى طرابلس ونابلس مسسه  
ماثورة و سلكت اوضح مسلكك  
جددت منه كل رسم مهمسسه ( ٢ )

بشرى الممالك فتح قلعة منيسسه  
اعطيت هذا الخنق مفتاحا بسسه  
واشي ييشتر بالفتن وسسسه  
ابشره فبيت القد سسسه  
ما اعجزتك الشهب في ابراجسسه  
ولقدر من يسسك احقر ان يسسرى  
لكن تهذب من عصاك سياسسسه  
فانهد الى البيت المقدس غازيسسه  
تد سرت في الاسلام احسن سسيرة  
وجوه ما استقرت من سنق الهسدى

وهنا السواد صالح الدين بفتح الموصل وحرضه على فتح القدس :

محلوا الجنا وعلى المنا وشاحسسه  
في ليل ويل قد جنا صبا حسسه  
في قبضة اليازى فمهيض بنا حسسه  
ان الذي يجني عليه ساذ حسسه  
وقدا يجيد رثاه مدا حسسه  
فالناصر الملك الصالح صالح حسسه  
فيهم و فلاح و كما رايت و فلاح حسسه  
ساخت بنجر دم الفرنجة ماشسسه  
موت الأبطال و فقد طوى طفا حسسه  
عجلا و ويدراك ليلها اصبا حسسه  
عتران قلب نعوكم ملقا حسسه  
فالظلم باد في الجبين صرا حسسه  
فيها و غرركم لكم فتاح حسسه

فالحمد لله الذي افضال حسسه  
عاد الصدوق بالمقر من ظلم حسسه  
وجنى عليه جهله بوقوع حسسه  
حمل السلاح الى القتال و مسادرى  
أضحى يريد مواصلي حسسه  
ان أئسد الدين الخلاة بحنتم حسسه  
قد كان عزتك بالاله مسسسه  
وكأنني بالساجل الاقص و قسسد  
فأعير الى التوم الفرات و ليشرىوا السسسه  
لغتك من أيديهم رهن الرهسسسا  
وأيضا لحران الخاليس و فكم بهسسا  
نبتوا البلاد من البلاد بسد كسسه  
وأستفتحوا ما كان من مستنلسسسى

( ١ ) الروضتين ج ١١٥ / ١١٦ ( ٢ ) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٢٨٠

ولذي الحلوم الناشئات رجاحـــه  
نفاعه ، مناعه ، مناخـــه  
ملاعنه ، مقدامه ، جحجحـــه  
واذا غدا في جحقل غوقاحـــه ( ١ )

انتم رجال الدهر ، بل فرسانـــه  
شناكه ، نساكه ، ضـــراره  
وابو المنظر يوسف مطالـــه  
واذا اغتدى في محفل فحيـــه

قال يمدح نور الدين ويصف الزلزلة سنة ٥٦٥ بقصيدة مطلعها :

ولساري ليل الصباة هـــادي

هل لعاني الهوى من الأسرـــادي

ثم يقول :

جلّ رزء الفرنج فاستبدلــوا منــه  
فرزء الرعب منه في أنفــس الكفــار  
صطوة زلزلت بمكانــها الأرــار  
أخذتهم بالحق رجفــة بــاس  
خلفت في تلأعها كل عــال  
أنشد الله حكمه فهو مــساض  
آية أثرت ذوى الشــراك بالهــال  
والأعادي جرى عليهم من التدمــير  
أشركت في الهلال بين الفريــقــين :  
ولقد حاربوا القضاء ، فأضــسى  
والاله الروءوف في الشام عنتــسا  
بليس الحديد ليسر الــداد  
بين الأرواح والأجــساد  
وعدت قواعد الأطــواد  
تركبهم صرعى صروف الصــواد  
وأعادت تلأعها كالوهــاد  
مظهر سرغيبه فهو بــادي  
وأهل التوحيد بالارــشــاد  
ير ما قد جرى على نوم عــاد  
دعاة الإسرائك والإلــحاد  
حكّمه فيهم يغير جســاد  
دافع لطفه بأداء البــاد ( ٢ )

ومن قدسياته تصيدة عدد أبياتها مائة وأثنان وخمسون بيتاً أولها :

وسنلة أمر أغربت من تصــردا  
وفي صرعة الاغرنج معتبر بــدا  
فسقناهم فيها قطينا مجــدا  
فبيناهم بالرخص جهرا على النــدى  
فأضت فناء في البطاح مــدا  
إذا الكل ضمهم في القيود مــدا  
فأودج سجننا وسط جلق مــدا  
غما ورد الأردن الا مــدا  
وكم سائق عبداًن قهقر مــدا  
فكان تقضي ملكه قبل بيتــدا

تصاريف دهر أعربت لمن أهتــدى  
لسرعة فتح القدس سر مغيــب  
أتوا كعبال أبرمت لأسارــنا  
وساموا تجارا تشترينا غواليــنا  
وجروا جيوشا كالسيول على الصــوى  
وقالوا ملوك الارض طول تيا دــنا  
وقد أقطع الكند العراق موقــنا  
وأتمم أن يسقي يد جلة خيالــه  
فكم واثق خجاذن قهقه خصــه  
أتى الكند من إسبان يحيي قــمة

( ١ ) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٥٦  
( ٢ ) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٦٨ - ٤٧٠ والخريدة ، بداية قسم شعراء الشام ٤٦ - ٥٠



ولا حلل الرايات الا معقدا  
 جبايرة الإغرنج خيزي وشردا  
 ومن ذل ماتت نفسه فتقيدا  
 كشلة عصفور من الريش جردا  
 يسرونها الأشجى وتنتهدا  
 دم الشادر الإبرنجر فاختيد أرسدا  
 وعائنه التند الملك فارعدا  
 فأدركه الموت الطاجي مكعدا  
 كملحة القل التي تلت المسدي  
 ويصني بسقى الدار طائفة المهدى  
 ذراه وذا فيه شعيب تأيسدا  
 لأمر صائح الدين في الناصر معخلدا  
 وسلم بجيوش المسلمين مجتهدا  
 سبتهم جيوش لهم شيها من أرتدي (١)

فما عقد الرايات الا محلا  
 ووقعة يوم التل اذا قبضت بسدا  
 عليهم من البلوى موادق ذلقة  
 ترى المنسر الديوي يلقي سلاحه  
 فتلقى نصارى جلقى في ماتسد  
 ألهم للسلطان صدق نسد  
 وباشره بالقتل وسط جنايسدا  
 وضقت بنفس القصر الأرض مهربدا  
 وما طرق الاسماع من عهد آدم  
 أتوا واديا ما زال ينفي شبائتدا  
 به جشت أصحاب ليكة وهي فسدي  
 أرى الله فيه مسجز النصر مخلصدا  
 وأعدى جنود الرعب يردى عداتسد  
 ومن عجب خمسون ألف مقاتلسدا

وقال يحد نور الدين بتصيدة مظالمها :

لو حفظت يوم النور عهد سد

ونضها :

ان الرعايا منه في رعائيسدا  
 لنوبها يسهر بل لأنهم سد  
 بالدين والملك له تياسسد  
 ودأبه تلم ثغور الكفسر ه لا  
 قد أسبغ الله لنا بعد لسسد  
 غدا ملوك الروم في دواتسد  
 لما أبت هاماتهم سجود سد  
 إنخارت سيوفه غنود سد  
 كم مغلقات ه من حصون عزمسد  
 وقد وددت الأفونج لو ثرت نجست  
 قهرتها حتى لو حيين سد  
 أباتها رعبك في حصون سد  
 وإن تميرا لك تمنو بعد سد  
 والحلة الثراء خال بالمسد

ما مالت بوصولكم وعود سد

ونعمة مستوجب مزيد سد  
 يخاف ه بل يخصبها بجد سد  
 وللملوك عنهما قعود سد  
 لثم ثغور نافع برود سد  
 ظلزل أمن وارف مد يد سد  
 ونم على رغبهم عبيد سد  
 لله ه أصبح للظلمة سجود سد  
 فإن هاماتهم غنود سد  
 مفتاحها ه وسيفه إقليد سد  
 ملك ه ولكن رعبها يبهد سد  
 من ذلة لو أنهتيد سد  
 كأنها حيونها لحد سد  
 لسيفه الغضب عنا صعيد سد  
 عال سناها ه بك حال جيد سد

ثخورها ، محفوظة حدودها  
 فانت في اطارك داود  
 خرت له بن الملوك صيد  
 يذيب اكياد الصدى حقود  
 وخصبها ، وجودها ، وجود  
 بالخرص الاقوة ودود  
 فان يشوب زهد زهد  
 في كل عام للرايا عيد  
 ودولة سعيدة جدود ( ١ )

مفترة تنورها ، ممنوع  
 وان بغي جاورها ضالسة  
 يا ابن تميم الدولة السدي  
 دح السدا بفيظها ، فان  
 يا دواتورية ابن السدي  
 ما مثل الدنيا لمن يجمع  
 أنت الذي يرفها عن قسرة  
 فابن لنا يا ملكا ، بقاوه  
 في نسمة جديدة سعود

وانشد أسد الدين شيركوه في سنة ٥٦٢ :

أسد الدين شيركوه بن شيرازي  
 والى الخير دائم الاغصان  
 لا اهل الايمان خير صان  
 بل بصدق الاكباد والافان  
 من المشركين غير جسدان  
 لنصر الامم في بفسدان  
 من الشرك ايما انفسان ( ٢ )

دمت في الملك آرا ذان  
 يا كريما عن كل شهر بليثان  
 وملائك الايمان أنت ، فلان  
 في نفوس الكفار رعبك قسود  
 لم تدع بالذلي ، روماً واصنام  
 أنت من نازل الدعين فسي  
 ويكاد الايمان انقذتهم

قال يمدح أسد الدين شيركوه سنة ٥٦٢ :

ونلت ما عجزت عن نيله القدر  
 ومن له مثل ما أثرته أشير  
 فانت اسكندر في السير ام خضر  
 عن الفرات يقاضي وردنا الصبر  
 الا حديثك ما بين الوري صبر  
 وزاد غوث الذي جاءت به السير  
 في هذه السيرة المحمودة السور  
 فقل لنا : اعلي أنت ام غير  
 ونحن فيك رأينا كل ما ذكركم  
 وصار فيك عيانا ذلك الخبير  
 ما قد فعلت ، فكل فيك مفتكر  
 وصلت ان جبنوا ، بل طلت ان تصبروا  
 وذلك في جنب ما نرجوه محتكر

بلشت بالجد ما لا يبلغ البشر  
 من يمهدي للذي أنت اهتديت لسه  
 أسرنا ام بسراة الارض قد طويست  
 اوردت خيالاً باتصى النبي عادية  
 تناقلت ذكرها الدنيا ، فليس لها  
 فانت من زانت الايام سيرت  
 لو في زمان رسول الله كنت ، أنت  
 أصبحت بالعدل والاقدام منفسر  
 اسكندر ذكرها اخبار حكمت  
 ورستم خبرونا عن شجاعته  
 افخره فان ملوك الارض اذ لهم  
 سهرت ان رقدوا ، لهجت ان سكنا  
 بدمته ظنون الذي ادر كته عجبنا

( ١ ) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٧٧

( ٢ ) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٨٣

حتماً ، ووافقك التوثيق ، والقصد  
 من فلها البيض ، بل من حلها الصر  
 لخير رأيتك فتحة عس  
 ما ربك لك عنها أسفر السف  
 في أمره ، كيف لا يتولى له المس  
 فأنت منه بحيث المسح والبص  
 منها ، باقداك ، الهندية البستر  
 أشجار خطل لها من هامهم شمس  
 به الحديد غمام ، والدم المتلسم  
 منها إلى النيل في واديهم نبي  
 نسرا عما عبروا حتى قد أعتبسروا  
 تحت الصوالج يوماً خفت الأكس  
 قوماً فهم نثر من قبلها نفسروا  
 وخشوا الفأ ، وهو للمحذور منتش  
 نادي القصور عليهم أنهم قهسروا  
 فكانه الكيد لما خانه الجس  
 وحين أمتهم من خوفهم نسروا  
 والكفر ضخذل ، والدين منتص  
 وعد عن تركمان قبله غسروا  
 والقائدان له التأييد والظف  
 يطيب بالليل من أنفاسه المحس ( ١ )

قضي القضاء بما ترجوه عن كسب  
 شكت خيولك إدمان السرى ، وشكست  
 يشرت فتح بلاد كان أسره  
 قرنت بالحزم منك العزم ، فأتسقت  
 ومن يكون بنور الدين مهتدي  
 يرى برأيه ما في الملك يبرمه  
 لقد بذت فقة الإفرنج فانتصفت  
 غرمت في أرض مصر من جومهم  
 وسال بحر نجيع في مقام وغسبي  
 أنهرت منهم دماء بالصعيد جسري  
 رأوا اليك عبور النيل إذ عدسوا  
 تحت الصوارم هام الشركين ، كمنسا  
 أفتت سيوفك من لائق ، فإن تركست  
 لم ينح إلا الذي عافته من خبست  
 والساكنون القصور القاهرة قسند  
 وشاور شاوروه في مكائد  
 كانوا من أرب موتى في جلودهم  
 وإن من غيركوه الشرك منخسزل  
 حول علي فقة عند اللقاء وفست  
 وكيف يخذل جيش أنت بالكسسه  
 أجاب فيء اله الحق دعوة مسن

وقال في صالح الدين ، وهي أول كلمة خدته بهما :

واراضا بانما فتور تجور

كيف تلتم بقلتيه فتور

وبها :

ن ، فذل البلاجي وعز السبي  
 شاركتها تربيطة والنض  
 هرة أرتاج إنه مقه  
 ذ ا ارتعاد كأنه مقه  
 ومن الأسد كل كلب فس  
 حيث ما كان للأسود زشم  
 فهو بالربع مطلق ما س

لأن بالنيل شاور مثل فرسو  
 شارك الشركين بنيا ، وقد  
 والذي يدعي الإمامة بالقسا  
 وغدا الملك خائفاً من سطاكسم  
 وينو المهخري هانوا غفسروا  
 إنما كان للكلاب عسوا  
 وتليب عند الفرار مايسب

( ١ ) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٧٠ - ٣٧٢

لم يبتوا سوى الأصاغر للسبب في فودوا أن الكبير صنير  
 وحميماً الإسكندرية عنهم م ورعى حرسهم عليهم نـ دور  
 حاصروها وما الذي بان من ذب لك عنها وحفظها محـ دور  
 كحصار الأحزاب طيبة قد م ونبي الهدى بها منصـ دور  
 فاشكر الله حين أولاك نصـ را م فهو نعم المولى ونعم النصير  
 ولكم أرجف الأعداء ه فقالنا م ما لنا تذكرونه ثائـ دور  
 وربنا كالصيد عودك م فاليسـ و م م به لأزنام عيد كبير  
 عاد من مصر يوسف والسـ م قوب بالتهنئات جاء البشـ دور  
 فلايؤوب من آياب صالح م ين يوم به توفى النصـ دور  
 ولكم عودة إلى مصـ م ر على ذكرها تمر الحـ دور  
 فاستردوا حق الإمامة م خان فيها فإنه مستـ دور  
 واقتربوا بكرها م لها في مـ دور م ر في مدحكم وبكـ دور ... الخ (١)

وقال في وصف دمشق ومدح صالح الدين :

صالحها :

أجيران جبرون مالي م سوي عدافكم فاعد لوا أو فـ دور

وضها :

وكم قد فلتت جنوى م بحد اعتزام شياه طـ دور  
 بضرب تحذف منه م وطن تخفف منه النصـ دور  
 وشادرت فادركهم م ومن دمه كل قطار عذـ دور  
 بجزد عليها رجال م كأن صقورا عليها صقـ دور  
 من التراء عند دبا م صحاح الظلى والمهادي كـ دور  
 سبها كناقضها م لمن سقوب الأعداء وكـ دور  
 رخت فم مثل صيد م اذا حاولوا الفتح صيدا وعـ دور  
 بجيشك أزججت م عما نشر منه الا نـ دور  
 تركت مصارع م بطون القشاعم فيها قبـ دور  
 تزاحم فرسانها م فتصدم فيها النـ دور  
 وان تولد بكر م اذا ضربت بالذكور الذكـ دور ... الخ (٢)

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٧٢ والخريدة بداية قسم شعراء الشام ص ٣٦

(٢) الخريدة ه بداية قسم شعراء الشام ١٩ - ٢٩

أيا يوسف الاحسان والحسن ، خير من  
ومن المهدي وجه النجاة برأيـــــــــــــــــه  
حق حوزة الدين الخفيف بحبـــــــــــــــــوزه  
أبوه أبي الآلاء ، وعـــــــــــــــــه  
وظال الطواك شيركوه بطولـــــــــــــــــه  
بنو الأصغر الأفرنج لا تقوا ببـــــــــــــــــه  
وما أبيض يوم النصر واخضر روضـــــــــــــــــه  
رأى النصر في تقوى الإله ، وكل من  
ولما رأى الدنيا بعين مآلـــــــــــــــــه  
وقام صالح الدين بالملك كـــــــــــــــــه  
ولما عبت مصر الى عمر يوســـــــــــــــــه  
فأجرى بها من راحتيه بجمـــــــــــــــــه  
هزمت جنود المشركين برعبـــــــــــــــــه  
وقرنتهم من حول مصر جموعـــــــــــــــــه  
وأمنت فيها الرعايا بمد كـــــــــــــــــه  
بعقله دم حطتم دماء كـــــــــــــــــه  
وما يرتوي الأسلام حتى تفادروا  
فسبوا على الإفرنج سوط عذابيـــــــــــــــــه  
ولا تمحلوا البيت المقدس ، وأغزـــــــــــــــــه  
تديون بالصورف طيب ذكر كـــــــــــــــــه  
وان الذي أثرى من المال مقـــــــــــــــــه

حوى الفضل والافضل والنهى والاصـــــــــــــــــه  
تجلى ، وشعر النصر من عزه أفـــــــــــــــــه  
من الخالق الحسنى ومن خلقه الشكـــــــــــــــــه  
بصروفه عم الورى : البدو والحـــــــــــــــــه  
وما شاركوه في الملا فعوى الفـــــــــــــــــه  
وسمر عواليه ضاياهم حـــــــــــــــــه  
من الخصب حتى أسود بالنقـــــــــــــــــه  
تقوى بتقوى الله لا يعدم النصـــــــــــــــــه  
أغد من الاولى سيرا الى الاغـــــــــــــــــه  
وكيف ترى شمر الضحى تخلف البـــــــــــــــــه  
أعاد اليها الله يوسف والعـــــــــــــــــه  
بختار ، فسماها الورى أغلا عـــــــــــــــــه  
نلم يلبثوا خوفا ولم يكشوا ذـــــــــــــــــه  
بكسر ، وقاد الكسر من أهلها جـــــــــــــــــه  
وأطافتهم من شر شاورنا البـــــــــــــــــه  
وهزمتهم بما أبدىتم الحد والشكـــــــــــــــــه  
لكم من دماء الفادرين بها غـــــــــــــــــه  
بأن تقسموا ما بينهما القتل والامـــــــــــــــــه  
على فتحه غازين ، وانتمعوا البكـــــــــــــــــه  
وما الملك إلا أن تديبوا لكم ذكـــــــــــــــــه  
وان يفنه في كسب محمداً أتـــــــــــــــــه ( ١ )

وقال في إعلان الخلافة العباسية بمصر :

وأشعنا بها شعار بني العبيـــــــــــــــــه  
وتركنا الدعوى يدعو تـــــــــــــــــه  
وتباهت بناهر الدينـــــــــــــــــه  
ولدينا تقاعفت نســـــــــــــــــه  
فأخذت الدين ثابت الركن فـــــــــــــــــه  
وأستنارت عزائم الملكـــــــــــــــــه  
وبنو الأصغر التواجر، فســـــــــــــــــه  
عرف الحق أهل مصر ، وكانـــــــــــــــــه

س ، فاستبشرت وجوه النصـــــــــــــــــه  
وتبو بالذل تحت حجر وحبـــــــــــــــــه  
بة الدهاشموي في أرض مصـــــــــــــــــه  
، ورجلت عن كل عدو وشـــــــــــــــــه  
ر ، مخطو الحسن ، مصون الثنـــــــــــــــــه  
دل نور الدين الكريم الأفـــــــــــــــــه  
بوجوه من المناقة صفـــــــــــــــــه  
قبله بين منكسر وبقـــــــــــــــــه

( ١ ) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٥٤ وعند الهمان ج ١٢ ق ٢ ورقة ٤٢٩

قل لداي ابي : حبيبك ه فاللسمه  
 هو فتح بكره و دون البرايه  
 وحصنا بالحد ه والا جبر والنص  
 ونشرنا اعلامنا السود قهه  
 واستمدنا من ادعياء حقوقه  
 والذي يدعي الامانه بالقه  
 خانه الدهر في مائه ه ولا يط  
 ما يقام امام الا بحسب  
 خلفاء الهدى سراه بني العبيد  
 بهم الدين ظاهر ه مستقيم  
 كشمس النجى ه كمثل بسدور الت  
 قد بلذنا بالصبر كل مراد  
 ليوم مثرى الرجال من ملكه الم  
 ولهذا لم ينقل صاحب القص  
 دام نصر الهدى بملكه بسني العبيد حتى يقر يوم الحش ( ا )

وقال في تهنئة نور الدين بتطهير ولده الملك الصالح اسماعيل يوم عيد الفطر سنة ٥٦٩ :

عيدان : نظرو وطه  
 كادها لك غيبه

ونهما :

يا اعظم الناس قدراً  
 وما هر حين نامبوا  
 ما اعتدوا الا وفساء  
 وفلك الدهر غمهم  
 ونحل غيرك ظلمهم  
 يفتر من كسل ثمنهم  
 فوم به وفرنسهم  
 حرب توان ونتمهم  
 ينسو الا صغر من خشمهم  
 لم يبق للكفر ظفهم  
 وما دجى ليل خظهم

وهل لغيرك قمند  
 وقائمسا حين تمند  
 وعادة التوم غمند  
 المشركمين وقهمند  
 للمسلمين وتسمند  
 الى ابتماطه ثمنند  
 في هفهم لك وتسمند  
 على مرادك بكمند  
 لايان للكفر ظفهم  
 الا وعزهم فبهمند

وعنسه مالك ضيقت  
 اسماك برك جيس  
 من حر باساك جيس  
 له الملوك تخشع  
 به ود سميت وصم  
 نهر الملهي طم  
 على الزمان وامس  
 بمسكبه طاب نش  
 ما طان لك عسر عسر ( ١ )

اصبحت بالنمزو عبتنا  
 اكسر كل يتس  
 في كل قلب حسود  
 مثل تظهير ملك  
 يزدهسى سرير ونس  
 وكيف يعطل للطس  
 نذا البهور ظم  
 وذا الافتنان ختس  
 رزمت عدرا طويس

وقال في فتوحات صالح الدين سنة ٥٨٢ :

في باطن الخيب مالا قدره الكبر  
 مالي ارى ملك الاخرى في تف  
 والاسرار الى الداوية التامسوا  
 والنفوس دولعة عجايا بسيرتهم  
 يا وتمة البقل ما ابقيت من عجب  
 وما سحق السيث ما للقوم تد سبتسوا  
 وما فرغ شعيب ما ظم جشسوا  
 حطوا بمحتلين ملكا كافيا عجيبسوا  
 اهوى اليهم صالح الدين فخرسوا  
 امل عليهم فصاروا وسطا كفتسوا  
 وانجز الله السلطان بوعسوا  
 وتاين الملك الابترى في دمسه  
 رأى ملكا ملوك الارض تيبسوا  
 اذا بدا تبهرا الايمان هيبتسوا  
 تقدم الجيل في اعزى الزمان بسسوا  
 انا رايتم فتوح القادسيه فسسوا  
 والحق يبرروا الدفيا ن بفتسوا  
 هذا الملك الذي بشرى النبي بسسوا  
 انس ملاحم ذى القرنين واعترفست  
 وضع ذى العرش ابداع بلاد سسسوا  
 بينا سباياه تجلى في دشسوا  
 ازاه زعماء الساحلين محسسوا

( ١ ) الروافدين ج ١ ق ٢ ص ٥٧٩

فدو البصيرة في الأضداد يعتبسوا  
 أين القواضيب والسئلة المسسسوا  
 كأنهم سد ياجوج اذا استجسسوا  
 وفي المقادير ما تسلي به المسسسوا  
 بجافل لم يفت من جسمها بشسسوا  
 تمودوا أهبكار الطعن قد سكبسوا  
 كمدين أم لقوا رجفا بما كسسوا  
 في ساعة زال ذاك الجلسوا  
 وهو الضعيف أعدى ظفزه الدفسسوا  
 كسربا ظير عواطا القاهر الذكسسوا  
 ونذره في كفور دينه البطسسوا  
 فمات حيا وحقى وهو يمتسسوا  
 والنجم يخدعه والشمع والقسسوا  
 ويختفى وهو في الألفسان مشسسوا  
 على صدور علي من قبلنا عسسوا  
 أكتاف لويصة تجلى وذا عسسوا  
 والكفر يطهر بالايان مزد سسسوا  
 في فتنة البخي للاسنام ينقصسسوا  
 له الرواة بما لم ينه أئسسوا  
 فاذ تقل : كيف هذا الحادث المنطسسوا  
 ملك الفرنج من الاتراك محتجسسوا  
 مصقدين يخجل التهر تد أسسسوا

وحوله كل قسيس له زينة  
 يفتح عكا التي مدت بها الشجر  
 فتذعر الروم والقلاب والخزر  
 اليك بل سفر يمقوب له المشعر  
 من باب عكا الى طرطوس تنتشر  
 مع المجوس حروب قدحها مسعر  
 وبعضهم رومة الكبرى له وطبر  
 جمع تقول له الاحسام لا وزر  
 بدأت فالصبا للمحبوب مذكر (١)

يتلوهم صلبوت سبق منكسراً  
 ونحن في ذا وذا طير صحيفته  
 تنزوا اساطيلنا من صقليته  
 من ذا يقول لعلى القدر منفتح  
 ابو الحظفر ينويها فخذ سفناً  
 يسبي فرنجة من اقطارها ولسنه  
 وبعض ابناءه بالقدس منتسب  
 براية تخرق الارض الكبيرة فسبي  
 قالوا اظلت يدحا فيه قلت كمنسا

وقال فيه بعد ان اخذ حصن غراز وقطع بين الحلبيين وبين الفرنج الجواز:

عزة اصل الدين في اعزازها  
 وهو احق الغلق باختيارها  
 لوك في الجد على اکتنازها  
 ارفها وافرنجها و انجازها  
 تفاخر الفرس ببراوازهها  
 اوقمت السداة في اعزازها  
 كانت تنال العز من عزازها  
 كما انتفت بفداد من قيازها  
 وضو نهم الحق في ابرازها  
 عجز عجوز المحي عن عكازها  
 وعد عن نمازها لمازها  
 كخاجة الخيل الى مهمازها (٢)

اعطاه رب العالمين دولته  
 حاز الملا بياسه وجوده  
 بجده ابنى كنوزاً غني الموده  
 مهلك اهل الشرك طراً : رومها  
 تفاخر الاسلام من سلطانها  
 تهن من فتح عزاز نيسرة  
 واليوم ذلت حلب و فائزها  
 وحلب تنفي كمشكينها  
 برزت في نصر الهدى بحجسة  
 كم حائل للرمح عاد هديسها  
 ارض خطوطي من حضيض نقصها  
 والشمر لا بد له من باعسها

وقال يمدح تقي الدين عمر سنة ٥٨٣ بقصيدة تشتمل على مائة وأربعين بيتاً مطلعها :

فقد تافت منا قلوب وأنفس  
 لدى الأسر في غل الصنار مكرور  
 وأبيضكم من أسود القصر أشوس  
 وما يستفاد الطهر لولا التنجيس  
 فله نصر انية تنجيس

عفا الله عنكم عن ذوى الشوق نفوسا  
 ومنها :  
 رددت كرادير الفرنج وكلهم  
 وبيعت وجه الدين يوم لبيتهم  
 أفاد دم الأجاج طهر سيوفكم  
 شوس ظبي تنغدو لها الهام سجداً

(٢) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٥٩

(١) الروضتين ١١٦/٢



كفيتهم على رغم المعادين كل ~~مسيرو~~  
وبيتكم من كل عاب ~~مقصد~~  
اذا نصرنا التوحيد في ~~مخمس~~  
لا تدامه من عصابة ~~الشرك~~ اروه  
شديد على الاعداء ثبت عمر ~~س~~ (١)

وبالمجاورة وجه الشمس قد ~~عبر~~  
مضوا خده والانف قد ~~تمس~~  
اصاب اعظم من بالشرك قد ~~نجس~~  
كانضدع في الماء قد ~~غطس~~  
والقتل تشميت من بالصدر قد ~~عطس~~  
دما من الشرك ردا هابه ~~وكس~~  
من كل من لم يزل في الكفر ~~منشتمس~~  
وبيت كفرهم من خبثهم ~~كنس~~

يمشي على الارض او من يركب ~~الفرس~~  
صور فان ~~فتحت~~ فاقصد طرا ~~بالس~~  
وايمت النسي ليل انطاقية ~~المس~~  
من المداة ومن في دينه ~~وكس~~  
فانهم ياخذون النفس ~~بوالنفس~~  
تقصد طرا بلما فانزل على ~~قدسا~~ (٢)

وقال في تهنئة صلاح الدين بفتح القدس وغيره سنة ٥٨٣ : مصلحتها :

وتعتاض من ذكراكم ~~وحضتي~~ انسا

واشرف من اضحى واكرم من ~~امسى~~  
ولسنا نرى الا انامله ~~الخمسة~~  
وبطشته الكبرى وعزمته ~~القسم~~

وكم كفى الاسلام ~~سوا~~ بملككم  
ولا يفتح البيت المقدس ~~غيركم~~  
لهم كن يوم في جهاد ~~منا~~  
اذا ما تقي الدين حال ~~تساقطت~~  
وما عمر الاشبية ~~سوس~~

وقال في يوم حطين والقدس :

يا يوم حطين والابطال عابسة  
رايت فيه عظيم الكفر ~~محتقرا~~  
يا طهر سيف برى راس ~~البرن~~ فقد  
وغامر اني طار ذلك ~~الراس~~ في دمه  
ما زال يحطس بزكوا ~~بفد~~ رتسه  
عزى ظباه من الاغداد ~~مهرت~~ سة  
من سيفه في دماء ~~القوم~~ منشتمس  
انفاهم قتلهم والامر ~~فانتكسوا~~

ومنها :

قل لاملِك صلاح الدين اكرم ~~من~~  
من بعد فتحك بيت القدس ~~ليس~~ سوى  
اتر على يوم انطرسوز ~~ذا~~ لجيب  
واخل ساحل هذا الشام ~~اجمسه~~  
ولا تدع عنهم ~~نفسا~~ ولا ~~نفسا~~  
نزلت بالقدس ~~فاستفتحته~~ ومسنتي

اطيب بانفاس تدليب بكم ~~نفسا~~

ومنها :

رايت صلاح الدين افضل من ~~فسدا~~  
وقيل لنا في الارض ~~سبمة~~ ابحر  
سجيته الحسنى وشيخته ~~الرضى~~

(١) الروضتين ٧١/٢

(٢) الروضتين ج ٢ ص ٨٣ ١٠٢

فلا عدت أيامنا منه مشرقنا  
 جنودك أملاك السماء وظنهم  
 فأرسلت من أقدس فيك في السورى  
 ومن قبل فتح القدس كنت مقدسا  
 وطهرته من رجسهم بدماهم  
 نزعنا لباس الكفر عن قدس أرضهم  
 وفادت بيوت الله أحكام دينهم  
 وقد شاع في الآفاق عنك بشارة  
 جرن بالذي تهوى القضاء وظاهرت  
 .....

وقد طاب ربانا على طبرستان  
 وكما وما عكا فقد كان فتحهم  
 وصيدا وبيروت وتبين كلمهم  
 وياثا وأرسوف وتبني وفستمة  
 وفي عسقلان الكفر ذل بملكهم  
 وسار بمرور عصبة يرقبونكم  
 تمكل على الله الذي لك أصبحست  
 ود مر على الباقيين وأجتأ أصلهم  
 ولا تنسوا شرك الشرق فريك فريسا  
 وإن بلاد الشرق مظلمة فغسست  
 وبسد الفرنج الكرك فأخذ بلادهم  
 أتايت بنشاب الساحلين جنودكم  
 .....

ونفسا :

سحبت على الأردن ردنا من القنا  
 حطمت على حطين قدر ملوكهم  
 ونعم مجال الشيل حطين لم تكن  
 غداة أسود الحرب محتلوا القنا  
 أتوا فكسر الأخلاق خشنا غلبيت  
 طردتهم في الملقى وعكستهم  
 فكيف بكست المشركين رؤوسهم  
 كسبتهم أن صح عزك فيهم  
 بواقعة رجت بها الأرض جيشهم  
 يملون ذئاب الأرض صارت قبورهم  
 وطارت على نار المواضي فراشهم

ردينية ملدا وخطية ملستان  
 ولم تبق من أجناس كفرهم جنسنا  
 مشاركتها للجرد ضرسا ولادهم  
 أسود تبني من نحر الحدى نهمنا  
 حدود الرقاد الخشن اخلاقهم الشكنا  
 مجيدا بحكم السزم طردك والعكسنا  
 ودأبك في الإحسان أن تطلق الكسنا  
 ونكستهم إذ صار صرحهم نكسنا  
 دمارا كما بستت جبالهم بسنا  
 ولم ترض أرضنا أن تكون لهم رمسنا  
 صلا فزادت من خمودهم تيمسنا

يقي السمع الامن صليل الطيب ~~هــــــــــــــــــــ~~  
 اسارى كسفن اليم نطت بها القلسا ~~ا~~  
 وقد شربت بخسا وقد عرضت نخسا ~~ا~~  
 لكثرتها كم كثرة ثوجب الوكسا ~~ا~~  
 تندى حمام حاسم ذلك اليبسا ~~ا~~  
 وما كان لولا غدره دمه يحسسا ~~ا~~  
 وأظهر سيفاً معدماً رجسه النجسا ~~ا~~  
 فأشبهه راسي رأسه السمهن والبرسا ~~ا~~  
 فصال عليه السيف يلحمه لحسا ~~ا~~  
 فزار أمام ارباطها ذلك الحيسا ~~ا~~  
 فلا قونساً أبتى لرا مبرولا قنسا ~~ا~~  
 ظير الشيا عوداً لضرايه حسا ~~ا~~  
 وأنت وهيت الثانمين به الخسسا ( ١ )

وقد خشمت أصوات أبطالها فضسا ~~ا~~  
 تقاد بدأ ماء الدماء ملوكهم ~~ا~~  
 سهايا بلاد الله مملوءة بهسا ~~ا~~  
 يطاف بها الأصواتى لارغب لهسا ~~ا~~  
 شكا يبسا رأس البرنس الذى بنسا ~~ا~~  
 حسا دمه طضي الشرار لفلسا ~~ا~~  
 فلكه ما أهدي يدا فتكت بسسا ~~ا~~  
 نسنت به رأس البرنس بضربسا ~~ا~~  
 تبوخ في أوداجه دم بنيسا ~~ا~~  
 بعثت أمام أمة النار نحوها ~~ا~~  
 ولله نصر النصر جاء لنصسا ~~ا~~  
 حكى عنق الداوى صل بضربسا ~~ا~~  
 أيوم وفي تدعوه أم يوم ناسسا ~~ا~~

وقال يدهج صالح الدين :

فصالح رب السلا أن تعيشسا ~~ا~~  
 وبألبا برغي البرصدت الوحوشسا ~~ا~~  
 فهدمت للمشركين السرورسا ~~ا~~  
 من الرعب نحو الأعدى جيوشسا ~~ا~~  
 كما طيرت بالفلاز الريح وشسا ( ٢ )

سواك لهم السلا لن يريسا ~~ا~~  
 من الناس بالبرصدت الكسرام ~~ا~~  
 وكهسرت من مصر نحو العريسا ~~ا~~  
 سرايا انجيمت قدامهسا ~~ا~~  
 ويوم حياة تركت المسسداة ~~ا~~

وقال في تهنئة صالح الدين بالنصر في دها ط سنة ٥٦٥ :

بجده ساعداً أعداؤه مهبطسا ~~ا~~  
 ومركز الشمس من أفلاكها الوسمسا ~~ا~~  
 لها الفرنج فما حلوا ولا رطسا ~~ا~~  
 وكل أمر لها بالصدل منضبطسا ~~ا~~  
 فللمصالح من أيامه نصيط ( ٣ )

يا يوسف الحسن والإحسان يا ملكسا ~~ا~~  
 حللت من ومحل العلياء في شمسرف ~~ا~~  
 هنت صوتك دها ط التي اجتمعت ~~ا~~  
 مصر بيوسنها أشحت مشرقسا ~~ا~~  
 وخين وافى صالح الدين أصلحها ~~ا~~

( ١ ) الروضتين ج ٢ / ١٠١ ٨٣ ٤ وأنظر عقد الجمان ج ١٧ ق ١ ورقه ٥٠ - ٥١  
 ( ٢ ) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٤٣  
 ( ٣ ) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٦١ وأنظر عقد الجمان ج ١٢ ق ٣ ورقه ٤٥٨

وقال في صلاح الدين قصيدة طويلة مطلعها :

عفا الله عنكم ، ما لكم ايها الرهـط  
ومنها :

لتيك دما عين العدو فقد جـرى  
منعت حتى الاسلام للنصر معطيـا  
وصلت وكم فرجت عنا ملـة  
بعودك عاد الحق واتضح الهـدى  
وانت اجرت الشام من شوـم جـاره  
اجرت وقد جاروا وندت وقد عـدوا  
فلا يحبا الولي بمن مل جـاشـه  
كثير تمد بهم ، تليل غناؤـه  
عدلت فلا ظلم ، وطلت فلا مـدى  
.....  
فدم ظافرا ايا المظفر بالمـدى  
بتيت ولا زلت عدك ظيـة  
ولو كنت جارا للمعري لم يقـل

قسايم ، ومن قلب المحب لكم قسـط

على الأرض من اوداجه دمه المـيط  
غداة عوت من دونه الأذوب المـيط  
بسهم الرزايا في الكرام لها الهـيط  
وهب نسيم النصر وانفج الضـيط  
ولم يكف رهط الكفر حتى بغي رهـيط  
وصلت وقد خاروا ولنت وقد لـيط  
هوى ويقوم حشو جيشهم زـيط  
وهم - لا اصابوا رشد هم رهـيط  
وقلت فلا حين ، وجدت فلا قـيط  
.....

حليف قبول لا يكون لها حبـيط  
سعودا ولا تخمين صمودا ولا هـيط  
«لمن جيرة سموا النوال فلم ينطوا ( ١ )

وقال في تهنئة نور الدين بفتح قلعة جعبر سنة ٥٦٤ :

اسلم ليكر الفتح ففتحـا  
فان اولى الورى بها ملكـا  
ان ضاق امر فخير همتـه  
يا صهي المدل بعد ميته  
ونور دين الهندي الذي قمع الشـ (ج)  
انت سليمان في العفاف وفسـي  
حزت البقا والحيا والكـرم الـ  
.....

ودم لملك البلاد منـتـرا  
غدا بسبب الشطوب مضطـرا  
لكشف ضيق الامور لنـيـمـا  
ورافع الحق بعد ما اتضـمـا  
رك ، وعقى الضلال والبدعـا  
ملك ، وتحكي بزهك اليـمـا  
محض ، وحسن اليقين ، والورعـا  
..... الخ ( ٢ )

وقال يمدح صلاح الدين سنة ٥٧٢ هـ

فديتك من ظام منصـف  
أبلغ دهرى قصدي وقـصـد  
ويوسف مصر بخير التقـصـي

وناهيك من باخل مـصـرف  
قصدت بمصر ذرا يوسـف  
وبذل الصنائع لم يوصـف

( ١ ) الخريدة قمع شمراء مصر ج ١ ص ٢٥ - ٣١ وانظر الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٣٦  
( ٢ ) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٨٧

دماؤمى تجرها ينطى  
 زوهد السقوف على الأسقف  
 يخلصك الله في الموقف (١)

فسر وافتح القدس واسفك بسفه  
 وأهدى الى الإستبار البتسا  
 وخلص من الكفر تلك البسلا

وقال يمدح صلاح الدين بقصيدة طويلة مالمهما :

ومن قدود الحسان أعينهما

يروتني في الصبا مهنهنهما

ومنهما :

بالصف منه يضيق صففها  
 يوجهه للرياح أعفها  
 الى الردى مشرق مشقفها  
 حيث بأشلائها تنصفها  
 بباترات الطبي تنصفها  
 من برجوم البازد يقدفها  
 نزاد من عسرة تأسفها  
 نداء داويها تلهفها  
 يردى بهد السقوف أسقفها  
 من القنا للدماء تنزفها  
 عاملها والسنان مشرفها  
 أجدى سوى ملكها تحسفها  
 بل لسهام الردى تهدفها  
 عزيمة للجهاد ترهفها

كم جحفل بالمرأ ذى لجسب  
 كالبحر طامي السباب لا عسفة  
 كتيبة منقش مهندسها  
 غادرتها للنسور ما كلسفة  
 منتعفا من رؤوس طاعنسة  
 وحلت دمياط إذ أحاط بهسها  
 لاقت غواة الفرنج غيتمسها  
 فر فرورها وأزعجهمسها  
 يطر مدارانها العذاب كمسها  
 تكبر صلبانها وتكسهمسها  
 وليتها سفكها فصاملهمسها  
 تمسفت دعوك الداريق فمسها  
 وحسبها في الحمى تهافتهمسها  
 يمضي لك الله في قتالهمسها

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٩١ وانظر مفرح الكروب ٥٧/٢

أبهي ليالي البدور سعد فهمنا  
تواعد الله ليس يخلقها ٠٠٠ الخ (١)

إن سألوا أموا أو حاربوا شيفسوا  
عنا وصيدا وبيروت وأرسسوف  
كانه جبل بالريح مسسوف (٢)

في عصرنا أوجه الفضائل  
شكرا لما جاد من نوائيل  
تشهد آملنا الرواحيل  
نيل نجيح ونيسل نائيل

قد آن أن تفتح السواحل  
أرجاس كثر غتم أوانل (٣)

فأسعد وأبشر بنصر الله عن أمم  
وهل بعد لك شيء غير ملتئم  
ونولي الصرف عن شلق بلا سسم  
لا لثم ثمر شبيب واضح شيبم  
بالنرم مفتوح بالنور محتسبم  
وسره لك باد غير مكتسبم  
تخاف ربك خوف المذنب الأثيم  
ثنى الأئمة إقداً على اللجبم  
وقضيتها بدما الهام مسجبم

ان اطلعت سدفة أنزت لهنا  
بشائر الدين في إزالته

وقال يمدح الملك الظاهر غازي :

هم الملوك ذرو بأمرهم  
أغناهم التدمر عن قول الوري فتحت  
جهد الفرع إذا لاقى سوابقهم

وله في صالح الديمن :

بالملك الفاصر استنصارت  
علي من حقه فسرو  
يوسف مصر الذي اليسر  
أجريت نيلين في تراهمنا :

وظهنا :

يا مخجل البحر بالأيسر  
تقد من القد من خبيصنا

وقال يمدح نور الدين ويهنته بملك مصر :

بلك صراعتي مالك الأمم  
أضى بعد لك شمل الملك ملتئمنا  
يا فاعل الخير عن طيح بلا كلتف  
رواقنا ثلم ثمر الكفر تجمسنا  
لاه ذرك نور الدين من ملسمنا  
آثار عزمنا في الإسلام وانحصنا  
بما من العدل والإحسان تنشمنا  
أوردت مصر خيول النصر عاد مسنا  
غأبلت في محاب من ذوابلنا

(١) الخريدة تسم شعرا مصر ج ١ ص ٩ - ١٢ وانظر الروضتين ج ١ ص ٢ ص ٤٦١

(٢) الروضتين ١٠٧/٢

(٣) الروضتين ج ١ ص ٢ ص ٤٥٢

تكن النار بالإحراق في الفحش  
 واه به وتوصل ما للدين من رخس  
 ياه و مقتضات أصعب القحش  
 والقيد في موضع الأطوار والحش  
 من العدو بحد الصارم الحش  
 من شر شاور في الاسلام مضط  
 للذم والمز والاقبال كالحش  
 وعاودت دولة الاحسان والكش  
 بها عبيدك أملاك ذوي حش  
 في البأس ومن عنتره في الجود عن شس  
 عدل لحفظ أمور الدين ملش  
 بكشف دلتها لحما على وشس  
 حارا لبحر نوال ملكه ملتطش  
 وأعداه جمعهم بالذابل الحطش  
 على البنسات وحب الأبدل القطش  
 في عقد عز بين الاسلام منتظش  
 بالفضل والعدل والافعال والنش  
 محمود الملك محمود بكل شس  
 كم تقتني والى كم تشتكي وكس (١)

تكن الرب في قلب العدو بهس  
 سرت لتقطع ما للكفر من سبس  
 مستعجلات وحر الطرق في طلب العس  
 وجاءت من الإفريق غلش  
 لقد شفت غلة الاسلام وانتقمش  
 أعانها الله في إطفاء جمش  
 وأصحت بك مصر بعد خيفتهمس  
 والسنة اتقت والهدعة انمقش  
 ملوكها لك صاروا أهدا وغش  
 أنبت عتك بها قرط يخوب بهس  
 لله درك نور الدين من ملش  
 كانت ولاية مصر قبل عزتهمس  
 فالليل ملتطم جار على خجش  
 أغز الفرنج وهذا وقت غزوش  
 وظهر القدر من رجس الصليب وشب  
 غمك مصر وملك الشام قد نظمش  
 محمود الملك الفارسي يسوسهس  
 بالشكر كل لسان ناطق أبش  
 فأشك مصر وأظهر عز سنتهمس

وقال حين علم بوفاة المعاضد الفاطمي سنة ٥٦٧ :

يفتح ذو بدعة بصر فمش  
 يوسفها في الامور محتكش  
 باع من الشرك كل ما اضطر مش  
 بها وبتت السداد منتظمش  
 حيا ربحقا والباطل اكتمش  
 ومن دعاة الإشراف منتقمش  
 داعية من غيابة وعمش  
 لما أضاءت منابر العالمش  
 بناء حق قد كان منه مش  
 وانتصر الدين بعد ما انتقمش  
 وأفتت شر الإيمان وابتشمش  
 فليقرع الكفر منه ند مش

توفي المعاضد الدعي فمش  
 وعصر غرورها أنقض وغش  
 وانكفات جمرة الخواة وقش  
 وصار شغل المصالح ملتشمش  
 لما غدا ملنا شعار بني المش  
 وبات داعي التوحيد منتصرا  
 وظل أهل الضلال في ظلمش  
 وارتبك الجاهلون في ظلمش  
 وعاد بالمستضي مجتممش  
 واعتلت الدولة التي أضطمش  
 واهتز عطف الاسلام من جش  
 واستبشرت أوجه الهدى غرشمش

(١) الموضحين ج ١ ق ٢ ص ٤٤٣

عاد حريم الأعداء منتهبك الـ .....  
 تصور أهل القصور أخربهم .....  
 أزعج بعدد السكون مساكنهم .....  
 وقال مهنا السلطان صلاح الدين بفتح بعلبك :

بفتوح بصرك يفخر الإسلام  
 وفتح قلعة بعلبك تهذب .....  
 يكي العسود دما ، وشنر الثغر ، من  
 فتح تسني في الصيام ، كأنفسا ،  
 من ذا رأى في الصوم عيد سعادة  
 أسدى صلاح الدين والدنيا يسدا  
 فتمل فتحك ، واقصد الفتح السدي  
 دم للملا حتى يدوم نظامهم .....  
 وقال يعدج السلطان سنة ٥٦٨ بقصيدة تنيف على مائة بيت ضمها :

أرى الراية الصفراء يرمي اصطفاقهم .....  
 فتسبى فلسطينا وتجيى جزائسرا  
 وتغولها الاملاك شرقا ومغربا .....  
 وقال يهنئه بالعافية سنة ٥٨٢ وهو على حمص :

فيا ملكا لم يبق للدين غسيرة  
 فشووم فريق الشرك في الشام طائسر  
 شخصت بتكفين فمسم الصمدى ردى  
 اذا صفرت من آل الاصر ساحة الـ .....  
 فذا المسجد الاتقى وهتمك العلى  
 فما هو إلا أن تهم وقد أتست

ودت عمد الاسلام فاشدولها دعما  
 فقص جناحيه بأقصى القوى ضمما  
 فأنهم يأجوج أفرق بها ردمما  
 قدس ضاهت فتح أم القرى قدمما  
 وعزمتك التصوى ورميتك الصمما  
 فتوح كما فاض الخضم الذى داما

- (١) الرونيتين ج ١ ق ٢ ص ٤٩٦ وأنظر البداية والنهاية ١٦/٢٦٥  
 (٢) الرونيتين ج ١ ق ٢ ص ٦٣١  
 (٣) المصدر السابق ١١٦/٢



أهدى لهم شللا إلى الأيمان  
نحو العواد، رأذوا بهم

وأزارها الشللة الشل السدي  
ولق وجوههم سواد وجوههم

ونها يذكر القادة :

لم تدور غير حمية الفتيان  
غزوا وطم بهم صاب " طمسان "  
وتهبوا الحملات من " عثمان "  
بدما أشل الصدر في غسدران  
فقت عيون الكفر والكفران  
بسهم كل حنيئة منمسان  
ماضي الفرار بهم من الأجنان  
من جند بصري بتر كل جمران  
عقبان ملحة على عقبيسان  
أنصارك الابدال من مهيران  
بالفتك والارهاق والإخسان  
أهدى إلى أنسان عين الرانس  
أملاك مصر لمالكبي بنمسان  
نهر النبي ، ونبت عن حسان  
في ملتقى حرب ، وفي ميسان  
ما تملي إلا بتقيض يمسان

حملت عليهم من جنودك فتيانة  
زخرت بهم أمواج أجل في الوغسان  
وتد صوا من حرباًس " محمسان "  
وسيف " جرديك " الجرد غودروا  
وحين دوتك الذي قد تمسان  
والبارقة أرقتهم فسي الدجسان  
أجفانهم نغت الشرار كما انتمسان  
بخلوا محسكربحانك وأبصروا  
وكانما الأكراد فوق جياهمسان  
ولطالما مهوت على نصر المهسان  
لم يترك الأترك فيهم غايسان  
من كل رام سهمته بن وهمسان  
ولك المالك الذي ين بهم غنسان  
هم كالمصاحبة يوم بسدر حاولسان  
الحائزون من السباق خصالسان  
من كل مهسوط اليديمن يمينسان

ونها في تسميتن حضر من الفرنج الملاحين خذ لهم الله تعالى :

ولق بطاعون بضمير طحسان  
متباعدة من تركة المقدانس  
لسلامة ، والهون شأن الشانس  
مود ، وسيرهم أسير عسان

لما رأى الداوي راونداه  
طلب القريرى الفرار بالميسان  
والهتفري مذكان فر مؤمسال  
باروا نبارونيمهم بقنائسان

ونها وصف ما اعتمده نور الدين في ذلك اليوم ، حيث أنفذ سرية إلى بلاد القيسوم  
فأعرت ونهبت ، وكبست أهلها وكبست ، وذلك من طريق مخاضة الاحزان :

منك الخداة طوارق الحدسان  
أغلى قواعدها من البنيسان  
فجنى ثمار النصر الجيوشسان

أغلوا بلادهم فحل بأهلهمسان  
أنهضت ، حين غلت ، إليها عسكرا  
وشملت جاشهم بجيشهمسان

فتمجّلوا بالأحراق بالنيران  
يئسوا من الأوطار والأوطان  
مما لقوا بمخاضة الأحزان  
والمسلمون تهاديا بتهنئتهم  
لكنّ ٥ وثقت بنصرة الرحمن

حقتته لفتاد أممك دان  
مصر إلى قوس إلى أسوان  
ألهالك فرض الخزعن هممك دان  
لك أوجه الأملك بالاندحسان  
ملاّن من عرف ومن عرفك دان  
قد عاش في أيامك الصمران  
أبد الزمان ببذل طال فسان (١)

وتال يمدح الملك المظفر تقي الدين عمر لما أبداه من شجاعة يوم معركة الرملة سنة ٥٧٢ م

وانت لها كأنزعها البطمين  
تركك الشرك مغزعك القلمين  
أوى منه إلى حصن حصين  
رأوا آثارنا عيين اليتمين  
حمله أو ان ولي كلّ دين (٢)

وملاّت بالنيران أريج أعلمها  
عادوا يمين رأوا خراب بيوتهم  
بأوا بأحزان وخاضوا هولهم  
وقد استفاد المشركون تمازيسها  
لم تلقهم ثقة بقوة شوكتهم  
ومنها :

دانت لك الدنيا ٥ فتاصيهم إذا  
نعم العراق إلى الشام المسمى ذرى  
لم تله عن باقي البلاد وإنما  
أذعت لله المهيمن إذ غسست  
أنت الذي دون الملوك وجدته  
عمران عدلك للبلاد كأنمها  
غلّت في الأفاق ذكرا بأقيسها

بنو أيوب مثل قريش مجسدا  
ويوم الرملة المرحسوب بأسسها  
وكنتم لعسكر الإسلام كهفسيها  
وقد عرف الفرنج سطاك لمسها  
وانت ثبت دون الدين تحمسيها

(١) الخريدة ٥ بداية قسم الشام ٥٣ ٥ والروشتين ج ١ ق ٢ ص ٥٢٩

(٢) الروشتين ج ١ ق ٢ ص ٢٠٣

قال يحدح الملك المنصور صاحب حماة بقصيدة نظمها :

ريم براقة ماري حتى رسمها

أمن اللواحظ أن يفوق أسهمها

ومنها :

بسطة في يوم المنار من تهديتها  
جيشا حكي البحر الخضم عومها  
ليلاً وأطلعت الأسننة أنجمها  
بني الصجاج لنجم صارمها سمها  
بلسانه كم شق من كلم غمها  
تضحى نفوس بني الأيغر عومها ( ١ )

كم بلدة للمشركين بناؤها  
وشننت منتقماً بما حل بحرهمها  
أسدلت في الآفاق من ديواتهمها  
ودحيت أرض طلال الكماة براجمها  
وهذا لترقيص الجمالجم صسامها  
سيف هو النهر الذي في سيفهمها

( ١ ) ظن الكروب ١٤٩/٤ - ١٥٠

قال يمدح صاحب حماء الملك المنصور بقصيدة مثالهما :

المجد يدرك بالمسألة الذي يسئل  
ومنهما :

من بات يصمرها في اللهم والجمد  
يستمترون بذات الحلي والحل  
حليت طالمها ضرباً من القلس  
لهم آجاذ يبقى إلى أجس  
وارفع لمجدك اعلا على جيب  
سجونهم فهم في غاية الفشل ( ١ )

اسموت عينك في كسب الملا وكسب  
جاهدت في الله طوعاً والملك غداً  
أعدت بيذير المواقفي في الرقاب وقصد  
عاجلتهم بالنهايا والحتوف فلا تتسرك  
فأكسر صليبهم عن سلب حصنهم  
صندهم عاجلاً واجعل حصونهم

( ١ ) من الكروب ١٤٤/٣ وانظر تاريخ ابن الفرات مجلد ٤ ج ٢ ص ٢٥٢

قال يمدح صالح الدين بفتح حصن بيت الأحرار :

وقد آن تكسير صلبانهم  
لما عمسرت بيت أحرارهم ( ١ )

هناك الفرخ أنى عاجسنا  
ولو لم يكن قد دنا جثثنا

( ١ ) الروضتين ج ٢ ص ١١ وانظر الكامل ٤٥٧/١١

قال في فتح ياغا ، وذكر الهدنة مع ملك الانجليز تصيدة اولها :

الوقت اُخْبِرَ من سماع قصيدة  
 الجند في هذا الزمان ميسرين  
 بالناصر المهدي والهادي النسي  
 المستبين برته والواثق الس  
 شدت قوي اركان ملكه احسن  
 ملك اذا انا لملوك جنابيه  
 واذا اتوا اسرى الى ابوابيه  
 بولي ه فدا للدين اكرم والسند  
 عزل المردجة ثم ولي جيشه  
 قد انصف التوحيد من تليلته  
 مشى بتجريح الرجال لانسسه  
 ملك له في الحرب بحر ثقسه  
 وعليما نزل في الجهاد مفضل  
 عزه وحلم انسيا ما كان مسمن  
 يا ايها الملك الذي لطباعسه  
 للديوم عروبة ان عزست  
 سنت سيوفك في الروم وريختانسه  
 آفاتهم واقت باخذك منهم  
 او ما رأى الاعلاج حين دعوتهم  
 لم تستطع عصيان امرك بل اتيت  
 فاستدح جارتها وثمن باختمها  
 ما للسواخل غير بصره حافظ  
 هذا الطراز الاخضر استتحتسه  
 احييت دين محمد وأتمتسه  
 ونهضت ديوان الجهاد بحاسل  
 وجهه العزم الذي لا ينثسنه  
 فخذ الخراج من البسيطة كلهم  
 واتبع على الدنيا بكف زهاده  
 جاءت جنود اللطيل ثارهم  
 فانبذ بها وتقاشر حقاك وقتلهم  
 هم فتية الاتراك كل موفجهم  
 قوم يخوضون الحمام شجاعهم

موسومة لصفات اغيد اعينهم  
 والهزل فيه مع الفوايه مختصهم  
 سبل الجهاد ابي المظفر يوسف  
 حضور والمستظهر البر الواسع  
 وتجلت بجهاده في الوقتهم  
 لاذوا باكرم من يوم واشهرهم  
 وتناوا باعظم من يوم وارادهم  
 حذب على ابناءه مترشمهم  
 اعظم به من ساروا وشهرهم  
 واتام في الانجيل حد الرصهم  
 يروي احاديث النوالي المرحهم  
 وله غداة السلم زهد تصدمهم  
 لذلك يقرأه بسبعة احسنهم  
 عزم ابن مرداوي وحلم الاحسنهم  
 وسيوفه خلاقا رضى ونعمتهم  
 ساداته عن نصرك القتمهم  
 ذ شبت بمهجة كل علي اقلهم  
 يا انا فكم دن عسرة وتاسنهم  
 بلسان سين في الكريمة بلحهم  
 منقاد طوطا ولم تتشلمهم  
 وكذاك حتى الاربعين ونهمهم  
 بشبا سنان او بشغحة مرشمهم  
 فزوى بثوب من عانك مسهمهم  
 وسترته من بعد طول تكشمهم  
 من قابل وبشركه من مشرهم  
 وبنادار الراي الذي ليطهمهم  
 وأستاذ فرضي جزية ومولهمهم  
 وابسط لرحمتها جناح تحطمهم  
 وسدور طابل عن قليل تشتهمهم  
 ان الاله بما توكله حشمهم  
 ينشم الكريمة فوق كل مرفهمهم  
 لا ينظرون اليه من طرفه خشمهم

تركوا ديارهم كقاع ~~مفسد~~  
 لله در المصطفى والمصطفى ~~ي~~

عكك الجنون وخذ مقالة ~~مفسد~~  
 كالأ ولا نور الآله بمنطق ~~مفسد~~  
 وقع الد يا بيسر، الأ لينة تمس ~~مفسد~~  
 وأترك متابعة اللجاج المتلسف ~~مفسد~~  
 وأطرب لسيف بالدماء متلسف ~~مفسد~~  
 بهذا حديث مخرف ومفسد ~~مفسد~~  
 أحبيب به من مسلم ومسلم ~~مفسد~~  
 سلم إلى أجل لهم متخلف (١)

ان صبحوا الأعداء في أوطانهم  
 أنما صلتهم لنصرة دينهم

ونهمسا :

يا صاح تل لاكتير الكلسب دج  
 القد من ما فيه لسرجك ملسب  
 والمسجد الاتقى فمنة تقدر مسن  
 واستفتت نمنك فمهي أخبت ناصب  
 وأعجب لرمح بالروء ومنهم ~~مفسد~~  
 قد قلت لها قيل صلح قد جسر ~~مفسد~~  
 سلف تولى السيف عند شروط ~~مفسد~~  
 ظنوه سلما وهو في أرواحهم ~~مفسد~~

يا منقذ القدس من أيدي جبابرة  
 ناكذوا كذبهم في وصف ربهم  
 أما رأيت ابن أيوب استقل يمشي  
 حاج الفرج وقد خاروا المتكلمين  
 لما سبي القديس قالوا : كيف  
 نركبكم ليهم شق البحار مسترو  
 وكم ترحل بنهم فيلق بغضنا  
 استخرجوا الأهل والعدوى تبتهم  
 هم الغراء لم ييب الحرب تشرق  
 سيف أدم فلسطين يرى أممنا  
 كم تد أعدوا وكم قد قل جهم  
 وإنما أسم صالح الدين يذكر غمنا

قد اتسوا بذراج الرب قد خلصنا  
 وصدر الوعد ما بونا محولنا  
 يعيي الزمان وأهليه تحملنا  
 ناستنقروا كل مرهوب تنلنا  
 والرب في حفرة منها تمنا  
 لينصروا القبره والأندار نخذ  
 الى الخواص ألقاه ترحلنا  
 واستكثروا الطال والينجا تنلنا  
 وكلما ليج عند ما تنلنا  
 خلف البختار لقد أجهاه  
 من غير ضرب ولا طعن يزيلنا  
 جيش العدو فيصيبهم تخيلنا (١)



يال يمدح صلاح الدين عند فتح القدس بقصيدة منها :

أبا المظفر أنت المجتبي لهيئتي  
فلو رآه وقد حزت الملقى عسى  
ولو رآك وأهل القدس في ولعي  
غداة جزوا النواصي تطامعسي  
دارت بك الهلة الحسنى فحن على  
وأنت كأملك صديق وصاحبسي  
وفي الثالثة عثمان يؤيسسي  
وكم أديك ذوق تربي رتوا شرفسي  
يشبه الفتح ما بين البزاة لقسي  
أما رأيت بحالي يوم استقيست  
أضحى لشرا الهدي في فتح منهجسي  
واحتجب الرجس دنوا بمشهي  
أكن بأمر صالح الدين إذ هلمسي  
ينجي الجوان والفرسان وهو على  
يا فاتح المسجد الاتس على بهسي  
أبشر بملك كظهر الشمس بالسي  
حتى يكون لهذا الدين ملكسي

أخبر الزمان على خبر بخبرسي  
في تلة التل تضي كنه عبرسي  
أبو عبدة غدي من سرسي  
وأولوا بالتباني حول عبرسي  
عهد الصحابة في استوار ملكسي  
ألك المظفر سام في عبرسي  
علا علي تاي أيثار نصرسي  
وكم بعيد رأى الزلفي بهجرسي  
ملك الفرنج أخذا بين شرسي  
حتى رمت كل ذي ملك بهجرسي  
وبات يطوى السدي في صد شرسي  
ناستفتح القدس صخشوا بزمسي  
بوقمة التل وأستشراء سؤرسي  
بدء النشاط عشيا مثل بكرسي  
وقانسر البعير لا يحصى بقزسي  
على البسيطة فتاح بنشرسي  
تحكي النبوة في أيام فترسي ( ١ )

وله فيه من قصيدة طويلة :

أبو المظفر ماوى كل ضحكسي  
محا يطل جاشر أو طائست شهي  
أحيا بعالمه صبرا فتهي ناشهي  
كم للفرنج بها وردا ومنجسي  
ناضنا الناسر المنصور جد وشهي  
ملك تتاد ملك الملك منتظمسي  
ففرق المال جعما للقلوب بسهي  
ان البلوك الذين أمد أمرهمسي  
كذا السيادة فالاجناد أو علمسي

بخاله ونداه يشرب المشسي  
فمنع عدل صالح الدين يمتسي  
وافتكها من ندو ما يعقبسي  
ونارهم حولها تذكو وتشتسي  
وأدبروا بقلوب شهيمها وشهي  
وقال للمال هذا ملك لي بسسي  
وحسبه فيهم إذ رآك ما سألسي  
لم يخرنوا المال بل مها عوروا بذلسي  
بخل الحليك وجاءت شدة خذلسي ( ٢ )

( ١ ) الروضتين ١٠٣/٦

( ٢ ) الروضتين ١ في ٢ ص ٤١٥

قال يمدح صلاح الدين بعد هدمه سنة ٥٨٨ مع ملك الانجليز ، بقصيدة منها :

وأشد ما أشكوه فيك ظباثـــه  
كظايب صلاح الدين في أعدائـــه  
خفقائه ما شئت من أنباءـــه  
وأسال سيل نداءه في بطائـــه  
لترنم الناقوس في أفناءـــه

منعت ظبايا المنحني بأســـوده  
فسلت بنا وهي السديق لحاظهـــا  
مل عنه قلب الأكتير فان فـــي  
لولاك أم البيت غير مدافـــي  
وبكت جفون القدس ثانية دـــا

وقال يمدحه بقصيدة منها :

فلقين طوداً لا تحفد، أناتـــه  
دالت فما وجد الشفاء شكائـــه  
عند الزحاف تحركت سكتاتـــه  
عن شمل دين جمعت أشتاتـــه  
لا زينفه يخشى ولا هفواتـــه  
ولك الفعال كثيرة حسناتـــه  
لبكائم من تبسمت حجراتـــه ( ٦ )

عصفت به ربح المخلوب زحازعـــا  
هو منقذ البيت المقدس بعد مـــا  
بيت تأمس بالسكون وانـــا  
أشقت الأعداء وهي جحافـــا  
أوتيت عزماً في الحروب مـــا  
أحسن بالبيت الحقيق ويشـــا  
هذي سيوفك محرقات دونـــه

وقال يمدح الملك الظاهر وسيرها في رجب سنة ٥٩٤ أولها :

بنا صريع نواظر وحاجـــر

كم بين أكتاف المذيب وحاجـــر

وبنها :

فهو الحقيق بكل فضل فاحـــر  
وخصامه الهندي أبلغ نائـــر  
شكراً المديد على نداءه الوافـــر  
لبناء علياء ورفق حاجـــر  
كالبرق يضحك في الشطـــر  
بوشى فما وجه الصباح بمافـــر  
والشيل تسبح في النجـــر  
فسرى الردي منهن فوق قناـــر  
عرا ضراباً دون ملك عامـــر  
حلب السحاب لقائب ولحاضـــر

لا تغفرن ألامه بفنيلـــة  
من رجه المخلبي أفصح نائـــم  
بحر من الأنعام يملك سمـــه  
هو خافض الأعداء ينصب نفســـه  
يصلي ويضحك في خلال عدائـــه  
ملك إذا نشرت مائة نغمـــه  
نشرت حياة البيض بيض سيوفـــه  
وبنى متقفة القنا معوجـــة  
وكم أشرمت نار الحمام وغـــا  
درت مواشيه فلا عدم الســـورى

( ١ ) الروضتين ج ٢ / ٦٠٤ تاريخ ابن الفرات مجلد ٤ ج ٢ ص ٨٦

( ٢ ) الروضتين ١٠٦ / ٦

فاليوم ساكنها كما من الدابــــــــــــــــــــر  
وجزائر للمسين أي جزائــــــــــــــــــــر  
أبدا وكثر ما له من جابــــــــــــــــــــر  
شم الممالك كإبرا عن كابــــــــــــــــــــر  
وعلوا من الخلجان أي بواتــــــــــــــــــــر  
ما ذلك الادراك فوق ضائر... الخ ( ١ )

أخلى الجسوم من النفوس حــــــــــــــــــــم  
فمما قتل للكفر أي مــــــــــــــــــــم  
صدع يحز على الاقادي شعبــــــــــــــــــــه  
من معشر ورثوا - وان رفم الصــــــــــــــــــــدي  
لبسوا من الخدران أي سوا بــــــــــــــــــــغ  
وعلى الضائر يقدمون شجاعــــــــــــــــــــة

وقال يمدح صالح الدين بعد تخريبه حصن بيت الاحزان سنة ٥٧٥ بتصيد أولها :

وارف الاقادي دون مجدك يطــــــــــــــــــــر  
وسيف ندى في طاعة الله يورثــــــــــــــــــــف  
لوقت حتى لا يوازيه بوقــــــــــــــــــــف  
رجال كآساد المشرى وهي ترجــــــــــــــــــــف  
وأبيش مندى ولدن مثــــــــــــــــــــف  
الى أن قذت أكبادها السود ترجــــــــــــــــــــف  
وشاد به دين حنيف ومصــــــــــــــــــــف  
نزال لقد غادرتموه صفــــــــــــــــــــف  
تصين لدى أيمانها وشي تحلــــــــــــــــــــف  
ذروا بيت ينقوب فقد جاء يومــــــــــــــــــــف ( ٢ )

بجدك أعلاف القنا تتصلــــــــــــــــــــف  
شهاب ندى في ظلمة الشك ثابــــــــــــــــــــف  
وقفت على حصن المخاض وانــــــــــــــــــــه  
علم بيد وجه الارض بل حال دونــــــــــــــــــــه  
وجرداء سلهوب ودرع مضاعــــــــــــــــــــف  
وما رجيت أعاذك السفر ساعــــــــــــــــــــة  
كبا من أعاليه عليب ويحــــــــــــــــــــة  
صليب عباد الصليب ومنــــــــــــــــــــز  
أيكن أوطان النبيين عصبــــــــــــــــــــة  
نصحتكم والدين في النصح وأجــــــــــــــــــــب

وقال يحرض صالح الدين على فتح حلب ، من قصيدة :

شم الممالك بعد الزرع والنــــــــــــــــــــبل  
من بعد ما كن رهن الشي والخطــــــــــــــــــــبل  
سروجها قلن تشغي عن القلــــــــــــــــــــبل  
داعي اليه جميع الخلق والمــــــــــــــــــــبل  
عالم أذلها أهاليه مبتــــــــــــــــــــبل  
ما باله فيصابني غير محــــــــــــــــــــبل  
حلولة ، وعلى الاقار، فليطــــــــــــــــــــبل ( ٣ )

لولا مساعي صالح الدين ما صلحــــــــــــــــــــت  
ولا اغتدت السن المليات مفصــــــــــــــــــــة  
فانهز الى حلب في كل سابــــــــــــــــــــة  
ما فتحها غير اقليد المالك والــــــــــــــــــــة  
وما عمت نعمة كلكنه فــــــــــــــــــــب  
ظارت وحقك من جاراتها فشكــــــــــــــــــــب  
فليعلم القدس ان الفتح منتظــــــــــــــــــــر

وقال يمدح صالح الدين ويهينه بالفتوحات :

لاية حان نذخر النور والنــــــــــــــــــــم  
وشاع الى أن أسمع الاسل الصــــــــــــــــــــم  
نكم سر قلبا في الانام ركم فــــــــــــــــــــم  
وأطرب ذيانك الشريح ، وما ضــــــــــــــــــــم

أعياء ، وقد عاينتكم الايقال المظــــــــــــــــــــم  
وقد ساع فتح القدس في كل منــــــــــــــــــــم  
تحل به الاضداد ، واللفظ واحــــــــــــــــــــم  
حيا مكة الحسنى ، وشئ بيــــــــــــــــــــم

( ١ ) ديوانه ج ١ ص ١٧١

( ٢ ) الروشيين ١١/٢ وانظر الكامل ٤٥٧/١١ وديوانه ج ٢ ص ٤٠٩ والبداية والنهاية ٧١٢

( ٣ ) عقد الجمان ج ١٧ ق ١ ورقه ٣ وانظر ديوان ابن الساطني ج ٢ ص ٣٨٢ والروشيين ٣/٦

فليت فتى الخطاب شاهد فتحهما  
وقد أوتي الفتحين : مالا وبلعدة  
ففي لهوات الشركه أرسلها تجسسي  
وما كان الا الداء أعيسا دواؤه  
وأصبح شرف الدين جذلان باسمها  
سلوا الساحل الخشي عن سطواته  
تجاوزت ما أعيا الجبال من المسه

فيشهد أن المسهم من يوسف أصمسي  
علم بين نسرا ما حواه ولا غمسي  
ولبي جبهة الأيام غادرنا وسنسي  
وغير الختام المضرب لا يحمن الخمصا  
والسنة الاغداد توسعه لشمسي  
فما كان الا ساحد صادف اليمسي  
فمن يقطعة كانت مساعيك أم حلما ( ١ )

وقال يمدح الملك المظفر فتح الدين اسحق بن صلاح الدين بقصيدة أولها :

أن حجبتكم أشبا عكم والنامسنا  
وشمها :

فأبعثوا لي من النسيم السلامسنا

ما نداه طألا ولا جهوده الفيومسنا  
واهب المرفقات من عشقمسنا  
ويرد الخيمسنا طعنا فان لسلمسنا  
كاتبا بالسيوف في جهيمسنا  
شاعر ينظم التلوس ولا ينسنا  
ويجر الأرزاق أو يرفسنا  
واذا عاتت السيوف فللمسنا  
في الوقي والندى خربا وسلمسنا  
فاذا لم يكن مجال لسيسسنا  
لا يسام الخسوف بدر محيسسنا  
فئناه كالملك طاب شميسنا  
حبذا عركه النسيم ومسا أحيسنا  
.....

بك فتح الدين الخنيسنا أذل السيسنا  
ما شكا جفنه الجريسنا السي كفسسنا  
خات عن حولها ارماسنا ولولا الميسنا  
فالت زفقك جنة وأصطبسنا  
فلقد كلت النطسنا النرب والسيسنا  
وأستحال الهجير ظلنا ونسنا  
.....

( ١ ) الروضتين ١٠٦ / ٢ ، ديوانه ٣٨٥ / ١  
( ٢ ) ديوانه ج ١ ، ص ١٤٦ - ١٤٦

وإن كان ماء أنت صيرته د

ففي مهده طفلاً بهن تكلم  
 وبأبي نداءه أن يكون محرم  
 وقب المذاكي والموشيح المقوم  
 فما تجد الخطي الا تحطم  
 فأجرى على أعظافها الماء والدم  
 ففي غيرها لا يستجيز التيمم  
 ولولا له لم تبق الفرجة مسلم  
 ولكنه عن الحطيموزمزم  
 وإن كف ثوب الصبح بالنقح  
 فتلقاه فيها شافراً مثلتم  
 إذا لم يحطها ظاعنا وسخيم  
 وعيشا لنا بالظوظتين تصرم  
 ولم أروردا غيرها ينقح الظما  
 ( ١ ) الخ

سقيت حيا جفني يا بائعا الحمسى

وبنهما :

ففي أفصحت عنه ما غيل مجسده  
 بربك ربيما كل وقت جنا بسده  
 سلوا السن الاعلام عن فتكاتسه  
 حتى القدس من زرق الاعادى بصرها  
 شكا أهلها داهي محول وخيفسه  
 سقى ربيها ماء النجيب سيوفسه  
 فلم يبق في ساحاتها غير مسلم  
 وبنا صانها دارا تحلل وأختهم  
 إذا سلها بالبيض الحناد برأشمست  
 يضيء بحياه وللركن هبسه  
 وما جلت في المدن الا كفيره  
 سقى الله عهد النيريين عهد  
 فلم أر ظلا سابقا غير ظله

وقال في فتح طبرية :

جلت عزما لك الفتح البيهني  
 ردت أخذة الاسلام لمسننا  
 وهان بك الصليب وكان قدمنا  
 يقاتل كل ذي ملك ربينا  
 عدت في وجنة الايام خننا  
 نيا لله كم سرت قلوبنا  
 وما طيرة الا هدينا  
 حصان الذيل لم تقذف بسنا  
 فضضت ختامها تسرا ومسنا  
 لقد لكحتها صم الصوالسنا  
 هناك ندى أهل الارض طسنا  
 تست حتى رأيت كفوا فلاننا  
 تديت فرينة الاسلام بنسنا  
 تهز معاطف القدس ايتها جنا

فقد قرت عيون الوء منينا  
 غدا صرف القضاء بها ضمينا  
 يمز على السوالي أن يهوننا  
 وأنت قاتل الأعداء ديننا  
 وفي جيد الملا عقدا تهنينا  
 وبنا لله كم أبكت عيوننا  
 ترفح عن أكف اللامهنا  
 وحمل عنها الليالي والسنينا  
 يصد الليت أن يلبح العربينا  
 فكان نتاجها الحرب الزبوننا  
 سواك ومقل أعيا القروننا  
 وغاية كل قاس أن يليننا  
 وصدقت الاطاني والظنوننا  
 وترضى عنك قلة والحجوننا

( ١ ) ديوانه ج ١ ص ١٧٧ - ١٧٩

نومين والجهاد يد يد  
جملت عيال أهلها ظالما  
تخال حياة جوزتها نسبا  
لبيفك في جباههم غنبا  
تدبل إلى المتفئة الصوالسي  
يكاد القرح يذهلها فالولا  
فكم حازت قدود قنك منهمبا  
وغيد كالجاذر أنسبات  
ولما باكرتها ملك نصيبسي  
أعدت بها الليالي وهي يبسفي  
فليد، ينادم برعى خصيبسي  
فإن عدم الشام وساكنسي  
جهاد جفونها في كل فيسبح  
فألمع بالسواحل فهي سور  
فقلب السور مسرور والولا  
أدرت على الفرج وقد تلاقست  
ففي بيسان ذاتوا ملك بوسبا  
لقد جاءتهم الأحداث جمعبا  
وظافهم الزمان فلا مسبا  
لقد جردت عزبا ناصريسي  
فكنت كيوشف الصديق حقبا  
لقد أتت من دالب الجمالسي  
وان تاه آخرها وخسبا لأك ذم

وأبدلت الزئير بها أنينبا  
يتخوضون الحديد مقنسينبا  
أفيد علم الطير الحنينبا  
فهمل أسمت ربا حا أم حصونسيبا  
بروق القاضيات لما هدينبا  
تدودا كالتنا لونا ولينبا  
كفيد نذاك أبكارا وعونسيبا  
بنان شفيع الفيث الهتونسيبا  
وتد كانت بها الايام جتونسيبا  
أخو شغب ولا ماء مهنسيبا  
الهي تخفي، بها الداء الدفينسيبا  
سهاد ينجم الفحص الجفونسيبا  
الينك والجرى الهام المتونسيبا  
سحلاك لكان مكثبا حزينسيبا  
جموعهم عليك رعى طحونسيبا  
وفي صعد أتوك صعد ينسيبا  
كان صروغها كانت كمينسيبا  
فلمت بمهضر زما شؤونسيبا  
يحدث عن سناه طور سينسيبا  
له هوت الكواكب ما جدينسيبا  
وحاول أن يوءر بالمسلمينسيبا  
فان محمدا في الاخر ينسيبا ( ١ )

قال يمدح صالح الدين :

طالت فروع الخيم في ..... كما زكت منه الاصول  
 راياته تحكي الاصيل ..... ل فرايه الران الاصيل  
 حيث الخيول على ..... ركبتها فيها الوعد  
 انا وقد قصد الفضة ..... وهنت القرب النص  
 وكنت به ام الصليب ..... ب وشد صاربه الصليب  
 وبت له ارض الش ..... م تهون اذ كانت ته  
 فلصوف ينتج تعلم ..... من قبل ان يقع القف  
 ويعيد ما فص الص ..... بكرت تزف لها الفح  
 يا ايها الملك الجلس ..... بي الامر والملك الجلي  
 كم ضمة ل ..... روضة بل تستطيع  
 ولكم صفحت عن ..... روقد تبطنه الفل

وقال مدحه أيضا سنة ٥٧٦ :

يا صالح الدين يا ملك ..... مذ براه الله للامم  
 اشحت الفسارني تقم ..... وغدا الاسلم في نصم (٢)

(١) الخريدة ، قسم شعراء مصر ١٠٨/١

(٢) الخريدة ، قسم شعراء مصر ١٠٦/١

قال يمدح الملك الناصر صلاح الدين وبيته بفتح حلب من عماد الدين زنكي بن مسعود سنة ٥٧٩ :

بدولة الترك عزت ملة العسكرب  
 وفي زمان ابن أيوب غدت حلسكرب  
 ولا بن أيوب وانت كل ملككسرة  
 مظفر النصر مضوت بهمتكسرة  
 والدهر بالتدر المحتوم يخذ مسكسرة  
 ويجتلى الخلق من رايته أبسكسرة  
 ان السواجم كانت أي عامكسرة  
 ط دار قط عليها دور دائكسرة  
 لو راعها الدهر لم يظفر ببنيكسرة  
 ولو أتى أسد الأيسراني فتكسرة  
 جليق النجم في أعلى منازلكسرة  
 تلقى اذا عطشت والبرق أركسرة  
 كل القلاع تروم السحب في كسرة  
 حتى أتى من مثال النجم ملككسرة  
 من لو أبى الفلك الدوار طاككسرة  
 أتى اليها يقود البحر ملتطكسرة  
 ستلحمين ولو لا أنهم حفظكسرة  
 جملهم من مخزيمهم اذا قفلكسرة  
 فطاف بها يزكن لا يقبلكسرة  
 وحل من حولها الاقنيس على فلكك  
 .....  
 لو لم تجب يوسف من قبل دعوتكسرة  
 عافت وشاف هوثر الما لكون بهكسرة  
 ثم استجابت كفا حنن بدتكسرة  
 وأببحوا منه في هم وشبحكسرة  
 شرفوا نسيم الحيين واشتلكسرة  
 أرن البزيرة لم تنافر مما لككسرة  
 مالهك لم يدبرها مدبركسرة  
 حتى أتاها شيخ الدين فأصلكسرة  
 واستحل الجسد ليسها غيركسرة

ويا بن أيوب ذلت شيمة الملككسرة  
 من أرض ضرور غارت مصر من حلكسرة  
 بالسفح والسلمج أو بالحرب والمكسرة  
 الى المزاييم مدلول على المكسرة  
 والارض بالحقاق والافلاك بالهكسرة  
 مبهضة النصر من صفرة المكسرة  
 مصنومة بتساليها عن الرتكسرة  
 كلا ولا واعلتها نوبة النكسرة  
 ولو راعها بقوم الافق لم يكسرة  
 حارت قوائمه عنها ولمهشكسرة  
 ونالط غاب عنها وهي لمهشكسرة  
 كواكب الدلو في بئر من المكسرة  
 الا السواجم تفيض السحب في كسرة  
 يا طالب النجم قد أوغلت في الدلكسرة  
 لصير الراية منه موضع الذكسرة  
 والبيضا كالجوي والبيضا كالجكسرة  
 عوائد الحرب لاستغنوا عن الكسرة  
 حيا لقا الصبي لا حيا لقا الكسرة  
 الا أسنة أطراف التنا السلكسرة  
 ودار من برجها الأعلى على قطكسرة  
 .....  
 لعاد ظبرها كالجوسق الضكسرة  
 فالمدن في رهيب والقوم في كسرة  
 منها عليقولا ملكه بدتكسرة  
 وهم سكارى بكأس اللهو والملككسرة  
 عن الشور بلتم التنر والشكسرة  
 يطالك فطن أو سائكسرة  
 الا برأى خصي أو بعقل كسرة  
 من الفساد كما صحت من الوكسرة  
 بالجند حتى كان الجند كاللعكسرة (١)

(١) ديوانه ص ٩ - ١٦ والروضتين ٤٢/٢



وقال يمدح الملك المظفر تقي الدين وكان عازما على المضي الى افتتاح المشرب سنة ٥٨٢ هـ :

لنصرك حتى تملك الحرب بالخليج  
وما جتمعت الا لتجد عكسك  
وباسمك من قبل الوفي تهزم الحمدي  
ولكن ارادت ان تفوز بخدمته  
وتأوى الى حزب المظفر انفسه  
وتبدل فيه ما اتفقت عليه طباعه  
ويجولو لعاليدر المنير مساكنه  
وسعد بالبرعيه في السلم مثل مساب  
.....

لك الجحفل الجرار للبيز والتبس  
به كل وثاب الى التوت باسسه  
يسبون عن كعب المنايم في الوفى  
ويشتمهم بسبي السود عن المهسى  
لهم محجز في الحامن والشرب باسسه  
ويهرب من اسياهم قبل علمه  
فعدن الاعادى غير محتيد العمسى  
وكم ملك بالتاج يعصب رأسه  
.....

هنيئا لك الملك الذي أنت رئيسه  
ويحيا لك الكفار نادمة القسوس  
وسطك كفا تشهد السحب انهبها  
وادناؤك الظمان للجدود والنسدى  
وتقريبك المظلوم من غير حجبيته  
وسيرك فينا سيرة عذريته  
وردك فينا من سخطك سنسبه  
فيا صرتهمي واستطيلي بملكه  
ولا غرو ان تاهت بملكك وأزد حسبه

وقال يمدح الملك العزيز عثمان سنة ٥٩٤ هـ حين رد الفرنج الالمانيين عن تينين :

الشام للأسلام دار التسرار  
وكان في ظلمة ليل دجسست  
وجاءه بالبر بعد التسننى  
فيا أمان الكفر لا تأمنسوا

قد اجتمعت زهر الكواكب في الشرب  
بسعدك يشفى عن ماعدة الشهب  
وباسمك قبل الحرب تنير بالعرض  
تشرتها مع بعدنا منك بالتسرب  
يظفر من يأوى الى ذك الحمس  
تكتشف عنه شمها ظلمة العظمس  
فيسهل منها كل ميتوعر صعب  
يساعده المريح في حومة الحمس  
.....

تخط خطاوط النصر حتى على المسترب  
ومن ذا يرد الاسد عن طبة الوثمس  
غلبهم لهم غير الفوارى من كسب  
ويلهمهم نهب النفوس عن التمس  
فذا طعن في طعن ولا ضربا في ضرب  
ورب سيفك قطعت وهي في القسرب  
يسهم وتراهم غير أنت السسرب  
أثوة عجازوا ذك الصب بالنصب  
.....

بهذا لك جهدك الفخر في طاعة المسرب  
تسوق الى السلطان قاصدة المسرب  
وتد عدقت أندى بنانا من المسرب  
من المنهبل الفياض والمورد العسرب  
وان كنت من نور الجبال في حجسب  
فروحت من قلب ومزجت من كسب  
فاظهرت ذاك الفرض من ذك التسرب  
وتولي له حسبي بملكك من حسب  
ولا عجباً ان أسرفت بك في الشجب (١)

(١) ديوانه ص ٢٧ ص ٢٧

كل مہار في الأعادي مہار  
 قوم كأعداد الحصى للحصار  
 كادوا يعدون طارق القطم  
 طار أداما ليه الشطط  
 مظان قادتها الجلوك الكبير  
 كأنه من مغرب الشمس نسر  
 أو يبتاع القلح في البحر طمس  
 بانوساروا فوقها في تفسر  
 وأحدتوا كالفل لا كالسوار  
 هدوا كسول وأحاطوا كنسار  
 وقيل أن يحضره في احتضار  
 فمندا ما أطلت طاروا شسرار  
 بحروف في تشرق فيه البحصار  
 هل يثبت الليل أمام النهسار  
 إلا لأن الليل مرخص في الأزار  
 عجلت في القوم شقاء الشفسار  
 فليشكروا منه ليالي السمسرار  
 لأنه ملك لهم قد أجزسار  
 هام مطير سم هام مطسار  
 فما شلوا من غور أو خسوار  
 فما حديت القوم إلا مسسرار  
 فسار ذو الشفر ذات الغمسار  
 ومناك لم يتدر عليه تسسار  
 بالياسر بل من حلقات الأشسار  
 ما فيه لا بل ما عليه فبسار  
 إن ثاراً منك ما فيه صمسار  
 وهو لهم قد أحسن الاشتيسار  
 بالرعب هذا وأبيك الفخسار  
 منامراً أهواك تلك الشمسسار  
 أضحي بدم الجبار فيه جمسار  
 إليك شوق وشجانا أو كسار  
 ما أتعب المشتاق بالانتظسار  
 ووهاب الألوف النظسار  
 حل بما لحر وإن مار سمسار  
 وأن أن ترجم هسدي الديسار

ويا عباد الدين يا من لسنه  
 وجئت لتبين ومن حولك سا  
 سدوا عليها البطون حتى تسد  
 يجوزها اللطيف فولكن علس الاخر  
 ساق اليها الكفر أجانسه الم  
 من كل من يزار من غيبس  
 إنما على البراني راكضس  
 وطبقوا البعر سفينا فمس  
 وأحوا الشجر وطاقوا بس  
 واجتمعوا حولاً وهم حولس  
 وكان ذاك الشجر من ألس  
 وكان أهل الكفر في جمرة  
 وأنزروا للبحر إذ ابصروا  
 وعذرتهم إذ هربوا واضس  
 أتم ما سدوا إزارا لنس  
 لولا سرى القوم يهجيلس  
 وظلمتا الشهر إذ تمس  
 وكان للذئب يد عند مس  
 لولم يحق سيفك ما سمس  
 عجوا وطاقوا عن طارق السسردى  
 وبسبهم يهجم من خوفس  
 وانقلب بالذل أزياء مس  
 أمت ذاك الثمر من عقس  
 ومن حصار الكفر خلستس  
 وما سمنا قط غتنا جسمسرى  
 نروا ولا عار عليهم بس  
 لراهم الرأي أجتنب الوغسس  
 يا ملك كهمم أعسسداؤه  
 تشبهت حق الشام إذ زرس  
 وذل ملك الكفر فيه فقسس  
 فارجع إلى مصر فقد شمس  
 وانتظرت عودك مشتاتس  
 تشتاق ملك البدر والميسك والفس  
 ومن إذا ما حل في موطنس  
 والشام قد أوسعتها رحمس

أجنت يد الأسايم تلك الثمــار  
بالفضل والبسطة والاقــسار  
عمرأ طويلاً في ليال قصــار  
طولا وبهذا القول مــى اختصار ( ١ )

ومرأ نزل الحلاك وهي البــستي  
نمد ولا زلت لنا عــسار  
والدهر لا زلت به لــسار  
تبقى بدي الدنيا وأمثالــسار

وقال يمدح القاضي الفاضل ويهنته بفتح عسقان سنة ٥٨٣ بقصيدة مطلعها :

أترى دري ذاك الرقيب بما جمــرى

بأنت معانقتي ولكن في الكــرى

ومضميما :

ظهورت ويبلغ فوق ذاك مظهرــرا  
شكروا لديه غمار يدعي الأكبــرا  
تتكبر عن أن يرى مــترا  
وبرأيه غد المهزبر مــرا  
ثيتوم في حرب البدو مشهــرا  
عبدا هولكنا نراه محــرا  
فإذا له أزرير بالهيان وأشمــرا  
فصل المدى من كان أعليــرا  
بديهم جعل الشام مظهرــرا  
والأنبل المخفوض مضميــرا  
أن كنت فاتحه نلن يتشــرا  
بالأرت عن آياتك الشمــرى  
وبه طلعت وكنت صيحا مــرا  
وبه ظفرت فإذ برحت مظهرــرا  
أن الهناء أتا من أم القــرى  
وغدا وأرسل بالهناء المشــرا  
ورفعت شاهته وكان مدــرا  
وعمرت ساحته فصحت مــرا  
حاشاه وهو عريته أن يكتــرا  
اذ كان يضمض من ما قد أظــرا  
أن لا تشار وعقها أن تمدرا مــرا ( ٢ )

بلغ السماء معالياً وكأرمــسار  
فضل الملوك فصار يُسمى فاضــسار  
ويحد ألوية البلوى وأنــسار  
فبتواه حد الحسام بغلــسار  
الراى أبين واليراع مــسار  
جملت براعته الكلام المغنــسار  
وسقى الندى من راحته يراعــسار  
كسر السليب منه من رأــسار  
واقدر أقر الله عين نبيــسار  
ما زال أو جعل التينة جامــسار  
فتح الشام به هو قال زمانــسار  
الشام دارك لو أردت أخذتــسار  
منه بزفت وكنت بدرا نــسار  
وله ملكت فإذ برحت ملكــسار  
من يبلغ بيمان سيدة القــرى  
فلو استطاع البيت أرسل حجــره  
ولقد أعدت لعسقان روحــسار  
وأدمت راحته فدمت مــسار  
كفر الشام وعسقان مؤــسار  
ولكان مؤمن آل فرعون بهــسار  
لأغرث صر به وأيسر حقمــسار

( ١ ) ديوانه ص ٢٨٣ - ٢٨٩ ( ٢ ) ديوانه ص ٣٥١ - ٢٦١

وقال يمدح الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب ، بتسيده مخلصها :

على أن طرقي أي ساه وساهم

تنزه طرقي بين زاه وزاهم

ومنهما :

وقد سبقت أخباره في عساك  
ولا يدرك الصلياء من لم يسا  
فتعبر من أجسادهم في محاسن  
وفعائده لا تتقى بالمصنعا  
وأثبتته بين اختلاف البوات  
أطام نهار كالحج الوجه باسم  
وعنها إلى الأوطان آخر صسا  
وتنداك رعباً قبل وقع التوا  
وعشيرةنا بين الحذيب وحاج  
وينقل منها عن طول دوائس  
وتقتلهم ما أن لها من مقاب  
وألسنة أفواهما من مناس  
مخاني الفواني بل تصور القيا  
ويصبح منه عند أكرم أس  
سراثر غلاب المقادير تمس  
حليم لنا يفتك عاذر طاشر (١)

يوم السدي في عسكر من جنسوده  
يبادر للأقران قبل بدادهم  
وتسري إلى النسر البين رطاحسه  
فحمايته لا تتقى بموايسغ  
له الله ما أمناه حد عزيمته  
يظل بوجه ضاحك الشرب باسم  
تراه إلى الكهيجاء أول وارد  
تخر الجبال الشم خوف شيولسه  
سنايكها بين الصرب وشمس  
يزور الاطادي في حشون شوامغ  
ملوك عداه ما لها من ساكمن  
فكم من قلوب في صدور مخالسب  
إذا تفلت أجناده فجهل لها  
بييتها منه بأحقق تاشس  
يلوذ بخفار الجرائر ساقسغ الب  
كريم غما يفتك مخدم مسس

وقال يمدح القاضي الفاضل ، بتسيده مخلصها :

وحاشاك نهمن وجهها ضحك الشمر

إلا فانتبه من ألقها طلع الفجر

ومنهما :

وأعلوا له قدراً غصار لهم تمسدر  
وقد جرح منها ما يضيء به اليمسدر  
فأراؤه بيض وراياتهم سفسدر  
طرائقه سود وأواجه حمسدر  
على أنه نسر الكواكب لا النمسدر  
وفي قلب ذا خرف وفي صدر ذا دمسدر  
فما ناله ذل السباؤلا الأمسدر

أبانوا برقع الفاضل الندب فضلهم  
وطافته إلا الجيوش يجرهم  
ولا فرق لولا اللون بين سلاحهم  
وخاش بهم في البر بحرا من السردى  
وجاز طريقا يرهب النسر قطعهم  
ويطلع فيها النسيم والليل بحسده  
تهاب الرياح المهوج من ترابهم

(١) ديوانه ص ٣٦٦ - ٣٧٠

وما زال من إيمانه يرغم الكفـ  
مهتدة بيض وخطية مـ  
وتحرسها منه العاتوة والذكـ  
على أن ذاك النصل ما فاته النصـ  
وأبعد شيء بعد رؤيته الفـ  
وأعجز شيء من مدائح الفـ  
وليس يؤدى حق نصته الشـ (١)

وجاز وأنف الكفر في التـ  
تحت به من خائفه وأـ  
فتحرسه من بجنده البيض والقـ  
وأب كأوب النصل للخذ سالـ  
فأترب شيء بعد رؤيته الفـ  
وأنهض شيء من أنامله للمـ  
فليس يوفى كنهة الوصف جهـ

وقال يمدح الملك المادل بقصيدة مدائحها :

لو أنه أهدى الي الخيـ

ما ضر من أهدى الي الخيـ

ونهما :

وواهب المادل يوم النـ  
والواهب الآلاف قبل السـ  
أب والقاتل يوم القـ  
ضاق على الراجل فيه الحجـ  
يربك أشودج سير الجيـ  
فيها خذل لا حين جاءه الفـ  
غدائر القتلى لهم كالحبـ  
كما جنده للمدى ذو الجـ  
كما به هد ظلال الضـ  
وصير الكفر بيال الويـ  
قد طال في غرته وأستطـ  
ومن قضايها عدله في ظـ  
منه كما الأحوال منه خـ  
إلا له وتيت عين الكـ  
..... (٦)

آسنى القرب ويوم النـ  
الآنخذ الاقتران بعد الوغـ  
والطالب الاطلاب والسـ  
والواسع المندر لدى موقـ  
يسير سير السيل في موكـ  
أشلى ديار الكفر أو لم يمـ  
وأوثق الأسرى فقد أصبحـ  
سيف نضاه ذو العلى المحلـ  
أعلى بما لله هوادي الهـ  
فأنزل الشراك بدار السـ  
فأصبح الأساكم في نصـ  
والخلف، من نعماه في جنـ  
أعطى ريثم بالخير محمـ  
يا ملكا لا ينفي ملكـ  
.....

وقال يمدح صالح الدين ويذكر نزوله على الكـ وانسرافه عنه وفتحته بعد ذلك نابلس بقصيدة مدائحها :

كنت أبا نر وكان أبا جهـ

وكنته والنصي يماند في المـ

ونهما :

كتائبه كالقرب والخيـ كالرـ

إذا راسل الأعداء يوما فأـ

ديوانه ص ٥٤٤ - ٥٤٨ (٦)

(١) ديوانه ص ٢٧٨ - ٢٨٥

له سارم يشفي به الدين عسسه  
 ينهب منا لونه بنجهم  
 فلا تحسبوا بالكنا جرد نصلمسه  
 ثلثاه كمثل القتل لونا وانهمسسا  
 حداد عداة للحديد تتسسه  
 فكان قد الهام من تبل طهمسسا  
 يجردها من يفند الجوز عدلئسه  
 ويحملها من حمل الدين كلئسه  
 هل الدرك التكلي بأولادها أنتمست  
 وكانوا لها كالعقد لكنه وهسسي  
 آتاهم بمثل الرطل ينقل خيلهمسسا  
 عساكر أرواح العساكر شريمسسا  
 وما طال درج الذر منهم تحضئسسا  
 إذا ما انحنوا للحمل حاكوا تميمهم  
 يكلفهم فزوا الفرنج بدارهمسسا  
 إذا كنت من قتالهم تملأ سبلهمسسا  
 جيادهم تخشى العثار من القنا الس  
 وما خالفك الجرد قدا وانهمسسا  
 وأرجلها لو تظنت لمرت بمسسن  
 جنى أهل تلك التلعة الشراذ رأوا  
 غدا يعلها الا برنر يلعن عرسه  
 يرى الخيل والفرسان ينشون روحه  
 وقد رجعتنا المنجنيقات إذ رمت  
 فباتت هوما قد مات يفتح ملكسه  
 وصيحت أخرى صيحتك بأهلهمسسا  
 فنايلس لما نزلت برهمسسا  
 أحسوا بطل للخرىف فجاءهمسسا  
 ولم أرأغا جادها الشيت تبلهمسسا  
 وما شرتوا بالماء والريق إذ رأوا  
 شببت وتود الحرب بالمبير والقمنا  
 وما أغمدت عنهم سيوفك أو أنسست  
 يمانق في قتالهم فبه عابسسا  
 أبدت النصارى واليهود بحمسرك  
 وكانت بهم تلك البلاد تنجسست  
 ولم يبق الا من سبى الجيوش منهمسسا  
 عذاري أسارى كبلت بشعورهمسسا

ربحجز وعد النسر منه بلا مطمسسل  
 فما يتحلى سيفه حلة المتسسل  
 ولكنه قد جرد الكنا بالنصمسسل  
 لترى السدى رعي الذئبي ورق البقسسل  
 من البعد حتى كل غمد بلا نصمسسل  
 وتخن من سجن الفمود بلا سمسسل  
 ويتوى بها من يتخيف القفر باليمسسل  
 عليه وما يشكو سوى خفة الكمسسل  
 عن النسل ما جرتته من التكمسسل  
 وأضحى لها جيسرا من أيوب كالمسسل  
 الى الافق ما فوق الطريق من الرمسسل  
 وليبر لها غير الفوارس من أكسسسل  
 ولكن ليشدوا دارفه منه في جسسل  
 على أنهم للموت أجري من التمسسل  
 ويمسسل الا أنه ليس بالصهمسسل  
 فكيف يسير الجيوش فيها بلا سمسسل  
 قسيفه وتخشى في الدماء من الوحسسل  
 لتلحق من عاديته وهي في الشكمسسل  
 عليها لهم والصل يسحق بلا رجسسسل  
 شواد ينها كالباسقات من النخمسسل  
 بها وهي لا تنفك من لعنة البمسسل  
 فيضطر لاستعماله غلة الشفمسسل  
 لشيوخ لمين كافر جاه سسل رذل  
 فتاقتها تكي الفروع على الأصسسسل  
 ومستاء إذ أمسيت وهي بلا أنسسسل  
 أقامت بهم حق الضيافة والنسسسل  
 ربيع من النبل المسدد كالوسسسسل  
 وتصبح تشكو بسد غلة المحسسسل  
 جيوشك لكن بالفوارس والرجسسسل  
 عليهم فقد أضحى دماؤهم تنلمسسلي  
 على الخرو والشيوخ المثل والكهمسسل  
 ضلينا بلا حب له طابد الصجسسسل  
 وما جاء هذا قطافي سالف النقسسل  
 غناب دم منهم عن الماء في التمسسل  
 وأن كان يسبى الجيوش بالمعدق النجسسسل  
 فجزعها في الساق والمصم الممسسل

وأنت بشكر الله في أشنل الشمنسل  
جمعت به بين الفريضة والنفس  
تناديك لأسألكم يا جامع الشمنسل  
وأبى زمان لم تمد فيه بالفضنسل  
سوى أنت بالريحان والراح والنفس  
من الملك المشني عن القول بالنفس  
مع اليهود بالدنيا وما شو بالمهمزل  
ويعلم هذا فجاء بالمقد والنقل ( ١ )

وقال يجمع الملك الناصر صالح الدين ، بانتصاره على الفرنج قرب بانياس ، بقسيدة أولها :  
ووجدى بها أن أجمع البغن والحفنا

وأوسخهم تد لا سيسكنه عد نسا  
ويدلهم من بعد شونهم أنسا  
ويأربه صوت المصام إذا غمسنى  
تقوم والقوس الشديد له يعمسنى  
وتودى له القتل وتسمى له العمسنى  
فقد أصبحت من هن غارته شمنسا  
فلا محفل ينشى ولا منزل يشمنى  
ودهر على تلك المقاتل تد أشمنى  
نظام يراها ساعة وهو قد أسمنى  
وأسميت فيها الروح والاب والابنسا  
أضنة خيل لا تسود ولا تشمنى  
وقلف رؤوسهم أن أن تجمسنى  
وجالدهم والقرن تد حثم القرنسا  
ويحرق ما بين القلوب من السخنسا  
يحمس قفاه الطمن فيه ولا طمنسا  
ولا فاز من كان الفرار له حمنسا  
وترح السوالي قد أصم له الأذنسا  
غلم نجت حواءه شكر الجبنسا  
ولكنه من بعده ترح السنسا  
ترون ملوك كم أبادوا لهم ترنسا  
ولا يابلون الدشر فكا ولا أنسا  
وقد جعل الارض الفضا لهم صحنسا

وقد شملت عن أهلها بأسارهنسا  
تكبر فيها الله في الجايح السندى  
وصليت فيها بجمعة بجماعهنسا  
وعدت بفضل الله للخالق ما لمسا  
فقد شغل الأملك عن شكرهم  
يقولون ما لا يفعلون أما استنسا  
لك الحكم في الدنيا وما شو بالهمدى  
فجاءه ذروته على كل مسلمسنسا

وقال يجمع الملك الناصر صالح الدين ، بانتصاره على الفرنج قرب بانياس ، بقسيدة أولها :  
أبى صدها أن يجمع الحسن والحسنى

ونهما :  
انام بني الامام في كهف أنفمنه  
وعوشهم من بعد سقطهم رضمنى  
وما شاقه صوت المصام اذا شمنسا  
له النصل يجلى والاقناة بكفمنه  
أقام بدار الكفر تجوى له الممنسا  
يشن عليها غارة بعد غسنارة  
غفت وقلت من سألينها ديارهم  
زمان على تلك المهاد تد شمنى  
أصاف وشقى بين عكا وعزمنسا  
أقمت بها التوحيد لله وحسنده  
لما رأوه أدبروا حين غابنسا  
وتد وثقوا لكن لاسر رقابهم  
ثبت لهم والسيف قد كره الطلمسنى  
يضرب يذيب الشخص في الأفق حسره  
ضى ملكهم في أول الامر هارسا  
عقيق عناق ما نجا من نجابهمسا  
وما زال أحن السير والقلب فائتنى  
وتد أنفت منه المواضي لجبنسا  
ولم يفتن الناووس بعد انهزامنسا  
وأشقى أسيرا بأدويل وشمسنسا  
أسارى جبارى ، لا يرجون قد يسنة  
وهل زادهم السجن شيئا عليهمسنسا

( ١ ) ديوانه ص ٥٥٩ - ٥٧١

ولكن على نفسيهما أمينا العجسنا  
ويوحشه الليل البهيم اذا جنسنا  
ويطرب لكن ان هذا تيده احسننا  
فحنت وأنت مثل ما حن أو أنسنا  
بنيت لذا ركننا هدمت لذا ركنسنا  
كحني بلا الفظا ولفظ بلا منسنا  
سوية منه تشكبي البيت والحزنسنا  
والا السحب قد أظلمت عنسنا  
محلن من مؤون ومنناك من منسنا  
وأنته يغني الزمان ولا تشمسنا (١)

بكي الكند واليسكنند لا وحشة لهمسنا  
يروحه السبع المنير اذا بسسنا  
ويشرب لكن ان جرى دمه دسنا  
وتد ريشا زنت عليه تيسسنا  
وتد أسبع الاسانم واكثر كلمسنا  
وتد أصبحت ط سرت بسر وأهلهمسنا  
غدت مثل يعقوب النبي وقد نسسنا  
وما أنت الا الشمس أظلم بعد هذا البلاد  
فناوي لعين أبصرتها ونسنا  
فلا زلت تبقى للنبي ودينسنا

(٣)

وقال يمدح صلاح الدين وبهنته بكسر الفريخ وملك يازد الشام :

يا ضيل الاسانم ما قد تنسنا  
وهو أولى لانه كان أهنسنا  
أم نهنيك ان تملك عدنسنا  
ان فحنت الشام حسنا فحمنسنا  
ق وانت الذي على الدين منسنا  
ثم أعتقته وقد كان تنسنا  
وهو في عرصة الملائك أشمسنا  
ومحل فوج الأسيمة يمسنا  
ل فوائى اليه شوقنا وحنسنا  
ت في بيته أحق بسكسنا  
ل رد الاتران ترنا فقرنسنا  
ولكم طينة ولم تر لنا نسنا  
ه فرادى جاءت اليه ومتسنا  
ل ما ولما نهضت لم يتانسنا  
ه بالحرب والحب معسنا  
وتعنى فانه ما تنسنا  
ر سنا واليدر يطلع ودهنسنا  
كنت يا يوسف كيوسف حسنسنا  
شبه قد صخفوه أو صار حسنسنا  
ما أملوه عنك وحنسنا  
جعلتها بحللات خيلك عنسنا  
نا نحن قد فارسا مدد ركنسنا  
ك لأقيمتهم يازدا ومدنسنا

لست أدري بأي فتح تهسنا  
كل فتح يقول اني أولسنا  
أنهنيك ان تملك هامسنا  
تد ملك الجنان تصرا فقصسنا  
ان دين الاسانم من علمسنا  
أنت أحييته وقد كان مهسنا  
فاشكر الله ما صنعت على العمسنا  
لك مدح فوق السماوات ينسنا  
شاق جبريل بيته بيسنت جبريسنا  
يخرج الساكنون منه ورب البيسنا  
شهد الناس أنهم شاهسندا جبريسنا  
فلكم ضربة ولم تر ضريسنا  
ملك جنده ما لكسنة اللسسنا  
كم تأنى النصر العزيز من الشسسنا  
قد تنسيت حين أحببت وجهه المسسنا  
ولسرى من حاز فتحا جليسسنا  
تمت في ظلمة الكربية كاليسسنا  
لم تقف تد في المحسسنا  
تجني النصر من ظلمك كأن العسسنا  
تعدت نعوك الأسمادى فرد اللسسنا  
حلوا كالجبال عظمنا واكسسنا  
جمعوا كيدهم وجاءواك أركسسنا  
لم تلاق الجيوش منهم واكنسسنا

(١) ديوانه ص ٧٥٤ - ٧٦١



يا وتاجا وطيلسانا ورد نسنا  
 أنت بالشر كنت أغنى وأقسى  
 تنني ولا المهند طننا  
 حين عادت تلك المشجاعة جيننا  
 ح دروبا والمفرار مجننا  
 هل يطيقوا الهروب عقرى وزمننا  
 تجميع الليث والخرزال الاغننا  
 فجرت فوقها الخزائر سفننا  
 زقير المشرفي فيها وغبننا  
 مستضاما فاجعل لها نار مجننا  
 من رأى بعد صلبه قط اغننا  
 ر يغني وملكه ايسر يغننا  
 يتثنى في أدنم يتثننا  
 طودا ويبيضر الشهراد جننا  
 فتمني او أنه ما تمنا  
 عليه تكلمنا أن اننا  
 حاتمتمن لم يعدم اليوم يمننا  
 كنت قد مته فبوزنت حسننا  
 وشمار الأطل منهن تمننا  
 كل عقرى وكل قطر مننا  
 وحويت الافاق سهلا وجزننا  
 وتوحدت بالذي هو أسمننا  
 أي لقط يقال أو أي مصننا  
 ه سمعنا لربنا وأطمننا ( ١ )

كل من يجمل الجديد له ثمنو  
 يدعون الثنى من الناس اكمن  
 خانهم ذلك الصالح غننا  
 واستحالت شقائق الكفر صمننا  
 اشجع التوم فيهم جاعل المنذر  
 ليحليقوا الهروب شعفا وعجننا  
 وتعيد تمه حاقلة مننا  
 وجرت منهم الدماء بحسننا  
 ضمنت منهم وليمة وحسننا  
 ظل صبودهم لذيك أسمننا  
 صلبوا ربهم فلم يغن عنهم  
 وحوى الاسر كل ملك يدمننا  
 والملك السليم فيهم أسمننا  
 يحسب التوم بقطة ويثمننا  
 كم تمنى اللقاء حين مننا  
 ظن ظنا وكنت أصدق مننا  
 رق من رحمة له القيد والشمننا  
 والمعين الابزير أصبح مذمننا  
 أنت ذكيت فوفيت بسمننا  
 وتهادت عرائس الدن نخمننا  
 لا تفر الشام فيك الثماننا  
 قد ملكت البلاد شرقا وغربنا  
 وفردت بالذي هو أسمننا  
 وأخذت الوصف في عاك حمننا  
 وسمعنا الاله تان أطمننا

قال يمدح صالح الدين ويهينه بالفتوح :

هذا الذي كانت الآمال تنتظر  
 بمثل ذا الفتح ه لا والله ما حكيت  
 حين به حان هلك المشركين فيسا  
 مدوا كما مد فيض البحر ملتطم الام  
 لقد فتحت عصاما من ثغوره  
 تركت ارضهم من طول ما عمسرت  
 نقضت ما ابرموا ه ابرمت ما نقضوا  
 الآن قرت جنوب في مضاجعها  
 الآن طابت الى البيت المقدس  
 يا بهجة القدس اذ اضحى به علم الاس  
 يا نور مسجده الاقصى وقد رفعت  
 شان ما بين ناقور يدان بسسه  
 الله اكبر صوت تقشعر لسه  
 يا مالكا الارض مهدها فما احسد  
 ما اخضر هذا الطراز الساحلي ثمرا  
 اضحى بنوا الجعفر الانكاس موعظسه  
 صاروا حديثا وكانوا قبل حادثه  
 سلبتهم دولة الدنيا وعيشتهم  
 هذا الذي سلب الافرنج دولتهم  
 مراكز ما اختطها الخوف مذ مائسه  
 ولا اسر اسما البلاد فقسده  
 يننيك اجمال تولي عن فصلسه

فليوف لله اقوام بما نذر  
 في سالف الدهر اخبار ولا سير  
 لله طيب المشايا منه واليكسر  
 وواج حتى اذا قابلتهم جسر  
 لولاك ما دد من اركانه حجسر  
 منهم بالذوق لا انش ولا ذكسر  
 عبرت ما هدوا ه هدمت ما عمسروا  
 ونام من لم يزل خلفا له المسسر  
 بيت المحرم اجرا وصنعه  
 لام من بعد طوره وهو منشور  
 بعد الصليب بما لايات واسسر  
 وبين ذي ضطق يضي له الحجسر  
 شم الذرى وتكاد الارض تنفطسر  
 سواك من قائم للمهد ينتظسر  
 الا لتسلو به اعلاطك الصفسر  
 فيها لاعدادك الايات والنيسر  
 على الورى يثقيها البدو والحضسر  
 حتى لقد ضجرت من وندهم مقسر  
 وملكهم يا ملوك الارض فاعبسروا  
 عا ط ولا ربح اهلونها ولا ذعسر  
 اسهبت والقاتل المنطير ينشعسر  
 في لفظه البحر سنى تحته الدرر ( ١ )

وقال حين قصد الافرنج القدس سنة ٥٨٧ من جملة قصيدة له :

وجع الفرنجة بل ويل امهم اومسا  
 فكم نشرتهم ضرا اذ انتظسروا  
 كم قد سقيتهم ذلا فلا عجب  
 ان يحسوك فلا بدع لجهلهم  
 زاروا سوريا ولا تشفي وقاحتم  
 فحام عن حولة البيت المقدس لا  
 هو الشريف وقد ناداك مستصمسا  
 وموف تستنفر الايام هفوتهم

النايا

فيهم لييب على السلا تيجتير  
 وكم نظمتهم طعنا اذ انتظسروا  
 ان عربدوا سفها فالقوم قد مكسروا  
 تسقى الى الاسد في ظلماتها الحسرا  
 اذا اسودت في ابطالهم زاروا  
 خوف ه وحاشاك من خوف ولا ضرر  
 فما على بجهده من بعد ها حسسر  
 وتحصد الفقة الاوطاد ما يسدروا ( ٢ )

( ١ ) الروضتين ١٨٠ / ٢ عند الجمان ج ١٧ ق ١ ورقه ١٨٠ ( ٢ ) الروضتين ١٩٤ / ٢

وقال يمدح العادل حين حاصر كوكب سنة ٦٠٩ وخرسها بقسيده أولها :

وظاير العاصيان الدهر والقسدر

وثي لك السمعان النسر والتفسر

ومنها :

فلان جامعُه اذ أسهل الوعر  
ان يستطيعهما التاميل والنظير  
من أن ينالا تنال الانجم الزهر  
لولاك عز على ورادها الصبر  
أن لير ينقش من أمرها الصبر  
مع اعتزلك واستفوتهم جسدر  
قطراه لاندك منه القطر والزهر  
ما لير تبقني غواديه ولا تفسر  
اليك من جنبات الافق تبتسدر  
وكاد كوكبه الدرى ينكسر  
أنفاسها في نفوس الشركاء تزدفسر  
تلب الحديد ولا يستحسك الحجبر  
تخذه بصعيد الارض منفسر  
تعود خيلك صدودا بها الثنبر  
من رأيك الحزم أو من كفاك البسدر  
أن لا يروعهم خوف ولا ذعر  
في جنب تياره الافهام والفسر  
صرف المقادير أو أحداثها غسرتوا  
تسرا اليك سطرى للاسد تنفسر (١)

خطب طرى وطفى حتى شهدت له  
وشامخان رفيعا الاق يعسر عسر  
في ذروتي مشمخر المزد ونهمسا  
أوردت حصنك من تلك الحصون منسى  
وكان أهلاهما قد اكدا حافسا  
يا ويحهم أو غرتهم بني شمسيت  
ولو صدمت به السد الذي أطادت  
أو رام شامخه الاهرام حل بهسا  
بل لو دعوت النجوم الزهر لا بتسدرت  
لقد رأى كوكب في نفسه عجبسا  
أنربت جذوة بأمر في جوانيسه  
رطوقته مجانيق يلين لهسا  
هوت عليه بمثل الشهب قاذفسه  
أضحت مخانيق في أعناق هضبتسه  
بادرتهم برجال لا ينهتهمهم  
مسودين قراع الموت قد الفسوا  
جيش اذا جاش ظاني لجه فرقتست  
لقد بطشتهم بطشا لو انهمهم  
فاستشعروا الذل جلبابا وقادهم

وقال يهني السلطان صلاح الدين بالفتح بقسيده وأنشده أياها بمرح عكا ، أولها :

من سفار الظن وأعظم فتكسا

حدث الثنائيات في القلب أنكسى

ومنها :

لا يحيلون المنجا منه فاكسا  
مين أقذى ، وللصامع سكا  
م وكانوا تلج المناكب يمكا  
م مسودة اللون حلاكسا  
رض فأوسمهم بوارا وهلاكسا

ما لجيش النبال في بحر ملك  
صاح فيهم داعي البسوار غللا  
فتراهم من التنازل كالوه  
بسيون بيض يرون بهسا  
بهم يا همام قد ضاقتست الا

عند الجبان ج ١٧ ق ٢ ورقه ٣٣٨

أيقنوا بالبراءة منك وتباعد	كان يتبين الاوطاد من قبل شكسا
وعدتهم بل أوعدهم نفسوس	كان ميسادها غرورا وأكسا
ولبيضا الهند الرقاق وسحر ال	خط آنت رؤوسهم دون عكسا
ثقتيل منفرا ليس يسودى	وأسير مكبيل لن يثكسا
أنجاة وقد طرحت عليهم سم	كلكتا يهدم الشيال ٥ وبركسا
وتوخيتهم بيض طيسا	كلها يهتك الضرايب هتكسا ( ١ )

بحث الى الخليفة العباسي حين نزل الفرنج بارض الطور :

لها الى النصر اصدار وايسر  
لا يشغلن كتحصن الطور بنسداد ( ١ )

قل للخليفة لا زالت عساك  
ينال فرنج بارض الطور تد نزلوا

قال يمدح صالح الدين ويهنئه بالفتوحات سنة ٥٨٢ :

سعود من الفلك الدائس  
 تمد السى سيفك الياثس  
 عكت فتكة الاسد الثسبادر  
 فله درك من كاسس  
 غلب لها الدهر من جايس  
 فتصا لجدهم المائس  
 م وولي كاصهم الدايس  
 فناجز متى شئت او صابيس  
 بتيار عسرك الزاخس  
 فآثرك الله من ثاقس  
 فمناك بالملك الناصس  
 فله اجراك من صابيس  
 وترفل في الزرد السابيس  
 د على طيب عيشهم الناضس  
 سيرضيك في بيفك الماضس  
 فسادت الي رصفها الطاضس  
 فغلبته من يد الكاضس  
 واحييت من رسمه الدائس  
 ح من الزمن الاول النابيس  
 بها لاصطفاك في الاخيس  
 من يذكر لكم في المورى طائيس  
 ك امثله من مثل سائيس ( ا )

انك على أفقك الزاهس  
 فابشر فان رقاب الصسدي  
 وكم لك من فتكسة فيهم  
 كسرت صليهم عنسوة  
 وغيرت آثارهم كلهم  
 وامضيت جداك في غزوس  
 وادبر ملكهم بالشسنا  
 جنودك بالربب منسوة  
 فكلهم غرق هاللسنا  
 ثارت لدين المهدي في العسدي  
 وتمت بشره السسورى  
 وجاهدت مجتهدا صابيسرا  
 تبيت الملوك على فرشهم  
 وتوتر جاهد عيش الجهمسنا  
 وتسهر ليلك في حق مسن  
 فتحت المقدس من ارضس  
 وجمت الي قدسه البرتس  
 واعليت فيه منار الهسدي  
 لكذخر الله هذا الفتسو  
 وخيلك من بعد غاروقس  
 محبتكم التيث في النفسو  
 فكم لهم عند ذكر الملسو

قال حين أمر المعظم عيسى بتخريب القدس \* :

مررت على القدس الشريف مسلماً  
 غفاضت دموع العين مني صبا بـ  
 وقد رام علي أن يهني رهومـ  
 فقلت له شلت يمينك خـ  
 فلو كان يُغدي بالنفوس فديتـ

على ما تبتى من روع وأنجـ  
 على ما مضى من عصرنا المتـ  
 وشمر عن كفي لثيم مذ مسـ  
 ليمتبر أو سائل أو مسـ  
 بنفسي وهذا الظن في كل مسلم ( ١ )

( ١ ) الذيل على الروضتين ص ١١٥ - ١١٦

( ٢ ) ذكر محمد زغلون سالم أنها قيلت بسبب تدبير القطار لها ، وهو غير صحيح ولا يستند إلى رواية علمية ( الادب المملوكي ج ٦ / ١١٣ )

قال يمدح الوزير صفى الدين ابا عبد الله بن علي بتسيده اولها :

سها ميا في الحشا منها إصابا

ذكر الصبا منه لي دناجت عبا

ونهما :

عداء بالثغر ضربات وطعنات  
ترد بين الدروع السابرسات  
يوماً عدامت له ما فـ دولات  
غزوا فجاست خلال الدار غسارات  
به نفوسكم يدعو بان تاتسبوا  
حصان دن على الجأ والسماوات  
قدامه غله في الخير عسسادات  
ات منه وللعداء ويسسالات  
أبشر فبالفتح جاتك البشارت (١)

ملكه لبقاره والريح في ثفسر الـ  
يرني باسمه يوم المسنزال فما  
فالمك لا أود فيه ولا خلـ سل  
قل للفرنج الأعلى في عقود ارسهم  
عودوا الى حمير فالسيد الذي زملقت  
قد أصعب ابن علي راقيا رتبسا  
معوداً لفعل الخير قد مسسه  
لتولياء ولايات بها لبسساوا الايسر  
يا ناصر الذهب اليمون ناصره

وقال يمدح الملك الناصر صلاح الدين :

وأباد من عبد الصليب وطائسا  
جعلت بيزة المشركين يثا شسا  
ود الذكور بان تكون انا شسا  
وم لقيتهم نقضتهم أثار شسا  
ملاك المالك لا تزال ترا شسا  
ما استيا سوا نقضتهم أنكا شسا  
بسالكاسات المنون عتا شسا  
الا لتجعلها لهم أجدانسا (٢)

لله يوحفكم أغان وقاتسا  
يا أيها الملك الذي عزما شسا  
لما سبيت نساء شهر قاتسا  
أهداهم انطيت للترحيب سد يس  
للسي والبيز الرقاي والقنسا  
عزلتهم اطلابهم حسا شسا  
حقتهم آجالهم نسقتهم شسا  
لم يحفرو تلك الخنادق حول شسا

وقال يمدح صلاح الدين بفتح القدس سنة ٥٨٣ :

والبيد تلمح في الصجاج الاكسدر  
هيبتا بمقتحم الممالك اسسدر

تبني الدالك بالوشيع الاسسدر  
ويكل أجرد شيطم يمدوا السس

(١) ديوانه ص ٥٢

(٢) ديوانه ص ٥٩



والعدل والاحسان والمعروف  
 كفعل مولانا صلاح المسلمين ذي  
 اعيث واعجزت ابلح صفات  
 خلعت عليه خلعة الملك السني  
 اهدى صلاح الدين للإسلام اذ  
 رب الملاحم لهو من منم  
 من رام من كل الملوك مرا  
 من منجر وائل الملوك لس  
 يخزوا الملوك المرعب تبل مسير  
 هو كاسر كسرى وتبج تبس  
 فليشه ولعزه متفائس  
 رايته صفرا ترون وتشتني  
 لم لم ترون شوس الملوك له وقسد  
 واستنقذ البيت المقدس من غنوة  
 كم مايج من خيل في رسف  
 كم رد من ملك عزيز اص  
 ان الاقليم التي هي سب  
 والسبعة الافلاك تخدم جسد  
 لم يان مشغري الثناء بما  
 تنهل يناه بجسد واه فخم  
 كالنيل في ضر وسيدسون وجيس  
 فليمنه الفتح الذي مدت بس  
 فتح تدا نأ كل فتح دون  
 يا ناصر الامم فسزت بمسورد  
 البحر أنت لك السواحل باع  
 انشات ملحة يطل بقاتيسل الس  
 اعرابها شرب السيام وتقط  
 والحبر بحر دم تخطت بوج  
 والبيض تنش وهي فير خواط  
 والخيل مخرية كان صهيلها  
 نشوى تجمد من السرور كأن  
 فاندت وأدت الشرك يوم لقيت  
 وأريتهم لما التقى الجمعان بالبي  
 وردت دينها لله بعد قطوب  
 وأعدت ما أهداه قبلك فات  
 حتى جمعت لمحشر الامم بس

لوه الحياض لموسر ولمع  
 المجد القداس والحناء الكوت  
 فالمسهب المطيف مثل القد  
 زيدت بها بالطرار الاخضر  
 اوردى قبيل الكفر ما لم يكف  
 الملما قدما في قديم الا  
 تخفق ساعيه ويكب ويمث  
 أعلى وأعلى قيمة عن سن  
 في عسكرة أنتك به من عسك  
 ذ لا احاط به وقاسر تيص  
 جيهن الهرقل وعزة الاسكندر  
 حمرا تصح نجيب آل الاصفر  
 ملك السواحل في ثلاثة أشه  
 من كل ذي نجس بكل مطه  
 تاج لملك في التراب محف  
 يدعى بميلوك ذليل اصفر  
 دانت لقسرا بسبقتا بحس  
 حتى قوى كيوانها والمشترى  
 حسنا فنعم المشترى والمشترى  
 سبانه للخلق خمسة أنهم  
 ون ودجلة والفرات الكبي  
 عن ملكه أبواب غدر الاده  
 والشمر تكسف كل جسم نس  
 حسن الثنا في العالمين ومسد  
 سعب الحيا جهودا وقاذت جو  
 فرسان بالمدو الذي لم يحص  
 وقع الهام وخطها بالسهم  
 اذ ليعر ثمسوى الترى من دف  
 والشمر ناظمة وان لم تش  
 شدو النحيل في نسيب البحر  
 صبحت كوة وما من شراب مسك  
 وغدوت لالمام عين المنش  
 ت المقدس ببول يوم المش  
 بالمسجد الاقص بوجه مس  
 عمرو فانت شريكه في المتج  
 من الصخرة المظى وبين المش

فلصخرة البيت المتد من كفوه هـ  
 فكانت اسانعين عسرة  
 جاءت جيوش الشرك يوم لقيتهم  
 وكانهم بحر تدافع موجهم  
 اوردت اباران الرماح صدورهم  
 فمهاك امير غير نجم نقبهم  
 ولوا وحقبان المنور منبتهم  
 لا ينظرون سوى حسام مشهم  
 رنعت سناء من منابك خيلهم  
 فالقوم نهب للمباح نوحهم  
 فكننا الذي من جيشهم لم يمشهم  
 حتى لقد بيحت عقائل ادهم  
 من كل حورن فضيل موشهم  
 واوانس مثل الكبور سوانس  
 آتت اسودهم ثعلب ذلسهم  
 طنوا بخلتهم هواوي مشهم  
 صرعى كأنهم تماثيل مسن ال  
 ما قولوا بهجافل بل توتلسوا  
 شكك الفيافي ثقل وطك جيوشهم  
 فالخيل لا تنهي بها الاغلسي  
 نهيت عفاة الطير من حدب بهمسا  
 كم اودعت دوية صحراء داوسهم  
 جعلت لها الثارات في آنافسها  
 بالسيف رد السيف بعرا مسن دم  
 بحر صواربه القنا وقلوعهم  
 حين الخرافسي والقوادم من جنسا  
 خندوا وكان الغدر يد رشم عقسد  
 ما ان ترى الامساكنهم وشمهم  
 سقت الدالين الكرام بلوكهم  
 ضمت الدلوك ولم تنل عشر السندي  
 وبذاك آثرنا الاله عليهم  
 ارسلت من تخلل الحجاج صواعقهم  
 وعجبت عود صايهم تكسرتهم  
 اغلى الاداهم من اسرت وارخصمت  
 وجعلت شرق الارض جمد فربها  
 يرجو شفاء غلصله ويومئيل الايسر

الحجر المفضل عند افضل  
 يلقاه اسوده بمنى انيسر  
 يتدامرون على متون الضمير  
 بشاب وزعف محكم ومنكسور  
 فولشن في علو النجيم الاحمر  
 في اثر عفرت رجيم مدبسر  
 والغيل تندر باللقنا المتكسور  
 ومن الدماء كأنه لم يشهم  
 سودة ارجاوه ما من عتسير  
 من كل ذي ناب وصاحب منسور  
 تباد ومن بين جشمهم لم يؤسر  
 بالسبي بالثمن الاخر الحقير  
 كالنصن سدادا ثقيل مسور  
 من كاصب مثل النزال ومسر  
 عنهم فرائد كل ليث تسكور  
 بينوا السوارم بالدم المتسور  
 كانوا من دمهم ره من بحنسر  
 بمالكه حضرت بايمن محسور  
 فبناهم رصفا كبسط المرصور  
 هام مضد توشعرا اشقر  
 زرق خصوصا من نفيها الجوعسر  
 صرعوا بها في الشرك المستور  
 ان الصرار وطيب عرق العيمسر  
 ينبوعه من هامة او منحسر  
 راياته والسفن من كل مشسر  
 حينهم وشرق القلب بالقلب البسر  
 د رسوا به وذروا باوشم بيمسر  
 صرعى السوارم باللياب الرقصسر  
 كما ما به سقت اللقيم الهنسر  
 اوتيته من ضجع او مشسر  
 يا مؤترا اوزعت شكر المؤثسر  
 تهجي عليهم من فتوح كنهمسر  
 وسواك الغاه صليب الكسسر  
 بينوا السوارم من نهباب المسكسر  
 بل فهو داغ دعوا لمستنصسر  
 قاع نيه بمشمن ومشسر

عت الدائع يا صالح الدين فاع  
 قيم العفاة يشبهونك في القسدي  
 كم خازن لك مثل ألفي حاتم  
 أفلاذ أكباد العباد طحا بها  
 واستعظم الانتصار عنك معاشير  
 ما كل ملك عند ما أوتيت  
 لا يندم منك المسلمون فكهم يسد  
 أمت سرهم وسنت حريمهم  
 لم تغل سحبا من دناء مهسني  
 ما إن رآك الله إلا أمسرا  
 متواضعا لله جل جلاله  
 كم بالندى غان تككت وبالسردى  
 هل تحجزن صور مليكا ناصرا  
 حتى لخلنا أنه إن يلتمس  
 ما صور صور عاصم منه وهمس  
 فليحذرك البحر درة تاجسه  
 بحر زقاق طوره يتكسدر  
 فانه لصور فهي أحسن صورة  
 لما ملكت حصون انطاكية  
 أردت كل مثلك متكسدر  
 برزت الي ( نوزية ) عزمتك المستي  
 فتناولته بأيدنا من سن باندخ  
 عن عمر نبي يا ابن أيوب وكسن  
 لنبوا كالاسباط كمنهم  
 فازت تداحك وكل ملوكها  
 لا زال ظلمك الضليل ولا خلست

وقال أيضا يمدحه بقصيدة مطلعها :

لحاظ المهوى لا بابل تنفك السحرا

ومنها :

فجدواك عم العالمين وخصمهم  
 أبي لكائم السرا عبدك السمسم  
 ونعم الحصان البكر ركة في الوغى

نذر المبرز في الفصاحة فاع  
 والبا من جارت نكرة المتفكر  
 كزما وملوك كالغي عنس  
 رب السباد الي سناك الابن  
 فاستصنروا ما استصنروا بالمخيم  
 الا قلامة بسض ظفر الغنص  
 أوليتهم سرهم ينكس  
 ود رأت عنهم قاصات الأظم  
 للمسلمين ومن سماع مهس  
 فيهم بمسروف ومكسر مكس  
 وبنا أضحلت عطوة المتكب  
 عات كفت بخوفه أمن البسري  
 لله أبن يسري وينس  
 نثرا لمنتظم الثريا ينس  
 سور المتاصم عاصم لمسور  
 اذ رفته بخمسة المتاصم  
 يعنو لبحر طاب غير مكسدر  
 في هيكل الدنيا بدت لمسور  
 يشرى الصليب وحزبه من مظم  
 بدو جد متواضع فكسب  
 مدت يدا عن مطلب لم يقصم  
 في الأفق ذي مثل يروح مسير  
 ملكا سايمانا وجاهد وأظفم  
 في الملك يبلغ عبر سبعة أنس  
 برن فليس ميسرا للموسم  
 من ذكركم في الدهر ذروة منبر ( ١ )

وغمر اللحن ينسي عريفين والشعرا

ولم نر جودا قبله مائة الدهم  
 ورشف شعور البيض ان تملنا لشم  
 حصانا عليه تنطق الفتكة البكم

( ١ ) ديوانه ص ١٤٠ والروضتين ج ١ ص ٨٤ و ١١٨ ١٢٦٥

خيام المدن بالتمر أن تالف القصصرا  
 وأعدادها ربا تيج دما خمسرا  
 شواذب تد عودتها الفتح والنصرا  
 وسمر القنا دوحا وخرصانها زهسرا  
 فداست غدودا كن من عزها صسرا  
 وطلقت منها بعد عصمتها الكفسرا  
 يشرد ه والاعداء تنظرها شمسررا  
 ولكن نكحناها بأسياننا تسسرا  
 لديك فكانوا المهدي ينتظر النحسرا  
 لتطعنهم شزرا ه وتضربهم هيسرا  
 فسادرت سهلا مظا ما لم يزل وعسرا  
 ولا خائف من صفة ولا طالب حنيسرا  
 اذا ما رأيت أعداؤه الصبر الصيسرا  
 وأنت بأرنب الشاه ه طائفة ذعسرا  
 وخولاك الدنيا وأوزعك الشكسرا  
 تريد به بشرا وتهدي لنا بشسرى ( ١ )

وحبك تطيب الخيام مقودسرا  
 وإيرادك الرايات سفرا سواد يسرا  
 فحكيتك تخشى الروح شمعا ضوامسرا  
 ترى الحرب روضا والدرع بها أضى  
 سنايكها عزت باذ لالك المسدي  
 وكم قلعة أنكحتها السلم عاصمسرا  
 ففنى بها الاسام رافع صوتسسه  
 وما أنكحونا طامعين فقاتهمسرا  
 وجاءت جيوش الشرك تطلب نارمسرا  
 أتوك وأنواه المنايا فواغمسرا  
 ضربت الشتا في أخذ عيه مجاهمسرا  
 فجيشك ما يثنيقيظ عن المسدي  
 صبور كان الصبر أرى يشسوره  
 قلوب الالى خلف الفرجة كلمسرا  
 جزاك الملائم خير جزائسسسه  
 فلا يوم الا فيه فتح مجسسدد

وقال يمدح الملك موسى بن الملك العادل وكان نازلا على الخور للفرقة :

بجد وحده كلمه الدهر كما يوسسسى  
 ستضحي لكم أحشاؤهم نواويسسسا  
 تنادى من راقته في التراب مردوسسسا  
 ملائكة بالشهب ترمي الأبا ليسسسا  
 تصيد الماوك السيد والامد الشوسسسا  
 به كان كل بالمتكف د عيسسسا  
 تكب على الأذقان ضرباته الروسسسا  
 ينفض في سم المنية بفسوسسسا  
 بلعن الطيب والبيض تجلو الحناد يسسسا  
 ويركس في قصر المنية مركيسسسا  
 تنكست السلطان بالكرم تنكيسسسا  
 كما أخرجت رفاتهن النواتيسسسا  
 أضى الزرد الضافي على الأمد ملبوسسسا  
 هو الليث لولا أن في الليث تعبيسسسا  
 ويوسف حسنا وألقا موسى تجد دوسسسى

هنيئا لقد أوتيت سؤلك يا موسسسى  
 وجيشك ظم حلق الطير فوتسسسه  
 ورعي سهام عن قسي ينضهسسسا  
 كأن كما تترك عند نزالهمسرا  
 وقد جالت الأكراد بالسدر والنظيسسى  
 اذا العرب الشم الانوف تنحسروا  
 وليس لموسى من عنا غير صمسرا  
 وشبانه الريح الاسم لسانسسسه  
 ويزجي سخاها من سنايك خيلسسسه  
 غيري انكبارا بانكدار الى لثسسسى  
 اذا أشرفت للأشرف القيل رايسسسه  
 وقد نذقت بالشر بيض سيوسسسسه  
 تعالب أطراف الرماح بلندن فسسى  
 هو البحر لولا البحر فيه ملوحسسسه  
 هو الخضر المشهور نشرنا وسسوددا

بجحفله في أمة عبد تحميس  
 وسخط في كل المواطن أبليس  
 ولو كان تطبيقا يروح وتبغيس  
 أو هل أن القى لها منه تنفيس  
 أرى حكمتي أدله صا ر محكوس  
 مذ نابى من الطير الذى ليس طاووس  
 ومصطلي ألونا فضة تملأ الكيس  
 تخذن لها سمر الينا اللدن عرس  
 أجل وهم عند النوال ابن ياد يس  
 بما لمر واليهى الرقاق الدبا يومس  
 ومن ذا يرد الميث تن منه الخيمس  
 فبالطور نشر السلام أصبح محروس  
 ليلب وثيه أشد النصر تأسيس  
 يردد تسبيحا هناك وتقد يس  
 الى القدس أمنا لا يزال وتأنيس (١)

ويحده عيسى على فتكاتسه  
 وما زال يرضي اللد سرا وجهسرة  
 اذا كان لم يتره مقالا لقائسل  
 الى جود ما هكو من الكرب السستي  
 فذا ترض في حكم الزمان فأنسني  
 ففيه الذ نابى الرأس والرأس أصبح  
 هو الهازم الالاف في الروح وحده  
 فذا جند مالا أسود خفيسسه  
 فكلهم ( ابن المردييش ) شاعسة  
 نكم بن رضى حرب أدار يدا سقسى  
 هو الاحمد الحامى الحقيقة تقدمس  
 على الطور ناجى اللد موسى بنصمره  
 عبارتمخرب أعمار تابدى الص  
 علا مشمخرا في السطأ ينمسواوه  
 مظفر ديننا المأقدى تدومسسه

وقال يمدح الملك الأفضل نور الدين علي بقصيدة مطلعها :

وشنراء أم در تضمه السمسط

أرىك أم صهباء في الكاس اسفلسط

ونهما :

سواشم ومن تحتها المبراج لها نمسط  
 سراخين من فرسانه في العضا مُمسط  
 ولا رخم لها استبيحوا لهسس  
 جريح ومستول على جنبه الممسسط  
 فمن بأمه العادون أفتاظم المسخط (٢)

وصل عنه بهاد التليب وخيلسسه  
 حكوا بلة الضان الممزق شملسسا  
 فط عطفتم عند ذلك رعمسسه  
 فمضم قنيل أو أسير ونسسس  
 فان بكر العافون أفتاظم الرشسى

وقال يمدح صلاح الدين ، ويذكر نزول الفرنج على دماط وهزيمتهم عنها : مطلعها :

فواتك غينا وهي للبحر بأبسس

لا جفانك الدرعى الصباح التواتل

ونهما :

فكل عظيم عنده شئائسس  
 وما غيلها الا القنا والقنا بسسس

تظل ملوك الارض شامخة لسسس  
 جحافلها سد تزار في الوغسس

(٢) ديوانه ص ٢٥٥

(١) ديوانه ص ١١٢

وتبدو لها في كل قسط زلازل  
 من الطير ظل يحجب الشمس سادل  
 وترتجز العرب الكرام اليواسل  
 وجوبهم غيبي البدور التواسل  
 سروا مشرفيات وسر ذوابسل  
 رجوم بأكباد الاطادي اوافسل  
 فليبر لها الا الداء غاشسل  
 لهيبتة أكبادهم والفاصل  
 ولو لم تعد لم يبق للشرك ساحسل  
 اكانوا كذا سرا رفته الصااصل  
 الي حيث صارت في الهياج التماطل  
 لديه رطاح اشرفت وسالسل  
 وليبر له من كثرة القوم ساحسل  
 اوف الوف خيلهم والرواحسل  
 وببضا رقاقا احكمتها الصيااصل  
 ونيش لاهية الملوك اواكسل  
 ومن دونها سد من الموت حائل  
 فخاب نائم الملك والروم طابسل  
 وانى ينال الدرزم المتناسل  
 كانهم ذلا نعام جواغسل  
 ولا صدر الاثيه بالطنن عامسل  
 فليس لهم في سائر الشان غمائل  
 لتصمهم بها راره البساتسل  
 وقام بما لم تستطعه الاوائسل  
 ونول حتى قيل لم بين سائل  
 بمصر فقاوا لم يكن قيل عائل  
 وفيه لمن والاه جود ونائل  
 له بالدعا والشكر لله جاءسل  
 ليوسف يحقوب النبي مساجسل  
 واحسانه ان ضنت السحب وابسل  
 ولا ضله يوما يقلب ذابسل  
 فقم ادبه ان تكلم بأقل ... الخ ( ١ )

يسير بجيش يرجف الارض باسل  
 خيمس له الرايات ظل وفوتسل  
 تراطن فيما لحجم من كل جانب  
 دروعهم سحب تلوي خالسل  
 هم الاسد الا ان عيصهم اذا  
 استنهم والليل نفع نجومسل  
 اذا طاشت يوبا استنهم صيد  
 عني عاينته المشركون تقطسل  
 ولا غرو ان عاد التريج طزيسل  
 وتد علوا لو انهم تبتوا لسل  
 وطارت رؤوس منهم وقوائسل  
 فقد الفت اعداؤه ان حظهم  
 ولما اتوا دميال كالبحر طاميسل  
 يزيد عن الاحياء والعدو جهمسل  
 راوا دنها اسدا بأيديهم القنسل  
 غيوتهم فيها نسور تشاعسل  
 وداروا بها في البحر من كل جانب  
 رجا الكلب ملك الروم ان ذاك فتحها  
 فاضى عتاب اليهودون مرامسل  
 فسادوا على الاعقاب بنها هزيمسل  
 فلا راء الاثيه بالثرب صائل  
 اذا الله يوما كان ناصر محسسل  
 وما املوا ان يلعنوا ببلادهم  
 فيها ايها البحر الذي عم جوده  
 وعارب حتى قيل افني عدائهم  
 وطبق سهل الارضوا العزير عدلسل  
 سحب على الاعداء تحار فميسل  
 فكل لسان دار في فم ناطسل  
 فيوسف ايوب بصر سماحسل  
 فط نيل مصر جاريا غير كفتسل  
 هو السيف لا تخشى له الدهر نيسل  
 حلیم عليم بالديانات مسسل

( ١ ) ديوانه ٣١٥ وانظر نقد الجمان ج ١٢ ق ٣ ورته ٤٥٧

وقال يمدح الملك الافضل علي بن صلاح الدين ه بقصيدة مظلماها :

<p>عَنْ عَدْلِ الْعَازِلِ فِي شَقِيهِ          وَنَهْمِهَا :</p>	<p>أَنَا بِالْفِرْلَانِ وَالْفِغْرَانِ          وَرَبِّي الْإِقْتِيَالَ عَلَى التَّهْمِ          فَالْخَيْلُ تَسْتُرُ بِالْتِيَجِجِ          أَبْرِي بِالْمَاحِلِ بِحَمِّهِ          وَحَطَّ التَّأْيِيدُ بِأَشْمَارِ          فَالْفِرْكَ بِفَدَالِ مَخْمِمْ          وَنَهْمِهَا :</p>
--	--

الى الاقتاب على الايسر  
 ن وبلاشاهه وبالقلم  
 فالبخر لديه كالوشح  
 حجن وبانيساب  
 والسلام بدال ذو جدل ٠٠٠ الخ ( ١ )

وربي الاقتيال على التهم  
 فالخيول تستر بالتيجيج  
 أبري بالماحل بحميه  
 وحط التأيد بأشمار  
 فالفرك بفدال مخمم  
 ونهها :

وقال يمدح الملك الأبعد مجد الدين صاحب بعابك بتسيدة مظلماها :

<p>مَوْذَنَا بِالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ الْمَيْسِرِ          وَنَهْمِهَا :</p>	<p>أَوْضُرُ الْبِرْقِ بِمَالِيَاءَ مَنْسِرِينَ          وَنَهْمِهَا :</p>
---	---

من حنيف راغ غربا باليمسرين  
 خوط بان فوق تل الياصمين  
 بيعة الروم لديها حاجد يمين  
 قلبه غرنا عليه أن ييمين  
 وترى في الحب رأي المشركسين  
 جد السمود في دنيا وديمين  
 ثم يحبونني بها ، قولوا أمسين  
 د في الانصاف في الحكم قمين ٠٠٠ الخ ( ٢ )

كانت الافرنج أصنافا وكسرين  
 وفتاة دونها الشمس على  
 دامة بل دمة في هيكل  
 يصك الأمتف في تقريه  
 الزم التوحيد في حبي له  
 وما مستندي عليها الملك الام  
 أمال الباري أن يملكه  
 فهو بالعدل وبالاحسان والج

( ١ ) المروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٢٧  
 ( ٢ ) المروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٨٣  
 ديوانه ٤٨٥

كتب الى الملك الكامل الايبات الثانيه واثابها اليه بسهم ثواب لان الفرنج كانوا يحاصرون  
ديار وهو فيها :

يا مالكي هـ دياريا ثمره كذا مكنت  
تقريبك من اركى السلام تهييئته  
ويقول عن بعد وانك سامع  
يا ايها الملك الذي ما ان يسرى  
هذا كتاب مؤرخ من حالتي  
اشكو اليك عدو سوء اخذتني  
فالبرقد منحت اليه طريقته  
فخضوعه باد على ابراهيم  
ولو استحتاج لام بابك لا شئذا  
ورسوله في ان تجيب دعواته  
فقد انتهت ادواؤه وتحكميت  
وقتي له رمق يصير يترجى  
فاخره بحماك بمنزلة تشفي بهيما  
قاله اعطاك الكثير بفضلته  
فالسدر في نصر الاله ودنيته  
والثمر ناظره اليك محسنه  
ولئن تحدثت عن القيام بنجسه  
وهي توى القرآن فيه ورفعت  
وعلا صدق الناقوس في ارجائه  
هذا وحقه وصف صورته حالته  
وكفاك يا ابن الاكرمين بانسه  
حقق رجاء فيك يا من لم يمسب  
واذ خرو يوم البعث فعاد صالحا

رفاته هـ كادت تجت اصوله  
كالملك طالب دميته وجيله  
حتى كأنك جازمونز يلسه  
بين الملوك شبيهه معد يلسه  
ما ليوم يمكنني لديك اقولسه  
بجمعه ثرسانه وخيولسه  
والبحر عز لنصره اسطولسه  
وخينه وكاؤه وعويلسه  
لكنه سدت عليه سبيلسه  
دين الاله وخالقه ورسولسه  
علائه ونحا عليه نحولسه  
او يشتفي لدا دك اعليسه  
دا لملك يرتجى تعليلسه  
ورضاه من هذا الكثير قليلسه  
ما ساع عند المسلمين قبولسه  
ما ان يمل من الدوح هولسه  
جنت نضارته وبان ذبولسه  
عليانه وتلى به انجيلسه  
وشفي على سجن اوري تمليلسه  
حقا واملته هـ وذا تفصيلسه  
اضع علىك من الورى تويلسه  
ابدا لراجي جوده تأهيلسه  
الله ضارين اجره وكفيلسه ( ا )



قال في رثاء القديسة سنة ٦١٦ هـ :

صلي في البكا الآصال بالبكسات  
 توقد ما في القلب من بكسات  
 خبت بأوكار بيضت الحسرات  
 يري ما ألقى من الكرسيات  
 على نوطن الأختيات والسلسوات  
 على مشهد الأبدال والبسولات  
 أنافت بما في الارض من حسرات  
 صارة البرايا في أغتاف جهسات  
 وأشرف بيعة لشير بقسات  
 يوالون في أرجائه السجسات  
 رفيع السواد العالي الشرفسات  
 وللبر والاحسان والقرسات  
 لمولاه برزائم الشكسات  
 توشع بالآيات والسكسات  
 فمن بين نواح وبين بكسات  
 وتعلن بالاعزان والترجسات  
 وتشكو الذي لاقت الى عرفسات  
 وتشرحه في أكرم الحجسات  
 وما ظالم فادتها بشكسات  
 وكل أجتاع نوذن بشكسات  
 وقد كان بعدا بانح الشرفسات  
 لهم عظم ما والوا من الشكسات  
 بمسحاته عدوا من المسكسات  
 وهل ثمر الا من الزهسات  
 شجاني بأصوات لهن شجسات  
 يؤمن فيه خيرة المشكسات  
 ومنزل وحي مقفر العرسات\* (١)

أعني لا تترقي بن العيسرات  
 لسول الدمع يطفى نيشمها  
 وما قلب أسعر نار وجدك كلمها  
 وما فم يح بالشجو منك لعلسه  
 على المسجد الأقصى الذي جل قدره  
 على منزل الأملاك والوحي والهدى  
 على سلم الحجراج والصخرة السقي  
 على القبلة الاولى التي أتجهت لها  
 على خير محبور وأكرم غامسرات  
 وما زال فيه للنبين محبسات  
 هذا المسجد الاقص المبارك حوله  
 غفا بعد ما تد كان للخير موسما  
 يوافي اليه كل أشمت قانسات  
 خلا من صلاة لا يعط قيممها  
 خلا من حنين التأيبين وحزنهم  
 لتبك على القديس الباذ بأسرها  
 لتبك عليها بكة غمها اختمها  
 لتبك على ما حل بالقديس طيبسة  
 لقد أشمتوا عكا ونصرو بهدمها  
 لقد شتموا عنها جماعا هلممها  
 وقد هدموا مجد الصالح بهدمها  
 وقد أخمدوا صوتا وصيحا أشماره  
 أما علمت أبناء أيوب أنهمم  
 وأن اغتتاج القديس زهرة ملكهم  
 فمن لي بنواح ينحن على الذي  
 يرددن بيتا للشراعي فالسسه  
 مدارس آيات خلت من تسالوة

(١) الروضتين ٢٠٥/٢ وانظر مخز الكروب ٢٤٦/٤  
 نسبه د . عبد اللطيف حمزة الى ابن الجوزي ( الادب المصري ص ١٢٣ )

ست الفخر ( مثنوية الملك الاشرف )

قالت تمدح الملك الاشرف وتذكر كسرة الفرنج في يوم دماط سنة ٦١٨ :

وجاء الى مصر ليفسد فيسوي الأرض  
فشوقهم في اليم بعضاً على بعض

ولما دلفى فرعون عكا وتوسسه  
أنى نحوهم موسى وفي يده العصا

فقامت مثنوية الملك الكامل وغنت على المود :

لما قد جرى في وقتنا وتجددنا  
وعسى جميعاً ينصرون محمددا ( ١ )

أيا أهل دين الكفر تودوا لتنتابروا  
أعباد عيسى إن عيسى وتوسسه

( ١ ) مفتح الكروب ج ٤ / ١٠٥ ، المقريزي ج ١ ق ١ ص ٢٠٩

قال يمدح السلطان موسى الاشرف :

للذة العيش والأفراح أوتسبات  
 أمام جيشك أتى سار أرسبات  
 تحت قيل القنا أساد بمركسبات  
 أهلة في ساء من منا فرهسبات  
 تهتز أعظافهم يوم الجسبات  
 صفائح هي ان دب المنون بهسبات  
 ان من شمس الضحى من لعها رمسبات  
 جرد كرائم تلتى عن فوارسبات  
 مستخرقات بأذان موكلسبات  
 الويل للروم والأفرنج من طسبات  
 أين الخمر لسرب الروم من أسسبات  
 دماط طور منار الحرب موقسبات  
 التي العصى تتلطف كلها عنسبات  
 طاهم بجيشك لا تحفل بكثرتهم  
 أنت الصباح عمزق ليل كفرهم  
 زلزل بنارتك الشسواء دارهم  
 أصبتهم بهسبات الرأي من حلسبات  
 فظهر الله ذاك الثغر من قلسبات  
 تذكروا يوم عفين وما لقيسبات  
 تغلا وسبيا وأمرأ وأنتهاب شسرى  
 شنتها ظارة كالنار محرتسبات  
 للمن تغرد دماط ويرزخسبات  
 شرحت صدر رسول الله وانحسرت  
 يوم على الروم ينشى ربحه سحسبات  
 رأوا جيوش بني أيوب يقدمسبات  
 فللمراج كلالهم أوحد ورهمسبات  
 تخلق البحر ذاك اليوم من دمهم  
 نفا لو ان عيسى نصره لهم  
 هذا تحوت به أحياءكم أبسبات  
 بوادر وهنوا من من صدقهمسبات  
 تو يا أبا الفتح بالفتح الجبين غلم  
 عكا وصور الى رؤياك عاطسبات

فانشر لواء له بالنصر عسبات  
 نصل ونصر وآراء ورايسبات  
 لها ثبات وفي الهيجا وثيسبات  
 لها الكتائب أفلاك وهسبات  
 غنت لهم من بنات القين قينسبات  
 صحائف كتبت فيها المنيسبات  
 كحلنها بالصباح الأعوجسبات  
 شبق الأسنة أفناق ولبسبات  
 لها الى الثغر من دماط حاجسبات  
 له من النصر والتأييد عسبات  
 ضار له من رطاب الخط غايسبات  
 وأنت موسى وهذا اليوم موقسبات  
 ولا تحذف لنا حياك القوم حيسبات  
 فأثمهم ليشات الطير أتمسبات  
 وأصير ورايط فلذاعان نيسبات  
 فشيمة النجب الفخر الأعلسبات  
 وللنكائد من بعد إصابسبات  
 أصابه وانجلت تلك الثنيسبات  
 من حد سيفك عرفا والتليخسبات  
 لله كم أحسنت تلك الاسبات  
 للكفر وهي على الامانم جنسبات  
 فتح له تفتح السبع السمسبات  
 بنصرة الدين والدنيا غطسبات  
 أمطارهن مصيبات مصيبسبات  
 ليت له في جيوش الشموس سجات  
 وللصوارم أعناق ودامسبات  
 والبنق ترقصه تلك الممسبات  
 فقلت بينهما فرق وأشتسبات  
 وذا تحيا به في الترب أمسبات  
 فكيف لو قد أتت منها النهايسبات  
 تنسب لنير أبيهم الفتوحسبات  
 فانهمز فقد أظنت منهمن خلسبات

الملك فهو سائهم أو تحييتهم  
تتلى وتنسى من القرآن آيات  
جمها ويشفى آذان أو تسميات  
ورافقت سعيه فيها سمسات (١)

واستخبر السريح عنها إذ تسميره  
الملك أكبر ان تسمى مزامرهم  
وان يخور على القرآن عجلهم  
ما كل من طلب السلياء أدركهم

وقال يمدح الأشرف ويرثي الملك الظاهر قازي بن صلاح الدين و يمدح ولده الملك العزيز  
ثم يمدح إلى مدح الأشرف وينهيه بالاسيد ويحرضه على قتال الفرنج ، بقصيدة مطلعها :

بدري ما بين تصفيك وتبعيهم

هوته رشاي الطرف والجيسم

ونهما :

إلى الكارم صب القلب مضمود  
عذر المسيء على مطل ترد يسود  
فان نشرن فحين نصر وتأيبهم  
أواجب خير سيد أو صناد يسود  
أسدا فأبدان أمثال الأسا يسود  
مواقع الطمخ من نحر وتور يسود  
فما يد عن وريدا غير مسود  
يخزو مقاتل أسا وتوحيسود  
من جانبيه يمسى غير مسود  
تجددت شمله في الصبه اليبسود  
فسيد التوم رزق النصر والميسود  
لكن عفا عن أسير القلب مسود  
ولو أطاق لأحيا كل مقتسود  
والجود بالنفس أسمى غاية الجود (٢)

يا قاصد الأشرف أمك عن سؤال فستى  
أفريقاك بالأحسان مهتسودرا  
العائد الرأي في أعظم عسكوره  
القائد الجيهر كالبحر الخضم  
شوس إذا اعتلوا البران خلتهم  
تجلو لهم في ظلم الفتح فترسه  
وتستصير مواخيرهم عزائمهم  
يا شالفا ظن كينا ووس حين أتهم  
في بجنس مذبات الكفر خاتقهم  
فأستبلته من الأسا شرف مسود  
نجا وأسلم للفرسان أسرتهم  
لو شاء شا\* أرم ما فاتته دمسه  
ورد أسراه بعد السلب في نهم  
هذا هو الجود لا تسبان من لبهم

وقال يمدح الخلفاء العادل ويذكر بناءه لقلعة الطور ، بقصيدة مطلعها :

وأعتبرت لكن بديجهم

تنقبت بالثور والنور

ونهما :

سيرة سلطان الورى سسيري  
فقد رأى موسى على الطمسور

يا ليلقا لوصول أستقري ويسسيرا  
الملك العادل من أمسيرة

(١) ديوانه ص ٥٥

(٢) ديوانه ص ٦٢

(\*) في الديوان : شاه وينكسر الوزن بذلك

عبرته أحسن تسمى  
 اذا استدارت شرف المسير  
 كالنجم في الرفعة والنسور  
 ينظر من عتاك الى عسور  
 يرتعد الصخر من السدور  
 وأنت بالنترا الجهاه  
 لا ترتضي لمر الدنانس  
 ما بين أمار وما  
 ما بين تسيير وتيسير  
 ولا ليوم النفع في الصور  
 ما خط في أوج المقاديس  
 ما خط من أفك الاساطيس  
 عشق ربيبات القاصص  
 حالة تدبير وتدبير  
 ما خدع الحرب بتقصير  
 وقاش غر مشائيس  
 ما بين مقتول وبأسور  
 وكان مأوى للشنازيس  
 للمرف مع كثرة تكريم  
 أكرم ما جور ومشكسور (١)

ان كان قد دك قديما فقمسد  
 كأنما على ففسسورق  
 يزاحم النجم له منكسب  
 كأنما أوتفته حارسسسا  
 فكلاما لاج له بسسبارق  
 بني سايمان بأعوانسسه  
 تنافع الاحجار أيولم  
 وانت له الدنيا وسكانسسا  
 تجرى القادير بما تشتمسسي  
 سخادة ليس لها آخسور  
 هل يقدر الأعداء ان يمسسوا  
 يا ملكا تنسخ أيامسسه  
 أسهره الذب عن الديسسن لا  
 يؤيد الرايات والرأسسسي  
 ان جنحوا للسلم فاجنح لهمسسا  
 كم لك في يافا وفي البرج مسسن  
 عشرون ألفا غير أتباعسسم  
 ظهرت بيت القدس من رجسسم  
 يا ذا كرا لله يا ناسيسسسا  
 الى محل الأجر والشكر يسسسا

(١) ديوانه ص ١٠ - ١٢ وانظر مثنى الكروب ١١٦/٣ - ١١٧ وتاريخ ابن الفرات  
 مجلد ٥ ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٥

قال يهني أبناء العادل الذين اجتمعوا وطردوا الفرنج من دماط سنة ٦١٨ :

وقد أنجز الرحمن بالنصر بوعسدا	هنيئا فان السعد راح مخلصدا
مبيننا وانما عزنا بوعسدا	حيانا اله الخلق فتحا بدا لنسدا
واسبيع وجه الشرك بالظلم أسسدا	تهلك وجه الدهر بعد قظوسدا
طناة وأنحى بالمراكب مزسدا	ولما طشى البحر الخضبها هلسدا
صقيان فكما مل الخسام مچسدا	أقام لهذا الدين من مل سيفسدا
ثوى منهم أو من تراه مقيسدا	علمت الأكل شلو مچسدا
عقيرته في الشافقين ونشسدا	ونادى لسان الكون في الأثرسدا
ودوس جهوسا ينصران مچسدا* ( ١ )	أشهاد عيسى إن عيسى وعزسدا

( ١ ) الذيل على الروضتين ١٦٩-١٣٠ وأنظر النجوم الزاهرة ٢٤١/٦

وابن كثير البدايه والنهايه ٩٥/١٣

( ٢ ) نسبها القريزي الى هبة الله بن محاسن ( السلوك ) ج١ ق١ ص ٢٠٩

قال يمدح المصطفى عيسى ويذكر يوم ديباط ، بقصيدة مطلعها :

فتخزل أشتاج المعنى ورحابسسه

عسى البارق الثماني يهجي سخابسه

ونظمها :

واستخبرنا وما من جهالسة  
 وأذكرته أيام ديباط بيننا  
 وجيشا خلطناه رحاب صدوره  
 وقد شرقت زرى الأسنه بالدمسنا  
 وعرد الأكلن ذمر منا مسنا  
 تركناهم في البحر والبر لحمسة  
 ويوط على القيمون ما جت متونسسه  
 نشرنا على الوادي رؤوسا أعسزة  
 ورضنا ملوك الارض بالبيض والقنسنا  
 نكم أمرود خط الحسام عسذاره  
 وكم قد نزلنا نشر توم أعسزة  
 وكم يوم هول ضاق فيه مجالسنا  
 يسير بنا تحت اللواء مسسدا  
 نجيب كصدر السميري منجسب الس  
 من القوم وضاح الأسرة ما جسسد  
 نلجج شيق القوم عنا طمانسسه  
 وأصبح وجه الدين بمد عبوسسه  
 جهاد لوجه الله في نصر دينسسه  
 حيمت حص الامام فالدين آمن  
 وما بنيتي الا بقاؤك سالمسنا

كهرف الفظا عنه فزال ارتيابسسه  
 وبين المدى ، والموت تهوى عتابسسه  
 بجيش من الأعداء غلب رقابسسه  
 وأنكر حد الشرقي ترابسسه  
 ونكب إلا كل زاك نصابسسه  
 تقاسمهم حينانه وذتابسسه  
 يزرق أعاديه كوغسبت سخابسسه  
 لكن أخي بأس منيع جنابسسه  
 فذل لنا من كل قطر صابسسه  
 وكم أشيب كان النجيب سخابسسه  
 فلم نرتحل حتى تداعى خرابسسه  
 سبرنا لموالموت يحرق نابسسه  
 كريم السجايا طاهرات ثيابسسه  
 سرايا كريم الطبع صاف ليابسسه  
 الى آل أيوب الكرام أنتصابسسه  
 وشمت شمل الكثر عنا خرابسسه  
 طليقا ولولاه لطان اكتسابسسه  
 وفي طاعة اللما لميزا احتسابسسه  
 تذاذ أفاضيه ويخشى جنابسسه  
 لذا الدين لا طال جزيل أثابه ( ١ )

وقال يرثي الملك المصطفى عيسى بن الملك المادل سنة ٦٢٤ بقصيدة مطلعها :

أرسلت منهم الحاد ثات فأقصسدا  
 قد كان في ذات الأله مجسردا  
 بعد المصطفى لا أبالي بالسسردك  
 يا بوء عيشي ما أمر وأنكسدا

يا دهر ويحك ما عدا ما بسسدا  
 أغدت ميغا مرهفا هفرا تسسه  
 فأفعل بجهدا ما تشاء فأنسني  
 ما خلته يفتني وأبقى بعسسه

( ١ ) ديوانه ص ١٩ - ٢٢

رصد ويحتر من ضريح الحسن بن علي  
كبدا مقربة وجفنا أرمسدا

لبنغي على بدر تفيب في شسرى  
أبتيت لي يا دهر بعد فراقه  
ونفها :

عن حوزة الاسام عاد كما بسدا  
عن نصرها لتكنك فيها السسدى  
فيها السبايا والحوالي أعبسدا  
تجتاب ما بين البقيع الى كسسدى  
عبد السليب بها وكانت مسجسدا  
كانت أحلتها الحضيض الأوسسدا  
وأثرت في عرساتها فحجر المسسدى  
والشعر قد نسق القتام لهسدا  
ران أعكم بالصفيح وشيسدا  
وألتك لذي شباب فيها الجلسدا  
يحيى الذمار فقد رزقنا سسدا  
مع القدر في كل الأمور مؤسسدا  
رأيا وأشجعهم وأطولهم يسسدا  
يوم الكريمة حائرا مسسدا  
في يومه ما سوف يأتيه حسدا (١)

لولا دفاك بالصورم والقنسا  
وديار مصر لو ننت عزما سسدا  
ولاستا لبيض الحرائر أسهمسدا  
ولا أصبحت خيل الفرنج منسدا  
وشتر دى ما ط فكم من بيمسدا  
أنفذتها من مخططة الخسف السسدي  
أجلت ليل الكفر عنها فانطسسى  
ولقد شهدتك يوم قيساريسسدا  
والكفر متصم بسور مشسرف الأيسدا  
فجعلت فاليتها فكان أساسسدا  
قل للأطدى أن فقدنا سيسسدا  
الناصر الملك الذي أشجسسسى برو  
أعلى الملوك محلة وأسدهسسىم  
داغى النزحة لا يرى في رأيسسدا  
يقط يكاد يريه ثانسب فكسسسدا

وقال يمدح بني أيوب بأسرهم ويذم المعجم بقصيدة مظلما :

تجنب مقلتيك له النعمسدا

أرى شائتك فأنهما أنجسدا

ونفها :

ودأب سواهم طرب وكسسدا  
لكان لمعهد الجود أنسسدا  
له في غيرة الموت أنسسدا  
يدأب وكان محبوبا يسسدا  
تجنبها لدرتتها العظسسدا  
طوى ويجنب مأواه الكنسسدا  
تزعزع يذبل وهفا قسسدا  
لجود هم نحو إليه أرتجسسدا  
ومن بيض السجاج لهم أسسدا (٢)

ملوا دأبهم شرف وجمسسدا  
فلولا آل أيوب بن شسسدا  
يدافع عن حماهم كل في سسدا  
سهم تركوا ضايب الكفر أرسسدا  
وأرغم بأصهم آنا نأ قسسدا  
أولو عدل يموت الليث منسسدا  
بأحاسم موقرة اذا سسدا  
بنوا في ذروة الساليا بيتسسدا  
فمن سحر الرطاح لهم عسسدا

(١) ديوانه ص ٥٩ - ٦٢

(٢) ديوانه ص ٣٦ - ٣٤



وقال يمدح الملك الأشرف موسى :

ومن حواه من الحجيج الموقنين  
لسألا على دين الخطيب الأشرف  
في شرد مياط وعز المصحف ( ١ )

تسا بمن ضمت أبا طح ككتنة  
لو لم يقم موسى بنصر محمسنه  
لولا ما ذل الشليب وأهلنسه

وقال يمدح الملك الأشرف موسى بن المادل بقصيدة أولها :

ريم رى فأصاب مني مقتنلا

جسل السحاب الى الصدود توصلا

ونمها :

حال، ولولا له كان معطسلا  
لم يبق في الدنيا فقيرا مرسلا  
ونمجت للناس الطرق الأمتسلا  
وأخفت حتى صاحب الذئب الظلسلا  
فصلا وكنت بنصره متكففسلا  
مصر وأخل ذكروه وتبمسلا  
أعلاجهما محراب عمرو هيكسلا  
أن يستباح حماه أو أن يخسلا  
وحميت بالمر اللدان الموصسلا  
وطريقه لخنائه قد أشكسلا  
مر البذاق كربه نار المصطلسلا  
ونظمت بالسمرا المتقنة الكلسلا  
يا ويعطيكنا لبقاء الاطسولا ( ٢ )

ملك غدا جيد الزمان بجموده  
يا أيها الملك الذي انعامسده  
لقد اتقيت الله حق تقااتسده  
وعدلت حتى لم تجد مظلمسلا  
ورفعت للدين الحنيف منساره  
لولاك لا نصمت عرى الإسلام فسلا  
وتحكمت فيها الفرنج وغسلا  
حاشا لدين أنت فيه نالفسلا  
أنت الذي أجليت عن حلب العسلا  
كم موقت منك فرجت مضيقسده  
كم يوم هول قد وردت وطعمسده  
ونشرت بالبيض المهنددة الظلسلا  
فاله يخرق في بقائك عسادة الدنسلا

وقال يمدح الكامل ويذكر وقعة الفرنج على شرد مياط سنة ٦١٦ :

إذا جهلت آياتنا وألقنا اللدنسا  
من الروم لا يحصى يقينا ولا ظنسا  
ودينا، وإن كانوا قد اختلفوا لسنسا  
جموح كأن الموج كان لهم سفسنسا  
ولا من كقرن السمرة قد أحكمت وفسنسا  
الينا سراطا بالبياد وأرقنسا  
بأطرافها حتى أستجاروا بنا منسا  
وكيف ينام الليل من عدم الأفسنسا

صهوات الخيل يوم الوغى عنسا  
غداة لقينا دون دماط جحفنسا  
تد اثنقوا رأيا وعزما وهنسا  
تد اعوا بانصار الصليب ناقبلنسلا  
عليهم من الماذي كل مفاضنسلا  
وأطمعهم فينا غرور نارقلسنسا  
نما برحت صدر الرماح تنوشهنسا  
سقيناهم كأسا نغت عنهم الكسرسلا

( ١ ) ديوانه ص ١٤ - ١٥

( ٢ ) ديوانه ص ٩ - ١٢ وانظر مفرج الكروب ٤ / ٢٢٠ وعقد الجمان ج ٨ ق ١ ورقه ٥٨

طويلاً فما أجدى دفاع ولا أضنى  
 فألقوا بأيديهم اليأساً  
 توارثها عن صيد آباءنا الأبناس  
 فعاثوا بأعناق مقلدة ضننا  
 ولوفاً ولكننا ما سبجنا  
 تعلم غير القوم منا بها الطننا  
 وكم من أمير من شفا الأمر ألقنا  
 لما ركبوا قيدا ولا سكنوا سجننا  
 بستر وقرطاً طلبنا له كفننا  
 ينال وعلو الشر من عره يجننا  
 أبى عزمسه أن يستقر به منسنا  
 جهيل المحتيا كامل الحسن والخصنا  
 هي الشمس لأدقضى مناء ولأذنسنا  
 نجيب يرى ورد الوفي المورد الأفننا  
 قلوب رجال خالفت بئسها الحزننا  
 تمام يرى كسب الثنا المخم الأسننا  
 لها نبأ يفني الزمان ولا يفننا  
 مواعظها غيبها فإن طادوا عدنا ( ١ )

لقد صبروا عبراً جديلاً ودافعوا  
 لقوا الموت من زرق الأسننة أحسنرا  
 وطبع الاحسان منا سجيئنا  
 منعتنا بقاياهم حياة جد يسندنا  
 ولو ملكوا لم ياتلوا في دطننا  
 وقد جربونا قبلها في وقائنا  
 فكم من طيك قد شدنا أسبنا  
 أسود وفي لولا تراخ سيوفنا  
 وكم يوم حرط لقينا هجمننا  
 فإن نسيم الملك نبي شظف المشقنا  
 يسير بنا من آل أيوب ناچمننا  
 كريم الثنا عار من النار باسننا  
 لعمرك ما آيات عيسى شفيئنا  
 سرى نحو دبرنا بكل سمبنا  
 فأجلى علي الروم عنها وأفرحنا  
 وظهرنا من رجسهم بحساننا  
 طائر نجد خلدتها سيوفنا  
 وقد عرفت أسياغنا ورقابهمنا

( ١ ) ديوانه ص ٢٩ وأنظر مفرج الكرب ١٠٠/٤ والسلوك ج ١ ص ٢١١

أرسل الملك الكامل إلى أخيه الأشرف موسى يستحثه على سرعة الخروج:

فأنهم من بنير تليق وتوتسك  
بتجشم في سيرها وتقسك  
إلا على باب الملك الأشرف  
موقع لقدمه ممشك  
عني بحسن توصل وتلطسك  
ما بين كل مهند ومقسك  
يوم القيامة في عز الموقسك (١)

يا محمدني، هأن كنت حقا مسعفسني  
واحتت قلوبك مرقلا أو توجفسنا  
واطو البنازن ما استطعت ولا تنسخ  
واقرا السلام عليه من عبد لسه  
وإذا وصلت إلى حماة فقد لسه  
ان تات عبدك عن قليل ثاقسه  
أو تبط عن أنجاده فلقسه أوئه

(١) القسري ج ١ ق ١ ص ١٦٧

كتب الى العزيز بن عبد السلام وقد اثارنا الفروع على نابلس \* :

فلم يقضها ربي لولوى ولا بمسائل  
لييب أديب طيب الفروع والاصائل  
فلم بشرت يوماً بأشئ ولا فحائل  
أصيبت بما أجتنت عليه من العسائل  
تشهد الي الشد قميات بالرحسائل  
ولم أرني الا سائل ما فيه من خل ( ١ )

ألا ليت أبي أيمّ طول عمره سائل  
ويا ليتها لما قضاها لسيسائل  
قضاها من اللاتي خلقن عواقسائل  
ويا ليتها لما غدت بي حامسائل  
ويا ليتني لما ولدت وأصبحت  
لحقت بأسائلي فكنت ضجيجهم

- ( ١ ) الفوائد الجليله في الفوائد الناصرية ورقه ٩٥ وورقه ١٠٤ - ٢٠٥  
( \* ) ينسبها ابن الوردي للعزيز بن عبد السلام وهو خطأ إذ ان القطعه  
للناصر داود كتبها الى العزيز بن عبد السلام ( أنظر تاريخ ابن  
الوردي ج ٢ ص ١٩٩ ) .

قال يمدح ابن الناصر صلاح الدين من جملة قصيدة :

ويفوق فخرها السهم والفرقند  
( ) وقد وهب الحصون وأصفى  
والروح كالأسد المهور إذا  
أو من يقال لملكه عسكر السرو  
فيا زجرا ناصر دين المهدى  
رفع الصليب على ذراه ومجسدا  
رفع السراوق راكعين وسجسدا  
من كل فج آمنين من العسدي  
دهرا وعز لشوغها أن يقصدا ( ١ )

ذلك بمؤايبه يفتخر العسلا  
ما يوسف ما يقام بختهم  
أو أن يقال كأنه يوم الوغى  
أو من يشبه جوده بنماصة  
بل طالع الدنيا وبالي رجبها  
وبخلص البيت المقدس بعد ما  
ومن الملوك السيد يلقاهم إذا  
به أثر البيت الحرام وشوده  
من بعد ما درست معالمه

وقال في فتح ديار سنة ٦١٨ يمدح الملك المعظم :

فأطاع نجم النصر بعد شيبه  
سرورا وأوى الدين بعد شحوبه  
فريدا وأضحى بحرنا من نصيبه ( ٢ )

سرى الملك المولى المعظم في الدجن  
ورد على السالم بعد كآبسه  
تجلى بعيسى نعمها واغدى بها

( ١ ) الروضتين ١٠٢/٦  
( ٢ ) الذيل على الروضتين ١٢٩

قال عند ما أسر الملك الصالح أيوب بن الكامل بن المعادل الفرنسيروا عتقله بدار فخر الدين  
بن لقمان وتيدده بقيد من ذهب ووكل به خادما يسمى عبيحا :

قال صدق من خوؤل شعيب  
من قتل عباد يسوع المسيح  
تحسب أن الزمريا طبل ريس  
ضار، بمن ناظر بك الشريف  
بتبيع أفعالك بطن الضرب  
الاقتيال أو أسير جريس  
لعل عيسى منك يستريح  
غرب عين تد أتى من نصيب  
أشبه من شدة لكم أو سطي  
لاخذ تار أو لقصه صحيب  
والقيد باق والطواشي عبيح ( ١ )

قل للفرنسيروا اذا جئت  
آجرك اللعل ما مضى  
قد جئت مصرا تبني اخذ  
فساتك الحين الى ادس  
رحت واصحابك اود عثم  
خمسون الفا لا يرى منهم  
فردك الله الى بطن  
ان كان باياكم بذا راضي  
فاتخذوه كاهنا انسه  
وقل لهم ان ضمروا عسودة  
دار ابن لقمان على عهد

وقال حين استرد الملك الناصر داود القدس الشريف ثانية من الافرنج :

سارت و غصارت مثالا سائرا  
ان يبيحت الله له ناصرا  
وناصر ظهره اشيرا ( ٢ )

المسجد الاقصى له عسادة  
اذا عدا للكفر مستوطن  
فناصر ظهره اول

( ١ ) ديوانه ١٨١ وأنظر المختصر في تاريخ البشر ١٨٢/٣ والالمام ١٧٥/١

( ٢ ) ديوانه ١٨٢ والروضتين ٢٠٦/٢

قال يمدح الأمير أسد الدين أحمد بن عبد الله المهراني ويذكر وقته من الفرنج على يافا ويذكر له أن قوما قد ساء لهم قومه منه ، وذلك سنة ٦٠٨ : مطلعها :

راج يخشى في حبه الرقباء  
ويغير الدموع حتى لقد أصبح  
ويسر الشرام والبرحاء  
بين الاحباب منه عزاء ( ١ )

مقدمة غزلية بكاء على فراق الأحبة ورحلة في طلب الممدوح ، عدد أبياتها ( ٦٣ ) بيتها  
ثم يقبول :

وانا ما سألت يافا أجابني	بلسان قادته فأغمره
شهدت منك بوقفا صممت	وقد كان أن يهدد البنين
فاختلعت النفوس حتى لقد	درت وربما جموعهم
ظلت في مبرك تحل على السمر	م من الموت صخرة صممت
فرجعت الهداة الذين فيها	بطوال المتفصات لبيدوا
وأنت الصلاة في ذلك السدر	ب وقد كانت الصلوة كبرياء
وتلوت القرآن فيها فليل السر	وم حتى تغيلوه غموم
وجعلت الصليب ينفر فيهم	وقد كان عزة قعس

وقال يمدح الملك الكامل بن السادل ، ويذكر نزول الفرنج على ديهنا  
وتقاعد الملوك عن النجد ، وقد كان اتصل بخدمه سنة ٦١٤ : مطلعها :

لهم حب قلبي إن تدانوا وإن صدوا  
وإن قربوا وأحال دونهم البسند ( ٦ )  
ومقدمة غزلية استخرقت أربعة عشر بيتا يتخلص الى الممدوح فيقول :

وركب تداعوا للسرى تمت أنسى	ليبني القرى بعد الهدى ذلك الوعد
فقلت لهم والليل ملق جرانسى	وقد ستر الأفاق من بينه بسند
تفوا حيث أنوار الهدى كالميسرة	ونار الوشى والمشركون لها وقعد
فشم نوى الأمل يسفر وجهه	سرورا ونجم الحق في أنفه بسند
فلولا سمي المصطفى ووليته	وسى الدين ، بل كادت قوى الحق تنهد

( ١ ) ديوانه : ورقة ٢٠

( ٦ ) ديوانه : ورقة ٢

ولا حملت ذاك المظهمة الجسد  
 ورايته من بعد ما قد كبا الزنبد  
 يروح على قصاد مثل ما يشدد  
 تأمل منها عند ما الفخر والمجد  
 وأخلاق داود ومن أخذ العمد  
 عن الملك أصحى حشو اجفانه السم  
 فجدود هم في بحر احسانه شم  
 على حسن ما يأتي لحق لها الخلد  
 شددت بها للدين فوق الذي شددوا  
 سمت بهم الاحكام والحبيب المسدد  
 وشيخا ولم تطيق صوارمها المنسدد  
 عن الملك أو سدوا من الامر ما سددوا  
 تصدبت فيه للعدى حين ما صددوا؟  
 متى عطشوا ، فالعوت دونهم ورد  
 على جيد دماط كما انتظم الحق سد  
 حشا محشايا ملوها الشيط والمقسدد  
 بجنب النبي المصطفى ذلك اللبسدد  
 مفار الهدى حقا ولا سعد الجسمدد  
 من الناس لولا سيف عزك والحمددد  
 اليه رجاء ان سينقضي الجسمدد  
 سواك عسى يروح لنا ذلك القصددد  
 لديك وعيشي ناعم تندكر رغبتدد  
 يتم بها بين الورى عندى السمدد  
 غدوئك فضلا حال عن جزره السمدد  
 يد الدهر يرويه لرونقة الضدد  
 وها مصر لكن انصيب لكم عيسدد  
 مليكا ومن ذا يحتاج له رغبتدد

فما صافحت بين الصفاح ككفيسه  
 ورى زبد ذاك الدين الخفيف برأيسه  
 وجدده أثواب المعنى فانشى النفسنى  
 تجمعت فيه أربع نبويستة  
 جلال سليمان ، وبهجة يوسف  
 اذا منعت اجفان ملك رقاد هسا  
 وان وهبوا العافي طريقا وتالسددا  
 فلو جاز في الدنيا خلود لخالسد  
 خصائص ابوية عاد لبيستة  
 فروع زكت في الكرمات وانسددا  
 فلولا هم لم يثبت الحظ للوغسد  
 نقل لملوك الخائفين اليكسد  
 ملك الورى : اين الملوك عن السدى  
 ايطمعت اثم بنسمة عيشستة  
 الام التادى والفرنج بجمهمسد  
 فوالله ثم الله خلفه صسادق  
 لما طالب سكنى طيبة ولقد نبسددا  
 واتسملولا طود بأسك ما عسددا  
 ولا قاطبيني نصره الحق قائسدسد  
 ايا ملكا اجهدت نفسي بسعيهمسددا  
 قصدت لا الورى على الناس كلهمسد  
 أو صل ان ابنى بقية مدتسدسي  
 ولست أرجي غير خد ملك السستى  
 تركت بلادى وأرتحلت أريدكسدسد  
 فخذ واستمع بدحا تعد لسواءه  
 فها انا يا ملك الملوك وانسدسد  
 فبذا يرحمى بعد ان جاء نحوكسدسد

وقال فيه ( الكامل ) عقيب المهزومة عن دماط ، واختلاف الحساكر ، ووصول المصظم وغيرها  
 يحث الاجناد والامراء على القتال :

فقد جاءكم عيسى وهذا معصم  
 على دين من قد أشركوا وتمسددوا  
 فان تنجدوه من لظى النار تنجدوا

أتبعوا عبود الدين لله تسعسدوا  
 فريق الهدى والله يظهر دينسد  
 فله الطاف عليكم خفيستة

( ١ ) ديوانه : ورقة ٢ - ٣



بها الفصال فالافراج فيها تجسد  
 تجمّع لانسام عيسى وأحمد  
 أرى كبدى شرقا اليه توقست  
 وكل نبي يا الذي قلت يشهد  
 فذا الذين للرحمن في نصره يهد  
 لهم في الهدى فرح زكي ويختبر  
 متى تتركوها أن للنار تخمد  
 لدى الناس إلا ذابل ومنه  
 دم النالون الشرك ، والسود أحمد  
 ينيلكموها اليوم أو يوم النسيب  
 ليبقى ، وفي نار الجحيم يخلد  
 ويرقد في جفن الردى وهو أحمد  
 وكالنبيك يهوى صوبه وهو محمد  
 وللجدي منها كل وقت محمد  
 وللعدل والامانة سيف منسج  
 يكف طوال الدهر يحطى ويرقد  
 جد اول تجرى والسديك المرسد  
 أحاديث جود عنقروى وتمسك  
 وينفي ولم يهتق رداه التوسد  
 ليشرى بذاك الشكر والحمد ، يخدم  
 ألية مهرور وحلف موكسد  
 كما بدأ الدين الخفيف عمسد  
 وقد غاله تطح من الكفر أسود  
 فاذ هللني زمان منكسد  
 به ، فهو سيف في الرزايا مجسد  
 اليمسى بوهمي بنصا منقسد  
 فيهمسرف فضلي شهشي ويحمسد ( ١ )

أرى الآية الكبرى من النصر قد جرى  
 وما يبيد المشركين بأنسه  
 عسى اللعان يأتي بعيسى فانسني  
 ليظهر ان الحق حق محمد  
 فلا تجزوا من جاد جاد جديا  
 فينوا الدين الكفر غارات معسدي  
 وشهوا لهم نار الجهاد فانكسد  
 فذا الدين يا أربى قواعد حقسه  
 فحزبكم حزب الالهوانم  
 هل الدين ملهوس جهل وشهسة  
 وهل فر من نار القتال آخر حجسى  
 أطيعوا مليكا يشترى السعد بالتهجدى  
 لم عزوات الدهر ان دم بالسبيدى  
 له دوحه يسو بها عاد ليتمسة  
 فلحق من غير ركن وملجسدا  
 اذا جئت تلقى السماع مجسد  
 وانقرى الساقى اذا أمطلسه  
 لقد سحرت من سره ونوالسه  
 فيخني ولم يهتق عطاياه بوعسد  
 ومن وهب الأموال أو قتل العسدى  
 وكان عليه أن يحوز مدى العلسدى  
 أقام عود الدين حقا منمسد  
 فأشرق بدر الحق في أمق الهسدى  
 نزلت وحاجاتي بباب محمسد  
 وقد كان طفي أننى أقطع السسدى  
 تجاوزت أقوبا علي أعسدة  
 فلم يك لي في الله ذا عنايسدة

ثم يختصها بشكوى الزمان وطلب الرعاية بخمسة أبيات

وقال في المعظم ، وقد اجتمع هو وأخوه الملك الاشرف ، وجمعا العساكر من البلاد كلها  
لنصرة الكامل وتخليص دمياط من الفرنج ، فمجئ الله لهم اقتتاحها ، وكسر المشركين .  
يقول :

ها قد بلغت الذي قد كان ينتظر  
قد صر الخبر منك اليوم عن خبير  
أكد بت ظن الاغادي بالذي كملت  
فالت طونهم في الفصال وابتدر كنت  
أعدت عود الهندي غضا وقد ييسرت  
هذا هو الفتح فتح لا يقوم به  
فتح مدين وتي من كل موطن  
يا يوم دمياط قد راحت مسودة  
تملح الدين والدنيا به فرحنا  
لم تخش يشرب تقريرا لقاد حسة  
أناقت خروس الاماني وهي ما تسمه  
البيست أدل الهندي من نصرة حلسا  
في يوم ذي ربيع لا وصف يدركه  
يوم تدين له الايام اذا خرست  
في حالة جمع الهندين في قسرن  
قد عاد صحتهم ليا تضي بسسه  
والضمير طالسة فيه وغارسة  
والدين قد تليت آياته فرحنا  
يا دين عيسى ، بعيسى قد خذلت وذا  
واغاك في جحفل ضاق الفضا بسسه  
أتى بجيشي وغي ، في الارض عسكره  
فالبحر من تحتهم آذيه وعلسى  
وزعتهم بين بيض الهند مصالسة  
فللرمح قلوب منهم ايسر  
أبوا العجور الى دمياط تحصنهم  
راوا بحيث أطلقهم الامر سلمتهم  
لهدلبوا السلام الا بعد عامهم  
أضحى لرومية الكبرى بما شهسروا  
إن لم يكن حوصروا فيها فانهم  
يشون همسا وإيطا حديثهم  
نباهم الرعب عن عود فمقتصة

الله أكبر ، هذا النصر والظفر  
قد كان أنظر فيه نفسه النظر  
بما الصنادق واستحل بك الخط  
من بارح سائح الطير الذي زجسروا  
أغصانه وهو لا ظل ولا شمسة  
نظم المديح ولا نشر فيبتك  
لهيبت من بسند مذنب غيرتشمسة  
منك الطور من بوقد سارت بك السير  
واستبشرت مكة والحجر والحجر  
من بعده ان سرت في ذكره السور  
ورضت صعب الصاني فهي تبتسبر  
والشرك قد حل بسسه الازر والازر  
يكاد منه نوءاد الدهر ينفظ  
عن فخرنا وهو طول الدهر يفتخر  
فالشرك منخذلوا الحق منتصبر  
زرق الأسنة فهي الانجم الزهر  
لكنها بنظام الفتح تستمتر  
بنصره ، وضليب الشرك منضمتر  
كسر دمي الدهر منكم ليس ينجمتر  
ذرها ، فانت لديه بل له جسز  
وفي السماء قضااء اللعوا القسدر  
روءوسهم منك نار الحرب تستمتر  
وبين سمر القنا ، والجوت مستكتر  
وللسيوف الطلى والهيام والقصر  
وما دروا أنه عبر به الصبر  
وقد رأوا غارة هانت لها الشبر  
بان سيطك لا يبقى ولا يسبر  
ويل طويل وقد وافاهم الشبر  
من يومه ، بأسك حصرا لير ينحصر  
فيها لخوفك ، إن قالوا وإن ذكسرو  
إن قيل عودوا نعد بالسيف نقتصر

ما يوم بدر بأعلى منه أو أحسن  
 لا يوم أحسن منه منظرًا وسنة  
 جنيت فيه ربه من القوم بالسنة  
 فلتشكرنك بنو العيا من بعدهم  
 أليستهم عزتكم مناهي من طرفهم  
 كم آية لك يا عيسى ومجزة  
 أنت المليك الذي لو عيب في ماله  
 أحيت موت الخلق والكلمات بمسنا  
 مناقب حسنت أخبارها وزهنت  
 يا مدد من الفضل والاحسان هأنسدا  
 الله يظلم أني في انتظاركم  
 يكتيك مني أدنى ما أشير بسنة  
 خذها فان حبيبا لو يروم لهسا  
 ولا تصح لاستماع بجدها أبسدا

ولا حنين ، وان تدروا وان شهنسروا  
 سير القنا وسيوف الهند تشتجسروا  
 لكن ذوت بقدتها الاغصان والشجسروا  
 لا بل ترش تودى الشكر بل مشتسروا  
 من بعد ما قد طورا ما كان قد شهنسروا  
 يقل هزمهم فيها وان كشمسروا  
 ما غابها الناس إلا انهمشسروا  
 أوليت أن لا يوازي بحد به المطسروا  
 حتى لقد صار صر جورا بها السمسروا  
 ومن راعي بهيما كنا صبسروا  
 قد صني الضربين اودى بين الضسروا  
 ان ليس من عادتي الاكثار والمكسروا  
 وزنا لمخاضه في فكسره العصبسروا  
 ما كل مختلف الزاونه زهسروا ( ١ )

وقال أيضا بجدحه ، وبعاتبه ، وكان جماعة قد تكلموا فيه عنده ، فأعز ذلك ( فيه ) ويذكر غيبنا  
 وثمة :

ان الحزين الذي يحمله الأسسند  
 سرادق العبد مشروب على ملكك  
 رس من الملك فخور وأفيسسند  
 يا حسن دولة روح الله قد كظسنت  
 هو الحمام المرجى صوب عارضسند  
 غضب الحزبة ماضي الوهن محتسند  
 يحسين حوزتهما لشرب فاغسند  
 ما حل ارضا ولم يشهد الى بلسند  
 صاغرفيه على أعدائه كسند  
 يا زايع التلب ان الحيف محالسند  
 هذا هو الأمد الرامي برائسند  
 التي على أنق الدنيا كاذ كلسند  
 الله أكبر جاء الحق يقد مسند  
 يا أيها الملك المرسي بمزقسند

دار المليك وفيها العيشة الرضسند  
 لا لاه في عراض العز مقمسند  
 بها الخلق والقدي والبأس والجنسند  
 بها السيادة واستطلى له السمسند  
 والصارم المنفضى والفارس الثسند  
 شواعر الحزم بالاراء بنسند  
 في حين لا تحب يفسند  
 الا تعظم روضا ذلك البلسسند  
 والنبيك منه يكون الماء والزسند  
 على القلوب فكظا ما للذي تجسند  
 عليه من زعف ما ذية لبسند  
 فالقرب في الوشميان والبسند  
 نصر المليك فلا وان ولا جسند  
 طود المشافة لما مسند الأود

والدين مهتضم والملك مضطرم  
 ماء الحنية في مئنيه مطسرد  
 كانه حية في منبها رُسرد  
 والمجد في الروح موجود ومفتسرد  
 اشقى بها الموت في حوائه يخرسرد  
 بالنصر فهو لها تحت الوغى صسرد  
 والبيضة ضاحكة والموت محتسرد  
 اسيا فهم للحنايا انها تسسرد  
 رزة منزهة من القلب والكبسرد  
 من القلوب د ما ان لقمسرد  
 وان صبرك لا تحصى له المسسرد  
 فمهم يظنون رعبا انها رصسرد ( ١ )

كم موقد لك ليس الله ناسيسه  
 جلوت وجهها لعل فيه بذى شطسرب  
 يهترني وجه افرد تجلسسرد  
 فكان مجدك موجودا لعل السسرد  
 اججت للكفر من كنيك ملحسسرد  
 نخرت رايائك الصفرا التي وسمسرد  
 لاقيتهم ووجوه الخيل عابسسرد  
 في فتية من نتاج الحرب قد ضمسرد  
 حيتهم بينات الحط يفتره سسرد  
 من كل أسر تستقي النون بسسرد  
 وقد تيقن ان لا صبر يسعد سسرد  
 خانوا باناسهم بها الم تبسرد

ثم ختمها بمدحه ويطلب منه ان يمينه على نواب الدهر ( وذلك في ثلاثة عشر بيتا ( ٢ )

وقال في الاشرف موسى بن المادل عند منصرفه من الجزيرة والشام الى الديار المصرية لنصيرة  
 الكامل ، ويذكر له وقائع بالفرنج والروم : مطلعها :

ارابت ما صممت لحاظ الفيسرد  
 ما بين منصرح اللوى فسزود ( ٣ )

وتبدأ بحديقة غزاية عدد أبياتها ( ٦٢ ) بيتا ثم مدحه بالكرم وحسن السيرة بعشرة أبيات  
 ثم يقول :

من بعد طول تشرد ونسسرد  
 وصف البليغ بخطبمة وتصيسرد  
 ضمهم بحزم في الامور رشيسرد  
 ملة الملة عددا بشزر عد يسرد  
 فاعده من حنكسرد وهيبسرد  
 شربوا بكاء النصر والتأييسرد  
 ما بين مقتول الى صفسسرد  
 او نشر رايات وخلق بنسسرد  
 منه ، ويذكر شأو كل شهيسرد

وطريدة الاسام أنت أعدت سسرد  
 أيام صاغينا يقصر د ونهسرد  
 بددت جميع الكفر وهو نوسسرد  
 ونهجت إذ هجز الاسام بأر سسرد  
 شاروا بن الاسام شهدا قنسسرد  
 وسقيتهم كما مر المية بعد سسرد  
 والروم ارموا نصرة فجعلت سسرد  
 أغناك بأسك عن ترا كتييسرد  
 علموا بأنك كالدجسي لا مهسرد

( ٢ ) ديوانه : ورقة ١٨

( ١ ) ديوانه : ورقة ١٦ - ١٧

( ٢ ) ديوانه : ورقة ١٨

أسكنت أكثرهم بطون لخم  
 فأعدت معدوما إلى موجسود  
 كفرا عن الايمان والتوحيد  
 عظمت عن التكييف والتحد يسود  
 دوس لإفراق ببخر جنسود  
 ملاحظ أدية بحد يسود  
 ومحمد بالنصر والتأييسود  
 يرضيه بين إقاعة ونهمسود  
 رصفت وقد وصفت نظام عقسود  
 عليها ركوعي دائما وسجسود  
 قد كان في قائل السلاء صسود  
 عن مائة تيمما بصفييسود  
 فالمستبول لذك غير حيسود  
 لا ظل زكسي ولا مسسود  
 من أن أراني ليس يورقي عسود  
 جاءه بالالتظيم والتصجيسود  
 تنظا بين ترم ونشيسود  
 فنزلت بنلامي جرول ولهمسود  
 بحدائها بزل المطايا القسود  
 في مغرب في بأسوال الجسود  
 لرضي محب او كبت حسسود ( ١ )

فاستمدوا عوا الأبرك بعد مسسا  
 وتحت ما أنتحوا بمنزم قاسسور  
 وأتيت إذ د هياط بدل رسمسا  
 تلقى جيوش المشركين بمنزمسورة  
 فرعون كثرهم طغى نأناهمسور  
 جاشت غواربه بدون مزسود  
 موسى وهيمى ارسل لخمسود  
 فالله يشكر دنكم المسمى السسذي  
 يا أيها الملك الذي اخلاقتسود  
 يا كعبة إن كان تقبل حجسوتي  
 ما بال مثاي خابك من بعد مسسا  
 أيجوز لي خوف الخضم وأنسني  
 ان كان قل النيل يحد رسمسود  
 كانت تمنى النفس ظلك جهدهسا  
 والاهرف المنصور أمرف السسورة  
 خذ واستمع مني نظام فريسورة  
 حليت بهسور كما في سمع فمسسا  
 واخر تأخر صبرها غلدا المسسا  
 عذبت على الاغواء حتى أطرسوت  
 لله أنت غريبة وعجيبسورة  
 كفل الاله له بطول بقائمسورة

وقال فيه أيضا بعد فتح دهاط وهزيمة الفرنسي :

فلتهنك العزة القسما والظفسور  
 جرى به قبل تكوين الورى التفسور  
 قد وثيت لك في تيسيره النفسور  
 واستبشرت بالذي حدثته البفسور  
 من دونه والقنا البسطي مشتجفسور  
 جود يعيل لديه أو دم شفسور  
 منك الجماجم بالهندي والقفسور  
 قد رام إحرازه دسرا فما قفسور  
 وسيرت لك في تيسيره المسفسور

نصر من الله وأنا به الخبفسور  
 فتح تريب وملكه قد خصصت بمفسور  
 هذا الرجاء الذي كنا نؤمفسور  
 قد صمت لله شكرا إذ سمعت بمفسور  
 أحرزته وصوره الهند جائلسورة  
 فما خلد الدهر من يومئ نسدي وردى  
 لله بأسك يوم الروان شقيفسور  
 فتحت فتحا عظيم الخطب كم مفسور  
 راج افتتاحكم بين الورى مشسورة

( ١ ) ديوانه : ٢٠ - ٢١

والله عونك، والأملك، والقـــمـــدر  
 فقصرت عن مداك الضمير والقـــمـــدر  
 كل الوري وتنامي البدو والحضـــر  
 فالحق منتصر والشراك مندثـــر  
 ووجه البسطة كادت منه تنشطـــر  
 يوم الكفاح وفي أعمارهم قصـــر  
 ورود همبارتواؤا ماله صـــر  
 زرق الاستغنى أطرافها زهـــر  
 غادرت له من هامهم شمـــر  
 هذا القضاء فأن ييتي ولا يـــر  
 دجت ووجهك في ظلماتها تمـــر

بحر بامرك مهما شئت يا تمـــر  
 عمرو رأى مثله يوما ولا عمـــر  
 أو يوم تغلب إن قالوا وإن فخبـــر  
 بك الشريعة ، إن غيرت بك التـــمـــر ( ١ )

لهضت للدين بالهندي منصلتـــا  
 أبدت في ظلمات الدهر نور هدى  
 أتيت دهاط أن أعيت رياضتـــا  
 فكنت إذ زرتها مفتاح مقلـــمـــا  
 صدقه بخير لو صدقت بســـمـــه  
 من بعد ما كان في أمالمهم طـــول  
 أوردت أنفسهم حوض الردى فقـــدا  
 أنزلت أفئدة منهم رســـا  
 ما أنبت الخط طول الدهر من أســـل  
 لما أتيتهم قالوا بأجمعهم  
 عاد النهار لهم ليلا بقسطلســـة

جاء وا وراك يا موسى فتمـــم  
 يوم غدا دونه يوم الكلاب فـــلا  
 كلاً ولا يوم ذات الدوم يشبهه  
 حفظت ملك بني السبا، وانحفظت

ثم يدحه بتسعة عشر بيتا ويختتمها بشكره ، يقول :

شكرا تشتر منه للورى حـــمـــر  
 لشيره في الصلى ناب ولا ظمـــر  
 عن شرح حالي فاستغنى وأختصـــر

كم قد شكرتك في الدنيا لدى ملك  
 وقلت ان ذكروا موسى فليس يـــر  
 وحسن رأيك تفنني بســـوادره

وقال في الملك الناصر قلع ارسلان بن الملك المنصور محمد بن عمر بن شاهنشاه الايوبي  
 ويذكره انه كان كاتباً لأبيه وأهلمو بحرضه على قتال الفرنج ونصرة الاسانم والجهاد، مطلقها :

صل مغرماً ليدريصني فيك للمسندل ( ٢ )

بما بهجتنيك من غنى ومن كعـــل

تهدا بمقدمتولية عدد أبياتها ستة عشر بيتا ، ثم ينتقل الى مدح قلع ارسلان فيقول :

وجيش جبار يريك الناموني، رجيســـل  
 أمضى من البيض والخطية الذبـــل

ملك له عز مذل الزمان لهســـل  
 مؤيد الرأي إلا ان همتـــه

( ١ ) ديوانه : ٢١ - ٢٢

( ٢ ) ديوانه : ٢٣

إنَّ نَمَّ قَاتِلِ آوَى إِلَى جَبَّارِ  
 يَوْمِ الْوَعْدِ بِطَبِيبِ الْهِنْدِيَةِ الْقَصِيْرِ  
 إِلَّا لِتَجْجِيلِ رِزْقِ مِنْهَا وَأَجْجِيلِ  
 فِي الْجُودِ عَاقِفَةٌ مِنْهُ عَلَى هَيْبِ  
 رَوَّيَتْ مِنْهَا الْوَرَى بِالْعَلِّ وَالنَّهْمِ  
 وَهَاطَلُ الْفَيْثِ حِينَا غَيْرَ مَقْصُورِ  
 فِي جِحْفِ شَرِّ بِالْمَخِيلِ ذِي زَجْجِيلِ  
 قَالَ الرَّدَى لِلْعَدَى مَوْتُوا عَلَى عَجْمِ  
 ضَخْمِ الدَّسِيمَةِ مَرْدٌ غَيْرٌ مَحْتَفِ  
 بِالْحَزْمِ مَلْتَحِفٍ بِالْحَزْمِ مَشْتَمِ  
 بِهَا وَلَمْ يَعْكِدُوا قَوْلًا بِلَا عَصْمِ  
 بِمَا تَوَعَّلَهُ فِي أَوْضِحِ السَّبِيْرِ  
 وَهَدَّتْهَا دَوْلَةٌ تَمُوجُ عَلَى الْمَسْبُورِ  
 وَأَبْنِ الْمُلُوكِ وَنَجَلِ الْمَسَادَةِ الْأَوَّلِ  
 لَا تُتَّقَسُو، بِصَنُوفِ الْفِكْرِ وَالْحَيْمِ  
 مَوْفُورَةٌ وَنَوَالٍ غَيْرَ مَشْغُورِ  
 وَأَسْرَحِ الدَّارِفِ بَيْنَ الشَّيْلِ وَالْمَشْغُولِ  
 مَوْعَرِ الْحَفْلِ فِي الْأَفْرَاحِ وَالْبَسْمَلِ  
 وَمِنْ عُلُومِ وَلَا أَرْضِ مِنَ الْهَيْمِ  
 يَحْلِي مَحْلِي رِيْدِي صِرْطَا أَمَلِ  
 مِنْ كَانَ أَضْحَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ مَكْلَسِي  
 عَيْنِي وَجِئْتُكَ أَسْمَى جَدًّا مَخْتَلَسِي  
 وَاعْتَضَتْ بِالْحَجْمِ عَنْ نَزْرِ مِنَ الْوَشْمِ  
 وَلَا تَكُنْ عَنْ قَضَاءِ الْحَقِّ فِي شَنْمِ  
 وَحَسَنِ زَائِكَ لَا يَوْمِي مِنَ الزَّلْمِ  
 لِلْمَشْرِفِيَةِ وَالْتَوَقِيْعِ وَالْقَبْسِ  
 كَانَا الشَّصْرُ مِنْكَ الدَّهْرُ فِي الْحَمَلِ ( ١ )

طوفان راحته بالجد لا أحسد  
 كلا ولا عاصم من بأسه أبسدا  
 ما أعمل الفكر في يومئ نسد يوردي  
 كأننا من قرش جاهليتنا  
 أذبت غنا السحاب الجون من نهم  
 جود يحم البرايا منك مقصدا  
 فأنهض إلى نصر دين الله في جسدا  
 جيش يجهش بأبدال إذا بسرزوا  
 من كل أغلب في غرنيمة شمسم  
 وكل مدرج للصبر مومتهم  
 أبناء حرب غدوا فيها ونشأهم  
 فالله جارك والأغلاك دائمة  
 قد مدت كل ملوك الأرض قاطبة  
 يا أيها الملك الميمون طامسمه  
 سمعا لشكواي من دهر حواد شمسمه  
 ما زلت عند بني أيوب في نعمسم  
 أرض رياض الندى من فيض نعمسم  
 وعشت في عزة قصصاه عند همسم  
 أرض الشمس وما حصلت ممن أدب  
 وكان لي الملك المنصور أعظم مسمن  
 فخاني الدهر في حنلي وأعد مسمني  
 تكنت لي عوفيا عن كل من نال مسمرت  
 قصدت بابك والآمال تلعب بمسمني  
 فأسلك مسالك أهليك الكرام مسمني  
 فإن جودك يكفي كل حاد شمسمه  
 قد صاح كفيك رب السرور عن قمسمدر  
 وإن بابك يولي قاصدك علمسمسي

الدين وهي من أشعاره في الصبسمسي  
 لا تكنت من مشرم صبب ولا كائسما ( ٢ )

وقال في الملك العزيز عثمان بن الطك الناصر صالح  
 وكان قد اجتمع به في التاشرة سنة ٤٥٩ هـ مطلعها  
 إن كان أحمر قلبي منك سلوانسما

( ١ ) ديوانه : ٢٤ - ٢٦  
 ( ٢ ) ديوانه : ٣٨

تبدأ بمقدمة غزلية من ١٨ بيتا ، ثم ينتقل الى مدح العزيز عثمان بالكرم ثم ثمانية أبيات  
ثم يقول :

والبيض تكسي نجيب الهام أجناسنا  
منه وعاد نبي الله جذ لانساننا  
كما حطمت اناجيات رسلنا نساننا  
كما لا كباد هم اشرفت خرمنا نساننا  
ذكر كما قال رب العرش تبياننا نساننا  
نبني من الله رضوانا وشراننا ( ١ )

كم موقف لك والخطي مشتجس  
يرضى به الله والاساكم مبتهسج  
للمشركين على الايام كمتسدة  
شرعت للسيف شرعا في رقابهم  
اني واياك والامثال اضرهم  
نصر وفتح قريب باجتاعهم

وقال يمدح الملك المظلم كوكبري بن علي بن بكتكين ويذكر وقائع ويحرض بكسر المجهوم  
مطامها :

فأبدت شوهرن الدمع ما أنت تاتس  
دي فاجابته الدمع السواجس ( ٢ )

أشقتك من اطلال ليلي محال  
أم القلب إثر الطاعنين عبا بسمة

تبدأ بمقدمة غزلية عدد أبياتها ( ١٨ ) بيتا ، ثم ينتقل الى المدح فيقول :

وشر الندى والدين والمدل باس  
بذلك الا رهو للشطب خاس  
وحلتها غل الزنج منه القواص  
لقد شجعت منه البحار والحضار  
ومن جوده بحر المناج راس  
فليس قضا غير ما هو حاكس  
غني عصره كل الزمان مواس  
وأوصافه أثنت عليه المكسار  
عظيما ، وقد هانت لديه المطايس  
اذا احتدمت بالدارعين الملاحس  
وموت لهم أيقظتهم هو حالس  
وبعر المنايا موبه تالاطس  
تجيبك في هام الكماة الصسوار  
اذا الروح الأصار أو ضهبسار

ملك به وجسم الخلوب مقطس  
حسام أمير البومين وما سس  
به نصر الاساكم في كل موطن  
لئن عجزت وطفا النوادي بجسوده  
فمن مجده حوض المدايح مسترح  
ملك له الاقدار تجرى على السورى  
تجلبت منها لدهرتونا من السلسى  
اذا هجز الوصاف من حصر مدحس  
وما أنصوه بالمعالم ان غسدا  
ومن أين يلغى للمناظر مشمس  
وكم سوق حرب للأهادي أقمس  
وكم شهدت تلك الفرع بواقس  
دعوت بها بيض السيوف فأذ غمس  
لدى محرك لم يلف في جناتس

( ١ ) ديوانه : ٤٠

( ٢ ) ديوانه : ٥٦



وبيشر على القتل من الطير حائسهم  
 آجابتكم صيدا وياغا وحسبهم  
 وكم قست اذ ذاك منها الننائسهم  
 وما نعت فيه الرقى والعزائسهم ( ١ )

وما زالت في جيشين : جيش مقاتل  
 ولو مثلت أرض الفرنج شهادة  
 فكم خلست فيها لدى الحرب أنفسهم  
 وكم من صريح من مخافة بأسكسهم

شبهتمها بالمدح بالكرم ويطلب منه أن يتخذه كاتباً لسه ( في البيت ) •

قال يمدح السلطان الكامل محمد بن السادل ، ويذكر انتزاعه من دمياط من الفرنج :

بك اهتز عطف الدين في حلل النصر  
وردت على اعقابها ملة الكفر  
وبنها :

وما فرحت من ربذا الفتح وحدهما  
ولو لم يقم بالله حث قيامه  
واتسم لولاهمة كالمليحة  
فمن مبلغ هذا البهاء لكسرة  
نقل لرسول الله ان سميت  
هو الكامل المولى الذي ان ذكرته  
به ارتجعت دمياط قهرا من العسدي  
ورد على المحراب منها صلاته  
واقسم ان ذاق بنو الاصغر الكسرى  
عجبت لبحر جاء فيه سفينهم  
الا انها من فلاة كبرى  
ثلاثة اعوام اقامت واشهرها  
صبرت الى ان انزل الله نصره  
وايلة غزو للسدر كأنهم  
نيا ليلة تد هرب الله تدره  
سددت سبيل البر والبحر عنهم  
اساطيل ليست في اساطير من  
رجيش كمثل الليل هولا ونهب  
وكن جواد لم يكن قاطعا  
وباتت جنود الله فوق ضوام  
فما زلت حتى ايد الله حزبه  
فرويت منهم ظاهري البهي والقنبا  
وجاء ملوك الروم نحوك خضعا  
اتوا ملكا فوق السالك محاسنه  
فمن عليهم بالامان تكرمنا  
كفى الله دمياط المخافة انهم  
وما طاب ماء النيل الا لانسه  
فله يوم الفتح يوم دخولهم  
لقد فاق ايام الزمان بأسره

لقد فرحت بفداد أكثر من  
لما سلمت دار السلام من الذعر  
لخافت رجال بالقيام وبالحجر  
ويحرب تنهيه الى صاحب القبر  
حصى بيضة لا سالم من نوب الدهر  
فيا طرب الدنيا ويا فن المصير  
وطهرها بالسيف والملاقطه  
وكم بات مشتاقا الى الشفق والوتر  
فلا حلت الا باعانه الصفير  
السنا نراه عندنا ملك الفمير  
سوطب منها غو حلك واليسير  
تجاهد فيهم لا يزيد ولا عمير  
لذلك قد احدث عاقبة المصير  
بكنة من ارد يته ليلة النحر  
ولا فروان سيتها ليلة القدر  
بسابعة دهم وسابحة غمير  
بكل غراب راج افتاء من صقير  
وان زانه ما فيه من أنجم زهير  
لأن زهير لا ولاهني بسيدر  
بأوضحها تنني السراة عن الفجر  
وأشرب وجه الارض جذلان بالنصير  
وأشبهت منهم طوى الذئب والنسر  
تجرر أذيال المهانة والصفير  
فمن جوده ذاك السحاب القوي يسير  
على الرغم من بيض الصوارم والسمير  
لمن قبلة الاسلام من موضع البحير  
يحل محل الريق في ذلك الثفير  
وقد طارت الاعلام عليها على وكبير  
وأنى حديثا عن حنين وعن بدر ( ١ )

( ١ ) ديوانه ص ١٦١ هـ وانظر شرح الكروب ١٠٣/٢

قال يمدح الملك المنصور ( صاحب حماة ) ويصف ما يخافه في الصيد ، بتصيدة مطلقها :

أكلت كل المناقب يا خير ما هو وراكب

ونهبها :

أقدمت بالسيف على والعريف أكرم صاحب  
حتى قهرت الأعداء بشامنا غير هائب  
فألقوم بين قتيمة وبين عان وظئار ( ١ )

وقال يمدح الملك المنصور صاحب حماة ويهنيه بالظفر على الأفرنج :

بجدك فقت أملاك البهائم فأذ عن حاضرهم  
وبالبيض القواضب مخلصات لودك ، أخلصت زرق الأعداء  
علوتهم بسوط من عسبات أعاد أبيهم سهل القيس  
وحجبتهم سيوفك حين صلت فألجمهم جدالك في الجيس  
عرضت لهم بخيل عوضتهم بقبح الطرد عن حسن الطيس  
رعاك الله ، يا مخود ، ليثسا وسخر ندى يفيض ، ويدر نسبا  
أعد للبرق عصاما ، فنيطست حطاله على القمر الثيس  
ليفدك بالكارم بن بنيسه زمان رائع ، برضاك ، غسبا  
فبا لنصي يصابني من تصافسي وبالبرق يصابني من تصافسي  
اليك زفتها بكرا تحلست يدر من صفاتك ، مستفاد ، ( ٢ )

وقال فيه أيضا :

أبشر بما شئت من نصير وتأييسد فمنك يرون حديث البأ ، روا الجيسود  
وأنت ليت وفي ندي ، مثاليسه في نحر كل طويل الباج ضد يسود  
ملك اذا سرى الاملاك في قنيس فصيده غلب آل الاغفر الصييسد  
وان سبهم ذوات المحسن طال يسه تقطع الحالى عن وصال الخرد النيسد  
وان تالدهوا بشرب الراج قال ديسا بني الحروب ولا بنت العناقيسد  
كم فزعة لك لا تنفك عن ظيسر فالجهد منك لجهد منك مسيسود

( ١ ) ديوانه ص ٦٥ - ٦٨ ( ٢ ) ديوانه ١٧٨

مقول أبطالك الفير المناجيد  
 فوق الجلايد ترضى بالجلاليسيد  
 حتى لقد خلقتها كتبها بتقاليسيد  
 وكم هبناح كسته توب رعد يسيد  
 ولم تنزل ذات أضرام وتوتيسيد  
 حفظ البلاد وأقوا بالمقاليسيد  
 با الفوز عن رب أشلائه وتوتيسيد  
 تبيد في ساحتيه ساحة البييسيد  
 ونقبة ذات أبراق وترعيسيد  
 ولا تدمت بأرقاب وتهديسيد  
 شيرت المبال وقلبا غير مسيد  
 ما سار في الخرب أقداما بتنر يسيد  
 كنفخة الصور كل عندنا مسيد  
 بهجر رب وطير كالأخاد يسيد  
 يبكي على نبالك منهم ومقتس يسيد  
 قام النيان بقصد يق الاسانيسيد  
 واطح البيض في حجب الوض السيسيد  
 صفوا الى الزود من نوم وثنيسيد  
 زان الوري تحت ظل منك مسود (١)

وكم سبلى أعريت عنها الصروبة مسين  
 كانوا الجلايد في بأرغوي جلسيد  
 كتائب حكمت في كل مملكيسيد  
 فكم جبان غفته بأرغوي لبيسيد  
 أما الفرنج فقد أخذت نارهم  
 من بعد ما جاد أملاك الطوائف عن  
 رجا بنو الاحد الكاز عودهم  
 فباكروا في كثيف الحشد ذي لجنب  
 مستشعرون سحب نفع من هذا الحمة  
 فبا جدعت الي سلم على غيبين  
 أتبلتهم رجب صدر ليد يجر جسمه  
 وسابحا سلعت بالنصر عزتيسيد  
 وحده غضبا عليهم منه صاعقيسيد  
 ورغبتهم بغيره كل جسمهم  
 نشود روا بين مجروح وهشيسيد  
 ان خبروا عنك بأبأس الفظين لتيسيد  
 صاروا قذافي ان راوا القذافي للقتيسيد  
 فاد تدح فزوهم في بخر د ارهيسيد  
 وأسلمه لك الملك بقصورا علييسيد ولا

وقال يدهج الملك المظفر الثاني ( تقي الدين محمود بن الملك المنصور صاحب خطاه ) وبنيته  
 بسيد النجر بتعبدة أولها :

ولولاه ما ساءت عيني بالكنسري

ارتت لدايت المالكية ، ان سنسري

ومنها :

سوى تلم غضب أو وشين تكسيرا  
 بوان رنورظام ، اذا ما تنسيرا  
 بشير السجاي ، يحسب البري منكرا ( ٢ )

وكم عاد من كسر الفرنج مسلمينا  
 تلقاهم شهم البطان يمسنده  
 ندى لك يا محمود كل فدمسنم

( ١ ) مخط الكروب ٣٠٣/٤ ، وانظر عقد الجمان ج ١٨ ق ٣ ورقة ١١٧

ديوانه ١٥٦-١٥٨

( ٢ ) ديوانه ١٩٥

وقال يمدح الملك المظفر الثاني وبهنته بتقدم من غزاة بتصيدة اولها :

ملكنا على كل الملوك مظفر  
 عز المزام أن يغوز وينص  
 أرباض غرشة القديمة والقسمى  
 عرضت لطيف أبي غراما سسمى  
 جيشر كشرت به المديد الاكثسى  
 أن المحتوف تحيد عن غسمى  
 غصنا بها مات الفوارس مسمى  
 مجددا " وكل الصيد في جوف الفسى  
 ومضيت مصاما ، وصلت غسمى  
 حققت دماء كياته أن تسمى  
 ولقيته فردا فظنك عكسمى  
 ولو أنه في الحرب أسرح مد سسمى  
 حتى رآك ، فهاله ما أبسمى  
 فأصاب منك الخضر والامكنسمى  
 والاقربين ، وحققها أن تشكسمى  
 كلفتهن المقربات الضمسمى  
 ليهنق بحرا من نجين احمسمى  
 بارت ، ورب نفيسة لا تشسمى  
 ياد هواك ، صبرت ، أو لم تصبسمى  
 وأم الا من يراك كما أرى ... الخ ( ١ )

وغيرت يدانك ، ودمت يا غير السورى  
 وقد مت أغم قادم شمت لسمى  
 من بعد ما جاشت جيوش الروم سسمى  
 وتاهبت بغوارس لو أنسمى  
 أغناك عن فتكات جيشك غيرسمى  
 غورت حتى ظن أنك موقسمى  
 وبنزت من أعلاف رمحك بينسمى  
 يوم تضمن كل يوم قبا سسمى  
 صادتهم بلودا ، ورعتهم ردى  
 وغنا عليك الروم منك لهد سسمى  
 تأملت عسكريه قتالك واحسمى  
 وراك في سلم فاقبل مقبسمى  
 ما زال يسمي عنك أبراهامى  
 أخجلته علما وعزما طاهسمى  
 وفشلت مشكور المصالح في السدى  
 هم يمتت ، فكلفتك عظامسمى  
 تختار منها كل بحر ما يسمى  
 لولا غرامك بالحروب وغوضىسمى  
 فصل الوغى ، أو صد عنها ، أنسى  
 وأراك أشجع ذا الانام وليس في الاقسمى

وقال يمدح الملك المنصور الاون بقصيدة مطلعها :

ان زاد لوبي لاشي ، أو نقصا ؟

أيروم قلبي من هواك تخلصا

ونمها :

يا بهى الملا لكياته أن تنكصا  
 رعب يصد عن الفرار القومصا  
 واذا بدا لنهار حقاك حصمصا  
 طمعا كذوبا سامه فتلصمصا  
 كلب ، اذا زارت ليوثك بصمصا

رعت القرنى بنجحفل متعاقصدا  
 لم تشزهم الا وأكل رائصدا  
 فاذا بدوت لليل باطله صنصا  
 تشزوه بندد وعيده ، نسا اذا رأى  
 حتى اذا وافاك فركا نصى

( ١ ) ديوانه من ٢١٧ - ٢١٩

دم للملا ، يا خير من نصر الرجيا  
واستجلبها بكرا نتيجة ايلسة  
أحكمت بهدا نسجها وغنامها

٥٠٤  
سار له وعلى غلده نصصا  
توصي بناظم سمطها كل الرصصا  
ونسبها وبديحها والمخلصا ( ١ )

وقال يمدح الملك المجيد بهرام شاه ، ويهنته بكسر الفرض بقصيدة مقلدها :

اهلا باقبال معدى بمد اعراض  
وضمها :

وبرجسي بها من بعد امراض

تجاهل الناس في مصر وجارتهم  
حتى غزا الكفر " دهاطا " بطلاغية  
فكاد يقضي على الامم جاهلهم  
فاسر ابن مصر الدين عزمتهم  
بكل ضرب ربيط الجاش مشتت  
وكن اجرد ويظير تصرفهم  
وكن اسر عمال يسول من الم  
وكن عفراء مرنان مفضرة  
فسلبوا ثنرد بها طبا عسوس  
اجلدهم عن حماها باس ذى لبس  
اعاد للدين ما غيظ العدو بس  
شكرا لدهر ثلاثاني باوتهم  
قد كان ينحني داورا ويمنسني

تدر القروم ، فلم تخفن باخفاضي  
أمد ظهر الهدى منها بانقراض  
ما ليس يطعن ، في ابطاله ، قماض  
من بعد احكام تدبير واحصا  
بكل غضب مضى في الوغى صا  
يسار ليت الى المهيجا ركسا  
اذى بحر دم للحقد رحصا  
نيس العروق ، اذا ثارت لانبصا  
وظالما خود عوا عنه باعصا  
في السلم والحرب رفاع وعفصا  
وعاد ، والله عن افعالسه راض  
من التالف واغنى بمد انفسا  
فاليوم قد نلت منه كل اغراضا ( ٢ )

وقال يمدح المظفر الثاني بقصيدة قاولها :

صحت هواكم في امان من العسذل  
وضمها :

ومن ذا الذي يلص على مثلكم مثلي

ورعت ملوك الشركين بسلسوة  
فاكرمهم يوم فيه زاحفت امسدا  
وقد مطرت محب الحجاج صواعقا  
وصابرتها يوما امد بلياسة  
الى ان حياك النصر حد مهنسدا  
غرويت من اوداجهم يا بن القسرى  
وعدت ، وقد حزت لفخار بفساسة

سقتهم سمام الموت عملا على نهيل  
فكل الورى عما تحملت من كسيل  
من الصخر مزجاة بويل من النبيل  
تكايد فيها ما يمر لما يحلصي  
تكفل قد ما فتح ما شئت من فضيل  
واوضحت من اسانبيهم غامض المسيل  
ترغب في المهيجا من ظنها تملصي

تربنة ملك غير منقطع الخبيث  
سوى نجلك المنصور قدس من نجل  
غبور من غرغ و بوركت من أصل ( ١ )

فيا قاطع الاقران ، دامت لك العسلا  
فانت جواد لا يشق فيسار  
تبارك من انشاء شهبك في العسلا

وقال يمدح سيف الدين بن ابي علي الامدي بقصيدة طويلة اولها :

ارث من دمعي الجارى ، ولا غزلي

اتميت : ط خده القاني من الخجل

ومنها :

بجد مستترم بالحزم مشتمس  
وعاد فيه الشحى فالتقى كالمفسل  
رفلت من اجره والشكر في حلس  
الله اكبر لولا انت لم يحس  
منهم سليط من الهام والنيس  
في قبضة اليتيم والتاتم والنعس  
رعبا وتامن والالباب في ونس  
ولا شربت نوم الملك بالجدل ... ( ٢ )

اط الفرغ فقد مرتت شملهم  
وجحفل شاب منهم طفلمم فرتسا  
فكم كشفت خفايا من مكايدهم  
وكم احدثت الى هون ايامهم  
وكم خبيس به لم تبت من احس  
تتاذ وأسرا وعرفنا رد سائلهم  
يخز جيشك واليهجاء جائسنة  
انت الفتى ام يرضه النبي عن رشمد

وقال يمدح الملك الامجد بهرام شاه بقصيدة مطلعها :

يهدى اليه من السلوان من لاسيا

هون هو البرء من سقي به لاسيا

ومنها :

شروه انفسهم من قين ان ماسيا  
بجحفن يجس الاعالم اعلمس  
عن السناظم اجازلا واعظاسيا  
بين السنايك والاقام اقسامس  
سيل الدماء وللاقدام ط عامس  
غلق القلوب وعته الهام الهامس  
على رؤوس القنا عزا واكرامس  
في السلم يدرا وفي الهيجاء عرقامس  
هدى فاعظنا ظلم واظلامس  
فدام حرزا لاهل الدهر ط داس  
مناه بالعام من هنا به السناط ( ٣ )

ورب امة شرك حين امهم  
وجحفن جدل الاعالم بعد لسيسه  
ما ظنوا فاعظمتهم قواسيسه  
كانا قمت لهم هاشميس  
لللسنايك منها ما تباثف عيسن  
كان ما جهلت من عوفى طاعتيسه  
فأعده ذل مختر فرفعتيس  
مهابة وجمال صوراه لئيس  
اباد اعدنا سداوا وكان لئيس  
با دام اللناور دام اللناور في دعيس  
وحى العام نساها وأبلغ مسسن

( ١ ) ديوانه من ٢٦٦

( ٢ ) ديوانه من ٣٩٩ - ٤٠٣

( ٣ ) ديوانه من ٤٢٩

وقال يمدح الملك المظفر الثاني بقصيدة أولها :

لمن المنازل ؟ من لي من عينها  
غيدٌ ضنيتُ صبايةً بضنينهم

ونظما :

ومما لك أنزلت صيد طوكهم  
وحماة لو لم يسر ظالب وصلهم  
واقدر دلتك لفتح آمد بسد م  
زاحتها سعيا كأنك ضيفهم  
عجز الملوك عن القرار بوهدهم  
أمكنك منها ثم عدت مشرفهم  
نصرت ودان له الزمان وأخلصهم

بالقهر عن صهوات حصن حصونهم  
سارت اليك ربوعها بقطينهم  
راع الورى ما شاد من تحصينهم  
قصد الفزالة آخذا بقرونهم  
وعلوت مستويا على عربيتهم  
مخني حماة فزدت في تكينهم  
يسطى مظفوها ابن ناصر دينهم ( ١ )

وقال يمدح سيف الدين بن أبي علي بقصيدة أولها :

غزال والاسود له ربايس  
و تلك والملوك له ربايس

ونظما :

مضى تشز القرنى تمد بضنينهم  
حدوثهم بحد السيف لمينهم  
وتفتت عليك يا ابن أبي علسهم  
وجودك عم كل الناس أكسينهم  
وان كان الذي أهديت نسرا

وان واغوا رددتهم غزايسهم  
أتوك باكبد الابن البلايسهم  
تناعي بالهدايا والسوايسهم  
لي السراج منه والصفائيسهم  
فان مداعي أسنى الهدايا ( ٢ )

( ١ ) ديوانه ص ٤٦٧

( ٢ ) ديوانه ص ٥٦٣



قال يمدح السلطان الملك الكامل ، ويذكر أيام ديماط ، وقصد الفرنج لها ، وظفروه بهم :

كم نفة لابي العالي الكامل السلطان  
 أيام قال الشرك بنيا للمهسدي  
 وأنى بملوك البسيطة كسيرة  
 جيش إذا سمحت يدها بقسيرة  
 كالسيل إلا أنه لا ينتهي  
 وأنى بك الامام وعداءه وقتسيرة  
 حتى اذا التقيا طلعت عليهم سيرة  
 فرددت بمنصر الشرك وهو سرسيرة  
 حكمت بأمنك فيهم فكلتسيرة

ان في عنق الهدى لا تجحسد  
 ديماط لي ولك الغداة الموعسد  
 والله ربك هناك ما شيسسدوا  
 جف المياه بها ، وزاب الجلسسد  
 والميل الا أنه يتوقسد  
 ان سوت تمهزم بجمعهم وتيسسد  
 بالنصر شقي من تشاء وتيسسد  
 خزيا ، ودين اللوضو مؤيسسد  
 ومجدد ومشرود ومصفسسد ( ١ )

قال في فتح طرابلس، يمدح الملك المنصور قلاوون :

أدركت بالجد أنسى غاية الظلم  
 أبا المظفر لا زالت مظلمة  
 فالله جارك أنى حرت من بلبيسك  
 للهنول مرتكب للحق منتصرا  
 بالسيد الملك المنصور شيبدا  
 أحرزت ما فات قدما من طرابلس  
 أتعبت نفسك في ذات الإله بهيما  
 فتح يديه على كل الفتوح بسسه  
 فكم لها في حياض الأثر من حقب  
 أغضت على الذل أحيانا وما برزت  
 حتى إذا ما رأيت كفاء لخطبتهما  
 أصدقتها كل تبت القلب ترعد مسن  
 آساد معركة ه هجانا مقتل  
 من كل قطر أحاطوا محذقين بهما  
 لو كنت شاهد هم والشعر طالسة  
 خلّت الأسنه شهباً لحن في غسق  
 قل للملوك التي أعتبهم فقتلوا  
 تهدي الصرايح من شم الحصون إلى  
 غادرتها بمناجيتي نصين لهيما  
 فأصبحت ذات اصحاب وكم جنيبك  
 أجريت فيها بحارا من نجيبهم  
 لم تغلق الشهر فيها بعد ذاك على  
 .....  
 أدتهم بعد عز فرد لهم  
 يا راحنا علم الدين الحنيف وممن  
 تاملت ما أعجزت صيد الملوك بحما  
 فأية السيف كم من آية نسخت  
 جزاك ربك عن كل عا لحمنة

ونلت بالجد أعلى منتهى الرتب  
 عنك الميوش على الأعداء بالرتب  
 وناعير لك من ناء وقتل  
 للخنزوع محتسب لأجر مكتسب  
 سائهم وأنهد دين الشرك والصلب  
 جمن الملوك ذوي الإرعاب والرتب  
 فيما لها راحة وافت من التمسب  
 عصر غدا منتشي الأقطاف من طرب  
 موت ولم تنج تطليقا على حق  
 بالوجه طالبة بسدا من الحجسب  
 دعت فلبيتها في جحفل لجسب  
 أقداه أسد الأجام من رعسب  
 فرسان بلحمة الموت لم تهسب  
 كما أعيدها على الأعداء بالمسب  
 من شقة النقع يوم الزحف في نقسب  
 والمشرقيات بترقا شيم في سحسب  
 عدرا وكل إليها الذهب رذو ارب  
 من بات يشطبها بالسم والقوسب  
 ورفق أبراجها خفص بمنتصسب  
 على مرادك من جار لها جنسب  
 فكل سابعة سبحا إلى الليسب  
 غير الشاذيا من القتل ولم تنسب  
 .....  
 وسعد أمن كور والشوف والوصسب  
 أصاب بالخفض دين الرجسب والصلسب  
 أدركت من فتحها الميوش عن كتب  
 وظلمة الشمس كم أغضت من الشهبسب  
 وكف عنك كف المثلغ في التسوب ( ١ )

( ١ ) عند الجبان ج ٢٠ ق ٤ ورقه ٧١١

وقال يطح الأشرف خليل بن قلاوون :

بلغت في الملك أقصى غاية الأسفل  
 وعزت وسمى الصلى بالجد مجتهداً  
 ونلت بالحوال دون الناس منفسرداً  
 فطان بدولتك الميمون طاهره  
 فكم بلغت مراداً بت تأمله  
 وكم فتحت حصوناً طال ما رجعت  
 أنت الذي لم تدع الكفر من بلسد  
 حررت من عنة الفراء ما عجزت  
 غيلة المدن أمست من حصانته  
 كم قد دعته ملوك الأرض راغبسة  
 صدت عن السيد لا تلوى فلم تدل إلا  
 حتى أمرت فأصحت وبني طافسة  
 ما زال غيرك فيها ظامعا وعلسي  
 فتح تطاول عن شر يحوط بسسه  
 تصدتها فأجيبته بعد ما فجمست  
 في جفنك ليجب كالليل انجمسه  
 ضم المهابه من وحرور أكنم  
 تخالهم جواد القيد نعتهم  
 لا تنظر العين منهم إن هم ليسوا  
 صدقها بجيوش لو صدقت بهمها  
 فأصحت بعد عز الملك خاضسة  
 أصت خرابا وأضحى أهلها ريمها  
 فسلب بزتها عنها وتذ عبدكست  
 وصحوا آثارها منها وقد خرست  
 يا الأشرف السيد السلطان زان عنها  
 تدبير ذي حلم في عز منتقمهم  
 راحت وقد سلبت أرواحهم لشبهها  
 هدمت ما شيدوا غرقت ما جمهم  
 وعند ما أصبحت تقرا بأذنهم  
 رحلت عنها ولكن كم أتمت بهمها  
 لا زلت ذا رتب في الجد ما يسهة

وَفَتَّ شَاوُ مَلُوكِ الْأَعْيُنِ الْأَوَّلِ  
 وَجَزَتْ ظَايَاتُهَا ( جَهْرًا كَلَى مَهْمَلِ  
 مَا لَمْ تَنْلَهُ مُلُوكِ الْأَرْضِ بِالْحَيْسَلِ  
 فَأَنَّهَا غُرَّةٌ فِي أَوْجِهِ الْمَسْدُولِ  
 بِمَنْزِلَةِ الْبَاتِرِ الْعَارِي مِنَ الْفَلْسَلِ  
 لِيَأْسَ عَنْهَا الْمُلُوكُ الْصَيْدُ فِي خَجَلِ  
 يَاوِي إِلَيْهِ ، وَلَا لِلدِّينِ مِنْ أَمْسَلِ  
 عَنْهُ الْمُلُوكُ بِعِزِّهِ غَيْرِ مُنْتَسَلِ  
 وَصَوْنِهَا مِنْ لِيَالِي الدَّهْرِ فِي عَقْلِ  
 وَعِظْفِهَا عَنْهُمْ بِالْتِيهِ فِي شَفْلِ  
 وَطَامَ مِنْهَا إِلَى وَصْدٍ وَلَمْ تَصْلِ  
 بِعَدِّ الْأَبَاءِ لِأَمْرٍ مِثْلِكَ مِثْلِ  
 يَدِيكَ قَدْ كَانَ هَذَا الْفَتْحُ فُتْحِي الْأَزْلِ  
 وَصَفًا وَعَنْ نَظْمِ شَمْسٍ مَحْصَدِ طَسْوَلِ  
 فِي أَدْلَاهَا مِنْ أَسْوَدِ النَّيْلِ بِالْتِيَلِ  
 تَبْدُو لِزَائِيهِمْ قَضْبٌ وَمِنْ أَسْمَلِ  
 وَطَيْفِ الْأَرْضِ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ جِبَلِ  
 لِلْبَاءِ فِي الرُّوحِ آسَادًا عَلَى قَلْمَلِ  
 لَا مَاتَ حَرَمُهُمْ يَوْمًا سِوَى الْقَسَلِ  
 مِمَّا الْجِبَالِ أَزَالَتْهَا وَلَمْ تَسْكَرْ  
 مِنْ ذَلِكَ الْمَلِكِ طَوْلِ الدَّهْرِ فِي سَمَلِ  
 وَسَطَّرَتْهَا يَدِ الْأَيَّامِ فِي الْمَسَلِ  
 أَلْفَ لِلطَّرَفِ مِنْ حَلِيٍّ وَمِنْ خَلْسَلِ  
 أَشْهَى إِلَوِ النَّفْسِ مِنْ رَوْضِ الرَّبِيِّ الْمَخْضَلِ  
 التَّثْلِيثِ وَأَبْتَهَجِ التَّوْحِيدِ بِالْجَمَلِ  
 وَعَمْرٍ مَقْبَلِي فِي رَأْيِ مَكْتَهَمَلِ  
 الْبَهْدِي أَمْوَالِهِمْ مِنْ حَمَلَةِ النَّفْسَلِ  
 نَقَضَتْ مَا أَبْرَوهُ غَيْرِ مَحْتَفَلِ  
 مِنَ السَّوَاخِلِ بَعْدَ الْإِهْلِ فِي عَطَلِ  
 مِنْ شَوْفِ بَأْسَاءِ جَيْشًا غَيْرَ مَرْتَحَمَلِ  
 وَسُوءِ دِ بِنَوَاحِي الشَّهْبِ مَحْمَلِ ( ١ )

( م )

قال في فتح عكسا :

يا أشرف الدنيا نهن فانسه  
 اشميت مستصم الخلائف الممسسة  
 فازيت عكا ما بتوريسسة  
 قابلت بلقي جيوشه بسوا بسسة  
 ولانت بن شبيع وليل لم تسكر  
 كم رقتها بسوا ليل اليكسل  
 واعدتها للمسلمين ولم يكسن  
 واين صانع الدين بكرة نالمسا  
 بالجمعة الشراء كان صبا حسا  
 لم تمل خندتها وقد دار وابسه  
 وعدت ومن غيرها بما اوليتها

فتح سواك بمثله لم يحلبس  
 فالروم منك ديارهم لم تحبس  
 ذات الفوارز بها الزمان الاقسد  
 غر عليها الريح لم يتقسد  
 تردى الكفاة بأشهب زياد حسد  
 فصدقتها ببياض يوم ايسد  
 منهم ترى التطهير الا باليسد  
 فالبكر في التجريب غير الايسد  
 وجه الزمان بمثله لم يوقسد  
 طعنا بخير شظى القنا المتحطس  
 خيرا يقدر المنجد اوتهم \* ( ١ )

( ١ ) جواهر السلوك ورتة ٤٨  
 ( \* ) نسبها محمود سليم الى ابن الصانع ( عشر سائطين الممالك ٥٧/٨ )

قال في فتح حصن البرق زمن المنصور قلاوون :

كم لاه فتح غير هذا خبيثي  
 يا فاتح الحصن الذي فتحه  
 حسن عظيم القدر في سيرة  
 اذا بدا والقيم من حوله  
 وابن تلي للعين ابراجه  
 انشبت حرا فيه كم رامه  
 مذ رحت منه تخطي صهوة  
 اخذت حق الدين من بعد ما  
 وذات خطوك لها وثيثة  
 قد سقطها غابا وآسادها  
 كم نصب الاعداء من هول ما  
 وكم لها قالوا وقد ركبتم  
 كاند الاغصان امست لهم  
 وكم نقوب فيه صيرت  
 ابكارها ما اغتصها منبول  
 فاهنا بفخره قد حزته  
 وليس حصن بعد هذا ما نسج  
 واعلم بان السعد قد قبال ذا

وقال في فتح حصن عكار سنة ٦٦٩ هـ :

يا نليك الارض بشيرا  
 ان عكار يتينسرا

وقال في انتصار المنصور قلاوون على الفرنج والتتار والارمن سنة ٦٨١ :

الله اعطاك ولا زيد وعميرو  
 هذا القام الذي لو لم تحل بسيره  
 .....  
 يا عزبة ما رأي الراؤون شبيهها  
 لما بنى جيش ايقا في تجاسيره  
 واستجمع الخيل والتكفور وانفقوا

فاسترع فتح الارض واستوعب  
 ياتي به شكرك من يشرب  
 ابن من قبلك لم يكسب  
 تقوى نجم لاح في غيبه  
 يقال هذا كوكب الكوكبي  
 تملكه سلطان فلم تشعب  
 لم يبت حصن ثم لم يجنس  
 ضمت سنون وهو لم يطلس  
 عظيمة المسرى والى المسرب  
 تحملها في شيق الذئب  
 رآه منها ونبي لم تنص  
 اى حصين به لم يخسب  
 منابت الاملد والارطسب  
 صالكا تاتيك بالمالسب  
 الا انثنت كالحابل المقسب  
 اخبار من طيبها تاليسب  
 في الابعد الثاني وفي الاقسب  
 وقال نصر الله بالوجسب (١)

ك فقد نلت الإرادة  
 هو عكسا وزيساء (٢)

هذا السطاء وهذا الفتح والنصر  
 لم يبت هوالله هلا شام ولا نصير  
 .....  
 ورتقة سار في الدنيا لها ذكسر  
 ولن يمد لطلا القنا جسسر  
 مع الفرنج وبين اردى به الكفسر

(١) تخریف الأيام والمنصور ص ٨٠

(٢) تاريخ ابن الوردي ٢٠٧/١ وانظر المختصر في تاريخ البشر ص ٦/٢

لأرضهم حمير فكان البعث والنشور  
وأمدت الحرب حتى أذن المشركين  
والزور مسجد لا عجب ولا كبير  
والسهل من أروء من القتل به وعبر  
والسمر ناهية ياما تفعل السمير  
للسيف والرمح هذا الفطر والنحر ( ١ )

وما كتب في جواب البشارة عن المولى السلطان الملك الأشرف ( بفتح حصن المرقب )

يما من قرب الى مشرق  
الفتح غيرك لم يسبق  
من بعد هذا أى شيء بقى  
لمثل هذا اليوم لم تغلب  
في باب عكا بكم يلتقى ( ٢ )

نقمة المماليق لا تنفصل  
فأبشروا منه بصفح مقصود ( ٣ )

يا قبر من فجست به الانس  
هدى الهدى وتأثر الإسم  
ما أصبحت بمصره تشتت  
.....  
تد يا رسول وما عليك من  
تشتالهم عند الكرى الأحم  
ترديهم من رجبه الأوسم ( ٤ )

وبه الله قد أقر السيون  
أى نصر من رنا قد جزينا

في انتصاركم أغزوا القرون

( ٢ ) تشرىف الايام والمصور ص ٨٢  
والسلوك لمصرقة دول الملوك ج ١ ق ٢ ص ٢٦٦

جاءت ثمانون ألفا من محوشهم  
واغى الشيطان في يوم الخميس شحى  
والسيف يركن والأعالم راغمة  
والخيل لا تثقد في الأعلى جثت  
والبيض تخمد في الأجفان من مرسج  
نجا في رجب عيدان من عجب

يا ملك الأرض الذى جيشه  
دنت بالحصن العظيم السدى  
حصن بما اتفارقوا قالوا تسرى  
وقال كل منهم ليتنى  
فأهنا به فتحا فكم لئله

وقال في طرد الفرنج من عكا سنة ٦٤٠ :

يا بني الأعفرتد حل بكم  
نزل الأشرف في ما حلكم  
وقال يرثي الظاهر بيبرس من قصيدة :

تقرا عليك تحية وسامكم  
الظاهر السلطان من مصابكم  
قبر الذى لو أنعته قلوبنا  
.....  
هذا الذى قال الملوك لرعبه  
هذا الذى هزم التتار فأعجبوا  
هذا الذى قبر الفرنج فكلمهم

وقال يمدح الظاهر بيبرس سنة ٦٦٤ :

أى يوم بنصره تد حبين  
يوم جزنا ببلاد سيروا  
ونهبنا :

كم أنلوا القرون نهبا وأسرا

( ١ ) عقد الجمان ج ٢٠ ق ٤ ورقة ٦٧٧  
( ٣ ) تاريخ ابن الفرات مجلد ٨ ص ١١٤  
( ٤ ) تاريخ ابن الفرات مجلد ٧ ص ١٤٣

كافر بها وسلموا المسلمين  
 صار حصنا للمسلمين حصين  
 ر خير الملوك دنيا ودين  
 بالسطى منه أخذ الظالمين  
 غائبها غائبا لعينا مهين  
 قد تولوا من بأسمه هارزين  
 أي يوم لشركه قد عين  
 هاربا لا يكذب الناقلين ( ١ )

فتحوا المدن والحصون وكفروا  
 بسطى سيد الملوك ومن تسدد  
 ركن دين الله بيبرس الظاهر  
 أسد الله في الوجود أتاه  
 وتولى ليغون منه حسيرا  
 وكذلك القطار خوفا ورعبا  
 آه لو أنهم أتوا فقا لساوا  
 اندروا بالجيش أيضا فولسى

يقول في الرد على النصارى واليهود :

خبرونا اهل الكتابين من اين	من اناكم تتلوتكم والبسداء
ما اتي بالعقيدتين كنساب	واعقاد لا نعرفه ادعاء
والدعاوى ما لم تقيموا عليهم	بينات ابناءؤها ادعاء
ليت شعري ذكر الثلاثة والوا	عند نقس بوي عدكم ام نساء
كيف وحدتم الهيا نفسى التوا	حيد عنه الابهاء والابنساء
الاله توكبا ما سمعنا	باله لذاته اجنساء
الكل منهم نصيب من المل	ك فمها تميز الانصبا
ام هم حللوا بها شراكة الاب	سدان ام هم لبعضهم كفساء
اتراهم لحاجية واضطرار	خلطوها وما بغى الخلطساء
ام جئتم على الحمار لقد ج	حمار يجمعهم مشساء
ام اردتم بها الصفات فليس	ت ثلاث بوصفه وتفسساء
ام هو ابن لله ما شاركه	في معاني النبوة الانبيساء
تثلته اليهود فيما زعمتم	ولاواتكم بالحيساء
ان تولوا انتمشوة على الل	سه تنالى ذكرا لقول نساء (١)

ويذكر اقوال اليهود وقيلها يصف الاسلامية :

واخو الضائقة قال عسى رس	ونبيه فاشو الضلال مذ بسدب
ويقول خالفه ابوه وانيسه	رب وانسان الا فتعجبوا
ابنه العورات جاءت كتبهم	ام حرفوا منها الصواب ووسوا
فاعن منها ما استقام طلوعه	فكانها بين النجوم المفسر
عجبا لهم ما باهلوه ولم ابست	احبار بزوان الذين ترهبوا
ولقد تحدى بالبيان لقومه	واليهم ينزى البيان ويمنسب (٢)

وافترق ان الشيخ شرف الدين البوصيرى رأى في ضامه قبل ان يخرج الاشراف الى عكا قائلا يفتد :

قد اخذ المسلمون عكسا	واشبهوا الكافرين صكسا
وساق سلطاننا اليهم	خيلا تدك الجبال دكسا
واقسم الترك منذ سمارت	لا تتركوا للفرنج ملكسا (٣)

(١) ديوانه ص ١٥

(٢) ديوانه ص ٤٦

(٣) ديوانه ص ٢٣١



وقال يمدح أئمة عزم الدين والى القاهرة ويمزيه في سيف الدين :

فطهر الأرض من أهل الفساد فلا  
ودبر الملك تدبيراً يقتصر عمن  
وحين طارت إلى الأعداء سمعته  
فط يبا لي بأعداء قلوبهم  
وكل أرض ذكرناه بها غنيمت

عين لهم بقيت فيها ولا أفسر  
إدراك أيسره الأثمها وانكسر  
مات الفرغ بدأ الخوف والتمس  
فيها تنكّر من الخوف والذعر  
عن أن يجرد فيها المصارم الذكّر ( ١ )

وقال في مدح الملك المنصور قلاوون بمناسبة بنائه المارستان المنصوري الكبير سنة ٦٨٤هـ :

لقد جهلت داوية الكفر بأسسه  
فلا يوركوا من أخوة إن أمهم  
يظنون خيل المسلمين يخذلها  
أما زلزلت بالساديات وجاءها  
أثوا بطيرات من الجرد سكرت  
فلم يرتبوا من صبحها من ترتبنا  
وصب عليهم عارضي من عجبارة  
وساموه كثفاً من نقوب كاشها  
غذاقوا به من الحصار فأصبحوا  
يضحون أعلى السور خوفاً كفافين  
وماذا يرد السور عنهم وخلفه  
وليس لهم إلا إلى الأسر ملجأ  
فلما احتوا بأسر أغلبهم  
دعوه وشمل النصر منهم مفرق  
أغارهم أفرنجيس تلك وسيلته  
غدى نفسه بالمال والأل وانثنى  
فلا تذكروا ما كان بالأمر منهم  
فلو شاء سلطان البسيطة ماتهم  
تبرمهم مردأط بقدمهم  
تسرهم عند القبول بشاعسة  
ولو شاء دد النيل سيل دماهم  
بصيد كصيد النحريا حسن ما يرى  
فولوا وسوء الظن يلوى وجوههم  
وقد تفرقت منهم حصون أوائل  
فله سلطان البسيطة إنسه

وغرهم عبا المسلمين غرور  
وإن كثرت منها البنون نيزور  
عن المدو في أرض المدو دجور  
من الترك جيم لا يخذل غسير  
ورجل لهم مثل الجراد طمور  
بهاقته برد السحاب تكسور  
ونيلو وكل بالنداب مطسور  
أثاب لها تلك البروج قسور  
لهم ذلك الحصن الحصين حسير  
نقى عنه نوم المقتلين صفير  
من الخيل سور والمصارم سبور  
والإ إلى ضرب الرقاب مسير  
عدو إليهم بالردى ونكسور  
أماناً وجلباب الحياة بقسير  
رأى مستقيرا عجبها ومسير  
تطير به من حيث جاء طيسور  
غذاك لأشقاد السيوف مشير  
لمصر وتحت الفارسين يسير  
إذا فصلت منهم لينة مسير  
وتحفظ منهم إخوة وتمسير  
ورعت نخور ماءه وسحسور  
به من علون كالصجول جسور  
فتحسبها صوراً وما هي صبور  
وما راعها من قبل ذاك شمسور  
ملك يسير النصر حيث يسير

( ١ ) ديوانه ص ٨٨

ويرهب من هام الملوك غشيم  
بصاره جمع الهشيم شطيم  
ثناء حكاه غير وعبير . . . . . ( ١ )

ويحمد في هام الملوك حسامه  
ويجمع من اشلائهم متفرقته  
فاخذت بان يبقى ويبقى لمالكه

ويقول عن ستور النصارى : من قصيدة يدح بها المصاحب شمر الدين بن المصاحب برمان الدين :

لو كان جامعها يكون كنيسة  
من باشر الأخباس صار حبيسة  
ضربوا على أبوابها الناقوس  
فأصرفه عنا واصفح القسيس ( ٢ )

إن النصارى بالجملة ود<sup>رس</sup>هم  
أخرى النصارى يحكمون بأنسه  
إن طاد إسحق إليها ثانيه  
عزف الإله سوء عنك بسرفسه

وقال قصيدة سماها المخزج والمردود على النصارى واليهود :

فأبى أتلّ اليالمين غشولا  
من جهلهم لله فيه حلولا  
بالإفك والبهتان فيه القيسلا  
بالحق تجريحها ولا تعد يسلا  
ليكدّ بوا التوراة والإنجيللا  
تنزسها لإلهها التكيلا  
يتناول المشروب والمأكسولا  
وروم من حرّ الهجير مقسلا  
سرفا له شه ولا تحويسلا  
من كان بالتدبير عنه كفيلا  
من بعده أم أمر التحايلا ( ٣ )

جاء المسيح بن الإله رسولا  
توم رأوا بشرا كريما فادعوا  
وعصابة ما صدقته وأكتسرت  
لم يات فيه مفرد وثقراطه  
فكانت جاء المسيح اليهم  
فأعجب لأمته التي قد صيبت  
أسمعت أن الإله لها جنة  
ونام من تسب ويدعو رسوله  
ويسته الألم الذي لم يستطع  
يأليت شمري حين مات بزعمهم  
هل كان هذا الكون كدير نفسه

وله قصيدة أخرى تسمى " ذخر المماد في وزن بانث سداد " منها :

في طيها للشور المخلق تصطيل  
لها التصاور يوطا والتماثيل  
فنا لها من عذاب اللتمجيسل  
ربّ غذا وهو مطلوب وقتسول  
وللبصائر كالإبصار تخييسل  
وجاحد الحق عند النسر مخدول ( ٤ )

فأخسر الناصر من كانت عقيدته  
وأمة تعبد الأوثان قد نعبت  
وأمة ذهبت للمجل عابسه  
وأمة زعمت أن المسيح لهم  
فغائت واحدا غردا نوحسه  
تبارك الله عما قال جاحسه

( ١ ) ديوانه ص ٩٦ - ٩٨

( ٢ ) ديوانه ص ١١٤

( ٣ ) ديوانه ص ١٢٧ - ١٣١

( ٤ ) ديوانه ص ١٧٣

قال في فتح عكسا سنة ٦٩٠ هـ

الحمد لله زالت دولة المسلمين  
 هذا الذي كانت الأمان لو طلبت  
 ما بعد عكا ، وقد هدت قواعدهما  
 عيلة ذهبت أيدي الغلوب بهما  
 لم يبق من بنداها للكفر إذ خربت  
 كانت دحيلها أما أنا فسترى  
 أم الخروب فكم قد أنشأت فتنها  
 سوران : بر وبحر حول ساحتهما  
 مفتح بصفاح ه حولها أكسبهم  
 مثل النمام تهدى من صواعقها  
 كأنما كل من حولها فلك  
 غفا جأثها جنود الله يقدمها  
 ليت أبى أن يرد الوجه عن أمهم  
 كم رامها وربما قبله ملكهم  
 لم يلبه ملكه بل في أوائلهم  
 لم تترحمته إلا التي تسددت  
 فأصبحت وهي في بحر من مائسة  
 جيش من لترتد ترك الحرب عندهم  
 تسبوا فلم يترد ثباتهم  
 أتوا حماها فلم تدفع وقد وثبوا  
 يا يوم عكا ، لقد أنسيت ما سبقت  
 لم يبلغ النطق حد الشكر فيك ، فما  
 كانت تمنى بك الأيام عن أمهم  
 اغشيت عباد عيسى إذ أبدتهم  
 وأطلع الله جيش النصر فأبتسدت  
 وأحرب المصطفى المهادي البشير على  
 ففرعينا بهذا الفتح ، وأبتهجست  
 وسار في الأرض سير الريح سمعتهم  
 وخاضت البيض في بحر الدماء وما  
 وقاصر زرن القنا في زرق أعينهم  
 توتدت وهي تروى في نحورهم  
 أجزت إلى البحر بحرا من دماهم

وعز بالترك دين المصطفى العربي  
 رؤياه في النوم لا شحيت من التائب  
 في البحر للمرك عند البر من أرب  
 دهرأ ومدت عليها كفا منقص  
 في البر والبحر ما ينجي سوى الهرب  
 أن التفكير فيها أعجب العجب  
 شهاب الوليد بها هولاً ولم تشعب  
 دارا ، وأدناها أنى من القطب  
 من الرطاح ، وأبراج من اليلسب  
 بالليل أضغاف ما تهدى من المسحب  
 من المجانيب يربى الأرض بالشهب  
 غضبان لله ، لا للملك والنشعب  
 يدعون رب الأوزى سبحانه سياب  
 بجم الجيوش فلم يظفر ه ولم يضرب  
 نال الذي لم ينله الفارس في الحقب  
 للمجز عنها ملوك المسجم والسيرب  
 ط بين مضطرم نارا ومضطرب  
 عار ، وراحتهم شرب من الوصب  
 في ذلك الاغث برجا غير منقلب  
 عنها مجانيب شيئا ولم تشعب  
 به الفتح ، وما قد خط في الكتب  
 عسى يقوم به ذو الشعر والخطب  
 والحمد لله ، شاهدناك عن كتسب  
 لله أي رضى في ذلك النضب  
 طلائع الفتح بين السم والضب  
 ما أسلك الأشرف السلطان من قسرب  
 بنشره الكعبة النراء في الحجسب  
 فالبر في طرب والبحر في حسرب  
 أبدت من البيض إلا سائر مشعب  
 كأنها شطن تهوي إلى قلسب  
 يزدادنا الري في الأشراق واللهسب  
 فرا ، كالواج ، إذ غرقاه كالجبسب

وذا ب من حرها عنهم حد يد هـ  
تحكمت فسقطت فيهم قواهم  
كم أبرزت بطنك كالطود قد بطلمست  
كأنه وسنان الرمح يطلبه  
بشراك يا ملك الدنيا لقد شرفست  
ما بعد عكا وقد لانت عريكتهم  
فانهض إلى الأرض فالديا بأجمعها  
كم قد دعت وهي في أسر العدى زمتا  
لبيتها يا صلاح الدين معتقدا  
أمست فيهما كما سالت دما وهـ  
أذركت آثار صلاح الدين إذ غضبت  
وجفتها بجيوش كالسيول على  
وخطتها بالمجانيق التي وقفست  
مرفوعة نصبوا أضيافها فتمسدا  
ورختها ينقوب ذلت شمسا  
وبعد صبحتها بالزحف فاضطربت  
وغتت البيض في الاعناق هـ فأرتقصت  
وخلقت بالدم الاسوار فأبتهجست  
وأبرزت كل خرد كاعب نشدت  
بانت وقد جاورتنا ناشزا وغست  
ظنوا بروج البيوت الشم تعقلهم  
فأعززتهم ولكن للسيوف كسبي  
وجالت النار في أرجائها وعلست  
أضحت أبا لهب تلك البروج وقست  
وأغلت البحر منهم من يخبتر من  
وتت النعمة المظني وقد كملست  
أختان في أن كلا منهما جمعت  
لما رأت أختها بالأمس قد خربست  
فأله أعطاك ملك البر وأبتست  
من كان مهادها هكا وصور مـ  
علا بك الملك حتى أن قبست  
فلا برحت عزيز النصر مهتم جـ

٥١٨  
فقيدتهم به ذعرا يد الرهب  
قتلا هـ وفتت لحاويها عن السلب  
حواشيه فندا كالمنزل الخرب  
بن هوى ووراءه كوكب الذئب  
بك المطالك واستخلت على الرتب  
لديك شيء تاذقيه على تمسب  
مدت إليك نواصيها بلا نصيب  
سيد الملوك فلم تسمع ولم تجيب  
بأن ظن صلاح الدين لم يخسب  
من قبل أجزارها بحرا من الذهب  
منه لسر طواه الله في اللقب  
أمثلها هـ بين آجام من القضب  
أمام أسوارها في جحفل لجيب  
للجزم والكسر منها كل منتصب  
منها هـ وأبدت حياها بلا نقب  
ربعا وأهوت بخديها إلى السرب  
أبراجها لعبا منها من اللصب  
طيبا ولولا دماء القوم لم تطسب  
لها الروء ويروقد زفت بلا طسب  
طوع الهوى في يدي جيرانها الجنب  
فاستغلتهم ولم تطلت ولم تهسب  
لا يلتجئ أحد منهم إلى هسب  
فأطانت ما بصدور الدين من كسب  
كانت بتعليقها حاملة الحطسب  
يلتاه من قومه بالويل والمحسب  
بفتح صور بلا حصر ولا نصيب  
صلية الكفر هـ لا أختان في النسب  
كان الخراب لها أعدى من الجسب  
لك السادة ملك البحر فأرتقصب  
فألصين أدنى إلى كفيه من حلسب  
على الثريا غدت مدودة الطمسب  
بكل فتح قريب المضع مرتقصب (١)

(١) جواهر السلوك ورقة ٥٩ - ٦٢ هـ ابن كثير البداية والنهاية ١٢ / ٢٢٢  
درة الاسلاك ج ١ ورقة ١٥٤ هـ تاريخ ابن الفرات ١١٢ / ٨ - ١١٨

وقال في فتح حصن البرق من قصيدة :

والجوت يرقب تحت حصن البرق  
برق تألق في غمام صيب  
عذراء ترفل في رداً مذهب  
للمسح مسترقاً رماه بكوكب  
حيث استدارت مركب في لوليب  
يلهو بخيرة ذلك المستنذب ( ١ )

واقعد ذكرك والحياة كرهية  
والبيتر من خلل السهام كأنه  
والحصن من شفق الحديد كأنه  
ساق السقاء فمن تطاول نحوه  
والمنجنيق كأنه من رميه  
والجوت يلعب بالنفوس وخطا طسرى

وقال في فتح عكا وما معها من الحصون أولهما :

والدين قرّ وأشرقت قسطا  
من بعد ما فتكت بهم نسات

الشرك أجلي وأنجلي ظلمات  
والنصر أوت بالفرع رياح

ومهما :

تبلى الدهور ولا ثلين قنات  
فزلزل أرضهم صدمات  
بالقتل أسراب الطياء ظلمات  
اذ خالقت بدماهم صفحات  
عن حصنهم ونفتهم أليات  
تفخي طائرهم عند ظم طلعات  
قد عبرت عن حزنه عبرات  
بمراكب صفت بها حافات  
قد قيدت بنكوسه حركات  
تربو على أعوانه ساطعات  
والمرء يتبعه الردى تبعات  
كانت بنير الوهم تدرأ ذات  
ومضت تبيل بسنقه لفتات  
للفراق ترددت حركات  
من حيث لم يتوهموا مخلوات  
جمعت برغمهم لنا أعتات ( ٢ )

طعن العدو بان عكا محقق  
شموه بالزحف وهو التدمية الأولى  
وتحكيم الحيف الصقيل فأحسرت  
ونمى إلى عور الحديد ببحرهم  
فوهت هزيمة من بها وثرت  
وسرت إلى صيدا الجيوش وربهم  
أسلوا بأزلمهم وكل نحوهم  
وأثوا على البترون وهو مسموم  
فجوههم أسرى وهل ينجوا مسموم  
رأى على بيروت يوم ما ليس  
أرداهم ما أضروا من فلتهم  
ويحصن عكاية النني كملت ومسموم  
وكذاك أنظر طومر أشدنا المسموم  
وجيبيل ولي أهلها قرناً وكسموم  
فضب الاله لدينه فأثتمهم  
وتثوتوا أيدي سبا وسجاؤهم

( ١ ) درة الاسلاك ورقه ١٢٥

( ٢ ) جواهر السلوك ورقه ٦٦ ودرة الاسلاك في دولة الأتراك ورقه ١٥٨

الله اكبر ه هذا النير والظفر  
هذا الذي كانت الامال ان طمحت  
فانهض هوسر وملك الدنيا فقد نجلت  
كم رام قبلك هذا الحصن من ملكتك  
وكيف تمنحه الايام ممالك  
عز المدى من علم تحت ه  
لها ه و ان اشبهت لطف النسيم مسرى  
أوردتها المرتقب السالي وليس هوى  
كانه ه وكان الجو يكتف ه  
يختال كالفادة المذراء قد نظممت  
لها الهلال سوار والسها شمسف  
تلو الرياح اليه كي تحيط به  
ويوم المرتقب يهغو نحوه ليسرى  
وليس يروى بماء السحب مصعبه  
فجاجته جنود الله يقدم ه  
وأشربت حوله نارا لها لهسب  
والجاءت سهام الج ه  
وأظرت المجانيق التي نشتات  
كانها ومجانيق الفرنج له  
وكم سكا الحصن ما يلقي فما أكثر شمت  
وللقوب ديب في بقاص ه  
أضحى به مثل صب لا تبين ه  
قد زال ه تجلى تواه عن تواعبه  
وساخ وانكشفت أتباهه وسدا  
فمال يهدى اليهم كل لبت وفسى  
وقد تقلد من إشراق ملكك ه  
رفعت أعلاه أعلا مودة  
تبدو بها غرر اللغات نالمة  
ان لم يوفى المورى بالشكر ما فتحمت

وقال في فتح طرابلس :

علينا لمن أولاك نسمة الشكر  
ومنا لك الاخلاص في صالح الدعاء

هذا هو الفتح لا ما تزعم السور  
الى الكواكب ترجوه وتنتظ  
شوقاً منا برنا وأرتاحت السور  
فطال عنه وما في باعه قص  
كانت لدولتك الشراء تدخ  
لا شقر البرق من تحجيلها غر  
معنى اللواصف لا تبقى ولا تسذر  
ماء الهجرة في أرجائها نه  
وهي تمته في طيها الفك  
منه مكان اللآلي الأنجم الزهر  
والقلب قلب ومود الدجى ط  
خبراً ه وتدنو بها في ضمها خيسر  
أدنى رباه ويأتي وهو محتسذر  
اليه من فيمالا وهو مضحسذر  
من بأسك المذران : العوف والخذر  
من السيوف ومن نبل الوش شسر  
فاقتاله القاتلان : الحصر والحصر  
ولم يكن قبيلها يهبي به المطس  
فراء الأسد في أظفارها التفسر  
يا قلبها ه أهدد أنت أم حجس  
تثير سقما ولا يبدو له أنس  
نار الهوى هوني في الاضواء تستصر  
وغر أعلاه نحو الارض بيتسذر  
لديك من ضمرات النصر ما مستروا  
له من البيض ناب والقنا ظفر  
به على أنجم الجوزاء يفتخر  
ان لا يزال بها الاسلام ينتصر  
من كل ناحية في وجهها قمس  
يداك فالله والاملاك قد شكروا ( ١ )

لانك للاسلام يا سيفه ذخ  
الى من له في أمر نصرتك النصر

( ١ ) درة الاسلام ج ١ ورته ١٢٥ ه النجوم الزاهرة ٢٠١٧/٧ - ٢١٨

مراد وفي التأييد يوم الوغى سر  
 جهاد الملا ما توالى به الدهر  
 اتن غنايا ان خندقها البحر  
 كنجر و انت السيف لاج له نجر  
 ثملكته الا منعة بكسر  
 فمن اجك ذا للسيف في نظمها نجر  
 امين الله الا ان يكون لك الفخر  
 وكم راج من عسروا راعيا حصر  
 وظاب ولم يحرز له ظفرا ظفر  
 تديد وقد اربى على بحرها البسر  
 واقتله البحر الذي جره مصر  
 عليها لها في سلم ابراجها وشر  
 اليهم كما ينقض في حلق نسر  
 لناظرها يوما وفي قلبها صر  
 فابن يستعصى عليه ولا قصر  
 اذا ما تمشت في ضمير الترى صر  
 ولم يبك من دون الدنيا لها صر  
 فللسيف شطر والقيود لها شطر (١)

ولله في اعلاء ملكك في السورى  
 الا هكذا يا وارت الملك فليكن  
 نهضت الى عليا طرابلس السورى  
 وقد ضمها كالطون الابقيسة  
 منعة بكر وهل في جميع مسا  
 وكانت بدار العلم تعرف قبلها  
 ولما عدت لا فخر مثل افتتاحها  
 فكم مر من دهر وط مسها ادى  
 وكم ليت غاب راعيا في جيوشه  
 ففاجأتها بالجيش كالمون فانقت  
 وظلت لدى بحر ين انكها لها  
 كاني المجانيق التي اوترت فحسى  
 تحلق في جو السماء وترتمسي  
 وايسر بحسنا المرانين ان بسندت  
 لها سرور كالقصر تربي به المسدى  
 وبين تحتها تلك الثوب كانها  
 غزلتها بالركن فانهد ركنها  
 تمسكهم شمرين غير شريكهم

وقال يديع الاشراف خليل على فتحه قلعة الروم بقصيدة اولها :

فمن ركبنا ه ان رانا وكيش مسرو  
 هوى الشرك واستعلى الهدى وانجلى الشر  
 جلا النقع من للاء طلعتها البسدر  
 كتاب خضر تحتها البيض والمصبر  
 بروق ه وانت البدر والفلك البحر  
 هدية تأييد يقدها الدهر  
 ساء بدت تترى كواكبها الزهر  
 من الرب او جيش تقده النصبر  
 من الخوف اسياف تجرد او حصر  
 ولا شوب الا لارواحهم قهبر  
 .....  
 ورن عظمت الا الى غيرها جسبر  
 كما لاج قبل الشمس في الافق الفجر  
 صواره انهاره والقنا الزهر

لك الراية الشراء يقدها النصبر  
 اذا خلقت في الارض هدت بنودها  
 وان نشرت مثل الاسائل في وضى  
 وان يمت زرق السدى سار تحتها  
 كان مثار النقل ليل ه وخطها  
 لها كن يوم ه ايسر لواءها  
 وفتح بدا في اتر فتح ه كأنها  
 فان رمت حصنا سابقك كئاس  
 ففي كل قطر للمدى وحصونها  
 غاد حصن الا وهو حصن لاهلها  
 .....  
 وما قلعة الروم التي حزت فتحها  
 طليعة ما يأتي من النقب بسدها  
 فتحها بالبيش كالروض بمجسة

(١) درة الاسلاك ورقه ١٤٥ والنجوم الزاهرة ٣٢٢/٧ - ٣٢٤

لدى خنصر أوتحت مظافة خصصر  
سحاب ردى لم يخل من قطره قطصر  
رواعد سخط ويلها النار والصخصصر  
.....

وياحت بما أغفته وانتهك المسصر  
رجاء هم لو لم يشب قصد ثم مكصر  
فتوحه غيما قد مضى كله قيصصر  
تحصل منها الفتح  
وإن غيب اليعفور من ذاك والكصر  
تطيعك والأصار أجمعها مصصر  
ويزني على طاضي المنصور بك المصصر (١)

في نُصرة الاسلام حُكم يقتضى  
طيب الرقاد الى الجهاد وأوجفنا  
في مثل بعد ذاك تالفنا  
ذهبوا كما حكمت صواربه جفنا  
من جاغرتد داء خدأ عترفنا  
فندا على نهر المجرة مشرفنا  
يوم الإباء مسلما سنسلمنا  
ملك سواه اذا ثنبة أو غفنا  
وندى وجدد رسم مكرمة عفننا  
وأطان ملتجئا وسامح مصرفنا  
ط اقرضا في طاعة أو أسلفنا  
باجل ما كان فيه وأشرفنا (١)

أداوا بها سورا فأضحت كخاتصم  
وأرخوا اليها من أكف بشارههم  
كان المجانيق التي قمن حولها  
.....

وشبت بها النيران حتى تخرقت  
فأخذوا بذيل المغر منك فلهم تجيب  
فأعزتها يا أسيفتها وهك هذا  
فيا أشرف الأملك فزت بغسرة  
وبشارك أرنيت المسيح وأحمدا  
نسر حيث ما تختار فالارض كلهمسا  
وكم وابق للندنيا ليحيا بك الهمدى

وقال يرثي المالك المنصور بقصيدة أولها :

ملك مضى لسبيله وسبيلنا  
المالك المنصور أكرم من جفنا  
سل يوم جده عن الألف وقد سطنا  
وأنظر تجد تسعين ألفا منهم  
ونعدوا وطاء للورى فلهم تسمى  
والمرقب العالي الذى ساق السما  
وافى اليه بمنزلة جاءت بسببه  
وكذا ظرا بلى التي لم يرجعنا  
ولكم أباد عدى وكم أبدى يسدا  
وأقال معتذرا وأغنى راجيسنا  
بلوبى له حازت يداه وتد مضى  
فتلقت الأملاك كقدم روحنا

(١) البداية والنهاية ١٣ / ٣٢٣ فوات الوغيات ١ / ١٥٥  
(٢) دورة الاسلاك ١ ورقه ١٥٠



تيل في هزيمة الفرنج سنة ٥٥١ ويذكر أحد قادة نور الدين :

كأهل الحسن غاية في البهائم  
ذلة الأسر والهوان والفتائم  
بين ذلنا وخسرة وعضائم  
في مصاف الحروب والهيبيجائم  
عند من الإطارة المضمائم  
بعد تأكيدها بحسن الوثائم  
من فسادٍ يجلبهم واعتصائم  
بمواضع تفوق حد المضمائم  
وجزاء الشكور خير الجسائم ( ١ )

يا رأينا فيما تقدم يومئذ  
مثل يوم الفرنج حين عكثهم  
وبراياتهم على العيون زفتوا  
بعد عزلهم وهدية ذكبيهم  
هكذا هكذا هلاك الأعين  
نقدوا هدية الصالح بجهنم  
فلقوا بشيئهم بما كان فيهم  
لا عسى الله شتلكهم من شتائم  
في جزاء الكفور تفل وأسبهم

وقال آخر في سقوط القدس سنة ٤٩٢ :

يطول عليه للدين النحيب  
وسيف قاطع يودم صبيهم  
ومسامة لها حرم سليم  
على محرابه نصيب الصليب  
وتحريق المصانع فيه طيب  
لطفل في عوارضه المشيب  
وعيش المسلمين إذن يطيب  
يدافع عنه شأن وشيب  
أجيبوا الله ويحكم أجيبوا ( ٢ )

أحل الكفر بالاسلام غيم  
غشى ضائع وجوب ميسر  
وكم من تملأ أصم سليم  
وكم من مسجد جعلوه ديسرا  
دم الخنزير فيه لهم خلص  
أبوز لو تأملهم نطق  
أشعب المسلمات بكل نفس  
أنا لله والاسلام خسر  
نقل لذوى البصائر حيث كانوا

وجد على ضادة محراب مسجد الرهبا :

أختال بالأعنام والمنيم  
نائم عن الفحشاء والنكيس  
لولا جمال الدين لم أظهم ( ٣ )

أجبت صفراً من بني الأصف  
دا من المعروف عان بس  
مظهر الرعب على أنسني

( ١ ) تاريخ ابن القلانسي ٣٤٣ هـ عقد الجمان ج ١ ق ٢ ورقه ٢٨٣

( ٢ ) النجوم الزاهرة ١٥١/٥

( ٣ ) زبدة الحلب من تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٢

سج بمض الحليمين أسد الدين :

في يوم يَغْرًا ونالوا مَنِيَةَ الظَّفَرِ  
أبا المُنْفَرِ بالصَّمَاةِ الذِّكْرِ  
على المَخْطِمْ نَفْسُ المِشْرِ الأَشْرِ  
قواصِر الكَفْرِ في ذلِّ وغي صِشْر (١)

إن كان آل الفرنج أدركوا فلحسنا  
ففي المخطيم حكمت الكفر منضينا  
نالوا بيننا نهابا وانتهبت انسا  
واستفودوا الخيل عريا واشتدبت لنا

وسمع نائم قولا يقول قبل فتوحات صلاح الدين الكبرى :

للدن بعد إياسه أن ينصصرا  
يطوى الطراز له ويقتل قيصرا (٢)

ملك الصياصي والخواصي ناصرا  
وسيفتح البيت المقدس بعد مصرا

وقال آخر بعد هزيمة لويس التاسع عن دماظ :

له من المسلمين شاكرا  
بقوده نحونا المساكرا  
أمة عيسى من الذخائرا  
مصدره بالمون آشرا  
ورابع الشر فهو شامرا  
فأخلفت ظنه المكارا  
تمشيرا من خوفه النواظرا  
قد عميت فهم البصائرا  
ظلمته كادفن وساحرا  
من أرض دماظ غليبارا  
والسيف طاش والجيش حاضرا  
لمثلها ، انه لقمبارا  
من بعد كسر الصليب جابرا  
من كل علي وكل كافر (٣)

قل للفرنسيين إن كـ  
لأنه محسن الينسنا  
ساق إلى صرما اتتنسنا  
وأورد الجمع بحر حيرب  
أركبهم أدهما شيمنا  
ورام باباهم أممورا  
وأذ هل القوم هول حيرب  
لم تنم أبنارهم ولكن  
ولم يقد وقت فيلسسوف  
فان بعد طالبا لئسار  
فذل البحر تعرفسوه  
أعاده الله عن قريسب  
بجيث لم يبق للنصساري  
ويستريح المسيح منهم

وقال بعضهم في أخذ عكا :

وزند أوار النار في وسطها وار  
مجوسية الأبراج تسجد للنبار (٤)

مرت بعكا بعد تعليق سورها  
وتأينتها بعد التنصر قد فسدت

(١) الروضتين ١/ ٥٨ ، عقد الجمان ج ١٢ ق ١ ورقة ١٤٩

(٢) الروضتين ١/ ١٠٤

(٣) فوات الوفيات ١/ ١٥٧

(٤) تاريخ ابن الفرات ٨/ ١١٥ وجواهر السلوك ٤٨

- (\*) **أتابك :** وتكتب أتابك ، أيضا ومعناها : الاب الامير ، وأول من لقب بذلك عماد الدين زنكي صاحب الموصل . ( صبح الاعشى ( ١٦٧/١ ) )
- (\*) **أبيك :** لفظة تركية معناها الامير القمر ، ( آي : القمر ، بك الامير ، ( أحمد العبادي ، قيام دولة المماليك الاولى ١٠٩ ) )
- (\*) **البركوس :** جمعها : براكيس : نوع من السفن التي كانت تستعمل في الدروب بين الشرق والغرب في مياه البحر الابيض المتوسط في الحصور الوسطى وهي أصغر حجما من البطسة ، وحمولة البركوس الواحد حوالي خمسة وعشرين رجلا وهي مأخوذة عن الايطاليين Barcoro ( ابن شداد ، النوادر السلطانية ، نشر الشيال ص ١٤٤ )
- (\*) **الباشورة :** جمعها بواشير : الدائط الظاهري من الحصن يختفي وراءه الجنود عند القتال ( ابن شداد ، النوادر السلطانية ، نشر الشيال ص ١٥٣ )
- (\*) **البطسة : أو البطسة ،** ويقال أحيانا بطشة أو بطشة ، وقد تحرف الى بسطة وسطة والجمع بطس ويطسات ، ويطشات ويطشر ، مأخوذة عن الإسبانية ومعناها السفينة الكبيرة ، تستخدم أصلا للحرب ، وقد تستخدم لنقل التجاره ، تتسع في العادة الى ما بين ٣٠٠ - ٧٠٠ مقاتل ( ابن شداد ، النوادر السلطانية ، نشر الشيال ص ٤٨ )
- (\*) **البيضة :** جمعها البيض ، وهي الخوذة من الحديد تلبس على الرأس لوقايتها ( الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٥٣ )
- (\*) **تركلي :** لفظة يونانية معناها سلاله الترك ( مفرج الكروب نشر الشيال ج ٢ ص ١٤٨ )
- (\*) **الجرح :** مأخوذة عن الفارسية ، والجمع جروح ، وهو نوع من القوس الرامي السدي ترمى عنه النشاب أو النفط ، وهناك أربعة أنواع للقوس الرامي السدي يشبه المنجنيق ، وهي قوس الزيادة ، والقوس العقاد ، والجرح ، وهو يصنع من القرن ، وقوس الرجل ويقال للذي يرمي عن قوسه السمام أو النفط ( الجرخي ) ( النوادر السلطانية ص ٤٢ ، الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٣٦ )
- (\*) **الجريدة :** الفرقة من المساكر الخيالة لا راجل فيها ، وخرج الجند جريدة أي مسرعين من غير أثقال ( الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٧٢ )
- (\*) **الجاليش :** في الاصل معناها الراية العظيمة في رأسها خصلة من الشعر ، ثم أطلق اللفظ على مقدمة القلب في الجيوش أو على الطليعة ( النوادر السلطانية ٦٢ )
- (\*) **الجنائب :** في الاصل الخيول التي كانت تسيرواها السلطان أو الامير في الحروب استعدادا لاحتمال الحاجة ( الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٤٥ )

(\*) الاحداث: جماعات مسلحة من أهل المدن ، عظم شأنهم في بلاد الشام ، وخاصة في دمشق وحلب ، وأصبحوا ذوى الكلمة الأولى في الدفاع عن دمشق في عهد آل طشتكين ، كما أصبح لهم مسئول بدعى رئيس الاحداث أو رئيس البلد ، يقر اختياره حاكم المدينة ( عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ص. ١٢٨ )

(\*) الحماله: الجمع: حملات ، وهي نوع من السفن المخصصة لنقل مؤونة الجيوش وأزواده ، والصناع ، والخدم الملحقين بالجيوش والاسطول ، كما تستعمل في نقل الخيول ( النوادر السلطانية ١٤٠ )

(\*) الحركة: الجمع الحركات - لفظ فارسي ، وهي نوع من الخيام تتكون من قطع من الخشب مقفود بينهما على شكل قبة ، وتنشطها قطع من اللباد ( النوادر السلطانية ١٤٠ )

(\*) دبابه: جاء في اللسان: الدبابه: آلة تتخذ من جلود وخبث ، يدخل فيها الرجال ، ويقربونها من الحصن لينقبوه ، وتبينهم ما يرمون به من قوتهم سميت بذلك لانها تدفع فتدب ، ومن حديث عمر ، قال: كيف تصنعون بالحصون ، قالوا: تتخذ دبابات يدخل فيها الرجال ، وجاء في وصفها ، بانها آلة سائرة تتخذ من الخشب الشخين المتلزز ، وتغلف باللبود والجلود المنقعة في الدخ لدفع النار ، وتركب على عجل مستدير وتحرك وتحرك فتنجر ، وربما جعلت برجاً من الخشب ، وقد يدقها الرجال فتندفع على البكر ( النوادر السلطانية ص. ٤٢ )

(\*) الدبوس: آلة من حديد ذات أضلاع ( عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ص. ٢٠٥ )

(\*) الرباط: في الأصل مكان تجمع المجاهدين المتطوعين لقتال العدو على الحدود ثم صار في أيام الأيوبيين مكاناً يتفق فيه للعبادة (الروضتين ج ١ ص ٢٢٠ )

(\*) الزقاق: والجمع زقاقون - وهو الذى يرمي النفط من الزقاقه ، وهي أنبوبه خاصة يزرى بها النفط ، وتنبعث منها نار النفط بأرعاد ودخان شديد فتحرق السفن ( النوادر السلطانية ١١٨ )

(\*) الزنبورك: الجمع زنبوركات - قد تعني نوعاً من القسي التي ترمى عنها السهام ، وقد تعني نوعاً من السهام ذاتها ، ويكون في سمك الأبرام ، وهي طول الذراع ، وله أربعة أوجه ، وطرفه من الحديد ، وهو مبرش ليكون في انطلاقه أكثر ثباتاً وحبشاً سقط فإنه مؤكده الاصابة ، وقد يخترق الزنبورك أحياناً - في رمية واحدة - جسمي رجلين اثنين وقف أحدهما خلف الآخر ، وأخترق في الوقت نفسه درع الجندي ومدبسه ، ثم نفذ بعد ذلك واستقر في الأرض ، وقد يصيب أحجار الاسوار . . . ( النوادر السلطانية ص. ١٤٨ - ١٤٩ )

(\*) الستائر : من أهم المعدات عند المسلمين في الحصار الوسطى ، تتخذ من الجلود واللبود المبلولة بالخل ، لوقاية الحصون والقلاع من تساقط النقط ( مفرج الكروب ٢ / ٣٠٣ )

(\*) الأسطول : وقد يرسم في المراجع العربية أسطول أو سطول - والجمع أساطيل كلمة يونانية الاصل ، وتطلق في المراجع العربية على السفن الحربية أو السفينة الواحدة ، ويقال للجندي الذي يحمل في الاسطول ( أسطولي ) . ( النوادر السلطانية ص ٨٤ )

(\*) الشحنة : الاصل فيها تطلق على مجموعة الخيل التي تحفظ البلد ، ولكنها اطلقت على رئاسة الشرطة أو الامير المشت على حراستها ، ويقال الشحنة والجمع على شحن ، وشحاني . ( النوادر السلطانية ص ٧٢ )

(\*) الشيني : أو الشاني أو الشينية أو الشونه . والجمع شواني - السفينة الحربية الكبيرة ، وهي أهم القطع الكبيرة التي كان يتكون منها الاسطول فسي الدولة الاسلامية ، وتتمتع لمائة وخمسين جنديا بأسلحتهم ، وتقال أنها تسيّر بمائة وأربعين مجدافا ( النوادر السلطانية ص ٤٨ )

(\*) الطريدة : ويقال الطراد أو الطراذة أو التطريدة . والجمع طرائد ، وهي سفينة يرسم حمل الخيل ، وأكثرها يحمل فيها أربعون فارسا ( النوادر السلطانية ص ٤٨ )

(\*) الطوارق ، والطارقيات جمع طارقة ، وهو يطلق على نوعين من السلاح :

الاول : نوع من الترس يدخله الجندي لحماية نفسه أثناء القتال الثاني : آلة عربية مكونة من جملة من الألواح الخشبية تستخدم كترانس يخفي الجنود الرماح والصخور خلفها ( النوادر السلطانية ص ١٢٨ )

(\*) التلب : لفظ كردي معناه الامير الذي يقود مائتي فارس في ميدان القتال ، ويطلق كذلك على قائد المائة أو السبعين ، وكان أول ما استعمل اللفظ بمصر والشام أيام صلاح الدين ( النوادر السلطانية ص ٢٤ ، ٦٢ جب اصلاح الدين الايوبي ص ١٦١ )

(\*) الكبش : آلة حربية متصلة بالدبابة لها رأس ضخم وقتران ، تدفعها الجنود نحو الاسوار لتهدمها ، والجمع كباش ، وكبوش وأكبش ( الروضتين ج ١ ص ٢ )

(\*) الكوسات : صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير ، يمدى بأحدها على الاخر بايتاج مخصوص ، ومن يتولى ذلك يسمى الكوسير ، وكانت تسمى أيضا بالطبلخانة ( النوادر السلطانية ص ٢٠ )

(\*) القنطاريات : نوع من الرماح وهي لفظ من أصل يوناني ، سميت هكذا لانها تصنع من الخشب الذي يحمل هذا الاسم باليونانية ( مفرج الكروب ١ / ١٨٢ )

- (\*) القومـص: تعريب حرفي للفظة اللاتينية ( Comes ) أى الامير ، ومعناها  
الاصلي في اللاتينية ( الرفيق ) لانه كان في بداية الامر يرافق الملك في  
حروبه وتنقلاته ، وتعريبها كند ، كد ، وتجمع على كندود  
( النوادر السلطانية ٧٧ والباهر ص ٤١ )
- (\*) اللاءمة : الدرع ، وقيل السلاح ، وقيل الدرع الحصينة ، سميت لاءمة لاحكامها  
وجودة حلقاتها ، وقيل السلاح كله ، ولاءمة الحرب : أدواته وجمعها  
لاءم ولوم ( النوادر السلطانية ص ٨٨ )
- (\*) المنجنيق : يفتح الميم وكسرهما - أو المنجنوق ، والجمع منجنيق ، ومنجنيق  
ومنجنيقات ، لفظ أعجمي معرب ، وهو آلة الحصار في الحصور الوسطى  
يقوم مقام المدفع الحالي ، وان كانت قد انقضت من الحجارة ، وصفتها  
القلقشندي بأنه : آلة من خشب له دفتان قائمتان ، بينهما سرج طويل  
رأسه ثقيل ، وذنبه خفيف ، وفيه تجعل كفة المنجنيق التي يجعل فيها  
الحجر ، يجذب حتى ترتفع أسافله على أعاليه ، ثم يرسل فيرتفع ذنبه  
الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه ، نعا أصاب شيئا إلا أنلكه .  
( صبح الاعشى ١٤٤ / ٢ ) والنوادر السلطانية ٢٦ )
- (\*) النبل أو السهام : واحدته نشابة ، والناشبة والنشابة قوم يرمون بالنشاب ، ويشترط فيها  
ان تكون صحيحة الاعتدال والاستدارة والقتل والثقل والخفة ، وأمسها  
طولها وقصره فحسب مقادير الرامي ( النوادر السلطانية ٦٣ )
- (\*) النجمـاه : بالماء ، خنجر مقوس يشبه السيف القصير ، وهو معرب اللفظ الفارسي  
( نيمجه ) ، ويقال أيضا : نجا ، ونمجه ، ونمشا ، ونمشا .  
( النوادر السلطانية ص ٧٩ )
- (\*) الوطـاق : لفظ معرب عن التركية ومعناه الخيمة ، أو مجموعة الخيام ، أو المعسكر  
أو الفرقة ( النوادر السلطانية ١٢٩ )
- (\*) اليزك : لفظ فارسي معناه طلائع الجيوش ( الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤٢ ، النوادر  
السلطانية ص ١٠ )
- (\*) الـلب : الترس ، أو الدرع من الجلود أو جلود يخرز بعضها الى بعض لتليس  
على الرؤوس خاصة ( الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٥٢ )

ثالثا : جدول بتحويل السنوات المجرية الى ميلادية ٥٦٩

من السنة الميلادية	شهر	تبدأ يوم	السنة الهجرية
١٠٥٨	٢	٢٨	٤٥٠
١٠٥٩	٢	١٧	٤٥١
١٠٦٠	٢	٦	٤٥٢
١٠٦١	١	٢٦	٤٥٣
١٠٦٢	١	١٥	٤٥٤
١٠٦٣	١	٤	٤٥٥
١٠٦٣	١٢	٢٥	٤٥٦
١٠٦٤	١٢	١٣	٤٥٧
١٠٦٥	١٢	٢	٤٥٨
١٠٦٦	١١	٢٢	٤٥٩
١٠٦٧	١١	١١	٤٦٠
١٠٦٨	١٠	٣١	٤٦١
١٠٦٩	١٠	٢٠	٤٦٢
١٠٧٠	١٠	٩	٤٦٣
١٠٧١	٩	٢٩	٤٦٤
١٠٧٢	٩	١٧	٤٦٥
١٠٧٣	٩	٦	٤٦٦
١٠٧٤	٨	٢٧	٤٦٧
١٠٧٥	٨	١٦	٤٦٨
١٠٧٦	٨	٥	٤٦٩
١٠٧٧	٧	٢٥	٤٧٠
١٠٧٨	٧	١٤	٤٧١
١٠٧٩	٧	٣	٤٧٢
١٠٨٠	٦	٢٢	٤٧٣
١٠٨١	٦	١١	٤٧٤
١٠٨٢	٦	١	٤٧٥
١٠٨٣	٥	٢١	٤٧٦
١٠٨٤	٥	١٠	٤٧٧
١٠٨٥	٤	٢٩	٤٧٨
١٠٨٦	٤	١٨	٤٧٩
١٠٨٧	٤	٧	٤٨٠
١٠٨٨	٣	٢٧	٤٨١
١٠٨٩	٣	١٦	٤٨٢

من السنة الميلادية	شهر	تبدأ يوم	السنة الهجرية
١٠٩٠	٣	٦	٤٨٣
١٠٩١	٢	٢٣	٤٨٤
١٠٩٢	٢	١٢	٤٨٥
١٠٩٣	٢	١	٤٨٦
١٠٩٤	١	٢١	٤٨٧
١٠٩٥	١	١١	٤٨٨
١٠٩٦	٢١	١٣	٤٨٩
١٠٩٧	٢١	٤	٤٩٠
١٠٩٨	٢١	٩	٤٩١
١٠٩٩	١١	٢١	٤٩٢
١١٠٠	١١	١١	٤٩٣
١١٠١	١١	٦	٤٩٤
١١٠٢	١٠	٢٢	٤٩٥
١١٠٣	١٠	١٥	٤٩٦
١١٠٤	١٠	٥	٤٩٧
١١٠٥	٩	٢١	٤٩٨
١١٠٦	٩	١١	٤٩٩
١١٠٧	٩	٢	٥٠٠
١١٠٨	٨	٢٢	٥٠١
١١٠٩	٨	١١	٥٠٢
١١١٠	٧	٢٧	٥٠٣
١١١١	٧	١٥	٥٠٤
١١١٢	٧	١٠	٥٠٥
١١١٣	٦	٢١	٥٠٦
١١١٤	٦	١١	٥٠٧
١١١٥	٦	١	٥٠٨
١١١٦	٥	٢١	٥٠٩
١١١٧	٥	١١	٥١٠
١١١٨	٥	٥	٥١١
١١١٩	٣	٢١	٥١٢
١١٢٠	٣	١١	٥١٣
١١٢١	٣	٢	٥١٤
١١٢٢	٣	٢٢	٥١٥
١١٢٣	٢	١٢	٥١٦
١١٢٤	٢	٢	٥١٧
١١٢٥	١	١٢	٥١٨
١١٢٦	١	١	٥١٩



من السنة الميلادية	شهر	تبدأ يوم	السنة المجرية
١١٢٤	٢	١٩	٥١٨
١١٢٥	٢	٧	٥١٩
١١٢٦	١	٢٧	٥٢٠
١١٢٧	١	١٧	٥٢١
١١٢٨	١	٦	٥٢٢
١١٢٨	١٢	٢٥	٥٢٣
١١٢٩	١٢	١٥	٥٢٤
١١٣٠	١٢	٤	٥٢٥
١١٣١	١١	٢٣	٥٢٦
١١٣٢	١١	١٢	٥٢٧
١١٣٣	١١	١	٥٢٨
١١٣٤	١٠	٢٢	٥٢٩
١١٣٥	١٠	١١	٥٣٠
١١٣٦	٩	٢٩	٥٣١
١١٣٧	٩	١٩	٥٣٢
١١٣٨	٩	٨	٥٣٣
١١٣٩	٨	٢٨	٥٣٤
١١٤٠	٨	١٧	٥٣٥
١١٤١	٨	٦	٥٣٦
١١٤٢	٧	٢٧	٥٣٧
١١٤٣	٧	١٦	٥٣٨
١١٤٤	٧	٤	٥٣٩
١١٤٥	٦	٢٤	٥٤٠
١١٤٦	٦	١٣	٥٤١
١١٤٧	٦	٢	٥٤٢
١١٤٨	٥	٢٢	٥٤٣
١١٤٩	٥	١١	٥٤٤
١١٥٠	٤	٣٠	٥٤٥
١١٥١	٤	٢٠	٥٤٦
١١٥٢	٤	٨	٥٤٧
١١٥٣	٣	٢٩	٥٤٨
١١٥٤	٣	١٨	٥٤٩
١١٥٥	٣	٧	٥٥٠
١١٥٦	٢	٢٥	٥٥١
١١٥٧	٢	١٣	٥٥٢

من السنة الميلادية	شهر	تبدأ يوم	السنة الهجرية
١١٥٨	٢	٢	٥٥٣
١١٥٩	١	٢٣	٥٥٤
١١٦٠	١	١٢	٥٥٥
١١٦٠	١٢	٣١	٥٥٦
١١٦١	١٢	٢١	٥٥٧
١١٦٢	١٢	١٠	٥٥٨
١١٦٣	١١	٣٠	٥٥٩
١١٦٤	١١	١٨	٥٦٠
١١٦٥	١١	٧	٥٦١
١١٦٦	١٠	٢٨	٥٦٢
١١٦٧	١٠	١٧	٥٦٣
١١٦٨	١٠	٥	٥٦٤
١١٦٩	٩	٢٥	٥٦٥
١١٧٠	٩	١٤	٥٦٦
١١٧١	٩	٣	٥٦٧
١١٧٢	٨	٢٣	٥٦٨
١١٧٣	٨	١٢	٥٦٩
١١٧٤	٨	٢	٥٧٠
١١٧٥	٧	٢٢	٥٧١
١١٧٦	٧	١٠	٥٧٢
١١٧٧	٦	٣٠	٥٧٣
١١٧٨	٦	١٩	٥٧٤
١١٧٩	٦	٨	٥٧٥
١١٨٠	٥	٢٨	٥٧٦
١١٨١	٥	١٧	٥٧٧
١١٨٢	٥	٧	٥٧٨
١١٨٣	٤	٢٦	٥٧٩
١١٨٤	٤	١٤	٥٨٠
١١٨٥	٤	٣	٥٨١
١١٨٦	٣	٢٤	٥٨٢
١١٨٧	٣	١٣	٥٨٣
١١٨٨	٣	٢	٥٨٤
١١٨٩	٢	١٩	٥٨٥
١١٩٠	٢	٨	٥٨٦
١١٩١	١	٢٩	٥٨٧

من السنة الميلادية	شهر	تبدأ يوم	السنة المجرية
1192	1	18	588
1193	1	7	589
1193	12	27	590
1194	12	16	591
1195	12	6	592
1196	11	26	593
1197	11	15	594
1198	11	4	595
1199	10	23	596
1200	10	12	597
1201	10	1	598
1202	9	20	599
1203	9	10	600
1204	8	29	601
1205	8	18	602
1206	8	8	603
1207	7	28	604
1208	7	17	605
1209	7	7	606
1210	6	26	607
1211	6	15	608
1212	6	4	609
1213	5	23	610
1214	5	13	611
1215	5	2	612
1216	4	20	613
1217	4	10	614
1218	3	29	615
1219	3	19	616
1220	3	8	617
1221	2	27	618
1222	2	16	619
1223	2	6	620
1224	1	25	621
1225	1	14	622

من السنة الميلادية	شهر	تبدأ يوم	السنة الهجرية
١٢٢٦	١	٢	٦٢٣
١٢٢٦	١٢	٢٢	٦٢٤
١٢٢٧	١٢	١٢	٦٢٥
١٢٢٨	١١	٣٠	٦٢٦
١٢٢٩	١١	٢٠	٦٢٧
١٢٣٠	١١	٩	٦٢٨
١٢٣١	١٠	٢٩	٦٢٩
١٢٣٢	١٠	١٨	٦٣٠
١٢٣٣	١٠	٧	٦٣١
١٢٣٤	٩	٢٦	٦٣٢
١٢٣٥	٩	١٦	٦٣٣
١٢٣٦	٩	٥	٦٣٤
١٢٣٧	٨	٢٤	٦٣٥
١٢٣٨	٨	١٤	٦٣٦
١٢٣٩	٨	٣	٦٣٧
١٢٤٠	٧	٢٣	٦٣٨
١٢٤١	٧	١٢	٦٣٩
١٢٤٢	٧	١	٦٤٠
١٢٤٣	٦	٢١	٦٤١
١٢٤٤	٦	٩	٦٤٢
١٢٤٥	٥	٢٩	٦٤٣
١٢٤٦	٥	١٩	٦٤٤
١٢٤٧	٥	٨	٦٤٥
١٢٤٨	٤	٢٦	٦٤٦
١٢٤٩	٤	١٦	٦٤٧
١٢٥٠	٤	٥	٦٤٨
١٢٥١	٣	٢٦	٦٤٩
١٢٥٢	٣	١٤	٦٥٠
١٢٥٣	٣	٣	٦٥١
١٢٥٤	٢	٢١	٦٥٢
١٢٥٥	٢	١٠	٦٥٣
١٢٥٦	١	٣٠	٦٥٤
١٢٥٧	١	١٩	٦٥٥
١٢٥٨	١	٨	٦٥٦
١٢٥٨	١٢	٢٦	٦٥٧

من السنة الميلادية	شهر	تبدأ يوم	السنة الهجرية
١٢٥٩	١٢	١٨	٦٥٨
١٢٦٠	١٢	٦	٦٥٩
١٢٦١	١١	٢٦	٦٦٠
١٢٦٢	١١	١٥	٦٦١
١٢٦٣	١١	٤	٦٦٢
١٢٦٤	١٠	٢٤	٦٦٣
١٢٦٥	١٠	١٣	٦٦٤
١٢٦٦	١٠	٢	٦٦٥
١٢٦٧	٩	٢٢	٦٦٦
١٢٦٨	٩	١٠	٦٦٧
١٢٦٩	٨	٣١	٦٦٨
١٢٧٠	٨	٢٠	٦٦٩
١٢٧١	٨	٩	٦٧٠
١٢٧٢	٧	٢٩	٦٧١
١٢٧٣	٧	١٨	٦٧٢
١٢٧٤	٧	٧	٦٧٣
١٢٧٥	٦	٢٧	٦٧٤
١٢٧٦	٦	١٥	٦٧٥
١٢٧٧	٦	٤	٦٧٦
١٢٧٨	٥	٢٥	٦٧٧
١٢٧٩	٥	١٤	٦٧٨
١٢٨٠	٥	٣	٦٧٩
١٢٨١	٤	٢٢	٦٨٠
١٢٨٢	٤	١١	٦٨١
١٢٨٣	٤	١	٦٨٢
١٢٨٤	٣	٢٠	٦٨٣
١٢٨٥	٣	٩	٦٨٤
١٢٨٦	٢	٢٩	٦٨٥
١٢٨٧	٢	١٦	٦٨٦
١٢٨٨	٢	٦	٦٨٧
١٢٨٩	١	٢٥	٦٨٨
١٢٩٠	١	١٤	٦٨٩
١٢٩١	١	٣	٦٩٠

## ١- السلاجقة

## ( أ ) سلاطين السلاجقة العظام

١١٠٤ - ١٠٩٤	بركيارق بن ملكشاه	١٠٦٣ - ١٠٢٧	طغرل بك
١١١٨ - ١١٠٤	محمد بن ملكشاه	١٠٧٢ - ١٠٦٣	ألب أرسلان
١١٥٧ - ١٠٦٦	أحمد سنجر بن ملكشاه	١٠٩٢ - ١٠٧٢	ملكشاه بن ألب أرسلان
		١٠٩٤ - ١٠٦٢	محمود بن ملكشاه

## ( ب ) سلاجقة العظام

١١٥٩ - ١١٥٣	محمد بن محمود	١١٣١ - ١١١٨	محمود بن محمد بن ملكشاه
١١٦١ - ١١٥٩	سليمان شاه بن محمد	١١٣١	أود بن محمود
١١٧٧ - ١١٦١	أرسلان شاه بن طغرل	١١٣٣ - ١١٢٢	طغرل الأول بن محمد
١١٩٤ - ١١٧٧	طغرل الثاني بن أرسلان شاه	١١٥٢ - ١١٢٣	محمود بن محمد
		١١٥٢	ملكشاه بن محمود

## ( ج ) سلاجقة الشام

١١١٤ - ١١١٣ ( بحلب )	ألب أرسلان بن رضوان	١٠٩٤	تتار بن ألب أرسلان
١١١٧ - ١١١٤ ( بحلب )	ملطان شاه بن رضوان	١١١٣ - ١٠٩٥	رضوان بن تتار ( بحلب )
		١١٠٣ - ١٠٩٥	دقاني بن تتار ( بدمشق )

## ( د ) سلاجقة الروم بآسيا الصغرى

١٢١٠ - ١٢٠٤	كيخسرو الأول (مرة ثانية)	١٠٨٦ - ١٠٨١	سليمان بن قلج
١٢١٦ - ١٢١٠	كيكاوس الأول بن كيوخسرو الأول	١١٠٧ - ١٠٩٢	قلج أرسلان الأول
١٢٣٦ - ١٢١٦	كيقباد الأول بن كيوخسرو الأول	١١١٦ - ١١٠٧	ملكشاه الأول بن قلج أرسلان
١٢٤٥ - ١٢٣٦	كيخسرو الثاني بن كيقباد الأول	١١٥٦ - ١١١٦	مسعود الأول بن قلج أرسلان
١٢٥٧ - ١٢٤٥	كيكاوس الثاني بن كيوخسرو الثاني	١١٨٨ - ١١٥٦	قلج أرسلان الثاني
١٢٦٧ - ١٢٥٧	قلج أرسلان الرابع بن كيوخسرو الثاني	١١٩٢ - ١١٨٨	ملكشاه الثاني
١٢٨٣ - ١٢٦٧	كيخسرو الثالث بن قلج أرسلان الرابع	١٢٠٠ - ١١٩٢	كيخسرو الأول
١٢٩٦ - ١٢٨٣	مسعود الثاني بن كيكياوس الثاني	١٢٠٣ - ١٢٠٠	سليمان شاه الثاني بن قلج أرسلان
١٣٠٠ - ١٢٩٦	كيقباد الثالث	١٢٠٤ - ١٢٠٣	قلج أرسلان الثالث بن سليمان شاه

## (٢) بنو أرتساق

## (أ) الأرتاق في حصن كيفا ثم في آمد

١١٨٥ - ١١٧٤	١١٠٤ - ١١٠١	محمد بن قرا أرسلان	سقمان الاول بن أرتق
١٢٠٠ - ١١٨٥	١١٠٨ - ١١٠٤	سقمان الثاني بن محمد	ابراهيم بن سقمان
١٢٢٢ - ١٢٠٠	١١٤٨ - ١١٠٨	محمود بن محمد	داود بن سقمان
١٢٣١ - ١٢٢٢	١١٧٤ - ١١٤٨	مودود بن محمود	قرا أرسلان بن داود

## (ب) الأرتاق في مارديس

١٢٠٠ - ١١٨٤	١١٢٢ - ١١٠٨	بولق أرسلان بن ايلغازي الثاني	ايلغازي الاول بن أرتق
١٢٣١ - ١٢٠٠	١١٥٢ - ١١٢٢	أرتق أرسلان بن ايلغازي الثاني	تمرتاش بن ايلغازي
١٢٥٩ - ١٢٢٩	١١٧٦ - ١١٥٢	غازي الاول بن أرتق أرسلان	ألبى بن تمرتاش
١٢٥٩ - ١٢٥٩	١١٨٤ - ١١٧٦	قرا أرسلان بن غازي الاول	ايلغازي الثاني بن ألبى

## (٣) بنو زنكسي

## (أ) أتابكة الموصل

١٢١٠ - ١١٩٣	١١٤٦ - ١١٢٧	نورالدين أرسلان شاه الاول بن مسعود	عماد الدين زنكي بن آقسنقر
١٢١٨ - ١٢١٠	١١٤٩ - ١١٤٦	عزالدين مسعود الثاني بن أرسلان شاه	سيف الدين غازي الاول بن زنكي
١٢١٦ - ١٢١٨	١١٧٠ - ١١٤٩	نورالدين أرسلان شاه الثاني بن مسعود الثاني	تطب الدين مودود بن زنكي
١٢١٢ - ١٢١٦	١١٧٦ - ١١٧٠	ناصرالدين محمود بن عزالدين بن مسعود الثاني	سيف الدين غازي الثاني بن مودود
١٢٥٩ - ١٢٣٣	١١٩٣ - ١١٧٦	بدالدين لولو وابنه ركن الدين اسماعيل	عزالدين مسعود الاول بن مودود

## (ب) أتابكة الشام

١١٨١ - ١١٧٤	١١٧٤ - ١١٤٦	الصالح نورالدين محمد بن زنكسي	الدادل نورالدين محمود بن زنكسي
١١٨٢ - ١١٨١	١١٧٤ - ١١٥٤	بن اسماعيل في حلب	في حلب
		ضم حلب الى أتابكة الموصل وسنجار	في دمشق

## (٤) بنو ايوب

## (أ) الايوبيون في مصر

١٢٢٨ - ١٢١٨	الكامل (الاول) محمد	١١٩٣ - ١١٧٤	الناصر صلاح الدين يوسف
١٢٤٠ - ١٢٣٨	السادق (الثاني) ابوبكر	١١٩٨ - ١١٩٣	الحزب عماد
١٢٤٦ - ١٢٤٠	الصالح ايوب	١١٩٩ - ١١٩٨	المنصور محمد
١٢٥٠ - ١٢٤٠	المعظم توران شاه	١٢١٨ - ١١٩٩	السادق (الاول) احمد

## (ب) الايوبيون في دمشق

١١٢٨	الكامل الاول محمد	١١٩٣ - ١١٩٦	الانقل نور الدين علي
١٢٣٦ - ١٢٣٨	السادق الثاني ابوبكر	١١٩٦	السادق (الاول) احمد
١١٣٩	الصالح نجم الدين ايوب (المره الاولى)	١١١٨ - ١٢٢٧	المعظم عيسى
١٢٤٥ - ١١٢٩	الصالح اسماعيل (المره الثاني)	١٢١٧ - ١٢١٩	الناصر اود
١٢٤٦ - ١٢٤٥	الصالح نجم الدين ايوب (المره الثانيه)	١٢٣٧ - ١٢١٩	الاشرف موسى
١٢٤٩ - ١٢٤٥	المعظم توران شاه (صاحب مصر)	١١٢٧ - ١٢٣٧	الصالح اسماعيل (المره الاولى)
١٢٤٩ - ١٢٤٥			

## (ج) الايوبيون في حلب

١٢٣٦ - ١١١٦	السيز محمد	١١٨٦ - ١١٨٣	السادق الاول احمد
١٢٤٠ - ١١٢٦	الناصر (الثاني) يوسف	١١٨٦ - ١١١٦	الناصر غازي الاول

## (د) الايوبيون في حمص

١٢٤٦ - ١١٤٠	المنصور ابراهيم	١١٧٨ - ١١٨٦	القاهر محمد بن شيركوه
١٢٤٦ - ١٢٤٢	الاشرف موسى الثاني	١١٨٦ - ١٢٤٠	الناصر شيركوه الثاني

## (هـ) الايوبيون في حماه

١٢٤٤ - ١٢٢٩	المظفر الثاني محمود	١١٧٨ - ١١٩١	المظفر الاول عمر
١٢٤٤ - ١٢٤٢	المنصور الثاني محمد	١١٩١ - ١٢١٠	المنصور الاول محمد
		١٢١٩ - ١٢٢٠	الناصر فليح ارسلان



## ( ز ) الايوبيون في ميافارقين

١٢٢٠ - ١٢٢٠	الاشرف الاول موسى	١١٨٥	الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب
١٢٤٤ - ١٢٢١	المظفر شهاب الدين غازي	١١٩٩ - ١١٩٤	الحادل سيف الدين أبو بكر
١٢٦٠ - ١٢٤٤	الكامل الثاني ناصر الدين محمد	١١٩٩ - ١٢١٠	الواحد نجم الدين أيوب

## ( ٥ ) سلاطين المماليك في مصر

## ( أ ) دولة المماليك البحرية

١٢٧٧	السعيد ناصر الدين محمد بن بركة	١٢٥٠	شجرة الدر
	خان	١٢٥٠	المعز عز الدين أيك
١٢٧٩	الحادل بدر الدين صلاح	١٢٥٧	المنصور نور الدين علي بن أيك
١٢٨٩	المنصور سيف الدين قلاوون	١٢٥٩	المظفر سيف الدين قطز
١٢٩٠	الاشرف صلاح الدين خليل	١٢٦٠	الظاهر ركن الدين بيبرس (الاول)

## ( ٦ ) ملوك مملكة بيت المقدس الصليبية

١١٩٧ - ١١٩٢	هنري دي شامبني	١١٠٠ - ١٠٩٩	جودفري دي بوايون (وصي على الدولة)
١٢٠٥ - ١١٩٧	عموري الثاني	١١١٨ - ١١٠٠	يلدوين الاول (اول ملك متوج)
١٢١٠ - ١٢٠٥	ماری (ابنه كونراد تحت الوصاية)	١١٣١ - ١١١٨	يلدوين الثاني
١٢٢٤ - ١٢١٠	حنادى برين	١١٤٤ - ١١٣١	فولك الانجوى
١٢٥٠ - ١٢٢٥	الامبراطور فردريك الثاني	١١٦٢ - ١١٤٤	يلدوين الثالث
١٢٥٤ - ١٢٥٠	كونراد الرابع ملك ألمانيا (ملك اسمي)	١١٧٣ - ١١٦٢	عموري الاول
١٢٦٨ - ١٢٥٤	كونرادين (ملك اسمي)	١١٨٥ - ١١٧٣	يلدوين الرابع
١٢٨٤ - ١٢٦٩	هيو الثالث ملك قبرس (الثاني)	١١٨٦ - ١١٨٥	يلدوين الخامس
١٢٨٥ - ١٢٨٤	حنالاول ملك بيت المقدس	١١٩٢ - ١١٨٦	جاي لوزجنان
١٢٩١ - ١٢٨٦	هنري الثالث ملك قبرس (الثاني)	١١٩٢	كونراد دي مونتفرات

## ( ٧ ) أمراء أنطاكية النورمان

١٢٠١ - ١١٦٣	بوهيموند الثالث	١١٠٤ - ١٠٩٨	بوهيموند الاول
١٢١٦ - ١٢٠١	بوهيموند الرابع	١١١٢ - ١١٠٤	تنكرد
١٢١٩ - ١٢١٦	ريموند رومان	١١١٩ - ١١١٢	روجردى مالنزو
١٢٢٢ - ١٢١٩	بوهيموند الرابع (مرة ثانية)	١١٣٠ - ١١٢٦	بوهيموند الثاني
١٢٥١ - ١٢٣٤	بوهيموند الخامس	١١٤٩ - ١١٣٦	ريموند دي بواتيه
١٢٦٨ - ١٢٥١	بوهيموند السادس	١١٦٠ - ١١٥٣	ريجنالد دي شاتيون (أرناط)

## (٨) أمراء طرابلس

١١٨٢-١١٥٢	ريموند الثالث	١١٠٥-١١٠٢	ريموند الاول (المنجيل)
١٢١٣-١١٨٧	بوهيموند الرابع (+انطاكية)	١١٠٨-١١٠٥	وليم جوردان
١٢٥١-١٢٣٣	بوهيموند الخامس (+انطاكية)	١١١٣-١١٠٨	يرتراند
١٢٧٥-١٢٥١	بوهيموند السادس (+انطاكية)	١١٣٧-١١١٣	بونز
١٢٨٧-١٢٧٥	بوهيموند السابع	١١٥٢-١١٣٧	ريموند الثاني

## (٩) أمراء أرمينية الصغرى

١١٧٥-١١٧٠	ملح	١٠٦٠ +	رومان الاول
١١٨٧-١١٧٥	رومان الثالث	١١٠٠ +	قسطنطين الاول
١٢١١-١١٨٧	ليون الثاني	١١٢٩-١١٠٠	ثيودور الاول
	( تزوجت ايزابيل ابنة ليون الثاني عن ثيودور اميرزون الذي أصبح ملكا على أرمينية الصغرى )	١١٣٦-١١٢٩	ليون الاول
		١١٦٧-١١٤٤	ثيودور الثاني
		١١٧٠ +	رومان الثاني (تحت الوصاية)

## (١٠) ملوك أرمينية الصغرى

		١٢٢٩-١٢٢٦	هيشوم الاول
		١٢٨٩-١٢٧٠	ليون الثالث
		١٢٩٣-١٢٨٩	هيشوم الثاني
		١٢٩٤-١٢٩٣	ثيودور الثالث
		١٢٩٤-١٢٩٦	هيشوم الثاني ( مرة أخرى )
		١٢٩٧-١٢٩٨	سبياد
		١٢٩٨-١٢٩٦	قسطنطين الاول

## (١١) أباطرة الدوله البيزنطية

١٢٠٤-١٢٠٣	اسحق الثاني + الكسيوس الرابع	١١١٨-١٠٨١	الكسيوس الاول كومنين
١٢٠٤	الكسيوس الخامس	١١٤٣-١١١٨	حنا الثاني كومنين
١٢٢٢-١٢٠٤	تيودور الاول لا سكارس	١١٤٣-١١٨٠	مانويل الاول كومنين
١٢٠٤-١٢٢٢	حنا الثالث دوقاس	١١٨٣-١١٨٠	الكسيوس الثاني كومنين
١٢٥٨-١٢٠٤	تيودور الثاني لا سكارس	١١٨٥-١١٨٣	اندرونيقي الاول كومنين
١٢٥٨-١٢١١	حنا الرابع لا سكارس	١١٩٥-١١٨٥	اسحق الثاني أنجيلوس
١٢٨٢-١٢٥٩	ميخائيل الثامن باليولوجس	١٢٠٣-١١٩٥	الكسيوس الثالث أنجيلوس

د • سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٧ : ١٢٩٧-١٣٠٦

## المخطوطات :

- ٠١ الملك الأشجد الحسن بن الناصر داود بن عيسى بن نجم الدين أيوب  
النوائد الجلية في الفرائد الناصرية ، مخطوط رقم ٢٢٩٢ أدب ، دار  
الكتب المصرية ، القاهرة
- ٠٢ ابن الجزري ، محمد بن ابراهيم الجزري ، جواهر السلوك في الخلقاء  
والمطوك ، مخطوط رقم ٤٧٥٧٥ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة
- ٠٣ ابن حبيب ، الحسن بن عمر بن حبيب ابو محمد بدر الدين بن  
درة الاسلاك في دولة الاتراك ، ميكروفلم رقم ٥٣٩ ، الجامعة  
الاردنية ، عمان
- ٠٤ ابن دنيير ، ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن علي اللخمي القابوسي ،  
ديوانه ، مخطوط رقم ٨٧٤٤ ، المكتبة الخاضعية ، دمشق
- ٠٥ الميني ، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد أبو محمد بدر الدين  
الميني ، عقد الجمان من تاريخ أهل الزمان ، مخطوط رقم ١٥٨٤ ،  
تاريخ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة
- ٠٦ ابن قاضي شهبة ، بدر الدين أبو الفضل محمود بن أبي بكر ،  
الدر الثمين في سيرة نور الدين ، ميكروفلم عن مخطوطة دار الكتب  
المصرية رقمها ١٢٢٧ تاريخ
- ٠٧ ابن القيسراني ، محمد بن نصر بن صغير ، ديوانه ، مخطوط رقم  
١٤٨٤ أدب ، دار الكتب المصرية ، القاهرة
- ٠٨ ابن نباتة ، محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ، الجذائعي الفارسي  
السوري جمال الدين بن نباتة ، الفاضل بن كاتم القاضي الفاضل ،  
مخطوط رقم ٢٨٨٢ أدب دار الكتب المصرية ، القاهرة
- ٠٩ النويري أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الدائم القرشي الترمسي البكري ،  
نهاية الأرب في فنون الأدب ، مخطوط رقم ٥٤٩ ، مصارف جامعة ،  
دار الكتب المصرية ، القاهرة

## على الآلة الكاتبة :

- ٠١٠ عبد الحفيظ محمد علي ، العياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين ،  
رسالة ماجستير ، القاهرة ، سنة ١٩٧٥

٠١١ نادى نهر ، مشارك نور الدين في شعر العروب الصليبية ، رسالة  
ماجستير ، جامعة القاهرة رقم ٩٠٢ ، القاهرة

### الكتب المطبوعة :

- ٠١٢ ابن الاثير ، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانسي  
الجزري أبو الفتح شياء الدين ، رسائل بن الاثير ، تانيش المقدسي ،  
دار العلم للملايين ، بيروت ، سنة ١٩٥٩
- ٠١٣ ابن الاثير ، نصر الله بن محمد ، المثل السائر في أدب الكاتب  
والشاعر ، القاهرة ، سنة ١٩٢٩
- ٠١٤ ابن الاثير ، عز الدين أبو الحسين علي بن أبي الكرم بن محمد  
بن عبد الكريم بن عبد الواحد ، الكامل في التاريخ ، ط دار صادر  
و دار بيروت ، ١٩٦٦
- ٠١٥ ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسين ، التاريخ الباهر في الدولة  
الأتاكية ، بالدوصل ، تحقيق عبد القادر أحمد باليمت ، دار الكتب  
الحديثة ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢
- ٠١٦ أحمد أحمد بدوي ، الحياة الادبية في عصر العروب الصليبية بمصر  
والشام ، ط مكتبة النهضة مصر ، مصر ، سنة ١٩٥٤
- ٠١٧ أحمد أحمد بدوي ، صلاح الدين الأيوبي بين شعراء عصره وكتابه  
دار القلم ، مصر ، سنة ١٩٦٠
- ٠١٨ أحمد أحمد بدوي ، مأمون بنى أيوب، المذموم عيسى ، مكتبة  
الانجلو مصرية ، مصر ، سنة ١٩٥٢
- ٠١٩ أحمد بيلى المصري ، حياة صلاح الدين ، ط السعادة ، مصر ، سنة  
١٩٦٢
- ٠٢٠ أحمد الشايب ، أصول النقد الادبي ، ط ٥ ، مكتبة النهضة المصرية ،  
سنة ١٩٥٥
- ٠٢١ أحمد عبد المجيد الدومي ، صلاح الدين الأيوبي ، ط ٢ ، المكتبة  
العصرية ، بيروت ، صيدا ، سنة ؟
- ٠٢٢ أحمد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام ،  
دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٦٩

- ٠٢٣ أسامة بن منقذ ، مؤيد الدولة أبو مفلح أسامة بن مرشد الكنانسي الشيزري ، الاعتبار ، حرره فيليب حتي ، مطب جامعة برنستون الولايات المتحدة ، سنة ١٩٣٠
- ٠٢٤ أسامة بن منقذ ، الهدية في نقد الشعر ، ت أسعد أحمد بدوي ، وحامد عبد المجيد ، مطب مصافى الهادي الحلبي ، مصر ، سنة ١٩٦٠
- ٠٢٥ أسامة بن منقذ ، ديوانه ، ت أحمد بدوي ، وحامد عبد المجيد ، المطبعة الأميركية ، سنة ١٩٥٣
- ٠٢٦ الكليلتوليلة ، ت أنطوان صالحاني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، سنة ١٩٧٥
- ٠٢٧ ابن اياس ، محمد بن أحمد ابن أياس الحنفي ، بدائع الزهور ، وتأليف الامور ، المكتبة الشعبية ، بيروت ، سنة ١٩٧٠
- ٠٢٨ بدرى محمد نهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، سنة ١٩٧٣
- ٠٢٩ ابن مياومة ، محمد عبد الله بن محمد بن ابراهيم ، رحلته ، دار صادر ودار بيروت ، سنة ١٣٨٤ / ١٩٦٤
- ٠٣٠ الهنداري ، الفتح بن علي بن محمد الهنداري الاصفهاني ، مختصر تاريخ دول آل سلجوقي ، مطبعة الموسوعات ، مصر ، سنة ١٣٧١ / ١٩٠٠
- ٠٣١ بهاء الدين زهير بن محمد بن علي المهلبني الصنكي ، ديوانه ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، سنة ١٣٨٣ / ١٩٦٤
- ٠٣٢ البوصيري ، محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله بن صنهاج بن لعل الصنهاجي ، ديوانه ، ت محمد سيد كواشي ، مطبعة مصافى الهادي الحلبي ، مصر ، سنة ١٣٧٤ / ١٩٥٥
- ٠٣٣ تامارا تالوت راييس ، السلاجقة ، تاريخهم وحضارتهم ، ترجمته لداني الشوري وابراهيم الداقوقي ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، سنة ١٩٦٨
- ٠٣٤ ابن تيمزي بردي ، جمال الدين ابو الحسن يوسف ، النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة ، ابدية مصورة عن دار الكتب ،
- ٠٣٥ الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ت محمد صديحي الدين عبد الحميد ، ط القاهرة سنة ١٩٥٦

- ٠٣٦ جب ، السير هاملتون جب ، صلاح الدين : دراسات في التاريخ الاسلامي ، حررها يوسف أنيس ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، سنة ١٩٧٣
- ٠٣٧ جب ، السير هاملتون جب ، المدخل في الادب العربي ، ترجمة كاظم سعد الدين ، العراق ، سنة ١٩٦٩
- ٠٣٨ جوانفيل ، القديس لويس حياته وعمالته على مصر والشام ، ترجمة حسن حبشي ، دار المعارف ، ط ١ مصر ، سنة ١٩٦٨
- ٠٣٩ ابن جبير ، ابو العسين محمد بن احمد بن جبير الثاني الاندلسي الشابلي البلنسي ، رحلة ابن جبير ، دار صادر ، دار بيروت ، سنة ١٩٦٤ / ١٣٨٤
- ٠٤٠ جودت الركابي ، الادب العربي من الاغدار الى الازدهار ، ط ١ ، مطبعة زيد بن ثابت ، نشر دار الفكر ، دمشق ، سنة ١٩٧٤ / ١٣٩٤
- ٠٤١ حامد ظيم ، البيهية الاسلامية في عصر الحروب الصليبية ، مكتبة الشباب القاهرة ، سنة ١٩٧١
- ٠٤٢ حسن حبشي ، الحروب الصليبية الاولى ، القاهرة ، سنة ١٩٤٧
- ٠٤٣ حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون ، القاهرة ، سنة ١٩٦٣
- ٠٤٤ حسين عدوان ، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، دار المعارف ، مصر ، سنة ١٩٧٠
- ٠٤٥ الحسيني ، صدر الدين ابو العسين علي بن السيد الامام ابو الفوارس ناصر بن علي الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ت محمد اتبال ، لاهور ، سنة ١٩٦٦
- ٤٦ الحنبلي ، ابن السجاد ابو الفلاح عبد الحفي بن احمد بن محمد الحنبلي شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، المكتب التجاري ، بيروت ،
- ٤٧ الحنبلي ، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد العلوي المقدسي ، الانساب الجليل بتاريخ القدس والخليل ، دار الجليل بيروت ، سنة ١٩٧٢
- ٠٤٨ ابن خلكان احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان ، وفيات الاعيان ، ت احسان عباسي ، دار الثقافة ، بيروت

- ٥٤٩ ابن الخياط ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن محمد بن  
التغلبني ، ديوان ابن الخياط ، ت. خليل مردم بك ، مطبعة المجتمع  
العلمي المصري بدمشق سنة ١٩٥٨ / ١٩٢٧
- ٥٥٠ ابن الدهان ، أبو الفرج الموصلي ، ديوان ابن الدهان ، ت. عبد الله  
الجبوري ط ١ ، مطبعة المعارف ، بغداد سنة ١٩٦٨ / ١٩٢٨
- ٥٥١ ابن دقان ، إبراهيم بن محمد ، الانتصار لواسطة عقد الاصرار ،  
مطبعة بولاق سنة ١٨٩٣ / ١٣١٠
- ٥٥٢ رشيد الجميلي ، دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكسي ،  
دار النهضة العربية ، بيروت ، سنة ١٩٧٠
- ٥٥٣ رفيع التميمي ، الحروب الصليبية ، مطبعة اللواء ، القدس ، سنة  
١٩٤٥
- ٥٥٤ الزركلي ، خير الدين الزركلي ، كتاب الاعلام ط ٣ ، بيروت ، ١٩٦٩
- ٥٥٥ زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، ط ٢ ، مطبعة  
المحادة ، مصر ، سنة ١٩٥٧
- ٥٥٦ زكي المحاسني ، شعر العرب في أدب العرب ط ٢ ، دار المعارف ،  
مصر ، سنة ١٩٧٠
- ٥٥٧ زكي النقاش ، الصلوات الاجتماعية والثانية والاقتصادية بين العرب  
والفرنج ، خلال الحروب الصليبية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،  
سنة ١٩٥٨
- ٥٥٨ ابن الساعي ، علي بن أنجب ، الجامع المختصر ، نشر مصافي جواد  
مطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ، سنة ١٩٣٤ / ١٣٥٣
- ٥٥٩ ابن الساعاتي ، أبو الحسن علي بن رستم بن مردوز ، ديوان  
الساعاتي ، ت. أنيس المقدسي ، المطبعة الاميركانية ، بيروت ،  
سنة ١٩٣٨ والجزء الثاني سنة ١٩٣٩
- ٥٦٠ سبط بن التداويدي ، محمد بن عبد الله ، ديوان سبط بن التداويدي ،  
ت . د . س . مرجليوت ، مطبعة المقتطف ، مصر ، سنة ١٩٠٣
- ٥٦١ سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، مطبعة دائرة المعارف  
العثمانية ، هيدر آباد ، سنة ١٩٥١
- ٥٦٢ ستيفن رسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، نقله السيد الباز المريني ،  
دار الثعالب ، بيروت ، سنة ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٩

- ٠٦٣ سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٧٥
- ٠٦٤ سعيد عاشور ، حفارة ونظام أورنا ، دار الفهنية العربية ، بيروت ، سنة ١٩٧٦
- ٠٦٥ ابن سناء الملك ، حياة الدين بن جعفر ، ديوان ابن سناء الملك ، ت محمد عبد الحق ، ط ١ ، دائرة المعارف العثمانية ، عيد أباد الدكة ، الهند ، سنة ١٣٧٧ / ١٩٥٨
- ٠٦٦ سيد قلاب ، النقد الأدبي ، بيروت
- ٠٦٧ سهيل زكار ، مدخل الى تاريخ العرب الصليبية ، دار الامانة ، بيروت ، ط ١ ، سنة ١٣٦١ / ١٩٧٢
- ٠٦٨ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبو بكر ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ط ادارة الوان ، مصر ، سنة ١٢٩٩
- ٠٦٩ شاعر أحمد أبو بدر ، العرب الصليبية والاسرة الزنكية ، الجامعة اللبنانية ، بيروت ، سنة ١٩٧٢
- ٠٧٠ ابن شاعر الكتبي ، محمد بن شاعر الكتبي ، فوات الوفيات ، ت محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، سنة ١٩٥١
- ٠٧١ أبو شامة القدسي ، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل القدسي ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين : النورية والصلاحية ، ت محمد حلمي أحمد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ، سنة ١٩٥٦ و ١٩٦٢
- ٠٧٢ أبو شامة القدسي ، كتاب الروضتين ، مطبعة دار الجيل ، ط ٢ ، بيروت ، سنة ١٩٧٤
- ٠٧٣ أبو شامة القدسي ، كتاب الذيل على الروضتين ، مطبعة دار الجيل ، ط ٢ ، بيروت ، سنة ١٩٧٤
- ٠٧٤ ابن شاهين الظاهري ، غرس الدين خليل ، كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الدارق والمسالك ، ت بولس راويش ، مطبعة الجمهورية ، باريس ، ١٨٩٤
- ٠٧٥ ابن شاهنشاه الايوبي ، محمد بن تقي الدين عمر ، مضار الحقائق ، سر الدلائق ، ت حسن جهشي ، دار الهناء ، القاهرة ، سنة ١٩٦٨



- ٠٧٦ ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تجمال الدين الشيبان ، مطبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، سنة ١٩٦٤
- ٠٧٧ شرف الدين الانباري ، ديوانه ، تأليف عمر موسى باشا ، مطبعة الهاشمية دمشق ، سنة ١٣٨٧/١٩٦٧
- ٠٧٨ شهاب الدين محمود بن سلطان بن فهد بن محمود الحنبلي الخليلي ، حسن التوسل الى صناعة التوسل ، مطبعة أمين الخدي ، مصر ، سنة ١٣٦٥
- ٠٧٩ شوقي شيف ، الفن وهذا عهدك ، دار المعارف ، مصر ، سنة ١٩٦٤
- ٠٨٠ صلاح الدين النجد ، ولاية دمشق ، في العهد السلجوقي ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، سنة ١٩٧٥
- ٠٨١ ابن طباطبا ، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطباطبا ، النخبة في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، سنة ١٣٨٦/١٩٦٦
- ٠٨٢ الملايخ بن رزيق ، ديوانه ، جمع معهد نادي الأثيني ، مطبعة النخلة ، النجف الاشرف ، العراق ، سنة ١٣٨٣/١٩٦٤
- ٠٨٣ ظافر الحداد ، ديوانه ، تأليف حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، مصر ، سنة ١٩٦٤
- ٠٨٤ عارف المعارف ، تاريخ القدس ، دار المعارف ، مصر ، سنة ١٩٥١
- ٠٨٥ ابن الظاهر ، عبد الله بن عبد الظاهر بن شوان الجذاهي محيي الدين ، الدر النظيم من ترسل عبد الرحيم ، تأليف أحمد بدوي ، مطبعة الرسالة ، مصر ، سنة ١٩٥٩
- ٠٨٦ ابن عبد الطاهر ، تشریف الايام والمصروف في سيرة الملك المنصور عن مراد كامل ، وزارة الثقافة ، مصر ، سنة ١٩٦١
- ٠٨٧ عبد العزيز الانواني ، ابن سناء الملك ومشكلة المعجم والابتكار في الشعر ، مكتبة الانجلومصرية ، سنة ١٩٦٢
- ٠٨٨ عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين السادس عشر والخامس عشر ، منشورات المكتبة المصرية ، صيدا ، سنة ١٩٦٩
- ٠٨٩ عبد الكريم توفيق السبوح ، الشعر العربي في العراق ، من سطور السابحة حتى سقوط بغداد ، وزارة الاعلام ، بغداد ، سنة ١٩٧٦
- ٠٩٠ عبد اللطيف حمزة ، أدب العرب الصليبية ، مطبعة الاعتماد ، منشور دار الفكر العربي ، مصر ، سنة ١٩٤٩

- ٠٩١ عبد المطلب حنزة ، الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء  
الحملة الفرنسية ، مكتبة جامعة مصر
- ٠٩٢ عبد المنعم هاجد ، الناصر صلاح الدين يوسف ، مكتبة الانجلو مصرية ، مصر ، ١٩٥٦
- ٠٩٣ ابن العبري ، عمر يفرح وسين توما التلاوي ، تاريخ مستشرقين السندون ،  
وقف علي طابعه أندون صالحاني ، الطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، سنة ١٩٥٨
- ٠٩٤ ابن الصديق ، عمر بن أحمد ، زبدة العطب من تاريخ حلب ، بت سامي  
الدجان ، الكاثوليكية ، بيروت ، سنة ١٩٥٤ ، ١٩٦٨
- ٠٩٥ عرتقا الكلهي ، ديوانه ، ت احمد الزندي ، مطبعة دار العيسوي ،  
دمشق ، سنة ١٣٩٠ / ١٩٧٠
- ٠٩٦ علم الدين أيمن المحيوي ، ديوانه ، ت أحمد نسيم ، ط دار المتكبر  
البحرية ، القاهرة ، سنة ١٣٥٠ / ١٩٣١
- ٠٩٧ الصناد الاصفهاني ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن خالد بن محمد  
بن ثبة الله ، تاريخ دولة آل سلجوق ، القاهرة ، سنة ١٣١٩ ط
- ٠٩٨ الصناد الاصفهاني ، غريدة القصر وغريدة الخضر ، قسم شعراء الشام ،  
ت شكري فيصل ، المطبعة الهاشمية ، ج ١ / ١٩٥٥ ، ج ٢ / ١٩٥٩
- ٠٩٩ الصناد الاصفهاني ، الغريدة قسم شعراء مصر ، ت أحمد أمين وشوقي  
شيف واحسان عباس ، لجنة الترجمة والتأليف والنشر القاهرة ، ١٩٥١
- ١٠٠ الصناد الاصفهاني ، الغريدة القسم العراقي ، محمد بهبهني  
الاثرى ، مطبعة النجف العلمي ، العراق ، سنة ١٩٦٤
- ١٠١ الصناد الاصفهاني ، الفتح التسي في الفتح القدسي ، ت محمد  
محمود صبح ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٦٥
- ١٠٢ عمارة اليمنى ، النكت المصرية في أخبار الوزراء المصرية ، ت رتويج  
درنبرج ، مطبعة مرسو في مدينة شالون ، سنة ١٨٩٧
- ١٠٣ عمر كمال توفيق ، مقدمات المدوان الصليبي ، جامعة الاسكندرية  
سنة ١٩٦٦
- ١٠٤ عمر موسى باشا : الأدب في بلاد الشام عصر الزنكيين والايوبيين  
والمملوك ، دار الفكر الحديثة ، دمشق ، سنة ١٩٧٦
- ١٠٥ عمر موسى باشا : أمير شعراء المشرق ، ابن نيابة المصري ، دار المعارف  
القاهرة ، سنة ١٩٦٣

١٠٦. ابن عيين ، ديوانه ، ت خليل مردم بك ط ٢ ، دار صادر ، بيروت ،
١٠٧. غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، نقل عادل زيترت ط ٣ ، دار احيساء  
الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٦
١٠٨. الفارقي ، أحمد بن يوسف بن علي بن الازرق الفارقي ، تاريخ الفارقي ،  
ت بدوي عبد اللطيف عوض ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ،  
القاهرة ، سنة ١٣٧٦ / ١٩٥٩
١٠٩. فاروق جرار ، محمد بن نسر القيسراني ، حياته وشعره ، المطابع  
التعاونية ، عمان ، سنة ١٩٧٤
١١٠. فتیان الشافوري ، ديوانه ، ت أحمد الجندى ، مطبوعات مجمع اللغة  
العربية ، دمشق ، سنة ١٩٦٧
١١١. ابو الفداء ، اسماعيل بن علي ، المختصر في أخبار البشر ، المطبعة  
الحسينية ، مصر
١١٢. ابن الفرات ، محمد حسين عبد الرحيم ، تاريخ ابن الفرات ، ت حسن  
الشماع ، مطبعة خداد ، البصرة ، سنة ١٣٨٦ / ١٩٦٧
١١٣. ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٧ مج ٨ ، ت سنانطين زريق ونجلاء عزالدين  
ط الاميركانية ، بيروت ، سنة ١٩٣٩ / ١٩٤٢
١١٤. فيشر ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ت قلم محمد مصافي زمساده  
والباز الحريني ط ٥ ، دار المعارف ، مصر ، سنة ١٩٦٩
١١٥. القرآن الكريم
١١٦. القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ، آثار البلاد وأخبار العباد ،  
دار صادر ودار بيروت ، سنة ١٣٨٠ / ١٩٦٠
١١٧. ابن القلانسي ، أبو يسلمى عمزة ، ندير ، تاريخ دمشق ، ط الأبناء  
المسوعيين ، بيروت ، سنة ١٩٠٨
١١٨. القلقشندي ، أبو العباس أحمد ، صبح الاعشى ، مطبوعة عن المطبعة  
الاميرية ، القاهرة
١١٩. ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر ، البداية والنهاية ، مطبعة  
المسادة ، مصر ، سنة ١٣٤٨
١٢٠. مجهول ، أعمال الفرنجة وعجائب بيت المقدس ، تحقيق حسن حبشي ،  
دار الفكر العربي ، القاهرة ، سنة ١٩٥٨

- ١٢١ • محمد زانج الطباخي الحلبي ، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ،  
مراجعة العلمية ، حلب ، سنة ١٣٤٢ / ١٩٢٤
- ١٢٢ • محمد زفلول سلام ، الأدب في العصر الأيوبي ، دار المعارف ، مصر  
سنة ١٩٦٨
- ١٢٣ • محمد زفلول سلام ، الأدب في العصر المملوكي ، دار المعارف ، مصر  
سنة ١٩٧٠
- ١٢٤ • محمد زفلول سلام ، نبياء الدين بن الاثير ، دار المعارف ، مصر ،
- ١٢٥ • محمد زفلول سلام ، تاريخ النقد العربي من ق ٥ - ١٠ ، دار المعارف  
مصر ،
- ١٢٦ • محمد سيد كيلاوي ، الحروب الصليبية وأثرها في الادب العربي فني  
مصر والشام ، دار الكتاب العربي ، مصر ، سنة ١٩٤٩
- ١٢٧ • محمد كامل حسين ، في أدب مصر الفاطمية ، دار الفكر المصري  
مصر ، سنة ١٩٥٠
- ١٢٨ • محمد كامل حسين ، دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ،  
دار الكتاب العربي ، مصر ، سنة ١٩٥٧
- ١٢٩ • محمود ابراهيم ، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن التيسرانسي ،  
الكتب الاسلامي ، ومكتبة الاقصى ، دمشق ، عمان ، سنة ١٩٧١
- ١٣٠ • محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتجه العلمي والادبي ،  
مراجعة الاداب ، مصر ، سنة ١٩٦٥
- ١٣١ • محمود صداف ، الأدب العربي في مصر من الفتح الاسلامي الى نهاية  
العصر الايوبي ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة ، سنة ١٩٦٧
- ١٣٢ • ابن مازون ، الصاحب جمال الدين ، ديوانه ، ١ ، مراجعة الجوائب  
قسطنطينية ، سنة ١٢٩٨ هـ
- ١٣٣ • المقرئ ، أحمد بن محمد المقرئ ، فتح الياي ، احسان عباس ، دار  
صادر بيروت ، سنة ١٣٨٨ / ١٩٦٨
- ١٣٤ • المقرئ ، تقي الدين أحمد بن علي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ،  
ت محمد صداف زيادة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٣٤
- ١٣٥ • المقرئ ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ط بولاق ، مصر ،  
سنة ١٢٧٠ هـ

- ١٣٦ • مكسيموس مونروند ، من تاريخ الحروب المقدسة في المشرق ، المدعوة  
حرب الصليب ، ترجمة مكسيموس ، مالموم ، دار دير الرهبان الفرنسيان  
القدس ، سنة ١٨٦٥
- ١٣٧ • ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ،  
لسان العرب ، دار صادر ودار بيروت ، سنة ١٩٥٦
- ١٣٨ • ابن ميسر ، محمد بن علي بن يوسف ، أخبار مصر ، تحقيق حسيني  
ناسين ، مطبعة المعهد الفرنسي ، القاهرة ، سنة ١٩١٩
- ١٣٩ • المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام ، بيروت ، دار المتحدة للنشر ،  
سنة ١٩٧٤
- ١٤٠ • ناصر خسرو علوي ، سفرنامه ، ترجمة وتعليق يحيى الخشاب ، ط ١ ،  
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٤٥
- ١٤١ • ابن النبيه ، علي بن محمد ، ديوانه ، المطبعة العلمية ، القاهرة ، ١٩٧٣
- ١٤٢ • النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، المؤسسة المصرية الخاصة ،  
دار الكتب ، القاهرة ، سنة ١٩٢٥ - ١٩٥٥
- ١٤٣ • النويري ، محمد بن قاسم الاسكندري ، الإلهام بالأعنان فيما جمعت به  
الاحكام والامور القضائية في وقعة الاسكندرية ، اتين كويب وعزيز عاينة  
مراجعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد ، الدكن ، سنة ١٩٦٨
- ١٤٤ • ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل ، مشق الكسروب  
في أخبار بني ايوب ، جمال الدين الشيال ، الأميرسية  
١٩٥٣/١ ، ١٩٥٧/٢ ، ١٩٦٠/٣
- ١٤٥ • ابن واصل ، مفرج الكروب ، تحسين محمد ربيع وسعيد عاشور ،  
مراجعة الكتب ، سنة ١٩٧٢
- ١٤٦ • ابن الوردي ، ابو حفص زين الدين عمر ، تاريخ ابن الوردي ، المطبعة  
الوحيية ، القاهرة ، سنة ١٢٨٥ / ١٨٦٨
- ١٤٧ • الياضي ، عبد الله بن سلامة بن علي بن سليمان ، مرآة الجنسان  
وعبرة اليقظان ، مراجعة المعارف النظامية ، حيدر اباد والدكة ، ١٣٣٨
- ١٤٨ • ياقسوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ، معجم  
البلدان ، بيروت ، سنة ١٩٥٥

١ - ٩

المقدمة .....

## الباب الاول

توثيق تاريخية

(١١ - ٥١)

١١ - ٢١

الفصل الاول : الشرق الاسلامي قبيل الغزو الصليبي

٢٢ - ٢٤

الفصل الثاني : الغزو الارمني قبل الغزو الصليبي

٢٥ - ٥١

الفصل الثالث : الصراع ميدانسه وزمانسه

## الباب الثاني

(٥٣ - ١٩٨)

٥٣ - ١٦٤

الفصل الاول : الفاترة الاسلامية الى الصراع

٥٣ - ٧٠

القسم الاول : صراع بين عقيدتين

٧١ - ٩٠

القسم الثاني : صراع بين حضارتين

٩١ - ١٥٠

القسم الثالث : الصراع العسكري

٩١

اول : الجيش الصليبي

١٠٥

ثانيا : الاسلحة والمعدات العسكرية

١١١

ثالثا : التحصينات

١١٩

رابعا : التخطيط العسكري

١٢٣

خامسا : الحرب النفسية

١٢٥

سادسا : الممارك البرية والبحرية

١٥١ - ١٦٤

القسم الرابع : الخطر الصليبي

١٥٢

أولا : على الارض الاسلامية

١٥٨

ثانيا : على المسلمين

١٦٠

ثالثا : على الاسلام والتراث الاسلامي



بحر قزوين

القفقاز

البحر المتوسط

البحر الأحمر

البحر الأبيض المتوسط

البحر الأسود

البحر الابيض المتوسط

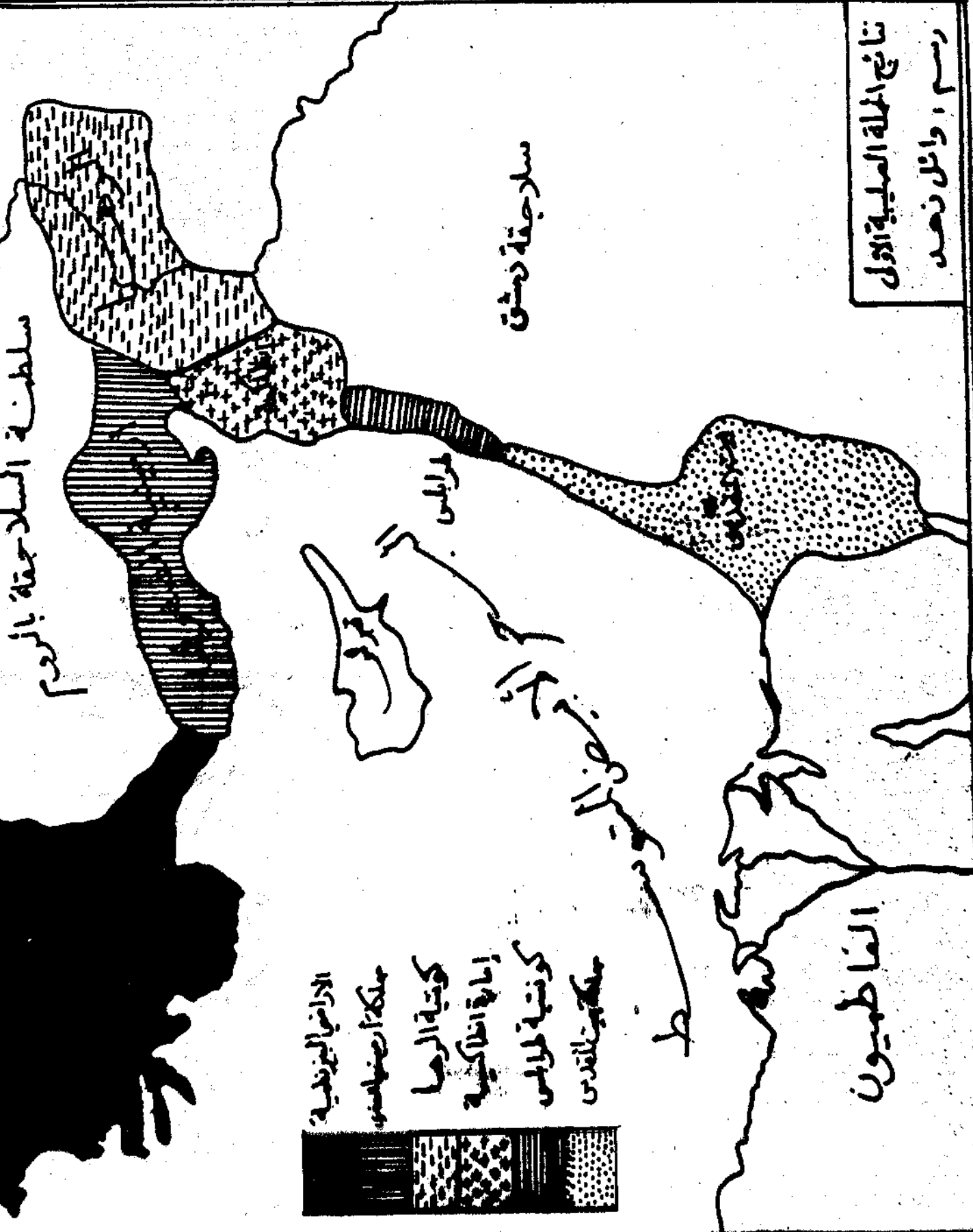
البحر الأحمر

البحر الأبيض المتوسط

البحر الأبيض المتوسط

البحر الأبيض المتوسط

تاريخ الحملة الصليبية الأولى  
رسم: وائل زاهد



- الأراضي البيزنطية
- مملكة أرمينيا الصغرى
- كوتية الروما
- إمارة أنطاكية
- كوتية طرابلس
- مملكة بيت المقدس

سلطنة السلجوقية بالروم

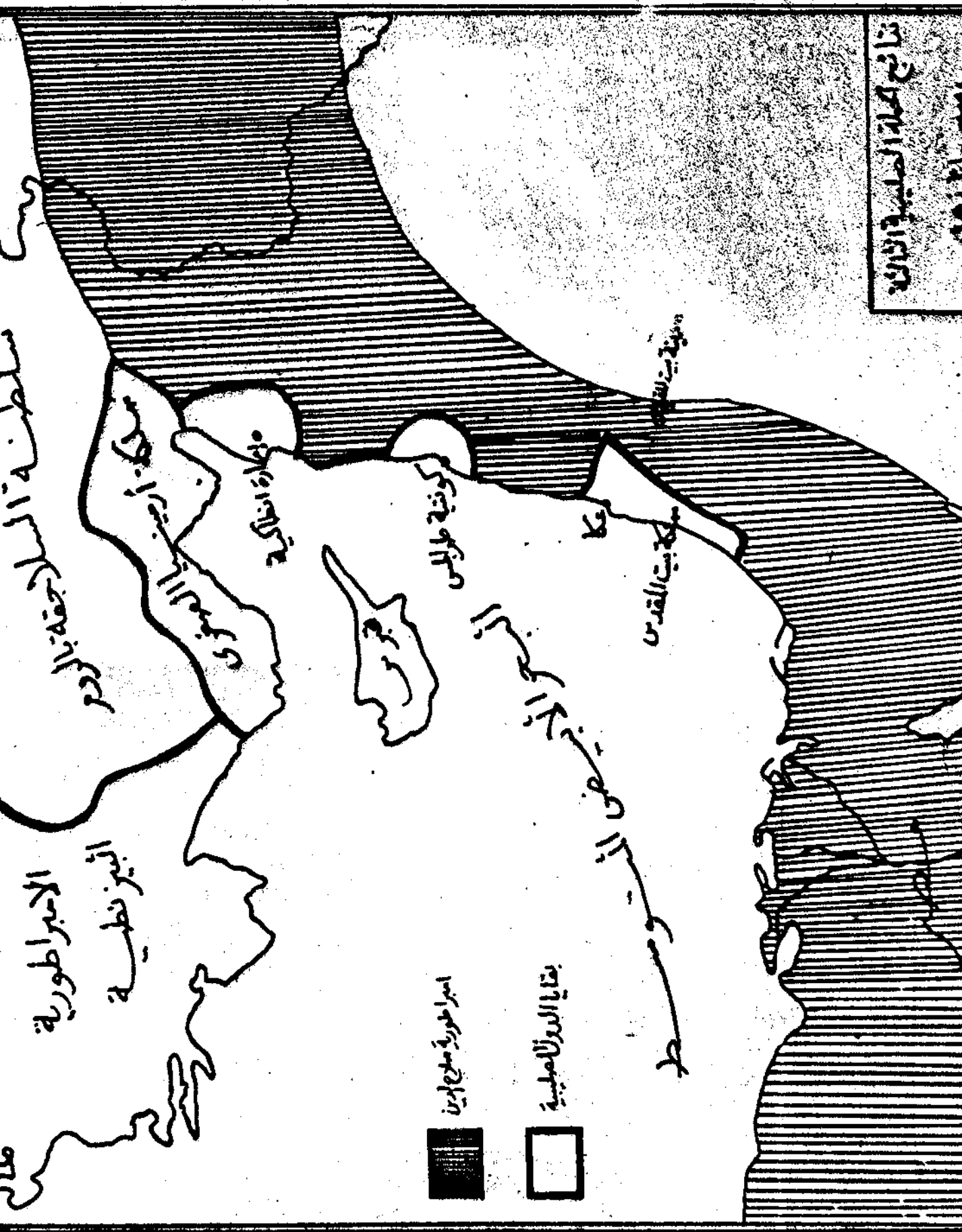
سلاجقة زمشق

مولىس

الفاطميون

ط





سلطنة السلاجقة بالرودم

مملكة ارض بنو الهلوان

مملكة انطاكية

كوتية طرابلس

مملكة بيت المقدس

الامبراطورية  
البيزنطية

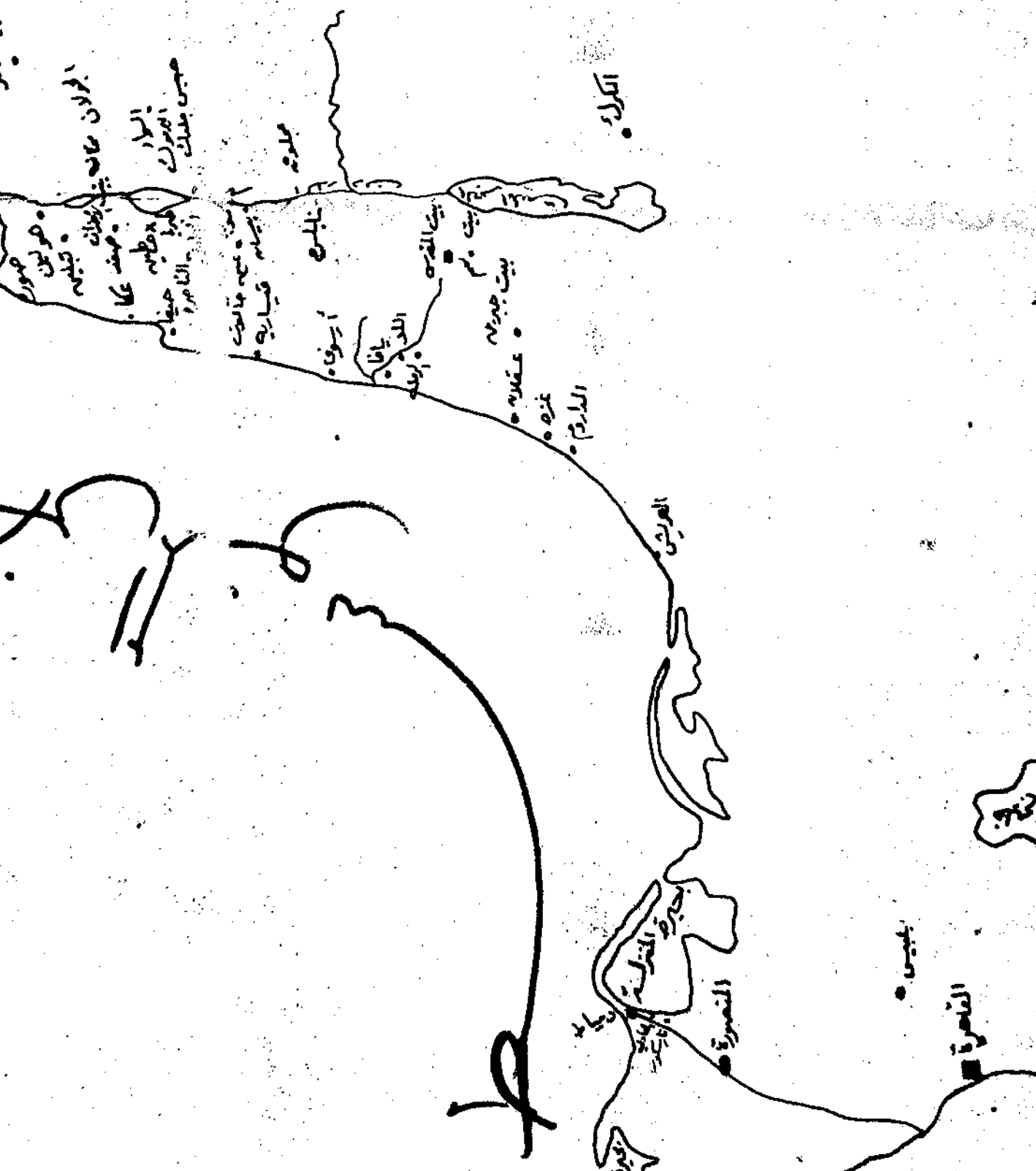
البحر الابيض المتوسط

امبراطورية صليبيون

بقايا الدولة المملوكية







وقال أسير على لسان القدس وأرسلها إلى صلاح الدين :

يا أيها الملك الســـــــذي  
جاءت إليك ظلامـــــــة  
كلّ المساجد طهـــــــرت  
لمعالم الصلحان تكـــــــس  
تسمى من البيت المقدـــــــس  
وأنا على شرفي منجـــــــس ( ١ )

ونحكي أن فقيراً بات بالقدس فسمع قائلاً يقول في الليل :

إن يكن بالشام قل نصـــــــيري  
فلقد أصبح الفداة خرابـــــــي  
وتهدمت ثم دام هلوكتـــــــي  
سمة العار في حياة الملوك ( ٢ )

وكتب على أبواب كنيسة في عكا بعد طرد الفرنج عنها سنة ٦٩٠ :

أدى الكنائس أن يكن عشت بكمــــم  
فلطال ما سجدت على أبوابكمــــم  
صبرا على هذا المصاب فإنــــم  
أيدي الحوادث أو تغيّر حــــال  
شم الأنوف ججاجاً أبطلــــال  
يوم بيوم والحروب سجــــال ( ٣ )

وقال بعض شعراء المشرق في صلاح الدين :

الله أكبر جاء القدس بأرهمــــا  
فكم لمصر على الأضار من شــــرف  
فباين يعقوب هزت جيدها طرهمــــا  
قل للملوك تخلي عن ما لكمهمــــا  
وقال بعض شعراء دمشق سنة ٦٥٧ :-  
هلك الكفر في الشام جميعهمــــا  
بالمليك المظفر الملوك الارهمــــا  
ملك جاءنا بمزم وحهمــــم  
ورام أسهم دين الله رامهمــــا  
بيوسفين وهل أرض ثدانيهمــــا  
وبأبن أيوب هزت عطفها تيمهمــــا  
فقد أتى آخذ الدنيا ومصطهمــــا ( ٤ )  
واستجد الإسلام بعد دحوضهمــــه  
وع سيف الإسلام عند نهوضهمــــه  
فاعتزنا بسرهم وبيضهمــــه ( ٥ )

- ( ١ ) الانصر الجليل ٣١٨ وزيادة كشف الممالك ص ٢٠
- ( ٢ ) نهايتا لارب ج ٢٧ ورقه ٣٩
- ( ٣ ) جواهر السلوك ورقه ٤٨ • درة الاسلاك ورقه ١٦١
- ( ٤ ) مرآة الجنان ج ٣ / ٤٦٥
- ( ٥ ) النجوم الزاهرة ٧٧ / ٧

المجلات :

• ١٤٩ • مجلة الهلال ح ٩ ، السنة العادية والثلاثون ، سنة ١٩٧٢

• ١٥٠ • مجلة المعرفة ح ١٥٥ ، كانون ثاني ، سنة ١٩٧٥

الكتب الأجنبية :

Matimud Ibrahim, Martial poetry under the . ١٥١

Hamdanide of Aleppo . ph. D. , 1965.

Stanley Lane-poole, A History of Egypt in the . ١٥٢

Middle Ages, Frank Cass and Co. L.T.D. , 1968.

The Encyclopediu of Islami, Leiden-London, 1936. . ١٥٣

١٦٥ - ١٩٨

١٦٥	أولا :	الحياة الاجتماعية
١٨٧	ثانيا :	الحياة الاقتصادية
١٩٣	الحي :	الحياة السياسية

### الباب الثالث

#### التقويم الفني

( ١٩٩ - ٢٩٢ )

٢٠٠-٢٤٤

الفصل الاول : الشمس

٢٤٥-٢٨٢

الفصل الثاني : النجوم

٢٨٤-٢٨٩

موازنة بينهم

٢٩٠-٢٩٢

الخاصة

### الملاحق:

٢٩٤-٣٩٦

أولا : الملحق الشمسي

٣٩٦-٥٢٨

ثانيا : معاني المعدل الحركات

٥٢٩-٥٣٥

ثالثا : جدول تحويل السنوات الهجرية الى ميلادية

٥٣٦-٥٤٠

رابعا : جداول بأسماء الحكام المسلمين والصلبيين

٥٤١-٥٤٤

خامسا : الخرائط

٥٤٥-٥٥٥

المصادر والراجع

٥٥٦-٥٥٨

المحتويات

The study I have chosen: " Crusaders' picture in Arabic Literature" is justified on the basis that a more comprehensive study would be a difficult task, due to the fact that the poetry and prose written during the Crusades involve a wide range of variety.

This study contains three chapters. The first is the historical framework which deals with the conditions of the Islamic East in Iraq, Syria and Egypt before the Crusades. A special section about the European status before the war is added to clarify the motives behind the war. Then a survey of the wars from beginning to end follows.

The second chapter is about the forms of struggle between Muslims and invaders. The most important aspect of this struggle was basically religious. This struggle was mainly characterised by the ruthless treatment Muslims received by Christian Europeans.

In the course of cultural struggle Europeans are to be shown backward in their sciences, administration and law, but progressive in war affairs such as in matters relevant to inventing and developing means of fighting, attacking and defence.

Literature has presented a detailed picture of the military struggle, displaying an accurate description of the Crusades army: regarding its construction, supplies, weapons and plans; and it shed light on the Europeans' castles and forts. Literature has also shown that Europeans got their needs for living from overseas supplies

On the other hand, Arabic literature presented a picture of those invaders during armistices and war breaks describing them as playing, cultivating the land gathering the crops, trading and leading different life altogether, presenting this picture of the crusaders.

The writers intended to arouse the feelings of the rulers against the invaders hoping that they would succeed in putting an end to their presence. Research into the literary texts of this period reveals productive literary achievement,

This phenomena was promoted by some eminent characters in the fields of war, politics, administration and literature such as Hour id-deen Zinki, and Saladin and some of his sons, who faced the challenge with courage and strong conviction.

The third chapter is about technical performance in poetic texts, which was to some degree an extension of its equivalent at the end of the fourth and the beginning of the fifth Hegiran centuries. It combines tradition and innovation. This appears in the form and the content of the poem. Some poems were drawn upon old poetry as seen from the beginning of the poem and their decorative pictures. Meanwhile, some of them were produced in a new method especially in introducing and overdecorating their diction.

It has been noticed that metaphors formed a popular aspect in the poetry of that era, but that was not a new



3

phenomenon in the 5th Hegiran century. The phenomenon existed before that time, particularly during that period when it reached the excess.

As for prose texts, they were also characterized by the decorative aspect especially in literature in the books that combined history and literature, decorative style, however, varied between excess and moderation.

The letters of AL-Qadi AL-Fadil were compared with those of Al-Imad Al-Asfchani and Ibn-AL-Athir, and it was found out that there were no differences between them.

This finding makes one suspect the view of those who said that Al-Qadi had a special literary school characterized by certain techniques.

When prose and poetry relevant to the crusaders' existence in the Islamic East were compared, a difference in the way of expressing the same subject was noticed, regarding the handling, the treatment and the literary style. As for poetry, it seldom committed itself to logical sequence for it recorded plain truth and analysis of details. It described the psychological movement of the poet and his social environment. In portraying this, poetry might use exaggeration to omit certain effects, and to arouse the emotions. It also colours the events in a way that reflects the poet's identity.

As for prose, it presents the factual incidents and uses sequences and details- Whatever motivation there is in prose it depends on the events themselves. However, the

gap between prose and poetry was sometimes so narrow that prose is changed, in some cases, into poetry which lacks musical.

The three chapters are followed by five appendices. The first contains poems related to the crusades; the second an explanation of some war idioms; the third a table transforming.

Hegiran years to Christian years; the Fourth, the names of Muslim and Crusaders' leaders; the fifth, maps showing places of battles. Some of the maps show the districts occupied by crusaders in the first ninety years of the war, and how their property began to decrease year by year, until, at last, the four emirates ended.